
تنبيه الغافلين

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م



دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
ص.ب: ٣١١ - تلفون: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٤٣٥٠٢
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي
ص.ب: ١١٣/٦٣١٨ تلفون: ٨١٧٨٥٧ - ٠٣-٢٠٤٤٥٩



تأليف

الإمام الفقيه أبي الليث نصر بن محمد الحنفي السمرقندي

(ت ٣٧٣ هـ)

حققه وعلق عليه

يوسف علي بديوي



دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عُدوان إلا على الظالمين، ونسأله تعالى أن يُرينا الحقّ حقّاً فنتّبعه، والباطل باطلاً فنجتنبه.

والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد، خير نبيّ اصطفاه، ورحمة للعالمين أرسله، وعلى آله وصحبه وسلّم.

اللهم حبّب إلينا الإيمان الخالص من كلّ الشّوائب، النّقيّ من جميع الأهواء، وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الرّاشدين الهادين المهتدين، ولا تجعلنا من الغافلين؛ برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد:

فقد وردتْ آياتٌ قرآنية كثيرة تذمّ الغفلة عن الله عز وجل، وتدعو إلى دوام الذّكر والمعرفة والخشية من الله تعالى، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿**وَلَا تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقوله عز من قائل: ﴿**ولا تُطِعْ مَن أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾ [الكهف: ٢٨].

فالغفلة عاقبتها الهلاك، قال تبارك وتعالى: ﴿**فَأَغْرَقْنَاهُمْ في اليَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بآياتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٣٦].

وذلك أنَّ أوَّل منازل العبودية الحقّة لله عز وجل «اليقظة»، وهي انتباهُ القلب الدائم، والبعد عن مضلّات الغفلة وسكراتها، فإذا انتبه المؤمن المتيقّظ شمّر بهمّة

عالية، وعزم مكين، فتهيّأ للسفر الحقيقي وهو الدار الآخرة، فسعى لها سعيها لنيل الجنة.

فحيّ على جنّات عدنٍ فإنّها منازلك الأولى وفيها المخيَّمُ
ولكننا سَبْيُ العدوّ فهل ترى نعودُ إلى أوطاننا ونُسلَّمُ؟

وليس هذا العدو سوى الغفلة، وترك الطاعة، والتعلّق بالحياة الدّنيا بغرورها وشهواتها ومتاعها الزّائل.

وإذا تيقّظ القلبُ المؤمن انتقل إلى منزلة أعلى، وهي العزم الجازم على مفارقة المعوقات كلها، وتجاوز الصعوبات مهما تضخمت، وعلى حسب العزم تكون اليقظة، ووفق اليقظة يكون العزم والاستعداد.

وعند ذلك يتحقّق السّيرُ الصحيح وفق المنهج السليم على جادّة الصواب، فيحدِّق القلب في الغاية المثلى، وهي تحقيق العبودية لله الواحد القهار، وصولاً إلى جنّة عرضها السماوات والأرض أُعدّت للمتقين.

فإذا كان ذلك أبصر القلبُ الوعدَ والوعيد، وأدرك تمام الإدراك أهوال المحشر، وفظاعة الحساب، عندما يُنصب الميزان، ففريق في الجنّة وفريق في السّعير.

وهذه الحالة الإيمانية عاشها الصّحبُ الكرام في عهد رسول الله ﷺ، والعلماءُ العاملون فيما بعد، أولئك المدرِكون لما كُلِّفوا به؛ فعرفوا الحقّ، وأيقنوا به، فتخلّصوا من الحيرة بالإيمان الأكيد.

ثم إنَّ طريقَ اليقظة موصلٌ إلى الجنة، وطريق الغفلة والشرود موجبٌ للعقاب والنار، فَنِعَمُ الله عز وجل على العباد كثيرة، وعلى المرء أن يدركَ تلك المنن، فيقوم بشكر المنْعِم، ويعلم تقصيرَه في حقِّه تعالى مهما أدّى من عبادات، وعندها يعترف فيستغفر قائلاً: «أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذّنوب إلا أنت».

ولا بُدَّ للإنسان أن ينظر إلى ما سلف منه من إساءة وسوء تصرّف، ويعلم أنه كان على خطر كبير، ذلك أن الله عز وجل قد ذمّ مَن نسي ما قدّمت يداه، فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧].

إنَّ وقفة التأمُّل هذه هي يقظةٌ للقلب، وترك للغفلة، فالتوبة والاستغفار يمحصان الذّنوب، ويكشفان السّيئات، ويُخلّصان العبدَ من غيّ الغفلة والبعد عن الله سبحانه.

ومدار السّعادة يقوم على التذكّر الدّائم لِنعَم المولى، وشكره، والقيام بما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، والتخلُّص من رقدة الغفلة بالذّكر الدائم لله تعالى، والإنابة إلى الحقّ؛ بالوفاء له، والإخلاص في النّيّة، والطاعة، والإيمان العميق، والخلاص من لذّة الذنب.

* * *

إنّ الغفلة عن الله تعالى مرضٌ يصيبُ الكثيرَ من النّاس، فيجعلهم يتركون العملَ الصّالح؛ إذ تفتر هممهم، وتخمد عزائمهم، فَيُصابون بحالةٍ من اليأس والقنوط.

والغفلة أنواع:

فمن الناس من يغفل عن الإيمان بالله مطلقاً، فلا يؤمن بكتاب، ولا يسمع لحقّ، أولئك كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً. وهذه هي الغفلة الكبرى.

ومنهم من يعمل الصّالحات الكثيرة، لكنّ قلبه ما وصل إليه خوف ولا رجاء، ولا محبة، ولا زُهْد في الدّنيا، ولا رغبة في الآخرة.

ومنهم من يفعل الحسنات، لكنه يشوبها كبْراً وإعجاباً وزهواً، إلى ما هنالك من علل خفيّة.

ومنهم من يكون عمله غير خالص لله عز وجل؛ إذ يبتغي المحمدة من النّاس، والثناء عليه مِمّن يراه، ولعمري هذا داء لا يميزه إلا أهل البصائر العالمون.

ومنهم من تشغله الدنيا بزخارفها وماديتها، فينشغل قلبُه وفكره عن الله، ولو أنه يتذكّر في بعض الأحيان.

ومن الغفلة انشغال الإنسان بطاعة ما، واستغراقه فيها، تاركاً بقية الطّاعات، مُهملاً لها، فهو مبالغٌ في جانب تعبّدي فحسب، وقد يكون نَفْلاً على حساب الفرائض الأخرى.

ومن الغفلة أيضاً أن يتعصّب المرءُ لجانب ما من الحقيقة، فيدفعه ذلك إلى

الغفلة عن بقية الجوانب الأخرى، وقد تكون ألزم من الجانب الذي انشغل به.

وهذا كلّه غفلة عن الله تعالى، ينبغي التخلّص منه والبعد عنه.

* * *

وقد كان للعلماء والواعظين دور كبير في «تنبيه الغافلين»، وإرشاد الضّالّين، ونصيحة الناس؛ بقصد الرجوع إلى الله عز وجل، والإنابة إليه بعد طول شطط وشرود.

ومن هؤلاء العلماء المبرّزين أبو الليث السّمرقندي، الذي حاول في هذا الكتاب إزاحة السّتار عن القلب، وإماطة اللثام عن حقيقة الاتجاه الصحيح والمنهج الأقوم، فكان خبيراً في كشف بؤرة الغفلة عن الله، وما تحتويه من خداع للقول والفعل، فاتّجه نحو عرضٍ أخلاقيّ للمعاني السّامية، وتوضيح لمفهوم العبادات الحقّة، وسبر لقطاعات أخرى تتمركز في جوانب الطريق الإسلامي الصحيح، إذ تجمع بين الأحكام والأخلاق والعبادات، ومدى تفاعل الإنسان معها تفاعلاً خلّاقاً بنّاءً إيجابياً.

لذا رأيتُ لزاماً عليَّ أن أقومَ بتقديم كتاب «تنبيه الغافلين» تقديماً جديداً، يقوم على التحقيق العلمي؛ بالمعارضة على الأصول الخطيّة، وتخريج الآيات والأحاديث والأخبار، والفهرسة، وغير ذلك، مما يجعل لهذه الطبعة ميزات عدّة؛ تُخْرِجُ الكتاب بحلّة قشيبة، فيها اليُسْر والنفع بإذن الله تعالى.

* * *

اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزِدْنا علماً يا أرحم الراحمين.

اللهم إنّا نسألك العناية والتّوفيق إلى الرّشد والسّداد في القول والعمل، إنك سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين.

دمشق في ٤/رمضان/ ١٤١٢هـ

٨/آذار/ ١٩٩٢م

١ ـ المؤلّف*

هـو الفقيـه المحـدِّث الـزاهــد، أبـو الليث، نصــر بن محمـد بن أحمــد بن إبراهيم السمرقندي، الملقّب بإمـام الهدى: عـلّامة، من أئمـة الحنفية، ومن الـزّهّاد المتصوّفين.

أخذ عن أبي جعفر الهنـدواني، عن أبي القاسم الصفـار، عن نصير بن يحيى، عن محمد بن سماعة، عن أبي يوسف.

وروى عن محمد بن الفضل بن أنيف البخاري، وجماعة.

روى عنه: أبو بكر محمد بن عبدالرحمٰن الترمذي، وغيره.

اختلف في تاريخ وفـاته، فـذكر صـاحب «الفوائـد البهية» أربعـة تواريـخ هي: ٣٧ ـ ٣٧٥ ـ ٣٨٣ ـ ٣٩٣. واختـار الـذهبي في «سير أعـلام النبلاء» الثـاني منها، بينما توخّى الزركلي في «الأعلام» الأول.

له مصنفات عديدة، نذكر منها:

- تنبيه الغافلين (وهو الكتاب الذي بين أيدينا).
- بستان العارفين في الآداب الشرعية.
- خزانة الفقه على مذهب أبي حنيفة.

---

* مراجع ترجمته:
الفوائد البهيـة (٢٢٠)، سير أعـلام النبلاء (١٦/٣٢٢)، مفتـاح السعادة (٢/١٣٩)، الأعـلام (٨/٢٨)، معجم المؤلفين (١٣/٩١).

ـ المقدمة في الفقه.
ـ دقائق الأخبار في بيان أهل الجنة وأهوال النار.
ـ تفسير القرآن.
ـ عمدة العقائد.
ـ شرح الجامع الصغير. وغير ذلك.

رحم الله «السمرقنديّ» رحمةً واسعة، ونفع بكتبه، وأجزل له المثوبة.

* * *

٢ ـ الكتاب

أ ـ نسبته:

ذكر الكتابَ للسمرقندي معظمُ الذين ترجموا له، ومنهم:

حاجي خليفة في كشف الظنون (١/٤٨٧)، ويوسف سركيس في معجم المطبوعات العربية والمعربة (١/١٠٤٥)، والزركلي في الأعلام (٨/٢٧)، وغيرهم.

ب ـ مادته:

هو كتاب في الوعظ والحِكَم وتهذيب الأخلاق. وهو مُرتّب على أربعة وتسعين باباً. وموضوعه يتلخّص في النّصح والإرشاد، والدعوة إلى التمسُّك بمحاسن الأخلاق ومكارم الصفات الرفيعة، مع التعريج على العبادات وبعض الموضوعات الفقهية.

وقد تناول السمرقندي أبواباً أخلاقية وعظية، فلم يترك باباً مهمّاً إلا طرقه، فوضّحه، وبيّنه، وفسّره، وساق عليه الشواهد من القرآن، والحديث، وسِيَر الأوّلين، وحِكَم العلماء العاملين، وأقوال الدُّعاة إلى الله تعالى؛ بما فيها من علاج للنفوس، وطهارة للقلوب، وصيانة للجوارح، وإزالة العثرات من الطريق إلى الله سبحانه.

وقد ضمَّ الكتاب أبواباً عديدة، نذكر منها:

الإخلاص ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ حق الوالدين ـ الزجر عن الكذب ـ الصبر على المصيبة ـ فضل الصدقة ـ النفقة على العيال ـ خوف الله تعالى ـ الدعاء ـ العمل بالعلم ـ الورع ـ حق الزوج على الزوجة ـ العمل بالسُّنَّة ـ الاجتهاد في الطاعة.

وقد بدأ المؤلِّف كتابه بباب الإخلاص وترك الرياء؛ لأنه إذا صحّ الاتجاه، وسلمت النية؛ فقد صلح سائر عمل الإنسان.

وقد سار السمرقندي في ترتيب كتابه على أساس تناول مجاميع وعظية وإرشادية وعبادات وفقه، وغير ذلك.

* * *

ج ـ منهجه:

ضمّن السمرقندي كلّ باب من أبواب كتابه ثلاثة أشياء أساسية:

فهو يبدأ حديثه في الباب الواحد بذكر آياتٍ من القرآن الكريم، ويُفسِّر الكلمات الغامضة؛ دون الإشارة إلى المصدر الذي نقل منه في الغالب، وهو تفسير بالمأثور وغيره، إذ يعزو أحياناً القول إلى صاحبه.

ثم يدعم ما ذكر بأحاديث نبوية مختارة، فيها الصحيح والحسن والضعيف، وقد بلغت نحو ألف حديث. ولكن نأخذ عليه أنه كان يستشهد بالموضوعات والأباطيل دون إشارة إلى أنها كذلك، فلم يمحّص ولم يُدقِّق في هذا الأمر. ويبدو أن غرضه كان وعظياً بحتاً، فهو يستخدم الحديث كما يعرفه حيث الموضوع الذي هو بصدد الحديث عنه، بغضّ النظر عن تفحّص سند الحديث أو متنه، أو التدقيق في صحّته؛ حتى أنه انفرد برواية أحاديث لا تكاد توجد إلا في كتابه هذا.

ثم نراه يدعم كل باب بأقوال السلف الصالح ذاكراً أسماءهم كمجاهد وسفيان وابن المبارك وإبراهيم النخعي وطاووس. . . لكنه أغفل ذكر الاسم أحياناً.

وأخيراً يذكر بعض القصص والحكايات التي عليها مسحة وعظية إرشادية، تخدم الموضوع الذي يطرقه، حتى إنه قد خصّص باباً سمّاه: باب الحكايات.

* * *

د ـ قيمته:

لكتاب «تنبيه الغافلين» أهمية كبرى في ميدانه، فهو يهدف إلى ربط القلوب بخالقها عز وجل، والعمل على توضيح الطريق للوصول إلى الحق والخير، وجَعْل الإنسان على اتصال دائم بدينه في قوله وفِعْله.

وهو يتّجه نحو وعظ العامة، مُذكِّراً إياهم بـالأحكام التعبـدية، وضـرورة التخلّق بمكارم الأخلاق الإسـلامية الصـافية، معـرّجاً على تعليمهم المنهـج السوي والسلوك عليه باستقامة وثبات.

وقـد غطّى الكتـابُ القطاعـات الأخلاقيـة برمّتهـا، من إخلاص وورع وتـوكـل وخوف من الله تعالى، مع بيان الحقوق العامة، وضرورة صيانة العلاقات وتحسينها بين الناس، من خلال الارتباط بالقرآن والسُّنّة.

وممّا يزيد من قيمة الكتاب أنه حفل بالكثيـر من التفسير لـلآيات القـرآنية حيث أوضح المؤلِّف المعنى، وساق الشواهد التوضيحية مُفسَّرة، لذا نـرى أنَّ هذا الكتـاب يصلح أن يكون مصدراً لمن يعتلي المنابر، ويخطب في الناس واعظاً ومرشداً.

وهـذا الكتاب أيضـاً يُعَدُّ من أوائـل كتب الوعظ الـدينية، فهـو يسبق أبـا طـالب المكي (ت ٣٨٦هـ)، والإمـام الغـزالي (ت ٥٠٥هـ)، وربّمـا كـان من المصـادر الأساسية لكثيرٍ من كتب الوعظ والإرشاد.

* * *

٣ ـ نسخ الكتاب

للكتاب نسخ خطية كثيرة، ضُمَّ معظمها في مكتبة الأسد بدمشق. وبعد تفحّص مجموعة من هذه النسخ اخترت اثنتين منها، وكانتا كافيتين لإثبات نصّ هذا الكتاب.

وهذا وَصْفٌ موجز لهاتين النسختين:

أ ـ النسخة الأصل:

ورقمها (١٧٦٢٦)، ومجموع أوراقهـا (١٩٦) ورقة، في كـل ورقة صفحتـان، قياس (٢٣×١٦)، وفي كل صفحة (٢١) سطراً، وفي كل سطر من (١٨ ـ ٢١) كلمـة تقريباً. وكُتبت بخط واضح مقروء. وهي نسخة جيدة، تاريخ نسخها (٧٦١هـ).

تبدأ هذه النسخـة بـ «الحمد لله الـذي هدانـا لكتابـه، وفضّلنا على سـائر الأمم بـأكرم أنبيـائـه، حمـداً يستجلب المـرغـوب من رضـائـه، ويستعـطف المخـزون من عطائه...».

وتنتهي بـ «وهو قول الله سبحانه وتعالى ﴿**وشهد شاهد من أهلها**﴾».

وهذه النسخة مصححة، فعلى هوامشها تعليقات تتضمن شرحاً لبعض الكلمات اللغوية، وعليها أيضاً عبارات مقابلة، وهي مقروءة على بعض العلماء، وعليها تملكات ومطالعة لإسماعيل بن محمود العيني.

ونظراً لكون هذه النسخة من أقدم النسخ، وأكملها، وأوثقها، آثرتُ أن تكون أصلاً في عملي، وقد رمزتُ لها بكلمة (الأصل).

ب ـ النسخة المساعدة:

ورقمها (١٥٣٧١)، ومجموع أوراقها (٣٩٤) ورقة، في كل ورقة صفحتان، قياس (١٥×٨)، وفي كل صفحة (١٩) سطراً، وفي كل سطر من (١٠ ـ ١٤) كلمة تقريباً.

وهي نسخة مقابلة، وكُتبت بخط واضح مقروء، تاريخ نسخها (١٠٨٩هـ).

تبدأ هذه النسخة بـ «الحمد لله الذي هدانا لكتابه، وفضلنا على سائر الأمم بأكرم أنبيائه، حمداً يستجلب حكمك المرغوب من رضائه، ويستعطف المخزون من عطائه..».

وتنتهي بـ «وقوله تعالى ﴿**وشهد شاهد من أهلها**﴾ والحمد لله رب العالمين».

وفيها زيادات على النسخة الأصل، وهي زيادات هامة في مواضعها، يبلغ عددها حوالي عشرة مواضع. لكن هذه النسخة لم تخلُ من بعض السقط والتصحيف والتحريف.

ونظراً لجودة هذه النسخة اتّخذتُها أختاً للنسخة الأصل، وأصلاً ثانياً لها في عملي، ورمزتُ إليها بالحرف (م).

أما النسخة المطبوعة ففيها سقط كثير أذهب المعنى، وتصحيف، وتحريف لا يُحصى، وأغلاط أشرنا إلى أهمّها.

ويوجد في المطبوع أيضاً جملة سقوط سببها نقل نظر الناسخ من سطر إلى سطر، وقد أعرضتُ عن الإشارة إليها لكثرتها، ولكيلا نثقل الحواشي بما لا يفيد.

بيد أنَّ هذه النسخة ساعدت في تحقيق الكتاب، حيث جعلتُها في الترتيب النسخة المساعدة الثانية، وقد رمزتُ إليها في المقابلة بالحرف (ط).

* * *

٤ . منهج التحقيق

لمّا كانت الغايةُ من تحقيق كتب التراث إنّما هي إخراجها صحيحة سليمة؛ بقدر الإمكان كما أرادها مؤلّفها؛ لنستطيع الرجوع إليها والانتفاع بها؛ لذلك بذلتُ الجهد في هذا السبيل مُراعياً ما تستوجبه إعادة النص إلى وضعه الأول من حيطة وحذر ودقة وأمانة، مع العمل على تصويب ما وقع فيه من خطأ الناسخ أو سهوه.

وكانت مراحلُ عملي كما يلي:

- بالمقابلة بين النسختين الأصل و(م) إضافة إلى (ط)؛ اتّخذتُ النسخة الأصل أصلاً؛ نظراً لمزاياها العديدة. ورتّبتُ النسختين الباقيتين حسب أهميتهما، فكانت النسخة (م) أختاً للنسخة الأصل، ونسخة (ط) النسخة المساعدة الثانية.
- ثم نسختُ نسخة الأصل على قواعد الإملاء المعروفة في عصرنا، ثم قابلتُ النسختين الثانيتين عليها كلمة كلمة؛ وصولاً بالنص إلى أكمل حال.
- وأشرتُ في الحاشية إلى الفروق بين النسخ ونسخة الأصل، وذلك في ضوء القواعد التالية:

● عبارتان متباينتان متساويتان في المنزلة العلمية، كلتاهما مناسبة، أُبقي على عبارة الأصل، وأشير إلى الثانية في الحاشية في حال فائدتها.

● عبارة الأصل راجحة، وعبارة النسختين مرجوحة، أُبقي على عبارة الأصل، وأشير في الحاشية إلى اختلاف النسختين الأخريين.

● عبارة النسخة المساعدة أرجح من عبارة الأصل، آخذ بالعبارة الراجحة، وأشير إلى الأصل في الحاشية.

● لا أشير إلا إلى أخطاء الأصل بعد تصحيحها من النسخ المساعدة، أما أخطاء النسختين الأخريين فلا ألتفت إليها ما دام الأصل صحيحاً.

● أهملتُ من الخلافات بين النسخ ما كان سطحياً لا يؤثّر في النص شيئاً عند إهماله، ولا يزيد فيه شيئاً عند إثباته، مثل:

في نسخة	في أخرى
قال الفقيه	قال السمرقندي
قال تعالى	قال سبحانه
قال النبي ﷺ	قال رسول الله ﷺ

أمَّا الخلافات التي هي أكثر أهمية من هذه فقد أشرتُ إليها، فقد تُعين على فَهْم النص بصورة أكثر وضوحاً.

ثم قوّمتُ النص، وصحّحتُ التصحيفات التي وقع الناسخُ فيها، وبعد الاطمئنان إلى تمام النص وصحّته بقدر الوسع عزوتُ الآيات القرآنية إلى أماكنها من السور مع ضبطها من المصحف الشريف.

وخرَّجتُ الأحاديث النبوية الكريمة، وهي كثيرة، من مظانّها الحديثية، وأشرتُ إلى الموضوع منها ليكون القارىء على حذر وبيّنة.

وهناك بعضُ الأحاديث التي أوردها «السمرقندي» لم أتوصّل إلى تخريجها، ولعلّي أفعل ذلك في طبعة قادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وبذلك كلّه كان منهج التحقيق يهدف ما أمكن إلى إخراج الكتاب صحيحاً، سليماً، مُوضّحاً؛ ليسهل الرجوعُ إليه، والانتفاع به.

وفي نهاية التحقيق ذيَّلتُ الكتاب بمسارد مفصّلة لكلّ من الأحاديث الواردة والموضوعات؛ لأعين القارىء على الظفر بمطلبه.

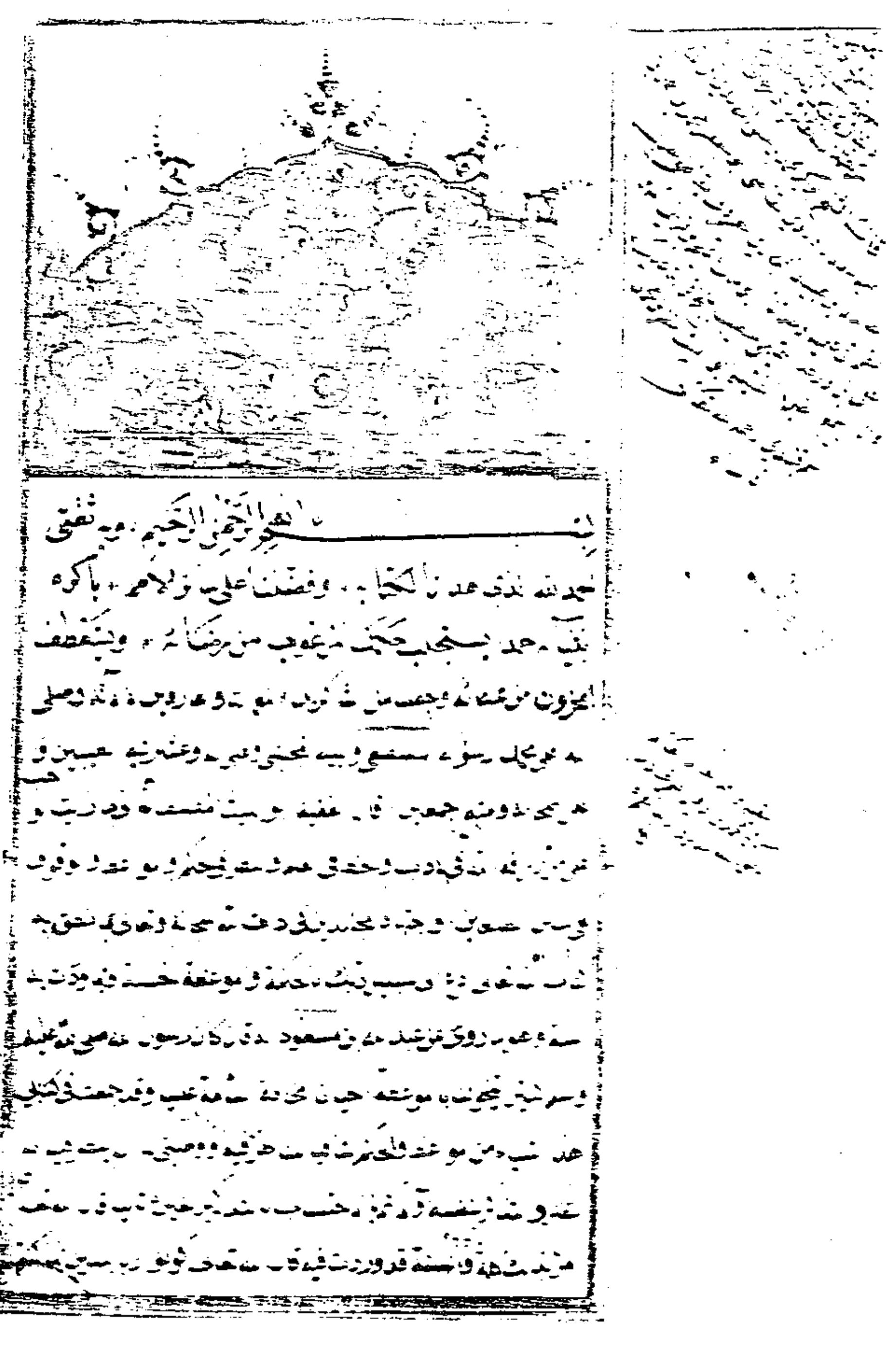
* * *

* *

*

صورة الصفحة الأولى من النسخة الأصل

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الأصل

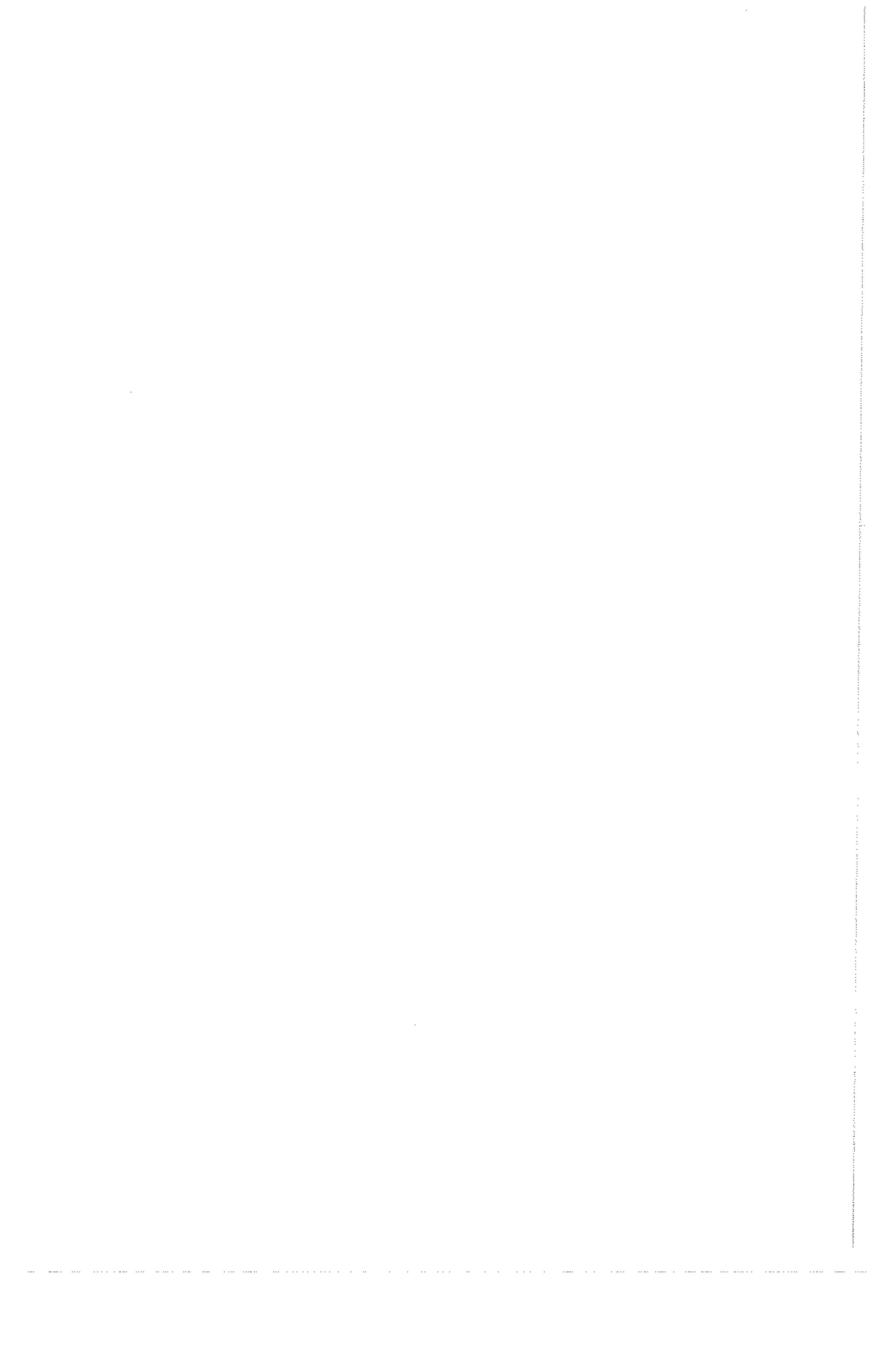


صورة الصفحة الأولى من النسخة (م)

سيدنا محمد وآله وأصحابه الأكرمين والحمد لله رب العالمين

بلغ مقابلة على قدر الإمكان والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان وعلى آله وصحبه وأزواجه المطهرين من الدنس وعبادة الأوثان وأنا الفقير إلى الله الأدنى محمود

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (م)



بسم الله الرحمن الرحيم
وبه ثقتي[1]

[مقدّمة المؤلّف]*

الحمد لله الذي هدانا لكتابه، وفضلنا على سائر الأمم بأكرم أنبيائه، حمداً يستجلب[2] المرغوب من رضائه، ويستعطف المخزون من عطائه، ويجعلنا من الشاكرين لنعمائه، والعارفين لآلائه، وصلى الله على محمد، رسوله المصطفى، ونبيه المجتبى، [وعلى آله][3] وعترته[4] الطيبين وعلى أصحابه وأمته أجمعين.

قال الفقيه الزاهد، العالم العامل نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، رحمة الله عليه[5]:

إني لما رأيتُ الواجبَ على مَن رزقه الله تعالى المعرفة في الأدب، والحظّ في العلم، والنظر في الحكم والمواعظ، والوقوف على سِير الصالحين، واجتهاد المجتهدين، في ذات الله سبحانه وتعالى، بما نطق به كتاب الله: ﴿**ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ**﴾ [النحل: ١٢٥] الآية، وبما وردت به السنة، وهو ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال:

١ ـ كان النبي ﷺ يتخوّلنا بالموعظة أحياناً مخافة السآمة علينا[6]؛ جمعت[7] في

---

* زيادة من عندي.

(١) من (م).
(٢) في (م): حكمك.
(٣) ساقط من (م).
(٤) زاد في (م) عشيرته. والعترة: نَسْل الرجل ورَهْطه وعشيرته.
(٥) في (م): قال الفقيه أبو الليث المصنف.
(٦) رواه البخاري (٦٨) في العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا يَنفِروا.
«يتخوّلهم»: أي يتعهدهم، ويراعي الأوقات في تذكيرهم، ولا يفعل ذلك كلّ يوم لئلا يملّوا.
«الموعظة»: النّصح والتذكير.
(٧) في الأصل: وقد جمعت، والمثبت من (م).

كتابي هذا شيئاً من المواعظ والحكم شافياً للناظر فيه. ووصيتي له أن ينظر فيه بالتذكّر والتفكّر لنفسه أولاً، ثم بالاحتساب بالتذكير لغيره ثانياً. فإن الله تعالى أمرنا بذلك كله، والسنة قد[1] وردت فيه. قال الله تعالى: ﴿**كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُم تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُم تَدْرُسُونَ**﴾ [آل عمران: ٧٩]. قال بعض المفسرين: معناه: كونوا عاملين بما كنتم تعلّمون الناس من الكتاب.

وقال في آية أخرى: ﴿**إِنَّما يَخشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨]. وقال تعالى لنبيه ـ ﷺ ـ: ﴿**يا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ**﴾ [المدثر: ١ ـ ٢]. وقال [الله تعالى في موضع آخر][2]: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ**﴾ [الذاريات: ٥٥].

١ /م ـ ورويَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ مِن عبادةِ سَنة»[3].

ومَن أعرض عن النظر والحِكم والمواعظ، وسير[4] السلف لا يعدو عن[5] إحدى خصلتين: إما أن يقتصر على قليل من العمل، يتوهم أنه من جملة السابقين إلى الخيرات. وإما أن يجتهد بعض الجهد، فيعظُم ذلك في عينه، ويفضل بذلك نفسه على غيره، فيبطل سعيه، ويحبط عمله.

فإذا نظر فيها، ازداد حرصاً على الطاعات، وعرف قصوره عن بلوغهم في الدرجات.

فنسأل الله تعالى التوفيق لأزكى الأعمال، وأعظم البركات، إنه منّان قدير.

* * *

---

(١) من (م). (٢) زيادة من (م) و(ط).

(٣) ذكره الفاكهاني بلفظ: «فِكْرُ ساعة» وقال: إنه من كلام سري السقطي، وفي لفظ «ستين سنة». وذكره في الجامع الصغير (برقم ٥٨٩٧) بلفظ: «فِكْرةُ ساعة خيرٌ من عبادة ستين سنة»، وعزاه لأبي الشيخ في «العظمة» عن أبي هريرة. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/١٤٤) وقال: هذا حديث لا يصح، وفي الإسناد كذابان، فما أفلت وضعه من أحدهما: إسحاق بن نجيح؛ قال أحمد: هو أكذب الناس، وقال يحيى: هو معروف بالكذب ووضع الحديث، وقال الفلاس: كان يضع الحديث على رسول الله ﷺ صراحاً. والثاني عثمان بن عبدالله القرشي؛ قال ابن حبان: يضع الحديث على الثقات.

(٤) في (م): سنن. (٥) من (م).

باب الاخلاص[1]

٢ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: حدثنا محمد بن الفضل بن أحنف، قال: حدثنا محمد بن جعفر الكرابيسي، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، [قال: حدثنا إسماعيل][2] بن جعفر، عن عمرو مولى المطلب عن عاصم، عن محمود[3] بن لبيد أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء، يقول الله تعالى لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم خيراً»[4].

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: «إنّما يُقال لهم ذلك لأنّ عَمَلَهم في الدنيا كان على وجه الخداع، فيعاملون في الآخرة على وجه الخداع، وهو[5] كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ المنَافِقِينَ يُخَادِعُون الله[6] وهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، يعني يجازيهم جزاء الخداع، فَيُبطل ثواب أعمالهم، ويقول لهم: اذهبوا إلى الذين كنتم[7] عملتم لأجلهم، فإنه لا ثوابَ لأعمالكم عندي؛ لأنها لم تكن لوجه الله تعالى. وإنما يستوجب العبُد الثوابَ إذا كان عملُه خالصاً لوجه الله تعالى، فإذا كان لغيره فيه شركة، فالله بريء منه.

٣ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن

---

(١) زاد في (م): وترك الرين. (٢) ساقط من (م).

(٣) في الأصل والمطبوع (محمد)، والمثبت من (م). وهو محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع الأوسي الأشهلي، أبو نعيم المدني، صحابي صغير، وجُلّ روايته عن الصحابة، مات سنة (٩٦)، وقيل سنة (٩٧)، وله (٩٩) سنة. (تقريب التهذيب ٢/٢٣٣).

(٤) رواه أحمد (٥/٤٢٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٠٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، ورواه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان (٤٨٣١)، وانظر: الإحياء (٤/١٨٦٧).

(٥) في (م): وهذا. (٦) زاد في (م) يعني يظنون.

(٧) ساقط من (م) و(ط).

يوسف، حدثنا إسماعيل، عن عمرو، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري؛ فأنا منه بريء»[1]. [ومعنى قوله: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك» معناه: أنا غني عن العمل الذي فيه شركة لغيري؛ مِمَّن عمل عملاً لغير وجهي، «فأنا منه بريء» يعني من العمل][2]، ويقال: يعني من العامل، ففي هذا الخبر دليلٌ على أنّ الله تعالى لا يقبل من العمل شيئاً إلا ما كان خالصاً لوجهه، فإذا[3] لم يكن خالصاً فلا يقبل منه، ولا ثوابَ له في الآخرة، ومصيره إلى جهنم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ يعني من أراد بعمله الدنيا ولا يريد ثواب الآخرة [أعطيناه في الدنيا مقدار ما نشاء][4] من عرض الدنيا، ﴿لِمَنْ نُرِيْدُ﴾، يعني لمن نريد أن نهلكه، ويقال: ﴿لِمَنْ نُرِيْدُ﴾ أن نعطيه بإرادتنا لا بإرادته، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾ يعني أوجبنا له في الآخرة جهنم[5] ﴿يَصْلاَهَا﴾ يعني يدخلها ﴿مَذْمُوماً﴾ يستوجب المذمّة، يعني يذمّ نفسه ويذمّه غيره، ﴿مدحوراً﴾ [الإسراء: ١٨] يعني مطروداً مُبعداً مِن رحمة الله تعالى.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ﴾ يعني مَن أراد ثَوابَ الآخرة، ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ يعني عمل للآخرة عملها من [الأعمال الصالحة][6] خالصة لوجهه، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يعني مع العمل يكون مؤمناً، لأنه لا يُقبل العمل بغير إيمان ﴿فَأُولَئِكَ﴾ يعني الذين يعملون[7] ويطلبون ثواب الآخرة، ولا يعملون لرياء الدنيا. ﴿كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾ [الإسراء: ١٩] يعني عملهم مقبولاً ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ يعني يعطي كلاً من الفريقين من رزق ربك. ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ [الإسراء: ٢٠] يعني ما كان رزق ربك في الدنيا ممنوعاً من المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر.

فقد بيّن الله تعالى في هذه الآية أنّ مَن عمل لغير وجه الله فلا ثواب[8] له في الآخرة، ومأواه جهنم. ومن عمل لوجه الله تعالى، فعمله مقبول. وإذا عمل لغير وجه الله تعالى فلا نصيب له من عمله إلا العناء والتعب، كما جاء في الخبر:

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٠٢) في الزهد، باب: الرياء والسمعة، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٨١٥).
(٢) ساقط من (ط). (٣) في (م): فإن. (٤) في (م): عجلنا له فيها ما نشاء. (٥) من (م) و(ط).
(٦) في (م): أعمال الصالحين. (٧) ساقط من (م). (٨) في (م): نصيب.

٤ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل، عن عمرو، عن سعيد، عن أبي هريرة أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «رُبَّ صائم ليس له حظّ من صومه إلا الجوع والعطش، ورُبّ قائم ليس له حظّ من قيامه إلا السهر والنّصب[1]»[2]. يعني إذا لم يكن الصوم والصلاة لوجه الله تعالى، فلا ثواب له.

وهذا كما روي عن بعض الحكماء[3] أنه قال: مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصاة، فيقول الناس: ما أملأ كيس هذا الرجل! فلا منفعة له سوى مقالة الناس، ولو أراد أن يشتري به شيئاً لا يُعطى به شيئاً، كذلك الذي عمل للرياء والسمعة لا منفعة له من عمله شيئاً سوى مقالة الناس، ولا ثواب له في الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً**﴾ [الفرقان: ٢٣] يعني الأعمال التي عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها، وجعلناها كالهباء المنثور، وهو الغبارُ الذي يُرى في شعاع الشمس.

٥ ـ وروى وكيع، عن سفيان الثوري، عمّن سمع مجاهداً يقول: جاء رجل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وقال: يا رسول الله إني أتصدّق بالصدقة، فألتمسُ بها وجه الله تعالى، وأحبّ أن يقال لي خير، فنزلت هذه الآية: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرجُو لِقَاءَ رَبِّهِ**﴾ يعني من خاف المقام بين يدي الله تعالى، ويقال: من كان يريد ثواب الله ﴿**فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً**﴾ يعني خالصاً ﴿**وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ [الكهف: ١١٠][4].

وقال حكيم من الحكماء: من عمل سبعة دون سبعة، لم ينتفع بما يعمل:

أولها: أن يعمل بالخوف، دون الحذر، يعني يقول: إني أخاف عذاب الله، ولا يحذر من الذنوب، فلا ينفعه ذلك القول شيئاً.

والثاني: أن يعمل بالرجاء، دون الطلب. يعني يقول: إني أرجو ثواب الله تعالى، ولا يطلبه بالأعمال الصالحة، فلم تنفعه مقالته شيئاً.

---

(١) في (م): التعب.

(٢) رواه ابن ماجه (١٦٩٠) في الصيام، باب: ما جاء في الغيبة والرفث للصائم، وفي الزوائد: إسناده ضعيف، وأحمد (٢/٣٧٣)، والحاكم (١/٤٣١) وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

(٣) في (م): العلماء.

(٤) رواه الحاكم (٢/١١١) من حديث ابن عباس، وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٨٥٣).

والثالث: أن يعمل بالنية، دون القصد. يعني ينوي بقلبه أن يعمل الطاعات والخيرات، ولا يقصد بنفسه، لم تنفعه نيته شيئاً.

والرابع: أن يعمل بالدعاء، دون الجهد. يعني يدعو الله تعالى أن يوفّقه للخير، ولا يجتهد، لم ينفعه دعاؤه شيئاً. وينبغي له أن يجتهد ليوفّقه الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿والَّذِينَ جَاهَدوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنا وإنَّ الله لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. يعني الذين جاهدوا في طاعتنا وفي ديننا لنوفّقنهم لذلك.

والخامس: أن يعمل بالاستغفار، دون الندم. يعني يقول: أستغفر الله، ولا يندم على ما كان منه من الذنوب، لم ينفعه الاستغفار، يعني بغير الندامة.

والسادس: أن يعمل بالعلانية، دون السريرة، يعني يصلح أموره في العلانية، ولا يصلحها في السّرّ، لم تنفعه علانيته شيئاً.

والسابع: أن يعمل بالكد، دون الإخلاص. يعني يجتهد في الطاعات، ولا تكون أعمالُه خالصةً لوجه الله تعالى، لم تنفعه أعماله بغير إخلاص، ويكون ذلك اغتراراً منه بنفسه.

٦ ـ روى أبو هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «يخرج في آخر الزمان أقوام يَخْتِلُون الدُّنيا بالدِّين» يعني يأخذونها «فيلبسون لباس جلود الضأن مِنَ اللين، ألسنتهم أحلى من السُّكّر، وقلوبهم قلوبُ الذئاب، يقول الله: أَبِي تغترّون؟ أم عليّ تجترئون؟ فَبِي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحكيم العاقل فيها حَيْران»[1].

٧ ـ وروى وكيع، عن سفيان، عن حبيب[2]، عن أبي صالح، [عن أبي هريرة] قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني أعمل العمل فأسرّه، فيُطّلع عليه، فيعجبني ذلك، أَلِيَ فيه أجر؟ قال: «لك فيه أجران: أجر السر، وأجر العلانية»[3].

٨ ـ قال الفقيه رحمه الله تعالى: معناه أنّه يطّلع على عمله ويُقتدى به فله أجران: أجر لعمله، وأجر للاقتداء به، كما قال النبي ﷺ: «من سنَّ سُنَّةً حسنة فله

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٠٤) في الزهد، باب (٥٩).   (٢) في (م): ابن حبيب.
(٣) رواه الترمذي (٢٣٨٤) في الزهد، باب: عمل السر، وقال: حديث حسن غريب. وما بين حاصرتين مستدرك منه.

أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سَنّ سُنّةً سيئة فعليه وِزْرُها ووِزْر مَن عمل بها إلى يوم القيامة»[1].

وأما إذا كان يعجبه لما يُطّلع على عمله، لا لأجل الاقتداء به، فإنه يُخاف ذهابُ أجره.

٩ ـ وروى عبدالله بن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم، عن ضَمْرة بن أبي حبيب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ الملائكةَ يرفعون عملَ عبدٍ من عباد الله، فيستكثرونه ويزكّونه؛ حتى ينتهوا به إلى حيث شاء الله تعالى من سلطانه، فيوحي الله إليهم: إنّكم حفظةٌ على عمل عبدي، وأنا رقيبٌ على ما في نفسه، إنَّ عبدي هذا لم يخلصْ لي عمله، فاكتبوه في سجّين. ويصعدون بعمل عبد فيستقلّونه ويحقرونه حتى ينتهوا به إلى حيث شاء الله مِن سلطانه، فيوحي الله إليهم: إنكم حفظةٌ على عمل عبدي، وأنا رقيبٌ على ما في نفسه، إنَّ عبدي هذا أخلصَ لي عمله، فاكتبوه في علّيين»[2].

ففي هذا الخبر دليلٌ على أنَّ قليلَ العمل، إذا كان لوجه الله تعالى، خيرٌ من الكثير لغير وجه الله تعالى؛ لأنَّ القليلَ إذا كان لوجه الله تعالى؛ فإنّ الله يضاعفه بفضله، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء: ٤٠]، وأما الكثير إذا لم يكن لوجه الله تعالى؛ فلا ثواب له، ومأواه جهنم.

١٠ ـ قال الفقيه رحمه الله: حدثني جماعة من الفقهاء بأسانيدهم عن عقبة بن مسلم عن شُفَيّ الأصبحي، حدثه أنه دخل المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقلت: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة، فدنوت منه [حتى تقدّمتُ بين يديه][3]، وهو يحدّث الناس، فلما سكت وخلا، قلت له: أنشدك الله، حدّثني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ وحفظته وعلمته [وعملت به][4]، فقال أبو هريرة: اقعد لأحدثنك بحديث حدثنيه رسول الله ﷺ، ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ نشغة، أي شهق شهقة، فخرّ مغشياً عليه، فمكث قليلاً ثم أفاق، [ومسح وجهه][5]، فقال: لأحدثنك

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٦٨): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه غسان بن الربيع؛ وثّقه ابن حبان، وضعّفه الدارقطني وغيره.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (ص ١٥٣). (٣) من (م). (٤) ساقط من (م) و(ط).

(٥) ساقط من (م).

بحديث حدثنيه رسول الله ﷺ، ثم نشغ نشغة أخرى فمكث طويلاً ثم أفاق، ومسح وجهه فقال: حدثني رسول الله ﷺ، فقال: «إنّ الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة، يقضي بين خلقه، فكل أمة جاثية، فأول من يُدعى به رجل قد جمع القرآن، ورجل قُتِل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله تعالى للقارىء: ألم أعلّمك ما أنزلتُ على رسولي؟[1] قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملتَ فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل والنهار. فيقول الله تعالى له: كذبتَ، وتقول الملائكة: كذبتَ، بل أردتَ أن يُقالَ فلان قارىء، فقد قيل ذلك، [فيؤمر به إلى النار][2].

ويقال لصاحب المال: ماذا عملت فيما آتيتك به؟ قال: كنت أصلُ به الرَّحم، وأتصدّق به. فيقول الله تعالى: كذبتَ، وتقول الملائكة: كذبتَ، بل أردتَ أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك، [فيؤمر به إلى النار][3].

ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله، فيقول له: لِم قُتِلت؟[4] قال: قاتلت في سبيلك حتى قتلت. فيقول الله تعالى له: كذبت. وتقول الملائكة: كذبت، بل أردت أن يقال لك جريء، فقد قيل ذلك [فيؤمر به إلى النار]»[5]. ثم ضرب رسول الله ـ ﷺ ـ بيده على ركبتي، فقال: «يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خَلْقِ الله تعالى تُسْعَرُ بهم النّارُ يوم القيامة».

قال: فبلغ ذلك الخبر إلى معاوية فبكى بكاء شديداً، وقال: صدق الله ورسوله، ثم قرأ هذه الآية: **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُم فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ في الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [هود: ١٥ ـ ١٦][6].

وقال عبدالله بن خُبَيْق الأنطاكي[7]: يقول الله تعالى لعبده يوم القيامة ـ إذا

---

(١) في الأصل (رسلي).
(٢) من (م).
(٣) من (م).
(٤) في (م): لم قاتلتَ حتى قُتِلْتَ.
(٥) من (م).
(٦) رواه الترمذي (٢٣٨٢) في الزهد، باب: ما جاء في الرياء والسمعة وقال: حديث حسن غريب، وابن حبان (٢٥٠٢ / موارد). «تسعر»: تتقد وتهيج ويزيد لهبها بهم. «لا يبخسون»: لا ينقصون شيئاً من أجور أعمالهم. «حبط»: بَطَل في الآخرة.
(٧) هو أبو محمد، أحد الزهاد، الكوفي، صحب يوسف بن أسباط. وهو من الورعين في جميع أحواله. (طبقات الصوفية ص ١٤١) و(طبقات الأولياء ص ٣٣٨).

التمس ثواب عمله ـ: ألم نعجل لك ثوابك؟ ألم نوسع لك في المجالس؟ ألم تكن المرأس في دنياك؟ ألم نرخّص بيعك وشراءك؟ ألم تكن مثل هذا وأشباهه؟.

وقيل لبعض الحكماء: من المخلص؟ قال: المخلص الذي يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

وقيل لبعضهم: ما غاية الإخلاص؟ قال: ألا تحب محمدة الناس.

وقيل لذي النون المصري[1]: متى يعلم الرجل أنه من صفوة الله تعالى؟ يعني من خواصّه الذين اصطفاهم الله تعالى، قال: يعرف ذلك بأربعة أشياء: إذا خلع الراحة؛ يعني ترك الراحة. وأعطى من الموجود؛ يعني يعطي من القليل الذي عنده. وأحبّ سقوط المنزلة، واستوت عنده المحمدة والمذمة.

١١ ـ وروي عن عدي بن حاتم الطائي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يؤمر بأناس من الناس يوم القيامة إلى الجنة، حتى إذا دنوا منها، واستنشقوا رائحتها، ونظروا إلى قصورها وإلى ما أُعدّ لأهلها، نودوا أن اصرفوهم عنها، لا نصيبَ لهم فيها، فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخِرون بمثلها، فيقولون: يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ما أعددته لأوليائك؟ فيقول الله تعالى: أردتُ بكم ذلك، كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين» يعني متواضعين «تراؤون الناس بأعمالكم خلاف ما تنطوي عليه قلوبكم. هبتم الناس ولم تهابوني، وأجلَلْتم الناس ولم تُجلُّوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، فاليوم أذيقكم أليم عقابي، مع ما حرمتكم من جزيل ثوابي»[2].

١٢ ـ وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لما خلق الله جنة عدن، خلق فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب

---

(١) هو ثوبان بن إبراهيم الإخميميّ المصري، أبو الفيّاض، أو أبو الفيض: أحد الزهّاد العبّاد المشهورين، من أهل مصر، نوبي الأصل من الموالي. وهو أوّل من تكلم في مصر في «ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية»، فأنكر عليه عبدالله بن عبدالحكم، واتّهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه، ثم أطلقه، فعاد إلى مصر، وتوفي بجيزتها سنة (٢٤٥هـ). (الحلية ٩/ ٣٣١)، و(تاريخ بغداد ٨/ ٣٩٣).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢٠): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه أبو جنادة وهو ضعيف. ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٦٨٠٩).

بشر. ثم قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، ثلاثاً، ثم قالت: إني حرام على كل بخيل ومراء»[1].

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: للمرائي أربع علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان مع الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم به.

وروي عن شَقِيق بن إبراهيم الزاهد[2] أنه قال: يخلص[3] العمل ثلاثة أشياء:

أولها: أن يرى الإذن في العمل من الله تعالى، ليكسر به العجب.

والثاني: أن يبتدىء برضا الله، ليكسر به الهوى.

والثالث: أن يبتغي ثواب العمل من الله تعالى، ليكسر الطمع والرياء، فهذه الأشياء تخلص الأعمال.

فأما قوله: يرى الإذن في العمل من الله تعالى؛ يعني: يعلم أن الله تعالى هو الذي وفقه لذلك العمل، فإنه إذا علم أنّ الله تعالى هو الذي وفقه فإنه يشتغل بالشكر، ولا يعجب بعمله. فأما قوله: يبتدىء برضا الله تعالى؛ يعني ينظر في ذلك العمل فإن كان عملاً لله تعالى فيه رضا فإنه يعمله، وإن علم أنه ليس لله فيه رضا فلا يعمل بهوى نفسه، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] يعني تأمر بالسوء، وأما قوله: يبتغي ثواب العمل من الله تعالى؛ يعني يعمل خالصاً لوجه الله تعالى، ولا يبالي من مقالة الناس. كما روي عن بعض الحكماء أنه قال: ينبغي للعامل أن يأخذ الأدبَ في عمله من راعي الغنم. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأنّ الراعي إذا صلى عند غنمه، فإنه لا يطلب بصلاته محمدة غنمه. كذلك العامل ينبغي

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٩٧): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وأحد إسنادي الطبراني في الأوسط جيد.

(٢) هو شقيق بن إبراهيم بن علي الأزديّ البَلْخي، أبو علي: زاهد صوفي، من مشاهير المشايخ في خرسان. ولعلّه أول من تكلّم في علوم الأحوال (الصوفية) بكور خراسان. وكان من كبار المجاهدين. استشهد في غزوة كولان سنة (١٩٤هـ). (طبقات الصوفية (٦١-٦٦)، و(الحلية ٨/٥٨) و(تهذيب ابن عساكر ٦/٣٢٧).

(٣) في الأصل و(ط): حصن، والمثبت من (م).

ألا يبالي مِن نَظَر الناس إليه، فيعمل لله تعالى عند الناس، وعند الخلاء بمنزلة واحدة، ولا يطلب محمدةَ الناس.

وقال بعض الحكماء: يحتاج العمل أربعة أشياء حتى يسلم:

أولها: العلم قبل بدئه، لأن العمل لا يصلح إلا بالعلم، فإذا كان العمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه.

والثاني: النية في مبدئه؛ لأن العمل لا يصلح إلا بالنية، ١٣ ـ كما قال ﷺ: «الأعمال بالنيات، ولكل امرىء ما نوى»[1] فالصوم، والصلاة، والحج، والزكاة، وسائر الطاعات لا تصلح إلا بالنية. فلا بُدَّ من النية في مبدئه ليصلح العمل.

والثالث: الصبر في وسطه، يعني يصبر فيه حتى يؤدّيه على السكون والطمأنينة.

والرابع: الإخلاص عند فراغه؛ لأنّ العمل لا يقبل بغير إخلاص، فإذا عملت بالإخلاص يتقبل الله تعالى منك، وتُقبل قلوبُ العباد إليك.

روي عن هرم بن حيان[2] أنه قال: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله تعالى إلا أقبل الله تعالى بقلوب أهل الإيمان إليه؛ حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

١٤ ـ وروي عن سهيل بن صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى إذا أحب عبداً قال لجبريل: إني أحبّ فلاناً فأحبه، فيقول جبريل لأهل السماء: إن ربّكم يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، فيوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله عبداً فمثل ذلك»[3].

وروي عن شقيق بن إبراهيم أن رجلاً سأله فقال: إن الناس يسمونني صالحاً

---

(١) رواه البخاري (١) في بدء الوحي، باب: كيف كان بدءُ الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم (١٩٠٧) في الإمارة، باب: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية».

(٢) هو هرم بن حيان العبدي الأزدي، من بني عبد القيس: قائد فاتح، من كبار النساك؛ من التابعين. كان أمير ـ بني عبد القيس في الفتوح، وولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان بأرض فارس. عدّه ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية، وسمّاه الجاحظ من أهل البيان. مات في إحدى غزواته بعد سنة (٢٦هـ). (الإصابة ٨٩٤٨) و(صفة الصفوة ٣/١٣٧).

(٣) رواه البخاري (٣٢٠٩) في بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، ومسلم (٢٦٣٧) في البر والصلة والآداب، باب: إذا أحب الله عبداً حبّبه إلى عباده.

فكيف أعلم أني صالح أو غير صالح؟ فقال له شقيق رحمه الله: أظهر سرك عند الصالحين، فإن رضوا به فاعلم أنك صالح، وإلا فلا. والثاني: اعرض الدنيا على قلبك، فإن ردها فاعلم أنك صالح، وإلا فلا. ثالثاً: اعرض الموت على نفسك، فإن تمنته فاعلم أنك صالح، وإلا فلا. فإذا اجتمعت فيك هذه الثلاثة فتضرع إلى الله تعالى لكيلا يدخل الرياء في عملك فيُفسد عليك أعمالك.

١٥ ـ وروى ثابت البُناني عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: «أتدرون من المؤمن؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الذي لا يموت حتى يملأ الله مسامعه مما يحب، ولو أن رجلاً عمل بطاعة الله تعالى في جوف بيت إلى سبعين بيتاً، على كل بيت باب من حديد، لألبسه الله رداء عمله، حتى يتحدّث الناس بذلك، ويزيدوا قيل: يا رسول الله، وكيف يزيدون؟ قال: «إن المؤمن يحب ما زاد في عمله» ثم قال: «أتدرون من الفاجر؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الذي لا يموت حتى يملأ الله مسامعه مما يكره، ولو أن عبداً عمل بمعصية الله تعالى في جوف بيت إلى سبعين بيتاً، على كل بيت باب من حديد؛ لألبسه الله تعالى رداء عمله؛ حتى يتحدث الناس بذلك ويزيدوا» قيل: وكيف يزيدون يا رسول الله؟ قال: «إن الفاجر يحب ما زاد في فجوره»[1].

وروي عن عوف بن عبدالله أنه قال: كان أهل الخير يكتب بعضهم إلى بعض بثلاث كلمات: من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه. ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله تعالى فيما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

وقال حامد اللفاف[2]: إذا أراد الله هلاك امرىء عاقبه بثلاثة أشياء:

أولها: يرزقه العلم، ويمنعه عن عمل العلماء.

والثاني: يرزقه صحبة الصالحين، ويمنعه عن معرفة حقوقهم.

والثالث: يفتح عليه أبواب الطاعة، ويمنعه من إخلاص العمل.

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: إنما يكون ذلك لخبث نيته، وسوء سريرته؛ لأن النية لو كانت صحيحة لزرقه الله تعالى منفعة العلم والإخلاص للعمل.

---

(١) رواه الحاكم في تاريخه (كنز العمال ٧٩٩).

(٢) هو حامد بن محمود بن حرب النيسابوري، أبو علي: مقدّم القراء بنيسابور. توفي سنة (٢٦٦هـ). (غاية النهاية ١/٢٠٢).

١٦ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: أخبرني الثقة بإسناده عن جبلة اليحصبي قال: كنا في غزوة مع عبدالملك بن مروان، فصحبنا رجل مسهار لا ينام من الليل إلا أقلّه. فمكثنا أياماً لا نعرفه، ثم عرفناه، فإذا هو رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان فيما حدثنا أن قائلاً من المسلمين قال: يا رسول الله فيم النجاة غداً؟ قال: «ألَّا تخادعَ الله» قال: وكيف نخادع الله؟ قال: «أن تعمل بما أمرك الله، وتريد به غير وجه الله. واتقوا الرياء فإنه الشرك بالله، وإن المرائي يُنادَى يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، ضلّ عملك وبطل أجرك، فلا خَلَاقَ لك اليوم، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع» قال: قلت له: بالله الذي لا إله إلا هو؛ أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال: والله الذي لا إله إلا هو إني سمعته من رسول الله ﷺ، إلا أن أكون قد أخطأتُ شيئاً لم أكن أتعمّده، ثم قرأ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: من أراد أن يجد ثواب عمله في الآخرة ينبغي له أن يكون عمله خالصاً لله تعالى، بغير رياء، ثم ينسى ذلك العمل لكيلا يبطله العجب، لأنه يقال: حفظ الطاعة أشد من فعلها.

وقال أبو بكر الواسطي[٢]: حفظ الطاعة أشد من فعلها؛ لأن مثلها كمثل الزجاج سريع الكسر، ولا يقبل الجبر، [كذلك العمل][٣] إن مسه الرياء كسره، وإن مسه العجب كسره، وإذا أراد الرجل أن يعمل عملاً وخاف الرياء من نفسه، فإن أمكنه أن يخرج الرياء من قلبه، فينبغي له أن يجتهدَ في ذلك. وإن لم يمكنه فينبغي أن يعملَ ولا يترك العملَ لأجل الرياء، ثم يستغفر الله تعالى مما فعل من الرياء، فلعل الله تعالى أن يوفقه للإخلاص في عمل آخر[٤].

ويقال في المثل: إن الدنيا خربت منذ مات المراؤون؛ لأنهم كانوا يعملون

---

(١) رواه أحمد بن منيع في مسنده بسندٍ ضعيف. (الدر المنثور ١/٧٤ ـ ٧٥).

(٢) هو محمد بن موسى الواسطي، أصله من فَرْغَانة، كورة واسعة بما وراء النهر، متاخمة لبلاد تركستان، وكان يُعرف بابن الفَرْغَاني. وهو من قدماء أصحاب الجُنَيْد وأبي الحسين النُّوري. وهو من علماء مشايخ الصوفية، ولم يتكلّم أحدٌ في أصول التصوف مثل ما تكلم هو، وكان عالماً بالأصول وعلوم الظاهر. توفي بعد (٣٢٠هـ). (طبقات الصوفية ص ٣٠٢)، و(الحلية ١٠/٣٤٩).

(٣) من (م) و(ط).

(٤) زاد في (م): ولأن ترك العمل للرياء قيل رياء.

أعمال البر[1]، مثل الرباطات والقناطر والمساجد فكان للناس فيها منفعة، وإن كانت للرياء، فربما ينفعه دعاء أحد من المسلمين. كما روي عن بعض المتقدمين أنه بنى رباطاً، وكان يقول في نفسه: لا أدري أكان عملي هذا لله تعالى أم لا؟ فأتاه آتٍ في منامه، فقال له: إن لم يكن عملك لله تعالى، فدعاء المسلمين الذي يدعون لك هو لله، فسُرَّ بذلك.

وقال رجل عند حذيفة بن اليمان: اللهم أهلك المنافقين، فقال حذيفة: لو هلكوا ما انتصفتم من عدوكم. يعني أنهم يخرجون إلى الغزو، ويقاتلون العدو.

وروي عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال: يؤيد الله المؤمنين بقوة المنافقين، وينصر المنافقين بدعوة المؤمنين.

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: تكلّم الناس في الفرائض، فقال بعضهم: لا يدخل الرياء فيها؛ لأنها فريضة على جميع الخلق، فإذا أدّى ما هو فرض عليه لا يدخل فيه الرياء.

وقال بعضهم: يدخل الرياء في الفرائض وغيرها.

وقال الفقيه: هذا عندي على وجهين: إن كان يؤدي الفرائض رئاء الناس، ولو لم يكن رئاء الناس لكان لا يؤديها، فهذا منافق تام، وهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] يعني في الهاوية مع آل فرعون، لأنه لو كان توحيدُه صحيحاً خالصاً لكان لا يمنعه عن أداء الفرائض. وإن كان يؤدّي الفرائض إلا أنه يؤدّيها عند الناس أحسن وأتمّ، وإن لم يره أحد يؤدّيها ناقصة، فله الثوابُ الناقص، ولا ثوابَ لتلك الزيادة، وهو مسؤول عنها محاسب عليها.



(١) في (م) الخير.

باب هول الموت وشدّته

١٧ ـ قال الفقيه [أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن فضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا][1] الخليل بن أحمد، حدثنا الحسين المروزي، حدثنا محمد بن [أبي][2] عدي، عن حميد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، قالوا: يا رسول الله، كلنا يكره الموت، قال: «ليس ذلك بكراهة الموت، ولكن المؤمن إذا احتضر جاءه البشير من الله تعالى بما يرجع إليه، فليس شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى، فأحب الله لقاءه، وإن الفاجر ـ أو قال الكافر ـ إذا احتضر جاءه النذير بما هو صائر إليه من الشّرّ، فكره لقاء الله، فكره الله لقاءه»[3].

١٨ ـ قال: حدثنا محمد بن فضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا وكيع، عن الربيع بن سعد، عن محمد بن سابط، عن جابر بن عبدالله، عن النبي ﷺ أنه[4] قال: «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فإنه قد كان فيهم الأعاجيب»، ثم أنشأ يحدّث فقال: خرجت طائفة من بني إسرائيل حتى أتوا مقبرة، فقالوا: لو صلّينا، ثم دعونا ربنا حتى يخرج لنا بعض الموتى، فيخبرنا عن الموت، فصلوا، ثم دعوا ربهم، فبينما هم كذلك إذا رجل قد أطلع رأسه من قبر أسود خلاسياً[5]، فقال: يا هؤلاء ما أردتم؟ فوالله، لقد مت منذ تسعين سنة أو مئة

---

(١) ساقط من (م). (٢) من (م).

(٣) رواه أحمد (٣/١٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٣٢٠): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح. ورواه البزار كما في كشف الأستار (١/٣٧١).

(٤) من (م). (٥) «خلاسياً»: أي بين الأبيض والأسود، أي أسمر.

سنة، فما ذهبت مرارة الموت منّي حتى كأنه الآن، فادعوا الله تعالى أن يعيدني كما كنت، وكان بين عينيه أثر السجود[1].

١٩ ـ قال: حدثنا محمد بن فضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا النضر بن الحرث، عن الحسن أنّ النبي ﷺ قال: «قدرُ شدّة الموت وكربه على المؤمن كقدر ثلاثمئة ضربة بالسيف»[2].

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: من أيقن بالموت، وعلم أنه نازل به لا محالة، فلا بُدَّ له من الاستعداد له بالأعمال الصالحة، وبالاجتناب عن الأعمال الخبيثة، فإنه لا يدري متى ينزل به.

وقد بيّن النبي ـ ﷺ ـ شدّة الموت ومرارته، نصيحةً منه لأمته، لكي يستعدّوا له ويصبروا على شدائد الدنيا، لأنَّ الصبرَ على شدائد الدنيا أيسر من شدة الموت، لأنّ شدّة الموت من عذاب الآخرة، وعذاب الآخرة أشدّ من عذاب الدنيا.

٢٠ ـ وروي عن عبدالله بن مسور الهاشمي، قال: جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ وقال: جئتك لتعلّمني من غرائب العلم. قال: «ما صنعت في رأس العلم؟» قال: وما رأس العلم؟ قال: «هل عرفت الرب عز وجل؟» قال: نعم. قال: «فماذا فعلت في حقه؟» قال: ما شاء الله. قال: «وهل عرفت الموت؟» قال: نعم. قال: «فماذا أعْددت له؟» قال: ما شاء الله. قال: «اذهب فاحكم بها هناك، ثم تعال حتى أعلمك من غرائب العلم» فلما جاءه بعد سنين قال النبي ـ ﷺ ـ: «ضع يدك على قلبك، فما لا ترضى لنفسك لا ترضاه لأخيك المسلم، وما رضيته لنفسك فارضه لأخيك المسلم، وهو من غرائب العلم»[3].

فبيّن النبي ـ ﷺ ـ أن الاستعداد للموت من رأس العلم، فأولى أن يُشتغل به.

٢١ ـ وروي عن عبدالله بن مسور الهاشمي قال: قرأ رسول الله ـ ﷺ ـ هذه الآية: ﴿فَمَنْ يُرِدِ الله أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَام، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٩/٦٢)، وأحمد في الزهد (ص ١٦ ـ ١٧)، وابن حجر في المطالب العالية (١/١٩٢ و٣/٢٨٠)، وابن رجب في أهوال القبور (ص ١٥٦)، والسيوطي في شرح الصدور ص (٦٠ ـ ٦١).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا بسندٍ رجاله ثقات. (شرح الصدور ص ٦١).

(٣) في إسناده: عبدالله بن المسور، أحاديثه موضوعة. (ميزان الاعتدال ٢/٥٠٤).

صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ [الأنعام: ١٢٥] ثم قال: «إذا دخل نورُ الإسلام القلبَ انفسح وانشرح» فقيل: هل لذلك من علامة؟ قال: «نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله»[١].

٢٢ - وروى جعفر بن برقان، [عن زياد بن الجراح]، عن [عمرو بن] ميمون بن مهران، أن النبي - ﷺ - قال لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك»[٢].

فقد جمع النبي - ﷺ - في هذه الخمس علماً كثيراً، لأنّ الرجل يقدر على الأعمال في حال شبابه ما لا يقدر عليه في حال هرمه؛ لأنّ الشاب إذا تعود على المعصية لا يقدر على الامتناع عنها في حال هرمه، فينبغي للشاب أن يتعوّد في حال شبابه أعمال الخير لتسهل عليه في حال هرمه.

وقوله - ﷺ - «صحتك قبل سقمك» لأن الصحيح نافذ الأمر في ماله ونفسه، فينبغي للصحيح أن يغتنمَ صحته، ويجتهد في الأعمال الصالحة في ماله وبدنه، لأنه إذا مرض ضعف بدنه عن الطاعة، وقصرت يده عن ماله إلا في مقدار ثلثه.

وقوله: «فراغك قبل شغلك» يعني في الليل يكون فارغاً، وبالنهار مشغولاً، فينبغي أن يصلّي بالليل في حالة فراغه، ويصوم بالنهار في وقت شغله، سيما في أيام الشتاء.

٢٣ - كما روي عن النبي - ﷺ - أنه قال: «الشتاء غنيمة المؤمن. طال ليله[٣] فقامه، وقصر نهاره فصامه»[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق وابن جرير كما في تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٠ - ١٨١)، وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات. (الدر المنثور ٣/ ٣٥٥). وفيه عبدالله بن المسور؛ متروك.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٤٨)، وابن المبارك في الزهد (ص ٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٢٢٣). وما بين حاصرتين مستدرك من مصادر التخريج.

(٣) في الأصل: طالت لياليه.

(٤) رواه أحمد (٣/ ٧٥)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٢٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٩٧)، والقضاعي في الشهاب (١/ ١١٥)، كلهم بلفظ «الشتاء ربيع المؤمن». وقال ابن الجوزي في العلل (رقم ٥٠١): قال الدارقطني: تفرّد به عمرو بن الحارث عن دراج، قال أحمد: أحاديث دراج منكرة. وانظر: (فيض القدير ٥/ ١٧٢).

وفي رواية أخرى: «الليل طويل فلا تقصره بمنامك، والنهار مضيء فلا تكدّره بآثامك».

وقوله: «وغناك قبل فقرك» يعني إذا كنت راضياً بما آتاك الله من القوت، فاغتنم ذلك، ولا تطمع فيما في أيدي الناس.

وقوله: «وحياتك قبل موتك» لأنّ الرجل ما دام حياً يقدر على العمل، فإذا مات انقطع عمله، فينبغي للمؤمن ألا يضيع أيامه الفانية، ويغتنم أيامه الباقية.

قال الحكيم بالفارسية: بكودكي بازي بجواني متى بيبرى ستى خداراكى برستى. يعني: إذا كنت صبياً تلعب مع الصبيان، وإذا كنت شاباً غفلت باللهو، وإذا كنت شيخاً صرت ضعيفاً، فمتى تعمل لله تعالى؟.

يعني: لا تقدر أن تعبد الله تعالى بعد موتك، وإنما تقدر على الاجتهاد في حال حياتك، وتستعدّ لقدوم ملك الموت، وتذكره في كلّ وقت، فإنه ليس بغافل عنك.

٢٥ ـ وروي عن علي رضي الله عنه، أن النبي ـ ﷺ ـ رأى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار، فقال له النبي ـ ﷺ ـ: «ارفق بصاحبي، فإنه مؤمن» فقال: أبشر يا محمد، فإنّي بكلّ مؤمن رفيق، والله يا محمد إني لأقبضُ روحَ ابن آدم، فإذا صرخ صارخٌ من أهله، قلت: ما هذا الصراخ؟ فوالله ما ظلمناه، ولا سبقنا أجله، ولا استعجلنا قدره، فما لنا في قبضه من ذنب، فإن ترضوا بما صنع الله تؤجروا، وإن تسخطوا أو تجزعوا تأثموا وتؤزروا، وما لكم عندنا من عتبة، وإن لنا عليكم لبقية وعودة، فالحذر الحذر. وما من أهل بيت شعر ولا مدر، في بر ولا بحر إلا وأنا أتصفح وجوههم في كل يوم وليلة خمس مرات، حتى إني لأعرف صغيرهم وكبيرهم، وأعرف[١] منهم بأنفسهم، والله يا محمد لو أنّي أردتُ أن أقبضَ روحَ بعوضة ما قدرتُ على ذلك حتى يكونَ الله تعالى هو الآمر بقبضها[٢].

٢٦ ـ وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ـ ﷺ ـ رأى أناساً يضحكون فقال: «أما

---

(١) من (ط).

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٣٢٦): رواه الطبراني في الكبير، وفيه عمر بن شمر الجعفي والحارث بن الخزرج، ولم أجد من ترجمهما، وبقية رجاله رجال الصحيح، وروى البزار منه إلى قوله: «واعلم أني بكل مؤمن رفيق». وذكره السيوطي في (شرح الصدور ص ٧٧) وعزاه لأبي نعيم وابن منده، كلاهما في «الصحابة».

إنّكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى» ثم قال: «أكثروا ذكر هاذم اللذات» يعني الموت، ثم قال: «إنما القبر روضةٌ من رياض الجنة، أو حفرةٌ من حفر النار»[1].

وقال عمر رضي الله عنه لكعب: يا كعب حدّثنا عن الموت. قال: إن الموت كشجرة شوك أدخلت في جوف ابن آدم، فأخذتْ كلُّ شوكة بعرق منه، ثم جذبها رجلٌ شديد القوى؛ فقطع منها ما قطع، وأبقى ما أبقى.

وذكر عن سفيان الثوري: أنه كان إذا ذُكر عنده الموت، كان لا يُنْتفع به أياماً، فإذا سُئِل عن شيء قال: لا أدري.

وقال حكيم: ثلاثة ليس للعاقل أن ينساها: فناء الدنيا وتصرف أحوالها، والموت، والآفات التي لا أمان له منها.

وقال حاتم الأصم[2] ـ رحمه الله ـ: أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة: قدر الشباب لا يعرفه إلا الشيوخ، وقدر العافية لا يعرفه إلا أهل البلاء، وقدر الصحة لا يعرفه إلا المرضى، وقدر الحياة لا يعرفه إلا الموتى.

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: هذا موافق للخبر الذي ذكرناه: «اغتنم خمساً قبل خمس»[3].

وروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال: كان أبي كثيراً ما يقول: إني لأعجبُ من الرجل الذي ينزل به الموت، ومعه عقله ولسانه، فكيف لا يصفه.

قال: ثم نزل به الموت، ومعه عقله ولسانه، فقلت: يا أبتِ قد كنتَ تقول: إني لأعجب من رجل ينزل به الموت، ومعه عقله ولسانه كيف لا يصفه، فقال: يا بني، الموتُ أعظمُ من أن يُوصَف، ولكن سأصفُ لك منه شيئاً، والله لكأن على كتفي جبال

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٠) في صفة القيامة، باب (٢٦)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) هو حاتم بن عنوان، أبو عبدالرحمن، المعروف بالأصم: زاهد، اشتهر بالورع والتقشف. له كلام مدوّن في الزهد والحكم. من أهل بلخ. زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل، وشهد بعض معارك الفتوح. وكان يُقال: حاتم الأصم لقمان هذه الأمة. توفي سنة (٢٣٧هـ)، (تاريخ بغداد ٨/٢٤١) و(طبقات الصوفية ص ٩١).

(٣) سبق تخريجه برقم (٢٢).

رضوى وتهامة، ولكأن روحي تخرج من ثقب إبـرة، ولكأن في جوفي شوكة عَوْسَج[1]، ولكأن السماء أطبقت على الأرض، وأنا بينهما.

ثم قـال: يا بني، إن حـالي قد تحـول إلى ثلاثـة أنـواع: فكنت في أول الأمـر أحرصُ الناس على قتل محمد ـ ﷺ ـ فيـا ويلتاه لـو متّ في ذلك الـوقت. ثم هداني الله تعالى للإسلام، فكان محمد ـ ﷺ ـ أحبّ الناس إليّ، وولّاني على السـرايا، فيـا ليتني متّ في ذلك الوقت؛ لأنال دعاء رسول الله ﷺ، وصلاته عليّ، ثم اشتغلنا بعـد في أمـر الدنيـا، فلا أدري كيف يكـون حالي عنـد الله تعالى. فلم أقمْ من عنـده حتى مات ـ رحمه الله ـ.

قـال شقيق بن إبراهيم: وافقني النـاس في أربعة أشيـاء قولاً، وخـالفـوني فيهـا فعلاً:

الأول: أنهم قالوا: إنا عبيدُ الله تعالى، ويعملون عمل الأحرار.

الثاني: قالوا: إنَّ الله كفيل لأرزاقنا، ولا تطمئن قلوبُهم إلا مع شيء من الدنيا.

والثـالث: قالـوا: إنَّ الآخـرةَ خيـرٌ من الـدنيـا، وهم يجمعـون المـال للدنيـا، [ويعزون، ويجمعون الذنوب للآخرة][2].

والرابع: قالوا: لا بُدَّ لنا من الموت، ويعملون أعمالَ قومٍ لا يموتون.

وروي عن أبي الدرداء، وفي بعض الأخبار عن أبي ذر، وفي بعض الأخبار عن سلمـان الفارسي ـ والمعـروف عن أبي ذر ـ أنه قال: ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني، وثلاث أحزنتني حتى أبكتني.

فأما الثلاث التي أضحكتني:

فأولها: مؤمّل الدنيا والموت يطلبه، يعني يطيل أمله، ولا يتفكر في الموت.

والثـاني: غافـل، وليس بمغفـول عنـه، يعني يغفـلُ عن المـوت، وبين يـديـه القيامة.

والثالث: ضَاحِكٌ مِلء فيه، لا يدري، آلله ساخط عليه أم راض عنه؟.

---

(١) «عوسج»: هو شجر ذو شوك، له ثمر مدوّر كأنه خرز العقيق.

(٢) من (م).

وأما التي أبكتني:

فأولها: فراق الأحبة، يعني موت محمد ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم.

والثاني: هول المطلع، يعني نزول الموت.

والثالث: الوقوف بين يدي الله، لا أدري إلى أين يأمر بي ربي، أإلى الجنة أم إلى النار؟

٢٧ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «لو تعلم الحيوانات ـ أي البهائم ـ ما تعلمونَ من الموت، ما أكلتم لحماً سميناً أبداً»[١].

وذكر عن حامد اللفاف أنه قال: مَن أكثر مِن ذِكْر الموتِ أُكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القوت، ونشاط العبادة. ومَن نسي الموت عُوقِبَ بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتّكاسل في العبادة.

وذُكِر أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله تعالى، فقال له بعض الكفرة: إنك قد أحييت من كان حديث العهد بالموت، ولعله لم يكن ميتاً، فأحي لنا من مات في الزمن الأول. فقال لهم: اختاروا من شئتم. فقالوا: أحي لنا سام بن نوح، فجاء إلى قبره، وصلى ركعتين، ودعا الله تعالى، فأحيا الله سام بن نوح، فإذا رأسه ولحيته قد ابيضتا، فقيل: ما هذا؟ إنَّ الشيبَ لم يكن في زمانك؟ قال: سمعت النداء، فظننت أنها القيامة، فشاب شعر رأسي ولحيتي من الهيبة. فقيل: منذ كم أنت ميت؟ قال: منذ أربعة آلاف سنة. وما ذهبت عني سكرات الموت.

ويقال: ما مِن مُؤمنٍ يموتُ إلا وقد عرضت عليه الحياة، والرجوع إلى الدنيا، فيكره الرجوع لما لقي من شدة الموت إلا الشهداء، فإنهم لم يجدوا شدّة الموت، فيتمنون الرجوع لكي يقاتلوا ثانياً فيقتلوا ثانياً.

وروي عن إبراهيم بن أدهم[٢] ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قيل له: لو جلستَ حتى

---

(١) رواه ابن المبارك في زيادات الزهد (ص ٣٨).

(٢) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي، أبو إسحاق: زاهد مشهور، كان أبوه من أهل الغِنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز، وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة. وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحين، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم. وكان ينطق بالعربية الفصحى لا يلحن. توفي في حصن (سوفنن) في بلاد الروم سنة (١٦١هـ). (تهذيب ابن عساكر ٢/ ١٦٧) و(حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧).

نسمع منك شيئاً، فقال: إني مشغولٌ بأربعة، فلو فرغتُ منها لجلستُ معكم. قيل: وما هيَ؟ قال:

أولها: أني تفكرت في[1] يوم الميثاق، حين أخذ الميثاق من بني آدم، قال الله جل جلاله، وتقدست أسماؤه: ٢٨ ـ «هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي»[2] فلم أَدْرِ من أيّ الفريقين كنت أنا.

والثاني: تفكّرتُ بأن الولدَ إذا قضى الله تعالى بخلقه في بطن أمه، ونفخ فيه الروح، فقال الملك الذي وكل به: يا رب أشقي أم سعيد؟ فلم أدرِ كيف خرج جوابي في ذلك الوقت.

والثالث: حين ينزل ملكُ الموت، فإذا أرادَ أن يقبضَ روحي فيقول: يا رب أمع المسلمين أم مع الكافرين؟ فلا أدري كيف يخرج جوابي.

والرابع: تفكّرتُ في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وامْتَازُوا اليومَ أيُّها المُجْرِمُون**﴾ [يس: ٥٩][3] فلا أدري من أيّ الفريقين أكون؟.

قال الفقيه: طوبى لمن رزقه الله الفهم، وأيقظه من سنة الغفلة، ووفّقه للتفكّر في أمر خاتمته. فنسأل الله تعالى أن يجعلَ خاتمتنا في خير، ويجعل خاتمتنا مع البشارة، فإنّ المؤمنَ له بشارة من الله تعالى عند موته، وهو قوله تعالى: ﴿**إنَّ الَّذينَ قَالُوا رَبُّنا الله ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيهِمُ الملائِكَةُ ألَّا تَخَافوا ولَا تحزنوا وأَبْشِروا بالجَنَّة الَّتي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصلت: ٣٠] يعني: الذين آمنوا بالله ورسوله، وثبتوا على الإيمان، ويقال: ﴿**ثم استقاموا**﴾ يعني أدّوا الفرائض، ونهوا عن المحارم. وقال يحيى بن معاذ الرازي[4] رحمه الله تعالى: يعني استقاموا أفعالاً كما استقاموا أقوالاً، وقال بعضهم: استقاموا على السنة والجماعة، ﴿**تتنزل عليهم الملائكة**﴾ يعني على الذين آمنوا واستقاموا تتنزل عليهم ـ عند الموت ـ الملائكة بالبشارة ﴿**ألا تخافوا ولا تحزنوا**﴾ يعني يقولون لهم: لا تخافوا ما بين أيديكم من أمر الخيرة، ولا تحزنوا على

---

(١) من (م). (٢) رواه أحمد (٥/٢٣٩).

(٣) «امتازوا»: تَمَيَّزُوا وانْفَرِدُوا عن المؤمنين.

(٤) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا: واعظ، زاهد، لم يكن له نظير في وقته، من أهل الري. أقام ببلخ، له كلمات سائرة. توفي في نيسابور سنة (٢٥٨هـ). (صفة الصفوة ٤/٧١ ـ ٨٠)، و(طبقات الصوفية ص ١٠٧) و(تاريخ بغداد ١٤/٢٠٨).

ما خلفتم من أمر الدنيا، ﴿وأبشروا بالجنة﴾ [يعني بالجنة][1] التي وعدكم الله بها على لسان نبيكم ﷺ. ويقال: البشارة عند الموت على خمسة أوجه:

أولها: لعامة المؤمنين يقال لهم: لا تخافوا تأبيد العذاب، يعني لا تبقون في العذاب أبداً، ويشفع لكم الأنبياء والصالحون، ولا تحزنوا على فوت الثواب، وأبشروا بالجنة، يعني مرجعكم إلى الجنة.

والثاني: للمخلصين، يقال لهم: لا تخافوا ردّ أعمالكم، فإنّ أعمالكم مقبولةٌ، ولا تحزنوا على فوت الثواب، فإن لكم الثواب مضاعفاً، [ولا تحزنوا على ما فعلتم بعد التوبة][2].

والثالث: للتائبين، يقال لهم: لا تخافوا من ذنوبكم، فإنها مغفورة لكم، ولا تحزنوا على فوت الثواب [على ما فعلتم][3] بعد التوبة، [وعلى ما لم تفعلوا من العلم قبل التوبة، فإني أبدل سيئاتكم حسنات][4].

والرابع: للزهاد، يقال لهم: لا تخافوا الحشر والحساب، ولا تحزنوا من نقصان الإضعاف، وأبشروا بالجنة بلا حساب ولا عذاب.

والخامس: للعلماء الذين يعلمون الناس الخير، وعملوا بالعلم، يقال لهم: لا تخافوا من أهوال يوم القيامة، ولا تحزنوا، فإنه يجزيكم بما عملتم[5]، وأبشروا بالجنة لكم ولمن اقتدى بكم.

وطوبى لمن كان آخر أمره البشارة، فإنما تكون البشارة لمن كان مؤمناً محسناً في عمله، فتنزل عليه الملائكة، فيقولون للملائكة: من أنتم؟ فما رأينا أحسن وجوهاً، ولا أطيب ريحاً منكم، فيقولون: نحن أولياؤكم، يعني حفظتكم، يعني الذين كنا نكتب أعمالكم في الحياة الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة.

فينبغي للعاقل أن ينتبه من رقدة[6] الغفلة، وعلامة من انتبه من رقدة[7] الغفلة أربعة أشياء:

---

(١) من (م).
(٢) ساقط من (م).
(٣) من (م).
(٤) من (م).
(٥) في (م): علّمتم الناس.
(٦) في (م): نومة.
(٧) في (م): نوم.

أولها: أن يدبّر أمرَ الدنيا بالقناعة والتسويف.
والثاني: أن يدبّر أمرَ الآخرة بالحرص والتعجيل.
والثالث: أن يدبّر أمرَ الدين بالعلم والاجتهاد.
والرابع: أن يدبّر أمرَ الخلق بالنصيحة والمداراة.

ويقال: أفضلُ الناس من كان فيه خمس خصال:

أولاها: أن يكونَ على عبادة ربه مقبلاً.
والثانية: أن يكونَ نفعُه للخلق ظاهراً.
والثالثة: أن يكونَ الناسُ مِن شرّه آمنين.
والرابعة: أن يكونَ عمّا في أيدي الناس آيساً.
والخامسة: أن يكونَ للموت مستعداً.

واعلم يا أخي أنّا خُلقنا للموت، ولا مهرب منه[1]، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾ [الزمر: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿**قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُم الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الموْتِ أو القَتْلِ**﴾ [الأحزاب: ١٦].

فالواجب على كل مسلم الاستعداد للموت قبل نزوله. قال تعالى ﴿**فَتَمَنَّوُا الموْتَ إِنْ كُنْتُم صَادِقِين * ولنْ يَتَمَنَّوْهُ أبداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**﴾ [البقرة: ٩٤ - ٩٥].

فبيّن الله تعالى أنّ الصّادقَ يتمنى الموت، وأن الكاذب يفرّ من الموت من سوء عمله، لأنَّ المؤمنَ الصّادقَ قد استعدّ للموت، فهو يتمنّاه اشتياقاً إلى ربه، كما رُوي عن أبي الدرداء، أنه قال: أحبُّ الفقر تواضعاً لربي، وأحبّ المرض تكفيراً للخطايا، وأحبّ الموت اشتياقاً إلى ربي.

وروي عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: ما من نفس بارّة أو فاجرة إلا والموتُ خيرٌ لها، فإن كانت بارّة، فقد قال الله تعالى: ﴿**ومَا عِنْدَ اللَّه خَيْرٌ للأبْرَارِ**﴾ [آل عمران: ١٩٨]، وإن كانت فاجرة، فقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّما نُمْلِي لَهُم لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ [آل عمران: ١٧٨].

---

(١) في (م): ولا بد لنا منه.

٢٩ ـ وروي عن أنس بن مالك عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «الموت راحة المؤمن»[١].

٣٠ ـ وروي عن ابن مسعود، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه سُئل: أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقاً»؛ فقيل: وأي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً»[٢].

٣١ ـ وقال النبي ـ ﷺ ـ: «الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنّى على الله تعالى الأماني»[٣] يعني المغفرة.

* * *

---

(١) رواه الحاكم (٤/ ٣١٩)، وابن المبارك في الزهد (ص ٢١٢)، والطبراني في الكبير، ورجاله ثقات، كما في مجمع الزوائد (٢/ ٣٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٨٨٤ و١٠٢٠٨)، كلهم بلفظ: «تحفة المؤمن الموت» من حديث عبدالله بن عمرو. ورواه الديلمي في الفردوس (٥١٢/٤) من حديث الحسين بن علي بلفظ: «الموت ريحانة المؤمن». ورواه أبو نعيم في الحلية (١٢١/٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٨٨٦) بلفظ «الموت كفارة لكل مسلم» من حديث أنس. وانظر: فيض القدير (٢٣٣/٣ ـ ٢٣٤ و٦/ ٢٧٩)، وكشف الخفاء (١/ ٣٥٢ و٢/ ٤٠٠).

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٨/٥): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سلم بن ميمون الخواص، وهو ضعيف، وفي المجمع أيضاً (١٠/ ٣٠٩) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير، وإسناده حسن، من حديث ابن عمر. ورواه أيضاً أبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٣)، والحاكم (٤/ ٥٤٠) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه الترمذي (٢٤٥٩) في صفة القيامة، باب (٢٥) وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه (٤٢٦٠) في الزهد، باب: ذكر الموت، وأحمد (٤/ ١٢٤). «دان نفسه»: حاسبها في الدنيا قبل أن يُحاسَبَ يوم القيامة.

باب عذاب القبر وشدّته

٣٢ ـ حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا ابن معاذ، حدثنا حسين المروزي، حدثنا أبو معاوية الضرير، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن البراء بن عازب، قال: خرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولم يلحد بعد، فجلس النبي ﷺ، وجلسنا حوله، فكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به الأرض، يعني يحفر به الأرض، فرفع رأسه وقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: «إنّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في إقبالٍ من الآخرة، وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه ملائكة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، ومعهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فيجلسون منه مدّ البصر، ثم يجيء ملكُ الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوانه. قال: فتخرج، وتسيل كما تسيل القطرة من السقاء، فيأخذونها، فلا يدعونها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلونها[1] في ذلك الكفن والحنوط، فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدَتْ على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرّون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه، ثم ينتهون بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون لها، فيفتح لهم، فيستقبلها، ويشيعها من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة، فيقول الله تعالى: اكتبوا كتابه في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى.

فتعاد الروح في جسده، ويأتيه ملكان، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: وما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما تقول في هذا

---

(١) من (م).

الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله تعالى، وآمنت به، وصدقته، فينادي مناد: صدق عبدي، فافرشوا له فراشاً من الجنة، وألبسوه لباساً من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من ريحها [وطيبها، ويُفسح له في قبره مدى بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح][1]، فيقول له: أبشر بالذي يسرّك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح. [فيقول: رب أقم الساعة حتى أعود إلى أهلي وخدمي][2].

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا، نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مدى البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضبه، فتفرق في أعضائه كلها، فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول، فتنقطع معها العروق والعصب، فيأخذها، وإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها رائحة[3] كأنتن ريح جيفة، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان؛ بأقبح أسمائه، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون، فلا يفتح لها، ثم قرأ رسول الله ـ ﷺ ـ: ﴿**لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ولَا يَدْخُلونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخياط**﴾ [الأعراف: ٤٠] ثم يقول الله تعالى: اكتبوا كتابه في سجين، ثم تطرح روحه طرحاً، ثم قرأ: ﴿**ومَنْ يُشرِكْ بالله فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطفُهُ الطَّيْرُ أو تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ في مَكانٍ سَحِيق**﴾ [الحج: ٣١] يعني ترد فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: هاه، لا أدري. فيقولان له: وما دينك؟ فيقول: هاه، لا أدري. فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه، لا أدري. فينادي منادٍ من السماء: كذب عبدي، فافرشوا له من فرش النار، [وألبسوه من النار][4]، وافتحوا له باباً إلى النار، فيدخل عليه من حرها وسمومها، ويضيق عليه في قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول

(١) ساقط من (م). (٢) ساقط من الأصل و(م)، والمثبت من المطبوع ومصادر التخريج.
(٣) من (م). (٤) من (م).

له: أبشر بالذي يسوءك، فهذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك السيىء، فيقول: رب لا تقم الساعة، رب لا تقم الساعة»[1].

٣٣ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، قال: حدثنا أبو القاسم أحمد بن حمزة، قال: حدثنا محمد بن سلمة، قال: حدثنا أبو أيوب، قال: حدثنا القاسم بن الفضل الحراني، عن قتادة، عن قسامة بن زهير، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك، ومن ضبائر الريحان، وتُسلّ روحه كما تسل الشعرة من العجين، ويقال: أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، إلى رحمة الله تعالى ورضوانه، وإذا أخرجت روحه وُضعت على ذلك المسك والريحان، وطويت عليها الحريرة، وبعث بها إلى عليين.

وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة، فتنزع روحه انتزاعاً شديداً، ويقال لها: أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك، إلى هوان الله وعذابه، فإذا أخرجت روحه، وضعت على تلك الجمرة، وإن لها نشيشاً كنشيش الغليان، ويطوى عليها المسح، فيذهب بها إلى سجين»[2].

٣٤ ـ وروى الفقيه أبو جعفر بإسناده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: إن المؤمن إذا وُضِع في القبر يوسع عليه قبره سبعين ذراعاً عرضه وسبعين ذراعاً طوله، وتنشر عليه الرياحين، ويستر بالحريرة، فإن كان معه شيء من القرآن، كفاه نوره، فإن لم يكن جعل له نور مثل الشمس في قبره، ويكون مثله كمثل العروس، تنام ولا يوقظها إلا أحب أهلها إليها، فتقوم من نومها كأنها لم تشبع منه.

وإن الكافر يضيق عليه قبره، حتى تدخل أضلاعه في جوفه، ويرسل عليه حيّات كأمثال أعناق البخت، فتأكلن لحمه، حتى لا يذرن على عظمه لحماً، فترسل

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٥٣) في السنة، باب: المسألة في القبر وعذاب القبر، وأحمد (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨)، ومجمع الزوائد (٣/ ٥٢)، والحاكم (١/ ٣٧ ـ ٤٠)، والطيالسي في مسنده (٧٥٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٣٨٠)، وابن المبارك في الزهد (١٢١٩)، وابن منده في الإيمان، وهناد في الزهد (٣٣٩)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠)، والآجري في الشريعة (٣٦٧ ـ ٣٧٠).

(٢) رواه البزار وابن مردويه كما في (شرح الصدور ص ١٠٢)، وابن أبي الدنيا كما في (أهوال القبور لابن رجب ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٠٤). «ضبائر»: هي الجماعات في تفرقة. والتضبير: الجمع. «النشيش»: صوت الغليان في القدر.

عليه شياطين صم بكم عمي، معهم فطاطيس من حديد، يضربونه بها، لا يسمعون صوته فيرحمونه، ولا يبصرونه فيرحمونه، فتعرض عليه النار بُكرة وعشياً[1].

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: من أراد أن ينجو من عذاب القبر، فعليه أن يلازم أربعة أشياء، ويجتنب أربعة أشياء. أما الأربعة التي يلازمها: فمحافظة الصلوات، والصدقة، وقراءة القرآن، وكثرة التسبيح. فإن هذه الأشياء تضيء القبر، وتوسعه.

وأما الأربعة التي يجتنبها: فالكذب، والخيانة، والنميمة، والبول.

٣٥ ـ فقد روي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «تنزّهوا عن البول، فإن عامة عذاب القبر منه»[2].

٣٦ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «إن الله كره لكم أربعاً: العبث في الصلاة، واللغو عند القراءة، والرفث في الصيام، والضحك عند المقابر»[3].

وروي عن محمد بن السماك أنه نظر إلى مقبرة، فقال: لا يغرّنكم سكوتُ هذه القبور، فما أكثرَ المغمومين فيها، ولا يغرنكم استواء القبور، فما أشدّ تفاوتهم فيها.

فينبغي للعاقل أن يكثر ذكر القبر قبل أن يدخله.

قال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عنه وجده حفرة من حفر النيران.

وروي عن علي كرم الله وجهه أنه قال في خطبته: يا عباد الله، الموت الموت، فليس منه فوت، إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، الموتُ معقودٌ بنواصيكم. فالنجاة النجاة، الوحا الوحا، فإن وراءكم طالباً حثيثاً وهو القبر، ألا وإنّ القبرَ روضةٌ من رياض الجنة، أو حفرةٌ من حفر النيران، ألا وإنه يتكلّم في كل يوم

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٩٨): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح خلا عبدالرحمٰن بن البيلماني وهو ثقة، وقال(٢/٣٢٨): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات. وذكره السيوطي في (شرح الصدور ص ١٠٢) وعزاه لهناد في الزهد، وعبد بن حميد في تفسيره، والطبراني في الكبير بسندٍ رجاله ثقات. «فطاطيس»: جمع فِطّيس، المطرقة العظيمة.

(٢) رواه الدارقطني (١/١٢٧) وقال: المحفوظ مرسل، وذكره السيوطي في (شرح الصدور ص ٢٢٤) وعزاه لابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، والآجري. وحسّنه. وانظر: (فيض القدير ٣/٢٦٩).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (ص ٥٤٢)، والقضاعي في الشهاب (٢/١٥٥)، وانظر: (فيض القدير ٢/٢٥٠) حيث عزاه لعبدالرزاق مرسلاً من حديث يحيى بن أبي كثير.

ثلاث مرات، فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الديدان. ألا وإنّ وراء ذلك اليوم يوماً أشدّ من ذلك اليوم، يوماً يشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، وتذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت، وتضع كلّ ذات حمل حملها، وترى الناس سُكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. ألا وإن وراء ذلك اليوم يوماً أشدّ من ذلك اليوم ناراً، حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليها حديد، وماؤها صديد، ليس لله فيها رحمة، قال: فبكى المسلمون بكاءً شديداً. فقال: وإن وراء ذلك اليوم جنة عرضها السموات والأرض، أعدّت للمتقين.

أجارنا الله من العذاب الأليم، وأحلّنا وإياكم دار النعيم.

وروي عن أسيد بن عبدالرحمن أنه قال: بلغني أن المؤمن إذا مات فحمل، قال: أَسْرِعُوا بي، فإذا وضع في لحده، كلّمته الأرض، وقالت: إني كنت أحبك، وأنت على ظهري، فأنت الآن أحب إليّ [في بطني][1].

وإذا مات الكافر فحمل، قال: ارجعُوا بي، فإذا وُضِع في لحده، كلّمته الأرض، فقالت: كنت أبغضك، وأنت على ظهري، فأنت الآن أبغض إليّ.

٣٧ ـ وروي عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أنه وقف على قبر فبكى، فقيل له: إنك تذكر الجنة والنار، ولا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «القبرُ أوّلُ منزلٍ من منازل الآخرة، فإن نجا العبد منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشدّ منه»[2].

وروي عن عبدالحميد بن محمود المعولي، قال: كنت جالساً عند ابن عباس فأتاه قوم، فقالوا: خرجنا حجّاجاً، ومعَنا صاحب لنا، حتى انتهينا إلى حي ذات الصّفاح، فمات، فهيّأنا له، ثم انطلقنا، فحفرنا له قبراً لحداً، فإذا نحن بأسود قد ملأ اللحد، يعني بالأسود: الحية، فتركناه، فحفرنا له في مكان آخر، فإذا نحن بأسود قد ملأ اللحد، فتركناه، فحفرنا له ثالثاً، فإذا نحن بأسود قد ملأ اللحد، فتركناه وأتيناك.

---

(١) من (م).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٦٧) في الزهد، باب: ذكر القبر والبلى، والحاكم (١/٣٧١) وتعقبه الذهبي بقوله: ابن بجير ليس بالعمدة، ومنهم من يقوّيه، وهانىء روى عنه جماعة، ولا ذِكْر له في الكتب الستة. والبيهقي في إثبات عذاب القبر رقم (٤٩)، وحسّنه السيوطي، انظر: (فيض القدير ٢/٣٧٩) و(شرح الصدور ص ٢١٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذلك الفعل الذي كان يفعله، انطلقوا فادفنوه في بعضها، فوالله لو حفرتم الأرض كلها لوجدتموه فيها، فأخبروا قومه. قال: فانطلقنا فدفناه في بعضها، فلما رجعنا، أتينا أهله بمتاع له كان معنا، فقلنا لامرأته: ما كان له من عمل؟ قالت: كان يبيع الطعام، يعني الحنطة، وكان يأخذ كل يوم قدر قوته، ثم يقرض القَصَل مثله، ومن الكعبرة، يعني عيدان الطعام، فيلقيه فيه[1].

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: في هذا الخبر دليلٌ على أنَّ الخيانةَ سببٌ لعذاب القبر، فكان فيما رأوه عبرة للأحياء ليمتنعوا من الخيانة.

ويقال: إن الأرض تنادي كل يوم خمس مرات:

أول نداء تقول: يابن آدم تمشي على ظهري، ومصيرك إلى بطني.

والثاني تقول: يابن آدم، تأكلُ الألوانَ على ظهري، وتأكلُ الديدان في بطني.

والثالث تقول: يابن آدم، تضحك على ظهري، فسوف تبكي في بطني.

والرابع تقول: يابن آدم تفرح على ظهري، فسوف تحزن في بطني.

والخامس تقول: يابن آدم تُذنب على ظهري، فسوف تُعذَّب في بطني.

وروي عن عمرو بن دينار[2]، قال: كان رجل من أهل المدينة له أخت في ناحية المدينة، فاشتكتْ، فكان يأتيها يعودها، ثم ماتت، فجهّزها وحملها إلى قبرها، فلما دفنت، ورجع إلى أهله، ذكر أنه نسي كيساً كان معه، فاستعان برجل من أصحابه، فأتيا القبر، فنبشاه، فوجدا الكيس، فقال للرجل: تنحّ حتى أنظر على أي حال أختي، فرفع بعض ما كان على اللحد، فإذا القبر مشتعل ناراً، فردّه، فسوى القبر، فرجع إلى أمه، فقال: أخبريني عما كانت أختي عليه، فقالت: ولِمَ تسأل عن أختك، وقد هلكت؟ قال: فأخبرتها. قالت: كانت أختُكَ تؤخّر الصلاة، ولا تصلّي بطهارة تامة، وكانت تأتي أبوابَ الجيران إذا ناموا، فتلقم أذنها أبوابهم، فتخرج حديثهم،

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا كما في (أهوال القبور ص ١٤٧)، والروح لابن القيم (ص ٩٨). «ذات الصفاح»: موضع بين حُنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة من مشاش (طريق الطائف). «القَصَل»: ما عُزِل من البُرّ إذا نقي فيرمى به.

(٢) هو عمرو بن دينار الجمحي بالولاء، أبو محمد الأثرم: فقيه، كان مفتي أهل مكة. فارسي الأصل، من الأبناء. مولده بصنعاء. قال شعبة: ما رأيت أثبت في الحديث منه. وقال النسائي: ثقة ثبت. واتّهمه أهل المدينة بالتشيع والتحامل على ابن الزبير، ونفى الذهبي ذلك. توفي في مكة سنة (١٢٦هـ). (تهذيب التهذيب ٨/ ٣٠) و(خلاصة تهذيب الكمال ٢٤٤).

يعني أنها كانت تستمع الحديث لكي تمشي بالنميمة، وهو سبب عذاب القبر.

فمن أراد أن ينجو من عذاب القبر، فعليه أن يتحرز عن النميمة، وعن سائر الذنوب، لينجو من عذابه، ويسهل عليه سؤال منكر ونكير. قال الله تعالى: **﴿يُثَبِّتُ الله الَّذينَ آمَنوا بالقَوْلِ الثّابِتِ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفي الآخِرَةِ﴾** [إبراهيم: ٢٧].

٣٧/م - وروي عن البراء بن عازب، رضي الله عنه، عن النبي - ﷺ - أنه قال: «إذا سئل المسلم في القبر، فيشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فذلك قوله تعالى: **﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفي الآخِرَةِ﴾** [إبراهيم: ٢٧]»(١).

ويكون التثبيتُ في ثلاثة أحوال، لمن كان مؤمناً مخلصاً مطيعاً لله تعالى:

أحدها: في حال معاينة ملك الموت.

وثانيها: في حال سؤال منكر ونكير.

وثالثها: في حال سؤاله عند المحاسبة يوم القيامة.

فأما التثبيت عند معاينة ملك الموت، فهو على ثلاثة أوجه:

الأول: العصمة من الكفر، وتوفيق الاستقامة على التوحيد؛ حتى تخرجَ روحُه وهو على الإسلام.

والثاني: أن تبشّره الملائكةُ بالرحمة.

والثالث: أن يرى موضعَه من الجنة.

وأما التثبيت في القبر، فعلى ثلاثة أوجه:

الأول: أن يلقّنه الله تعالى الصّوابَ، حتى يجيبهما بما يرضى عنه الرب.

والثاني: أن يزولَ عنه الخوفُ، والهيبة، والدهشة.

والثالث: أن يرى مكانَه في الجنّة، فيصيرُ القبرُ روضةً من رياض الجنة.

وأما التثبيت عند الحساب، فهو على ثلاثة أوجه:

الأول: أن يلقّنه الحُجَّةَ عما يُسأل عنه.

والثاني: أن يسهّل عليه الحساب.

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٩) في الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، ومسلم (٢٨٧١) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

والثالث: أن يتجاوزَ عنه الزلل والخطايا.

ويقال: التثبيت في أربعة أحوال:

أحدها: عند الموت.

والثاني: في القبر حتى يجيبَ بلا خوف.

والثالث: عند الحساب.

والرابع: عند الصّراط حتى يمرَّ كالبرق الخاطف.

فإن سُئل عن عذاب القبر، كيف هو؟ قيل: قد تكلم العلماء فيه، واختلفت الروايات فيه فقال بعضهم: تجعل الروح في جسده كما كان في الدنيا، فيجلس. وقال بعضهم: يكون السؤال للروح دون الجسد، وحينئذ تدخل الروح في جسده إلى صدره. وقال بعضهم: تكون الروح بين جسده وكفنه. وفي ذلك كلّه قد جاءت الآثار.

والصحيح عند أهل العلم: أن يقر الإنسان بعذاب القبر، ولا يشتغل بكيفيته، ويقول: الله أعلم كيف يكون. وإنما نعاينه إذا صرنا إليه، فإذا أنكر أحدٌ سؤالَ منكر ونكير، فإنّ إنكارَهُ لا يخلو من أحد وجهين: إما أن يقول: إن هذا لا يجوز من طريق العقل، إذ هو خلاف الطبيعة. أو يقول: يجوز، ولكن لم يثبت.

فإن قال: هذا لا يجوزُ من طريق العقل، فإنّ قولَه يُؤدّي إلى تعطيل النبوة، وإبطال المعجزة؛ لأنّ الرسلَ كانوا من الآدميين، وطبيعتهم مثل طبيعة غيرهم، وقد شاهدوا الملائكة، وأنزل عليهم الوحي، وانفلق البحرُ لموسى عليه السلام، وصارت عصاه ثعباناً. فهذا كله خلاف الطبيعة، فَمُنْكِرُ هذا يخرجُ من الإسلام من حيث دخل.

وإن قال: هذا يجوز، ولكن لم يثبت، فنحن قد روينا من الأخبار ما فيه مقنع لمن سمعها، وفي كتاب الله تعالى دليل على ذلك. قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [طه ١٢٤] قال جماعة من المفسرين: المعيشة الضنك: عذاب القبر. وقال تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ الله الَّذينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٣٨ ـ قال الفقيه رحمه الله تعالى: حدثني أبو جعفر بإسناده، عن سعيد بن المسيب، عن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إذا أدخل المؤمن

قبـره أتاه فتَّانـا القبـر، فأجلسـاه في قبره، وسـألاه، وإنه ليسمـعُ خفقَ نعالهم إذا ولّـوا مدبرين، فيقولان له: مَن ربّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيك؟ فيقـول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي. فيقولان له: ثبّتك الله، نَمْ قرير العين. وهو قوله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ الله الَّذينَ آمَنُوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾ يعني يثبتهم الله على قول الحق ﴿**وَيُضِـلُّ الله الـظَّالِمين**﴾ [إبـراهيم: ٢٧] يعني الكـافـرين لا يـوفّقهم للقــول الحق.

وإذا أدخل الكافر، أو المنافق قبره، قالا له: مَن ربّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيـك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان: لا دريتَ، فَيُضـرب بمرزبـة يسمعُها مـا بين الخافقين إلا الجن والإنس»[1].

٣٩ ـ وروى أبو حازم عن ابن عمـر ـ رضي الله عنهما ـ قـال: قال رسـول الله ـ ﷺ ـ: «كيف بك يا عمـر إذا جاءك فتـانا القبـر، منكر ونكيـر: ملكان أسـودان أزرقان ينحتـان الأرض بأنيـابهما، ويطآن في شعورهمـا، أصـواتهمـا كـالـرعـد القـاصف، وأبصـارهما كـالبرق الخـاطف؟» فقال عمـر ـ رضي الله عنه ـ: يـا رسـول الله، أمعي عقلي، وأنا على ما أنا عليه اليوم؟ قال: «نعم». قال: إذن أكفيكهما بـإذن الله تعالى. قال النبي ـ ﷺ ـ: «إن عمر لموفّق»[2].

٤٠ ـ قال: وحدثني أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمـد الشابـاذي؛ بإسنـاده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «مـا من ميت يموت إلا ولـه خوار، يسمعه كل دابة عنده إلا الإنسان، فلو سمعه لصعق، فإذا انطلق به إلى قبره، فإن كان صالحاً قال: عجّلوا بي، لو تعلمون ما أمامي من الخير لعجلتموني.

وإن كان غير ذلك قال: لا تعجلوا بي، لـو تعلمون مـا تقدمـون له من الشـرّ لما

---

(١) رواه بنحوه الترمذي (١٠٧١) في الجنائـز، والآجري في الشـريعة (٣٦٥)، وابن أبي عـاصم في السنة (٨٦٤)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر رقم (٦٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه البيهقي في إثبـات عذاب القبـر رقم (١١٦ و١١٧)، وابن أبي داود في البعث (٧)، والسيوطي في (الدر المنثور ٤/ ٨٢)، وأورده الذهبي في (ميزان الاعتـدال ٤/ ٥٣٧) وقال: خبـر منكر. وقـال الحافظ العراقي: «رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلاً، ورجاله ثقات. قال البيهقي في الاعتقـاد: رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسـلاً. قلت: ووصلهما ابن بـطة في الإبانـة من حديث ابن عباس، ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر، وقال: تفرّد بهذا الإسناد مفضل». انظر: (الإحيـاء ١٦/ ١٠)، و(المطالب العالية ٤/ ٣٦٣) وقال (للحارث): رجاله ثقات مع إرساله.

عجلتموني، فإذا ووري[1] في قبره، أتاه ملكان أسودان أزرقان، فيأتيانه من قبل رأسه، فتقول صلاته: لا يؤتى من قبلي، فربّ ليلة قد بات فيها ساهراً حذراً من هذا المضجع. فيؤتى من قبل رجليه، فيجيء بر الوالدين فيقول: لا يؤتى من قِبلنا، فقد كان يمشي، وينتصب علينا حذراً لهذا المضجع. فيؤتي من قِبل يمينه، فتقول صدقته: لا يؤتى من قبلي، فقد كان يتصدق بي حذراً لهذا المضجع. فيؤتى من قبل شماله، فيقول صومه: لا يؤتى من قبلي، فقد كان يظمأ ويجوع حذراً لهذا المضجع. فيوقظ كما يوقظ النائم، فيقال له: أرأيتَ هذا الرجل الذي كان يقول ما يقول، علام كنت منه؟ فيقول: من هو؟ فيقال: محمد ﷺ، فيقول: أشهد أنه رسول الله ﷺ، فيقولان له: عشتَ مؤمناً، ومتّ مؤمناً، فيفسحُ له في قبره، وينشرُ له من كلّ كرامة الله تعالى ما شاء الله»[2].

فنسأل الله التوفيق والعصمة، وأن يعيذنا من الأهواء الضالة المضلّة، ومن الغفلِة، وأن يعيذنا من عذاب القبر، ٤١ ـ فإن النبي ـ ﷺ ـ كان يتعوّذ منه[3].

٤٢ ـ وذكر عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: كنت لم أعلم بعذاب القبر حتى دخلَتْ عليّ يهوديّة، فسألت شيئاً، فأعطيتها، فقالت: أعاذكِ اللّهُ من عذاب القبر، فظننتُ أنّ قولها من أباطيل اليهود، حتى دخل النبي ﷺ، فذكرت له ذلك، فأخبرني أنَّ عذابَ القبر حقٌّ[4].

فالواجب على كل مسلم أن يستعيذَ بالله تعالى من عذاب القبر، وأن يستعدّ للقبر بالأعمال الصالحة، قبل أن يدخلَ فيه، فإنه قد سهل عليه الأمر ما دام في الدنيا، فإذا دخل القبرَ فإنه يتمنّى أن يؤذنَ له بحسنة واحدة، فلا يؤذن له، فيبقى في حسرةٍ وندامةٍ.

فينبغي للعاقل أن يتفكر في أمر الموتى، فإن الموتى يتمنّون أن يؤذنَ لهم بأن يصلوا ركعتين، أو يؤذن لهم أن يقولوا مرة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أو يؤذن

---

(١) في (م): وضع.

(٢) رواه بنحوه الطبراني. (مجمع الزوائد ٧/ ١٨٠)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (ص ٣٢٤)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٦٥٥)، من حديث عبدالرحمٰن بن سمرة.

(٣) عن عائشة أنّ رسولَ الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر». رواه البخاري (٨٣٢) في الأذان، باب: الدعاء قبل السلام.

(٤) رواه البخاري (١٣٧٢) في الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر.

لهم بتسبيحة واحدة، فلا يؤذن لهم، فيتعجبون من الأحياء أنهم يضيعون أيامهم في الغفلة والبطالة.

يا أخي، لا تضيع أيامك، فإنها رأسُ مالك، فإنك ما دمتَ قادراً على رأس مالك، قدرتَ على الربح، وإن بضاعة الآخرة كاسدة في يومك هذا، فاجتهدْ حتى تجمعَ بضاعةَ الآخرة في وقت الكساد، فإنه يجيءُ يوم تصير هذه البضاعة فيه عزيزة، فاستكثر منها في يوم الكساد ليوم العز، فإنك لا تقدر على طلبها في ذلك اليوم.

نسأل الله أن يوفقنا للاستعداد ليوم الحاجة والمعاد، ولا يجعلنا من النادمين، ولا من الذين يطلبون الرجعة، ويُسهّل علينا شدّة القبر، وعلى جميع المسلمين.

* * *

باب أهوال القيامة وأفزاعها

٤٣ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: أخبرنا الخليل بن أحمد، أخبرنا يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا محمد بن المنصور الطوسي، قال: حدثنا يحيى بن إسحاق الصالحي، قال: حدثنا أحمد بن لهيعة عن خالد بن أبي عمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة ـ رضي الله عنها وعنهم ـ قالت: قلت: يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال [لها: «نعم][1] أما عند ثلاثة مواضع فلا: عند الميزان؛ [حتى يعلم][2] إما أن يخفّ، وإما أن يثقل. وعند تطاير الصحف، إما أن يُعطى بيمينه، وإما أن يُعطى بشماله. وحين يخرج عنق من النار، فينطوي عليهم، ويقول: وكلت بثلاثة، وكلت بمن دعا مع الله إلهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبكل من لم يؤمن بيوم الحساب فينطوي عليهم حتى يرمي في غمرات جهنم. وبجهنم جسر أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف، عليه كلاليب وحسك، والناس يمرون عليه كالبرق الخاطف، وكالريح العاصف، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومكبوب في النار على وجهه»[3].

٤٤ ـ وحدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: أخبرنا إبراهيم بن يوسف، قال: أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما بين النفختين أربعون سنة، ثم يُنزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل»[4].

---

(١) من (م). (٢) من (م).

(٣) رواه أحمد (٦/١١٠)، والحاكم (٤/٥٧٨)، وذكره السيوطي في البدور السافرة (ص ٢٣) وعزاه للحاكم والبيهقي والآجري.

(٤) رواه البخاري (٤٩٣٥) في التفسير، باب: ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾، ومسلم (٢٩٥٥) في الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين.

٤٥ ـ وأخبرني الثقة[1] بإسناده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بأسانيد مختلفة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لما فرغ الله من خلق السموات والأرض خلق الصور، فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه شاخصاً ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر». قال: قلت يا رسول الله، وما الصور؟ قال: «قرن من نور» قلت: يا رسول الله؛ كيف هو؟ قال: عظيم، والذي بعثني بالحق نبياً لعظم دارته كعرض السماء والأرض، ينفخ فيه ثلاث نفخات»[2].

وفي بعض الروايات أنهما نفختان؛ نفخة للهلاك، ونفخة للبعث، وفي رواية كعب: نفختان. وفي رواية أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: ثلاث نفخات، نفخة للفزع، ونفخة للصعق، ونفخة للبعث، فيأمر الله تعالى إسرافيل في النفخة الأولى، فينفخ فيه، فيفزع من في السموات ومن في الأرض، وهو قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرض إلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ**﴾ [النمل: ٨٧].

وتتزلزل الأرض و﴿**تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ الله شَدِيدٌ**﴾ [الحج: ٢].

وتصير الولدان شيباً، وتطير الشياطين هاربة، وهو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مرضعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وتَرَى النَاسَ سُكَارى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ولكنَّ عذَابَ الله شَدِيدٌ**﴾ [الحج: ١ ـ ٢].

فيمكثون ما شاء، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ نفخة الصعق، فيصعق أهل السماء وأهل الأرض، يعني يموتون [إلا من شاء الله][3]، وهو قوله تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ، فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ [الزمر: ٦٨]. يعني به أرواح الشهداء، ويقال: يعني جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، [وحملة العرش][4]، فيقول الله تعالى لملك الموت: من بقي من خلقي [وهو

---

(١) في (م) الفقيه.

(٢) رواه البيهقي في (البعث والنشور ٣٣٦)، وابن كثير في (النهاية ١ / ٢١٤)، وذكره السيوطي في (البدور السافرة ص ١٤)، وعزاه لابن جرير في تفسيره والطبراني في الطوالات، وأبي يعلى في مسنده، وأبي موسى المديني، وعلي بن معبد في كتاب «الطاعة والعصيان»، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ في كتاب «العظمة».

(٣) من (م). (٤) من (م).

أعلم]؟[1] فيقول: يا رب أنت حي لا تموت، بقي جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وحملة عرشك، وبقيت أنا، فيأمر الله تعالى ملك الموت بقبض أرواحهم.

وهكذا ذكر في رواية الكلبي، وفي[2] رواية مقاتل، وقال في رواية محمد بن كعب، عن رجل، عن أبي هريرة: إن الله سبحانه وتعالى يقول: ليمت جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وليمت حملة العرش، ثم يقول الله عز وجل: يا ملك الموت، من بقي من خلقي؟، فيقول: أنت الحي الذي لا تموت، وبقي عبدك الضعيف ملك الموت، فيقول: يا ملك الموت، ألم تسمع قولي: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموت**﴾ [آل عمران: ١٨٥] وأنت خَلْقٌ مِن خلقي، خلقتك لما رأيت، فمت، فيموت.

وروي في خبر آخر: أنه يأمره بأن يقبض روح نفسه، فيجيء إلى موضع بين الجنة والنار، وينزع روحه بنفسه، فيصيح صيحة لو كان الخلق كلهم في الحياة لماتوا من صيحته، ويقول: لو كنت علمت أن لِنَزْعِ الروح مثلَ هذه الشدة والمرارة، لكنت على قبض أرواح المؤمنين أشفق، ثم يموت، فلا يبقى أحد من الخلق، فيقول الله عز وجل للدنيا الدنية: أين الملوك؟ وأين أبناء الملوك؟ أين الجبابرة؟ وأين أبناء الجبابرة؟ وأين الذين كانوا يأكلون رزقي ويعبدون غيري؟ ثم يقول تعالى: ﴿**لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ**﴾؟ فلا يجيبه أحد، فيجيب سبحانه وتعالى نفسه فيقول: ﴿**لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّار**﴾ [غافر: ١٦] ثم يأمر الله السماء أن تمطر، فتمطر السماء ماءً كمنيّ الرجال أربعين يوماً؛ حتى يكون الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعاً، فينبت اللَّهُ الخلقَ بذلك الماء كنبات البقل، حتى تتكاملَ أجسامُهم، فتعود[3] كما كانت.

ثم يقول الله تعالى: ليحيى إسرافيل، وعزرائيل، وحملة العرش، فيحيْون[4] بأمر الله تعالى، ويأمر الله تعالى إسرافيل، فيأخذ الصور، ويضعه على فيه، ثم يقول الله تعالى: ليحيى جبريل، وميكائيل، فيحييان بأمر الله تعالى.

ثم يدعو الله تعالى بالأرواح، فيؤتى بها، فيجعلها في الصور، ثم يأمر إسرافيل فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل، قد ملأت ما بين السماء والأرض، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد في الخياشيم، فتنشق الأرض عنهم. ثم قال

---

(١) من (م).
(٢) من (م).
(٣) في (م): فتكون.
(٤) في (م): فيجيبون.

النبي ـ ﷺ ـ: «وأنا أول من تنشق عنه الأرض»[1].

٤٦ ـ وفي خبر آخر: أن الله تعالى إذا أحيا جبريل وميكائيل وإسرافيل، فينزلون إلى قبر النبي ـ ﷺ ـ معهم البراق، وحلل من الجنة، فتنشق عنه الأرض، فينظر إلى جبريل، فيقول: «يا جبريل ما هذا اليوم؟» فيقول: هذا يوم القيامة، ويوم الحاقة، ويوم القارعة. فيقول: «يا جبريل، ما فعل الله بأمتي؟» فيقول جبريل: أبشر، فإنك أول من تنشق عنه الأرض.

ثم يأمر الله تعالى إسرافيل، فينفخ في الصور، فإذا هم قيام ينظرون.

ثم رجعنا إلى حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: فيخرجون منها سراعاً إلى ربهم ينسلون. يعني؛ يخرجون من قبورهم حفاة عراةً، ثم يقفون موقفاً واحداً، مقدار سبعين عاماً، لا ينظر الله إليهم، ولا يقضي بينهم، فيبكون حتى تنقطعَ الدُّموعُ، ثم يبكون دماً ويعرقون، حتى يبلغَ ذلك منهم، بأن يلجمهم، وأن يبلغَ الأذقان، ثم يدعون إلى المحشر، وذلك قوله تعالى: ﴿**مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ**﴾ [القمر: ٨] أي ناظرين قاصدين مسرعين، فإذا اجتمع الخلائق كلهم: الجنّ والإنس وغيرهم، فبينما هم وقوف، إذ سمعوا حسّاً من السماء شديداً، فهالهم ذلك، فتنشقّ السماء، وتنزل ملائكة سماء الدنيا كمثل[2] من في الأرض، فأخذوا مصافهم، فقال لهم الناس: أفيكم ربنا؟ يعني[3] أفيكم أمر ربنا بالحساب؟ قالوا: لا. وهو يأتي، يعني يأتي أمره بالحساب.

ثم ينزل أهل السماء الثانية، فيقومون صفاً خلف أهل سماء الدنيا، ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة، حتى تنزل ملائكة السموات السبع على قدر التضعيف، ويقومون حول أهل الدنيا.

قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: أنبأنا إبراهيم بن يوسف، قال: أنبأنا محمد بن الفضل، عن الأجلح، عن الضحاك، قال: إن الله تعالى يأمر سماء الدنيا، فتنشق بما فيها من الملائكة، فينزلون، فيحيطون بالأرض ومن فيها، ثم الثانية ومن فيها، ثم الثالثة ومن فيها، ثم الرابعة ومن فيها، ثم

---

(١) جزء من حديث الصور الطويل، وقد سبق تخريجه برقم (٤٥).
(٢) في (م): تبكي. (٣) في (م): يعنون.

الخامسة ومن فيها، ثم السادسة ومن فيها، ثم السابعة ومن فيها، حتى يكونوا سبعة صفوف من الملائكة، بعضهم في جوف بعض، وأهل الأرض لا يأتون قطراً من أقطارها إلا وجدوا عنده سبعة صفوف من الملائكة، فذلك قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ إِن اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِن أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُون إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٣٣] وقال تعالى: ﴿ويَومَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالغَمَامِ وَنُزِّلَ المَلائِكَةُ تَنْزِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥].

٤٧ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إن الله تعالى يقول: يا معشر الجن والإنس، إني قد نصحتُ لكم، فإنما هي أعمالكم في صحفكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه، ثم يأمر الله تعالى جهنم، فيخرج منها عنق ساطع مظلم فيقول: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُم يا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وأَن اعْبُدُوني هَـذَا صِراطٌ مُسْتَقِيم * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُم جِبِلًّا كَثِيراً أَفَلَمْ تكونُوا تعقِلُون * هَـذِهِ جَهَنَّم الَّتي كُنْتُم تُوعَدُون * اصْلَوْهَا اليَوْمَ بِمَا كُنْتُم تكفُرون﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦٤]»[1].

فتجثو الأمم، وهو قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَى كِتَابِهَا﴾ [الجاثية: ٢٨] الآية، فيقضي الله تعالى بين خلقه، ويقضي بين الوحوش والبهائم، حتى إنه لينتقم للشاة الجماء من الشاة القرناء، ثم يقول: كوني تراباً. فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾ [النبأ: ٤٠] ثم يقضي بين العباد.

٤٨ ـ وروى نافع عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة»، فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: الرجال والنساء؟. قال: «نعم» فقلت: واسوأتاه؛ ينظر بعضهم إلى بعض، فضرب على منكبيها، وقال: «يا بنة ابن أبي قحافة، شغل الناس يومئذ عن النظر، وشخصوا بأبصارهم إلى السماء موقوفين أربعين سنة، لا يأكلون، ولا يشربون، فمنهم من يبلغ العرق قدميه، ومنهم من يبلغ ساقيه، ومنهم من يبلغ بطنه، ومنهم من يلجمه العرق من طول الوقوف، ثم تقوم الملائكة حافين من حول العرش، فيأمر الله تعالى منادياً ينادي: أين فلان؟ أين فلانة؟ فيشرف الناس ـ أي فيرفع الناس رؤوسهم لذلك الصوت ـ ويخرج ذلك المنادي من ذلك الموقف، فإذا وقف بين يدي رب

(١) جزء من حديث الصور الطويل، وقد سبق تخريجه برقم (٤٥).

العالمين، قيل: أين أصحاب المظالم؟ فينادون رجلاً رجلاً، فيؤخذ من حسنات الظالم وتدفع إلى من[1] ظلمه، فيومئذٍ لا دينار ولا درهم، إلا أخذ من الحسنات، وردّ من السيئات، فلا يزالون يستوفون من حسناته، حتى لا يبقى له حسنة، فيؤخذ من سيئاتهم، فتردّ عليه، فإذا فرغ من حسناته، قيل له: ارجع إلى أمك الهاوية، أي جهنم، فإنه لا ظلم اليوم، إنّ الله سريعُ الحساب، يعني سريع المجازاة، فلا يبقى يومئذ ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا شهيد إلا ظن ـ لما يرى من شدّة الحساب ـ أن لا ينجو إلا مَنْ عَصَمَهُ الله»[2].

٤٩ ـ وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعة: عن عمره فيم أفناه؟ وعن جسده فيم أبلاه؟، وعن علمه فيم عمل به؟، وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟»[3].

وعن عكرمة ـ رضي الله عنه ـ قال: إن الوالد يتعلق بولده يوم القيامة، فيقول: يا بني أيّ والد كنتُ لك في الدنيا، فيثني عليه خيراً، فيقول له: يا بني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك، لعلي أنجو مما ترى، فيقول له ولده: إني أتخوف على نفسي مثل الذي تخوفت، فلا أطيق أن أعطيك شيئاً، ثم يتعلق بزوجته، فيقول لها: يا فلانة، أيّ زوج كنتُ لك في الدنيا، فتثني عليه خيراً، فيقول لها: إني أطلب منك حسنة واحدة تهديها لي، لعلي أنجو مما ترين. فتقول: لا أطيق ذلك، إني أتخوف على نفسي مثل الذي تخوفت منه. فيقول الله عز وجل: **﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾** [فاطر: ١٨] يعني الذي أثقلته الذنوب، لا يحمل أحد عنه شيئاً من ذنوبه.

٥٠ ـ وروى ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إن الكافرَ ليلجمُ بعرقه من طول ذلك اليوم، حتى يقول: يا ربّ ارحمني، ولو إلى النار»[4].

---

(١) من (م).

(٢) رواه ابن مردويه كما في (الإتحاف ١٠/٤٥٦)، والموصلي كما في نهاية ابن كثير (١/٢٦٧) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، ولبعضه شاهد في الصحيح.

(٣) رواه البزار كما في كشف الأستار (٤/١٥٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٤٦): رواه الطبراني والبزار بنحوه، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير صامت بن معاذ، وعدي بن عدي الكندي، وهما ثقتان. ورواه أيضاً الدارمي (١/١٣٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/٤٤١)، والديلمي في الفردوس (٧٤٩٨).

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٣٦): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، وفي =

٥١ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثناحماد،عن علي بن زيد، عن أبي نضرة، بإسناده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «لم يكن نبيٌّ قط إلا كانت له دعوة مستجابة، كلهم يعجلها[1] في الدنيا، وإني استخبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، ألا وأنا سيِّدُ ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، ولواءُ الحمد بيدي يوم القيامة، تحته آدم ومن دونه من البشر ولا فخر، ثم قال: يشتد يوم القيامة غمّه وكربه على الناس، فيأتون آدم ـ عليه السلام ـ فيقولون له: يا أبا البشر، اشفع لنا إلى ربك؛ ليقضي بيننا. فيقول: لست هناك، إني قد أخرجت من الجنة بخطيئتي، وإنه ليس يهمّني اليوم إلا نفسي، ولكن عليكم بنوح، فإنه أول المرسلين[2].

فيأتون نوحاً ـ عليه السلام ـ ويقولون: اشفعْ لنا إلى ربك ليقضي بيننا. فيقول: لست هناك، إني قد دعوتُ دعوة أغرقت بها أهل الأرض، وإنه ليس يهمني اليوم إلا نفسي، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً.

فيأتون إبراهيم ـ عليه السلام ـ فيقولون: اشفع لنا إلى ربك ليقضي بيننا. فيقول: لستُ هناك، إني قد كذبتُ في الإسلام ثلاث كذبات ـ قال ـ ﷺ ـ والله إنه ما جادل بهنّ إلا ذبّاً عن دين الله: إحداها: قوله تعالى: ﴿**فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ**﴾ [الصافات: ٨٨ ـ ٨٩] والثانية: ﴿**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا**﴾ [الأنبياء: ٦٣]، والثالثة قوله عن امرأته: إنها أختي ـ وليس يهمني اليوم إلا نفسي، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله تكليماً، فيأتون موسى، فيقول: لستُ هناك، إني قتلتُ نفساً بغير حقّ، وإني لا يهمني اليوم إلا نفسي، ولكن ائتوا عيسى، روحَ الله وكلمته.

فيأتونه، فيقول: لستُ هناك، إني اتُّخِذت أنا وأمي إلَهين من دون الله، وإني لا يهمني اليوم إلا نفسي، ولكن، أرأيتم لو كان لأحدكم بضاعة، فجعلها في كيس، وختم عليها، أكان يصل إلى ما في الكيس حتى يفضّ الختم؟، فيقولون: لا،

= الأوسط، وفي رجاله محمد بن إسحاق وهو ثقة لكنه مدلس، ورواه أبو يعلى مرفوعاً بنحو الكبير، ورواه أيضاً ابن حبان (٩/٢١٦)، والبيهقي كما في (البدور السافرة ص ٩٠).

(١) في الأصل والمطبوع: عجلها، والمثبت من (م).

(٢) في (م) أول نبي المرسلين.

فيقول: إن محمداً ـ ﷺ ـ ختمت به الأنبياء، وقد وافى اليوم، وقد غفر اللَّهُ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، ائتوه.

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: فيأتيني الناس، فأقول: نعم، أنا لها، حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى، فيلبث ما شاء الله أن يلبث، فإذا أراد الله أن يقضي[1] بين خلقه، نادى مناد: أين محمد ـ ﷺ ـ وأمته؟ فنحن الآخرون الأولون، يعني نحن آخر الناس في الدنيا، وأولهم في الحساب يوم القيامة. فأقوم أنا وأمتي فتفرج لنا الأمم عن طريقنا، فنمر غرلاً محجّلين من آثار وضوء الطهور، ويقول لنا الناس: كادت هذه الأمة أن تكون كلها أنبياء.

ثم أتقدّم إلى باب الجنة، فأستفتح، فيقال: من هذا؟ فأقول: أنا محمد رسول الله فيفتح لي، فأدخل، وأخِرّ لربي ساجداً، وأحمده بمحامد لم يحمده بها أحدٌ قبلي، ولا يحمده بها أحدٌ بعدي، فيقال: ارفعْ رأسك، وقلْ تُسمع، وسلْ تُعط، واشفعْ تشفع. فأرفع رأسي، فأشفع لمن كان في قلبه مثقال شعيرة أو ذرة من الإيمان»[2] يعني من اليقين مع شهادة أن لا إله إلا الله.

وروي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه دخل المسجد، وكعب الأحبار يحدّث الناس، فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ: خوّفنا يا كعب الأحبار، فقال: والله، إن لله ملائكة قياماً من يوم خلقهم الله، ما ثنوا أصلابهم، وآخرين سجّداً ما رفعوا رؤوسهم حتى ينفخ في الصور، [فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم][3]، فيقولون جميعاً: سبحانك وبحمدك، ما عبدناك حقّ عبادتك، وحق ما ينبغي لك أن تعبد. والذي نفسي بيده، إن جهنم لتقرب يوم القيامة، لها زفيرٌ وشهيق، حتى إذا دنتْ وقربت زفرتْ زفرةً، فلم يبق مما خلق الله من نبي ولا شهيد إلا جثا على ركبتيه ساقطاً على وجهه، يقول كل نبي وكل صديق وكل شهيد: يا رب، لا أسألك إلا نفسي. حتى ينسى إبراهيم إسماعيل وإسحاق، فيقول: يا رب، أنا خليلك إبراهيم.

فلو كان لك يابن الخطاب يومئذ عملُ سبعين نبياً، لظننت أنك لا تنجو، فبكى القوم حتى شجوا، فلما رأى عمر ـ رضي الله عنه ـ ذلك قال: يا كعب، بشِّرنا. فقال:

---

(١) في (م): يصدع.
(٢) رواه أحمد (٤/١٨٧ ـ ١٨٨)، وذكره ابن كثير في النهاية (٢/٢٩٨ ـ ٣٠١).
(٣) من (م).

أبشروا، فإن لله تعالى ثلاثمئة وثلاث عشرة شريعة، لا يأتي العبدُ يوم القيامة بواحدة منهن، مع كلمة الإخلاص، إلا أدخله الله الجنة، والله لو تعلمون كُنه رحمة الله تعالى لأبطأتم في العمل.

[ثم قال الفقيه:][1] يا أخي استعد لمثل هذا اليوم بالأعمال الصالحة، والاجتناب عن المعاصي، فإنك عن قريب تعاين يوم القيامة، وتندم على ما فات من عمرك، واعلم أنك إذا متّ، فقد قامتْ قيامتُك. كما قال المغيرة بن شعبة: إنكم تقولون القيامة، إنما قيامة أحدكم موته.

وذكر عن علقمة بن قيس، أنه كان في جنازة رجل، فقام على القبر، فلما دفن، قال: أما هذا فقد قامت قيامته.

وإنما قال ذلك، لأن الإنسان إذا مات، فقد عاين أمره يوم القيامة؛ لأنه يرى الجنة والنار والملائكة، ولا يقدر على عمل، فصار بمنزلة من حضر يوم القيامة، فختم على عمله بالموت، فيقوم يوم القيامة على ما مات عليه. فطوبى لمن كانت خاتمته بخير.

قال أبو بكر الواسطي: الدول ثلاث: دولة الحياة، ودولة عند الموت، ودولة يوم القيامة. فأما دولة الحياة؛ بأن يعيش في طاعة الله تعالى. ودولته عند الموت: بأن تخرج روحه مع شهادة أن لا إله إلا الله. وأما دولة النشر فحين يخرج من قبره؛ يأتيه البشير بالجنة.

وذكر عن يحيى[2] بن معاذ الرازي ـ رحمه الله ـ أنه قرئ في مجلسه هذه الآية **﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾** أي رُكْباناً **﴿وَنَسُوقُ المجْرِمينَ إلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾** [مريم ٨٥ ـ ٨٦] يعني مشاة عطاشاً. فقال: أيها الناس مهلاً مهلاً، غداً تحشرون إلى الموقف حشراً حشراً، وتوقفون بين يدي الله فرداً فرداً، وتسألون عما فعلتم حرفاً حرفاً، ويُقاد الأولياء إلى الرحمن وفداً وفداً، ويَرِد العاصون إلى عذاب الله[3] ورداً ورداً، ويدخلون جهنم حزباً حزباً، وكل هذا **﴿إذا دُكّتِ الأرضُ دكّاً دكّاً * وجاء ربُّك والملكُ صَفّاً صَفّاً﴾** [الفجر: ٢١ ـ ٢٢]، ويجاء بجهنم يومئذ ويلاً ويلاً.

---

(١) من (م). (٢) في (م): عمر.
(٣) في الأصل: جهنم.

إخواني: الويل لكم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، يوم الرجفة[1]، يوم الآزفة، يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، فذلك يوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين، وهو يوم المنافسة، ويوم المحاسبة، ويوم الموازنة، ويوم المساءلة، ويوم الزلزلة، ويوم الصيحة، [ويوم الحاقة، ويوم القارعة][2]، ويوم النشور، و﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠] ويوم التغابن، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُم﴾ [الزلزلة: ٦] و﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] و﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً﴾ [الدخان: ٤١] و﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِي عَنْهُم كَيْدُهُم شَيْئاً﴾ [الطور: ٤٦] و﴿يَوْماً لاَ يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً﴾ [لقمان: ٣٣]و﴿يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ [الإنسان: ٧] يعني منتشراً فاشياً و﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢] و﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] و﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

قال مقاتل بن سليمان[3]: يقف[4] الخلق يوم القيامة مئة سنة في العرق ملجمون، ومئة سنة في الظلمة متحيرون، ومئة سنة يموج بعضهم في بعض، عند ربهم يختصمون.

ويقال: إن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، وإنه ليمضي على المؤمن المخلص كما تمضي عليه ساعة واحدة.

فعليك أيها العاقل بأن تصبر على شدائد الدنيا في طاعة الله تعالى؛ لتسهل عليك الشدائد يوم القيامة. والله الموفق.

* * *

---

(١) في (م): الرادفة. (٢) ساقط من (م).
(٣) هو مُقاتِل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن: من أعلام المفسّرين، أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدّث بها. كان متروك الحديث. له: «التفسير الكبير»، و«متشابه القرآن» و«الناسخ والمنسوخ» وغير ذلك. توفي بالبصرة سنة (١٥٠هـ). (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧٩) و(ميزان الاعتدال ٣/ ١٩٦).
(٤) من (ط).

باب صفة النار وأهلها

٥٢ ـ قال الفقيه أبو الليث ـ رحمه الله ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا محمد بن عقيل الكندي، حدثنا العباس الدوري، حدثنا يحيى بن أبي بكير، قال: أنبأنا شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أُوقد على النار ألف سنة حتى احمرّتْ، ثم أُوقد عليها ألف سنة أخرى حتى ابيضَّتْ، ثم أُوقد عليها ألف سنة حتى اسودّتْ، فهي سوداءُ كالليل المظلم»[1].

وروي عن يزيد بن مرشد أنه كان لا تنقطع دموع عينيه، ولا يزال باكياً، فَسُئل عن ذلك فقال: لو أنّ الله تعالى أوعدني بأني لو أذنبتُ ذنباً لحبسني في الحمام أبداً، لكان حقاً علي أن لا تنقطعَ دموعي، فكيف، وقد أوعدني أن يحبسني في نار قد أوقدَ عليها ثلاثةُ آلاف سنة؟.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، أنبأنا إبراهيم بن يوسف، أنبأنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد ـ رضي الله عنهم ـ قال: إن لجهنم جباباً فيها حيات كأمثال أعناق البُخت، وعقارب كأمثال البغال الدُّهْم[2]، فيهرب أهل النار من النار إلى تلك الحيات، فتأخذ [تلك الحيات][3] بشفافهن، فيكشطن ما بين الشعر إلى الظفر، فما ينجيهم منها إلا الهرب إلى النار.

٥٣ ـ وروي عن عبدالله بن جبير[4]، عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «إن في

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٩١) في صفة جهنم، باب (٨)، وقال: حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح، ولا أعلمُ أحداً رَفَعَهُ غير يحيى بن أبي بُكير، عن شريك، وابن ماجه (٤٣٢٠) في الزهد، باب: صفة النار، وابن أبي شيبة (١٣/١٦٧)، والبيهقي في البعث والنشور رقم (٥٠٥).

(٢) «الدّهم»: السُّود. (٣) من (م). (٤) في (م): عمر.

النار حيات مثل أعناق الإبل، تلسع أحدهم لسعة يجد حمتها أربعين خريفاً، [وإن في النار لعقارب كأمثال البغال، تلسع أحدهم لسعة يجد حمتها أربعين خريفاً][(1)]»[(2)].

٥٤ ـ وروي عن الأعمش، عن يزيد بن وهب، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من تلك النار، ولولا أنها ضربت في البحر مرتين لما انتفعتم منها بشيء»[(3)].

وقال مجاهد: إن ناركم هذه تتعوّذ من نار جهنم.

٥٥ ـ وقال النبي ـ ﷺ ـ: «إن أهونَ أهل النار عذاباً لرجل في رجليه نعلان من نار، يغلي منهما دماغه، كأنه مرجلٌ، مسامعه جمر، وأضراسه جمر، وأشفاره لهب النار، وتخرج أحشاء بطنه من قدميه، إنه ليرى أنه أشد أهل النار عذاباً، وإنه من أهون أهل النار عذاباً»[(4)].

قال: حدثنا محمد بن الفضل، أنبأنا محمد بن جعفر الكرابيسي، أنبأنا إبراهيم بن يوسف، أنبأنا أبو حفص،عن سعيد، عن قتادة، عن أبي أيوب الأزدي، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهم ـ قال: إن أهل النار يدعون مالكاً، فلا يردّ عليهم جواباً أربعين عاماً، ثم يردّ عليهم ﴿**إنكم ماكثون**﴾ [الزخرف: ٧٧] يعني دائمون أبداً، ثم يدعون ربهم: ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْها، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠٧] فلا يجيبهم مقدار ما كانت الدنيا مرتين، ثم يردّ عليهم: ﴿**ٱخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ**﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

قال: فوالله ما ينطق القوم بعدها بكلمة، وما كان بعد ذلك إلا الزفير والشهيق في النار، تشبه أصواتهم أصوات الحمير، أوله زفير، وآخره شهيق.

---

(١) من (م) و(ط).

(٢) رواه أحمد (٤/١٩١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٩٠): رواه أحمد والطبراني، وفيه جماعة قد وثقوا. وابن حبان (٩/٢٧٨)، والحاكم (٤/٥٩٣)، والبيهقي في البعث والنشور رقم (٥٦) من حديث عبدالله بن الحارث بن جزء.

(٣) رواه البيهقي في البعث والنشور (٤٩٩)، وفي الشعب (١٤٥)، وابن رجب في التخويف من النار (ص ٩٤) موقوفاً. وكذا ابن جرير في تفسيره (١٤/٢١)، والسيوطي في (البدور السافرة ص٣٢٣) وعزاه لهناد والبيهقي.

(٤) رواه مسلم (٢١٣) «٣٦٤» بنحوه من حديث النعمان بن بشير، في الإيمان، باب: أهون أهل النار عذاباً. «المرجل»: قِدْر، سواء كان من حديد أو نحاس أو حجارة أو خزف.

قال قتادة: يا قوم، هل لكم من هذا بُدٌّ؟ أم لكم على هذا صبر؟ يا قوم طاعةُ الله أهونُ عليكم فأطيعوه.

ويقال: إن أهل النار يجزعون ألف سنة، ثم يقولون: كنا في الدنيا إذا صبرنا كان لنا الفَرَجُ، فيصبرون ألف سنة، فلا يخفف عنهم، فيقولون: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ**﴾ [إبراهيم: ٢١](١)، فيدعون الله تعالى الغيث ألف سنة، لما بهم من العطش، وشدة العذاب، لكي يزولَ عنهم بعضُ الحرارة والعطش، فإذا تضرّعوا ألف سنة، يقول الله تعالى لجبريل: أيّ شيء يطلبون؟ فيقول جبريل: يا رب، أنت أعلمُ بهم، إنهم يسألونَ الغيث، فتظهر لهم سحابة حمراء، فظنوا أنهم يمطرون، فترسل عليهم العقارب كأمثال البغال، فتلدغ الواحد منهم، فلا يذهب عنه الوجعُ ألف سنة، ثم يسألونَ الله تعالى ألف سنة، أن يرزقهم الغيث، فتظهر لهم سحابة سوداء. فقالوا: هذه سحابة المطر، فترسل عليهم الحيات كأعناق الإبل، كلما لسعت لسعة، لا يذهب وجعها ألف سنة.

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**زِدْنَاهُم عَذَاباً فَوْقَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفسِدُونَ**﴾ [النحل: ٨٨] يعني بما كانوا يكفرون ويعصون الله تعالى.

فمن أراد أن ينجوَ من عذاب الله تعالى، وينالَ ثوابه، فعليه أن يصبرَ على شدائد الدنيا في طاعة الله تعالى، ويجتنب المعاصي، وشهوات الدنيا(٢)، فإن ٥٦ ـ «الجنة قد حفت بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»(٣) كما جاء في الخبر.

٥٧ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: أنبأنا محمد بن الفضل، أنبأنا محمد بن جعفر، أنبأنا إبراهيم بن يوسف، أنبأنا إسماعيل بن جعفر، أنبأنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن عبدالرحمن، عن أبي هريرة، أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «دعا الله ـ عز وجل ـ جبريل، فأرسله إلى الجنة، فقال: انظر إليها، وما أعددت لأهلها فيها، فرجع وقال: وعزّتك، لا يسمع بها أحدٌ إلا دخلها. فحفّت بالمكاره، فقال: ارجع إليها، وانظر إليها، فرجع وقال: وعزّتك، لقد خشيتُ أن لا يدخلها أحد. ثم أرسله إلى النار، فقال: انظر إليها، وما أعددت لأهلها فيها. فرجع إليه، فقال: وعزّتك لا يدخلها أحد

---

(١) «محيص»: منجى ومهرب. (٢) زاد في (م): حتى ينجو من عذاب الله تعالى.

(٣) رواه البخاري (٦٤٨٧) في الرقاق، باب: حجبت النار بالشهوات، ومسلم (٢٨٢٢) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

سمع بها. فحفّت بالشهوات، فقال: عُدْ إليها، وانظر إليها. فرجع، وقال: وعزّتك وجلالك، لقد خشيتُ أن لا يبقى أحدُ إلا دخلها»[1].

٥٨ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «اذكروا من النار ما شئتم، فلا تذكرون منها شيئاً إلا وهي أشد منه».

قال: حدثنا أبي، قال: أنبأنا العباس بن الفضل المروزي، قال: أنبأنا موسى بن نصر، عن محمد بن زياد، عن ميمون بن مهران أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وإنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣] وضع سلمان يده على رأسه، وخرج هارباً ثلاثة أيام، لا يقدر عليه؛ حتى جيء به.

٥٩ ـ وروى يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، قال: جاء جبريل إلى النبي ـ ﷺ ـ في ساعة ما كان يأتيه فيها، متغيّر اللون، فقال له النبي ـ ﷺ ـ: «مالي أراك متغير اللون؟» فقال: يا محمد، جئتك في الساعة التي أمر اللَّهُ بمنافخ النار، أن تنفخَ فيها، ولا ينبغي لمن يعلم أنّ جهنم حقّ، [وأنّ النّار حقّ][2]، وأن عذابَ القبر حقّ، وأن عذابَ الله أكبر، أن تقرّ عينه، حتى يأمنها، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «يا جبريل، صف لي جهنم». قال: نعم، إن الله تعالى لما خلق جهنم أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت، فهي سوداءُ مظلمة، لا ينطفىء لهبها ولا جمرها.

والذي بعثك بالحق، لو أنّ مثل خرم إبرة فتح منها لاحترق أهل الدنيا عن آخرهم من حرّها.

والذي بعثك بالحق لو أنّ ثوباً من أثواب أهل النار علّق بين السماء والأرض؛ لمات جميع أهل الأرض من نتنها وحرّها.

والذي بعثك بالحق نبياً، لو أنّ ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله تعالى في كتابه[3] وضع على جبل لذاب حتى يبلغَ الأرض السابعة، والذي بعثك بالحق نبياً لو أنّ رجلاً بالمغرب يعذب، لاحترق الذي بالمشرق من شدّة عذابها: حرّها شديد،

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٦٠) في صفة الجنة، باب (٢١)، وقال: حسن صحيح، والنسائي (٧/٣)، وأحمد (٢/٣٣٢)، والحاكم (١/٢٦ ـ ٢٧).

(٢) ساقط من (م). (٣) يعني قوله عز وجل: ﴿ثم في سِلْسِلة ذَرْعُها سبعون ذِراعاً فاسلكوه﴾ [الحاقة: ٣٢].

وقعرها بعيد، وحليها حديد، وشرابها الحميم والصديد، وثيابها مقطعات النيران، لها سبعة أبواب، لكل باب منهم جزء مقسوم من الرجال والنساء.

فقال ﷺ: «أهي كأبوابنا هذه؟» قال: لا، ولكنها مفتوحة، بعضها أسفل من بعض، من باب إلى باب، مسيرة سبعين سنة، كل باب منها أشدّ حرّاً من الذي يليه سبعين ضعفاً، يساق أعداء الله إليها، فإذا انتهوا إلى أبوابها، استقبلتهم الزبانية بالأغلال والسلاسل، فتسلك السلسلة في فمه، وتخرج مِن دُبره، وتغل يده اليسرى إلى عنقه، وتدخل يده اليمنى في فؤاده، وتنزع من بين كتفيه، وتشد بالسلاسل، ويقرن كلّ آدمي مع شيطان في سلسلة، ويسحب على وجهه، وتضربه الملائكة بمقامع من حديد، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا من غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢].

فقال النبي ـ ﷺ ـ: «مَن سُكّان هذه الأبواب؟» قال: أما الباب الأسفل، ففيه المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون، واسمه الهاوية. والباب الثاني فيه المشركون، واسمه الجحيم. والباب الثالث فيه الصابئون، واسمه سقر، والباب الرابع فيه إبليس ومن تبعه والمجوس، واسمه لظى. والباب الخامس فيه اليهود، واسمه الحطمة. والباب السادس فيه النصارى، واسمه السعير.

ثم أمسك جبريل حياءً من رسول الله ـ ﷺ ـ فقال عليه الصلاة والسلام: «ألا تخبرني مَن سكان الباب السابع؟» قال: يا محمد لا تسألني عنه، فقال: «بلى يا جبريل أخبرني من سكان الباب السابع»؟ فقال: فيه أهل الكبائر من أمتك، الذين ماتوا ولم يتوبوا. فخرّ النبي ـ ﷺ ـ مغشياً عليه، فوضع جبريل رأسه على حجره حتى أفاق.

فلما أفاق قال: «يا جبريل عظمت مصيبتي، واشتدّ حزني، أو يدخل أحدٌ من أمتي النار؟» قال: نعم، أهل الكبائر من أمتك. ثم بكى رسول الله ـ ﷺ ـ، وبكى جبريل، ودخل رسول الله ـ ﷺ ـ منزله، واحتجب عن الناس، فكان لا يخرج إلا إلى الصلاة، يصلّي ويدخل، ولا يكلّم أحداً، ويأخذ في الصلاة ويبكي، ويتضرّع إلى الله تعالى.

فلما كان من اليوم الثالث، أقبل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ حتى وقف بالباب، وقال: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة، هل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ من سبيل؟ فلم يجبْ أحد، فتنحّى باكياً، فأقبل عمر ـ رضي الله عنه ـ فصنع مثل ذلك، فلم يجبه

أحد، فتنحى وهو يبكي[1]، فأقبل سلمان الفارسي حتى وقف بالباب، وقال: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة، هل إلى رسول الله - ﷺ - من سبيل؟ فلم يجبه أحد، فأقبل يبكي مرة، ويقع مرة، ويقوم أخرى، حتى أتى بيت فاطمة، ووقف بالباب، ثم قال: السلام عليك يابنة رسول الله - ﷺ -. وكان علي - رضي الله عنه - غائباً، فقال سلمان: يابنة رسول الله، إنَّ رسولَ الله - ﷺ - قد احتجب عن الناس، فليس يخرجُ إلا إلى الصلاة، فلا يكلّم أحداً، ولا يأذن لأحدٍ في الدخول عليه[2]، فاشتملت فاطمة بعباءة قطوانية، وأقبلتْ حتى وقفتْ على باب رسول الله - ﷺ -، ثم سلمت، وقالت: يا رسول الله، أنا فاطمة حجبتُ عن الدخول، ورسول الله ساجد يبكي، فرفع رأسه وقال: «ما بال قرّة عيني فاطمة حجبت عني؟! افتحوا لها الباب»، ففتح لها الباب، فدخلت، فلما نظرتْ إلى رسول الله - ﷺ - بكتْ بكاءً شديداً لما رأت من حاله، مصفرّاً متغيراً لونه، قد ذاب لحمُ وجهه من البكاء والحزن، فقالت: يا رسول الله، ما الذي نزل بك؟ فقال: «يا فاطمة، جاء جبريل، ووصف لي أبوابَ جهنم، وأخبرني أنّ في أعلى بابها أهل البكائر من أمتي، فذلك الذي أبكاني وأحزنني».

قالت: يا رسول الله [لو لم تسأله،][3]كيف يدخلونها؟ قال: «بلى، تسوقهم الملائكة إلى النار، ولا تسودّ وجوههم، ولا تزرق أعينهم، ولا يختم على أفواههم، ولا يقرنون مع الشياطين، ولا يوضع عليهم السلاسل والأغلال».

قالت: قلت يا رسول الله، كيف تقودهم الملائكة؟ فقال: «أما الرجال، فباللحى، وأما النساء فبالذوائب والنواصي، فكم من ذي شيبة من أمتي يقبض على لحيته، ويُقاد إلى النار، وهو ينادي: وا شيبتاه، وا ضعفاه. وكم من شاب قد قبض على لحيته[4]يساق إلى النار، وهو ينادي: واشباباه، وا حُسْن صورتاه. وكم من امرأة من أمتي قد قبض على ناصيتها تُقاد إلى النار، وهي تنادي: وا فضيحتاه، وا هتك ستراه. حتى يُنتهى بهم إلى مالك، فإذا نظر إليهم مالك، قال للملائكة: من هؤلاء؟ فما ورد عليّ قوم من الأشقياء أعجب شأناً من هؤلاء، لم تسودّ وجوههم، ولم تزرق أعينهم، ولم يختمْ على أفواههم، ولم يقرنوا مع الشياطين، ولم توضع السلاسل والأغلال في أعناقهم.

---

(١) في الأصل: وكذلك عثمان وعلي كل غائباً. ولا داعي لهذه العبارة بدليل ما سيأتي. (٢) من (م).
(٣) من (م). (٤) في(م): ناصيته.

فتقول الملائكة: هكذا أمرنا أن نأتيك بهم على هذه الحالة. فيقول لهم مالك: يا معشر الأشقياء، من أنتم؟ وفي خبر آخر: لما قادتهم الملائكة ينادون: وامحمداه فلما رأوا مالكاً، نسوا اسم محمد ـ ﷺ ـ من هيبته، فيقول لهم مالك: من أنتم؟ فيقولون: نحن ممن أنزل علينا القرآن، ونحن ممن يصوم رمضان.

فيقول مالك: ما أنزل القرآن إلا على أمة محمد ﷺ. فإذا سمعوا اسم محمد، صاحوا وقالوا: نحن من أمة محمد ﷺ، فيقول لهم مالك: أما كان لكم في القرآن زاجر عن معاصي الله تعالى؟

فإذا وقف بهم على شفير جهنم، ونظروا إلى النار، وإلى الزبانية، قالوا: يا مالك: ائذن لنا، فنبكي على أنفسنا. فيأذن لهم، فيبكون الدموع، حتى لم يبقَ لهم دموع، فيبكون الدم.

فيقول مالك: ما أحسن هذا البكاء، لو كان في الدنيا، فلو كان هذا البكاء في الدنيا من خشية الله، ما مسّتكم النّارُ اليوم. ثم يقول مالك للزبانية: ألقوهم. فإذا أُلقوا في النار، نادوا بأجمعهم: لا إله إلا الله، فترجع النّارُ عنهم، فيقول مالك: يا نار خذيهم، فتقول: كيف آخذهم، وهم يقولون: لا إله إلا الله؟

فيقول مالك: نعم، بذلك أمر رب العرش، فتأخذهم. فمنهم من تأخذه إلى قدميه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم من تأخذه إلى حَلْقه، فإذا أهوت النارُ إلى وجهه، قال مالك: لا تحرقي وجوههم، فطالما سجدوا للرحمٰن في الدنيا، ولا تحرقي قلوبهم، فطالما عطِّشوا في شهر رمضان، فيبقون ما شاء الله فيها. ويقولون: يا أرحم الراحمين، يا حنان، يا منان.

فإذا أنفذ الله تعالى حكمه، قال: يا جبريل، ما فعل العاصون من أمة محمد ﷺ؟ فيقول: اللهم أنت أعلم بهم. فيقول: انطلق، فانظر ما حالهم، فينطلق جبريل عليه السلام إلى مالك، وهو على منبرٍ مِن نار في وسط جهنم، فإذا نظر مالك إلى جبريل ـ عليه السلام ـ قام تعظيماً له. فيقول: يا جبريل، ما أدخلك هذا الموضع؟.

فيقول: ما فعلت بالعصابة العاصية من أمة محمد؟ فيقول مالك: ما أسوأ حالهم، وأضيق مكانهم! قد أُحْرِقَتْ أجسامهم، وأُكِلَتْ لحومُهم، وبقيت وجوههم وقلوبهم يتلألأ فيها الإيمان.

فيقول جبريل: ارفعِ الطَّبقَ عنهم، حتى أنظر إليهم. قال: فيأمر مالك الخزنة، فيرفعون الطّبق عنهم، فإذا نظروا إلى جبريل، وإلى حُسْن خلقه، علموا أنه ليس من ملائكة العذاب. فيقولون: مَن هذا العبد الذي لم نر أحداً قطّ أحسن منه؟

فيقول مالك: هذا جبريل، الكريم على ربه، الذي كان يأتي محمداً - ﷺ - بالوحي، فإذا سمعوا ذكر محمد - ﷺ - صاحوا بأجمعهم، وقالوا: يا جبريل، أقرىء محمداً - ﷺ - منا السلام، وأخبره أن معاصينا فرّقت بيننا وبينك، وأخبره بسوء حالنا، فينطلق جبريل، حتى يقوم بين يدي الله تعالى، فيقول الله تعالى: كيف رأيت أمة محمد؟

فيقول: يا رب، ما أسوأ حالهم، وأضيق مكانهم! فيقول الله تعالى: هل سألوك شيئاً؟

فيقول: يا رب. نعم، سألوني[1] أن أقرىء نبيهم منهم السلام، وأخبره بسوء حالهم.

فيقول الله تعالى: انطلق، وأخبره، فينطلق جبريل إلى النبي - ﷺ - وهو في خيمة من درّة بيضاء، لها أربعة آلاف باب، لكل باب مصراعان من ذهب، فيقول: يا محمد، قد جئتك من عند العصابة العصاة الذين يعذّبون من أمتك في النار، وهم يقرئونك السلام، ويقولون: ما أسوأ حالنا، وأضيق مكاننا! فيأتي النبي - ﷺ - إلى تحت العرش. فيخرّ ساجداً، ويثني على الله تعالى ثناء لم يثن عليه أحد مثله، فيقول الله تعالى: ارفعْ رأسك، وسَلْ تُعْطَ، واشفعْ تشفع.

فيقول: يا ربِّ الأشقياء من أمتي، قد أنفذتَ فيهم حكمك، وانتقمتَ منهم، فشفعني فيهم، فيقول الله تعالى: قد شفّعتُك فيهم، فائتِ النار، فأخرج منها كلّ من قال: لا إله إلا الله.

فينطلق النبي - ﷺ - فإذا نظر مالك إلى النبي ﷺ قام تعظيماً له، فيقول: يا مالك، ما حال أمتي الأشقياء؟ فيقول: ما أسوأ حالهم، وأضيق مكانهم! فيقول محمد - ﷺ -: افتح الباب، وارفع الطبق، فإذا نظر أهلُ النار إلى محمد - ﷺ - صاحوا بأجمعهم، فيقولون: يا محمد، أحرقت النارُ جلودَنا وأحرقتْ أكبادنا.

---

(١) في الأصل: سألوك.

فيخرجهم جميعاً، وقد صاروا فحماً، قد أكلتهم النار، فينطلقُ بهم إلى نهر بباب الجنة يسمى: نهر الحيوان، فيغتسلون منه، فيخرجون منه شباباً جرداً مرداً، مكحلين، وكأن وجوههم مثل القمر، مكتوب على جباههم: الجهنميون، عتقاء الرحمٰن من النار، فيدخلون الجنة.

فإذا رأى أهل النار أنّ المسلمين قد أخرجوا منها، قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين، وكنا نخرج من النار، وهو قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]»[1].

٦٠ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «يؤتى بالموت كأنه كبش أملح، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون الموت؟ فينظرون إليه، ويعرفونه، ويقال: يا أهل النار، هل تعرفون الموت؟، فينظرونه، فيعرفونه، فيذبح بين الجنة والنار. ثم يقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت»[2].

وذلك قوله تعالى: ﴿وأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩] الآية.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: لا يُغْبَطَنّ فاجر بنعمة، فإن من[3] ورائه طالباً حثيثاً، وهي جهنم ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ [الإسراء: ٩٧] والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/٣٨٧): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سلام الطويل، وهو مجمع على ضعفه. وذكره ابن كثير في النهاية (٢/٢١٧ ـ ٢١٨) وقال: قال الضياء: قال الحافظ أبو القاسم، يعني إسماعيل بن محمد بن الفضل: هذا حديث حسن وإسناده جيد. وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٤٥٧ ـ ٤٦٠)، وابن رجب في التخويف من النار (ص ٥١) وعزاه للطبراني، ثم قال: سلام الطويل: ضعيف جداً. وكلهم أوردوه من حديث عمر بن الخطاب.

(٢) رواه البخاري (٤٧٣٠) في التفسير، باب: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾، ومسلم (٢٨٤٩) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنّة يدخلها الضعفاء. من حديث أبي سعيد الخدري. «أملح»: هو الأبيض الخالص.

(٣) من (م).

باب صفة الجنة وأهلها

٦١ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا محمد بن يحيى بن الفضيل، عن حمزة الزيات صاحب القراءة، عن زياد الطائي، عن أبي طاهر الطائي، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قلنا: يا رسول الله، مم خلقت الجنة؟ قال: «من الماء». قلنا: أخبرنا عن بناء الجنة. قال: «لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، ملاطها ـ أي طينها ـ المسك الأذفر، وترابها الزعفران، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، ومن يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه» ثم قال ـ ﷺ ـ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم، فإنها ترفع فوق الغمام، فينظر الرب جل جلاله، فيقول: وعزتي وجلالي لأنصرنّك ولو بعد حين»[1].

٦٢ ـ قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام، لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم ﴿**وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾ [الواقعة: ٣٠]. وفي الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ [السجدة: ١٧] الآية، ولموضعُ سوط في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، اقرؤوا إن شئتم ﴿**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾ [آل عمران: ١٨٥]»[2].

---

(١) رواه أحمد (٢/٣٠٥). «حصباؤها»: الحصى الصغار.

(٢) روى أوله البخاري (٤٨٨١) في التفسير، باب: ﴿وظل ممدود﴾، ومسلم (٢٨٢٦) في الجنة وصفة =

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: إن في الجنة حوراء يقال لها: لعبة، ولو بزقت في البحر بزقة لعذب ماؤه، مكتوب على نحرها: من أحبّ أن يكون له مثلي؛ فليعملْ بطاعة ربي.

وقال مجاهد: أرضُ الجنة من فضة، وترابُها مسك، وأصول شجرها ذَهَبٌ وفضة، وأغصانها لؤلؤ وزبرجد، والورق والثمر تحت ذلك، فمن أكل قائماً لم يؤذه، ومن أكل جالساً لم يؤذه، ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الإنسان: ١٤] يعني قربت ثمرتها حتى ينالها القائم والقاعد والمضطجع.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: والذي أنزل الكتاب على محمد ﷺ، إن أهل الجنة ليزدادون كل يوم جمالاً وحسناً، كما يزدادون في الدنيا هرماً.

٦٣ ـ قال الفقيه: حدثنا إبراهيم بن أحمد، حدثنا الحسن بن نضر، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً، يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يُثْقِل موازيننا، ويبيض وجوهنا، وأدخلنا الجنة، وأخرجنا من النار؟».

قال: «فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالذي نفسي بيده، ما أعطاهم شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إليه»[1].

٦٤ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء جبريل إلى النبي ـ ﷺ ـ بمرآة بيضاء، فيها نكتة سوداء، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «يا جبريل ما هذه المرآة البيضاء؟»، قال: هذه الجمعة، وهذه النكتة السوداء، الساعة التي تقوم في الجمعة، قد فضلت بها أنت وقومك على من كان قبلك، فالناس لكم فيها تبع، يعني اليهود

=﴾ نعيمها وأهلها، باب: إنّ في الجنة شجرة.. وروى وسطه البخاري (٧٤٩٨) في التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدّلوا كلام الله﴾، ومسلم (٢٨٢٤) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، أول الكتاب. وروى آخره البخاري (٣٢٥٠) في بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، من حديث سهل بن سعد.

(١) رواه مسلم (١٨١) في الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى.

والنصارى، وفيها ساعةٌ لا يوافقها مؤمنٌ يسألُ الله تعالى شيئاً من خير إلا استجابَ الله له، ولا يستعيذُ من شرّ إلا أعاذه منه، قال: وهي عندي يوم المزيد.

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «وما يوم المزيد؟» قال: إن ربك اتخذ وادياً في الفردوس فيه كُثُب من مسك، فإذا كان يوم الجمعة، حفّت بمنابر من نور عليها النبيون، وحفت منابر النور بمنابر من ذهب، مُكلّلة بالياقوت والزبرجد، عليها الصديقون والشهداء والصالحون، وينزل أهل القرآن من الغرف، فيجلسون من ورائهم على تلك الكُثُب، فيجتمعون إلى ربهم، فيمدحونه ويحمدونه، ويثنون عليه، فيقول الله تعالى لهم: سلوني. فيقولون: نسألك الرضا. فيقول: رضيتُ عنكم رضاء أحلّكم داري وأنالكم كرامتي، فيتجلى لهم حتى يروه. فليس يوم أحبّ إليهم من يوم الجمعة لما يزيدهم من الكرامة[1].

٦٥ ـ وروي في خبر آخر: «إن الله تعالى يقول لملائكته: أطعموا أوليائي، فيؤتى بألوان الأطعمة فيجدون لكل لقمة لذة غير ما يجدون للأخرى، فإذا فرغوا من الطعام، يقول الله تعالى: اسقوا عبادي، فيؤتى بأشربة، فيجدون لكل شربة لذة بخلاف الأخرى. فإذا فرغوا يقول الله تعالى لهم: أنا ربكم، قد صدَقتكم وعدي، فاسألوني أعطكم، قالوا: ربنا نسألكَ رضوانك، مرتين أو ثلاثاً، فيقول تعالى: رضيتُ عنكم، ولديّ المزيد. اليوم أكرمكم بكرامة أعظم من ذلك كلّه، فيكشف الحجاب، فينظرون إليه ما شاء الله، فيخرّون له سجداً، فكانوا في السجود ما شاء الله، ثم يقول لهم: ارفعوا رؤوسكم، ليس هذا موضع عبادة، فينسون كل نعمة كانوا فيها، ويكون النظر إليه أحب إليهم من جميع النعم، ثم يرجعون، فتهيج ريحٌ من تحت العرش، على تلّ من مسك أبيض، فينثر ذلك على رؤوسهم، ونواصي خيولهم، فإذا رجعوا إلى أهليهم تراهم أزواجهم في الحسن والبهاء أفضل مما تركوهن، فيقول لهم أزواجهم: إنكم قد رجعتم على أحسن ما كنتم».

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: معنى يرفع الحجاب يعني الحجاب الذي عليهم، وهو الستر الذي يحجبهم من النظر إليه تعالى، وأما قوله: ينظرون إليه. فقال بعضهم: ينظرون إلى كرامة لم يروها قبل ذلك. وقال أكثر أهل العلم: هو على

(١) رواه الشافعي في مسنده (١/ ١٢٦ ـ ١٢٧)، وذكره ابن كثير في النهاية (٢/ ٤٨١)، وابن القيم في حادي الأرواح (ص ٣٨٠)، والسيوطي في اللمعة في خصائص الجمعة رقم (١١٣).

ظاهره، يرونه بغير كيف، ولا تشبيه، كما يعرفونه في الدنيا بلا تشبيه.

وقال عكرمة: أهل الجنة كأمثال أولاد ثلاث وثلاثين سنة، رجالهم ونساؤهم، والقامة ستون ذراعاً، على قامة أبيهم آدم عليه السلام، شباب جرد مرد، مكحولون، عليهم سبعون حلّة، تتلون كلّ حلّة في كل ساعة سبعين لوناً، فيرى وجهه في وجهها، يعني في وجه زوجته، وفي صدرها، وفي ساقها. وترى هي وجهها في وجهه وصدره وساقه، لا ينزفون، ولا يتمخطون، وما كان فوق ذلك من الأذى، فهو أبعد[1].

٦٦ ـ وروي في الخبر: «أنه لو أطلعت امرأة من أهل الجنة كفّها من السماء، لأضاءت ما بين السماء والأرض»[2].

٦٦/م ـ قال الفقيه: حدثنا الحكيم أبو الفضل الحدادي، حدثنا محمد بن يحيى المروزي، حدثنا محمد بن نافع النيسابوري، حدثنا مصعب بن كرام، حدثنا داود الطائي، عن الأعمش، عن ثمامة بن عقبة، عن زيد بن أرقم، قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: يا أبا القاسم، أتزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ فقال: «نعم، والذي نفس محمد بيده، إنّ أحدَهم ليعطى قوة مئة رجل في الأكل، والشرب، والجماع». قال: فإن الذي يأكل ويشرب يكون له حاجة، والجنة طيبة ليس فيها أذى، قال: «حاجة أحدهم؛ عرق هو كريح المسك»[3].

قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي الأشرس، عن معتب[4] بن سمي، في قوله تعالى: ﴿**طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾ [الرعد: ٢٩]، قال: طوبى شجرة في الجنة، ليس في الجنة دار إلا يظلهم غصن من أغصانها، فيها من ألوان الثمار، ويقع عليها طير كأمثال البخت، فإذا اشتهى أحدهم

---

(١) انظر في هذا المعنى أحاديث كثيرة رواها الترمذي (٢٥٤٥)، وأحمد (٢/ ٢٩٥، ٣٤٣)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١٤٠)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٥٦)، ومجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩)، وحادي الأرواح (٢١٦ ـ ٢١٧).

(٢) رواه أبو نعيم في صفة الجنة رقم (٥٧) بلفظ: «لو أنّ أقلّ ظفر من الجنة برز للدنيا لتزخرفت له ما بين السماء والأرض» من حديث سعد بن أبي وقاص، وانظر حادي الأرواح (ص ٣٩٦).

(٣) رواه الدارمي (٢/ ٣٣٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ١٠٨ ـ ١٠٩)، وابن المبارك في الزهد (ص ٥١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤١٦): رواه الطبراني في الأوسط وفي الكبير بنحوه وأحمد، ورواه البزار، ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح؛ غير ثمامة بن عقبة، وهو ثقة. وذكره ابن القيم في حادي الأرواح (ص ٢٦٨) وعزاه للحاكم.

(٤) في (م): مصعب.

طيراً دعاه، فوقع على خوانه، فيأكل من أحد جوانبه قديداً، ومن الآخر شواء، ثم يعود طيراً فيذهب.

٦٧ ـ وروى الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على صورة أشدّ نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك على منازل، لا يبولون ولا يتغوّطون ولا يبزقون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ومجامرهم الألُوّة، ورشحهم المسك، وأخلاقهم على خلق رجل واحد على طول آدم عليه السلام ستون ذراعاً»[1].

٦٨ ـ وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن أهل الجنة شبان جُرد مُرد، ليس لهم شعر إلا في الرأس والحاجبين وأهداب العينين، يعني ليس لهم شعر عانة ولا إبط. على طول آدم، ستون ذراعاً. وعلى مولد عيسى ابن مريم، ثلاثة وثلاثين سنة، بيض الألوان[2]، خضر الثياب، يضع أحدُهم مائدة بين يديه، فيقبل طائر؛ فيقول: يا ولي الله، أما إني قد شربتُ من عين السلسبيل، ورعيتُ مِن رياض الجنة تحت العرش، وأكلتُ من ثمار كذا، طعم أحد الجانبين مطبوخ، وطعم الجانب الآخر مشوي، فيأكل منها ما شاء الله. وعلى الولي سبعون حلة، ليس فيها حلة على لون آخر، في أصابعهم عشرة خواتيم؛ مكتوب على الأول **﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾** [الرعد: ٢٤] ومكتوب في الثاني: **﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾** [الحجر: ٤٦] وفي الثالث: **﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [الزخرف: ٧٢] وفي الرابع: رفعت عنكم الأحزان والهموم. وفي الخامس: ألبسناكم الحلي والحلل. وفي السادس: زوّجناكم الحور العين. وفي السابع: **﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [الزخرف: ٧١] وفي الثامن: رافقتم النبيين والصديقين. وفي التاسع: صرتم شباناً لا تهرمون. وفي العاشر: سكنتم في جوار من لا يؤذي الجيران»[3].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٢٧) في أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته، ومسلم (٢٨٣٤) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر. «الألوة»: هو العود الذي يتبخّر به (العود الهندي). «رشحهم»: عَرَقهم.

(٢) في (م): الوجوه.

(٣) رواه ابن أبي داود في البعث (٦٤) بنحوه، وأبو نعيم في الحلية (٣/٥٦)، وصفة الجنة (٢/١٠٤)، =

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: من أراد أن ينال هذه الكرامات، فعليه أن يداوم على خمسة أشياء:

الأول: أن يمنعَ نفسه من جميع المعاصي. قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

والثاني: أن يرضى باليسير مِنَ الدُّنيا، لأنه روي في الخبر: أن ثمن الجنة ترك الدنيا[1].

والثالث: أن يكون حريصاً على الطاعات، فيتعلق بكل طاعة، لعل تلك الطاعة تكون سبباً للمغفرة، ووجوب الجنة، قال الله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الزخرف: ٧٢] وفي آية أخرى: ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأحقاف: ١٤] وإنما ينالون ما ينالون بالاجتهاد في الطاعات.

والرابع: أن يحبّ الصالحين وأهلَ الخير، ويخالطهم ويجالسهم، فإنّ واحداً منهم إذا غفر له يشفع لأصحابه وإخوانه. كما روي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أكثروا من الإخوان، فإن لكل أخ شفاعة يوم القيامة»[2].

والخامس: أن يكثرَ الدّعاء، ويسأل الله تعالى أن يرزقه الجنة، وأن يجعل خاتمته إلى خير.

وقال بعض الحكماء: الركون إلى الدنيا مع ما يعاين من الثواب جهل، وإنّ ترك الجهد في الأعمال بعدما عرف ثوابه عجز، وإنّ في الجنة راحة ما يجدها إلا من لم يكن له في الدنيا راحة، وفيها غنى لا يجده إلا من ترك فضول الدنيا، واقتصر على اليسير من الدنيا.

وذكر عن بعض الزهاد أنه كان يأكل بقلاً وملحاً من غير خبز، فقال له رجل:

= والطبراني في الصغير (٢/ ١٤٠)، وانظر: (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) من حديث أنس بن مالك.

(١) هذا الخبر من قول يحيى بن معاذ الرازي؛ كما سيرد بعد قليل.

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (٨٤٥٠) من حديث أنس بلفظ: «يا أنس أكثر من الأصدقاء فإنهم شفعاء بعضهم في بعض»، وفيه محمد بن النضر الموصلي لم يكن ثقة. وذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣١٤) وعزاه للحاكم بلفظ: «أكثروا من المعارف؛ فإنّ لكل مؤمن شفاعة عند الله يوم القيامة»، وفيه أصرم بن حوشب، وهو هالك، منكر الحديث. قال يحيى: كذّاب خبيث. (ميزان الاعتدال ١/ ٢٧٢).

اقتصرت على هذا! فقال: لأني جعلتُ الدنيا للجنّة، وأنتَ جعلتَ الدنيا للمزبلة. يعني: تأكل الطيبات، فتصير إلى المزبلة، وإنّي لآكلُ لإقامة الطاعة، لعلّي أصير إلى الجنة.

وذكر عن إبراهيم بن أدهم، رحمه الله تعالى، أنه أراد أن يدخلَ الحمام، فمنعه صاحبُ الحمام، وقال: لا تدخل إلا بالأجرة. فبكى إبراهيم، وقال: اللهم لا يؤذن لي أن أدخلَ بيت الشياطين مجاناً، فكيف لي بالدخول بيت النبيين والصديقين مجاناً!.

وذكر أن في بعض ما أنزل الله على بعض أنبيائه عليهم السلام: يا بن آدم تشتري النار بثمن غال، ولا تشتري الجنة بثمن رخيص!

وتفسير ذلك: أن فاسقاً لو أرادَ أن يتّخذ ضيافةً للفساق، فربما ينفق فيها المئة أو المئتين، فهو يشتري النار بثمن غالٍ، ولو أنه اتخذ ضيافةً لأجل الله تعالى بدرهم أو درهمين، فيدعو إليها بعض المحتاجين، فيكون ذلك ثمن الجنة.

وروي عن أبي حازم أنه قال: لو كانت الجنةُ لا يدخلها أحدٌ إلا بترك جميع ما يحبّ من الدنيا، لكان يسيراً في جانبها، ولو كانت النارُ لا ينجو منها أحدٌ إلا بتحمّل جميع ما يكره، لكان يسيراً في جانبها. فكيف وقد تدخل الجنة بترك جزء من ألف جزء مما تحبّ، وقد تنجو من النار بتحمل جزء من ألف جزء مما تكره؟!.

قال يحيى بن معاذ الرازي: ترك الدنيا شديد، وترك الجنة أشد منه، وإنَّ مهرَ الجنة تركُ الدنيا.

٦٩ ـ وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن سأل الله تعالى الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة. ومَن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النّار: اللهم أجره من النّار»[1].

فنسأل الله تعالى أن يجيرنا من النار، وأن يدخلنا الجنة. ولو لم يكن في الجنة سوى لقاء الإخوان واجتماعهم لكان هنيئاً طيباً. فكيف وفيها ما فيها من فنون الكرامات.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٧٢) في صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة أنهار الجنة، وابن ماجه (٤٣٤٠) في الزهد، باب: صفة الجنة.

٧٠ ـ وروي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إن في الجنة أسواقاً، لا شراءَ فيها ولا بيع، يجتمعون فيها حلقاً حلقاً، يتذاكرون كيف كانت الدنيا، وكيف كانت عبادةُ الرب، وكيف كان فقراء الدنيا وأغنياؤها، وكيف كان الموت، وكيف صرنا بعد طول البلى إلى الجنة».

٧١ ـ قال الفقيه: أخبرنا الثقة بإسناده عن أسباط، عن السدي، عن مرة، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: يرد الناس جميعاً الصراط، وورودهم قيامهم حول النار، ثم يمرّون على الصراط بأعمالهم؛ فمنهم مَن يمرّ مثل البرق، ومنهم مَن يمرّ مثل الريح، ومنهم مَن يمرّ مثل الطير، ومنهم مَن يمرّ كأجود الخيل، ومنهم مَن يمرّ كأجود الإبل، ومنهم مَن يمرّ كعدو الرجل، حتى إن آخرهم رجل يمرّ على موضع إبهامي قدميه، [ومنهم من يمر](١) فيتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلّة، حدّه كحد السيف، عليه حسك كحسك القتاد، على حافتيه ملائكة، معهم كلاليب من نار، يختطفون بها الناس، فمن بين مارّ ناجٍ، ومن بين مخدوش ناجٍ، ومن بين مكدوس في النار. والملائكة يقولون: رب سلِّم سلِّم. فيمرّ رجل، وهو آخر أهل الجنة دخولاً، فإذا جازَ الصِّراطَ رفع له باب من الجنة، فلا يدري أله في الجنة مقعد، فإذا نظر إليها قال: ربِّ أنزلني هاهنا، فيقول له: فلعلك إن أنزلتك هنا تسألني غيره، فيقول: لا، وعزّتك. فينزله، ثم يرفع له في الجنة منازل، فيتحاقر إليه ما أُعطي مما يرى، فيقول: ربِّ أنزلني هناك. فيقول: فلعلك إن أنزلتك هاهنا أن تسألني غيره. فيقول: لا، وعزّتك. فينزله، ثم يرفع له في الجنة حتى الرابعة، فإذا كانت الرابعة، رفع له، فيتحاقر إليه كلّ شيء أعطي، فيسكت، فلا يسأل شيئاً، فيقول له: ألا تسأل؟، فيقول: سألتُ حتى استحييتُ. فيقول الله تعالى: لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها. فهذا أوضعُ أهل الجنة منزلاً.

قال عبدالله بن مسعود: كان النبي ـ ﷺ ـ لا يتحدّث بذلك إلا ضحك حتى بدت نواجذه(٢).

---

(١) من (م).
(٢) رواه ابن أبي حاتم موقوفاً على ابن مسعود إلى قوله: «يختطفون بها الناس»، كما في (البدور السافرة ص ٢٥٨). ورواه مسلم بقيته من حديث ابن مسعود مرفوعاً (١٨٧) في الإيمان، باب: آخر أهل النار خروجاً.

٧٢ ـ وروي في الخبر: إن نساء أهل الدنيا، من جعل منهن في الجنة، يفضلن على الحور العين، بأعمالهن في الدنيا[1].

قال تعالى: **﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً * لأَصْحَابِ اليَمِينِ﴾** [الواقعة ٣٥ ـ ٣٨][2].

* * *

(١) ذكره القرطبي في التذكرة (٢/ ٦٣٤) من قول عائشة.

(٢) «عُرْباً»: مُتحبّبات إلى أزواجهن. «أترابا»: مستويات في السِّنّ والحُسْن.

باب ما يرجى من رحمة الله تعالى

٧٣ ـ قال الفقيه: أخبرنا الخليل بن أحمد، قال: أنبأنا ابن معاذ، قال: حدثنا الحسين المروزي، قال: حدثنا حجاج بن أبي منيع، عن جده، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل إلى الأرض جزءاً واحداً، فبه يتراحم الخلق، حتى إن الفرسَ لترفعُ حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه [فإذا كان يوم القيامة ضمّ تلك الواحدة إلى التسعة والتسعين، فيبسطها فيما بين الخلق][(١)]»[(٢)].

٧٤ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: حدثنا الخليل، حدثنا الدبيلي، حدثنا عبدالحميد، حدثنا[(٣)] الأسود، عن عوف الأعرابي، عن الحسن، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن لله تعالى مئة رحمة، أهبط منها رحمة واحدة إلى أهل الدنيا، فوسعتهم إلى آجالهم، وإن الله لقابضٌ تلك الرحمة يوم القيامة، فيضمّها إلى التسعة والتسعين، فيكملها مئة رحمة لأوليائه، وأهل طاعته»[(٤)].

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: قد بيّن النبي ـ ﷺ ـ ما أعدّ الله للمؤمنين من الرحمة؛ ليحمدوا الله على ما أكرمهم به من رحمته، ويشكروه، ويعملوا عملاً صالحاً، لأنّ مَن يرجو رحمته، فإنّه يعمل ويجتهد، لكي ينالَ من رحمته، لأن الله تعالى يقول: **﴿إنّ رحمةَ الله قريبٌ من المحسنين﴾** [الأعراف: ٥٦]، وقال تعالى: **﴿فمن كان يرجو لقاءَ ربّه فليعملْ عملاً صالحاً﴾** [الكهف: ١١٠]، وقال: **﴿وَرَحْمَتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾**

---

(١) من (م).

(٢) رواه البخاري (٦٠٠٠) في الأدب، باب: جعل الله الرحمة في مئة جزء، ومسلم (٢٧٥٢) في التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه.

(٣) من (م).

(٤) رواه الحاكم (١/ ٥٦) من حديث أبي هريرة، وصححه، ووافقه الذهبي.

[الأعراف: ١٥٦] يعني: لكلّ شيء نَصِيبٌ من رحمة الله تعالى.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ تطاول إبليس ـ عليه اللعنة ـ وقال: أنا شيء من الأشياء، يكون لي نصيبٌ من رحمته، وتطاولت اليهود والنصارى، [فقالوا: إنا شيء من الأشياء، ويكون لنا نصيبٌ من رحمته][1] فلما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ يعني: سأجعل رحمتي للذين يتقون الشّرك، و﴿يؤتون﴾ يعني يعطون ﴿الزكاة﴾، ﴿والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ يعني يصدّقون بآيات الله، فيئس إبليس من رحمته، وقالت اليهود والنصارى: نحن نتّقي الشرك، ونؤتي الزكاة، ونؤمن بآياته.

ثم نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧] يعني الذين يصدِّقون بمحمد ـ ﷺ ـ، فيئس اليهود والنصارى، وبقيت الرحمةُ للمؤمنين خاصّة.

فالواجبُ على كلّ مؤمن أن يحمدَ الله تعالى على ما أكرمه به من الإيمان، وجعل اسمه من جملة المؤمنين، ويسأل ربّه أن يتجاوزَ عن ذنوبه.

كما روي عن يحيى بن معاذ الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ أنه كان يقول: إلٰهي قد أنزلت علينا رحمة واحدة، وأكرمتنا بتلك الرحمة، وهي الإسلام، فإذا أنزلت علينا مئة رحمة، فكيف لا نرجو مغفرتك؟

وذكر عنه أنه قال: إلٰهي إن كان ثوابُك للمطيعين، ورحمتك للمذنبين، فإني ـ وإن كنتُ لستُ مطيعاً ـ لأرجو ثوابك، فأنا من المذنبين؛ فأرجو رحمتك.

وذُكِر عنه أنه قال: إلهي خلقتَ الجنة، وجعلتها وليمةً لأوليائك، وآيست الكفار منها، وخلقت ملائكتك غير محتاجين إليها، وأنت مستغنٍ عنها، فإن لم تعطنا الجنة، فلِمَن تكون الجنة؟.

٧٥ ـ قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا أبو بكر السراج، حدثنا عبدالله بن الحكم، حدثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن فراس بن يحيى، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «لقد دخل رجل الجنة، ما عمل خيراً قط إلا التوحيد، قال لأهله حين حضره الموت: إذا

---

(١) من (م).

أنا متّ فاحرقوني بالنار، ثم اسحقوني، ثم ذروا نصفي في البحر، ونصفي في البر، فلما مات فعلوا ذلك، فأمر الله تعالى البر والبحر فجمعاه، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك يا رب، فغفر الله له بذلك»[(١)].

٧٦ ـ قال الفقيه أبو جعفر: حدثنا إسحاق بن عبدالرحمٰن القارىء، حدثنا محمد بن شاذان، حدثنا محمد بن مقاتل، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن مصعب بن ثابت [بن إسحاق][(٢)]، عن عاصم بن عبدالله، عن عطاء، عن رجل من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ قال: اطلع علينا رسول الله ـ ﷺ ـ، ونحن نضحك، فقال: «أتضحكون والنار من ورائكم؟ والله لا أراكم تضحكون»[(٣)] ثم أدبر، فكأن على رؤوسنا الرَّخَم[(٤)]، ثم رجع إلينا القهقرى، وقال: «جاءني جبريل ـ عليه السلام ـ وقال: إن الله تعالى يقول لك: يا محمد لم تقنط عبادي من رحمتي؟ ﴿**نَبِّىء عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ * وأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأليمُ**﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠]»[(٥)].

٧٧ ـ قال الفقيه رحمه الله تعالى: حدثنا أبو جعفر، حدثنا أبو القاسم أحمد بن حمزة، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا أبو عبدالرحمٰن المقرىء، حدثنا عبدالرحمٰن بن زياد بن أنعم الإفريقي، عن عبدالله بن يزيد بن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهم ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إن الله تعالى لا يتعاظمه ذنب عبده أن لا يغفره، كان رجل فيمن كان قبلكم قتل ثمانية وتسعين نفساً، ثم أتى راهباً فقال له: إني قتلتُ ثمان وتسعين نفساً، فهل تجد لي من توبة؟ فقال: لا، قد أسرفت، فقام إليه فقتله. ثم أتى راهباً آخر فقال: إني قتلتُ تسعة وتسعين نفساً فهل تجد لي من توبة؟ فقال: لا، قد أسرفت، فقام إليه فقلته. ثم أتى راهباً آخر، فقال: إني قتلتُ مئة نفس، فهل تجد لي من توبة. فقال: قد أسرفت، وما أدري، ولكن ها هنا قريتان، إحداهما يقال لها بصرة، والأخرى يقال لها كفرة، فأما أهل بصرة، فهم قومٌ يعملون بأعمال أهل الجنة، لا يلبث فيها غيرهم. وأما أهل كفرة، فهم قومٌ يعملون بأعمال أهل النار، لا يلبث فيها غيرهم.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٩) في أحاديث الأنبياء، باب (٥٤)، ومسلم (٢٧٥٥) في التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى.

(٢) من (م). (٣) في (م): والله لأراكم تبكون.

(٤) «الرَّخَم»: طائر أبيض اللون مبقّع بالسواد.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٨٦) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

فإن أنت أتيت بصرة، فعملت بأعمالهم، فلا تشكنّ في توبتك.

فانطلق الرجل يريدها، فلما كان بين القريتين، أدركه الموت، فاختصمت فيه ملائكة العذاب، وملائكة الرحمة، فسألت الملائكة ربها عنه، فقيل لهم: قيسوا ما بين القريتين، فإلى أيتهما كان أقرب، فهو من أهلها. فقاسوا بين القريتين، فوجدوه أقرب إلى بصرة بقدر أنملة، فَكُتِب من أهلها»[1].

قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن خزيمة بن خيثمة، حدثنا محمد بن الأزهر، عن يعلى بن عبيد، عن إسماعيل بن خالد، عن عمر، عن معمر بن عبدالرحمٰن، عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: ثلاثة أقسمت عليهن، والرابعة لو أقسمت عليها لصدقت:

الأولى: لا يتولى الله أحداً في الدنيا، فيواليه غيره يوم القيامة.

والثانية: لا يجعل الله ذا السهم في الإسلام، كمن لا سهمَ له.

والثالثة: لا يحبّ أحدٌ قوماً إلا كان معهم يوم القيامة.

والرابعة: لا يستر اللَّهُ على عبدٍ في الدنيا، إلا ستر اللَّهُ عليه في الآخرة.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا ابن الفضل، حدثنا محمد بن خزيمة بن خيثمة، بإسناده عن معاوية بن قرة، قال: قال ابن مسعود[2] ـ رضي الله عنه ـ: أربع آيات في سورة النساء خير من الدنيا جميعاً. قوله عز وجل: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء ومَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فَقَد ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾** [النساء: ١١٦].

وقوله عز وجل: **﴿وَلَوْ أَنَّهم إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَروا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُم الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ توَّاباً رحِيماً﴾** [النساء: ٦٤].

وقوله عز وجل: **﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنهُ نُكَفِّر عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾** يعني ما دون الكبائر **﴿ونُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾** [النساء: ٣١] يعني الجنة.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٠) في أحاديث الأنبياء، باب (٥٤)، ومسلم (٢٧٦٦) في التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله. من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) في (م): رسول الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [النساء: ١١٠].

٧٨ ـ وروي عن جابر بن عبدالله الأنصاري ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[(١)].

قال جابر بن عبدالله: من لم يكن من أهل الكبائر، فما له وللشفاعة؟ يعني لا يحتاج إلى الشفاعة.

٧٩ ـ وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، من كذب بها لم ينلها»[(٢)].

٨٠ ـ وروي عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله الأنصاري ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرج علينا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «خرج من عندي خليلي جبريل ـ صلوات الله عليه ـ آنفاً، فقال: يا محمد، والذي بعثك بالحق نبياً، إن لله عبداً من عباده، عَبَدَ الله تعالى خمسمئة سنة على رأس جبل، عرضه وطوله ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، أجرى الله له عيناً عذبة بعرض الأصبع، بماء عذب، يستنقع في أسفل الجبل، وشجرة رمان كل يوم يخرج له منها رمانة، فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة، فأكلها، ثم قام لصلاته، فسأله ربه أن يقبضه ساجداً، وأن لا يجعل للأرض، ولا لشيء على جسده سبيلاً، حتى يبعثه وهو ساجد، ففعل الله ذلك له.

قال جبريل ـ عليه السلام ـ: فنحن نمر عليه إذا هبطنا، وإذا عرجنا، وهو على حاله في السجود، قال جبريل ـ عليه السلام ـ: فنجد في العلم أنه يبعث يوم القيامة، فيوقف بين يدي الله تعالى، فيقول الرب تبارك وتعالى: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي. فيقول العبد: لا، بل بعملي. فيقول الله تعالى لملائكته: حاسبوا عبدي بنعمتي عليه، وبعمله. فيجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادته خمسمئة سنة، وبقيت نعمة الجسد.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٣٦) في صفة القيامة، باب (١١)، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٤٣١٠) في الزهد، باب: ذكر الشفاعة، وأحمد (٣/٣٨٤)، والحاكم (١/٦٩).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٣٩) في السنة، باب: في الشفاعة، والترمذي (٢٤٣٥) في صفة القيامة، باب (١١)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن حبان في صحيحة (٦٤٣٤)، والحاكم (١/٦٩).

فيقول: أدخلوا عبدي النار، فيجرّ إلى النار، فينادي: يـا رب برحمتـك أدخلني الجنة.

فيقول الله تعالى: ردّوه، فيوقف بين يديـه تعالى، فيقـول: عبدي، من خلقـك ولم تكن شيئاً؟ فيقول: أنت يا رب. فيقول: أكان ذلك بعملك أم برحمتي؟. فيقول: بـل برحمتـك. فيقول: مَن قـوّاك على عبادتي خمسمئـة سنة؟ فيقـول: أنت يا رب. فيقول: من أنزلك في جبل في وسط اللجّة، وأخرج الماء العذب من المالح، وأخرج لك رمانة في كلّ ليلة، وإنما تخرجُ في السنة مرة واحـدة، وسألتني أن أقبضَ روحـك سـاجداً، ففعلتُ ذلـك بك. من فعـل ذلك؟ فيقـول: أنت يا رب. قـال: فكل ذلـك برحمتي، وبرحمتي أدخلك الجنة، أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فنعم العبـد كنت يا عبدي. فيدخله الله الجنة. قال جبريل ـ عليه السلام ـ: إنما الأشياء برحمة الله»[1].

٨١ ـ وروي عن الحسن، عن النبي ـ ﷺ ـ أنـه قـال: «مـا اجتمـع الـرجـاء والخوف في قلب امرىء مسلم عند الموت، إلا أعـطاه الله ما يـرجو، وصـرف عنه مـا يخاف»[2].

٨٢ ـ وروي عن سعيـد المقبري، عن أبي هـريرة ـ رضي الله عنـه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لن ينجو أحدكم بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمتـه، فقاربـوا، وسـدّدوا، واغـدوا، وروحوا شيئـاً من الدُّلَجـة، والقصدَ القصدَ تبلغوا»[3].

٨٣ ـ وروى أنس بن مـالـك ـ رضي الله عنـه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنـه قـال: «يسّروا، ولا تعسّروا، وبشّروا، ولا تنفّروا»[4].

---

(١) رواه الحاكم (٤/٢٥٠ ـ ٢٥١) وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: لا والله، وسليمـان غير معتمـد. وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٣٩٩ ـ ٤٠١).

(٢) رواه الحكيـم الترمذي عن الحسن مـرسلاً، والبيهقي في شعب الإيمـان، وابن حبان عن أبي سلمـة عن أبي هريرة، كما في (الإتحافات السنية رقم ٢٢١)، ورواه أبـو نعيم (٦/٩٨)، وانظر: مجمـع الزوائـد (١٠/٣٠٨)، وشرح الصدور (ص ٥١).

(٣) رواه البخاري (٦٤٦٣) في الرقاق، باب: القصد والمداومـة على العمل، ومسلم (٢٨١٦) في صفـات المنافقين وأحكامهم، بـاب: لن يدخـل أحد الجنـة بعمله، بل بـرحمة الله تعـالى. «سدّدوا»: اطلبـوا السداد واعملوا به، والسداد: الصواب.

(٤) رواه البخاري (٦٩) في العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا يَنفِروا، ومسلم (١٧٣٤) في الجهاد والسير، باب: في الأمر بالتيسير وترك التنفير.

وقال ابن مسعود: لن تزال[1] الرحمة بالناس يوم القيامة، حتى إن إبليس يرفع رأسه مما يرى من سعة رحمة الله، وشفاعة الشافعين.

٨٤ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ينادي منادٍ من تحت العرش يوم القيامة: يا أمة محمد، أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم، وبقيت التبعات فتواهبوها، وادخلوا الجنّة برحمتي»[2].

وكان فُضَيْل بن عياض[3] ـ رحمه الله ـ يقول: الخوف ما دام الرجل صحيحاً أفضل، فإذا مرض وعجز عن العمل؛ فالرجاء أفضل.

يعني أن الرجل إذا كان صحيحاً كان الخوف أفضل؛ حتى يجتهد في الطاعات، ويجتنب المعاصي. فإذا مرض وعجز عن العمل؛ فالرجاء أفضل.

قال الفقيه رحمه الله: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن ابن أبي روّاد، عن أبيه، قال: أوحى الله تعالى إلى داود النبي ـ عليه السلام ـ: أن يا داود، بشّر المذنبين، وأنذر الصديقين، فقال: وكيف أبشّر المذنبين، وأنذر الصديقين؟ قال: بشر المذنبين، بأني لا يتعاظمني ذنب أن أغفره، وأنذر الصديقين بأن لا يعجبوا بأعمالهم. فإني لا أضعُ عدلي وحسابي على أحدٍ إلا أهلكه.

وروى ابن أبي روّاد، عن أبيه، وعن بعض أهل الكتاب قال: يقول الله تعالى: إني أنا الله، مالك الملك، قلوب الملوك بيدي ونواصيهم، فأيما قوم رضيتُ عنهم جعلت قلوب الملوك عليهم رحمة، وأيما قوم سخطت عليهم جعلتُ قلوبَ الملوك عليهم نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بلعن الملوك، وتوبوا إليّ أرفقهم عليكم.

٨٥ ـ وروى العلاء بن عبدالرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) في (م) إن الله ينزل.

(٢) قال الحافظ العراقي: رويناه في سباعيات أبي الأسعد القشيري من حديث أنس، وفيه الحسن بن داود البلخي، قال الخطيب: ليس بثقة. وقال الذهبي في ديوان الضعفاء: الحسن بن داود أبو علي البلخي يروي عنه أبو بكر الشافعي. قال الخطيب: حديثه موضوع. واتّهمه الحاكم وغيره. (الإتحاف للزبيدي ١٠/٥٦١).

(٣) هو الفُضَيْل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي: شيخ الحرم المكي، من أكابر العبّاد الصالحين. كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خَلْق منهم الإمام الشافعي. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها، ثم سكن مكة. توفي سنة (١٨٧هـ). (طبقات الصوفية ص٦)، و(الحلية ٨/٨٤).

أنّ النبي ـ ﷺ ـ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع في جنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة؛ ما قنط من رحمته أحد»[1].

٨٦ ـ وقال: حدثنا أبو يعلى، عن الحسين بن محمد الزبيري النيسابوري، حدثنا محمد بن يزيد بن محمد الإسفرايني، حدثنا محمد بن عمر الكوفي، حدثنا هارون بن محمد، عن أحمد بن سهل، قال: رأيت يحيى بن أكثم في المنام، فقلت له: يا يحيى ما فعل بك ربك؟ قال: دعاني، فقال: يا شيخ السوء، فعلتَ ما فعلتَ. فقلت: يا رب، ما بهذا حُدِّثْتُ عنك. قال: وبم حُدِّثْتَ؟ قال: قلت: حدّثني عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ـ ﷺ ـ عن جبريل ـ عليه السلام ـ أنك قلت: «ما من مسلم يشيب في الإسلام وأنا أريد أن أعذبه، إلا وأنا أستحي أن أعذبه» وأنا شيخ كبير. قال: صدق عبدالرزاق، وصدق معمر، وصدق الزهري، وصدق عروة، وصدقت عائشة، وصدق النبي ـ ﷺ ـ وصدق جبريل ـ عليه السلام ـ وصدقت أنا. يا يحيى، إني لا أعذّب مَن شاب في الإسلام. ثم أمر بي بذات اليمين إلى الجنة[2].

٨٧ ـ وروي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه دخل على النبي ـ ﷺ ـ فوجده يبكي، فقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «جاءني جبريل ـ عليه السلام ـ وقال: إن الله يستحي أن يعذّبَ أحداً قد شاب في الإسلام، فكيف لا يستحي مَنْ شَابَ في الإسلام أن يعصيَ الله تعالى»[3].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: فالواجب على الشيخ أن يعرفَ هذه الكرامة، ويشكر الله، ويستحي من الله عز وجل، ويستحي من الكرام الكاتبين، ويمتنع عن المعاصي، ويكون مُقبلاً على طاعة الله تعالى [فإنه لا يدري متى يأتي أجله][4]، فإن

---

(١) رواه مسلم (٢٧٥٥) في التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه، والترمذي (٣٥٤٢) في الدعوات، باب: خلق الله مئة رحمة، وقال: حديث حسن، وأحمد (٢/ ٣٣٤، ٣٩٧، ٤٨٤).

(٢) رواه الخطيب في تاريخه عن محمد بن سلم الخواص. (اللآلىء المصنوعة ١/ ١٣٦)، و(كشف الخفاء ١/ ٢٨٤)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٢٢٩).

(٣) ذكره الغزالي في «الدرة الفاخرة» بلفظ: «إن الله يستحي أن يعذّب شيبةً شابت في الإسلام». ورواه السيوطي في الجامع الكبير عن ابن النجار بسند ضعيف بلفظين آخرين. (كشف الخفاء ١/ ٢٨٤).

(٤) من (م).

الزرع إذا دنا حصاده لا ينتظر بـه. وكذلـك الشاب يجب عليـه أن يتقي الله، ويجتنب المعاصي، ويقبل على الطاعة، فـإنه لا يـدري متى يأتي أجله، فـإنّ الشاب إذا كـان مقبـلاً على طاعـة الله تعالى [ويمتنـع عن المعاصي][1]، أظله الله يـوم القيـامـة تحت عرشه، كما جاء في الخبر.

٨٨ ـ قـال: حدثنـا أبو الحسن القـاسم بن محمد بن روزبـه، حدثنـا عيسى بن خشنام، حدثنا سويد بن مالـك، عن خُبَيْب بن عبدالـرحمٰن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «سبعة يظلهم الله تعـالى يوم القيامة في ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبـادة الله، ورجل كان قلبه معلقاً بالمسجد إذا خـرج منه حتى يعـودَ إليه، ورجـلان تحابّـا في الله تعالى؛ اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل ذَكَر الله ـ عز وجل ـ خالياً، ففـاضت عيناه، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها؛ حتى لا تعلم شماله ما فعلت يمينه، ورجل دعتـه امرأة ذات حسن وجمال إلى نفسها، فقال: إني أخاف الله عز وجل»[2].

* * *

(١) من (م).

(٢) رواه البخـاري (٦٦٠) في الأذان، بـاب: من جلس في المسجـد ينتـظر الصـلاة، ومسلم (١٠٣١) في الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة.

باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله ـ: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، قال: حدثنا محمد بن الفضيل، حدثنا علي بن عاصم، تلميذ أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ عن يحيى بن سعيد، عن إسماعيل بن أبي حكيم، قال عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ: إن الله تعالى لا يعذّب العامة بعمل الخاصة، ولكن إذا ظهرت المعاصي، فلم ينكروا؛ فقد استحق القوم جميعاً العقوبة.

٨٩ ـ وذكر: «إن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون عليه السلام: إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم، وستين ألفاً من شرارهم. فقال: يا رب، هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي، وآكلوهم، وشاربوهم»[١].

٩٠ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به، وانهوا عن المنكر، وإن لم تنتهوا عنه»[٢].

٩١ ـ وروي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس ناساً مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله تعالى مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»[٣].

يعني الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهو مفتاح للخير ومغلاق

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٩٤٢٨).

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٧٧): رواه الطبراني في الصغير والأوسط من طريق عبدالسلام بن عبدالقدوس بن حبيب، عن أبيه، وهما ضعيفان.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٣٧) في المقدمة، باب: من كان مفتاحاً للخير، وفي الزوائد: إسناده ضعيف من أجل محمد بن أبي حميد؛ فإنه متروك. ورواه أيضاً الطيالسي في مسنده (ص ٢٧٧). وانظر: (فيض القدير ٢/٥٢٨).

للشر، وهو من المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَالمؤْمِنُونَ والمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يأْمُرونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

فأما الذي يأمر بالمنكر، وينهى عن المعروف، [فهو مفتاح للشر][١]، وهو من علامات المنافقين، كما قال تعالى: ﴿المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بالمُنْكَرِ وَيَنْهَوَنَ عَنِ المَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ: أفضل الأعمال: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وشنآن الفاسق ـ يعني بغضه ـ فمن أمر بالمعروف فقد شدّ ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر فقد أرغم أنف المنافق.

٩٢ ـ وروى سعيد عن قتادة، قال: ذُكِرَ لنا أنّ رجلاً أتى النبي ـ ﷺ ـ وهو يومئذٍ بمكة، فقال: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: «نعم». قال: فأيّ الأعمال أحبّ إلى الله تعالى؟ قال: «الإيمان بالله». قال: ثم ماذا؟ قال: «صلة الرحم». قال: ثم ماذا؟ قال: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». قال: فأيّ الأعمال أبغض إلى الله سبحانه وتعالى؟ قال: «الشرك بالله». قال: ثم ماذا؟ قال: «قطيعة الرحم». قال: ثم ماذا؟ قال: «ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٢].

قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: إذا رأيت القارىء محبباً في جيرانه، محموداً عند إخوانه، فاعلم أنه مداهن.

٩٣ ـ قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن خزيمة، قال: حدثنا محمد بن الأزهري، بإسناده عن عبيدالله بن جرير، عن أبيه، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما من قوم يكون فيهم رجل يعمل بالمعاصي، ويقدرون أن يغيروه، فلا يغيرونه: إلاّ عمّهم اللّهُ تعالى بعذاب قبل أن يموتوا»[٣].

قال الفقيه رحمه الله تعالى: قد اشترط النبي ـ ﷺ ـ القدرة؛ يعني إذا كانت

---

(١) من (م).

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٥١): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح؛ غير نافع بن خالد الطاحي، وهو ثقة. وذكره المنذري في (الترغيب والترهيب ٣/٣٣٥ ـ ٣٣٦) وقال: رواه أبو يعلى بإسناد جيد.

(٣) رواه أبو داود (٤٣٣٩) في الملاحم، باب: الأمر والنهي، وابن ماجه (٤٠٠٩) في الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وابن حبّان (٣٠٠ و٣٠٢)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢٩٠)، وكذا المنذري في ترغيبه (٣/٢٢٩).

الغلبةُ لأهل الصلاح، فالواجبُ عليهم أن يمنعوا أهلَ المعاصي من المعصية إذا أظهروها؛ لأنّ الله تعالى مدح هذه الأمة بذلك، فقال: ﴿كُنْتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ المُؤْمِنُون وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ويقال معناه: كنتم مكتوبين في اللوح المحفوظ خير أمة أخرجت للناس، يعني أخرجكم الله تعالى لأجل الناس، تأمرون بالمعروف، يعني لكي تأمروا بالمعروف؛ أي الطاعات، وتنهوا عن المنكر، يعني تمنعون أهل المعاصي من المعصية.

والمعروف ما كان موافقاً للكتاب والسنة والعقل، والمنكر: ما كان مخالفاً لذلك.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وهذه اللام: لام الأمر. يعني: لتكن منكم جماعة يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

وقد ذمّ الله تعالى أقواماً بترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فقال: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكرٍ فَعَلُوهُ﴾ يعني لا ينهى بعضهم بعضاً عن منكر فعلوه ﴿لَبِئْسَ ما كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]. وفي آية أخرى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ، وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

يعني: هلا ينهاهم علماؤهم وفقهاؤهم وقراؤهم عن قولهم الفحش، وأكل الحرام.

وينبغي للآمر بالمعروف أن يأمرَ في السّرّ؛ إن كان مستطيعاً ذلك، ليكونَ أبلغ منه في الموعظة والنصيحة.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: من وعظ أخاه في العلانية فقد شانه، ومن وعظه في السر فقد زانه.

فإن لم تنفعه الموعظة في السر يأمره في العلانية، ويستعين بأهل الصلاح وأهل الخير ليزجروه عن المعصية، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك غلب عليهم أهل المعصية، فيأتيهم العذاب فيهلكهم جميعاً.

٩٤ ـ قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد الدبيلي، حدثنا عبدالله، حدثنا سفيان، عن مجاهد، عن الشعبي، قال: سمعت النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ يقول: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «مثل المدهن في حقوق الله تعالى. والواقع فيها، والقائم عليها، كمثل ثلاثة رجال، كانوا في سفينة، فاقتسموا منازلهم، وصار لأحدهم أعلاها، ولأحدهم أوسطها، ولأحدهم أسفلها، فبينما هم كذلك، إذ أخذ أحدُهم القدوم، فقالوا له: ما تريد؟ قال: أخرق مكاني خرقاً، فيكون الماء أقرب إلي، ويكون فيها مخلاتي، ومهراق مائي.

فقال بعضهم: اتركوه ـ أبعده الله ـ يخرق في حقّه ما شاء. وقال بعضهم: لا تدعوهُ يخرقها، فيهلكنا، ويهلك نفسه. فإن هم أخذوا على يديه، نجا ونجوا، وإن هم لم يأخذوا على يديه هلكوا وهلك»[١].

٩٥ ـ وروي عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: لتأمرن بالمعروف، وتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً ظالماً، لا يجل كبيركم، ولا يرحم صغيركم، ويدعو خياركم فلا يستجاب لهم، ويستنصرون فلا ينصرون، ويستغفرون فلا يغفر لهم[٢].

٩٦ ـ وروي عن حذيفة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكنّ أن يبعثَ الله عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعُونَه فلا يستجيبُ لكم»[٣].

٩٧ ـ وروي عن علي ـ كرم الله وجهه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إذا هابتْ أمتي أن يقولوا للظّالم: أنتَ ظالمٌ، فقد تودّع منهم»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٢٤٩٣) في الشركة، باب: هل يُقْرَعُ في القسمة؟ والترمذي (٢١٧٣) في الفتن، باب (١٢) وقال: حسن صحيح. «المدهن»: الذي يُرائي ويضيع الحقوق ولا يغيّر المنكر.

(٢) رواه البزار كما في كشف الأستار (٣٣٠٧) من حديث أبي هريرة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٦٦): رواه الطبراني في الأوسط، والبزار، وفيه حبان بن علي، وهو متروك، وقد وثقه ابن معين في رواية، وضعفه في غيرها.

(٣) رواه الترمذي (٢١٦٩) في الفتن، باب: ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: هذا حديث حسن.

(٤) رواه أحمد (٢/٩٠) من حديث عبدالله بن عمرو، والحاكم (٤/٩٦) وصححه، ووافقه الذهبي، والبزار كما في كشف الأستار (٣٣٠٢).

٩٨ ـ وروى أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إذا رأى أحدُكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه، فإن لم يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان»(١) يعني: أضعف فعل أهل الإيمان.

قال بعضهم: التغييرُ باليد للأمراء، وباللسان للعلماء، وبالقلب للعامة.

وقال بعضهم: كلّ مَن قدر على ذلك؛ فالواجبُ عليه أن يغيّره.

قال الفقيه رحمه الله: ينبغي للذي يأمر بالمعروف، أن يقصدَ به وجهَ الله تعالى، وإعزاز الدين، ولا يكون لحمية نفسه. فإنه إن قصد به وجهَ الله، وإعزازَ الدين، نصره اللّهُ تعالى، ووفّقه لذلك، وإن كان أمره لحمية نفسه، خذله الله تعالى. فإنه بلغنا عن عكرمة ـ رضي الله عنه ـ أنّ رجلاً مرّ بشجرةٍ تُعْبَدُ من دون الله تعالى، فغضب لله، وقال: هذه الشجرة تُعبد من دون الله تعالى، ثم إنه أخذ فأسه، وركب حماره، ثم توجّه نحو الشجرة ليقطعها، فلقيه إبليس ـ عليه اللعنة ـ في الطريق على صورة إنسان، فقال له: إلى أين؟ فقال: رأيت شجرةً تُعبد من دون الله عز وجل، فأعطيت الله عهداً أن أركبَ حماري، وآخذ فأسي، وأتوجّه نحوها، فأقطعها، فقال له إبليس: ما لك ولها؟ دَعْها ومن يعبدها، أبعدهم الله تعالى، فلم يرجع، قال إبليس ـ لعنه الله ـ: ارجع وأنا أعطيك كل يوم أربعة دراهم، فترفع كل يوم طرفَ فراشك فتأخذها. فقال: أو تفعل ذلك؟ قال: نعم، ضمنت لك ذلك كل يوم، فرجع إلى منزله، فوجد ذلك يومين، أو ثلاثة، أو ما شاء الله.

فلما أصبح بعد ذلك، رفع طرفَ فراشه، فلم يَرَ شيئاً، ثم مكث يوماً آخر، فلما رأى أنه لا يجد الدراهم أخذ الفأس، وركب الحمار، وتوجّه نحو الشجرة، فلقيه إبليس على صورة إنسان، فقال له: أين تريدُ؟ قال: شجرة تُعْبَدُ من دون الله تعالى؛ أريدُ قطعها، فقال له إبليس: لا تطيقُ ذلك. أما أول مرة، فكان خروجُك غضباً لله تعالى، فلو اجتمعَ أهلُ السموات والأرض ما ردّوك. وأما الآن، فإنما خروجُك لنفسك، حيث لم تجد الدراهمَ، فلئن تقدّمت لندقن عنقك. فرجع إلى بيته، وترك الشجرة.

(١) رواه مسلم (٤٩) في الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، والترمذي (٢١٧٢) في الفتن، باب: ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١٢٧٥) في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في صلاة العيدين، والنسائي (٨/١١١ ـ ١١٢).

قال الفقيه: فالذي يأمر بالمعروف يحتاج إلى خمسة أشياء:

أولها: العلم، لأن الجاهل لا يحسن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثاني: أن يقصد به وجهَ الله تعالى، وإعزاز الدين.

الثالث: الشفقة على من يأمره، فيأمره باللين والتودّد، ولا يكون فظّاً غليظَ القلب؛ لأنّ الله تعالى قال لموسى وهارون ـ عليهما السلام ـ حين بعثهما إلى فرعون: ﴿**فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً**﴾ [طه: ٤٤].

الرابع: أن يكونَ صبوراً حليماً؛ لأن الله تعالى قال في قصة لقمان ـ عليه السلام ـ ﴿**وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ**﴾ [لقمان: ١٧].

الخامس: أن يكونَ عاملاً بما يأمر به؛ لكيلا يعيّر به، ولا يدخل تحت قوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبِرِّ، وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**﴾ [البقرة: ٤٤].

٩٩ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «رأيتُ ليلة أُسري بي إلى السماء رجالاً تقرضُ شفاههم بالمقاريض، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك، الذين كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، فلا يعقلون؟»[1] يعني يتلون كتاب الله، وهم لا يعملون بما فيه.

وقال قتادة: ذُكِر لنا أنّ في التوراة مكتوباً: يابن آدم، تُذَكِّرُ بي وتنساني، وتدعو إليّ وتفرّ مني، فباطل ما تذهبون إليه[2].

١٠٠ ـ وروى أبو معاوية الفزاري، بإسناده عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أنتم اليوم على بيّنة من ربكم ـ يعني على بيان من ربكم ـ قد بيّن الله تعالى طريقكم، ما لم تظهر فيكم السكرتان: سكرة العيش، وسكرة الجهل. فأنتم اليوم تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في سبيل الله، وستحولون عن ذلك إذا فشا فيكم حبّ الدنيا، فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر، وتجاهدون في

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٢٠)، وابن حبان (٥٣)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٥١٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٧٣).

(٢) من (م).

غير سبيل الله. والقائمون يومئذ بالكتاب، سرّاً وعلانية، كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار»[1].

١٠١ ـ وروى الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبراً، فقد استوجبَ الجنَّة، وكان رفيقَ إبراهيم ومحمَّد عليهما الصلاة والسلام»[2].

يعني أن إبراهيم هاجر من أرض حرَّان إلى أرض الشام، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦] وقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] يعني إلى طاعة ربي ورضاه. وقد هاجر النبيّ ـ ﷺ ـ من مكة إلى المدينة.

فمن كان في أرض ظَهَر فيها المعاصي، فخرج منها ابتغاءَ مرضاة الله تعالى، فقد اقتدى بإبراهيم ومحمد المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ فيكون رفيقهما في الآخرة في الجنة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [النساء ١٠٠].

يعني من يخرج إلى طاعة الله ورسوله، ثم يموت، فقد وَجَبَ ثوابُه على الله تعالى.

١٠٢ ـ وقال النبي ـ ﷺ ـ: «أيما مسلم خرج من بيته مهاجراً إلى الله تعالى ورسوله، ووضع رجله في غرز راحلته، ولو خطوة واحدة، ثم نزل به الموت، أعطاه الله مثل أجور المهاجرين. وأيما مسلم يخرج من بيته قاصداً في سبيل الله، فوقصته دابته قبل القتال، أو لدغته هامة، أو مات كيفما مات، فهو شهيد. وأيما مسلم خرج من بيته إلى بيت الله الحرام، ثم نزل به الموت قبل بلوغه، أوجب الله تعالى له الجنة»[3].

قال الفقيه رحمه الله تعالى: ومن لم يهاجر من أرضه، وهو يقدر على أداء

(١) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢٣٤) عن الصلت بن طريف عن شيخ من أهل المدائن، وأبو نعيم في الحلية (٨/٤٩) من حديث أنس ومعاذ.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (٥/٣٤٧).

(٣) رواه أحمد (٤/٣٦) من حديث عبدالله بن عتيك. «وقصته دابته»: رَمَتْ به فكسرت عُنُقه.

فرائض الله تعالى، فلا بأس أن يقيمَ هناك، ويكون كارهاً لمعاصيهم، فهو معذور.

وروي عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: بحسب امرىء منكم أنه إذا رأى منكراً لا يستطيع له تغييراً أن يعلمَ الله من قلبه أنه كاره.

وروي عن بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أنه قال: إذا رأى أحدكم منكراً، لا يستطيع النكير عليه، فليقل ثلاث مرات: اللهم إن هذا منكر، فلا أرضى به[1]، فإذا قال ذلك؛ فله ثوابُ مَن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

١٠٣ ـ وروي عن عمرو بن جارية اللخمي، عن أبي أمية، قال: سألت أبا ثعلبة الخُشني عن هذه الآية: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] فقال: لقد سألتَ عنها خبيراً، فلقد سألتُ عنها رسولَ الله ـ ﷺ ـ فقال: «يا أبا ثعلبة، ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، فإذا رأيتَ دنيا مؤثرة، وشحّاً مطاعاً، وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه، فعليك نفسك، فإنّ من بعدكم أيام الصبر، وللمتمسك يومئذ بمثل الذي أنتم عليه اليوم؛ كأجر خمسين عاملاً منكم» فقالوا: يا رسول الله، كأجر خمسين عاملاً منهم أو منا؟ فقال ﷺ: «كأجر خمسين عاملاً منكم»[2].

١٠٤ ـ وعن قيس بن أبي حازم، قال: سمعت أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يقول: إنكم تقرؤون هذه الآية، وتضعونها في غير موضعها ﴿يا أيُّها الّذين آمَنوا عَلَيْكُم أَنْفُسَكُم لاَ يَضُرُّكُم مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى الله مَرْجِعُكُم جَميعاً﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ولا يغيرونها، إلا أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»[3].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه سئل عن هذه الآية، فقال: ليس ذا زمان ذلك، ولكن إذا كثرت أهواؤهم، وألفوا الجدل، فعلى كل امرىء نفسه، جاء تأويلها.

---

(١) في الأصل: تأخذني.

(٢) رواه أبو داود (٤٣٤١) في الملاحم، باب: الأمر والنهي، والترمذي (٣٠٥٨) في تفسير القرآن، باب (٦)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٤٠١٤) في الفتن، باب: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾. «مؤثرة»: أي يختارها كل أحد على الدين، ويميل إليها لا إليه. «شحاً»: بخلاً. «أيام الصبر»: أي أياماً يعظم فيها أجر الصبر.

(٣) رواه أبو داود (٤٣٣٨) في الملاحم، باب: الأمر والنهي، والترمذي (٣٠٥٧) في تفسير القرآن، باب (٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٠٠٥) في الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وابن حبان (٣٠٤ و٣٠٥).

باب التوبة

قال الفقيه أبو الليث ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، [عن أحمد بن حمزة][1]، حدثنا نصير بن يحيى، حدثنا أبو مطيع، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن عبدالله بن عبيد بن عمير، قال: قال آدم ـ صلوات الله وسلامه عليه: يا ربّ إنك سلّطت عليّ إبليس، ولا أستطيعُ أن أمتنعَ منه إلا بك. قال: لا يولد لك ولد، إلا وكّلت عليه من يحفظه من مكر إبليس ـ عليه اللعنة ـ ومن قرناء السوء.

قال: يا رب، زدني، قال: الحسنة بعشر أمثالها، وأزيدها، والسيئة بواحدة، أو أمحوها.

قال: يا رب زدني. قال: التوبةُ مقبولةٌ ما دامتِ الروحُ في الجسد.

قال: يا رب زدني. قال: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِم لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** [الزمر: ٥٣][2].

١٠٥ ـ قال الفقيه: وحدثني الثقة بإسناده، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن وحشياً، قاتل حمزة عمّ النبي ـ ﷺ ـ، كتب إلى رسول الله ـ ﷺ ـ من مكة: إني أريدُ أن أسلم، ولكن يمنعني عن الإسلام آية من القرآن نزلت عليك، وهي قوله تعالى: **﴿والَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ولاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَل ذَلِكَ يَلْقَ أَثاماً﴾** [الفرقان: ٢٥]، وإني فعلتُ هذه الأشياء الثلاثة، فهل لي من توبة؟، فنزلت هذه الآية: **﴿إلَّا مَنْ تَابَ وآمنَ وعَمِلَ صَالِحاً، فأُولَئِكَ يُبَدِّل اللَّهُ سَيِّئَاتِهم حَسَنَاتٍ﴾** [الفرقان: ٧٠].

فكتب بذلك إلى وحشي. فكتب إليه: إنَّ في الآية شرطاً، وهو العمل

---

(١) من (م). (٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦٥): وعزاه لابن أبي حاتم.

الصالح، ولا أدري هل أقدرُ على العمل الصالح أم لا؟، فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] فكتب بذلك إلى وحشي. فكتب إليه: إنَّ في الآية شرطاً أيضاً، فلا أدري أيشاء الله أن يغفر لي أم لا. فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحمةِ اللَّهِ، إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فكتب إلى وحشي، فلم يجدْ فيها شرطاً، فقدم إلى المدينة؛ وأسلم[١].

١٠٦ ـ قال الفقيه: أنبأنا الخليل بن أحمد، أنبأنا ابن معاذ، أنبأنا الحسين المروزي، حدثنا عبدالله بن سفيان، قال: كتب محمد بن عبدالرحمٰن السلمي إليّ، قال: حدثنا أبي. قال: جلستُ إلى نفر من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ بالمدينة. فقال رجل منهم: سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول: «من تاب قبل موته بنصف يوم تاب الله عليه» قال: قلت: أنت سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقوله؟ قال: نعم، فقال رجل آخر: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه». وقال آخر: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «من تاب قبل الغرغرة تاب الله عليه»[٢].

١٠٧ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل بن أحنف، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا سعيد بن سالم القداح، عن بشر بن جبلة، عن عبدالعزيز بن إسماعيل، عن محمد بن مطرف، قال: قال الله تعالى: ويح ابن آدم، يذنب الذنب، فيستغفرني، فأغفر له، ثم يعود فيستغفرني فأغفر له، ويحه، لا هو يترك ذنبه، ولا هو ييأس من رحمتي، أشهدكم يا ملائكتي أنّي قد غفرتُ له[٣].

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن رجل، عن مغيث بن سُميّ، قال: كان رجل ممن كان قبلكم يعمل بالمعاصي، فبينما هو يسيرُ ذات يوم، إذ تفكّر فيما سلف، فقال: اللهم غفرانك، ثلاث مرات، فأدركه الموت على تلك الحالة، فغفر الله له.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٦٣).   (٢) رواه البغوي، والخطيب عن عبادة. (كنز العمال ١٠٢٦١ و١٠٢٦٥).

(٣) فيه سعيد بن سالم القداح: صدوق يهم. (تقريب التهذيب ١/٢٩٦)، وبشر بن جبلة: مجهول. (تقريب التهذيب ١/٩٨).

وروي عن محمد بن عجلان، عن مكحول[1]، قال: بلغني أن إبراهيم عليه السلام، لما عرج به إلى ملكوت السموات، أبصر عبداً يزني، فدعا عليه، فأهلكه الله تعالى، ثم رأى عبداً يسرق، فدعا عليه، فأهلكه الله تعالى.

فقال الله تعالى: يا إبراهيم، دَعْ عنك عبادي، فإنّ عبدي بين ثلاث خصال: بين أن يتوبَ فأتوب عليه، وبين أن أستخرجَ له ذرية تعبدني، وبين أن يغلبَ عليه الشقاء؛ فمن ورائه جهنم.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: في هذا الخبر دليلٌ على أنَّ العبدَ إذا تاب، قبل الله توبته، فلا ينبغي للعبد أن ييأس من رحمة الله تعالى، فإنّ الله تعالى قال: ﴿**إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [يوسف: ٨٧] [وفي رواية أخرى: ﴿**وهو الذي يقبلُ التوبةَ عن عبادهِ ويعفو عن السيئات**﴾ [الشورى: ٢٥]][2].

فينبغي للعاقل أن يتوب إلى الله في كل يوم ووقت، ولا يكون مصرّاً على الذنب، فإن الراجعَ عن ذنبه لا يكون مصرّاً، وإن عاد في اليوم سبعين مرة.

١٠٨ ـ كما روي عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما أصرّ مَن استغفر، وإنْ عادَ في اليوم سبعين مرة»[3].

١٠٩ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «والله إني لأتوبُ إلى الله تعالى في اليوم مئة مرة»[4].

١١٠ ـ وروى علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال: كنتُ إذا سمعتُ من رسول الله ـ ﷺ ـ شيئاً نفعني الله به ما شاء الله، فإذا حدثني غيره حلّفته، فإن حلف صدقته. وحدثني أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما من عبد يذنب ذنباً، فيتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين، ويستغفر الله، إلا

---

(١) مكحول: وثّقه غير واحد. وقال ابن سعد: ضعّفه جماعة. وقال الذهبي: هو صاحب تدليس. (ميزان الاعتدال ٤/١٧٧).

(٢) من (م).

(٣) رواه أبو داود (١٥١٤) في الصلاة، باب: في الاستغفار، والترمذي (٣٥٥٩) في الدعوات، باب (١٠٧)، وقال: حديث غريب، إنما نعرفه من حديث أبي نضيرة، وليس إسناده بالقوي.

(٤) رواه مسلم (٢٧٠٢) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه، وأبو داود (١٥١٥) في الصلاة، باب: في الاستغفار.

غفر الله له، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [النساء: ١١٠].

وفي رواية تلا هذه الآية: ﴿والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦]»(١).

١١١ ـ وروى الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لما أهبط اللَّهُ ـ عز وجل ـ إبليس ـ عليه اللعنة ـ قال: بعزّتك إنّي لا أفارقُ ابنَ آدم حتى تفارق روحُه جسده. فقال الرب تعالى: وعزّتي وعظمتي، لا أحجبُ التوبة عن عبدي حتى يغرغر بها»(٢).

١١٢ ـ وروى أبو القاسم، عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «صاحبُ اليمين أمينٌ على صاحب الشمال، فإذا عملَ العبدُ حسنةً كتب له صاحب اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة، فأراد أن يكتبها صاحب الشمال، قال صاحب اليمين: أمسك. فيمسك ستّ ساعات أو سبع ساعات، فإن استغفرَ الله، لم يكتبْ عليه شيئاً، وإن لم يستغفرْ يكتب عليه سيئة واحدة»(٣).

١١٣ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذا موافقٌ لما روي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «التّائبُ مِنَ الذَّنب كمن لا ذنبَ له»(٤).

١١٤ ـ وفي رواية أخرى: «إذا أذنبَ العبدُ، لم يكتبْ عليه حتى يذنب ذنباً آخر، ثم إذا أذنب ذنباً آخر لم يكتب عليه حتى يذنب ذنباً آخر، فإذا اجتمعت عليه خمسةٌ من الذنوب، وعمل حسنة واحدة، كتب له خمس حسنات، وجعل الخمس بإزاء خمس سيئات، فيصيحُ عند ذلك إبليس ـ عليه اللعنة ـ ويقول: كيف أستطيعُ على ابن آدم؟ فإني(٥)، وإن اجتهدت عليه، يبطل بحسنة واحدة جميعَ جهدي».

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢١) في الصلاة، باب: في الاستغفار، والترمذي (٣٠٠٦) في تفسير القرآن، باب (٤)، وابن ماجه (١٣٩٥) في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في أن الصلاة كفارة.

(٢) رواه أحمد (٣/ ٢٩)، والحاكم (٤/ ٢٦١) من حديث أبي سعيد، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٠٤٩ و٧٠٥٠).

(٤) رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) في الزهد، باب: ذكر التوبة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٠): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، إلا أنّ أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

(٥) من (م).

١١٥ ـ وروى صفوان بن عسال المرادي ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «مِن قِبل المغرب باب خلقه الله تعالى للتوبة، عرضه مسيرة سبعين سنة، أو أربعين سنة، لا يزال مفتوحاً، لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها»[1].

وعن سعيد بن المسيب في قوله عز وجل: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾ [الإسراء: ٢٥]، قال: هو الرجل يذنبُ ذنباً، ثم يتوب، ثم يذنبُ ذنباً، ثم يتوب.

وقيل للحسن البصري: إنّ الرجل يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، إلى متى هذا؟ قال: لا أعرف هذا إلا من أخلاق المؤمنين.

وقال بعض الحكماء: حرفة العارف ستة أشياء:

إذا ذكر الله افتخر، وإذا ذكر نفسه احتقر، وإذا نظر في آيات الله اعتبر، وإذا همّ بمعصية أو شهوة انزجر، وإذا ذكر عفو الله استبشر، وإذا ذكر ذنوبه استغفر.

١١٦ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: حدثني أبي رحمه الله تعالى، حدثنا أبو الحسين الفراء، حدثنا أبو بكر الجرجاني، عن محمد بن إسحاق، عمن حدثه، عن معمر، عن الزهري، قال: دخل عمر بن الخطاب على رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يبكي، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما يبكيك يا عمر؟» فقال: يا رسول الله، بالباب شابٌ، قد أحرق فؤادي وهو يبكي. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يا عمر، أدخله عليّ»، قال: فدخل، وهو يبكي، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما يبكيك يا شاب؟» قال: يا رسول الله، أبكتني ذنوب كثيرة، وخفت من جبار غضبان عليّ. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أشركت بالله شيئاً يا شاب؟» قال: لا. قال: «أقتلت نفساً بغير حق؟» قال: لا. قال: «فإن الله يغفر ذنبك، ولو كان مثل السموات السبع[2] والأرضين السبع والجبال الرواسي». قال: يا رسول الله، ذنبي أعظم من السموات السبع والأرضين السبع، والجبال الرواسي. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ذنبك أعظم من الكرسي؟» قال: ذنبي أعظم. قال: «ذنبك أعظم أم العرش؟» قال: ذنبي أعظم. قال: «ذنبك أعظم أم إلهك؟» ـ يعني عفو الله ـ قال: بل الله أعظم وأجل.

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذي (٣٥٣٥) في الدعوات، باب: في فضل التوبة والاستغفار، وقال: حسن صحيح، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٠٧٦).

(٢) من (م).

قال: «فإنه لا يغفر الذنب العظيم، إلا الله العظيم» يعني العظيم التجاوز. قال: «أخبرني عن ذنبك». قال: فإني أستحي منك يا رسول الله. قال: «أخبرني عن ذنبك».

قال: يا رسول الله، إني كنتُ رجلاً نباشاً، أنبش القبورَ منذ سبع سنوات، حتى ماتت جاريةٌ من بنات الأنصار، فنبشت قبرها، فأخرجتها من كفنها، فمضيت غير بعيد، إذ غلب الشيطانُ على نفسي، فرجعت فجامعتها، فمضيتُ غير بعيد، إذ قامت الجارية، وقالت: ويلك يا شاب، أما تستحي من ديان يوم الدين؟ يوم يضع كرسيه للقضاء، ويأخذ للمظلوم من الظالم. تركتني عريانة في عسكر الموتى، وأوقفتني جُنُباً بين يدي الله تعالى.

فوثب رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يدفع في قفاه، وهو يقول: «يا فاسق، ما أحوجك إلى النار، اخرج عني»، فخرج الشابُ تائباً إلى الله تعالى أربعين ليلة، فلما تمّ له أربعون ليلة، رفع رأسه إلى السماء، فقال: يا إله محمد وآدم وحواء، إن كنت غفرت لي، فأعلم محمداً ـ ﷺ ـ وأصحابه، وإلا فأرسل ناراً من السماء فأَحْرِقْني بها ونجّني من عذاب الآخرة. قال: فجاء جبريل إلى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال: السلام عليك يا محمد، ربك يقرئك السلام. فقال: «هو السلام، ومنه السلام، وإليه يرجع السلام».

قال: يقول الله تعالى: أنت خلقتَ الخلق؟ قال: «بل هو الذي خلقني وخلقهم». قال: يقول: أنت ترزقهم؟ قال: «بل الله يرزقهم وإياي»، قال: يقول: أنتَ تتوبُ عليهم؟ قال: «بل الله يتوب علي وعليهم». قال: يقول الله تعالى: تب على عبدي، فإني تبتُ عليه.

فدعا النبي ـ ﷺ ـ الشاب، وبشّره بأن الله تاب عليه.

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: ينبغي للعاقل أن يعتبرَ بهذا الخبر، ويعلم بأن الزنا مع الحيّ أعظم ذنباً من الزنا مع الميت، وينبغي أن يتوب توبة حقيقية؛ لأنّ الشاب لما علم تعالى أن توبته حقيقية تجاوز عنه، وينبغي أن تكون التوبةُ على قدر الذنب.

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿**يا أيُّها الَّذِين آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً**﴾ [التحريم: ٨] قال: التوبة النصوح: الندم بالقلب،

والاستغفار باللسان، [والإقلاع بالبدن][1] والإضمار أن لا يعود إليه أبداً.

١١٧ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «المستغفر باللسان، المصرّ على الذنب كالمستهزىء بربه»[2].

وذكر عن رابعة[3] ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت تقول: إن استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير. يعني إذا استغفر باللسان ونيته أن يعودَ إلى الذنب، فإنّ توبته توبة الكاذبين. وهذا لا يكون توبة. وإنما التوبة: أن يستغفر باللسان، وينوي أن لا يعود إلى الذنب، فإذا فعل ذلك غفر الله له ذنبه، وإن كان عظيماً؛ لأنّ الله تبارك وتعالى رحيمٌ بعباده.

وذكر أنه كان في بني إسرائيل ملك، فَوُصِفَ له رجلٌ من العبّاد، فدعاه، وراوده على صحبته، ولزوم بابه، فقال له العابد: حسناً ما تقول أيها الملك، ولكن لو أنك دخلت يوماً في بيتك، فوجدتني ألعب مع جاريتك، ماذا كنت تفعل؟

فغضب الملك، وقال: يا فاجر، أتجترىء عليَّ بمثل هذا؟. فقال له العابد: إنّ لي رباً كريماً، لو رأى مني سبعين ذنباً في اليوم ما غضبَ عليّ، ولا طردني عن بابه، ولا حرمني رزقه، فكيف أفارق بابه، وألزم بابَ من يغضب عليّ، قبل أن أعصيه؟[4] فكيف لو رأيتني في المعصية؟ ثم خرج.

قال الفقيه رحمه الله: الذَّنبُ على وجهين: ذنب فيما بينك وبين الله تعالى، وذنب فيما بينك وبين العباد. أما الذي بينك وبين الله تعالى فتوبته الاستغفار باللسان، والندم بالقلب، والإضمار أن لا تعود، فإن فعل ذلك، لا يبرح مكانه حتى يغفرَ الله له، إلا أن يتركَ شيئاً من الفرائض، فلا تنفعه التوبة، ما لم يقض ما فاته، ثم

---

(١) ساقط من (م) و(ط).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧١٧٨) من حديث ابن عباس، وكذا الديلمي في الفردوس (٢٤٣٣)، وابن أبي الدنيا كما في (الترغيب والترهيب للمنذري ٤/٩٧). قال الذهبي: إسناده مظلم، وقال السخاوي: سنده ضعيف، وفيه من لا يعرف. وقال المنذري: الأشبه وقفه. وقال في الفتح: الراجح أن قوله: «والمستغفر... إلخ». موقوف. (فيض القدير ٣/٢٧٧).

(٣) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية: صالحة مشهورة. لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر وكلام مأثور. توفيت سنة (١٣٥هـ). (وفيات الأعيان ١/١٨٢).

(٤) في (م): أذنب.

يندم ويستغفر. وأما الذنب الذي بينك وبين العباد، فما لم ترضهم لا تنفعك التوبة، حتى يحلّوك.

وروي عن بعض التابعين ـ رضي الله عنهم ـ أنه قال: إن المذنب يذنب، فلا يزال نادماً مستغفراً حتى يدخل الجنة، فيقول الشيطان: يا ليتني لم أوقعه فيه.

وذكر عن أبي بكر الواسطي أنه قال: التأني في كلّ شيء حسنٌ إلا في ثلاث خصال: عند وقت الصلاة، وعند دفن الميت، والتوبة عند المعصية.

وقال بعض الحكماء: إنما تُعرفُ توبةُ الرجل في أربعة أشياء:

أحدها: أن يمسكَ لسانَه من الفضول، والغيبة، والكذب.

والثاني: أن لا يرى لأحدٍ في قلبه حسداً ولا عداوة.

والثالث: أن يفارقَ أصحابَ السوء.

والرابع: أن يكونَ مستعدّاً للموت، نادماً مستغفراً لما سلف من ذنوبه، مجتهداً على طاعة ربه.

وقيل لبعض الحكماء: هل للتائب من علامة يعرف أنه قبلت توبته؟ قال: نعم، علامته أربعة أشياء:

أولها: أن ينقطعَ عن أصحاب السوء، ويريهم هيبةً من نفسه، ويخالطَ الصالحين.

الثاني: أن يكونَ منقطعاً من كلّ ذنب، ومقبلاً على جميع الطاعات.

الثالث: أن يُذْهِبَ عنه فرحَ الدنيا كلّها من قلبه، ويرى حزن الآخرة كلها دائماً في قلبه.

الرابع: أن يرى نفسَه فارغاً عما ضمن اللَّهُ تعالى من الرزق، مشتغلاً بما أمر به.

فإذا وجدت فيه هذه العلامات، فهو من الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ووجب له على الناس أربعة أشياء:

أولها: أن يحبّوه، فإن الله تعالى قد أحبّه.

الثاني: أن يحفظوه بالدعاء على أن يثبته اللَّهُ على التوبة.

الثالث: أن لا يعيّروه بما سلف من ذنوبه.

الرابع: أن يجالسوه، ويذاكروه، ويعينوه.

ويكرمه الله تعالى بأربع كرامات:

إحداها: أن يخرجه الله تعالى من الذنوب، كأنه لم يذنب قط.

الثانية: أن يحبّه الله تعالى.

الثالثة: أن لا يسلّط عليه الشيطان، ويحفظ منه.

الرابعة: أن يؤمنه من الخوف، قبل أن يخرجَ من الدنيا، لأنه عز وجل قال: **﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾** [فصلت: ٣٠].

وروي عن خالد بن معدان[1] أنه قال: إذا دخل التوابون الجنة، قالوا: ألم يعدنا ربنا أن نرِد النار قبل أن ندخلَ الجنة؟ قيل لهم: إنكم مررتم بها وهي خامدة.

١١٨ ـ وروى الحسن عن النبي ـ ﷺ ـ أنه رجم امرأة زنت، ثم صلى عليها. فقال له بعض الصحابة: يا رسول الله، رجمتها، وصليت عليها! فقال: «لقد تابت توبة، لو فعلت مثل ذلك سبعين مرة لتاب الله عليها»[2]. يعني أن توبتها كانت حقيقية، والتوبة إذا كانت حقيقية تُقبل؛ وإن كان الذنب عظيماً.

١١٩ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من عيّر مؤمناً بفاحشة فهو كفاعلها، وكان حقاً على الله أن يوقعه فيها، ومن عيّر مؤمناً بجريمة لم يخرجْ من الدنيا حتى يرتكبها، ويفتضح بها»[3].

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: إنَّ المؤمنَ لا يقصد أن يقعَ في الذنب، ولا يتعمده؛ لأن الله تعالى قال: **﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾** [الحجرات: ٧] فأخبر سبحانه أنه قد بغّض إلى المؤمنين المعصية، فلا يتعمدها المؤمن، ولكن يقعُ فيها في حال الغفلة، فلا يجوز أن يعيّر بها إذا تاب.

---

(١) هو خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي، أبو عبدالله: تابعيّ، ثقة، ممّن اشتهروا بالعبادة. أصله من اليمن، وإقامته في حمص بالشام، وكان يتولّى شرطه يزيد بن معاوية. توفي سنة (١٠٤هـ). (تهذيب ابن عساكر ٥/٨٦).

(٢) رواه مسلم (١٦٩٦) في الحدود؛ باب: من اعترف على نفسه بالزنى، من حديث عمران بن الحُصَيْن.

(٣) رواه الترمذي (٢٥٠٥) في صفة القيامة، باب (٥٣) وقال: حديث غريب، وليس إسناده بمتصل، وخالد بن معدان لم يدرك معاذ بن جبل. والبيهقي في الشعب (٦٦٩٧) بنحوه.

١٢٠ ـ وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: إذا تاب العبد تاب الله عليه، وأنسى الحفظة ما كانوا كتبوا من مساوىء عمله، وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا، وأنسى مقامه من الأرض، وأنسى مقامه من السماء، ليجيءَ يوم القيامة، وليس شيءٌ من الخلق يشهدُ عليه بذلك[1].

١٢١ ـ وروي عن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «مكتوب حول العرش، قبل أن يخلق الخلق بأربعة آلاف عام: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ [طه: ٨٢]»[2]، والله أعلم.

* *

(١) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٧٥١) من حديث أنس. وذكره المنذري في ترغيبه (٤/٩٤-٩٥).

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (٦٣٧٨)، وذكره المدني في (الإتحافات السنية ص ٢٧٣).

باب آخر في التوبة

١٢٢ ـ قال الفقيه أبو الليث ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا أحمد بن محمد، وهو أبو الحسين الفراء الفقيه بسمرقند، حدثنا الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني، حدثنا داود بن إبراهيم، حدثنا نوح بن أبي مريم، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ ذكر باب التوبة، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ما باب التوبة؟ فقال النبي ـ ﷺ ـ: «باب التوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب، مكلّلان بالدر والياقوت، ما بين المصراع والمصراع الآخر مسيرةُ أربعين عاماً للراكب المسرع، وذلك البابُ مفتوحٌ منذ خلق الله تعالى خلقه، إلى صبيحة ليلة طلوع الشمس من مغربها، ولم يتب عبدٌ من عباد الله تعالى توبةً نصوحاً؛ إلا دخلت تلك التوبةُ من ذلك الباب» ـ قال معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما التوبة النصوح؟ قال: «أن يندم المذنب على الذنب الذي أصاب، فيعتذر إلى الله تعالى، ثم لا يعود، ثم تغرب الشمس والقمر في ذلك الباب، ثم يردّ المصراعان، فيلتئم ما بينهما ويصيرُ كأن لم يكن بينهما صدعٌ قط. فعند ذلك لا تُقبل من العبد توبة، ولا تنفعه حسنةٌ يعملها في الإسلام، إلا من كان قبل ذلك محسناً، فإنه يُجْرَىٰ له عمله، وعليه ما كان يُجْرَىٰ قبل ذلك.

وذلك قوله تعالى: ﴿يومَ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ بَعْضُ آياتِ رَبِّك لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمنَتْ مِنْ قَبلُ أَوْ كَسَبَتْ في إِيمانِهَا خَيْراً﴾[الأنعام: ١٥٨]»[1].

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: [التوبة النصوح: أن يتوب ثم لا يعود.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٩٨/٣) وعزاه لابن مردويه بسندٍ واهٍ.

وعنه أنه قال]:[1] باب التوبة مفتوح، وهي مقبولة من كلّ أحد، إلا من ثلاثة: إبليس رأس الكفرة، وقابيل بن آدم رأس الخاطئين، ومن قتل نبياً من الأنبياء.

وقال: باب التائبين مفتوح من قبل المغرب، مسيرة أربعين سنة، لا يغلق عليهم، حتى تطلع الشمسُ من مغربها.

١٢٣ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو حسين الفراء، حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق، حدثنا عبدالرحمٰن بن حبيب، عن إسماعيل، عن يحيى، عن ابن لهيعة، عن عبدالرحمٰن الأعرج، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «التوبة معلقة في الهواء، تنادي الليل والنهار، لا تفتر: من يقبلني لا يعذّب. فهي الدهر كله على هذا الحال، حتى تطلع الشمسُ من مغربها، فإذا طلعت الشمسُ من مغربها رُفعت».

ففي هذه الأخبار حثّ على التوبة، وفيها بيان أنّ العبدَ إذا تاب قُبلت التوبةُ منه. والله تعالى دعا المؤمنين إلى التوبة، فقال عز وجل: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١] يعني لكي تنجوا من عذابه، وتنالوا من رحمته. فبيّن تعالى أن التوبةَ مفتاحُ كلّ خير، وأنّ فلاحَ المؤمن في توبته، وأمر المؤمنين بالتوبة، فقال تعالى: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا توبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً**﴾ ثم بين ما لهم من الكرامة في التوبة، فقال تعالى: ﴿**عَسَى رَبُّكُم أَنْ يُكَفِّر عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾ يعني يتجاوز عن ذنوبكم ﴿**وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار**﴾ [التحريم: ٨] يعني يعطيكم في الآخرة بساتين تجري من تحت غرفها ومساكنها وأشجارها الأنهار.

وأخبرهم أنه غفّار لذنوب التوابين، فقال تعالى: ﴿**والّذينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم ذَكروُا الله، فاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٣٥] يعني إذا فعلوا الكبائر (أو) ويقال إنها بمعنى الواو، ومعناه (**والذين إذا فعلوا فاحشة، وظلموا أنفسهم ذكروا الله**)، يعني خافوا الله عند المعصية، فاستغفروه. ﴿**ولم يصروا على ما فعلوا**﴾ يعني ولم يثبتوا على معصيتهم، وهم يعلمون أنها معصية.

---

(١) من (م).

١٢٤ ـ وروى سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن جدّه، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إني لأستغفر الله، وأتوب إليه في اليوم مئة مرة»[1].

١٢٥ ـ وفي خبر آخر قال: «يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم والليلة مئة مرة»[2].

فإذا كان النبي ـ ﷺ ـ يستغفر ويتوب ـ وقد غَفَر اللَّهُ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ـ فالذي لم يظهرْ حاله أنه أغفر له أم لا؟ كيف لا يتوب إلى الله تعالى في كلّ وقت؟ وكيف لا يجعل لسانه ـ أبداً ـ مشغولاً بالاستغفار؟.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: **﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾** [القيامة: ٥] يعني يقدّم ذنوبه، ويؤخّر توبته، ويقول: سأتوب، حتى يأتيه الموتُ على شرّ ما كان عليه، فيموت عليه.

١٢٦ ـ وروي عن [حميد، عن][3] جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «هلك المسَوِّفون»[4]، والمسوف: من يقول: سوف أتوب.

فالواجبُ على كلّ إنسان أن يتوبَ إلى الله تعالى في كل وقت، حتى يأتيه الموتُ وهو تائب؛ لأنّ الله تعالى قابل للتوبة، حيث قال عز وجل: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾** [الشورى: ٢٥] يعني يتجاوز عن سيئاتهم إذا تابوا ورجعوا. فالتوبة: أن يندم على ذنبه بالقلب، ويستغفر باللسان، ويضمر ألّا يرجع إليه أبداً.

١٢٧ ـ قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو، الحيّ القيوم، وأتوب إليه، ثلاثاً، غفرت له ذنوبه، ولو كانت مثل زَبَدِ البحر[5].

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٠٩).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢) (٤٢) في الذكر والدعاء، باب: استحباب الاستغفار. **(٣)** من (م).

(٤) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٧٥٢) بلفظ: «احذروا التسويف». وذكره المنذري في ترغيبه (٤/ ٩٥ ـ ٩٦) أثناء حديث.

(٥) رواه الحاكم (١/ ٥١١) مرفوعاً من حديث ابن مسعود. ورواه أبو داود (١٥١٧) في الصلاة، باب: في الاستغفار، والترمذي (٣٥٧٧) في الدعوات، باب: في دعاء الضيف، وقال: حديث غريب. من حديث بلال بن يسار عن أبيه عن جدّه.

١٢٨ ـ وروى أيوب، عن أبي قِلابة، قال: إن الله تعالى، لما لعن إبليس، سأله النّظرة، فأنظره، فقال: انظر ما ترى. فقال: وعزّتك، لا أخرج من صدر عبدك حتى تخرج نفسه[١]. فقال الرب: وعزتي وجلالي، لا أحجبُ التوبةَ عن عبدي، حتى تخرج نفسه[٢].

فانظر إلى رحمة الله، ورأفته على عباده، أنّه سمّاهم مؤمنين بعدما أذنبوا، فقال تعالى: ﴿وتُوبُوا إلى اللَّهِ جَميعاً أيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وأحبهم بعد التوبة فقال: ﴿إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

١٢٩ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «التائبُ مِنَ الذنب كمن لا ذنبَ له»[٣].

وروي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن رجلاً سأله، فقال: إني أصبتُ ذنباً، فقال له علي ـ كرم الله وجهه ـ: تُبْ إلى الله تعالى، ثم لا تعد. قال: فإني قد فعلتُ، ثم عدتُ، قال علي: تُبْ إلى الله تعالى، ثم لا تعدْ. قال: إلى متى؟ قال: حتى يكونَ الشيطانُ هو المحسور.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿إنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]، قال: الجهالة: العمد، [﴿ثم يتوبون من قريب﴾ قال:][٤] كل شيء دون الموت، فهو قريب.

١٣٠ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: إذا أذنب العبد ذنباً، فقال: ربّ إني أذنبتُ ذنباً، أو قال: عملتُ ذنباً، فاغفرْ لي. قال الله تعالى: عبدي عملَ ذنباً، فعلم أن له رباً يغفرُ الذنب، ويأخذُ به، فقد غفرتُ لعبدي»[٥].

وهذا كله لكرامة محمد ـ ﷺ ـ. وكان في الأمم الماضية؛ إذا أذنبوا ذنباً حُرِّم

(١) في (م): حتى تخرج روحه من جسده.
(٢) رواه أحمد (٣/٢٩)، والحاكم (٤/٢٦١) وصححه، ووافقه الذهبي، من حديث أبي سعيد مرفوعاً.
(٣) سبق تخريجه برقم (١١٣). (٤) من (م).
(٥) رواه البخاري (٧٥٠٧) في التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدّلوا كلامَ الله﴾، ومسلم (٢٧٥٨) في التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة.

عليهم حلال، وإذا أذنب واحدٌ منهم ذنباً، وَجَدَ على بابه، أو على جبهته مكتوباً؛ أن فلاناً بن فلان قد أذنب كذا، وتوبته كذا. فخفّف الله تعالى الأمر على هذه الأمة، فقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [النساء: ١١٠].

فالواجبُ على كلّ مسلم أن يتوبَ إلى الله تعالى، حين يصبح، وحين يمسي.

وقال مجاهد: ومن لم يتبْ إذا أمسى، وإذا أصبح، فهو من الظالمين.

وينبغي للعبد أن يتوبَ إلى الله تعالى في كلّ وقت، ويجتهدَ في حفظ الصلوات الخمس، فإن الله تعالى جعلَ الصلوات الخمس تطهيراً لذنوب العباد، فيما دون الكبائر(١).

١٣١ ـ وروى علقمة، عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله، إني لقيتُ امرأةً في البستان، فضممتها إليّ، وقبّلتها، وفعلتُ بها كلّ شيء، إلا أنني لم أجامعها، فسكتَ النبيُّ ـ ﷺ ـ ساعة، فنزلت هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

يعني: صلّ لله تعالى في طرفي النهار، وهي صلاةُ الفجر والظهر والعصر، وزلفاً من الليل، يعني صلّ لله تعالى صلاة المغرب، وصلاة العشاء الآخرة. ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ يعني الصلوات الخمس تكفر الذنوب التي بينها ما دون الكبائر، وذلك توبة للتائبين.

فدعاه النبي ـ ﷺ ـ وقرأ عليه هذه الآية، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ يا رسول الله أله خاصة، أم للناس عامة؟ فقال النبي ـ ﷺ ـ: «بل للناس عامة»(٢).

١٣٢ ـ وروى الحسن، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ليس من عبد إلا وعليه ملكان [يكتبان عمله](٣)، وصاحب اليمين أمين على صاحب الشمال، فإذا عمل العبدُ

---

(١) قال ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفّارة لما بينهنّ ما لم تُغْشَ الكبائر». رواه مسلم (٢٣٣) في الطهارة، وأحمد (٢/٤٨٤)، والترمذي (٢١٤) في الصلاة.

(٢) رواه البخاري (٤٦٨٧) في التفسير، باب: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل﴾، ومسلم (٢٧٦٣) (٤٢) في التوبة، باب: قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾.

(٣) من (م).

السيئة، قال صاحب الشمال: أأكتبها؟ قال له: دعه حتّى يعمل خمس سيئات، فإذا عمل خمساً، قال: أأكتبها؟ قال: دعه حتى يعمل حسنة، فإذا عمل حسنة، قال صاحبُ اليمين: قد أُخبرنا أن الحسنة بعشر أمثالها، فتعال حتى نمحو خمساً بخمس، ونثبت له خمساً من الحسنات. قال: فيصيحُ الشّيطانُ ويقول: متى أُدركُ ابن آدم؟»[1].

١٣٣ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ، قال: حدثنا أبو الحسين الفراء، عن أبي بكر أحمد بن إسحاق بإسناده، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجتُ ذات ليلة بعدما صليت العشاء الآخرة، مع رسول الله ـ ﷺ ـ فإذا أنا بامرأة متنقبة، قائمة على الطريق، فقالت: يا أبا هريرة، إني قد ارتكبتُ ذنباً عظيماً، فهل من توبة؟ فقلت: وما ذنبك؟ قالت: إني زنيت، وقتلت ولدي من الزنا. فقلت لها: هلكت، وأهلكت، والله ما لك من توبة، قال: فشهقت شهقة، وخرت مغشياً عليها. ومضيت، وقلت في نفسي: أفتي، ورسول الله ـ ﷺ ـ بين أظهرنا! فلما أصبحت، غدوتُ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت: يا رسول الله، إن امرأةً استفتتني البارحة في كذا وكذا، وإني أفتيتها بكذا وكذا. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنا لله وإنا إليه راجعون، أنتَ ـ والله ـ يا أبا هريرة هلكت وأهلكت، أين كنت يا أبا هريرة من هذه الآية: **﴿وَالّذينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهَ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتي حَرَّم الله إلَّا بالحق ولاَ يَزْنُونَ﴾** إلى قوله تعالى: **﴿فَأُولَئِكَ يُبَدّل اللَّهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَات وَكَانَ اللَّهُ غفوراً رحِيماً﴾** [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠]».

قال: فخرجتُ من عند رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا أعدو في سكك المدينة، وأقول: من يدلّني على امرأةٍ استفتتني البارحة في كذا وكذا، والصبيان يقولون: جُنّ أبو هريرة، حتى إذا كان الليل لقيتها في ذلك الموطن، فأعلمتها بقول الرسول ـ ﷺ ـ، وأن لها التوبة، فشهقتْ شهقةً من السرور، وقالت: إنَّ لي حديقة، وهي صدقة على المساكين كفارة لذنبي[2].

وذكر في قوله تعالى: **﴿إلَّا مَنْ تَابَ وَآمنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾** [الفرقان: ٧٠] قال بعضهم: إنَّ العبد إذا تاب من الذّنوب، صارت

---

(١) الحديث من مراسيل الحسن، وهي ضعيفة.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٧٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه، بسندٍ ضعيف.

الذنوبُ الماضية كلّها حسنات. وروي هكذا عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: ينظر الإنسانُ يوم القيامة في كتابه، فيرى في أوله معاصي، وفي آخره حسنات، فإذا رجع إلى أول الكتاب، رأى كلّه حسنات.

وروى أبو ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ نحوه[1].

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ ويقال معناه: أنه يحول من العمل السيىء إلى العمل الصالح، فيوفقه الله تعالى، لكي يعمل الحسنات مكان ما يعمل من السيئات فذلك قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الفرقان: ٧٠] يعني غفوراً لما فعلوا قبل التوبة، رحيماً بهم بعد التوبة.

واعلم يا أخي أنه ليس ذنب أعظم من الكفر، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] فما ظنك بما دون الكفر؟.

١٣٤ ـ وروى الحسن عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لو أخطأ أحدُكم حتى ملأ ما بين السماء والأرض، ثم تاب، تاب الله عليه»[2].

١٣٥ ـ وروي عن يزيد الرقاضي، قال: خطبنا أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ على منبر رسول الله ـ ﷺ ـ فقال في خطبته: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «آدم أكرمُ البشر على الله، يعتذرُ الله إليه يوم القيامة بثلاث معاذير: يقول الله: يا آدم لولا أني لعنتُ الكذابين، وأُبغض الكذب، وأوعدتُ عليه، وقد ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجنَّةِ والنَّاسِ أجمعين﴾ [السجدة: ١٣] لرحمت ذريتك اليوم أجمعين. ويقول له: يا آدم، إني لا أدخل أحداً من ذريتك النار، ولا أعذّبه بالنار، إلا من

---

(١) عن أبي ذر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهلِ النار خروجاً منها: رجل يُؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعْرِضُوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها. فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملتَ يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملتَ يوم كذا وكذا، كذا وكذا. فيقول: نعم، لا يستطيع أن يُنكر، وهو مشفقٌ من كبار ذنوبه أن تُعْرَض عليه، فيقال له: فإنّ لك مكانَ كلّ سيئة حسنةً، فيقول: ربّ قد عملتُ أشياء لا أراها هنا». فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بَدَتْ نواجذُه. رواه مسلم (١٩٠).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٤٨) في الزهد، باب: ذكرَ التوبة، من حديث أبي هريرة. وقال في الزوائد: هذا إسناد حسن، ويعقوب بن حميد مختلف فيه، وباقي رجال الإسناد ثقات. وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٨٩ ـ ٩٠) وقال: رواه ابن ماجه بإسناد جيد.

علمت بعلمي أنه لو رددته إلى الدنيا؛ لعاد إلى شر ما كان فيه، ثم لم يرجع، ولم يتب. ويقول له: يا آدمُ، قد جعلتك حكماً بيني وبين ذريتك، قم عند الميزان، فانظر إلى ما يرفع إليك من أعمالهم، فمن رجح له خير مثقال ذرة، فله الجنة، حتى تعلم أني لا أدخل النار إلا كل ظالم»[1].

١٣٦ ـ وروت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «الدواوينُ ثلاثة: ديوان يغفره الله، وديوان لا يغفره الله، وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئاً.

فأما الديوانُ الذي لا يغفره الله، فالشرك بالله تعالى. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ، فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ**﴾ [المائدة: ٧٢].

وأما الديوان الذي يغفره الله تعالى، فظلمُ العبد لنفسه، فيما بينه وبين ربه.

وأما الديوان الذين لا يترك الله منه شيئاً، فظلم العباد بعضهم لبعض»[2].

١٣٧ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لتؤدّنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجمّاء من الشاة القرناء تنطحها»[3].

فينبغي للعبد أن يجتهدَ في رضا الخصوم، فإذا كان الذنبُ بينه وبينه الله تعالى، فإنّ اللّهَ رحيمٌ يتجاوز عنه إذا استغفر، وإذا كان الذنب بينه وبين العباد، فإنه مطالب به لا محالة، ولا ينفعه الاستغفار ولا التوبة؛ ما لم يُرْضِ الخصم، وإن لم يُرضه في الدنيا أخذ من حسناته يوم القيامة، كما جاء في الخبر.

١٣٨ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبي، حدثنا أبو الحسين الفراء، حدثنا أبو بكر، حدثنا أحمد بن عبدالله، عن صالح بن محمد، عن القاسم بن عبدالله، عن العلاء بن عبدالرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أتدرون من المفلس من أمتي؟» قالوا: المفلس فينا مَن لا درهم له، ولا دينار،

---

(١) فيه يزيد بن أبان: ضعيف. (ميزان الاعتدال ٤/٤١٨).

(٢) رواه الحاكم (٤/٥٧٥ ـ ٥٧٦) وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: صدقة ضعّفوه، وابن بابنوس فيه جهالة.

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٢) في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، وأحمد (٢/٢٣٥ و٣٠١ و٣٧٢)، والترمذي (٢٤٢٠) في صفة القيامة، باب (٢)، وقال: حسن صحيح، «الجمّاء»: التي لا قَرْن لها.

ولا متاع. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه، ويأتي قد شَتَم هذا، وقَذَف هذا، وأكلَ مال هذا، وسَفَك دم هذا، وضرب هذا، فيقتص لهذا من حسناته، ولهذا من حسناته، فإذا فنيتْ حسناتُه، قبل أن يقضي ما عليه، أُخذ من خطاياهم، فطُرِحت عليه، ثم طُرح في النار»[1].

فنسأل الله تعالى أن يوفّقنا للتوبة، وأن يثبتنا عليها، فإن الثباتَ على التوبة أشدُّ من التوبة.

قال محمد بن سيرين[2] ـ رحمه الله تعالى ـ: إياك أن تعملَ شيئاً من الخير، ثم تدعه، فإنه ما من أحدٍ تاب ثم رجع فأفلح.

فينبغي للتائب أن يجعل أجله بين عينيه، لكي يثبت على التوبة، ويتفكر فيما مضى من ذنوبه ويكثر الاستغفار، ويشكر الله تعالى على ذلك، وعلى ما رزقه من التوبة، ووفقه لذلك، ويتفكر في ثواب يوم القيامة، فإن من تفكر في ثواب الآخرة رغب في الحسنات، ومن تفكر في العقاب انزجر عن السيئات.

١٣٩ ـ وروى زيد بن وهب، عن أبي ذر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قلت يا رسول الله، أخبرنا ما كان في صحف موسى، قال: «كان فيها أمثال وعبر: عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك، وعجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يعمل السيئات، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب، أو كيف يحزن، وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، وعجبت لمن أيقن بالجنة، وهو لا يعمل الحسنات. لا إله إلا الله، محمد رسولُ الله»[3].

وروي عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه مرّ ذات يوم في موضع من نواحي الكوفة، فإذا الفساق قد اجتمعوا، وهم يشربون الخمر، وفيهم مغنّ يقال له «زاذان»، وكان يضرب بالعود ويغني، وكان له صوتٌ حسن، فلما سمع ذلك

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨١) في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، والترمذي (٢٤١٨) في صفة القيامة، باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص، وقال: حسن صحيح.

(٢) هو محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر: إمام وقته في علوم الدِّين بالبصرة، تابعي، من أشراف الكتّاب. نشأ بزّازاً، في أذنه صمم، وتفقّه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. له كتاب «تعبير الرؤيا»، وهو منسوب له. توفي سنة (١٠ هـ). (تهذيب التهذيب ٩/٢١٤) و(حلية الأولياء ٢/٢٦٣).

(٣) رواه ابن عساكر. (كنز العمال ٤٣٦١٠).

عبدالله بن مسعود قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان لقراءة القرآن! وجعل الرداء في رأسه ومضى؛ فسمع «زاذان» قوله، فقال: من كان هذا؟ قالوا: عبدالله بن مسعود، صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ قال: فأيّ شيء قال؟ قالوا: إنه قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان لقراءة القرآن! فدخلت الهيبةُ في قلبه، فقام، وضرب العود على الأرض، فكسره، ثم أسرع حتى أدركه، وجعل المنديل في عنق نفسه، وجعل يبكي بين يدي عبدالله. فاعتنقه عبدالله، وجعل يبكي كلّ واحد منهما. ثم قال عبدالله: كيف لا أحبّ مَن أحبّه الله تعالى، فتاب من ذنوبه. وجعل يلازمُ عبدالله، حتى تعلّم القرآن، وأخذ حظّاً من القرآن والعلم، حتى صار إماماً في العلم، وقد جاء في كثير من الأخبار عن زاذان عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعتُ أبي يحكي: أن في بني إسرائيل، كانت امرأة بغي، وكانت مفتنة للناس بجمالها، وكان بابُ دارها ـ أبداً ـ مفتوحاً، فكلّ من مرّ ببابها رآها قاعدة في دارها على السرير بحذاء الباب، فكلّ مَن نَظَر إليها افتتن بها، فإذا أراد الدخول إليها، احتاج إلى إحضار عشرة دنانير، أو أقلّ، أو أكثر، حتى تأذنَ له بالدّخول عليها، فمر ببابها ذات يوم عابدٌ من العبّاد، فوقع بصره في الدار، وهي قاعدةٌ على السرير، فافتتن بها، فجعل يجاهدُ نفسه، ويدعو الله تعالى ليزيلَ ذلك من قلبه، فلم يزلْ ذلك عنه، وكان يكابدُ بنفسه المكابدة الشديدة، حتى باع قماشاً كان له، وجمع من الدنانير ما يحتاجُ إليه فجاء إلى بابها، وأمرت أن يسلم ذلك إلى وكيل لها، وواعدته وقتاً لمجيئه، فجاء إليها في ذلك الوقت، وقد تزيّنت، وجلستْ في بيتها على سريرها، فدخل عليها العابدُ، وجلس معها على السرير، فلما مدّ يده إليها، وانبسط إليها، تداركه اللّهُ برحمته، وبركة عبادته المتقدمة، فوقع في قلبه أن الله تعالى يراني في هذه الحالة، فوق عرشه، وأنا في الحرام، وقد أحبطَ عملي كله، فوقعت الهيبةُ في قلبه، وارتعدت فرائصُه، وتغيّر لونه، فنظرت المرأةُ إليه، فرأته متغيّر اللون. فقالت: أيّ شيء أصابك؟ قال: إني أخافُ ربي، فائذني لي بالخروج.

فقالت له: ويحك، إن كثيراً من الناس يتمنون الذي وجدته، فأي شيء هذا الذي أنت فيه؟ فقال لها: إني أخافُ الله، وإن المالَ الذي دفعتُه إليك هو حلالٌ لك، فأذني لي بالخروج.

فقالت له: كأنك لم تعملْ هذا العمل قط؟ قال: لا. فقالت: من أين أنت؟ وما اسمك؟ فأخبرها أنه من قرية كذا، واسمه كذا. فقالت: اخرج، فخرج من عندها، وهو يدعو بالويل والثبور، ويبكي على نفسه، ويحثو التراب على رأسه، فوقعت الهيبةُ في قلب المرأة. فقالت في نفسها: إن هذا الرجل أول ذنب أذنبه، وقد دخل عليه من الخوف ما دخل، وإني قد أذنبتُ منذ كذا وكذا سنة، وإن ربّه الذي يخافُ منه هو ربّي، فخوفي منه ينبغي أن يكون أشد. فتابتْ إلى الله، وأغلقت بابها [عن الناس][1]، ولبست ثياباً خَلِقة[2]، وأقبلت على العبادة، وكانت في عبادتها ما شاء الله، فقالت في نفسها: لو أني انتهيتُ إلى ذلك الرجل، فلعله يتزوّجني فأكونُ عنده، فأتعلّم منه أمر ديني، ويكون عوناً على عبادة الله تعالى، فتجهزتْ، وحملتْ معها من الأموال والخدم ما شاء الله، فانتهتْ إلى تلك القرية، وسألتْ عنه، فأُخبر العابد أن امرأة تسأل عنه، فخرج إليها، فلما رأته المرأة كشفتْ عن وجهها ليعرفها، فلما رآها عرف وجهها، وتذكر الأمر الذي كان بينه وبينها، فصاح صيحة، وخرجت روحُه، فبقيت المرأةُ حزينةً، وقالت: إني خرجتُ لأجله، وقد مات، فهل من أقربائه أحدٌ يحتاج إلى امرأة يتزوجها؟ فقالوا: إن له أخاً ليس له مال. فقالت: لا بأس، وإن لي من المال ما فيه غنية. فجاء أخوه، فتزوّج بها، فولد منها سبعة من البنين كلهم صاروا أنبياء في بني إسرائيل!»، والله سبحانه أعلم.

* * *

---

(١) من (م). (٢) أي بالية.

باب حق الوالدين

١٤٠ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد النيسابوري، أنبأنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل العابد، حدثنا يزيد بن هارون، قال: حدثنا سليمان التيمي، عن سعيد بن مسعود، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ما من مؤمن له أبوان، فيصبح وهو محسنٌ إليهما إلا فتحَ اللَّهُ له بابين من الجنة. ولا يسخط عليه واحد منهما، فلا يرضى الله تعالى عنه حتى يرضى. قيل: وإن كان ظالماً؟ قال: وإن كان ظالماً[1].

وروي هذا الخبر مرفوعاً، فيه زيادة. قال: «ولا يصبح وهو مسيء إليهما إلا فتح الله له بابين من النار، وإن كان واحداً فواحد».

قال ـ رضي الله تعالى عنه ـ: حدثنا أبو القاسم، حدثنا فارس، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا عبيدالله بن موسى، عن سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء قال: قال موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب أوصني. قال: أوصيك بي. قال: أوصني. قال: أوصيك بأمك. قال: أوصني، قال: أوصيك بأمك. قال: أوصني، قال: أوصيك بأبيك.

١٤١ ـ وروي عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: إني أريد الجهاد. قال: «أحيٌّ أبواك؟» قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد»[2].

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٩١٥)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٥٠٨) وعزاه لمسدد، وأبو بكر الطرطوشي في بر الوالدين رقم (٣٣) مرفوعاً.

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٤) في الجهاد، باب: الجهاد بإذن الأبوين، ومسلم (٢٥٤٩) في البر والصلة والآداب، باب: بر الوالدين وأنهما أحقّ به.

قال الفقيه رحمه الله تعالى: في هذا الخبر دليلٌ على أنّ برَّ الوالدين أفضـلُ من الجهـاد في سبيل الله تعـالى؛ لأنَّ النبيّ ـ ﷺ ـ أمره أن يتـرك الجهـاد، ويشتغـل ببـرِّ الوالدين. وهكذا نقول: إنه لا يجوزُ للرجـل أن يخرجَ إلى الجهـاد في سبيل الله، إذا لم يأذن له أبواه، ما لم يقع النفيرُ عاماً، وتكون طاعةُ الوالدين أفضلَ من الخـروج إلى الغزو.

١٤٢ ـ وروى بهز بن حكيم، عن أبيه عن جـدّه، قال: قلت: يا رسول الله؛ من أبـر؟ قال: «أمـك». قال: قلت: ثم من؟ قـال: «أمك». قـال: قلت: ثم من؟ قال: «أمك». قال: قلت: ثم من؟ قال: «أباك، ثم الأقرب والأقرب»[1].

١٤٣ ـ قال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو القاسم، حدثنا فارس بن مردويه، قال: حـدثنا محمـد بن الفضيل، قـال: حدثنـا أصرم بن حـوشب. قال: حـدثنا عيسى بن عبدالله، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده. قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لو علم الله أن شيئاً من العقـوق أدنى من أفّ لنهى عن ذلك، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار»[2].

قال الفقيه ـ رضي الله عنه ـ: لو لم يذكر الله تعالى في كتابه حرمـة الوالـدين، ولم يوصِ بهما، لكان يعرف بالعقل أن حرمتهما واجبة، وكان الـواجبُ على العاقـل أن يعرفَ حرمتهما، ويقضي حقهما، فكيف وقـد ذكر الله تعـالى في جميع كتبـه: في التّوراة، والإنجيل، والزّبور، والفرقان، وقـد أمر في جميـع كتبه، وأوحى إلى جميـع الأنبياء، وأوصاهم بحرمة الوالدين، ومعرفة حقّهما، وجعل رضاه في رضا الـوالدين، وسخطه في سخطهما.

ويقال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا يقبلُ الله واحدة منهن بغير قرينتها:

أولاها: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] فمن صلى ولم يؤتِ الزكاة؛ لم تُقبل منه الصلاة [آل عمران: ١٣٢].

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (رقم ٣)، وأبو داود (٥١٣٩) في الأدب، باب: في بر الوالدين، والترمذي (١٨٩٧) في البر والصلة، باب: ما جاء في بر الوالدين، وقال: حديث حسن، والحاكم (١٥٠/٤) وصححه.

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (٥٠٦٣)، والقرطبي في تفسيره (٢٤٣/١٠)، وذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢٣٣/٢) وعزاه للديلمي، وقال: وفيه عيسى بن عبيدالله، وعنه أصرم بن حوشب، والشوكاني في الفوائد المجموعة ص (٢٥٧ ـ ٢٥٨) وقال: في إسناده كذاب.

والثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ﴾ [آل عمـران: ١٣٢] فمن أطاع الله ولم يطع الرسول؛ لم يُقبل منه.

والثالثة: قوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لي وَلِوَالِدَيْـكَ﴾ [لقمان: ١٤] فمن شكـر الله ولـم يشكر لوالديه، لم يُقبل منه.

١٤٤ ـ والدليل على ذلك ما روي عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إن لعنة الوالدين تبتـر أصلَ ولـدهما إذا عقّهمـا، فمن أرضى والديـه فقـد أرضى خـالقـه، ومن أسخط والديه فقد أسخط خالقه، ومن أدرك والديه، أو أحدهما، فلم يبرهمـا، دخـل النار، فأبعده الله»[١].

١٤٥ ـ وسئل النبي ـ ﷺ ـ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصـلاة لوقتهـا، ثم برّ الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله»[٢].

وعن فرقد السَّبَخي[٣]، قال: قرأتُ في بعض الكتب أنه لا ينبغي للولد أن يتكلّم إذا شهـد والـديـه إلا بـإذنهمـا، ولا يمشي بين أيـديهمـا، ولا عن يمينهمـا، ولا عن شمـالهما، إلا أن يـدعواه فيجيبهمـا، ولكن يمشي خلفهما، كمـا يمشي العبـدُ خلف مولاه.

١٤٦ ـ وذكـر أن رجـلاً جـاء إلى النبي ـ ﷺ ـ فقـال: يـا رسـول الله، إن أمي خرفت عندي، وأنا أطعمها بيـدي، وأسقيها، وأوضئهـا، وأحملها على عـاتقي، فهل جازيتها؟ قال: «لا، ولا واحدة من مئة، ولكنك قد أحسنت، والله يثيبك على القليـل كثيراً»[٤].

وروى هشـام بن عروة عن أبيـه، قال: مكتـوب في الحكمـة: ملعـون من لعن

---

(١) روى البخاري في الأدب المفرد (٢) عن عبدالله بن عمر قال: رضا الرب في رضا الوالد، وسَخَط الرب في سخط الوالد. موقوفاً عليه. ورواه التـرمذي (١٨٩٩) مـرفوعـاً من حديث عبـدالله بن عمرو، وكـذا الحاكم (٤/١٥٢) وصححه على شرط مسلم.

(٢) رواه البخـاري (٥٩٧٠) في الأدب، باب: البـر والصلة، ومسلم (٨٥) في الإيمـان، بـاب: بيـان كـون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.

(٣) هـو فرقـد بن يعقوب السبخي البصـري: صدوق، عـابد، لكنـه ليّن الحديث، كثيـر الخـطأ. (تقـريب التهذيب ٢/١٠٨).

(٤) رواه الطرطوشي مرفوعـاً في كتابـه بر الـوالدين (ص ١٠٥)، والبـزار كما في كشف الأستـار (١٨٧٢)، ورواه البخاري موقوفاً بنحوه في الأدب المفرد رقم (١١). وانظر مجمع الزوائد (٨/١٣٧).

أباه، ملعون من لعن أمه، ملعون من صدّ عن السبيل، أو أضل الأعمى عن الطريق، ملعون من ذبح بغير اسم الله[1]، ملعون من غيّر تخوم الأرض، يعني الحدّ الذي بين أرضه وأرض غيره، ويقال: يعني علامات الحرم، ومعنى قوله: «لعن أباه ولعن أمه» يعني عمل عملاً يلعن به أبواه، فصار كأنه هو الذي لعنهما.

١٤٧ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «إن من أكبر الذنب أن يسب الرجل والديه»، قيل: وكيف يسب والديه؟ قال: «يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسبّ أمه»[2].

١٤٨ ـ وروى أبان، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كان شاب على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ يسمى علقمة، وكان شديد الاجتهاد عظيم الصدقة، فمرض فاشتدّ مرضه، فبعثت امرأته إلى رسول الله ـ ﷺ ـ أن زوجي في النّزع، فأردتُ أن أعلمك بحاله، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لبلال وعليّ وسلمان وعمار: «اذهبوا إلى علقمة فانظروا ما حاله؟» فانطلقوا حتى دخلوا عليه، فقالوا له: قل: لا إله إلا الله، فلم ينطلق لسانه، فلما أيقنوا أنه هالك، بعثوا بلالاً إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ليخبره بحاله. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «هل له أبوان؟» فقيل له: أما أبوه فقد مات، وله أم كبيرة السّن. فقال: «يا بلال، انطلق إلى أم علقمة، فأقرئها مني السلام، وقل لها: إن قدرتِ على المسير إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وإلا فقري حتى يأتيك رسول الله ـ ﷺ ـ»، فذهب بلال فأخبرها. فقالت: نفسي لنفسه الفداء، أنا أحقّ بإتيانه، فأخذت العصا، فمشت حتى دخلت على رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «اصدقيني، فإن كذبتني جاءني الوحي من الله تعالى؛ كيف حال علقمة؟».

قالت: يا رسول الله، كان يصلي كذا، ويصوم كذا، وكان يتصدق بجملة من الدراهم، ما يدري كم وزنها، وما عددها. قال: «فما حالك وحاله؟» قالت: يا رسول الله. إني عليه ساخطة واجدة، قال لها: «وَلِمَ ذلك؟» قالت: كان يؤثر امرأته عليّ، ويطيعها في الأشياء، ويعصيني. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «سخط أمه حجب لسانه

---

(١) في (م): لغير الله.

(٢) رواه مسلم (٩٠) في الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧). وفي لفظ آخر رواه البخاري (٥٩٧٣) في الأدب، باب: لا يسب الرجل والديه، وأبو داود (٥١٤١) في الأدب، باب: في بر الوالدين، والترمذي (١٩٠٢) في البر، باب: عقوق الوالدين، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢/٢١٦).

عن شهادة أن لا إله إلا الله»، ثم قال لبلال: «انطلق، واجمع حطباً كثيراً، حتى أحرقه بـالنار». فقـالـت: يا رسـول الله، ابني وثمرة فؤادي تحـرقه بـالنـار بين يـدي، فكيف يحتمل قلبي؟ فقال لها رسول الله ـ ﷺ ـ: «يا أم علقمة، فعذاب الله أشدّ وأبقى، فإن سرّك أن يغفرَ الله له فارضي عنه، فوالذي نفسي بيده لا تنفع الصلاة والصدقة ما دمتِ عليه ساخطة»، فرفعت يديها، وقالت: يا رسول الله، أُشْهِدُ الله في سمـائه، وأنت يـا رسول الله، ومَن حضرني، أني قد رضيتُ عن علقمة.

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «انطلق يا بلال فانظر، هل يستطيع علقمة أن يقول: لا إله إلا الله؟ فلعل أم علقمة تكلّمت بما ليس في قلبهـا حياء من رسـول الله». فانـطلق بلال، فلما انتهى إلى الباب، سمع علقمة يقول: لا إله إلا الله، فلما دخل بلال قال: يا هؤلاء، إنّ سخطَ أم علقمة حجب لسـانه عن الشهـادة، وإنّ رضاهـا أطلق لسانـه، فمات من يومه. فأتاه رسول الله ـ ﷺ ـ فأمر بغسله وتكفينه، وصلى عليه، ثم قـام على شفير القبر، وقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار، مَن فضّـل زوجته على أمـه، فعليه لعنة الله، ولا يُقبل منه صرْف ولا عدل»[1]. يعني الفرائض والنوافل.

وروى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاه وبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**﴾ يعني أمر ربك أن لا تـوحّدوا غيـر الله تعالى. ويقـال: ألا تعبـدوا إلا إياه يعني لا تـطيعوا أحـداً في المعصية، لكن أطيعـوا الله فيما يـأمركم بـه ﴿**وبِالْوَالِدين إِحْسَاناً**﴾ يعني برّاً بهمـا وعطفـاً عليهما ﴿**إِمّـا يَبْلُغَنّ عِنْدَكَ الكِبَـرَ**﴾ يعني الهرم ﴿**أَحَدُهُما أَوْ كِلاَهُمَا**﴾ يعني أحد الأبـوين أو كلا الأبـوين ﴿**فَلاَ تَقُـلْ لَهُمَا أُفٍّ**﴾ يعني: ولا تقل لهما قولاً رديئاً، ويقال معناه: إذا كبر الأبوان، واحتاجا إلى رفع بولهما وغائطهما، فلا تأخذْ بأنفك عند ذلك، و لا تعبس بوجهك، فـإنهما قد رفعا ذلك منـك في حـالة صغـرك، ورأيا ذلـك منك كثيـراً. ثم قال: ﴿**وَلاَ تَنْهَـرْهُمَا**﴾ يعني: لا تغلظ لهما بالقول ﴿**وقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**﴾ يعني لينـاً حسناً ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَـا جَنَاحَ الـذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾ يعني كُنْ ذليـلاً رحيماً عليهمـا ﴿**وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَـا**﴾ يعني إذا ماتـا، فادعُ

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٨/٨): رواه الطبراني وأحمد باختصار شديد، وفيه أبو الورقاء، وهو متروك. وفي تنزيه الشريعة (٢٩٧/٢). أخرجه الخرائطي في مساوىء الأخلاق، وحامد تابعه فايـد أبو الورقاء، وأخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب (٧٨٩٢)، وقال: تفرّد به فايد، وليس بالقوي. وانظر: شرح الصدور ص (٧١).

لهما بالمغفرة، يعني يجب على الولد أن يعرفَ حقّ الوالدين في حياتهما، ويعرف حقّهما بعد موتهما، فيدعو لهما بالمغفرة على أثر كلّ صلاة.

ويقال ﴿وقلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ يعني يدعو لهما بالمغفرة في حال حياتهما وبعد موتهما ﴿كَمَا رَبّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤] كما قاما عليّ في حال صغري حتى كبرت، فاجزهما عني بالمغفرة لهما.

وروي عن بعض التابعين ـ رضي الله عنهم ـ أنه قال: من دعا لأبويه في كل يوم خمس مرات، فقد أدى حقهما، لأن الله تعالى قال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لي ولِوَالدَيْك إلَيَّ المَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] فشكر الله تعالى أن يصلّي في كلّ يوم خمس مرات، وكذلك شكر الوالدين أن يدعوَ لهما في كل يوم خمس مرات، ثم قال: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ يعني عالم بما في قلوبكم من اللين والبر للأبوين ﴿إنْ تَكُونُوا صَالِحِين﴾ يعني إن تكونوا بارّين بالوالدين؛ فتستوجبوا على الله بذلك الأجر ﴿فإِنّهُ كَانَ للأَوَّابينَ غَفُوراً﴾ [الإسراء: ٢٥] يعني إن تركتم حقّ الوالدين فتوبوا إلى الله تعالى، فإنه كان للأوّابين يعني الراجعين عن الذنوب غفوراً.

ويقال للوالدين على الولد عشرة حقوق:

أحدهما: إنه إذا احتاج أحدهما إلى الطعام أطعمه.

والثاني: إذا احتاج إلى الكسوة كساه إن قدر عليه. وهكذا روي عن رسول الله ـ ﷺ ـ في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا في الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ [لقمان: ١٥] فقال: المصاحبة بالمعروف: أن يطعمهما إذا جاعا، ويكسوهما إذا عريا.

والثالث: إذا احتاج أحدُهما إلى خدمته خدمه.

والرابع: إذا دعاه أجابه وحضره.

والخامس: إذا أمره بأمر أطاعه؛ ما لم يأمر بالمعصية والغيبة.

والسادس: أن يتكلّم معه باللين ولا يتكلم معه بالكلام الغليظ.

والسابع: أن لا يدعوه باسمه.

والثامن: أن يمشي خلفه.

والتاسع: أن يرضى له ما يرضى لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

والعاشر: أن يدعو له بالمغفرة، كلما يدعو لنفسه.

قال الله تعالى حكاية عن نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لي

وَلِـوَالِدَيّ﴾ [نـوح: ٢٨] وهكذا عن إبـراهيم ـ عليه الصـلاة والسلام ـ: ﴿رَبَّنـا وتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لي ولِوَالِـدَيَّ وَلِلمؤْمِنينَ يَـوْمَ يَقومُ الحِسَـابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠ ـ ٤١] يعني يوم القيامة.

وروي عن بعض الصحابة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: تَرْكُ الدعاء للوالدين يضيّق العيش على الولد.

قال الفقيه: فإن سأل سـائـل: إنّ الوالدين إذا ماتا سـاخطين على الـولد، هـل يمكنه أن يرضيهما بعد وفاتهما؟ قيل له: بلى. يرضيهما بثلاثة أشياء:

أولها: أن يكونَ الـولدُ صـالحاً في نفسـه؛ لأنه لا يكـونُ شيءٌ أحبّ إليهما من صلاحه.

والثاني: أن يصلَ قرابتهما وأصدقاءهما.

والثالث: أن يستغفرَ لهما، ويدعوَ لهما، ويتصدّق عنهما.

١٤٩ ـ وروى العـلاء بن عبدالـرحمٰن، عن أبيـه، عن أبي هـريـرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقـة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له بالمغفرة»(١).

١٥٠ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا تقطع من كان يصل أباك، فتطفىء بذلك نورك، فإن ودّك ودّ أبيك»(٢).

١٥١ ـ وذكر أن رجلاً من بني سلمـة جاء إلى النبي ـ ﷺ ـ فقـال: إن أبوي قـد ماتا، فهل بقي من برّهما عليَّ شيء؟ قال: «نعم، الاستغفار لهما، وإنفـاذ عهدهمـا، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا تُوصل إلا بهما»(٣).

والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

---

(١) رواه مسلم (١٦٣١) في الوصية، باب: ما يلحق الإنسـان من الثواب بعـد وفاتـه، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٣٨)، وأبو داود (٢٨٨٠) في الوصايـا، باب: مـا جاء في الصـدقة عن الميت، والتـرمذي (١٣٧٦) في الأحكام، باب: في الوقف، والنسائي (٦/٢٥١).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٤٢).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٣٥)، وأحمـد (٣/٤٩٨)، وأبو داود (٥١٤٢) في الأدب، بـاب: في بر الوالدين، وابن ماجه (٣٦٦٤) في الأدب، باب: صلْ من كان أبوك يَصِلُ، والحاكم (٤/١٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٢٨)، وابن الجوزي في بر الوالدين رقم (١٢٨).

باب حقّ الولد على الوالد

١٥٢ ـ قال الفقيه أبو الليث ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا أبو معاوية، عن حسن بن عمارة، عن محمد بن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى، عن عيسى بن طلحة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «من حق الولد على الوالد ثلاثة أشياء: أن يحسن اسمه إذا ولد، ويعلمه الكتاب إذا عقل، ويزوّجه إذا أدرك»[1].

وروي عن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رجلاً جاء إليه بابنه، فقال: إن ابني هذا يعقّني. فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ للابن: أما تخاف الله في عقوق والدك، فإن من حق الوالد كذا، ومن حق الوالد كذا. فقال الابن: يا أمير المؤمنين، أما للابن على والده حق؟ قال: نعم، حقّه عليه أن يستنجب أمه، يعني لا يتزوّج امرأة دنيئة، لكيلا يكون للابن تعييرٌ بها. قال: ويُحْسِن اسمه، ويعلمه الكتاب. فقال الابن: فوالله ما استنجب أمي، وما هي إلا سندية اشتراها بأربعمئة درهم، ولا حسن اسمي، سماني جُعَلاً ـ ذكر الخفاش ـ ولا علّمني من كتاب الله آية واحدة. فالتفت عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى الأب، وقال: تقول: ابني يعقني، فقد عققته قبل أن يعقّك. قم عني.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعت أبي يحكي عن أبي حفص الإسكندراني، وكان من علماء سمرقند، أنه أتاه رجل، فقال: إنّ ابني ضربني وأوجعني. قال: سبحان الله الابن يضرب أباه؟ قال: نعم، ضربني وأوجعني. فقال: هل علّمته الأدب والعلم. قال: لا. قال: فهل علمته القرآن؟ قال: لا. قال: فأي

---

(١) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٥٦٨)، والديلمي في الفردوس (٢٦٧٠).

عمل يعمل؟ قال: الزراعة. قال: هل علمتَ لأي شيء ضربك؟ قال: لا. قال: فلعله حين أصبح وتوجّه إلى الزرع، وهو راكبُ على الحمار، والثيران بين يديه، والكلب من خلفه، وهو لا يحسنُ القرآن، فتغنى، وتَعَرَّضْتَ له في ذلك الوقت، فظن أنك بقرة فضربك، فاحمد الله حيث لم يكسر رأسك.

وعن ثابت البناني[1] ـ رحمه الله تعالى ـ قال: روي أن رجلاً كان يضربُ أباه في موضع، فقيل له: ما هذا؟ فقال الأب: خلّوا عنه، فإني كنت أضربُ أبي في هذا الموضع، فابتليت بابني يضربني في هذا الموضع، هذا بذاك، ولا لوم عليه.

قال بعض الحكماء: من عصى والديه لم يَرَ السُّرور من ولده، ومن لم يستشرْ في الأمور لم يصلْ إلى حاجته، ومن لم يدارِ أهلَه ذهبتْ لذّةُ عيشه.

١٥٣ ـ وروى الشعبي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «رحم الله والداً أعان ولده على برّه»[2] يعني لا يأمره بأمرٍ يخافُ منه أن يعصيَه فيه.

وروي عن بعض الصالحين أنه كان لا يأمر ابنَه بأمر، وكان إذا احتاجَ إلى شيء يأمرُ غيره، فَسُئِل عن ذلك، فقال: إني أخاف أني لو أمرتُ ابني بذلك يعصيني في ذلك، فيستوجبُ النار، وأنا لا أحرقُ ابني بالنار.

وروي عن خلف بن أيوب نحو هذا.

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ: تام المروءة مَن بَرَّ والديه، ووصَل رحمه، وأكرم إخوانه، وحسّن خلقه مع أهله وولده وخدمه، وأحرز دينه، وأصلح ماله، وأنفق من فضله، وحفظ لسانه، ولزم بيته. يعني يكون مقبلاً على عمله، ولا يجلسُ مع أهلِ الفضول.

١٥٤ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «أربعٌ من سعادة المرء: أن تكون زوجته صالحة[3]، وأولاده أبراراً، وخلطاؤه صالحين، وأن يكون رزقُه في بلده»[4].

---

(١) هو ثابت بن أسلم البناني، أبو محمد البصري: تابعي، قاصّ، زاهد، عابد، أحد مفاتيح الخير. توفي بعد العشرين والمئة عن نيف وثمانين سنة. (طبقات الأولياء ص ١٢٥) و(تهذيب التهذيب ٢/٢).

(٢) رواه أبو الشيخ بن حبان في كتاب الثواب عن علي وعن عمر، قال الحافظ العراقي: وسنده ضعيف. (فيض القدير ٤/٢٩).

(٣) في (م): موافقة.

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخه، والديلمي في الفردوس عن علي، وفيه سهل بن عامر البجلي، قال الذهبي في الضعفاء: كذبه أبو حاتم. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخوان» عن عبدالله بن الحكم بن أبي=

١٥٥ ـ وروى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: سبع يؤجر فيهن العبد من بعده: من بنى مسجداً فله أجره ما دام أحد يصلي به، ومن أجرى نهراً، فما دام يجري فيه الماء ويشرب منه الناس كان له أجره، ومن كتب مصحفاً وأحسنه، كان له أجره ما دام يقرأ فيه أحد، ومن استخرج عيناً ينتفع بمائها، كان له أجرها ما بقيت، ومن غرس غرساً كان له أجره فيما أكل الناس منه والطير، ومن عَلَّمَ علماً كذلك، ومن ترك ولداً يستغفر له، ويدعو له من بعده، يعني إذا كان الولد صالحاً، وقد علمه الأب [الأدب و][1] القرآن والعلم، فيكون أجره لوالده من غير أن ينقص من أجر ولده شيء، فإذا كان الوالد لا يعلمه القرآن، ويعلمه طريق الفسق، يكون وزره على أبيه، من غير أن ينقصَ من وزر ولده شيء[2].

١٥٦ ـ وروي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إذا مات العبد[3] انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له بخير»[4].

* * *

= زياد العطواني: صدوق مات بالكوفة، عن أبيه الحكم، عن جده أبي زياد الكوفي. وضعفه السيوطي. (فيض القدير ١/٤٦٦).

(١) من (م).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/٣٤٤) مرفوعاً، وقال: حديث غريب، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٦٧): رواه البزار، وفيه محمد بن عبيدالله العرزمي، وهو ضعيف.

(٣) في (م): ابن آدم.

(٤) سبق تخريجه برقم (١٤٩).

باب صلة الرّحم

١٥٧ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رضي الله تعالى عنه ـ: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد، قال: حدثنا فارس بن مردويه، قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي، تلميذ الأعمش،عن عمرو بن عثمان، عن موسى بن طلحة، عن أبي أيوب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: عرض أعرابي للنبي ـ ﷺ ـ فأخذ بزمام ناقته أو خطامها، ثم قال: يا رسول الله، أخبرني بما يقرّبني من الجنة ويباعدني من النار، قال ﷺ: «أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»[1].

١٥٨ ـ قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن علي السردري: قال: حدثنا أبو محمد عبدالله بن الأحوص، قال: حدثنا الحسين بن علي بن عفان، قال: حدثنا هانىء بن سعيد النخعي[2]، عن سليمان بن زيد، عن عبدالله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا جلوساً عشية عرفة عند رسول الله ـ ﷺ ـ فقال النبي ـ ﷺ ـ: «لا يجالسني مَن أمسى قاطعَ رحم، ليقمْ عنا» فلم يقم أحد إلا رجل كان من أقصى الحلقة، فمكث غير بعيد ثم جاء، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «مالك لم يقم أحدٌ من الحلقة غيرك» قال: يا نبي الله، سمعت الذي قلت، فأتيت خالة لي كانت تصارمني أي تقاطعني، فقالت: ما جاء بك، ما هذا دأبك؟، فأخبرتها بالذي قلت، فاستغفرت لي واستغفرت لها، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «أحسنت، اجلس. ألا إنّ الرحمةَ لا تنزلُ على قوم فيهم قاطع رحم»[3].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٨٣) في الأدب، باب: فضل صلة الرحم، ومسلم (١٣) في الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة.

(٢) في (م): الخثعمي.

(٣) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢٢٩٠)، وذكره المنذري في ترغيبه (٢٧٢/٣) وعزاه للأصبهاني.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: في الخبر دليلٌ على أنّ قطعَ الرحم ذنبٌ عظيم، لأنه يمنع الرحمة عنه، وعمن كان جليسه، فالواجب على المسلم أن يتوب من قطع الرحم، ويستغفر الله تعالى، ويصل رحمه، لأن النبي ـ ﷺ ـ بيّن في الخبر الأول: أنّ صلة الرّحم تقرب العبد من رحمته، وتباعده من النار.

١٥٩ ـ وروي عن الرسول ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما من حسنة أعجل ثواباً من صلة الرحم، وما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدّخر في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»[1].

١٦٠ ـ قال: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد، قال: حدثنا فارس بن مردويه، قال: حدثنا محمد بن الفضيل، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: حدثنا الحجاج بن أرطأة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: إن لي أرحاماً أصلهم ويقطعونني، وأعفو [عنهم] ويظلمونني، وأحسن [إليهم] ويسيئونني. أفأكافئهم؟ قال: لا، إذاً تشتركون جميعاً، ولكن خُذْ بالفضل وصِلْهم، فإنه لن يزال معك ظهيرٌ من الله، ما كنت على ذلك»[2].

ويقال: ثلاثة من أخلاق أهل الجنة، لا توجد إلا في الكريم: الإحسان إلى المسيء، والعفو عمن ظلمه، والبذل لمن حرمه.

قال: حدثنا أبو القاسم، حدثنا فارس، حدثنا محمد، حدثنا أصرم بن حوشب، عن أبي سنان[3]، عن الضحاك بن مزاحم[4]، في تفسير هذه الآية: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ**﴾ [الرعد: ٣٩] قال: إنّ الرجلَ ليصلُ رحمه، وقد بقي من عمره ثلاثة أيام، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة، وإن الرجل ليقطع رحمه، وقد بقي من عمره ثلاثون سنة، فيحطه الله إلى ثلاثة أيام.

١٦١ ـ وروى ثوبان عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا يردّ القدر إلا الدعاء،

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١١) في صفة القيامة، باب (٥٧) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢١١) في الزهد، باب: البغي.

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٨) في البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، من حديث أبي هريرة، وكذلك رواه أحمد (٢/١٨١، ٢٠١، ٤١٢، ٤٨٢). «ظهير»: معين ودافع لأذاهم.

(٣) في (م) سلمة.

(٤) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، أو أبو محمد الخراساني: صدوق، كثير الإرسال. (تقريب التهذيب ١/٣٧٣).

ولا يزيدُ في العمر إلا البِرّ، وإن الرجلَ ليحرمُ الرزق بالذنب يصيبه»[1].

وعن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: من اتّقى ربّه، ووصل رحمه، أُنسيء له في عمره، يعني يزاد في عمره، وأثرى له ماله ـ يعني كثر ـ وأحبه أهله.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: قد اختلفوا في زيادة العمر، فقال بعضهم: الخبر على ظاهره، أن من وصل رحمه يزاد في عمره. وقال بعضهم: لا يزاد في الأجل الذي أُجِّلَ له؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [يونس: ٤٩] ولكن معنى زيادة العمر أن يكتب ثوابه بعد موته، وإذا كتب له ثوابه بعد موته، فكأنه يزيد في عمره.

١٦٢ ـ وروى سعيد، عن قتادة، أنه قال: ذكر لنا أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «اتّقوا الله وصِلُوا الرحم، فإنه أبقى لكم في الدنيا، وخير لكم في الآخرة»[2].

وكان يقال: إذا كان لك قريب، فلم تمشِ إليه برجلك، ولم تعطه من مالك، فقد قطعته.

وفي بعض الصحف مما أنزل الله تعالى: يابن آدم، صِلْ رحمك بمالك، فإن بخلتَ بمالك، أو قلّ مالك، فامشِ إليه برجلك.

١٦٣ ـ وقال النبي ـ ﷺ ـ: «بلّوا أرحامكم ولو بالسلام»[3].

قال ميمون بن مهران: ثلاثة أشياء الكافر والمسلم فيهن سواء: من عاهدته ففِ له بعهدك مسلماً كان أو كافراً، فإنما العهدُ لله، ومن كانت بينك وبينه قرابة فصله مسلماً كان أو كافراً، ومن ائتمنك على أمانة فأدّها مسلماً كان أو كافراً.

وقال كعب الأحبار: والذي فلق البحر لموسى ـ عليه السلام ـ وبني إسرائيل إنه لمكتوب في التوراة: اتّق ربك، وبرّ والديك، وصل رحمك، أمدّ لك في عمرك، وأيسرك في يسرك، وأصرف عنك عسرك.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٨٠)، والحاكم (١/ ٤٩٣) وصححه، ووافقه الذهبي، وابن حبان (١٠٩٠/ موارد).

(٢) رواه عبدبن حميد وابن جرير في تفسيريهما عن قتادة، مرسلاً. (كنز العمال ٦٩١١).

(٣) رواه البزار كما في كشف الأستار (١٨٧٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢/٨): رواه البزار، وفيه يزيد بن عبدالله بن البراء الغنوي، وهو ضعيف. وذكره الذهبي في الكبائر ص (١٨٦). «بلّوا»: صِلُوا.

وقد أمر الله تعالى بصلة الرحم في مواضع من كتابه، فقال: ﴿**واتَّقُوا الله الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ**﴾ [النساء: ١] يعني: اخشوا الله الذي تساءلون به الحاجات والأرحام، يعني اتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها. وقال في آية أخرى: ﴿**وآتِ ذا القُرْبَى حقَّهُ**﴾ [الإسراء: ٢٦] يعني أعطه حقه من الصلة والبر.

وقال في آية أخرى: ﴿**إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسَانِ**﴾ يعني بالتوحيد، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، ويأمر بالإحسان يعني إلى الناس والعفو عنهم ﴿**وإيتَاء ذِي القُرْبَى**﴾ يعني يأمر بصلة الرحم. فأمر بثلاثة أشياء، ثم نهى عن ثلاثة أشياء، فقال عز وجل ﴿**وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ**﴾ الفحشاء: المعاصي. والمنكر: ما لا يعرف في شريعة ولا سنة. والبغي: الاستطالة على الناس ﴿**يَعِظُكُم**﴾ يعني يأمركم بهذه الأشياء الثلاثة، وينهاكم عن هذه الثلاثة ﴿**لَعَلَّكُم تَذَكَّرونَ**﴾ [النحل: ٩٠] يعني لكي تتعظوا.

١٦٤ ـ وروي عن عثمان بن مظعون ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ صديقاً لي، وما أسلمتُ إلا حياءً من رسول الله ـ ﷺ ـ؛ لأنّه كان يدعوني إلى الله فأسلمتُ ولم يكن يستقر الإسلام في قلبي، فجلستُ عنده يوماً يحدّثني إذ أعرض عني، فكأنه يحدّث أحداً بجانبه، ثم أقبل علي، فقال: «نزل جبريل عليه السلام، فقرأ عليّ هذه الآية: ﴿**إنَّ الله يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسَان وَإيتَاءِ ذِي القُرْبَى**﴾ [النحل: ٩٠] الآية. فسررتُ بذلك، واستقر الإسلام في قلبي، فقمت من عنده وأتيت عمه أبا طالب، فقلت له: كنت عند ابن أخيك، فأنزلت عليه هذه الآية، فقال أبو طالب: تابعوا محمداً تفلحوا وترشدوا، والله إن ابن أخي يأمرُ بمكارم الأخلاق، لئن كان صادقاً أو كاذباً لا يدعوكم إلا إلى الخير، فبلغ ذلك النبي ـ ﷺ ـ فطمع في إسلامه، فأتى إليه ودعاه إلى الإسلام، فأبى أن يسلم، فنزلت هذه الآية: ﴿**إنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاء**﴾ [القصص: ٥٦] فقد ذكر الله عز وجل في هذه الآية صلة الرحم. وقال في آية أخرى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُم إنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا في الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أبْصارَهُمْ**﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣] يعني الذين يقطعون الرحم[1].

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/١٥٩): وعزاه لأحمد والبخاري في الأدب، وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

١٦٥ ـ ويقال: «إنَّ الله تعالى لما خَلَق الرّحم، قال: أنا الرحمنُ وأنت الرَّحم، أقطعُ من قطعك، وأصلُ من وصلك»[١].

١٦٦ ـ وذكر «إنَّ الرّحمَ معلّق بالعرش ينادي الليل والنهار: يا رب، صِلْ مَن وصلني فيك، واقطعْ مَن قطعني فيك»[٢].

قال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا أظهر الناس العلم، وضيّعوا العمل، وتحابّوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا بالأرحام، لعنهم الله، فأصمّهم، وأعمى أبصارهم.

قال الفقيه: حدثني أبي، حدثنا محمد بن حمزة أبو الحسين الفراء الفقيه، حدثنا أبو بكر الطوسي، حدثنا حامد بن يحيى البلخي، حدثنا يحيى بن سليم[٣] قال: كان عندنا بمكة رجل من أهل خراسان، وكان رجلاً صالحاً، وكان الناس يُودعونه ودائعهم، فجاء رجل؛ فأودعه عشرة آلاف دينار، وخرج الرجلُ في حاجته، فقدم الرجلُ مكة، وقد مات الخراساني، وسأل ولده وأهله عن ماله، فلم يكن لهم به علم، فقال الرجل لفقهاء مكة ـ وكانوا يومئذ مجتمعين متوافرين ـ: أودعت فلاناً عشرة آلاف دينار، وقد مات، وسألت ولده وأهله فلم يكن لهم بها علم، فما تأمرونني؟ فقالوا: نحن نرجو أن يكون الخراساني من أهل الجنة، فإذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه، فائتِ زمزم، فاطلع فيها، ونادِ: يا فلان بن فلان، أنا صاحبُ الوديعة، ففعل ذلك ثلاث ليال، فلم يجبه أحد، فأتاهم، وأخبرهم، فقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، نحن نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار. فائتِ اليمن، فإن فيها وادياً يقال له برهوت، وبه بئر، فاطلع فيها إذا مضى ثلث الليل أو نصفه، فنادِ: يا فلان بن فلان، أنا صاحبُ الوديعة، ففعل ذلك، فأجابه في أول صوت، فقال: ويحك، ما أنزلك ههنا، وقد كنت صاحب خير. قال: كان لي أهل بيت بخراسان، فقطعتهم حتى متّ، فآخذني الله بذلك، فأنزلني هذا المنزل، فأما مالك فهو على حاله، وإني لم أأتمن

---

(١) رواه أبو داود (١٦٩٤) في الزكاة، باب: في صلة الرحم، والترمذي (١٩٠٧) في البر والصلة، باب: ما جاء في قطيعة الرحم، وقال: حديث صحيح، وابن حبان في صحيحه (٤٤٤)، والحاكم (٤/١٥٧ ـ ١٥٨).

(٢) رواه البخاري (٥٩٨٩) في الأدب، باب: من وصل وصله الله، ومسلم (٢٥٥٥) في البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

(٣) هو يحيى بن سليم الطائفي، نزيل مكة، صدوق سيء الحفظ. (تقريب التهذيب ٢/٣٤٩).

ولدي على مالك، فدفنته في بيت كذا، فقل لولدي يدخلك في داري، ثم سِرْ إلى البيت، فاحفرْ؛ فإنك ستجد مالك. فرجع فوجد ماله على حاله!.

قال الفقيه: إذا كان الرجل عند قرابته، ولم يكن غائباً عنهم، فالواجبُ عليه أن يصلهم بالهدية وبالزيارة، فإن لم يقدرْ على الصّلة بالمال، فليصلهم بالزيارة وبالإعانة في أعمالهم إن احتاجوا، وإن كان غائباً يصلهم بالكتابة إليهم، فإن قدرَ على المسير إليهم كان المسيرُ أفضل.

واعلم بأن في صلة الرحم عشر خصال محمودة:

أولاها: أنّ فيها رضا الله تعالى؛ لأنه أمر بصلة الرحم.

والثانية: إدخال السرور عليهم، وقد روي في الخبر: ١٦٧ ـ «إنّ أفضلَ الأعمال إدخالُ السّرور على المؤمن»[1].

والثالثة: أنّ فيها فرح الملائكة؛ لأنهم يفرحون بصلة الرحم.

والرابعة: أنّ فيها حسن الثناء من المسلمين عليه.

والخامسة: أنّ فيها إدخال الغم على إبليس عليه اللعنة.

والسادسة: زيادة في العمر.

والسابعة: بركة في الرزق.

والثامنة: سرور الأموات؛ لأن الآباء والأجداد يسرون بصلة الرحم والقرابة.

والتاسعة: زيادة في المودة؛ لأنه إذا وقع له سبب من السرور والحزن، يجتمعون إليه، ويعينونه على ذلك، فيكون له زيادة في المودة.

والعاشرة: زيادة الأجر بعد موته، لأنّهم يدعون له بعد موته، كلما ذكروا إحسانه.

قال أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ثلاثة نفر في ظل عرش الرحمٰن يوم القيامة: واصل الرحم يمدّ له في عمره ويوسع له في رزقه، وامرأة مات زوجها وترك يتامى، فتقوم هي على الأيتام حتى يغنيهم الله، أو يموتوا، والرجل اتخذ طعاماً، فدعا إليه اليتامى والمساكين.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب قضاء الحوائج رقم (١١٢)، والبيهقي، وضعّفه المنذري؛ وذلك لأنّ فيه الوليد بن شجاع، قال أبو حاتم: لا يحتج به، وعمار بن محمد مضعف. ورواه أيضاً ابن عدي عن ابن عمر. قال المناوي: والحاصل أنه حسن بشواهده، (فيض القدير ٢/ ٢٥).

١٦٨ ـ وروى الحسن عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله تعالى من الخطوة إلى صلاة الفريضة، وخطوة إلى ذي الرحم المحرم»[1].

ويقال: خمسة أشياء من داوم عليها، زيد في حسناته مثل الجبال الراسيات، ويوسع الله عليه رزقه: من داوم على الصدقة؛ قلّت أو كثرت، ومن وصل رحمه؛ قلّ أو كثر، ومن داوم على الجهاد في سبيل الله، ومن داوم على الوضوء ولم يسرف في صبّ الماء، ومن أطاع والديه وداوم على طاعتهما.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق رقم (٢٤٥) موقوفاً على عمرو بن دينار.

باب حقّ الجار

١٦٩ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه‌الله ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، قال: حدثنا علي بن محمد الوراق، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا قتيبة بن سعيد، عن ابن لهيعة، عن ابن أنعم، عن أبي عبدالرحمٰن الجبلي، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ويقول لهم: ادخلوا النار مع الداخلين: الفاعل والمفعول ـ يعني اللواطة ـ والناكح يده، وناكح البهيمة، وناكح المرأة في دبرها، وجامع المرأة وابنتها، والزاني بحليلة جاره، والسابع: المؤذي جاره حتى يلعنه الناس»[1] إلا أن يتوب بشروطها.

١٧٠ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد الشاباذي، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا [محمد بن][2] إبراهيم، حدثنا أبو معاوية، عن بشر بن سلمان، عن عبيد، عن أبان بن إسحاق، عن الصباح بن محمد البَجَلي، عن مرة الهمداني، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ ـ: «والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يَسْلَمَ الناس من قلبه ولسانه ويده، ولا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه، قلنا: يا رسول الله، وما بوائقه. قال: غشه وظلمه»[3].

١٧١ ـ قال: حدثنا محمد بن داود بن ظهير، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال:

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٤٧٠) من حديث أنس، وذكره في كنز العمال (٤٤٠٤٠) وزاد نسبته للحسن بن عرفة في جزئه.

(٢) من (م).

(٣) رواه أحمد (١/٣٨٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٢٨): رواه أحمد، ورجاله وثقوا، وفي بعضهم خلاف. والحاكم (١/٣٣ و٢/٤٤٧ و٤/١٦٥)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب رقم (٧٢).

حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن القاسم، عن موسى بن عبيدة الربذي، عن زيد بن عبدالرحمٰن، عن سعيد بن المسيب، أن النبي - ﷺ - قال: «حرمة الجار على الجار كحرمة أمه»[1].

١٧٢ - قال: حدثنا محمد بن داود، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا أبو معاوية، عن بشر بن سلمان، عن مجاهد، قال عبدالله بن عمرو بن العاص لغلامه: اذبح الشاة وأطعم جارنا اليهودي، ثم تحدث ساعة، فقال: يا غلام، إذا ذبحت الشاة فأطعم جارنا اليهودي. فقال الغلام: قد آذيتنا بجارك هذا اليهودي. فقال عبدالله بن عمرو: ويحك إن النبي - ﷺ - لم يزل يوصينا بالجار، حتى ظننا أنه سيورثه[2].

١٧٣ - قال: حدثنا القاسم بن محمد بن روزبه، قال: حدثنا عيسى بن خشنام التوزي، قال: حدثنا سويد، عن مالك، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي شريح الكعبي؛ أن النبي - ﷺ - قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقة»[3].

١٧٤ - قال: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد[4]، بإسناده عن الحسن البصري قال: قيل يا رسول الله، ما حق الجار على الجار؟ قال: «إذا استقرضك أقرضته، وإن دعاك أجبته، وإن مرضَ عدته، وإن استعان بك أعنته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإن أصابه خير هنيته، وإن مات شهدته، وإن غاب حفظته» يعني منزله وعياله «ولا تؤذه بقتار قِدْرِكَ إلا أن تهدي إليه منه[5]»[6].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق رقم (٣٢٢).
(٢) رواه أبو داود (٥١٥٢) في الأدب، باب: في حق الجوار، والترمذي (١٩٤٣) في البر والصلة، باب: ما جاء في حق الجوار، وقال: حسن غريب.
(٣) رواه البخاري (٦٠١٩) في الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومسلم (٤٨) في اللقطة، باب: الضيافة ونحوها.
(٤) في (م): عمر. (٥) من (م).
(٦) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٤٠٩) عن معاذ، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه، وعن أبي هريرة. وذكره المنذري في ترغيبه (٣/٣٥٧).

وروي في خبر آخر زيادة على هذه التسعة، والعاشر «أن لا تطيل بناءك عليه إلا بطيبة من نفسه».

١٧٥ ـ وروي عن[1] أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا يزال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورّثه»[2].

١٧٦ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «يا أبا هريرة، كُنْ ورعاً تكن أعبد الناس، وكُنْ قنعاً تكن أشكر الناس، وأحبَّ للناس ما تحبّ لنفسك تكن مؤمناً، وأحسنْ مجاورةَ مَن جاورك تكن مسلماً، وأقلّ الضحك، فإنَّ كثرةَ الضّحك تُمِيتُ القلب»[3].

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدوا الله وَلا تُشْرِكُوا به شَيْئاً وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ يعني وحّدوا الله واعبدوه، ولا تتخذوا له شريكاً، ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ يعني وأحسنوا إلى الوالدين إحساناً، ﴿وبذي القُرْبَى واليَتَامَى والْمَسَاكِينَ﴾ يعني أحسنوا إلى ذوي القربى بالصلة والهدية، وإلى اليتامى والمساكين بالصدقة وبالقول الجميل، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ يعني الضيف النازل، وهو مار بالطريق، ﴿وَالجَارِ ذِي القُرْبَى﴾ يعني أحسنوا إلى الجار الذي بينك وبينه قرابة ﴿وَالْجَارِ الجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦] يعني الجار الذي هو أجنبي لا قرابة بينك وبينه.

١٧٧ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «الجيران ثلاثة، فمنهم من له ثلاثة حقوق، ومنهم من له حقان، ومنهم من له حق واحد، فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق: فجارك القريب المسلم، وأما الجار الذي له حقان، فجارك المسلم، وأما الذي له حق واحد: فجارك الذّمي»[4].

يعني إذا كان الجار قريبه وهو مسلم؛ فله حقّ القرابة وحقّ الإسلام وحقّ الجوار. وأما الذي له حقّان؛ فالجار المسلم، فله حقّ الإسلام وحق الجوار. وأما

---

(١) من (م). (٢) رواه أحمد (٢/٢٥٩ و٤٤٥ و٥١٤)، وابن حبان (١/٣٦٥).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٠٥) في الزهد، باب: من اتّقى المحارم فهو أعبد الناس، وقال: حديث غريب، والأصبهاني (٨٣٤)، وذكره المنذري في ترغيبه (٣/٣٥٩).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٥/٢٠٧) وقال: غريب، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٨٤٣)، والديلمي في الفردوس (٢٦٢٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٦٤): رواه البزار عن شيخه عبدالله بن محمد الحارثي، وهو وضاع، وانظر: كشف الأستار (١٨٩٦) وقال البزار: لا نعلمه عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد.

الذي له حقّ واحد؛ فجارك الذمي، فله حقّ الجوار، فينبغي أن يعرفَ حقّ الجار وإن كان ذمياً.

١٧٨ ـ قال أبو ذرّ الغفاري ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أوصاني خليلي محمد ـ ﷺ ـ بثلاث: قال: «اسمع وأطع؛ ولو لعبدٍ مجدوع الأنف، فإذا صنعتَ مرقةً فأكثر ماءها، ثم انظر إلى أهل بيت جيرانك فأصبهم منها بمغرفتك، وصلّ الصلاة لوقتها»[1].

ويقال: من مات وله جيران ثلاثة، كلهم راضون عنه، غفر له.

١٧٩ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أن رجلاً جاء إليه يشكو جاره، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كفّ أذاك عنه، واصبرْ على أذاه، وكفى بالموت مُفرِّقاً»[2].

وقال الحسن البصري: ليس حسن الجوار كفّ الأذى عن الجار، ولكن حسن الجوار: الصبر على الأذى من الجار.

وقال عمرو بن العاص: ليس الواصلُ الذي يصلُ مَن وصله، ويقطع من قطعه، وإنما ذلك المنصفُ، وإنما الواصلُ الذي يصل من قطعه، ويعطفُ على من جفاه. وليس الحليمُ الذي يحلم عن قومه ما حلموا عنه، فإذا جهلوا عليه جاهلهم، وإنما ذلك المنصف، إنما الحليمُ الذي يحلم إذا حلموا، فإذا جهلوا عليه حلمَ عنهم.

قال الفقيه ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ينبغي للمسلم أن يصبرَ على أذى الجار، ولا يؤذي جاره، ويكون بحال يكون جاره آمناً منه، وأمانه لجاره يكون بثلاثة أشياء: باليد وباللسان وبالعورة. فأما أمانه بلسانه: فهو ألا يتكلم بكلام لو دخل عليه جاره لسكت، أو لو بلغ إلى جاره لاستحى منه، وأما أمانه بيده: فهو أنّ جاره لو كان بالسوق، وتذكر أن كيسه نسيه في منزله، فإنه لا يخاف عليه، ويقول منزله ومنزلي سواء. وأما أمانه بالعورة: فهو أنه لو كان في السفر، فبلغه أن جاره دخل منزله لسكن قلبه وفرح.

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: ثلاثة أخلاق، كانت في الجاهلية مستحسنة، والمسلمون أولى بها:

---

(١) رواه أحمد (٥/١٦١، ١٧١)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٨٤٢).
(٢) رواه ابن النجار عن أبي عبدالرحمٰن الحبلي مرسلاً. (فيض القدير ٥/٨).

أولها: لو نزل بهم ضيفٌ لاجتهدوا في برّه.

والثاني: لو كانت لواحد منهم امرأة كبرت عنده، لا يطلّقها، ويمسكها مخافة أن تضيع.

والثالث: إذا لحق بجارهم دَيْن، أو أصابه شدّة أو جهد، اجتهدوا حتى يقضوا دينه، وأخرجوه من تلك الشدة.

١٨٠ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ الجار يتعلّق بجاره يوم القيامة، فيقول: يا رب، وسّعتَ على أخي هذا، وقسَرتَ عليّ، أُمسي جائعاً، ويمسي هذا شبعان، فسله: لِمَ أغلق بابه دوني، وحرمني ما قد وَسَّعْتَ عليه؟»[1].

وروي عن سفيان الثوري أنه قال: عشرة أشياء من الجفاء:

أولها: رجل أو امرأة يدعو لنفسه، ولا يدعو لوالديه ولا للمؤمنين.

والثاني: رجل يقرأ القرآن، ولا يقرأ في كلّ يوم مئة آية.

والثالث: رجل دخل المسجد وخرج، ولم يصل ركعتين.

والرابع: رجل يمرّ على المقابر، ولم يسلّم عليهم، ولم يَدْعُ لهم.

والخامس: رجل دخلَ مدينة في يوم الجمعة، ثم خرج، ولم يصلّ الجمعة.

والسادس: رجل أو امرأة نزل في محلتهما عالم، ولم يذهب إليه أحد؛ ليتعلّم منه شيئاً من العلم.

والسابع: رجلان ترافقا، ولم يسأل أحدُهما عن اسم صاحبه.

والثامن: رجل دعاه رجلٌ إلى ضيافة، فلم يذهب إلى الضيافة.

والتاسع: شاب يضيع شبابه وهو فارغ، ولم يطلب العلمَ والأدب.

والعاشر: رجل شبعان وجاره جائع، ولا يعطيه شيئاً من طعامه.

قال الفقيه ـ رضي الله تعالى عنه ـ: تمام حسن الجوار في أربعة أشياء:

أولها: أن يواسيه بما عنده.

والثاني: أن لا يطمعَ فيما عنده.

والثالث: أن يمنعَ أذاه عنه.

والرابع: أن يصبرَ على أذاه.

---

(١) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٨٤٨) بنحوه من حديث ابن عمر.

باب الزّجر عن شرب الخمر

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، أنبأنا إسماعيل بن علية، عن الليث، عن عبيدالله قال: قال عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: يُجاء بشارب الخمر يوم القيامة مسودّاً وجهه، مزرقّة عيناه، مدلعاً لسانه على صدره يسيل لعابه، يستقذره كل من يراه من نتن رائحته، لا تسلّموا على شربة الخمر، ولا تعودوهم إذا مرضوا، ولا تصلّوا عليهم إذا ماتوا.

وقال مسروق[1]: شارب الخمر كعابد الوثن، وشارب الخمر كعابد اللات والعزى.

وقال كعب الأحبار[2]: لأن أشربَ قدحاً من نار أحبّ إلي من أن أشرب قدحاً من خمر.

١٨١ ـ قال: حدثنا الحاكم أبو الفضل الحدادي، حدثنا عبدالله بن محمود المروزي، حدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «كلّ مسكر خمر، وكلّ مسكر حرام، ومَن شربَ الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها ولم

---

(١) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة: تابعي ثقة، من أهل اليمن، قدم المدينة في أيام أبي بكر، وسكن الكوفة، وشهد حروب علي. وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء. توفي سنة (٣٤هـ). (الإصابة ٨٤٠٨)، و(تهذيب التهذيب ١٠/ ١٠٩).

(٢) هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميَري، أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر؛ فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة، وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها سنة (٣٢هـ). (الإصابة ٧٤٩٨)، و(حلية الأولياء ٥/ ٣٦٤).

يتب؛ لم يشربْها في الآخرة»[1].

قال الفقيه: قد أخبر النبي ـ ﷺ ـ أن كلّ مسكر حرام، يعني ما كان مطبوخاً أو غير مطبوخ.

١٨٢ ـ هذا كما روي عن جابر بن عبدالله، عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما أسكر كثيره، فقليلُه حرام»[2] ١٨٣ ـ وفي رواية: «ما أسكر منه الفَرَقُ، فالجرعةُ منه حرام»[3].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: شاربُ الخمر المطبوخ أعظم ذنباً وإثماً من شارب الخمر؛ لأنّ شارب الخمر يكون عاصياً فاسقاً، ومن شرب المطبوخ يخاف أن يصيرَ كافراً، لأن شارب الخمر مقرّ بأنه يشرب الخمر، وهو حرام، وشارب المطبوخ يشرب المسكر، ويراه حلالاً، وأجمع المسلمون أنّ شُرْبَ المسكرِ حرامٌ قليله وكثيره، فإذا استحلّ ما هو حرام بالإجماع صار كافراً.

١٨٤ ـ قال الفقيه ـ رضي الله تعالى عنه ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان، عن الزهري، عن عثمان بن عفان ـ رضي الله تعالى عنه ـ قام خطيباً فقال: أيها الناس، اتقوا الخمر، فإنّها أمّ الخبائث، وإن رجلاً ممن كان قبلكم من العباد كان يختلف إلى المسجد، فلقيته امرأة سوء، فأمرت جاريتها فأدخلته المنزل، فأغلقت الباب، وعندها بَاطِيةٌ من خمر، وعندها صبي، فقالت له: لا تفارقني حتى تشرب كأساً من هذا الخمر، أوتواقعني، أو تقتل هذا الصبي، وإلا صحتُ، يعني صرختُ، وقلت: دخل عليّ في بيتي، فمن الذي يصدّقُكَ؟ فضعفُ الرجل عند ذلك، وقال: أما الفاحشة فلا آتيها، وأما النفس فلا أقتلها، فشرب كأس من الخمر، فقال: زيديني

---

(١) رواه البخاري (٥٥٧٥) في الأشربة، باب: قول الله تعالى: ﴿**إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه**﴾، ومسلم (٢٠٠٣) في الأشربة، باب: بيان أنّ كل مسكر خمر، وأن كل خمر حرام.

(٢) رواه أبو داود (٣٦٨١) في الأشربة، باب: النهي عن المسكر، والترمذي (١٨٦٥) في الأشربة، باب (٣)وقال:حسن غريب، وابن ماجه (٣٣٩٣) في الأشربة، باب: ما أسكر كثيره فقليله حرام، وأحمد (٣/٣٤٣).

(٣) رواه الترمذي (١٨٦٦) في الأشربة، باب (٣) وقال: حديث حسن، وأحمد (٦/١٣١). قال ابن حجر: وأعلّه الدارقطني بالوقف. (فيض القدير ٥/٤٢١).

فزادته، فوالله ما برح حتى واقَعَ المرأة، وقَتَل الصبي.

قال عثمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ: فاجتنبوها، فإنّها أمّ الخبائث، وإنـه والله لا يجتمعُ الإيمانُ والخمرُ في قلب رجلٍ إلا يوشك أحدُهما أن يذهبَ بالآخر[1].

يعني أن شارب الخمر إذا سكر تجري على لسـانه كلمـةُ الكفر، ويتعـوّد لسانـه بذلك، ويخاف عند موته أن تجـري على لسانـه كلمة الكفـر، فيخرج من الـدنيا على الكفر، فيبقى في النار أبداً، لأنّ أكثرَ ما ينزع الإيمان من العبد إنمـا ينزع عنـد موتـه، وذلك بسبب ذنوبه التي فعلها في حياته، فيبقى في حسرة وندامة.

وقال الضحاك: من مات وهو مدمن خمر بعث يوم القيامة وهو سكران.

١٨٥ ـ وروى سعيد عن قتادة قـال: ذكر لنـا أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «أربعـة[2] لا يجدون ريح الجنـة، وإن ريحَها ليـوجدُ من مسيـرة خمسمئة عـام: البخيل، والمنـان، ومدمن الخمر، والعاق لوالديه، والمصارم»[3].

وقال ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ: لعن في الخمر عشرة: العـاصر لهـا، والمعصورة له، وشاربها، وساقيها، وحاملها، والمحمولة إليه، وتاجـرها، ومتجـرها، وبائعها، ومشتريها، وشاتلها، يعني غارسها.

١٨٦ ـ وروي في بعض الأخبـار عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنـه قـال: «يخـرج يـوم القيامةِ شارب الخمر من قبره أنتن من الجيفة، والكـوز معلّق في عنقه، والقـدح بيده، ويملأ ما بين جلده ولحمه حيّات وعقارب، ويلبس نعلاً من نـار، فيغلي دماغُ رأسـه، ويجد قبرَه حفرةً من حفر النار، ويكونُ في النار قرين فرعون وهامان»[4].

١٨٧ ـ وروت عائشة ـ رضي الله تعـالى عنها ـ عن رسـول الله ـ ﷺ ـ أنه قـال: «مَن أطعمَ شاربَ الخمر لقمةً؛ سلّط اللّهُ على جسده حية وعقرباً، ومن قضى حاجتـه فقـد أعانَ على هـدم الإسلام، ومن أقـرضه قـرضاً فقـد أعـان على قتـل مؤمن، ومَن جالسه حشره الله تعالى يوم القيامة أعمى لا حجّة له، ومن شرب الخمر فلا تـزوّجوه، فإن مرض فلا تعودوه، وإن شهد فلا تقبلوا شهادته، فوالذي بعثني بـالحق نبيّاً، إنـه ما

---

(١) رواه النسائي (٨/٣١٥). «باطية» إناء. (٢) في (م): ثلاثة.

(٣) رواه الطبراني في الصغير، وفيه الربيع بن بـدر وهو متـروك. (مجمع الـزوائد ١٤٨/٨) من حـديث أبي هريرة. «المصارم»: المقاطع.

(٤) ذكره بنحوه عبدالرحيم بن أحمد في (دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار ص ٧١) من حديث أبيّ.

يشربُ الخمرَ إلا ملعونٌ في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن شرب الخمر فقد كفر بجميع ما أنزل الله على أنبيائه، ولا يستحلّ الخمرَ إلا كافر، ومن استحلّ الخمرَ، فأنا منه بريءٌ في الدنيا والآخرة».

وعن عطاء بن يسار، أنّ رجلاً سأل كعب الأحبار ـ رضي الله تعالى عنه ـ هل حرمت الخمر في التوراة؟ قال: نعم، ثم قرأ هذه الآية ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠] مكتوب في التوراة: إنا أنزلنا الحقّ ليذهب بالباطل، ويبطل به اللعب والدّف والمزامير، والخمر ويل[1] لشاربها، أقسم الله تعالى بعزّته وجلاله؛ لمن انتهكها في الدنيا إلا عطشته يوم القيامة، ولمن تركها بعدما حَرَّمْتُها إلا سقيته إياها في حظيرة القدس، قيل: وما حظيرة القدس؟ قال: الله هو القدس، وحظيرته الجنة.

قال الفقيه ـ رضي الله تعالى عنه ـ: إيّاك وشرب الخمر، فإن فيه عشر خصال مذمومة:

أولها: أنه إذا شرب الخمر يصيرُ بمنزلة المجنون، ويصير ضُحكة للصبيان، ومذمة عند العقلاء. كما ذكر عن ابن أبي الدنيا أنه قال: رأيت سكران في بعض سكك بغداد يبول، وهو يتمسّح ببوله، وهو يقول: اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهّرين.

وذكر أنّ سكران قاء في بعض الطرق، وجاء كلب يلحس فمه ولحيته، وهو يقول للكلب: يا سيدي يا سيدي، بارك الله فيك، ثم إنّ الكلب رفع رجله وبال على وجهه، فقال السكران: ماء حار، بارك الله فيك.

والثانية: أنّها متلفة للمال، مذهبة للعقل، كما قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: يا رسول الله، أَرِنا رأيك في الخمر، فإنها متلفة للمال، مذهبة للعقل.

والثالثة: أنّ شربها سبب للعداوة بين الإخوان والأصدقاء والناس[2]، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُم العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ والمَيْسِرِ﴾ وهو القمار.

والرابعة: أنّ شربها يمنعه عن ذكر الله وعن الصلاة، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] يعني انتهوا عنها.

---

(١) في الأصل: مرة، والمثبت من (م). (٢) من (م).

فلما نزلت هذه الآية، قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: قد انتهينا يا ربّ.

والخامسة: أنّ شربها يحمله على الزنا؛ لأنه إذا شرب يطلق امرأته، وهو لا يشعر.

والسادسة: أنّه مفتاح كلّ شر؛ لأنه إذا شرب الخمر سهل عليه جميع المعاصي.

والسابعة: أنّه يؤذي حفظته بإدخالهم في مجلس الفسق، وبوجود الرائحة المنتنة منه. فلا ينبغي أن يؤذي من لا يؤذيه.

والثامنة: أنه أوجب على نفسه ثمانين جلدة، فإن لم يضرب في الدنيا فإنه يضرب في الآخرة بسياط من نار على رؤوس الناس، ينظر إليه الآباء والأصدقاء.

والتاسعة: أنّه ردّ باب السماء على نفسه؛ لأنه لا ترفعُ له حسناته، ولا دعاؤه أربعين يوماً.

والعاشرة: أنّه مخاطرٌ بنفسه؛ لأنه يخافُ أن ينزعَ منه الإيمان عند موته. فهذه عقوبات في الدنيا، قبل أن ينتهي إلى عقوبات الآخرة.

فأما عقوبات الآخرة فإنها لا تُحصى؛ من شرب الحميم والزقوم، وفوت الثواب. فلا ينبغي للعاقل أن يختارَ لذّة قليلة، ويتركَ لذّةً طويلة.

وروي عن مقاتل بن سليمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً**﴾ [مريم: ٨٥ - ٨٦].

قال: يُحشر أهل الجنة، فإذا انتهوا إلى باب الجنة، إذا هُمْ بشجرةٍ ينبعُ من تحتها عينان، فيشربون من إحدى العينين، فلا يبقى في بطونهم قذرٌ إلا خرج من الجوف. ثم يأتون العينَ الأخرى فيغتسلون فيها، فلا يبقى في أجسادهم شيءٌ مما يكون على الجسد من وسخ وغيره إلا ذهب، فذلك قوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ [الزمر: ٧٣].

ثم يؤتون بنجائب من الإبل، من ياقوت أحمر، رجلاها من ذهب، مكللة بالدر والياقوت، أزمتها من اللؤلؤ، فيكسى كلّ رجل منهم حلتين، لو أنّ الحلّةَ منها أشرقت

لأهل الدنيا لأضاءتْ لهم، ومع كلّ واحد منهم حفظة من الملائكة يدلونه على مساكنه في الجنة، فإذا دخل الجنة، رفع له قصر من فضة، شُرفُه من الذهب، فإذا انتهى إليه، استقبلته وصائف كثيرة كاللؤلؤ المنثور، ومعهم الحلي والحلل، وآنية الفضة، وأكواب الذهب، والملائكة يسلّمون عليه، فيرد عليهم، ثم يدخل.

فإذا رأى ما أعدّ الله له من المنازل والكرامة، تهيأ للنزول، فتقول له حفظته: ما تريد؟ فيقول: أريد النزول إلى كرامة الله، فيقولون له: سر أمامك، فإن لك ما هو أفضل من هذا، فإذا سار رفع له قصر من ذهب شرفه من اللؤلؤ، فإذا دنا منه استقبلته الوصائف كاللؤلؤ المنثور، معهن آنية من فضة، وأكواب من ذهب، فيسلّمن عليه، فيردّ عليهن السلام، فيريدُ النزول فيها، فتقول حفظته: سِرْ، فإنّ لك ما هو أفضل من هذا، فإذا سار رُفِعَ له قصرٌ من ياقوتة حمراء، يرى باطنه من ظاهره مِن صفائه، فإذا دنا استقبلته الوصائف كما استقبلنه في القصرين الأولين، سلّمن[1] عليه، فيردّ عليهن السلام، فإذا دخل استقبلته حوراء من العين، عليها سبعون حلّة، لا تشبه الحلّةُ الحلّةَ الأخرى، ليس عليها مفصل إلا وعليه حلّة، يوجد ريحُها من مسيرة مئة عام.

فإذا نظر إلى وجهها، أبصر وجهه فيه من صفاء وجهها، فإذا نظر إلى صدرها أبصر كبدَها من رقّة ثيابها، ويبصر مخّ ساقها من رقّة عظمها وجلدها، وهي في بيت فرسخ في فرسخ، وسمكه مثل ذلك، عليه أربعة آلاف مصراع من ذهب، فيه بساط من ذهب، مُكلّل باللؤلؤ، قد طبق البيت، وفيه سريرٌ عليه من الفرش بمنزلة سبعين غرفة من غرف الدنيا، فإذا جلس واشتهى الثمرة؛ سارت إليه الثمرة، حتى يأكل منها، أو يذهب به سريره حتى يأكل منها، وهذا كلّه ثواب المتقين الذين يتقون شرب الخمر والفواحش.

قال: ويُساقُ أهلُ النار إلى النار، فإذا دنوا منها فتحت أبوابها، فاستقبلتهم الملائكةُ بمقامع الحديد، فإذا دخلوا النّارَ لم يَبْقَ منهم عضو إلا لزمه عذاب، إما حية تنهشه، أو نار تسفعه[2]، أو ملك يضربه، فإذا ضربه ملك هوى في النار مقدار أربعين عاماً لا يبلغ قرارها، ثم يرفعه اللهب، فيضربه الملك، فيهوي في النار، فإذا بدا رأسه ضربه الأخرى، وهو قوله تعالى: ﴿**كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيذُوقُوا العَذَاب إِنَّ الله كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾ [النساء: ٥٦].

---

(١) في الأصل و(م): يسلمون. (٢) «تسفعه»: تلفحه فتغيّر لون بشرته وتسوّده.

قال: وبلغنا أنهم يبدّلون كل يوم سبع مرّات، فإذا عطش نادى بالشرب فيؤتى بالحميم، فإذا دنا من وجهه سقط لحمُ وجهه، ثم يدخل في فيه، فتسقط أضراسُه وأنيابه ولهاته، ثم يدخل بطنه، فيقطع أمعاءه، وينضج جلده، لقوله عز وجل: ﴿**يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ والجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِن حَدِيدٍ**﴾ [الحج: ٢٠ ـ ٢١] فيعذّبون ما شاء الله أن يعذّبوا، ثم يدعون خزنة جهنم ﴿**ادْعُوا رَبَّكُم يُخَفِّفْ عَنّا يَوْماً مِنَ العَذَابِ**﴾ [غافر: ٤٩] فلا يجيبونهم.

ثم يدعون مالكاً أربعين عاماً فلا يجيبهم، فيقولون: قد دعونا الخزنة، ودعونا مالكاً، فلم نجب، هلمّوا فلنجزع، فيجزعون فلا يغني عنهم، ثم يقولون: هلموا فلنصبر، فيصبرون فلا يغني عنهم، فيقولن: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ**﴾ [إبراهيم: ٢١] فهذا العذاب للكفار.

لكن المسلم إذا شربَ الخمر، وجرى على لسانه الكفر، يخافُ أن يزولَ عنه الإيمانُ عند موته، فيصيرُ من جملة الكافرين.

فينبغي للمسلم أن يمتنعَ عن شرب الخمر، وينقطعَ عمّن يشربها، فإنه إذا خالط شارب الخمر يخاف عليه أن يصيبه من غباره، وينبغي أن يتفكَّرَ في هول يوم القيامة، فإنّ مَن تفكّر في هول يوم القيامة، فلا يميلُ قلبه إلى شرب الخمر، ولا إلى صحبة شارب الخمر.

وروي عن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: بلغنا أنَّ العبدَ إذا شرب شربة من الخمر اسودّ قلبه، فإذا شرب الثانية تبرّأتْ منه الحفظة، فإذا شرب الثالثة تبرأ منه ملك الموت، فإذا شرب الرابعة تبرّأ منه النبي ـ ﷺ ـ، **فإذا** شرب الخامسة تبرّأ منه أصحاب النبي ـ ﷺ ـ، وفي السادسة تبرأ منه جبريل عليه السلام، وفي السابعة تبرأ منه إسرافيل عليه السلام، وفي الثامنة تبرأ منه ميكائيل عليه السلام، وفي التاسعة تبرّأت منه السموات، وفي العاشرة تبرّأت منه الأرض، وفي الحادية عشرة تبرأت منه حيتان البحر، وفي الثانية عشرة تبرّأت منه الشمس والقمر، وفي الثالثة عشرة تبرأت منه كواكب السماء، وفي الرابعة عشرة تبرّأت منه الخلائق، وفي الخامسة عشرة أغلقت عليه أبوابُ الجنان، وفي السادسة عشرة فتحت عليه أبوابُ النيران، وفي السابعة عشرة تبرّأت منه حملةُ العرش، وفي الثامنة عشرة تبرأ منه

الكرسي ،وفي التاسعة عشرة تبرّأ منه العرش، فإذا شرب العشرين تبرأ منه الجبّارُ تبارك وتعالى.

١٨٨ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا منصور بن جعفر، وهو أبو نصر الدبوسي بسمرقند، حدثنا أبو القاسم أحمد بن محمد، حدثنا عيسى بن أحمد، حدثنا علي بن عاصم، عن عبيدالله بن عثمان، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «من شرب الخمر، فجعلها في بطنه لم تقبل منه صلاة سبعاً، فإن هي أذهبت عقله، لم تقبل صلاته أربعين يوماً، وإن مات مات كافراً، وإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد كان حقّاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال» قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «صديد أهل النار»[1].

١٨٩ ـ وفي خبر آخر أنه: «إذا شرب الخمر مرة لم تقبل صلاته، ولا صومه، ولا سائر عمله أربعين يوماً، وإذا شرب الثانية، لا يقبل الله صلاته، ولا صومه ولا سائر عمله ثمانين يوماً، وإذا شرب الثالثة، فإلى مئة وعشرين يوماً، فإذا شرب الرابعة فاقتلوه؛ فإنه كافر، وحق على الله أن يسقيه من طينة الخبال». قيل: وما طينة الخبال؟ قال: «صديد أهل النار»[2].

١٩٠ ـ وروي في خبر آخر أنه قال: «الذنوب والخطايا جُعلت كلّها في بيت واحد، وجُعل مفتاحه شرب الخمر»[3] يعني إذا شرب الخمر فتح على نفسه أبواب الخطايا كلها.

وروي عن بعض الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أنه قال: مَن زوّج كريمته مِن شارب الخمر، فكأنما ساقها إلى الزنا. ومعناه: أنّ شارب الخمر إذا سكر كثر كلامه في الطلاق، فقد حرمت عليه امرأته؛ وهو لا يشعر.

ويقال: إنَّ شاربَ الخمر شبيهٌ بعبدة الأوثان؛ لأن الله تعالى سمى الخمر

---

(١) رواه عبدالرزاق بنحوه من حديث ابن عمر (الكنز ١٣٧٠٤).

(٢) رواه الترمذي (١٨٦٢) في الأشربة باب: ما جاء في شارب الخمر وقال: حسن، بنحوه من حديث ابن عمر، وكذا الحاكم (٤/١٤٦).

(٣) رواه الحاكم (٤/١٤٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٥٨٨) من حديث ابن عباس بلفظ: «اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر».

رجساً، وأمر بالاجتناب عنها، وهو قوله تعالى: ﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] كما قال: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠].

وروى طلحة بن مُصَرِّف[١] عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إنَّ مَن شربها نهاراً أشرك بالله تعالى حتى يمسي، وإن مَن شربها ليلاً أشرك بالله تعالى حتى يصبح.

وروي عنه أنه قال: إذا مات شاربُ الخمر؛ فادفنوه واحبسوني، ثم انبشوا قبره، فإن لم تجدوه مصروفاً عن القبلة فاقتلوني.

١٩١ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «بعثني اللَّهُ تعالى هدى ورحمة للعالمين، وبعثني لأمحوَ المعازف والمزامير، وأمر الجاهلية والأوثان. وَحَلَفَ ربِّي بعزّته، لا يشرب عبدٌ من عبيدي الخمر في الدنيا إلا حُرِمها يوم القيامة، ولا يتركها عبدٌ من عبيدي إلا سقيته[٢] من حظيرة القدس».

قال أوس بن سمعان: والذي بعثك بالحق، إني لأجدُها في التوراة محرّمة خمساً وعشرين مرة، ويلٌ لشارب الخمر، وحقّ على الله أن لا يشربها عبدٌ من عبيده في الدنيا إلا سقاه الله من طينة الخبال[٣].

١٩٢ ـ وروى مالك عن محمد بن المنكدر أنه قال: «يقول الله تعالى يعني يوم القيامة: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم في الدنيا عن اللهو ومزامير الشيطان، اجعلوهم في رياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم حمدي وثنائي، وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[٤].

١٩٣ ـ وروي عن أبي وائل، عن شقيق بن سلمة، أنه دُعي إلى وليمة، فرأى

---

(١) هو طلحة بن مصرِّف بن كعب بن عمرو الهمداني الياميّ الكوفي، أبو محمد: أقرأ أهل الكوفة في عصره. كان يُسمّى «سيّد القرّاء»، وهو من رجال الحديث الثقات، ومن أهل الورع والنسك. شهد وقعة «الجماجم». توفي سنة (١١٢هـ). (تهذيب التهذيب ٥/٢٥)، و(حلية الأولياء ٥/١٤).

(٢) في الأصل و(م): سقاه الله.

(٣) رواه الحسين بن سفيان وابن منده وأبو نعيم. قال ابن عبدالبر: ليس إسناده بالقوي. (كنز العمال ١٣٦٩٩).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا. (النهاية لابن كثير ٢/٥١٠) و(حادي الأرواح ص ٣٦٣).

فيها لعابين ـ مغنين ـ فرجع، ثم قال: سمعت ابن مسعود يقول: إنّ الغناءَ ينبت النفاق في القلب، كما ينبت الماء البقل[1].

١٩٤ ـ وروي عطاء بن السائب، عن عبدالرحمٰن السلمي، قال: شربَ نَفَرٌ من أهل الشام الخمر، وعليهم يومئذ يزيد بن أبي سفيان[2]، وقالوا: هي لنا حلال؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِين آمَنوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣] الآية، فكتب فيهم إلى عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ بذلك، وكتب عمر أن ابعث بهم إليّ قبل أن يُفْسِدُوا مَن قِبلك، فلما قدموا إلى عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ جمع لهم أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فشاورهم في ذلك، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنهم افتروا على الله، وشرعوا في دينه ما لم يأذن به الله، فاضرب أعناقهم، وعلي ـ رضي الله تعالى عنه ـ ساكتٌ في القوم، فقال لعليّ: ما ترى؟ قال: أرى أن تستتيبهم، فإن لم يتوبوا فاضرب أعناقهم، وإن تابوا فاضربهم ثمانين جلدة، فاستتابهم فتابوا، فضربهم ثمانين جلدة[3].

١٩٥ ـ وروى عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال: لما نزلت آية تحريم الخمر، قالوا: فكيف إخواننا الذين ماتوا، وهم يشربونها؟ فنزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣] الآية. يعني لا إثم على الذين شربوا قبل التحريم[4].

* * *

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٢٧) في الأدب، باب: كراهية الغناء والزمر، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٠٩٨)، وابن أبي الدنيا في كتاب «ذم الملاهي» مرفوعاً، قال ابن القيم: والموقوف أصح. (إغاثة اللهفان ١/ ٢٢٧).

(٢) هو يزيد بن صخر (أبي سفيان) بن حرب، الأموي، أبو خالد: أمير، صحابي، من رجالات بني أمية شجاعة وحزماً، أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات بني فراس، وكانوا أخواله. ثم استعمله أبو بكر على جيش، وسيّره إلى الشام، وخرج معه يشيّعه راجلاً. ولما استخلف عمر ولّاه فلسطين. ثم ولي دمشق وخراجها. وافتتح قيسارية. وهو أخو معاوية الخليفة. له وقائع كثيرة وأثر محمود في فتوح البلاد الشامية. توفي في دمشق بالطاعون سنة (١٨هـ) (الإصابة ٩٢٦٧)، و(تهذيب التهذيب ١١/ ٣٣٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر. (الدر المنثور ٣/ ١٧٤).

(٤) رواه الحاكم (٤/ ١٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٦١٧)، والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه. (الدر المنثور ٣/ ١٧١ ـ ١٧٢).

باب الزّجر عن الكذب

١٩٦ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة، عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «عليكم بالصّدِق؛ فإنّ الصّدقَ يهدي إلى البِرّ، وإن البِرّ يهدي إلى الجنة. وما يزال الرجل يصدقُ، ويتحرّى الصّدق، حتى يُكتبَ عند الله صديقاً. وإيّاكم والكذب، فإنّ الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجلُ يكذب، ويتحرّى الكذب، حتى يُكتبَ عند الله كذّاباً»[1].

١٩٧ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمار بن عمير، عن عبدالرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: «اختبروا المنافق بثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر»[2].

قال عبدالله ـ رضي الله تعالى عنه ـ: وأنزل الله تعالى تصديقاً لذلك في كتابه قوله تعالى: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ الله لئِنْ آتانَا مِنْ فَضْلِهِ﴾** إلى قوله: **﴿وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾** [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧].

١٩٨ ـ قال: حدثنا أبو القاسم بن محمد بن روزبه، حدثنا عيسى بن خشنام التوزي، حدثنا سويد، عن مالك، أنه بلغه أنه قيل للقمان الحكيم: ما بلغ بك ما

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤) في الأدب، باب: قول الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾**، ومسلم (٢٦٠٧) في البر والصلة والآداب، باب: قبح الكذب. «البر»: اسم جامع للخير كله، وقيل: البر: الجنة. «الفجور»: هو الميل عن الاستقامة، وقيل: الانبعاث في المعاصي.

(٢) رواه البخاري (٣٣) في الإيمان، باب: علامة المنافق، ومسلم (٥٩) في الإيمان، باب: بيان خصال المنافق. من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

ترى؟ قال: صِدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني[1].

١٩٩ ـ قال: حدثنا أبو القاسم عيسى، حدثنا سويد، عن مالك، عن صفوان بن مسلم؛ أنه قال: قيل: يا رسول الله، أيكون المؤمن جباناً؟ قال: «نعم». فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: «نعم». قيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: «لا»[2].

٢٠٠ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن عمرو، عن المطلب بن حنطب، عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم، أضمن لكم الجنة: اصدُقوا إذا حدّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجَكم، وغضّوا أبصاركم، وكفّوا أيديكم»[3].

قال الفقيه: قد جمع النبي ـ ﷺ ـ جميعَ الخيرات في هذه الأشياء الستة: أولها: قال: «اصدقوا إذا حدثتم» فقد دخل فيه كلمة التوحيد وغيرها، يعني إذا شهد أن لا إله إلا الله، يكون قوله صادقاً من نفسه، ويكون صادقاً في حديثه مع الناس.

وقوله: «وأوفوا إذا وعدتم» يعني الوعد الذي بينه وبين الله تعالى، والوعد الذي بينه وبين الناس، فأما العهد الذي بينه وبين الله تعالى فأن يثبت على إيمانه إلى الموت، وأما الذي بينه وبين الناس، فهو أن يفي بجميع ما وعدهم.

وقوله: «وأدّوا إذا ائتمنتم» فالأمانة على وجهين: أحدهما بينه وبين الله تعالى، والآخر بينه وبين الناس، فأما الذي بينه وبين الله تعالى؛ فهي الفرائض التي افترضها الله على عباده، وهي أمانةُ الله عنده، فوجبَ عليه أن يؤدّيها في وقتها، وأما الأمانة التي بينه وبين الناس؛ فهو أن يأتمنه رجلٌ على ماله، أو على قوله، أو على غير ذلك، فيجب عليه أن يفيَ بأمانته.

وقوله: «واحفظوا فروجكم» فالحفظ على وجهين:

أحدهما: أن يحفظَ فرجَه عن الحرام والشبهة.

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٠). (٢) المصدر السابق.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٤٥): رواه أحمد ورجاله ثقات. وابن حبان (١/ ١٤٥)، والحاكم (٤/ ٣٥٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٨٨).

والثاني: أن يحفظَ فرجَه حتى لا يقع بصر أحد عليه، لأن النبي ـ ﷺ ـ قال:
٢٠١ ـ «لعن الله الناظر والمنظور إليه»[١] فالواجب على المسلم أن يتعاهد نفسه في وقت قضاء الحاجة ووقت الاستنجاء، لكيلا ينظر إليه من لا يحل له النظر إليه من الرجال والنساء.

وقوله: «وغضّوا أبصاركم» يعني غضوا أبصاركم عن عورات الناس، وعن النظر إلى محاسن المرأة، التي لا يحلّ له النظر إليها، وعن النظر إلى الدنيا بعين الرغبة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١].

وقوله: «كفّوا أيديكم» أي عن الحرام من الأموال وغير ذلك.

وروي عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إنّ الرجلَ كان يتكلّم بالكلمة على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ فيصير بها منافقاً، وإنّي لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات. يعني أنَّ[٢] الرجل إذا كان يكذب، كان ذلك دليلاً على نفاقه.

فالواجبُ على المسلم أن يمنعَ نفسه من علامات المنافقين، فإنَّ الرجلَ إذا تعوّد الكذب، يُكتب عند الله منافقاً، ويكون عليه وزره، ووزر من اقتدى به.

٢٠٢ ـ قال: حدثنا أبو منصور بن عبدالله الفرضي بسمرقند، بإسناده عن سمرة بن جُنْدُب، قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا صلّى الغداة أقبل علينا بوجهه الكريم[٣]، فقال لأصحابه: «هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟» فيقصّ عليه ما شاء الله أن يقصّ في رؤياه عليه، وأنه قال لنا ذات غداة: «هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟ فقلنا: لا. قال: «لكني رأيت الليلة، أنه أتاني اثنان، وأنهما أخذا بيدي، فقالا لي: انطلق، فانطلقت معهما، فأخرجاني إلى أرض مستوية، فأتينا على رجل مضطجع وآخر قائم عليه بصخرة، فإذا هو يهوي بالصخرة على رأسه، فيثلغ به رأسه، فيتهدهده الحجر، فيتبعها ويأخذها، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، فيعود عليه بمثل ذلك.

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٥٤٤١)، وابن عدي في الكامل (١/٣٢٥)، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (١/٢٠٠) في ترجمة إسحاق بن نجيح الملَطي، قال أحمد: هو من أكذب الناس، وقال يحيى: معروف بالكذب ووَضْع الحديث. وقال الفلاس: كان يَضَعُ الحديث صُراحاً.
(٢) من (م). (٣) من (م).

فقلتُ: سبحان الله ما هذا؟ فقالا لي: انطلق. فانطلقت معهما، حتى أتينا على رجل مستلق على قفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، فإذا هو يأتي أحد شقّي وجهه، فيشقّ شدقه حتى يبلغَ إلى قفاه ومنخره إلى قفاه، ثم يتحوّل إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل ذلك، فلا يفرغ منه، حتى يصح الجانب الأول كما كان، فيعود إليه، فيفعل به مثل ذلك. قال: قلت: سبحان الله، ما هذا؟ قالا لي: انطلق. فانطلقنا، حتى أتينا على بناء، رأسه مثل التنور، وأسفله واسع. قال: فاطلعت، فإذا فيه رجالٌ ونساء عُراة، فإذا هُم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أوقد، ارتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، فلما جاءهم ذلك اللهب ضوضوا ـ يعني صاحوا ـ فقلت: سبحان الله! ما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق.

فانطلقنا حتى أتينا على نهر معترض، فيه ماءٌ أحمر مثل الدم، فإذا فيه رجلٌ يسبح، وإذا على شاطىء النهر رجلٍ قد جمع حجارة كثيرة، قال: فيأتيه السابح فيفغر ـ أي يفتح فاه ـ فيلقمه حجراً. قال: قلت: سبحان الله! ما هذا؟ قالا لي: انطلق.

فأتينا على رجل كريه المنظر، كأكره الرجال مرآة، فإذا هو حوله نار عظيمة، يحشّها، ويسعى حولها. فقلت: سبحان الله! ما هذا؟ فقالا لي: انطلق.

فانطلقنا فأتينا على روضة فيها من كل نَوْر الربيع، فإذا بين ظهراني الروضة رجلٌ طويل، وإذا حول ذلك الرجل ولدان كثير، من أكثر ما رأيتهم، فقلت: سبحان الله! ما هذا؟، قالا لي: انطلق.

فانطلقنا حتى انتهينا إلى دوحة عظيمة، لم أر دوحةً أعظم ولا أحسن منها، فارتقينا فيها، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبنٍ من ذهب، ولبن من فضة، فاستفتحنا باب المدينة، ففتح لنا، فدخلنا فيها [داراً]، فأخرجاني منها، فأدخلاني داراً هي أحسن منها وأفضل، فبينما هم كذلك إذ بصري يسمو صعداً فإذا قصر أبيض كأنه ربابة بيضاء. قالا: ذلك منزلك. قلت: ألا أدخله؟ قالا: أما الآن فلا وأنت داخله.

قلت: إني رأيت في هذه الليلة عجباً، فما هذا الذي رأيته؟

قالا: أما الأول الذي رأيته يثلغ رأسه بالحجر، فإنه رجل يأخذ القرآن، ثم يرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة.

وأما الذي يشرشر شدقه إلى قفاه، فإنه رجلٌ يخرجُ من بيته، فيكذب الكذبة

فتبلغ الآفاق. وأما الذين رأيتهم في التنور، فإنهم الزناة والزواني. وأما الذي يسبح في النهر فهو آكل الربا. وأما الذي يسعى حول النار فإنه مالك خازن النار أي جهنم. وأما الرجل الطويل الذي رأيته في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام.

وأما الولدان الذين حوله، فكل مولود مات على الفطرة. وأما الدار التي دخلت أولاً فدار عامة المؤمنين. وأما الدار الأخرى فدار الشهداء. وأنا جبريل، وهذا ميكائيل». فقال رجل: وأولاد المشركين؟. قال: «وأولاد المشركين أيضاً يكونون عند إبراهيم عليه السلام»[1].

وقد جاء في أولاد المشركين أخبار مختلفة، قال بعضهم: يكونون خدماً لأهل الجنة، وقال بعضهم: هم أهل النار، والله تعالى أعلم.

قال الفقيه ـ رضي الله تعالى عنه ـ: حدثنا أبو جعفر، حدثنا علي بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا أبو حذيفة بالبصرة، حدثنا سفيان، حدثنا عبدالرحمٰن بن عباس، قال: حدثنا ناس من أصحاب عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: أصدقُ الحديث كلام الله، وأشرف الحديث ذكر الله، وشرُّ العمى عمى القلب، وما قلّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى، وشرّ الندامة ندامة يوم القيامة، وخير الغنى غنى النفس[2] والقلب، وخير الزاد التقوى، والخمر جماع الإثم، والنساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب.

٢٠٣ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا سفيان بن أبي حصين، يبلغ به إلى النبي ـ ﷺ ـ قال: «الكذب لا يصلح إلا في ثلاث: في الحرب، لأنّ الحربَ خدعةٌ، والرجل يصلح بين اثنين، والرجل يصلح به بينه وبين امرأته»[3].

---

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧) في التعبير، باب: تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، وأحمد (٥/٨). «يحشها»: حششتُ النار بالحطب: ضممتُ ما تفرّق من الحطب إلى النار. «نَور»: زهر. «دوحة»: هي الشجرة الكبيرة. «يثلغ»: يشدخ.

(٢) من (م).

(٣) رواه الترمذي (١٩٣٩) في البر والصلة، باب: ما جاء في إصلاح ذات البين، من حديث أسماء بنت يزيد.

وروي عن بعض التابعين، أنه قال: اعلم أنّ الصدقَ زين الأولياء، وأن الكذب علامة الأشقياء، كما بين الله تعالى في كتابه، قال الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] وقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وكُونُوا مَعَ الصَّادِقين﴾ [التوبة: ١١٩] وقال تعالى: ﴿والَّذِي جَاءَ بالصِّدْقِ وصَدَّقَ به أُولَئِكَ هُم المتَّقون لَهُم مَا يَشاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِم﴾ [الزمر: ٣٣].

وقد ذمّ الكاذبين ولعنهم، فقال عز من قائل: ﴿قُتِلَ الخَرَّاصُون﴾ [الذاريات: ١٠] يعني لعن الكذابون ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى الله الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإسْلَام واللَّهُ لاَ يَهْدِي القَومَ الظَّالِمينَ﴾ [الصف: ٧].

* * *

باب الغيبة

٢٠٤ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبدالرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إذا ذكرت أخاك بما يكره، فقد اغتبته». قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»[1] يعني قلت فيه بهتاناً[2].

قال الفقيه: ذُكِرَ عن بعض المتقدّمين أنه قال: لو قلت: إن فلاناً ثوبه قصير، أو ثوبه طويل، يكون غيبةً. فإذا ذكرت عن ثيابه يكون غيبة، فكيف إذا ذكرت عن نفسه.

٢٠٥ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا يحيى بن سليم، عن سلمان القاضي، عن محمد بن الفضل العابد، عن ابن أبي نجيح، قال: بلغنا أنّ امرأةً قصيرةً دخلتْ على النبي ـ ﷺ ـ فلما خرجت، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ما أقصرها!، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «اغتبتها»، قالت عائشة: ما قلت إلا ما فيها، قال: «ذكرتِ أقبحَ ما فيها»[3].

٢٠٦ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، عن إبراهيم، حدثنا عبدالوهاب بن عطاء، عن محمد الجماني، عن أبي هارون العبدي، عن أبي

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٩) في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الغيبة، والترمذي (١٩٣٤) في البر والصلة، باب: ما جاء في الغيبة، وقال: حسن صحيح، ومالك في الموطأ (٢/ ٢٥٢)، وأحمد (٢/ ٢٣٠)، والدارمي (٢/ ٢٩٩).

(٢) «البهتان»: الباطل.

(٣) رواه أحمد (٦/ ١٨٩، ٢٠٦)، وابن أبي الدنيا في الغيبة والنميمة برقم (٧٣) عن أبي حذيفة عن عائشة، ورواه برقم (٦٨) عن حسان بن مخارق عن عائشة.

سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ليلة أسري بي إلى السماء، مررتُ بقوم يقطع اللحم من جنوبهم، ثم يلقمونه، ثم يقال لهم: كلوا ما كنتم تأكلون من لحوم إخوانكم، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك الهمازون اللمازون»[1] يعني المغتابين.

٢٠٧ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعت أبي يحكي، قال: كان النبي ـ ﷺ ـ في المنزل وأصحابه في المسجد من أهل الصفة، وزيد بن ثابت يحدثهم بما سمع من النبي ـ ﷺ ـ من الأحاديث، فأُتي النبي ـ ﷺ ـ بلحم، فقالوا لزيد بن ثابت: ادخل على النبي ـ ﷺ ـ وقل: إنا لم نأكل اللحم منذ كذا وكذا، لكي يبعثَ إلينا بشيء من ذلك اللحم، فلما قام زيد بن ثابت من عندهم، قالوا فيما بينهم: إن زيداً قد لقي النبي ـ ﷺ ـ مثل ما لقينا، فكيف يجلس ويحدثنا، فلما دخل زيد على النبي ـ ﷺ ـ وأدى الرسالة، قال النبي ـ ﷺ ـ: «قل لهم: قد أكلتم اللحم الآن»، فرجع إليهم، و أخبرهم به، قالوا: والله ما أكلنا اللحم منذ كذا، فرجع إليه فأخبره، فقال: «إنهم قد أكلوا اللحم[2] الآن»، فرجع إليهم وأخبرهم. فقاموا، فدخلوا على النبي ـ ﷺ ـ فقالوا: يا رسول الله إنا لنا كذا وكذا ما أكلنا اللحم، فقال لهم: «الآن أكلتم لحم أخيكم، وأثر اللحم في أسنانكم، فابزقوا حتى تروا حمرة اللحم»، فبزقوا الدم، فتابوا، ورجعوا عن ذلك واعتذروا إليه؛ وقالوا: ما أردنا بذلك الكلام إلا خيراً[3].

٢٠٨ ـ وروى جابر بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: هاجت ريح منتنة على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ فقال النبي ـ ﷺ ـ: «إنّ ناساً من المنافقين قد اغتابوا ناساً من المسلمين، فلذلك هاجت هذه الريحُ المنتنة»[4].

وقيل لبعض الحكماء: ما الحكمةُ في أنّ ريحَ الغيبة ونتنها كانت تتبين على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ ولا تتبيّن في يومنا هذا؟ قال: لأنّ الغيبةَ قد كثرت في يومنا، فامتلأت الأنوف منها، فلم تتبين الرائحةُ، وهي النتن، ويكون مثال هذا مثال رجل

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٧٨) بنحوه من حديث أنس، في الأدب، باب: في الغيبة، وكذا البيهقي في شعب الإيمان (٦٧١٦).

(٢) من (م). (٣) رواه عبد بن حميد عن عكرمة بنحوه. (الدر المنثور ٧/ ٥٧١ ـ ٥٧٢).

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٣٤)، وأحمد (٣/ ٣٥١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٩١): رواه أحمد ورجاله ثقات. وابن أبي الدنيا في الغيبة (٦٩)، وذكره المنذري في ترغيبه (٣/ ٣٠٠).

دخل دارَ الدباغين، لا يقدر على القرار فيها من شدّة الرائحة، وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام، ويشربون الشراب، ولا تتبين لهم الرائحة؛ لأنه قد امتلأت أنوفهم منها، كذلك أمرُ الغيبة في يومنا هذا.

٢٠٩ ـ وروى أسباط عن السدي، قال: كان سلمان الفارسي في سفر مع ناس، فيهم عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ فنزلوا منزلاً، فضربوا خيامهم، وصنعوا طعامهم، ونام سلمان، فقال بعض القوم: ما يريد هذا العبدُ إلا أن يجيءَ إلى خيام مضروبة، وطعام مصنوع. ثم قالوا بعد ذلك لسلمان: انطلق إلى النبي ـ ﷺ ـ فالتمس لنا إداماً نأتدم به، فأتى النبي ـ ﷺ ـ فأخبره، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «أخبرهم أنهم ائتدموا»، فأخبرهم بذلك، فقالوا: ما طعمنا بعد، وما كذب النبي ـ ﷺ ـ عليكم، فأتوه، فقال لهم النبي ـ ﷺ: «قد ائتدمتم من لحم صاحبكم، حين قلتم ما قلتم وهو نائم»، ثم قرأ عليهم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [الحجرات: ١٢][1] يعني معصية.

قال سفيان: الظنّ ظنّان: ظنّ فيه إثم، وظنّ ليس فيه إثم. فأما الظنّ الذي فيه إثم فالذي [يضمر ثم][2] يتكلم به، وأما الظن الذي ليس فيه إثم، فما يضمره ولا يتكلم به ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا**﴾ يقول ولا تطلبوا عيب أخيكم ﴿**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ [الحجرات: ١٢] يعني كما تكرهون أكل لحم أخيكم ميتاً، فكذلك اجتنبوا ذكره بالسوء إذا كان غائباً.

٢١٠ ـ وروي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ في هذه الآية ﴿**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾ قال: نزلتْ في رجلين من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وذلك أن النبي ـ ﷺ ـ ضمّ مع كلّ رجلين غنيين في السفر رجلاً من أصحابه قليل الشيء؛ ليصيبَ معهما من طعامهما، ويتقدمهما في المنازل، ويهيىء لهما المنزل، وما يصلح لهما. وقد كان ضمّ سلمان إلى رجلين، فنزل منزلاً من المنازل ذات يوم، ولم يهيىءْ لهما شيئاً، فقالا له: اذهبْ إلى النبي ـ ﷺ ـ فسلْ لنا فضلَ إدام، فانطلق، فقال أحدهما لصاحبه حين غاب عنهما: إنه لو انتهى إلى بئر كذا لقلّ الماء، فلما انتهى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وبلّغه الرسالة، قال النبي ـ ﷺ ـ: «قل لهما قد أكلتما الإدام»،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم عن السدي. (الدر المنثور ٦/ ٥٧٠).
(٢) من (م).

فأتاهما، فأخبرهما، فأتياه، فقالا: ما أكلنا من إدام، فقال: «إنّي لأرى حمرةَ اللحم في أفواهكما»، فقالا: لم يكن عندنا شيء، وما أكلنا لحماً اليوم، فقال لهما: «إنكما قد اغتبتما أخاكما»، ثم قال لهما: «أتحبّان أن تأكلا لحماً ميتاً»، فقالا: لا. فقال لهما: «فكما كرهتما أن تأكلا لحماً ميتاً، فلا تغتابا، فإنه من اغتاب أخاه، فقد أكل لحمه ميتاً»، فنزلت ﴿ولا يَغْتَبْ بَعْضُكم بَعْضاً﴾[1].

وروي عن الحسن البصري: أن رجلاً قال: إن فلاناً قد اغتابك، فبعث إليه طبقاً من الرطب، وقال: بلغني أنك أهديتَ إليّ حسناتك، فأردتُ أن أكافئك عليها، فاعذرني، فإني لا أقدرُ أن أكافئك بها على التمام.

وذكر عن إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله تعالى ـ أنه أضاف أناساً، فلما قعدوا على الطعام، جعلوا يغتابون رجلاً، قال إبراهيم: إن الذين كانوا قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم، وأنتم بدأتم باللحم قبل الخبز.

وذكر عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إنّ العبدَ لَيُعْطَىٰ كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن عملها، فيقول: يا رب؛ من أين لي هذا؟ فيقول: هذا بما اغتابك الناسُ وأنت لا تشعر.

وعن إبراهيم بن أدهم، أنه قال: يا مكـذّب بخلتَ بدنياك على أصدقائك، وسخوتَ بآخرتك على أعدائك، فلا أنت فيما بخلتَ به معذور، ولا أنت فيما سخوتَ به محمود.

وذكر عن بعض الحكماء أنه قال: الغيبةُ فاكهة القرّاء، وضيافةُ الفساق، ومراتعُ النساء، وإدامُ كلاب الناس، ومزابلُ الأتقياء.

٢١١ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «أربع يفطرن الصائم، وينقضن الوضوء، ويهدمن العمل: الغيبة، والكذب، والنميمة، والنظر إلى محاسن المرأة التي لا يحل له النّظر إليها، وهن يسقين أصول الشرّ، كما يسقي الماء أصول الشجر، وشرب الخمر يعلو الخطايا»[2].

---

(١) ذكره بنحوه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٩٤)، والمطالب العالية (٢/٤٣١ ـ ٤٣٢)، والمصنف لابن أبي شيبة (٢٦٦٨)، والقرطبي في تفسيره (١٦/٣٣٦).

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (٢٩٧٩)، وذكره السيوطي في اللآلىء المصنوعة (٢/١٠٦) وقال: موضوع، سعيد بن عنبسة كذاب، والثلاثة فوقه مجروحون.

قال كعب الأحبار: قرأتُ في كتب الأنبياء ـ عليهم السلام ـ أنّ من مات تائباً من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصراً عليها، كان أول من يدخل النار.

وذكر عن عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ أنه قال لأصحابه: أرأيتم لو أتيتم على رجل نائم، قد كشفت الريح عن بعض عورته، كنتم تسترون عليه؟ قالوا: نعم. قال: بل كنتم تكشفون البقية، قالوا: سبحان الله! كيف نكشف البقية؟ قال: أليس يذكر عندكم الرجل بالسوء، فتذكرونه بأسوأ ما فيه، فأنتم تكشفون بقية الثوب عن عورته.

وروى خالد الربعي، قال: كنتُ في المسجد الجامع، فتناوَلوا رجلاً، فنهيتهم عن ذلك، فكفوا وأخذوا في غيره، ثم عادوا إليه، فدخلتُ معهم في شيء من أمره، فرأيت تلك الليلة في المنام كأني أتاني رجلٌ أسود طويل، ومعه طبق، عليه قطعةٌ من لحم خنزير، فقال لي: كُلْ. فقلت: آكل لحم الخنزير؟ والله لا آكله، فانتهرني انتهاراً شديداً، وقال: قد أكلت ما هو أشدّ منه، فجعل يدسّه في فمي، حتى استيقظتُ من منامي، فوالله لقد مكثتُ ثلاثين يوماً أو أربعين يوماً، ما أكلتُ طعاماً إلا وجدت طعمَ ذلك اللحم ونتنه في فمي.

قال سفيان بن الحسين: كنتُ جالساً عند إياس بن معاوية[1]، فمرّ رجل، فنلت منه، فقال: اسكت، ثم قال لي: يا سفيان هل غزوتَ الروم؟ قلت: لا، قال: غزوتَ الترك؟ قلت: لا. قال: سلم منك الروم، وسلم منك الترك، ولم يسلم منك أخوك المسلم، قال: فما عدتُ إلى ذلك بعد.

وروي عن حاتم الزاهد ـ رحمه الله تعالى ـ قال: ثلاثة إذا كنّ في مجلس؛ فالرحمةُ عنهم مصروفة: ذكر الدّنيا، والضّحك، والوقيعة في الناس.

وعن يحيى بن معاذ الرازي قال: ليكن حظّ المؤمن منك ثلاث خصال، لتكون من المحسنين:

إحداها: أنك إن لم تنفعه فلا تضرّه.

والثانية: إن لم تسرّه، فلا تغمه.

والثالثة: إن لم تمدحه، فلا تذمه.

---

(١) هو إياس بن معاوية بن قرّة بن إياس، المزني، أبو واثلة، البصري، القاضي المشهور بالذكاء، ثقة. مات سنة (١٢٢هـ). (تقريب التهذيب ١/ ٨٧).

وذكر عن مجاهد أنه قال: إنّ لابن آدم جلساء من الملائكة، فإذا ذَكر أحدُهم أخاه بخير، قالت الملائكة له: ولك مثله، وإذا ذكر أحدهم أخاه بسوء، قالت الملائكة: يابن آدم كشفت المستور عليه عورته، ارجع إلى نفسك، واحمد الله الذي ستر عليك عورتك.

وذُكِر عن إبراهيم بن أدهم أنه دُعي إلى طعام، فلما جلس، قالوا: إن فلاناً لم يجيء، فقال رجل منهم: إنّ فلاناً رجلٌ ثقيل. فقال إبراهيم: إنما فعل هذا بي بطني حين شهدت طعاماً؛ اغتبت فيه مسلماً، فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام.

قال بعض الحكماء: إن ضعفتَ عن ثلاث، فعليك بثلاث: إن ضعفتَ عن الخير، فأمسك عن الشر، وإن كنتَ لا تستطيعُ أن تنفعَ الناس فأمسك عنهم ضرك، وإن كنت لا تستطيعُ أن تصومَ فلا تأكلْ لحومَ الناس.

وذُكِر عن وهب المكي، أنه قال: لأن أدعَ الغيبة أحبّ إليّ من أن تكون لي الدنيا وما فيها؛ منذ خُلقَتْ إلى أن تفنى، فأجعلها في سبيل الله تعالى. ولأن أغضّ بصري عما حرّم الله تعالى، أحبّ إلي من أن تكونَ لي الدنيا وما فيها، فأجعلها في سبيل الله تعالى، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢] وتلا قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

قال الفقيه: قد تكلّم الناس في توبة المغتاب، هل تجوز من غير أن يستحلّ من أخيه؟ قال بعضهم: يجوز. وقال بعضهم: لا يجوز ما لم يستحل من صاحبه. وهو عندنا على وجهين: إن كان ذلك القولُ قد بلغ إلى الذي اغتابه، فتوبته أن يستحل منه ويستغفر الله. وإن لم يبلغ فليستغفر الله تعالى، ويضمر أن لا يعود إلى مثله.

وقد روي أنّ رجلاً أتى ابن سيرين، فقال: إني اغتبتك، فاجعلني في حلّ. فقال: وكيف أحلّ ما حرم الله؟ فكأنه أشار إليه بالاستغفار والتوبة إلى الله تعالى، مع استحلاله منه.

فأمّا إذا لم تبلغ إلى صاحبه تلك الغيبة، فتوبته أن يستغفر الله تعالى، ويتوب إليه، ولا يخبر صاحبه فهو أحسن لكيلا يشتغل قلبه به، ولو أنه قال بهتاناً لم يكن ذلك فيه، فإنه يحتاج إلى التوبة في ثلاثة مواضع:

أحدها: أن يرجعَ إلى القوم الذين تكلّم بالبهتان عندهم، ويقول: إني قد

ذكرتُ عندكم فلاناً بكذا وكذا، فاعلموا أني كنت كاذباً في ذلك.

والثاني: أن يذهبَ إلى الذي قال عليه البهتان، ويطلب منه أن يجعلَه في حلّ.

والثالث: أن يستغفرَ الله تعالى، ويتوبَ إليه، فليس شيءٌ من الذنوب أعظم من البهتان، فإنّ سائرَ الذّنوب تحتاجُ إلى توبة واحدة، وفي البهتان يحتاج إلى التوبة في ثلاثة مواضع. وقد قرن الله تعالى البهتان بالكفر، فقال تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾ [الحج: ٣٠].

ويقال: لا تكون الغيبةُ إلا في قوم معلومين، حتى لو ذكر أهل مصر من الأمصار، فقال: هم بخلاء، أو قوم سوء، لا يكون غيبة؛ لأنّ فيهم البر والفاجر. وعلم أنه لم يردْ به الجميع، والكفّ عن ذلك أفضل.

وذُكِر عن بعض الزهاد أنه اشترى قطناً لامرأته، فقالت المرأة: إن باعة القطن قوم سوء، قد خانوك في هذا القطن. فطلّق الرجل امرأته، فسُئِل عن ذلك فقال: إني رجلٌ غيور، فأخاف أن يكون القطّانون كلهم خصماءها يوم القيامة، فيقال: إن امرأة فلان تعلّق بها القطانون، فلأجل ذلك طلّقتُها.

وقال: ثلاثةٌ لا تكون غيبتُهم غيبة: سلطان جائر، وفاسق معلن، وصاحب بدعة. يعني إذا ذكر فعلهم ومذهبهم، ولو ذكر شيئاً من أبدانهم بعيب فيهم، لكان ذلك غيبة. ولكن إذا ذكر فعلهم ومذهبهم، فلا بأس لكي يحذرهم الناس.

٢١٢ ـ وقد روي عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «اذْكُروا الفاجرَ بما فيه؛ لكي يحذرَه الناس»(١).

قال الفقيه: الغيبة على أربعة أوجه: في وجه هي كفر، وفي وجه هي نفاق، وفي وجه هي معصية، والرابع مباح، وهو مأجور.

فأما الوجه الذي هو كفر: فهو أن يغتاب المسلم، فيقال له: لا تغتب، فيقول: ليس هذا غيبة وأنا صادق في ذلك، فقد استحلّ ما حرم الله تعالى، ومن استحلّ ما

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١٠)، وابن أبي الدنيا في الغيبة رقم (٨٣)، وابن حبان في المجروحين (١/ ٢٢٠) في ترجمة الجارود بن يزيد، وقال ابن الجوزي في (العلل المتناهية ٢/ ٧٨٠): قال العقيلي: ليس له من حديث بهز أصل، ولا من حديث غيره، ولا يتابع عليه الجارود من طريق يثبت. والجارود: متروك.

حرّم الله تعالى صار كافراً، نعوذ بالله.

وأما الوجه الذي هو نفاق: فهو أن يغتابَ إنساناً، فلا يسمّيه عند من يعرف أنه يريد به فلاناً، فهو يغتابه، ويرى في نفسه أنه متورع. فهذا هو النفاق.

وأما الذي هو معصية، فهو أن يغتابَ إنساناً، ويسمّيه، ويعلم أنها معصية، فهو عاص، وعليه التوبة.

والرابع: أن يغتاب فاسقاً معلناً بفسقه، أو صاحب بدعة، فهو مأجور؛ لأنهم يحذرون منه إذا عرفوا حاله. وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «اذكروا الفاجر بما فيه لكي يحذرَه النَّاسُ»[1].

قال الفقيه: سمعت أبي يحكي أنّ الأنبياءَ الذين لم يكونوا مرسلين ـ عليهم السلام ـ بعضهم كانوا يرون في المنام، وبعضهم كانوا يسمعون الصوت ولا يرون شيئاً، وكان نبيّ من الأنبياء ممن يرى في المنام، رأى ذات ليلة في المنام، قيل له: إذا أصبحت فأول شيء يستقبلك فكله، والثاني اكتمه، والثالث اقبله، والرابع لا تؤيسه، والخامس اهرب منه. فلما أصبح كان أول شيء استقبله جبل أسود عظيم، فوقف وتحيّر، وقال: أمرني ربي أن آكل هذا، ثم رجع إلى نفسه، وقال: إن ربي لا يأمرني بما لا أطيق، فلما عزم على أكله، ومشى إليه ليأكله، فكلما دنا منه صغر ذلك الجبل، فلما انتهى إليه وجده لقمةً أحلى من العسل، فأكله، وحمد الله تعالى ومضى.

فاستقبله طست من ذهب، وقال: أمرت بأن أكتمه، فحفر بئراً في الأرض، ودفنه فيها ومضى، والتفت، فإذا الطست فوق الأرض، فرجع مرتين أو ثلاثاً، وهو يدفنه فيها، ومضى، فالتفت، فإذا هو على وجه الأرض، قال: إني فعلت ما أمرت به، فذهب.

فاستقبله طائر خلفه بازي يريد أن يأخذه، فقال: يا نبي الله، أغثني، فقبله، وجعله في كمّه، فجاء البازي، فقال: يا نبي الله، إني كنتُ جائعاً، وإني كنتُ في طلب هذا الصيد منذ الغداة، حتى أردت أن أخذه، فلا تؤيسني من رزقي، فقال في نفسه: إني قد أمرت أن أقبل الثالث، وقد قبلته، وقد أمرت أن لا أؤيس الرابع، والرابع هذا البازي، فكيف أصنع؟ فلما تحيّر في ذلك أخذ السكينَ وقطع من فخذ

---

(١) انظر الحديث السابق.

نفسه قطعة من لحم، فرمى بها إلى البازي، حتى أخذها ومضى، ثم أرسل الطائر ومضى، فرأى الخامس جيفة منتنة، فهرب منها.

فلما أمسى، قال: يا رب، إني قد فعلتُ ما أمرتني، فبيّن لي ما كان من أمر هذه الأشياء، فرأى في منامه، أنه قيل له: أما الأول الذي أكلته، فهو الغضب، يكون في الأول كالجبل، وهو في آخره إذا صبر وكظم غيظه أحلى من العسل. والثاني: فهو من عمل حسنة، فإن كتمها فإنها تظهر. والثالث: من ائتمنك بأمانة فلا تخنه. وأما الرابع: فإذا سألك إنسان حاجة؛ فاجتهد في قضائها، وإن كنت محتاجاً إليها. والخامس: الغيبة، فاهرب من الذين يغتابون الناس. والله أعلم.

* * *

باب النّميمة

٢١٣ ـ قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا أبو جعفر الدبيلي، حدثنا أبو عبدالله، حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث، عن حذيفة، قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لا يدخلُ الجَنَّةَ قتّاتٌ»[1] يعني النمام.

٢١٤ ـ قال: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا أبو جعفر الدبيلي، حدثنا أبو عبدالله، حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «هل تدرون مَن شراركم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شراركم ذو الوجهين: الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»[2].

٢١٥ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن طاووس، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: مرّ النبي ـ ﷺ ـ بقبرين جديدين، فقال: «إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبيرة، فأما أحدهما، فكان لا يستنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»»، ثم أخذ جريدة رطبة، فشقّها نصفين، وغرز في كل قبر واحدة، فقالوا: يا رسول الله، لم صنعت هذا؟ فقال: «لعلّهما يخفّف عنهما، ما لم ييبسا»[3].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥٦) في الأدب، باب: ما يُكره من الغيبة، ومسلم (١٠٥) في الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم النميمة.

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٨) في الأدب، باب: ما قيل في ذي الوجهين، ومسلم (٢٥٢٦) في البر والصلة والآداب، باب: ذم ذي الوجهين، وتحريم فعله.

(٣) رواه البخاري (٢١٦) في الوضوء، باب: من الكبائر أن لا يستتر من بوله، ومسلم (٢٩٢) في الإيمان، باب: الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه. «لا يستنزه»: لا يتجنب ولا يتحرّز منه. «جريدة»: غصن من النّخل.

قال الفقيه: معنى قوله: ما يعذبان في كبيرة، يعني ليس بكبيرة عندكم، ولكنه كبيرة عند الله، [ألا ترى أنه ذكر في خبر أبي هريرة أن النمام شرّ الناس عند الله][1].

وقد ذكر في حديث حذيفة، أنه لا يدخل الجنة قتات، يعني النمام، فإذا لم يدخل الجنة، لم يكن مأواه إلا النار؛ لأنه ليس هناك إلا الجنة أو النار، فإذا ثبت أنه لا يدخل الجنة، ثبت أن مأواه النار، فالواجبُ على النمام أن يتوبَ إلى الله تعالى، فإنَّ النمامَ ذليلٌ في الدنيا، وهو في عذاب القبر بعد موته، وهو في النار يوم القيامة، آيس من رحمة الله تعالى، فإن تابَ قبل موته تابَ الله عليه.

٢١٦ ـ وروى الحسن عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «مِن شرّ الناس ذو الوجهين؛ يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه. ومن كان ذا لسانين في الدنيا، فإن الله تعالى يجعل له يوم القيامة لسانين من نار»[2].

وروي عن قتادة أنه قال: كان يقال إنّ من شر عباد الله كلّ طعّان لعّان نمّام.

وكان يقال: عذابُ القبر ثلاثةُ أثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من البول، وثلث من النميمة.

وروي عن حماد بن سلمة أنه قال: باع رجل غلاماً، فقال للمشتري: ليس فيه عيب إلا أنه نمّام. فاستخفه المشتري، فاشتراه على ذلك العيب، فمكث الغلام عنده أياماً، ثم قال لزوجة مولاه: إن زوجك لا يحبك، وهو يتسرّى عليك، أفتريدين أن يعطف عليك؟ قالت: نعم، قال لها: خذي موسى، واحلقي شعرات من باطن لحيته إذا نام. ثم جاء إلى الزوج، وقال: إن امرأتك تخادنت، يعني اتخذت خليلاً، وهي قاتلتك، أتريد أن يتبين لك ذلك؟ قال: نعم، قال: فتناوم لها. فتناوم الرجل، فجاءت امرأته بموسى لتحلق الشعرات، فظن الزوج أنها تريد قتله، فأخذ منها الموسى فقتلها، فجاء أولياؤها فقتلوه، فجاء أولياء الرجل ووقع القتال بين الفريقين.

وقال يحيى بن أكثم[3]: النمام شرّ من السّاحر، ويعمل النمام في ساعة ما لا

---

(١) من (م).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٧٣) في الأدب، باب: في ذي الوجهين، وابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٣٧٠)، والدارمي (٢/ ٣١٤)، وبن أبي الدنيا في الغيبة (٢٧٦) كلهم عن عمار، حيث رووا القسم الثاني من الحديث، أما القسم الأول منه فقد سبق تخريجه من حديث أبي هريرة برقم (٢١٤).

(٣) هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسيدي المروزي، أبو محمد: قاضي، رفيع القدر، =

يعمل الساحر في شهر.

ويقال: عمل النمام أضرّ من عمل الشيطان؛ لأنّ عملَ الشيطان بالخيال والوسوسة، وعمل النمام بالمواجهة والمعاينة، وقد قال تعالى: ﴿**حَمَّالَةَ الْحَطَبِ**﴾ [المسد: ٤] قال أكثر المفسرين: إنّ الحطبَ أراد به النميمة، وإنما سمّيت النميمة حطباً؛ لأنها سبب للعداوة والقتال، فصار بمنزلة إيقاد النار.

وقال أكثم بن صيفي[1]: الأذلاء أربعة: النمام، والكذّاب، والمديون، واليتيم.

وروى عبيدة بن أبي لبابة، عن أبي عبيدالله القرشي قال: اتبع رجلٌ رجلاً سبعمئة فرسخ في سبع كلمات، فلما قدم عليه قال: إني جئتك للذي آتاك الله من العلم، أخبرني عن السماء وما أثقل منها، وعن الأرض وما أوسع منها، وعن الحجر وما أقسى منه، وعن النار وما أحرّ منها، وعن الزمهرير وما أبرد منه، وعن البحر وما أغنى منه، وعن اليتيم وما أضعف منه. وفي بعض الروايات: وعن السم وما أزعف منه. فقال: أما البهتان على البريء فأثقل من السموات، والحقّ أوسع من الأرض، والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص في الجسد أحرّ من النار، والحاجة إلى القريب ـ إذا لم تنجح ـ أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنميمة إذا استبانت على صاحبها أضعف من كلّ يتيم، يعني النّمام يصيرُ ذليلاً إذا ظهر أمره.

وفي رواية أخرى: أزعف من كلّ سم، يعني أهلك. يقال سم زعاف: إذا كان مهلكاً.

٢١٧ ـ وروي عن نافع، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «لما خلق الله تعالى الجنة، قال لها: تكلّمي، قالت: سعد مَن دخلني، فقال الجبار جل وعلا: وعزّتي وجلالي لا يسكنُ فيك ثمانية نفر من الناس: مدمن خمر، ولا مصرّ على الزنا، ولا نمّام، ولا ديوث وهو القرطبان، ولا الشرطي، ولا

= عالي الشهرة، من نبلاء الفقهاء. ولد بمرو، واتصل بالمأمون أيام مقامه بها، فولّاه قضاء البصرة، ثم قضاء القضاة ببغداد، وأضاف إليه تدبير مملكته، وكان حسن العشرة، حلو الحديث. وله غزوات وغارات، توفي سنة (٢٤٢هـ). (وفيات الأعيان ٢/ ٢١٧) و(أخبار القضاة ٢/ ١٦١).

(١) هو أكثم بن صيفي بن رياح التميمي: حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين. عاش زمناً طويلاً، وأدرك الإسلام، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق، ولم يرَ النبي ﷺ وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه. وله أقوال مأثورة. توفي سنة (٩هـ). (الإصابة ١/ ١١٣).

المخنث، ولا قاطع الرحم، ولا الذي يقول: عليّ عهد الله إن لم أفعلْ كذا أو كذا، ثم لم يفِ به»[1].

وعن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ قال: مَن نقلَ إليك حديثاً، فاعلمْ أنّه ينقلُ إلى غيرك حديثك.

وروي عن عمر بن عبدالعزيز أنه دخل عليه رجل، فذكر عنده رجلاً، فقال له عمر: إن شئتَ نظرنا في أمرك إن كنت كاذباً، فأنتَ من أهل هذه الآية ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦] وإن كنت صادقاً، فأنت من أهل هذه الآية ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١] وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعودُ إلى مثل ذلك.

وروي عن عبدالله بن المبارك[2] أنه قال: ولد الزنا لا يكتم الحديث، وذو الحسب في قومه لا يؤذي جاره. يعني الذي لا يكتم حديث الناس، ويمشي بالنميمة، فهو ولد الزنا، وإنه لو لم يكن ولد الزنا لكتم الحديث، وهذا مُستخرَجٌ من قول الله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١١ ـ ١٣] يعني الوليد بن المغيرة، فإنه كان طعاناً يمشي بالنميمة، ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ يعني يمنع الخير من الناس ﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ يعني عاص فاجر، ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ يعني من فيه هذا كلّه، فهو دعيّ، والدعيّ: ولد الزنا، هكذا قال بعض المفسرين.

وذكر: أن حكيماً من الحكماء، زاره بعض أصدقائه، وذكر عنده بعض إخوانه، فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة، وأتيتني بثلاث جنايات: بغّضت إلي أخي، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك بالمين.

وروي عن كعب الأحبار ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: أصاب بني إسرائيل

---

(١) قال العراقي: لم أجده هكذا بتمامه، وفيه من لم يسمّ. (الإتحاف ٧/٥٦٣).

(٢) هو عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي، أبو عبدالرحمٰن: الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد، التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار: حاجّاً ومجاهداً وتاجراً، وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان. له كتاب «الجهاد» و«الزهد والرقائق». توفي بهيت (على الفرات) منصرفاً من غزو الروم سنة (١٨١هـ). (تذكرة الحفاظ ١/٢٥٣)، و(شذرات الذهب ١/٢٩٥).

قحطٌ، فخرج بهم موسى ـ عليه السلام ـ ثلاث مرات يستسقون، فلم يسقوا، فقال موسى ـ عليه السلام ـ: إلهي، عبادك قد خرجوا ثلاث مرات، فلم تستجب دعاءهم. فأوحى الله تعالى إليه: بأني لا أستجيبُ لك ولمن معك؛ لأنّ فيكم رجلاً نمّاماً، قد أصرّ على النميمة. فقال موسى ـ عليه السلام ـ: مَن هو حتى نخرجه من بيننا؟ فقال: يا موسى، أنهاكم عن النميمة، وأكون نمّاماً، فتابوا جميعهم، فَسُقُوا.

وذُكِر أنّ سليمان بن عبدالملك أمير المؤمنين كان جالساً، وعنده الزهري، فجاء رجل، فقال له سليمان: بلغني أنك وقعتَ فيّ، وقلتَ كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلتُ، وما قلتُ شيئاً فيك. فقال له سليمان: إن الذي أخبرني كان صادقاً، فقال الزهري ـ رضي الله تعالى عنه ـ: لا يكونُ النمّامُ صدوقاً. قال سليمان: صدقتَ، اذهبْ بسلام.

وقال بعضُ الحكماء: مَن أخبرك بشتمٍ عن أخ فهو الشاتمُ، لا مَن شتمك.

وقال وهب بن منبه[1] ـ رحمه الله تعالى ـ: مَن مدحك بما ليس فيك، فلا تأمن أن يذمّك بما ليس فيك.

قال الفقيه: إذا أتاك إنسان، فأخبرك أنّ فلاناً قد فعل بك كذا وكذا، وقال فيك كذا وكذا، فإنه يجبُ عليك ستة أشياء:

أولها: أن لا تصدّقه؛ لأنّ النمام مردودُ الشهادة عند أهلِ الإسلام، وقد قال الله تعالى: ﴿**[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات: ٦] يعني إن جاءكم فاسق بخبر، فانظروا في الأمر، ولا تعجلوا لكي لا تصيبوا قوماً بجهالة.

والثاني: أن تنهاه عن ذلك؛ لأنّ النهيَ عن المنكر واجبٌ، وقد قال الله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) هو وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبدالله: مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين لا سيما الإسرائيليات، يُعدّ في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمّه من حمير. ولاه عمر بن عبدالعزيز قضاء صنعاء. وحُبِس في كبره وامتحِن. له «قصص الأنبياء» و«ذكر الملوك» وغير ذلك. توفي سنة (١١٤هـ). (شذرات الذهب ١/ ١٥٠) و(وفيات الأعيان ٢/ ١٨٠).

والثالث: أن تبغضه في الله تعالى، فإنه عاص، وبغضُ العاصي واجبٌ، لأنّ الله تعالى يبغضه.

والرابع: أن لا تظنّ بأخيك الغائب الظنّ بالسوء، فإنّ إساءةَ الظنّ بالمسلم حرامٌ، وقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [الحجرات: ١٢].

والخامس: أن لا تجسّس عن أمره، فإن الله تعالى نهى عن التجسّس، وهو قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا**﴾ [الحجرات: ١٢].

والسادس: ما لا ترضى من هذا النمام، فلا تفعله أنت، وهو أن لا تخبرَ أحداً بما أتاك به هذا النمام.

وبالله التوفيق.

* * *

باب الحسد

٢١٨ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن الحسن، أنّ النبي ـ ﷺ ـ قال: «إنّ الغِلّ والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب»[١].

٢١٩ ـ وبهذا الإسناد قال إبراهيم بن علية، عن عباد بن إسحاق، عن عبدالرحمٰن بن معاوية، أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ثلاثة لا ينجو منهن أحد: الظن، والحسد، والطِّيَرة»، قيل: يا رسول الله، وما ينجي منهن؟ قال: «إذا حسدت فلا تبغِ، وإذا ظننتَ فلا تُحَقِّقْ، وإذا تطيّرت فامْضِ» أو قال: «لا ترجع»[٢].

ومعنى قوله ﷺ: «إذا حسدت فلا تبغ» يعني إذا كان الحسد في قلبك، فلا تظهره ولا تذكر عنه بسوء، فإن الله تعالى لا يؤاخذك بما في قلبك، ما لم تقلْ بلسانك، أو تعمل عملاً في ذلك.

وقوله عليه السلام: «إذا ظننت فلا تحقق» يعني إذا ظننت بالمسلم ظن السوء، فلا تجعل ذلك حقيقة، ما لم تر بالمعاينة.

وقوله عليه السلام: «إذا تطيرت فامض» يعني إذا أردتَ الخروج إلى موضع

---

(١) رواه ابن صصرى في أماليه عن الحسن بن علي، وحسّنه السيوطي. (فيض القدير ٤/٤١٣). «الغل»: الحقد.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٧٨): رواه الطبراني، وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري، وهو ضعيف. ورواه أبو الشيخ في كتاب «التوبيخ» عن حارثة بن النعمان (فيض القدير ٣/٣٠٤) و(الدر ٧/٥٦٦).

فسمعت صوت هامة[1]، أو صوت عقعق[2]، أو اختلج شيء من أعضائك، فامضِ ولا ترجع.

٢٢٠ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه كان يحب الفأل الحسن، ويكره الطيرة[3].

ويقال: الطيرة من أفعال الجاهلية، كما قال الله تعالى: **﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾** [النمل: ٤٧] وفي آية أخرى: **﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾** [يس: ١٨].

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه كان يقول: إذا سمعت صوت طير، فقل: اللهم لا طيرَ إلا طيرك، ولا خيرَ إلا خيرك، ولا إله غيرك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم امض فإنه لا يضرك شيء بإذن الله تعالى.

٢٢١ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن عمرو، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخواناً»[4].

وروي عن معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال لابنه: يا بني، إياك والحسد، فإنه يتبيّن فيك قبل أن يتبيّن في عدوك.

قال الفقيه ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ليس شيء من الشر أضرّ من الحسد؛ لأنه يصلُ إلى الحاسد خمس عقوبات، قبل أن يصل إلى المحسود مكروه:

أولاها: غمّ لا ينقطع.

والثانية: مصيبة لا يؤجر عليها.

---

(١) «هامة»: هي البومة.

(٢) «عقعق»: طائر نحو الحمامة، طويل الذنب، فيه بياضٌ وسواد، وهو نوع من الغِرْبان، والعرب تتشاءم منه.

(٣) رواه أحمد (٦/ ١٣٠)، وابن ماجه (٣٥٣٦) في الطب، باب: من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، وفي الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات. ورواه البخاري (٥٧٥٦) في الطب، بلفظ: «ويعجبني الفأل الصالح».

(٤) رواه البخاري (٦٠٦٥) في الأدب، باب: ما يُنهى عن التحاسد والتدابر، ومسلم (٢٥٥٩) في البر والصلة والآداب، باب: تحريم التحاسد والتباغض والتدابر. «لا تناجشوا»: النجش في البيع: هو أن يمدح السلعة لينفّقها ويروجها أو يزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها ليقع غيره فيها.

والثالثة: مذمّة لا يحمد بها.
والرابعة: يسخط عليه الربّ.
والخامسة: تُغلق عليه أبوابُ التوفيق.

٢٢٢ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «أَلَا إنّ لنعم الله أعداء، قيل: من أعداء نعم الله يا رسول الله؟ قال: «الذين يحسدون الناسَ على ما آتاهم الله من فضله».

وروي عن مالك بن دينار[1]، أنه قال: إني أجيزُ شهادةَ القراء على جميع الخلق، ولا أجيز شهادة القراء بعضهم على بعض؛ لأنّي وجدتهم حساداً. يعني أن أكثرَ الحسد في القراء.

٢٢٣ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «ستة بستة يدخلون النار يوم القيامة قبل الحساب» قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «الأمراء من بعدي بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، والتجار بالخيانة، وأهل الرساتيق بالجهالة، وأهل العلم بالحسد»[2] يعني العلماء الذين يطلبون الدنيا يحسد بعضهم بعضاً.

فينبغي للعالم أن يتعلّم العلم، ليطلبَ به الآخرةَ، فإذا كان العالمُ يطلبُ بعلمه الآخرة فإنه لا يحسدُ أحداً، ولا يحسده أحد، وإذا تعلّم لطلب الدنيا، فإنه يحسد، كما قال الله عن علماء اليهود ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ [النساء: ٥٤] يعني أن اليهود كانوا يحسدون رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه، فكانوا يقولون: لو كان هو رسول الله ـ ﷺ ـ لشغله ذلك عن كثرة النساء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه**﴾ [النساء: ٥٤] يعني النبوة وكثرة النساء.

وقال بعض الحكماء: إيّاكم والحسد؛ فإنَّ الحسدَ أوّلُ ذنب عُصِي الله تعالى به في السماء، وأول ذنب عُصِي الله تعالى به في الأرض. وإنما أراد بقوله: أول ذنب عصي الله تعالى به في السماء، يعني به إبليس، حين أبى أن يسجدَ لآدم، وقال: ﴿**خَلَقْتَنِي**

---

(١) هو مالك بن دينار البصري، أبو يحيى، من رواة الحديث، كان ورعاً، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة. توفي في البصرة سنة (١٣١هـ). (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٤) و(وفيات الأعيان ١/ ٤٤٠).

(٢) رواه الديلمي (٣٤٩١) عن أنس وأبي هريرة. «الرساتيق»: جمع رُستاق وهو موضع فيه قرى أو بيوت مجتمعة.

مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] فحسده، فلعنه الله تعالى بذلك.

وأما الذي عُصِي اللَّهُ تعالى به في الأرض، فهو قابيل بن آدم، حين قتل أخاه هابيل حسداً، وهو قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَي آدمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّل مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ المتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وروي عن الأحنف بن قيس[١]، أنه قال: لا راحةَ لحسود، ولا وفاءَ لبخيل، ولا صديق لملول، ولا مروءةَ لكذوب، ولا رأيَ لخائن، ولا سؤددَ لسيىء الخلق.

وقال بعض الحكماء: ما رأيتُ ظالماً أشبه بالمظلوم من الحاسد.

وقال محمد بن سيرين: ما حسدت أحداً قط على شيء من الدنيا؛ وإن كان من أهل الجنة، فكيف أحسده وهو صائر إلى الجنة، وإن كان من أهل النار، فكيف أحسده وهو صائر إلى النار؟!

وقال الحسن البصري: يا بن آدم، لم تحسد أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه الله لكرامته عليه، فلِم تحسد من أكرمه الله تعالى؟ وإن يكن غير ذلك، فلا ينبغي لك أن تحسد من مصيره إلى النار.

قال الفقيه ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ثلاثةٌ لا تُستجابُ دعوتُهم: آكل الحرام، ومكثار الغيبة، ومَن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين.

٢٢٤ ـ وروى ابن شهاب، عن سالم، عن أبيه، أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله تعالى القرآن، وهو يقومُ به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله تعالى مالاً، وهو ينفقُ منه سرّاً وجهراً آناء الليل والنهار»[٢].

قال الفقيه: يعني أن يجتهدَ؛ حتى يفعل مثل فعله في قيام الليل، وفي

---

(١) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حُصين المري السعدي التميمي، أبو بحر: سيّد تميم، وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين. يُضرب به المثل في الحلم. وُلد في البصرة، وأدرك النبي ﷺ ولم يره، ووفد على عمر حين آلت إليه الخلافة، وشهد الفتوح في خراسان، واعتزل الفتنة يوم الجمل، ثم شهد صفين مع علي. ووليّ خراسان. وكان صديقاً لمصعب بن الزبير، فوفد عليه بالكوفة، فتوفي فيها وهو عنده سنة (٧٢هـ). (تهذيب ابن عساكر ٧/ ١٠) و(وفيات الأعيان ١/ ٢٣٠).

(٢) رواه البخاري (٧٥٢٩) في التوحيد، باب: قول النبي ﷺ: «رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به»، ومسلم (٨١٥) في صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه. «آناء»: مفرده آن، أي ساعات.

الصدقة، فهذا الحسد محمود، فأما إذا حسده في ذلك يريد زواله عنه، فهو مذموم، وهكذا في كلّ شيء، إذا رأى الإنسان مالاً أو شيئاً يعجبه، فيتمنّى أن يكونَ ذلك الشيءُ له، فهو مذموم، وإن تمنى أن يكون له مثله، فهو غير مذموم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢] وقال في آية أخرى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِه﴾ [النساء: ٣٢].

وهكذا ينبغي للمسلم أن لا يتمنّى فضلَ غيره لنفسه، وينبغي أن يسأل الله تعالى أن يعطيه مثل ذلك. فالواجب على كلّ مسلم أن يمنعَ نفسه من الحسد؛ لأنّ الحاسدَ يضادّ حكم الله تعالى، والناصحُ هو راضٍ بحكم الله تعالى.

٢٢٥ ـ وقال النبي ـ ﷺ ـ: «ألا إنّ الدِّينَ النصيحة»[1]، فينبغي للمسلم أن يكون راضياً ناصحاً لجميع المسلمين، ولا يكون حاسداً.

٢٢٦ ـ وروى العلاء بن عبدالرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه سأل النبي ـ ﷺ ـ عن حقّ المسلم على المسلم، فقال: «حقّ المسلم على المسلم ستة أشياء»، قيل: ما هي يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصحْ له، وإذا عطس فحمدَ الله فشمّته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»[2].

٢٢٧ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدّثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو همام النسفي، حدثنا عيسى بن أحمد العسقلاني، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا أبو محمد الثقفي، قال: سمعت أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ يقول: خدمت رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا ابن ثماني سنوات، فكان أول ما علمني، قال: «يا أنس أحكم وضوءك لصلاتك تحبك حفظتك، ويُزاد في عمرك. يا أنس اغتسل من الجنابة، وبالغ فيها، فإنّ تحت كل شعرة جنابة» قال: قلت يا رسول الله؛ وكيف أبالغ فيها؟ قال: «روّ أصول شعرك، وأنق بشرتك، تخرجْ من مغتسلك وقد غفر ذنبك. يا أنس لا تفوتنك ركعتا الضحى؛ فإنّها صلاةُ الأوابين، وأكثر الصلاة بالليل والنهار، فإنك ما دمتَ في الصلاة؛ فإنّ الملائكة يصلّون عليك.

---

(١) رواه مسلم (٥٥) في الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة.

(٢) رواه مسلم (٢١٦٢) «٥» في السلام، باب: من حق المسلم للمسلم ردّ السلام. «فشمّته»: تشميت العاطس أن يقول له: يرحمك الله.

يـا أنس وإذا قمت للصـلاة؛ فـانصبْ نفسـك لله تعـالى، وإذا ركعتَ فـاجعـل راحتيك على ركبتيك، وفرّج بين أصابعك، وارفعْ عضديك عن جنبيـك، وإذا رفعت رأسك فَقُمْ حتى يعودَ كلّ عضو إلى مكانه، وإذا سجدتَ فالزقْ وجهك بـالأرض، ولا تنقر نقر الغراب، ولا تبسط ذراعيك بسط الثعلب، وإذا رفعتَ رأسـك من السـجود، فلا تقع كما يقعي الكلب، وضعْ إليتيك بين قدميك، والزق ظَـاهِرَ قـدميك بـالأرض فإنّ الله تعالى لا ينظرُ إلى صلاة لا يتمّ ركوعها ولا سجـودها، وإن استـطعتَ أن تكونَ على الوضوء في يـومك وليلتـك فافعـل؛ فإنّـه إن يأتـك الموتُ وأنت على ذلـك، لم تفتك الشهادة.

يـا أنس إذا دخلت بيتك فسلّم ـ يعني على أهـل بيتك ـ تكثـر بركتـك، وبركـة بيتـك، وإذا خرجتَ لحـاجة، فـلا يقعن بصرُك على أحـد من أهل قِبْلتـك إلا سلّمت عليه، تدخل حلاوة الإيمان في قلبك، وإن أصبت ذنباً في مخرجك رجعت وقد غفر لك.

يـا أنس، لا تبيتنّ ليلة، ولا تصبحن يـومـاً، وفي قلبـك غشٌ لأحـد مِن أهـل الإسلام، فإنّ هذا مِن سُنّتي، ومَن أخذ بِسُنّتي فقد أحبني، فهو معي في الجنة.

يـا أنس، إذا عملت بهذا، وحفـظتَ وصيتي، فلا يكـون شيءٌ أحبَّ إليـك من الموت، فإن فيه **راحتك**»[1].

فقد أخبر النبي ـ ﷺ ـ أنَّ إخراج الغش من القلب من سنته، فالواجب على كل مسلم أن يخرج الغشّ والحسد من قلبه، فإن ذلك من أفضل الأعمال.

٢٢٨ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعتُ أبي ـ رحمـه الله تعالى ـ يحكي بإسناده عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: بينا نحن عنـد النبي ـ ﷺ ـ إذ قال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة تنطف لحيته من ماء وضـوئه معلّق نعليـه بشماله»، فطلع رجل بهـذه الصفة، فسلّم وجلس مـع القوم، فلمـا كان من الغـد قال رسول الله ـ ﷺ ـ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل على مثل هيئته، فلما كان اليوم الثالث قال مثل ذلـك، فلما قـام رسول الله ـ ﷺ ـ سـار معه عبـدالله بن عمرو بن العـاص ـ رضي الله تعالى عنه ـ وقال: قد وقع بيني وبين أبي كلام، وأقسمتُ أن لا أدخـل عليه ثلاث ليالٍ، فإذا رأيتَ أن تؤويني إليك؛ لأجل يميني فعلت، قال: نعم.

---

(١) قـال الهيثمي في مجمـع الـزوائـد (١/٢٧٢): رواه أبـو يعلى والـطبـراني في الصغيـر (٢/٣٢)، وفيـه محمد بن الحسن بن أبي زيد، وهو ضعيف.

قال أنس: فكان عبدالله بن عمرو بن العاص يحدّث: أنه بات عنده ليلة، فلم يقم منها ساعة، إلا أنه إذا تقلب على فراشه؛ ذكر الله تعالى وكبره، حتى يقوم مع الفجر. فإذا توضأ أسبغ الوضوء، وأتمّ الصلاة، ثم أصبح وهو مفطر. قال: فرمقته ثلاث ليال لا يزيدُ على ذلك، غير أني لا أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث، وكدت أن أحقر عمله، قلت له: إني لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجرة، ولكني سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول في ثلاثة مجالس: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنة» فطلعتَ أنت، فأردتُ أن آوي إليك، حتى أنظرَ ما تعمل، فأقتدي بك، فلم أرك تعمل كثيراً، فما الذي بلغ بك ما قال النبي ـ ﷺ ـ؟

قال: ما هو إلا ما رأيت، فانصرفت عنه، فدعاني حين وليت. فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي شرّاً لأحد من المسلمين، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه. قال: فقلت: هذا الذي بلغ بك ما قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «وهو الذي لا أطيق عليه»[1].

قال بعض الحكماء: بارز الحاسدُ ربَّه من خمسة أوجه:

أولها: قد أبغض كل نعمة قد ظهرت على غيره.

والثاني: سخط لقسمته. يعني يقول لربه: لم قسمت هكذا؟

والثالث: أنه ضنّ بفضله. يعني أن ذلك فضل الله يعطيه من يشاء، وهو يبخل بفضل الله تعالى.

والرابع: خذل ولي الله تعالى؛ لأنه يريد خذلانه، وزوال النعمة عنه.

والخامس: أعان عدوه. يعني إبليس ـ لعنه الله ـ.

ويقال: الحاسد لا ينال في المجالس إلا مذمة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنةوبغضاً،ولا ينال في الخلوة إلا جزعاً وغماً، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال في الموقف إلا فضيحة ونكالاً، ولا ينال في النار إلا حرّاً واحتراقاً. والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه أحمد (٣/١٦٦)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٥٤٩): رواه أحمد بإسناده على شرط البخاري ومسلم، والنسائي، ورواته احتجا بهم أيضاً إلا شيخه سويد بن نصر وهو ثقة، وأبو يعلى والبزار بنحوه، وسمّى الرجل المبهم سعداً. ورواه أيضاً الأصبهاني في ترغيبه (٢٢٤٧)، والبغوي في شرح السنة (١٣/١١٢). «تنطف»: تقطر.

باب الكبر

قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا الفضل بن دكين، عن مِسْعَر بن كِدام، عن أبي مصعب، عن أبيه، عن كعب الأحبار ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: يأتي المتكبرون يوم القيامة ذرّاً في صور الرجال، يغشاهم أو يأتيهم الذّلّ من كلّ مكان، يُسلكون في نار من النيران، يُسقون من طينة الخبال، وهي عصارة أهل النار.

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا سفيان، عن مسعر، أنه قال: بلغني عن الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ أنه مرّ بمساكين، وهم يأكلون كسراً لهم على كساء، فقالوا: يا أبا عبدالله الغداء، قال: فنزل، وقال[1]: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣] فأكل معهم، ثم قال لهم: قد أجبتكم فأجيبوني، فانطلقوا معه، فلما أتوا المنزل، قال لجاريته: أخرجي ما كنت تدخرين. فأخرجت من كلّ شيء، فأكلوا، وأكل معهم، وحملوا بقية ذلك.

٢٢٩ ـ وبهذا الإسناد عن سفيان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم، أولهم شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر»[2]. يعني الفقير.

٢٣٠ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا محمد بن موسى الفقيه الرازي أبو

(١) في (م): وقرأ قوله تعالى.

(٢) رواه مسلم (١٠٧) في الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والنسائي في السنن الكبرى (تحفة الأشراف ١٠/ ٨٣)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٦١٣).

عبدالله، حدثنا محمد بن رباح، حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير، عن عامر العقيلي، عن أبيه، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «عُرض عليّ أول ثلاثة يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد، وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربّه، وفقير ضعيف ذو عيال. وأول ثلاثة يدخلون النار: فأمير مسلّط، وذو ثروة من المال لا يؤتي الزكاة، وفقير فخور»[1].

٢٣١ ـ وقال: «إن الله تعالى يبغض ثلاثة نفر، وبغضه لثلاثة منهم أشد:

أولها: يبغض الفساق، وبغضه للشيخ الفاسق أشد.

والثاني: يبغض البخلاء، وبغضه للغني البخيل أشد.

والثالث: يبغض المتكبرين، وبغضه للفقير المتكبر أشد.

ويحبّ ثلاثة نفر، وحبه لثلاثة منهم أشد:

أولها: يحب المتقين، وحبه للشاب التقي أشد.

والثاني: يحب الأسخياء، وحبه للفقير السخي أشد.

والثالث: يحب المتواضعين، وحبه للمتواضع الغني أشد».

٢٣٢ ـ وروي عن حبيب بن أبي ثابت، عن يحيى بن جعدة، أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر». قال رجل: يا رسول الله، إني ليعجبني نقاء ثوبي، وشراك نعلي، وعلاقة سوطي، أفهذا من الكبر؟ فقال النبي ـ ﷺ ـ: «إنه الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب إذا أنعم على عبد نعمة، أن يرى أثرها عليه، ويبغض البؤس والتباؤس. ولكن الكبر: أن يسفه الحق، ويغمط الخلق»[2].

٢٣٣ ـ وروى الحسن عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من خصف نعله، ورقع

---

(١) رواه أحمد (٢/٤٢٥، ٤٧٩)، وابن حبان في صحيحه (٩/١٨٥، ٢٨٢)، وابن القيم في حادي الأرواح ص (١٦٥). وفي إسناده: يحيى بن أبي كثير: مدلّس. (ميزان الاعتدال ٤/٤٠٢)، وعامر العقيلي: لا يُعرف. (ميزان الاعتدال ٢/٣٦٢)، وأبوه عقبة العقيلي: لا يُعرف. (ميزان الاعتدال ٣/٨٨).

(٢) رواه أحمد (٤/١٥١)، وقال في مجمع الزوائد (١/٩٨): رواه أحمد، وفي إسناده شهر عن رجل لم يسمّ. «يسفه الحق»: «يستخف به. «يغمط الخلق»: يحتقرهم.

ثوبه، وعفّر وجهه لله في السجود، فقد بريء من الكبر»[1].

٢٣٤ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من لبس الصوف، وانتعل المخصوف، وركب حماره، وحلب شاته، وأكل مع عياله، وجالس المساكين، فقد محا الله تعالى عنه الكبر»[2].

وذكر أن موسى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ناجى الله تعالى ،ـ فقال: يا رب، من أبغض خلقك إليك؟ قال: يا موسى، من تكبر قلبه، وغلظ لسانه، وصفق عينه[3]، وبخلت يده.

وقال عروة بن الزبير[4]: التواضع أحد مصائد الشرف، وكل ذي نعمة محسود عليها إلا التواضع.

وقال بعض الحكماء: ثمرة القناعة الراحة، وثمرة التواضع المحبة.

وذكر أن المهلّب بن أبي صُفْرة[5] كان صاحب جيش الحجاج، فمرّ على مُطَرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير[6]، وهو يتبختر في حلة[7] خز، فقال له مطرف: يا عبدالله، هذه مشية يبغضها الله ورسوله، فقال المهلب: أما تعرفني؟ قال: بلى، أعرفك، أولك نطفة قذرة، وآخرك جيفة منتنة، وتحمل فيما بين ذلك عذرة. فترك المهلب مشيته تلك.

---

(١) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٦٠) من حديث ابن عباس، وعزاه ابن حجر في المطالب العالية (٢٦٧٥) لعبد بن حميد.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦١٦٤) من حديث أبي هريرة.

(٣) «صفق عينه»: أغمضها تكبّراً.

(٤) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، أبو عبدالله: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. كان عالماً بالدين، صالحاً، كريماً، ولم يدخل في شيء من الفتن. وهو أخو عبدالله بن الزبير لأبيه وأمه. توفي في المدينة سنة (٩٣هـ). (وفيات الأعيان ١/٣١٦) و(حلية الأولياء ٢/١٧٦).

(٥) هو المهلّب بن أبي صُفْرة الأزدي العتكي، أبو سعيد: أمير، بطاش، جواد، قال فيه عبدالله بن الزبير: هذا سيد أهل العراق. ولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير، وفقئت عينه بسمرقند، وانتدب لقتال الأزارقة، فظفر بهم بعد حرب استمرت تسعة عشر عاماً، ثم ولّاه عبدالملك بن مروان ولاية خراسان. توفي سنة (٨٣هـ). (الإصابة ت ٨٦٣٣)، و(الوفيات ٢/١٤٥).

(٦) هو مطرّف بن عبدالله بن الشخير الحرشي، العامري، أبو عبدالله: زاهد من كبار التابعين. له كلمات في الحكمة مأثورة، وأخبار. ثقة فيما رواه من الحديث. ولد في حياة النبي ﷺ، ثم كانت إقامته ووفاته في البصرة سنة (٨٧هـ). (تهذيب التهذيب ١٠/١٧٣) و(حلية الأولياء ٢/١٩٨).

(٧) في (م): جبة.

وأنشد في المعنى محمد بن الورّاق:

عجبتُ من معجبٍ بِصُورتِه ... وكان بالأمس نُطفةً مذره

وفي غدٍ بعد حُسْنِ هيئتهِ ... يصيرُ في اللَّحدِ جيفةً قذره

وهو على تيهه ونخوته ... ما بين ثوبَيْه يحملُ العذره

وقال بعض الحكماء: افتخارُ العبد المؤمن بربه، وعزّه بدينه، وافتخارُ المنافق بحسبه، وعزّه بماله.

٢٣٥ ـ وروي عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «إذا رأيتم المتواضعين فتواضعوا لهم، وإذا رأيتم المتكبرينِ فتكبّروا عليهم، فإن ذلك لهم صغار ومذلّة، ولكم بذلك صدقة»[1].

٢٣٦ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما تواضع رجلٌ لله إلا رفعه اللَّهُ تعالى»[2].

وروي عن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: رأسُ التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت من المسلمين، وأن ترضى بالدّون من المجلس، وأن تكرهَ أن تُذْكَر بالبِرّ والتقوى.

قال الفقيه: اعلم أنَّ الكبرَ مِن أخلاق الكفار والفراعنة، والتواضع من أخلاق الأنبياء والصالحين؛ لأن الله تعالى وصف الكفار بالكبر، فقال: **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾** [الصافات: ٣٥]. وقال: **﴿وقَارُونَ وفِرْعَوْنَ وَهَامَان ولَقَد جَاءَهُم مُوسَى بالبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا في الأَرْضِ وما كَانُوا سَابِقِينَ﴾** [العنكبوت: ٣٩].

وقال: **﴿إِنَّ الَّذينَ يَسْتكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾** [غافر: ٦٠][3].

وقال: **﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيها فَبِئْس مَثْوَىٰ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾** [الزمر: ٧٢].

---

(١) قال العراقي: غريب (تخريج الإحياء ٣/ ٣٤١)، وقال ابن السبكي (٦/ ٣٥٢): لم أجد له إسناداً.

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨) في البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، والترمذي (٢٠٢٩) في البر والصلة، باب: ما جاء في التواضع، وقال: حسن صحيح، ومالك في الموطأ (٢/ ١٠٠٠)، وأحمد (٢/ ٣٨٦).

(٣) «داخرين»: صاغرين أذلاء.

وقال: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وقد مَدَحَ اللَّهُ عبادَه المؤمنين بالتّواضع، فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] يعني متواضعين، ومدحهم بتواضعهم، وأمر نبيه ـ ﷺ ـ بالتواضع، فقال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] و﴿اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. ومدح النبي ـ ﷺ ـ بخلقه، فقال: ﴿وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وكان خلقه التواضع، لأنه روي في الخبر أنه كان يركب الحمار، ويجيب دعوة المملوك. فثبت أنّ التواضعَ من أحسن الأخلاق، وكان الصالحون من قَبْلُ أخلاقهم التواضع، فوجب علينا أن نقتديَ بهم ـ رضي الله تعالى عنهم ـ.

وذُكِر عن عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله تعالى ـ أنه أتاه ذات ليلة ضيف، فلما صلى العشاء، وكان يكتب شيئاً، والضيف عنده، كاد السراج أن ينطفىء، فقال الضيف: يا أمير المؤمنين، أقوم إلى المصباح فأصلحه؟ قال: ليس من مروءة الرجل أن يستعملَ ضيفه. قال: أفأنبّه الغلام؟ قال: لا، هي أول نومة نامها، فقام عمر، وأخذ البطة، فملأ المصباح. فقال الضيف: قمتَ بنفسك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذهبتُ وأنا عمر، ورجعتُ وأنا عمر، وخيرُ الناس عند الله من كان متواضعاً.

ورُوي عن قيس بن أبي حازم[1] أنه قال: لما قدم عمر بن الخطاب إلى الشام تلقاه علماؤها[2] وكبراؤها، فقيل: اركب هذا البرذون يرك الناس، فقال: إنكم ترون الأمر من ههنا، إنما الأمر من ههنا، وأشار بيده إلى السماء، خلّوا سبيلي.

وروي في رواية أخرى: أن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ جعل بينه وبين غلامه مناوبة، فكان عمر يركب الناقة، ويأخذ الغلام بزمام الناقة، ويسير مقدار فرسخ، ثم ينزل، ويركب الغلام، ويأخذ عمر بزمام الناقة، ويسير مقدار فرسخ. فلما قرب من الشام كانت نوبة ركوب الغلام، فركب الغلام، وأخذ عمر بزمام الناقة، فاستقبله الماء في الطريق، فجعل عمر يخوض في الماء؛ ونعله تحت إبطه اليسرى، وهو آخذ بزمام

---

(١) هو قيس بن عبد عوف بن الحارث الأحمسي البجلي: تابعي جليل، أدرك الجاهلية، ورحل إلى النبي ﷺ ليبايعه؛ فقبض، وهو في الطريق. وسكن قيس الكوفة. وروى عن الأصحاب العشرة. وهو أجود الناس إسناداً. توفي سنة (٨٤هـ). (تهذيب التهذيب ٨/٣٨٦) و(تهذيب الأسماء واللغات ٢/٦١).

(٢) في (م): عظماؤها.

الناقة، فخرج أبو عبيدة بن الجراح، وكان أميراً على الشام، وقال: يا أمير المؤمنين، إن عظماء الشام يخرجون إليك، فلا يحسن أن يروك على هذه الحال، فقال عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ إنما أعزنا الله بالإسلام، فلا نبالي مقالة الناس.

وذُكر عن سلمان الفارسي ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه كان أميراً بالمدائن، فاشترى رجلٌ من عظمائها شيئاً، فمرّ به سلمان، فحسبه عِلْجاً، فقال: تعال فاحمل هذا، فحمله سلمان، فجعل يتلقاه الناس، ويقولون: أصلح الله الأمير، نحن نحمل عنك، فأبى أن يدفعَ إليهم. فقال الرجل في نفسه: ويحك، إني لم أسخر إلا الأمير، فجعل يعتذرُ إليه، ويقول: لم أعرفك أصلحك الله، فقال: انطلق، فذهب به إلى منزله، ثم قال: لا أسخّر أحداً أبداً.

وروي عن عمار بن ياسر ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه كان أميراً بالكوفة، فخرج إلى حانوت العلاف فاشترى منه القت، واستزاده، وأخذ حزمة من قت، وأخذ البائع جانب الحزمة، فجعل يمدّ كل واحد منهما يده، حتى صار نصف القت في يد هذا، ونصفه في يد هذا، ثم جعله على عاتق عمار، فذهب به إلى منزله.

ورُوي عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه بعثه عمر بن الخطاب أميراً على البحرين، فدخل البحرين وهو راكبٌ على حمار، وجعل يقول: طَرِّقُوا للأمير، طرقوا للأمير.

فهؤلاء أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ كان خُلُقهم التواضع، وكانوا أعزاء عند الخلق، وعند الملائكة، وعند الله سبحانه وتعالى.

٢٣٧ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما نقص مال من صدقة، وما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزّاً، وما تواضع أحدٌ إلاّ زاده اللَّهُ عزّاً»(١).

٢٣٨ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه كان في بيت عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ وبين يديه طبق فيه قديد، وهو جاث على ركبتيه يأكل، فأتت امرأة بذيئة

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨) في البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، والترمذي (٢٠٢٩) في البر والصلة، باب: ما جاء في التواضع، وقال: حديث حسن صحيح، ومالك في الموطأ (٢/١٠٠٠) مرسلاً.

فحّاشة، ما تبالي لقيت رجلاً أو امرأة، فنظرت إلى النبي - ﷺ - فقالت: انظروا إليه يجلس كما يجلس العبد، [ويأكل كما يأكل العبد][1]، فقال النبي - ﷺ - «أنا عبد، أجلس كما يجلس العبد، وآكل كما يأكل العبد»، وقال لها: «كلي»، فقالت: لا، إلا أن تطعمني بيدك، فأطعمها، فقالت: لا، حتى تطعمني من فيك. وكان في فم رسول الله - ﷺ - قديدة فيها عَصَب، قد مضغها، فأخرجها، فأعطاها إياها، قال: فأخذتها، ومضغتها، فما هي إلا أن وقعت في بطنها، فغشيها من الحياء حتى ما كانت تستطيعُ النّظر إلى أحد، قال: فما سُمِعَ منها بعد يومها ذلك بباطل حتى لحقت بالله تعالى[2].

٢٣٩ - وروى الحسن عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «أُوتيتُ مفاتيح الأرض، فخيّرت بين أن أكون عبداً نبياً، أو نبيّاً ملكاً، فأومأ إليّ جبريل أن تواضع، وكن عبداً، فاخترتُ أن أكون عبداً نبياً، فأوتيت ذلك، وإني أوّل من تنشقّ عنه الأرض، وأول شافع»[3].

قال ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه -: من تواضع تخشعاً رفعه الله تعالى يوم القيامة، ومن تطاول تعظماً وضعه الله تعالى يوم القيامة.

٢٤٠ - وذكر عن قتادة - رحمه الله تعالى - أنه قال: ذكر لنا أن النبي - ﷺ - كان يقول: «من فارقت روحه جسده»، وفي رواية، من فارق الدنيا، وهو بريء من ثلاث، دخل الجنة: من الكبر، والخيانة، والدين»[4].

قال: حدثني أبي - رحمه الله تعالى - بإسناده عن طلحة بن زيد، عن أبي عبدالله بن أبي جعفر قال: دخل علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - السوق، فاشترى قميصين من هذه الكرابيس بستة دراهم، ثم قال لغلامه: يا أسود، اختر أيهما شئت، فاختار الغلامُ خيرَهما، ولبس علي - كرم الله وجهه - الآخر، فَفَضُلَ كماه على أطرافه، فدعا بالشّفرة، فقطع كمّيه، وخطب بالناس يوم الجمعة، ونحن ننظر إلى تلك الهدب على ظهر كفيه. ورأى رجلاً قد أسبل ثوبه، فقال: يا فلان، ارفع ثوبك،

---

(١) من (م).

(٢) رواه تمام في فوائده وابن عساكر من حديث ابن عمر. (الإتحاف ٨/٤٠٦).

(٣) رواه البزار والطبراني في الأوسط، ورجال البزار ثقات. (مجمع الزوائد ٩/١٩٢).

(٤) رواه أحمد (٦/٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨١)، والترمذي (١٥٧٢ و١٥٧٣) في السير، باب: ما جاء في الغلول، والحاكم (٢/٢٦).

فإنه أنقى لثوبك، وأنقى لقلبك، وأبقى عليك.

٢٤١ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «قال تعالى: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني في واحد منهما، ألقيته في النار ولا أبالي»[1].

قال الفقيه: «العظمة إزاري، والكبرياء ردائي» يعني أنهما من صفاتي، كما في القرآن: ﴿**الْعَزِيزُ الجَبّارُ المُتَكَبِر**﴾ [الحشر: ٢٣] فهما صفتان من صفات الله تعالى، فلا ينبغي للعبد الضعيف أن يتكبر.

* * *

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٩٠) في اللباس، باب: ما جاء في الكبر، وابن ماجه (٤١٧٤) في الزهد، باب: البراءة من الكبر والتواضع، وأحمد (٢/٣٧٦، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢/٩٥٨).

باب الاحتكار

٢٤٢ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمة الله تعالى عليه ـ: حدثنا أبو الحسن الحاكم السردري، حدثنا بكر[1] بن المثنى، حدثنا هانيء بن النضر، حدثنا أحمد بن خالد، حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم، عن سعيد بن المسيب، عن معمر بن عبدالله العدوي، قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لا يحتكرُ إلّا خاطِىء»[2].

٢٤٣ ـ وعن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن احتكر طعاماً أربعين يوماً، فقد بريء مِن الله تعالى، وبريء اللَّهُ منه»[3].

٢٤٤ ـ وروى سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «الجالبُ مرزوق، والمحتكرُ ملعون»[4].

وإنما أراد بالجالب الذي يشتري الطعام للبيع، فيجلبه إلى بلده، فيبيعه، فهو مرزوق؛ لأن الناس ينتفعون به، فيناله بركة دعاء المسلمين، والمحتكر الذي يشتري الطعام للمنع، ويضر بالناس.

---

(١) في (م): أبو بكر.

(٢) رواه مسلم (١٦٠٥) «١٣٠» في المساقاة، باب: تحريم الاحتكار في الأقوات، وأبو داود (٣٤٤٧) في البيوع والإجارات، باب: في النهي عن الحُكْرة، والترمذي (١٢٦٧) في البيوت، باب: ما جاء في الاحتكار، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢١٥٤) في التجارات، باب: الحكرة والجلب. «إلا خاطيء»: أي آثم.

(٣) رواه أحمد (٢/٣٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/١٠٠): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، وفيه أبو بشر الأملوكي، ضعّفه ابن معين. والحاكم (٢/١٢) وقال الذهبي: عمرو بن الحصين العقيلي تركوه، وأصبغ بن زيد الجهني فيه لين.

(٤) رواه ابن ماجه (٢١٥٣) في التجارات، باب: الحكرة والجلب، وفي الزوائد: في إسناده علي بن زيد بن جُدْعان، وهو ضعيف. والحاكم (٢/١١) وقال الذهبي: علي بن سالم ضعيف.

٢٤٥ ـ وروى الشعبي: أن رجلاً أراد أن يسلم ابنه إلى عمل، فاستشار النبي ـ ﷺ ـ في ذلك، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا تسلمه إلى حناط يبيع الحنطة، ولا إلى جزّار، ولا إلى من يبيع الأكفان. أما الحناط، فَلأَن يلقى الله تعالى زانياً، أو شارب خمر، خير له من أن يلقى الله تعالى، وهو قد حبس الطعام أربعين ليلة، وأما الجزّار، فإنه يذبح حتى تذهبَ الرحمة من قلبه، وأما بائع الأكفان، فإنه يتمنّى لأمتي الموت، والمولود من أمتي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها»[1].

قال الفقيه: الحكرة: أن يشتري الطعام في مصره، ويحبسه عن البيع، وللناس حاجة إليه، فهذا هو الاحتكار الذي نهي عنه. وأما إذا دخل له الطعام من ضيعة أو جلب من مصر آخر، فإنه لا يكون احتكاراً، ولكن لو كان للناس إليه حاجة، فالأفضل أن يبيعه، وفي امتناعه عن ذلك يكون مسيئاً لسوء نيته، وقلة شفقته للمسلمين، فينبغي أن يُجْبَرَ المحتكرُ على بيع الطعام، فإن امتنعَ من ذلك، فإنه يعزّر، ويؤدّب، ولا يسعر عليه، ويقال له: بعه كما يبيع الناس.

٢٤٦ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «أنا لا أسعِّر، فإنّ الله تعالى هو المسعِّر»[2].

٢٤٧ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «الغلاءُ والرُّخصُ جندان من جنود الله تعالى، اسم أحدهما الرغبة، واسم الآخر الرهبة، فإذا أراد الله تعالى أن يرخصه قذفَ الرهبةَ في قلوب الرجال، فأخرجه من أيديهم فرخص، وإذا أراد الله تعالى أن يغليه قذف الرغبة في قلوب الرجال، فحبسوه في أيديهم»[3].

وذُكِر في الخبر: أنّ عابداً من عباد بني إسرائيل مرّ على كثيب من الرمل،

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٦/١٢٧) بلفظ: «لا تسلميه حجاماً ولا قصاباً ولا صائغاً»، وذكره ابن حجر في المطالب العالية (١/٣٧٩) وعزاه لأبي يعلى، وفيه رجل لم يُسمّ، وفيه من لا يعرف.

(٢) رواه أبو داود (٣٤٥١) في البيوع والإجارات، باب: في التسعير، والترمذي (١٣١٤) في البيوع، باب: ما جاء في التسعير، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢٢٠٠) في التجارات، باب: من كره أن يسعّر.

(٣) رواه الديلمي في الفردوس (٤٣١٢)، والعقيلي عن أنس، وفيه العباس بن بكار الضبي، وقد حكم الذهبي في الميزان بأن الحديث باطل، واتّهم به العباس. وفي اللسان أن ابن حبان ذكر العباس في الثقات، وقال: يغرب، وحديثه هذا عن عبدالله بن المثنى، وهو ضعيف عندهم، فبطل حديثه هذا حتى على رأي ابن حبان فيه. (تنزيه الشريعة ٢/١٨٨) و(اللآلىء المصنوعة ١/٨٠) و(الخطيب في تاريخه ٨/٥٠) و(الفوائد المجموعة ص ١٤٣)، و(كشف الخفاء ٢/١٠٣).

فتمنى في نفسه لو كان دقيقاً، فأشبع به بني إسرائيل في مجاعة أصابتهم، فأوحى الله تعالى إلى نبي فيهم: أن قل لفلان: إنّ الله تعالى قد أوجب لك من الأجر ما لو كان دقيقاً، فتصدقت به، يعني أنه لما نوى نية حسنة، أعطاه الأجر بحسن نيته وشفقته على المسلمين ورحمته لهم. فينبغي للمسلم أن يكونَ مشفقاً رحيماً على المسلمين.

وذُكِر أنّ رجلاً جاء إلى عبدالله بن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ فقال له: أوصني. فقال له عبدالله بن عباس: أوصيك بستة أشياء:

أولها: يقين القلب بالأشياء التي تكفل الله لك بها، [والتفكر في الآخرة][1].

والثاني: بأداء الفرائض لوقتها.

والثالث: بلسان رطب في ذكر الله تعالى.

والرابع: لا توافق الشيطان، فإنه حاسدٌ للخلق.

والخامس: لا تعمر الدنيا فإنها تخربُ آخرتك.

والسادس: أن تكون ناصحاً للمسلمين دائماً.

قال الفقيه: ينبغي للمسلم أن يكون ناصحاً[2] للمسلمين رحيماً بهم. فإن ذلك من علامات السعادة.

وقيل: إن علامات السعادة إحدى عشرة خصلة:

أولاها: أن يكون زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة.

والثانية: أن تكون نهمته العبادة وتلاوة القرآن.

والثالثة: قلة القول فيما لا يحتاج إليه.

والرابعة: أن يكون محافظاً على الصلوات الخمس.

والخامسة: أن يكون ورعاً فيما قل أو كثر من الحرام والشبهات[3].

والسادسة: أن تكون صحبته مع الصالحين.

والسابعة: أن يكونَ متواضعاً غير متكبر.

والثامنة: أن يكون سخيّاً كريماً.

والتاسعة: أن يكون رحيماً بخلق الله تعالى.

والعاشرة: أن يكون نافعاً للخلق.

---

(١) من (م). (٢) في (م): شفيقاً. (٣) من (م).

والحادية عشرة: أن يكون ذاكراً للموت كثيراً.

وعلامة الشقي أيضاً إحدى عشرة خصلة:

أولاها: أن يكونَ حريصاً على جمع المال.

والثانية: أن تكون نهمته في الشهوات واللذات في الدنيا.

والثالثة: أن يكون فحّاشاً في القول مكثاراً.

والرابعة: أن يكون متهاوناً في الصلوات.

والخامسة: أن يكون أكلُه من الحرام والشبهات، وصحبته مع الفجار.

والسادسة: أن يكون سيّىء الخلق.

والسابعة: أن يكونَ مختالاً متكبّراً فخوراً.

والثامنة: أن يمنع منفعته عن الناس.

والتاسعة: أن يكون قليلَ الرحمة للمسلمين.

والعاشرة: أن يكون بخيلاً.

والحادية عشرة: أن يكونَ ناسياً للموت. يعني أن الرجل إذا كان ذاكراً للموت فإنه لا يمنع طعامه من البيع، ويرحم المسلمين.

وذكر عن بعض الزهاد؛ أنه كان في بيته وِقْر[1] من الحنطة، فقحط الناس، فباع ما عنده من الحنطة، ثم جعل يشتري لحاجته، فقيل له: لو أمسكتَ ما عندك. فقال: أردتُ أن أشاركَ النّاسَ في غمهم.

* * *

(١) «وقر»: حمل ثقيل.

باب الزّجر عن الضّحك

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، [حدثنا محمد بن إسحاق][1]، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا سفيان بن عيينة، قال: قال عيسى ابن مريم ـ صلوات الله عليه ـ للحواريين: يا ملح الأرض، لا تفسدوا، فإن الأشياء إذا فسدت إنما تداوى بالملح، وإن الملح إذا فسد لم يُداوَ بشيء. يا معشر الحواريين: لا تأخذوا ممن تُعَلِّمُون أجراً إلا كما أعطيتموني. واعلموا أن فيكم خصلتين من الجهل: الضّحك من غير عجب، والتّصبح من غير سهر.

قال الفقيه: معنى قوله ـ عليه السلام ـ ملح الأرض يعني به العلماء، فإن العلماء هم الذين يصلحون الخلق، ويدلّونهم على طريق الآخرة، فإذا ترك العلماءُ طريقَ الآخرة، فمن الذي يدلّهم على الطريق، وبمن يقتدي الجهال.

وقوله: لا تأخذوا ممن تُعلِّمُون أجراً إلا كما أعطيتموني، يعني أنّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، فكما أن الأنبياء يعلّمون الخلق بغير أجر، وهو قوله عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المودَّةَ في القُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] وأيضاً: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ﴾ [سبأ: ٤٧] فكذلك العلماء ينبغي لهم أن يقتدوا بالأنبياء، ولا يأخذوا على تعليمهم أجراً.

وأما قوله عليه السلام: الضّحك من غير عجب، يعني الضّحك بالقهقهة، وهو مكروه، وهو من عمل السفهاء. وأما التّصبّح من غير سهر، يعني النوم في أول النهار من غير أن يكون ساهراً بالليل، فإن ذلك نوع من الحمق.

---

(١) من (م).

٢٤٨ ـ وقال النبي ـ ﷺ ـ: «النومُ في أول النهار حمق، وفي أوسطه خلق، وفي آخره خرق»[١] يعني الجهل.

٢٤٩ ـ قال: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا ابن منيع، حدثنا ابن زنجويه، حدثنا ابن أبي غالب، حدثنا هشام، حدثنا الكوثر بن حكيم، عن نافع، عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: خرج النبي ـ ﷺ ـ ذات يوم إلى المسجد فإذا قوم يتحدّثون ويضحكون، فوقف وسلم عليهم، ثم قال: «أكثروا ذِكْر هاذم اللذات»، قلنا: وما هاذم اللذات؟ قال: «الموت».

ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى، فإذا قوم يضحكون. فقال: «أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً».

ثم خرج أيضاً، فإذا قوم يضحكون ويتحدّثون، فسلّم عليهم، ثم قال: «إن الإسلامَ بدأ غريباً، وسيعودُ غريباً،فطوبى للغرباء يوم القيامة». فقيل: ومن الغرباء يوم القيامة؟ قال: «الذين إذا فسد الناس صلحوا»[٢].

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسحاق بن منصور، قال: لما فارق الخضرَ موسى ـ عليهما السلام ـ قال [موسى] له: عظني. قال: يا موسى؛ إياك واللجاجة، ولا تكن ماشياً بغير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعِب[٣] على الخاطىء بخطيئته. وفي بعض الروايات: ولا تعيّر الخاطئين بخطاياهم، وابكِ على خطيئتك يا بن عمران.

٢٥٠ ـ وروى جعفر بن عون، عن مسعود[٤]، عن عون بن عبدالله قال: «كان

---

(١) رواه الحاكم (٤/٢٩٣) من حديث خوات بن جبير، والديلمي في الفردوس (٦٩٠٨) من حديث علي. قال ابن عراق في (تنزيه الشريعة ٢/١٩٨): وفيه الحسن العلوي عن جعفر الصادق، وفي اللسان: الحسن بن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب؛ ذكره الطوسي في شيوخ الشيعة، وقال: كان من رجال جعفر، فلعله هذا.

(٢) روى أوله الترمذي (٢٣٠٨) وقال: حسن غريب صحيح، والنسائي (٤/٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨) في الزهد، والحلية (٦/٣٥٥) وقال أبو نعيم: غريب. وروى وسطه البخاري (٦٤٨٦) في الرقاق، ومسلم (٢٣٥٩) في الفضائل. وروى آخره مسلم (١٤٥) في الإيمان، والترمذي (٢٦٢٩) في الإيمان، وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجه (٣٩٨٦) في الفتن، وأحمد (٤/٧٣). «طوبى»: من الطيب، وتُفسّر بالجنة، وبشجرة عظيمة فيها. «للغرباء»: للقائمين بأمره.

(٣) كذا في الأصل، وفي (م): تغضب، وفي (ط): تعجب.

(٤) في (م): مسعر.

النبي لا يضحك إلا تبسّماً، ولا يلتفت إلا جميعاً»[1] يعني يلتفت بجميع وجهه.

ففي هذا الخبر دليل على أن التبسّم مباح، وإنما النهي عن الضحك بالقهقهة. فينبغي للعاقل أن لا يضحك بالقهقهة، فإنّ مَن ضحك قهقهةً في الدنيا قليلاً بكى في الآخرة كثيراً، فكيف بمن ضحك في الدنيا كثيراً، كيف يكون حاله يوم القيامة؟ وقد قال الله تعالى: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً**﴾ [التوبة: ٨٢].

قال الربيع بن خُثَيْم ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً**﴾ في الدنيا ﴿**وَلْيَبْكُوا كَثِيراً**﴾ في الآخرة.

وعن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿**فَليضحكوا قليلاً**﴾: في الدنيا ﴿**وليبكوا كثيراً**﴾ في الآخرة في نار جهنم جزاء بما كانوا يكسبون.

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: يا عجباً مِن ضاحكٍ ومن ورائه النار، ومِن مسرور ومن ورائه الموت!

وقيل: مرّ الحسنُ البصري بشاب وهو يضحك، فقال: يا بني، هل جزتَ على الصراط؟ قال: لا. فقال: هل تبيّن لك إلى الجنة تصير أم إلى النار؟ قال: لا. قال: ففيم هذا الضّحك؟. قال: فما رُئي هذا الفتى ضاحكاً بعدها قط، يعني أن قول الحسن وقع في قلبه؛ فتاب عن الضحك.

وهكذا كان العلماءُ في ذلك الزمان، إنهم كانوا إذا تكلّموا بالموعظة وقع كلامُهم موقعاً، لأنهم كانوا يعملون بالعلم، فينفع علمُهم غيرَهم. فأما علماءُ زماننا فإنهم لا يعملون بعلمهم، فلا ينفعُ علمُهم غيرَهم.

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال: مَن أذنب ذنباً وهو يضحك، دَخَل النَّارَ وهو يبكي.

ويقال: أكثرُ الناس ضحكاً في الدنيا، أكثرهم بكاءً في الآخرة، وأكثرهم بكاءً في الدنيا أكثرهم ضحكاً في الجنة.

قال يحيى بن معاذ الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ: أربعُ خصال لم يبقين للمؤمن

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٤٢) في المناقب، باب: في بشاشة النبي ﷺ، وقال: صحيح غريب، وفي الشمائل رقم (٢٢٨).

ضحكاً ولا فرحاً: هَمّ المعاد ـ يعني هَمّ الآخرة ـ وشغل المعاش، وغمّ الذنوب، وإلمام المصائب.

يعني ينبغي للمؤمن أن يكونَ مشغولاً بهذه الأشياء الأربعة؛ لتمنعه عن الضحك، فإنّ الضحكَ ليس مِن خصال المؤمن.

وقد عيّر الله تعالى أقواماً بالضحك فقال: ﴿أَفَمِنْ هَـٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦١][1] ومدح أقواماً بالبكاء، فقال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

ويقال: غَمُّ الأحياء خمسةُ أشياء، فينبغي للإنسان أن يكون غمّه في هذه الخمسة:

أولها: غمّ الذنوب الماضية؛ لأنه قد أذنب ذنوباً، ولم يتبيّن له العفو، فينبغي أن يكونَ مغموماً بها مشغولاً بها.

والثاني: أنه قد عمل الحسنات، ولم يتبيّن له القبول.

والثالث: أنه قد علم بحياته فيما مضى كيف مضى؟ ولا يدري كيف يكون في الباقي.

والرابع: قد علم أن الله تعالى دارين في الآخرة، ولا يدري إلى أية دارَيْه يصير هو.

والخامس: لا يدري أن الله تعالى راض عنه، أم ساخط عليه. فمن كان غمه في هذه الأشياء الخمسة في حياته، فإنها تمنعه عن الضحك.

ومن لم يكن غمّه في هذه الأشياء الخمسة في حياته، فإنه يستقبله بعد الموت خمسة من الغموم:

أولها: حسرة ما خلّف من التركة التي جمعها من الحلال والحرام، وتركها لورثته الأعداء.

والثاني: ندامة تسويف الأعمال الصالحة، فيرى في كتابه عملاً قليلاً، فيستأذن في الرجوع ليعمل صالحاً، فلا يؤذن له.

---

(١) «سامدون»: لاهون غافلون.

والثالث: ندامة الذنوب، فيرى في كتابه ذنوباً كثيرة، فيستأذن في الرجوع ليتوبَ، فلا يؤذن له.

والرابع: يرى لنفسه خصوماً كثيرة، ولا يتهيأ له أن يرضيهم إلا بأعماله.

والخامس: وجد الله تعالى عليه غضبان، ولا يمكنه أن يرضيه.

٢٥١ ـ وروى أبو ذر الغفاري ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، ولو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى ربكم وتبكون، ولو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم، ولا تقاررتم على فُرُشِكم. ولوددتُ أنّ الله خلقني يوم خلقني شجرةً تُعضد»[1].

وروى يونس عن الحسن البصري أنه قال: المؤمن ـ واللّهِ ـ يمسي حزيناً، ويصبح حزيناً. وكان الحسن البصري قلّما رأيته إلا كرجل أصيب بمصيبة محدثة. وروي في رواية أخرى: أنه ما رُئِي الحسن إلا كأنّه رَجَعَ من دَفْن أمه.

وروي عن الأوزاعي[2] في قول الله عز وجل: ﴿**ما لِهَـذَا الكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إلاّ أحْصَاهَا**﴾ [الكهف: ٤٩] قال: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: القهقهة. يعني أن القهقهة من الكبائر.

وروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، ولو تعلمون ما أعلم لسجد أحدُكم حتى ينقطعَ صُلْبه، ولصرخ حتى ينقطعَ صوته، ابكوا إلى الله تعالى، فإن لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا. يعني تشبّهوا بالباكين.

٢٥٢ ـ وروى سفيان عن محمد بن عجلان، عن حبيب، في حديث يذكره قال: «كلّ عين باكيةٌ يوم القيامة إلا ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله تعالى، وعين

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٢) في الزهد، باب (٩)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٤١٩٠) في الزهد، باب: الحزن والبكاء، وأحمد (٥/١٧٣)، والحاكم (٢/٥١٠). «الصعدات»: جمع صعد، وهي الطريق. «تعضد»: تقطع. «لوددتُ»: قال الحافظ: هذا من قول أبي ذر، مدرج في الحديث.

(٢) هو عبدالرحمٰن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعي، أبو عمرو: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتّاب المترسلين، وُلِد في بعلبك، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها. وعُرض عليه القضاء فامتنع، له كتاب «السنن» في الفقه، و«المسائل». وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه إلى زمن الحكم بن هشام. توفي سنة (١٥٧هـ). (شذرات الذهب ١/٢٤١)، و(حلية الأولياء ٦/١٣٥).

غضّت عن محارم الله تعالى، وعين سهرت في سبيل الله تعالى»[1]. وقد روي هذا الخبر مرفوعاً عن رسول الله ﷺ.

وروي عن أبي حنيفة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: ضحكتُ مرة وأنا من النادمين على ذلك، وذلك أني ناظرتُ عمرو بن عبيد القدري[2] [إمام المعتزلة][3]، فلما أحسست بالظفر ضحكت، فقال لي: تتكلّم في العلم وتضحك، فلا أكلّمك أبداً، وأنا من النادمين على ذلك، إذ لو لم يكنْ ضحكي لرددته إلى قولي، فكان في ذلك صلاح العالم.

وروي عن عبدالله بن محمد العابد أنه قال: من ترك فضول النظر[4] وُفّق للخشوع، ومن ترك الكبر وفّق للتواضع، ومن ترك فضول الكلام وفّق للحكمة، ومن ترك فضول الطعام وفّق لحلاوة العبادة، ومن ترك المزاح وفّق للبهاء، ومن ترك الضحك وفّق للهيبة، ومن ترك الرغبة وفّق للمحبّة ـ يعني إذا لم يرغب في أموال الناس أحبوه ـ ومن ترك التجسّس وفّق لإصلاح عيوبه، ومن ترك التوهم في صفات الله تعالى وفّق للنجاة من الشك والنفاق.

٢٥٣ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال، في قول الله تعالى: ﴿**وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا**﴾ [الكهف: ٨٢] قال: «كان تحته لوحٌ من ذهب مكتوب فيه خمسة أسطر: أولها: عجبت لمن أيقنَ بالموت كيف يفرح؟ وعجبتُ لمن أيقن بالنار كيف يضحك، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبتُ لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئن إليها، وفي الخامس: لا إله إلا الله، محمد رسول الله»[5].

وقال ثابت البناني ـ رحمه الله تعالى ـ: كان يقال: ضحكُ المؤمن من غفلته ـ

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/١٦٣) من حديث أبي هريرة، وقال: غريب من حديث صفوان وأبي سلمة، تفرّد به عمر بن صهبان. ورواه ابن النجار عن ابن عمر. (كنز العمال ٤٣٣٥٧).

(٢) هو عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري. شيخ المعتزلة في عصره، ومفتيها، وأحد الزهاد المشهورين. واشتهر بعلمه وزهده وأخباره مع المنصور العباسي وغيره. له رسائل وخطب وكُتُب، منها: «التفسير» و«الرد على القدرية». توفي سنة (١٤٤هـ). (وفيات الأعيان ١/٣٨٤) و(ميزان الاعتدال ٢/٢٩٤).

(٣) من (م). (٤) في (م): الكلام.

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢١٣) وفي الزهد (٥٤٥) من حديث علي بن أبي طالب، وبرقم (٥٤٤) من حديث ابن عباس، وكذا ابن عدي في الكامل (٦/٢٠٨٩)، وانظر: (الدر المنثور ٥/٤٢١).

يعني غفلته عن أمر الآخرة ـ ولولا غفلته لما ضحك.

وقال يحيى بن معاذ الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ: اطلبْ فرحاً لا حزنَ فيه بحزن لا فرحَ فيه. يعني إذا أردت أن تنال فرح الجنة، فكن في الدنيا حزيناً، ولا تكن ضاحكاً مسروراً؛ لكي تنال فرح الجنة، وهو فرح لا حزن فيه.

ويقال: ثلاثةُ أشياء تقسي القلب: الضحك من غير عجب، والأكل بغير جوع، والكلام من غير حاجة.

٢٥٤ ـ وروى بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «ويلٌ لمن يكذب ليضحكَ به الناس، ويلٌ له» ثلاث مرات[1].

وقال إبراهيم النَّخَعي[2]: إنَّ الرجلَ ليتكلّم بكلمةٍ ليضحك بها من حوله، فيسخط الله بها، فيصيبه السخط، فيعمّ مَن حوله، وإن الرجلَ ليتكلّم بكلمة، يرضي الله بها، فتصيبه الرحمة، فتعمّ مَن حوله.

٢٥٥ ـ وروى واثلة بن الأسقع، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «يا أبا هريرة، كنْ ورعاً تكنْ أعبدَ الناس، وكنْ قنعاً تكنْ أشكرَ الناس، وأحبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسنْ مجاورةَ مَن جاورك تكنْ مسلماً، وأقلّ الضحك، فإنَّ كثرةَ الضحك تميتُ القلب»[3].

وروى مالك بن دينار، عن الأحنف بن قيس، أنه قال: قال لي عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: يا أحنف؛ مَن كثر ضحكه قلّت هيبته، ومَن مزح استخفّ به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومَن كثر كلامه كثر سقطه، ومَن كثر سقطُه قلّ حياؤه، ومَن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومَن قلّ ورعه مات قلبه، ومَن مات قلبه كانت النار أولى به.

قال الفقيه: إياك وضحك القهقهة، فإنّ فيه ثمانياً من الآفات:

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٩٠) في الأدب، باب في التشديد في الكذب، والترمذي (٢٣١٥) في الزهد، باب: فيمن تكلّم بكلمة يُضْحِك بها الناس، وقال: حديث حسن، والبيهقي في الشعب (٤٨٣١).

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي، من مذحج: من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث. من أهل الكوفة. قال فيه الصلاح الصفدي: فقيه العراق، كان إماماً مجتهداً، له مذهب. ولما بلغ الشعبيَّ موتُه قال: والله ما ترك بعده مثله. توفي سنة (٩٦هـ) (طبقات القراء ١/ ٢٩) و(حلية الأولياء ٤/ ٢١٩).

(٣) سبق تخريجه برقم (   ).

أولاها: أن يذمّك العلماء والعقلاء.

والثانية: أن يجترىء عليك السُّفهاءُ والجهّال.

والثالثة: أنك لو كنت جاهلاً ازدادَ جهلُك، وإن كنت عالماً نقصَ علمك، لأنه روي في الخبر: «إنَّ العالمَ إذا ضحك ضحكةً مجّ من العلم مجّة» يعني رمى من العلم بعضه.

والرابعة: أن فيه نسيان الذنوب الماضية.

والخامسة: فيه جراءة على الذنوب في المستقبل؛ لأنك إذا ضحكت يقسو قلبُك.

والسادسة: أن فيه نسيان الموت وما بعده من أمر الآخرة.

والسابعة: أنّ عليك وزر من ضحك بضحكك.

والثامنة: أنه يُجْزَى بالضحك القليل بكاء كثيراً في الآخرة.

قال تعالى: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزاءً بِمَا كَانُوا يكْسِبُونَ**﴾ [التوبة: ٨٢].

وروي عن أبي ذر ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال ـ في قول الله عز وجل ـ: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً**﴾ معناه أن الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاؤوا، وإذا صاروا إلى الله بكوا بكاءً لا ينقطع؛ فذلك الكثير، وهو قوله تعالى: ﴿**وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾.

* * *

باب كظم الغيظ

٢٥٦ ـ قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا أبو جعفر الدبيلي، حدثنا أبو عبدالله بن عمر، حدثنا سفيان، عن علي بن زيد، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ الغضبَ جمرةٌ من النار، فمن وَجَدَ ذلك منكم فإن كان قائماً فليجلس، وإنْ كان جالساً فليضطجع، وإن كان مضطجعاً فليتمرّغ في التراب»[1].

٢٥٧ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا المسيب، عن محمد بن مسلم، [عمن أخبره][2] عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إيّاكم والغضبَ، فإنه يوقد في فؤاد ابن آدم النار، ألم تر إلى أحدكم إذا غضب كيف تحمر عيناه، وتنتفخ أوداجه، فإذا أحسّ أحدكم بشيء من ذلك فليضطجع وليلصق بالأرض». وقال: «إن منكم من يكون سريعَ الغضب سريعَ الفيء، فأحدهما بالآخر» يعني يكون أحدهما بالآخر قصاصاً. «ومنكم من يكون بطيءَ الغضب بطيءَ الفيء، ويكون أحدهما بالآخر، وخيركم من كان بطيء الغضب سريع الفيء، وشرّكم من كان سريع الغضب بطيء الفيء»[3].

٢٥٨ ـ وروى أبو أمامة الباهلي ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من كظم غيظاً وهو يقدر على أنه يمضيه فلم يمضه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً»[4].

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذي (٢١٩١) في الفتن، باب (٢٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٣/١٩، ٦١). «فليتمرّغ»: فليتقلّب.

(٢) من (م). (٣) ذكره الزبيدي في (الإتحاف ١/١٤٨)، والبغوي في (شرح السنة ١٤/٢٤١) بنحوه.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الغضب» عن ابن عمر. (كنز العمال ٧١٦٣).

ويقال: مكتوب في الإنجيل: يا بن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، وارضَ بنصرتي لك، فإنّ نصرتي لك خيرٌ مِن نصرتك لنفسك.

وروي عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال لرجل أغضبه: لولا أنك أغضبتني لعاقبتك؛ أراد بذلك قول الله تعالى: ﴿والكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وذكر أنه رأى سكران، فأراد أن يأخذه فيعزره، فشتمه السّكران، فلما شتمه رجع عمر، فقيل له: يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته، قال: لأنّه أغضبني، فلو عزرته لكان ذلك لغضب نفسي، ولا أحبّ أن أضربَ مسلماً لحمية نفسي.

وروي عن ميمون بن مهران[1]: أن جارية له جاءت بمرقة، فعثرت فصبَّت المرقة عليه، فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية: يا مولاي استعمل قول الله تعالى: ﴿وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ﴾ فقال: قد فعلت، فقالت: اعمل بما بعده: ﴿وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ قال: قد عَفَوْت، فقالت: اعمل بما بعده ﴿واللَّهُ يُحبُّ المُحْسِنِينَ﴾ فقال ميمون: أحسنت إليك فأنتِ حرة لوجه الله تعالى.

٢٥٩ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن لم يكنْ فيه ثلاث خصال، لم يجدْ طَعْمَ الإيمان: حلم يردّ به جهل الجاهل، وورع يحرزه عن المحارم، وخلق يداري به الناس»[2].

وذكر عن بعض المتقدمين أنه كان له فرس، وكان معجباً به، فجاء ذات يوم فوجده على ثلاث قوائم، فقال لغلامه: من صنع به هذا؟ فقال: أنا، قال: لم؟ قال: أردتُ أن أغمّك، قال: لا جرم، لأغمنّ مَن أَمَرَك به، يعني الشيطان، إذهب فأنت حرّ والفرسُ لك.

قال الفقيه: ينبغي للمسلم أن يكونَ حليماً صبوراً، فإن ذلك من خصال المتقين، وقد مدح الله تعالى الحليم في كتابه فقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَر وَغَفَر﴾ يعني

---

(١) هو ميمون بن مهران الرقي، أبو أيوب: فقيه من القضاة. كان مولى لامرأة بالكوفة، وأعتقته، فنشأ فيها، ثم استوطن الرقة، فكان عالم الجزيرة وسيدها، واستعمله عمر بن عبدالعزيز على خراجها وقضائها، وكان على مقدمة الجند الشامي؛ مع معاوية بن هشام بن عبدالملك، لما عبر البحر غازياً إلى قبرس سنة (١٠٨هـ). وكان ثقة في الحديث، كثير العبادة، توفي سنة (١١٧هـ). (تذكرة الحفاظ ١/٩٣) و(حلية الأولياء ٤/٨٢).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الحلم رقم (٥٣) عن خالد بن معدان مرفوعاً.

من صبر على الظلم، وتجاوز عن ظالمه وعفا عنه ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] يعني من حقائق الأمور التي يثاب فاعلها على ذلك وينال أجراً عظيماً.

وقال في آية أخرى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ يعني لا تستوي الكلمة الحسنة والكلمة السيئة، يعني لا ينبغي للمسلم أن يكافىء كلمةً حسنةً بكلمة قبيحة، ثم قال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يعني ادفع الكلمة القبيحة بالكلمة التي هي أحسن ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] يعني أنك إذا فعلت ذلك صار عدوك صديقاً لك مثل القرابة القريب.

وقد مَدَحَ اللَّهُ تعالى خليلَه إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالحلم، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥] فالحليم: المتجاوز، والأوّاه: الذي يذكر ذنوبه ويتأوه، والمنيب: الذي أقبل على طاعة الله تعالى.

وقد أمر الله تعالى نبيه ـ ﷺ ـ بالصبر والحلم، وأخبره أن الأنبياء الذين كانوا قبله كانوا على ذلك. فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] يعني اصبر على تكذيب الكفار وأذاهم كما صبر الأنبياء الذين أمروا بالقتال مع الكفار. وأولو العزم هم ذوو الحزم، وهم الذين يثبتون على الأمر ويصبرون عليه.

وقال الحسن في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ [الفرقان: ٦٣] يعني قالوا حلماً، وإنْ جُهِل عليهم حلموا.

ورُوي عن وهب بن منبه ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كان عابد من بني إسرائيل أراد الشيطانُ أن يضلّه فلم يستطع، فخرج العابدُ ذات يوم لحاجة، وخرج الشيطان معه لكي يجد منه فرصة، فأراده من قبل الشهوة والغضب فلم يستطع منه على شيء، فأراده من قبل الخوف وجعل يدلي عليه صخرة من الجبل، فإذا بلغته ذكر الله تعالى فنأتْ عنه، ثم جعل يتمثّل بالأسد والسباع فذكر الله تعالى فلم يُبالِ به، ثم جعل يتمثل له بالحية وهو يصلي، فجعل يتلوّى على قدميه وجسده حتى بلغ رأسه.

وكان إذا أراد السجودَ التوى في موضع رأسه من السجود، يعني وجهه، فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه، فجعل ينحّيه بيده حتى استمكن من الأرض ليسجد.

فلما فرغ من صلاته وذهب جاء إليه الشيطان، فقال: أنا فعلت بك كذا وكذا فلم أستطع منك على شيء، وقد بدا لي أن أصادقك، ولا أريدُ ضلالتك بعد اليوم، فقال العابد: لا، اليوم الذي خوفتني بحمد الله ما خفتُ منك، ولا لي حاجة اليوم في مصادقتك. فقال له: ألا تسألني عن أهلك ما أصابهم بعدك؟ فقال له العابد: أنا متّ مثلهم[1]، فقال له: ألا تسألني عما أضل به بني آدم؟ قال: بلى، فأخبرني بالذي تصلُ به إلى ضلال بني آدم، قال: بثلاثة أشياء: الشح، والحدّة، والسكر.

فإن الإنسان إذا كان شحيحاً قلّلنا ماله في عينه، فيمنعه من حقوقه، ويرغب في أموال الناس.

وإذا كان الرجل غضوباً[2]، أدرناه بيننا كما يدير الصّبيانُ الكرةُ بينهم، ولو كان يحيي الموتى بدعوته لم نيأس منه، فإنما يبني ويهدم في كلمة واحدة.

وإذا سكر قُدناه إلى كل سوء كما تُقاد الغنمُ بآذانها حيث نشاء.

فقد أخبره الشيطان أن الذي يغضبُ يكون في يد الشيطان كالكرة في أيدي الصبيان. فينبغي للذي يغضبُ أن يصبرُ لكيلا يصير أسيرَ الشيطان ولا يحبط عمله.

وذُكِر أن إبليس جاء إلى موسى ـ صلوات الله تعالى وسلامه عليه ـ فقال له: أنت الذي اصطفاك الله تعالى برسالته، وكلمك تكليماً، وإنما أنا خَلْقٌ مِن خَلْق الله تعالى أردت أن أتوب إلى ربك، فاسأله أن يتوب عليّ، ففرح موسى ـ عليه السلام ـ فدعا بماء فتوضأ وصلّى ما شاء الله تعالى، ثم قال: يا رب، إن إبليسَ خَلْقٌ من خلقك يسألك التوبة فتب عليه، فقيل له: يا موسى إنه لا يتوب، فقال: يا رب إنه يسألك التوبة، فأوحى الله تعالى إني أستجيب لك يا موسى، فمره أن يسجدَ لقبر آدم؛ فأتوب عليه.

فرجع موسى مسروراً فأخبره بذلك، فغضب مِن ذلك واستكبر، ثم قال: أنا لم أسجدْ له حياً أأسجد له ميتاً؟ ثم قال له: يا موسى إن لك حقّاً عليّ بما تشفعتَ لي إلى ربك، فأوصيك بثلاثة أشياء: اذكرني عند ثلاث خصال: اذكرني حين تغضب، فإني من[3] قلبك وجسدك أُجْرِي منك مجرى الدم، واذكرني حين تلقى العدو في الزحف، فإني آتي ابنَ آدم حين يلقى العدو، فأذكّره زوجه وأهله وماله وولده حتى

---

(١) في (م): قبلهم. (٢) في (م): حديداً. (٣) في (م): في.

يـولّي دبره، وإيـاك أن تجالسَ امـرأةً ليست بذات محـرم منك، فـإني رسـولُهـا إليـك ورسولُك إليها!.

وذُكِر عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: يا بنيّ ثـلاث لا تعرف إلا من ثـلاث؛ لا يُعرف الحليمُ إلا عند الغضب، ولا يُعـرف الشّجاعُ إلا عنـد الحرب، ولا يُعـرف الأخُ إلا عند الحاجة.

وذُكِـر أنَّ رجلاً من التـابعين مَدَحَـهُ رجلٌ في وجهـه، فقـال لـه: يـا عبـدالله لِمَ تمدحني؟ أجرّبتني عند الغضب فوجدتني حليماً؟ قال: لا، قال: أجـرّبتني في السفر فوجدتني حَسَنَ الخلق؟ قال: لا، قال: أجرّبتني عند الأمانة فوجدتني أميناً؟ قال: لا، فقال: ويحك ما لأحد أن يمدحَ أحداً ما لم يجرّبه في هذه الأشياء الثلاثة.

وقـال: ثلاثـةٌ مِن أخلاق أهـل الجنـة ولا تـوجـد إلا في الكـريم: العفـو عمن ظلمك، والبذل لمن حرمك، والإحسـان إلى مَن أساء إليـك، قال الله تعـالى: ﴿**خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٢٦٠ ـ ورُوي في الخبر أنه لما نزلتْ هذه الآيةُ قـال النبي ـ ﷺ ـ لجبريـل: «ما تفسير هذه الآية؟» فقال له جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ: حتى أسأل العالم العلّام، فذهب جبريـلُ ثم أتاه، فقـال: يا محمـد إنّ الله تعالى يـأمرك أن تصـلَ من قطعـك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك[1].

٢٦١ ـ وروي عن عبـدالله بن عجلان، عن سعيـد المقبـري، عن أبي هـريـرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: سبّ رجلٌ أبا بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ ورسول الله ـ ﷺ ـ جالس، فسكتَ النبي ـ ﷺ ـ وسكت أبو بكر، فلما سكتَ الرجلُ تكلّم أبو بكـر، فقام النبي ـ ﷺ ـ وأدركـه أبـو بكر، فقـال: يـا رسـول الله سبني وسكت، فلمـا تكلمتُ قمتَ، فقال النبي ـ ﷺ ـ:

«إنَّ الملكَ كـان يردّ عليـه عنك حين سكتّ، فلمـا تكلمتَ ذهب الملكُ وقعـد الشيـطانُ، فكرهتُ أن أقعـدَ في مقعد يحضره الشيطان»، ثم قـال رسـول الله ـ ﷺ ـ: «ثلاث كلّهن حق على الله: ما من عبـد يُظلم بمـظلمة فيعفـو عنها ابتغـاء مرضـاة الله

---

(١) رواه ابن أبي الـدنيا وابن جـرير وابن المنـذر وابن أبي حـاتم وأبـو الشيـخ عن الشعبي. (الـدر المنثـور ٣/٦٢٨). ثم ذكره عن جابر وعزاه لابن مردويه.

تعالى إلا زاده الله بها عزاً، وما من عبد فتحَ على نفسه باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلّة، وما من عبد أعطى عطية يبتغي بها وجهَ الله تعالى إلا زاده اللَّهُ تعالى بها كثرةً»[1].

٢٦٢ ـ قال: حدثني أبي بإسناده عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

«لكلّ شيء شرفٌ، وإنّ أشرفَ المجالس ما استُقبل به القبلة، وإنما تجالسون بالأمانة، ولا تصلّوا خلف النائم والمحدث، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في صلاتكم، ولا تستروا الجدران بالثياب، ومَن نَظَر في كتاب أخيه بغير إذن فكأنما ينظر في النار، ومن أحبّ أن يكون أقوى الناس فليتوكّل على الله تعالى، ومَن أحبّ أن يكون أكرمَ الناس فليتّق الله تعالى، ومَن أحبّ أن يكونَ أغنى الناس فليكنْ بما في يد الله تعالى أوثق منه بما في يده».

ثم قال: «ألا أنبئكم بشراركم؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من أكل وحده، وَمَنَعَ رفده، وجلد عبده».

ثم قال: «ألا أنبئكم بشر من هذا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من يبغض الناس ويبغضونه».

ثم قال: «ألا أنبئكم بشر من هذا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من لا يقبل عثرة، ولا يقبل معذرة، ولا يغفر ذنباً».

ثم قال: «ألا أنبئكم بشر من هذا؟». قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من لا يُرجى خيره، ولا يُؤمن شرّه».

ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن عيسى ـ عليه السلام ـ قام في بني إسرائيل، فقال: يا بني إسرائيل لا تتكلّموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ـ وقد قال مرة ـ: فتظلموها، ولا تكافؤوا ظالماً بظلم فيبطل فضلكم عند ربكم. يا بني إسرائيل الأمور ثلاثة: أَمْرٌ تبيّن رشده فاتبعوه، وأَمْر ظهر غيّه فاجتنبوه،

---

(١) رواه أحمد (٢/٤٣٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٩٠): رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح.

وأَمْر اختُلِف فيه فردّوه إلى الله ورسوله»[1].

وقال بعض الحكماء: الزهد في الدنيا أربعة:

أولها: الثقة بالله تعالى فيما وعد من أمر الدنيا وأمر الآخرة.

والثاني: أن يكون مَدْح الخلق وذمّهم عنده واحداً.

والثالث: الإخلاص في عمله.

والرابع: أن يتجاوزَ عمّن ظلمه، ولا يغضب على ما ملكتْ يمينه، ويكون حليماً صبوراً.

وروي عن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رجلاً قال له: علّمني كلمات ينفعني الله تعالى بهن، قال أبو الدرداء: أوصيك بكلمات مَن عمل بهن كان ثوابه على الله عز وجل الدرجات العلى؛ لا تأكل إلا طيباً، واسأل الله تعالى رِزْقَ يوم بيوم، وعدّ نفسك من الموتى، وهبْ عرضك لله تعالى، فمن شتمك أو آذاك فقل: وهبتُ عرضي لله تعالى، وإذا أسأتَ فاستغفر الله تعالى.

٢٦٣ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال لما كسرت رباعيته في يوم أُحد، فشقّ ذلك على أصحابه مشقة شديدة فقالوا: يا رسول الله لو دعوتَ الله تعالى على هؤلاء الذين صنعوا بك ما نرى، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «إني لم أُبعثْ لعاناً، ولكني بُعثتُ داعياً ورحمة، اللّهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»[2].

٢٦٤ ـ وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من كفّ لسانه عن أعراض المسلمين أقال الله تعالى عثرته يوم القيامة، ومن كفّ غضبه أقال الله تعالى غضبه عنه يوم القيامة»[3].

٢٦٥ ـ وروي عن مجاهد ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ مرّ بقوم يرفعون حجراً ـ يعني يرفعون حجراً وينظرون أيهم أقوى ـ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما هذا؟» قالوا: حجر الأشداء، فقال: «ألا أخبركم بما هو أشدّ منه؟» قالوا: بلى يا

---

(١) روى الطبراني في المعجم الكبير أوّله (١٠/ ٣٨٩)، وقال في مجمع الزوائد (٨/ ٥٩): فيه هشام بن زياد أبو المقدام، وهو متروك. ورواه الحاكم (٤/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) وفي إسناده كذّاب.

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٨) «٨٧» في البر والصلة والآداب، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها. وانظر أيضاً مسلم (١٧٩١ و١٧٩٢) في الجهاد والسير.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد رقم (٧٤٥)، وابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان رقم (٢١).

رسول الله، قال: «الذي يكون بينه وبين أخيه شحناء فيغلب شيطانه وشيطان صاحبه؛ فيأتيه حتى يكلّمه».

وفي رواية أخرى أنه مرَّ بقوم يرفعون الحجر، فقال: «أتعرفون الشدة برفع الحجارة؟ ألا أنبئكم بأشدّ منكم؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الذي يمتلىء غضباً ثم يصبر»[1].

وذُكِر عن يحيى بن معاذ أنه قال: مَن دعا على ظالمه فقد أحزنَ محمَّداً ـ ﷺ ـ في الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وسَرَّ اللعينَ إبليس في الكفرة والشياطين، ومَن عفا عن ظالم فقد أحزنَ اللعينَ في الكفرة والشياطين، وسَرَّ محمَّداً ـ ﷺ ـ في الأنبياء والصالحين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

٢٦٦ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «ينادي منادٍ يوم القيامة: أين الذين كانت أجورُهم على الله عز وجل، فيقوم العافون عن الناس فيدخلون الجنَّة»[2].

وسُئِل الأحنف بن قيس ـ رحمه الله تعالى ـ ما الإنسانية؟ قال: التواضع في الدولة، والعفو عند القدرة، والعطاء بغير منة.

٢٦٧ ـ وروى عطية عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «المؤمنون هيّنون ليّنون كالجمل الأَنِف، إن قِيد انقاد، وإن أُنيخ على صخرة استناخ»[3].

قال الفقيه: عليكم بالصبر عند الغضب، وإياكم والعجلة عند الغضب، فإنّ في العجلة ثلاثةَ أشياء، وفي الصبر ثلاثة أشياء، فأما الثلاثة التي في العجلة:

فأحدُها: الندامة في نفسه.

والثاني: الملامة عند الناس.

---

(١) رواه البخاري (٦١١٤) في الأدب، باب: الحذر من الغضب، ومسلم (٢٦٠٩) في البر والصلة و الآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب، بلفظ: «ليس الشديد الصُّرَعة، إنما الشديدُ الذي يملك نَفْسَه عند الغضب». ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٣٩٧) بلفظ: «إن الشديد ليس مَن غلب الرجال، ولكن الشديد مَن غلب نفسه»، وكذلك الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢٢٤١).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٤١٥)، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٧٠١٥) وعزاه لأبي الشيخ في الثواب عن ابن عباس.

(٣) رواه أحمد في الزهد رقم (٢٢٩٣)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٨٠)، وابن المبارك في الزهد رقم (٣٨٧) عن مكحول مرسلاً. «الأنف»: أي المأنوف، وهو الذي عَقَر الخِشاشُ أَنْفَه، فهو لا يمتنع على قائده لِلْوَجَع الذي به. وقيل: الأنف: الذَّلول.

والثالث: العقوبة عند الله تعالى.

وفي الحلم ثلاثة أشياء: السرور في نفسه، والمحمدة عند الناس، والثواب من الله تعالى، فإن الحلم يكون مراً في أوله، وحلواً في آخره، كما قال القائل:

الحلمُ أوّله مرّ مذاقته ... لكن آخره أحلى مِنَ العسل

* * *

باب حفظ اللّسان

٢٦٨ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رضي الله تعالى عنـه ـ: حدثنـا الفقيه أبـو جعفر، حـدثنا أبـو القاسم أحمـد بن محمد، حـدثنـا محمـد بن سلمـة، حـدثنـا عبدالأعلى، حدثنا يعقوب بن عبدالله القمي، عن عمر، عن الليث، عن مجاهد، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله أوصني، قال: «عليك بتقوى الله فإنها جماعُ كلّ خير، وعليك بالجهاد فـإنّه رهبانية المسلمين ـ أو قال المسلم ـ وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فإنه نورٌ لـك في الأرض، وذِكْـر لك في السمـاء، واخزن لسـانك إلا من خيـر فإنـك بذلـك تغلب الشيطان»[1].

قـال الفقيه: معنى قـوله ـ عليـه الصلاة والسـلام ـ: «عليك بتقـوى الله تعـالى» فتقوى الله أن يجتنب عما نهاه الله عنه، ويعمل بما أمره الله تعالى بـه، فإذا فعـل ذلك فقد جمع جميع الخير. وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ «واخزن لسـانك»: يعني احفظ لسانك إلا من خير، يعني قُلْ خيراً حتى تغنم أو اسكتْ حتى تسلم، فإنَّ السـلامةَ في السكوت.

فأخبر أن الإنسان يغلب الشيطان بـالسكوت، فينبغي للمسلم أن يكـونَ حافـظاً للسانه؛ حتى يكونَ في حرزٍ من الشيطان، ويستر الله عليه عورته.

٢٦٩ ـ قـال: حدثنـا أبو الحسين أحمـد بن حمـدان، حـدثنـا الحسن بن علي

---

(١) رواه أحمـد (٣/٨٢)، وقال الهيثمي في مجمـع الزوائـد (٤/٢١٥): رواه أحمـد وأبـو يعلى، ورجـال أحمد ثقات، وفي إسناد أبي يعلى ليث بن أبي سليم، وهو مـدلس. وانظر: فيض القـدير (٤/٣٣٢). «رهبانية»: من الرهبنة، وهي ترك ملاذّ الدنيا والزهد والعزلة عن أهلها وتحمّل مشـاقها، ونحـو ذلك من أنـواع الذي يفعله رهبـان النصارى، فكمـا أنَّ الترهّب أفضـل عمـل أولئـك؛ فـأفضـل عمـل الإسـلام الجهاد».

الطوسي، حدثنا محمد بن حسان، حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي، عن المغيرة بن مسلم، عن هشام، عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من لطم عبده كان كفّارته عتقه، ومن ملك لسانه ستر الله عليه عورته، ومن كظم غيظه وقاه الله تعالى عذابه، ومن اعتذر إلى ربه قبل الله معذرته»[1].

٢٧٠ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا يزيد بن زريع، عن يونس، عن الحسن، عن أبي هُرَيْرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرمْ جاره، وليكرمْ ضيفه، وليقلْ خيراً أو ليسكت»[2].

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم، حدثنا يعلى، قال: دخلنا على محمد بن سُوقة[3] الزاهد فقال: ألَا أحدّثكم حديثاً لعلّه أن ينفعكم فإنه قد نفعني؟ قال: قال لنا عطاء بن أبي رباح[4]: يا بن أخي، إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدّون كلّ كلام فضولاً ما عدا كتاب الله تعالى أن يقرأه أحد، أو أمراً بالمعروف، أو نهياً عن المنكر، أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بُدَّ لك منها.

ثم قال: أتنكرون قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١١] و﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧ ـ ١٨] أو ما يستحي أحدكم أن لو نُشرَت عليه صحيفتُه التي أملاها صدر نهاره، وأكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه؟!.

٢٧١ ـ قال: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أربع لا يصبن إلا بعجب: الصمت وهو أول العبادة، والتّواضع، وذِكْر الله تعالى، وقلّة الشر»[5].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا عن عمر. (كنز العمال ٧١٦٥)، وروى مسلم أوله عن ابن عمر (١٦٥٧) في الأيمان، باب: صحبة المماليك، وأبو داود (٥١٦٨) في الأدب، باب: في حقّ المملوك.

(٢) رواه البخاري (٦٠١٨) في الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومسلم (٤٧) في الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار.

(٣) هو محمد بن سُوقَة الغَنَوي، أبو بكر الكوفي العابد: ثقة، مرضيّ عابد. (تقريب التهذيب ٢/١٦٨).

(٤) هو عطاء بن أبي رباح، مولاهم، المكي: ثقة، فقيه، فاضل، لكنه كثير الإرسال. وقيل: إنه تغير بآخره. (تقريب التهذيب ٢/٢٢).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٥٦٠)، والحاكم (٣١١/٤) وصححه، وتعقّبه الذهبي بقوله: قلت: =

وذكر عن عيسى ابن مريم عليه السلام بهذا اللفظ.

٢٧٢ ـ روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «مِن حُسْن إسلام المرء تَرْكُه ما لا يعنيه»[١].

وذُكِر عن لقمان الحكيم أنه قيل له: ما بلغ بك ما نرى؟ قال: صِدْقُ الحديث، وأداء الأمانة، وتركي ما لا يعنيني.

وروي عن أبي بكر بن عيّاش[٢] أنه قال: أربعة من الملوك تكلّم كلّ واحد منهم بكلمة كأنها رمية من قوس واحدة؛ قال كسرى: لا أندم على ما لم أقل، وقد أندم على ما قلت. وقال ملك الصين: ما لم أتكلّم بالكلمة فأنا أملكها، فإن تكلّمتُ بها ملكتني. وقال قيصر ملك الروم: أنا على ردّ ما لم أقل أقدر مني على رد[٣] ما قلت. وقال ملك الهند: العجب ممن يتكلّم بكلمة إنْ هي رفعت ضرّته، وإن لم ترفع لم تنفعه.

وروي عن الربيع بن خُثيم أنه كان إذا أصبح وضع قرطاساً وقلماً؛ ولا يتكلم بشيء إلا كتبه وحفظه، ثم يحاسب نفسه عند المساء.

قال الفقيه: هكذا كان عملُ الزهاد، أنهم كانوا يتكلفون لحفظ اللسان، ويحاسبون أنفسهم في الدنيا. وهكذا ينبغي للمسلم أن يُحاسبَ نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب في الآخرة؛ لأنّ حسابَ الدُّنيا أيسرُ من حساب الآخرة، وحفظ اللسان في الدنيا أيسر من ندامة الآخرة.

= قال ابن حبان في العوام: يروي الموضوعات. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٨٥): رواه الطبراني، وفيه العوام بن جويرية وهو ضعيف، وقد أخرج له الحاكم في المستدرك، وبقية رجاله... (بياض في المجمع المطبوع). وقال ابن عدي: الأصل في هذا أنه موقوف على أنس، وقد رفعه بعضُ الضعفاء عن أبي معاوية حميد بن الربيع، وقد قال يحيى: حميد كذاب. ومن ثم أورده ابن الجوزي في الموضوع وقال: العوام يروي الموضوعات عن الثقات. (فيض القدير ١/٤٦٨) و(الموضوعات ٣/١٣٥) و(تنزيه الشريعة ٢/٣٠٣).

(١) رواه الترمذي (٢٣١٧) في الزهد، باب (١١) وقال: حديث غريب، وأحمد (١/٢٠١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٨): رواه أحمد والطبراني في الثلاثة، ورجال أحمد والكبير ثقات، وابن ماجه (٣٩٧٦) في الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة، وابن أبي الدنيا في الصمت (١٠٧).

(٢) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي، الكوفي، المقرىء، الحنّاط، واختُلِف في اسمه على عشرة أقوال. وهو ثقة عابد، إلا أنه لما كبر ساء حفظه، وكتابه صحيح. (تقريب التهذيب ٢/٣٩٩).

(٣) من (م).

ورُوي عن إبراهيم التيمي أنه قال: حدّثني مَن صحب الربيع بن خُثيم عشرين سنة، فما سمع منه كلمة يُعاقب عليها.

وقال موسى بن سعيد: لما أصيب الحسين بن علي - رضي الله تعالى عنهما -، يعني قتل، فقال رجل من أصحاب الربيع: إن تكلّم الربيع فاليوم يتكلّم، فجاء حتى فتح الباب وأخبره بأن الحسين قد قتل، فنظر إلى السماء فقال: ﴿**اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [الزمر: ٤٦] ولم يزد على ذلك شيئاً.

قال حكيم من الحكماء: ست خصال يُعرف بهنّ الجاهل:

إحداها: الغضب في غير شيء، يعني يغضب على ابن آدم وعلى الحيوان وعلى كل شيء يستقبله منه مكروه، فهذا من علامة الجهل.

والثانية: الكلام في غير نفع، فينبغي للعاقل: أن لا يتكلم بكلام لا منفعة له فيه، وهو علامة الجهل، وينبغي له أن يتكلم بكلام له فيه منفعة في أمر دنياه وآخرته.

والثالثة: العطية في غير موضع، يعني يدفع ماله إلى من لا يكون له في ذلك أجر، وهو علامة الجهل.

والرابعة: إفشاء السّر عند كل أحد.

والخامسة: الثّقة بكل إنسان.

والسادسة: أن لا يعرف صديقه من عدوه، يعني أن الرجل ينبغي له أن يعرف صديقه فيطيعه، ويعرف عدوّه فيحذره، وأول الأعداء هو الشيطان، فينبغي أن لا يطيعه فيما يأمره.

وعن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال: كلّ كلام ليس بذكر الله تعالى فهو لغو، وكلّ سكوت ليس بفكر فهو غفلة، وكلّ نظر ليس بعبرة فهو لهو، فطوبى لمن كان كلامه ذكر الله تعالى، وسكوته تفكّراً، ونظره عبرة.

وذُكِر عن الأوزاعي أنه قال: المؤمن يقلّ الكلام ويُكثر العمل، والمنافق يُكثر الكلام ويقلّ العمل.

٢٧٣ - وروي عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «خمس لا تكون في المنافق:

الفقه في الدين، والورع باللسان، والبسمة في الوجه، والنّور في القلب، والمودّة في المسلمين».

قال يحيى بن أكثم: ما صلح منطقٌ لرجل إلا عرف ذلك في سائر عمله، ولا فسد منطق رجل إلا عُرف ذلك في سائر عمله.

وذُكِر عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: يا بني من يصحب صاحبَ السّوءِ لم يسلم، ومن يدخل مدخل السوء يُتّهم، ومن لا يملك لسانه يندمْ.

٢٧٤ ـ وعن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «طُوبى لمن مَلَك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته»[٢].

قال: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده عن الحسن البصري أنه قال: كانوا يقولون: إنّ لسانَ الحكيم من وراء قلبه، فإذا أراد أن يقولَ رجع إلى قلبه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك. وإنّ الجاهل قلبه على طرف لسانه لا يرجع إلى قلبه ما أتى على لسانه تكلّم به.

٢٧٥ ـ قال: حدثني أبي ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده عن أبي ذر الغفاري أنه قال: قلتُ يا رسول الله ما كان في صحف إبراهيم؟ قال: «كان فيها أمثال وعبر: ينبغي للعاقل ما لم يكن مغلوباً في عقله أن يكونَ حافظاً للسانه، عارفاً بزمانه، مُقبلاً على شأنه، فإنّه من حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه»[٣].

٢٧٦ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر؛ بإسناده عن أبي إسحاق الهمداني، عن الحرث، عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «ينبغي للعاقل أن لا يكونَ شاخصاً إلا في ثلاث: حرمة لمعاشه، أو خلوة لمعاده، أو لذّة في غير مُحرَّم»[٤].

وقال: ينبغي للعاقل أن يكون له في النهار أربع ساعات: ساعة يناجي فيها

---

(١) في (م): يحيى بن أبي كثير.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٩٩): رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وحسّن إسناده، من حديث ثوبان. ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت (١٥) من قول عيسى عليه السلام، وكذا ابن المبارك في الزهد رقم (١٢٤). وانظر: (فيض القدير ٤/ ٢٨٢).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (٣١٣)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣١).

(٤) رواه الديلمي في الفردوس (٨٨٨٨)، والخطيب كما في كنز العمال (٤٣٤٠٨).

ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يأتي فيها أهل العلم الذين يبصرونه بأمر دينه ودنياه وينصحونه، وساعة يخلي بين نفسه ولذاتها فيما يحلّ.

وقال: ينبغي للعاقل أن ينظرَ في شأنه، ويعرفَ أهل زمانه، ويحفظ فرجه ولسانه.

قال الفقيه: ذُكِر أنّ هذه الكلمات مكتوبةٌ في حكمة آل داود.

وروي عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن لقمان الحكيم دَخَلَ على داود النبي ـ ﷺ ـ وكان داود يسردُ الدرع، فجعل يتعجّب ممّا يرى، فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته، فأمسك نفسه ولم يسأله، فلما فرغ قام داود ـ عليه السلام ـ فلبس الدرع، ثم قال: نِعْم الدّرعُ للحرب، ونعم عامله. فقال لقمان: الصمت حكم وقليل فاعله. قال القائل[1]:

العلم زينٌ والسكوتُ سلامةٌ ... فإذا نطقتَ فلا تكنْ مكثارا
ما إن ندمتُ على سكوتي مرةً ... فلقد ندمتُ على الكلامِ مرارا

وقال بعضهم:

يموتُ الفتى مِن عثرةٍ بلسانه ... وليس يموتُ المرءُ من عثرة الرِّجْلِ
فعثرتُه بالفم ترمي برأسه ... وعثرتُه بالرِّجل تبرا على مهلِ

وقال بعض الحكماء: في الصمت سبعة آلاف خير، وقد اجتمع ذلك كلّه في سبع كلمات، في كل كلمة منها ألف:

أولها: أنّ الصَّمتَ عبادةٌ من غير عناء.

والثانية: زينة من غير حلي.

والثالثة: هيبة من غير سلطان.

والرابعة: حصن من غير حائط.

والخامسة: الاستغناء عن الاعتذار إلى أحد.

والسادسة: راحة الكرام الكاتبين.

والسابعة: ستر لعيوبه. ويقال: الصمت زين للعالم وستر للجاهل.

قال بعض الحكماء: إنّ جسد ابن آدم ثلاثة أجزاء: فجزء منه قلبه، والثاني

---

(١) في (م): بعضهم.

لسانه، والثالث الجوارح. وقد أكرم الله تعالى كلّ جزء بكرامة، فأكرم القلب بمعرفته وتوحيده، وأكرم اللسان بشهادة أن لا إله إلا الله وتلاوة كتابه، وأكرم الجوارح بالصلاة والصوم وسائر الطاعات، ووكّل على كل جزء رقيباً وحفيظاً، فتولى حفظ القلب بنفسه، فلا يعلم ما في ضمير العبد إلا الله. ووكل على لسانه الحفظة، قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، وسلط على الجوارح الأمر والنهي.

ثم إنّه يريدُ من كلّ جزء وفاء، فوفاء القلب أن يثبتَ على الإيمان وأن لا يحسد ولا يخون ولا يمكر، ووفاء اللسان أن لا يغتابَ ولا يكذب ولا يتكلّم بما لا يعنيه، ووفاء الجوارح أن لا يعصي الله تعالى ولا يؤذي أحداً من المسلمين. فمن وَقَع من القلب فهو منافق. ومن وقع من اللسان فهو كافر. ومن وقع من الجوارح فهو عاص.

وعن الحسن قال: نظر عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ إلى شاب فقال: يا شاب إن وقيتَ شرّ ثلاثة فقد وقيتَ شرّ الشباب: إن وقيتَ شر لقلقك وذبذبك وقَبقبك(١).

وذُكِر أن لقمان الحكيم كان عبداً حبشياً، فأوّل ما ظهر من حكمته أنه قال له مولاه: يا غلام اذبحْ لنا هذه الشاة، وآتني بأطيب مضغتين فيها، فجاءه بالقلب واللسان. ثم قال له مرة أخرى: اذبح لنا هذه الشاة وأتني بأخبث مضغتين فيها فأتاه باللسان والقلب. فسأله عن ذلك فقال: ليس في الجسد مضغتان أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا.

٢٧٧ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه لما بعث معاذاً إلى اليمن فقال: يا نبي الله أوصني، فأشار إلى لسانه، يعني: عليك بحفظ اللسان، فكأنه تهاون به، فقال: يا نبي الله أوصني قال: «ثكلتك أمك، وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائدُ ألسنتهم»(٢).

---

(١) أي شرّ لسانك وفرجك وبطنك.

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي (٢٦١٦) في الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٩٧٣) في الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة، وأحمد (٥/ ٢٣١، ٢٢٦، ٢٣٧).

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: مَن كثر كلامُه كثر سقطُه، ومَن كثر ماله كثر إثمه، ومَن ساء خُلُقُه عذَّب نفسه.

وروي عن سفيان الثوري أنه قال: لأن أرمي رجلاً بسهم أحبّ إلي من أن أرميه بلساني، لأنَّ رميَ اللسان لا يخطىء، ورمي السهم قد يخطىء.

٢٧٨ ـ وروي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إذا أصبح[1] ابن آدم سألت الأعضاءُ كلُّها اللسانَ وقلن: يا لسان، ننشدك الله أن تستقيم فإنه إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا[2].

وروي عن أبي ذرّ الغفاري ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قام عند الكعبة، فقال: ألَا مَن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا جُنْدُب بن جنادة الغِفاري أبو ذرّ، هلمّوا إلى أخ ناصح شفيق عليكم. فاجتمع الناس حوله فقال: يا أيها الناس مَن أراد منكم سفراً من أسفار الدنيا لا يفعلُ ذلك إلا بزاد، فكيف من يريدُ سفرَ الآخرة بلا زاد؟ قالوا: وما زادُنا يا أبا ذرّ؟ قال: صلاة ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور، وصوم في يوم حرّ شديد ليوم النشور، وصدقة على المساكين ليوم ينقر في الناقور؛ لعلكم تنجون من عذاب يوم عسير، وحجّ لعظائم الأمور.

واجعلوا الدنيا مجلسين: مجلساً في طلب الدنيا، ومجلساً في طلب الآخرة، والثالث يضر ولا ينفع.

واجعلوا الكلام كلمتين: كلمة نافعة في أمر دنياكم، وكلمة باقية في أمر آخرتكم، والثالث يضرّ ولا ينفع.

واجعلوا المال درهمين: درهماً أنفقه على عيالك، ودرهماً قدّمه لنفسك، والثالث يضر ولا ينفع.

ثم قال: أوه! قتلني همّ يوم لا أدركه، قيل: وما ذاك؟ قال: إنّ أملي قد جاوز أجلي.

---

(١) في الأصل والمطبوع: اعوج!.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٠٧) في الزهد، باب: ما جاء في حفظ اللسان، وأحمد (٣/٩٥ ـ ٩٦)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٣٠٩) وقال: غريب، وابن أبي الدنيا في الصمت (١٢). وقال المناوي: إسناد الرفع جيد، لكن الموقوف أجود. (فيض القدير ١/٢٨٧).

وذكر عن عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فتقسو قلوبكم، والقلب القاسي بعيد من الله، ولكن لا تعلمون.

وأيضاً عنه: لا تنظروا في ذنوب النّاس كالأرباب، ولكن انظروا إلى ذنوبكم كالعبيد، فإنما النّاس بين مُعافى ومُبتلى، فاحمدوا الله على العافية، وارحموا المبتلى.

وقال لبعض أصحابه: إذا رأيت قساوةً في قلبك، ووهناً في بدنك، وحرماناً في رزقك، فاعلم بأنك قد تكلمت بما لا يعنيك.

* * *

باب الحرص وطول الأمل

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا محمد بن الفضيل الضبي، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد، أن أبا الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: ما لي أرى علماءكم يذهبون، وأنّ جهالكم لا يتعلمون، تعلّموا قبل أن يرفع العلم، فإنّ رفعَ العلم ذهاب العلماء. ما لي أراكم تحرصون على ما تكفّل الله لكم به، وتضيعون ما وكلتم إليه، لأنا أعلمُ بشراركم من البيطار في الخيل: هم الذين لا يؤدون الزكاة إلا ديناً، ولا يأتون الصلاة إلا دُبُراً، ولا يسمعون القرآن إلا هجراً، ولا يعتقون محرّريهم[1].

قال الفقيه: الحرص على وجهين: حرص مذموم، وحرص غير مذموم وتركه أفضل؛ فأما الحرص الذي هو مذموم: فهو أن يشغلَه عن أداء أوامر الله تعالى، أو يريد جمعَ المال للتكاثر والتفاخر.

وأما الذي هو غير مذموم: فهو أن لا يترك من اللوازم من أوامر الله تعالى لأجل جمع المال، ولا يريد به التفاخر، فهذا غير مذموم؛ لأن أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ كان بعضهم يجمع المال، ولم ينكر عليهم رسول الله ـ ﷺ ـ ولكن لو تركه كان أفضل؛ لأنه بيّن أن تركه أفضل.

وقد بيّن أبو الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ في هذا الخبر أنّ الحرصَ مذمومٌ إذا ضيع أوامر الله تعالى، لأنه قال: «وتحرصون على ما تكفّل الله لكم به»، يعني أرزاقكم، فتحرصون على طلبها، وتضيعون ما وكلتم إليه، يعني أمر الطاعة. قوله:

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٩٦).

«ولا يعتقون محرريهم»؛ يعني لحرصهم يستعملون الأحرار كما يستعملون العبيد.

قال: حدثنا أبو الحسين أحمد بن حمدان، حدثنا الحسين بن علي الطوسي، حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا محمد بن بشر، عن إسماعيل بن أبي[1] خالد، عن أخيه، عن مصعب بن سعد؛ أنّ حفصة بنت عمر قالت لأبيها: إن الله قد أكثر لك من الخير، ووسّع لك في الرزق، فلو أكلت طعاماً أطيب من طعامك؟ ولبست ثوباً ألين من ثوبك. قال: سأحاكمك إلى نفسك، ولم يزل يذكرها ما كان فيه رسول الله - ﷺ - وكانت [رقية بنت علي][2] معه حتى أبكاهما. ثم قال: إنه كان لي صاحبان سلكا طريقاً، فإن سلكت طريقاً غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما، وإني والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلي أدرك معهما العيش الرخي[3].

٢٧٩ - قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا محمد بن الفضيل الضبي، عن مجاهد، عن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق، قال: قلتُ لعائشة - رضي الله تعالى عنها -: يا أماه، ما أكثر ما كان يقول رسول الله - ﷺ - إذا دخل البيت؟ قالت: أكثر ما سمعته يقول إذا دخل البيت: «لو أنّ لابن آدم واديين من ذهب لتمنى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب، وإنما جعل الله تعالى هذا المال لِتُقام به الصلاة وتُؤتى به الزكاة»[4].

٢٨٠ - وروي عن قتادة، عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «يهرم من ابن آدم كلّ شيء إلا اثنين: الحرص والأمل»[5].

وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - أنه قال:

---

(١) من (م). (٢) من (م).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٤٨)، وأحمد في الزهد رقم (٦٥٨)، وابن المبارك في الزهد والرقائق رقم (٥٧٤).

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٢٨٠) من حديث عائشة، ورواه البخاري (٦٤٣٦) في الرقاق، باب: ما يُتقى من فتنة المال، ومسلم (١٠٤٩) في الزكاة، باب (٣٩) من حديث ابن عباس.

(٥) رواه مسلم (١٠٤٧) في الزكاة، باب: كراهة الحرص على الدنيا، والترمذي (٢٤٥٥) في صفة القيامة، باب (٢٢)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢٣٤) في الزهد، باب: الأمل والأجل، وأحمد (٣/١٩٢، ٢٥٦). ورواه البخاري (٦٤٢١) في الرقاق، باب (٥) عن أنس أيضاً من طريق آخر.

أخـوفُ ما أخـاف عليكم ثنتان: طـول الأمل، واتبـاع الهوى. وإنّ طـول الأمـل ينسي الآخرة، واتباع الهوى يصدّ عن الحق.

٢٨١ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «أنا زعيم لثـلاثة بثـلاثة: للمكبّ على الدنيا، والحريص عليها، والشحيح بها؛ بفقر لا غنى بعده، وشغل لا فراغَ منه، وهمّ لا فرح معه».

وروي عن أبي الـدرداء ـ رضي الله تعالى عنـه ـ أنه أشـرف على أهل حمص، فقال: ألا تستحون، تبنـون ما لا تسكنـون، وتأملون مـا لا تدركـون، وتجمعون مـا لا تأكلون، إن الذين كانوا قبلكم بنوا شديـداً، وجمعوا كثيـراً، وأمّلوا بعيداً، فـأصبحت مساكنهم قبوراً، وآمالهم غروراً، وجمعهم بوراً[1].

وروي عن علي بن أبي طـالب ـ رضي الله تعـالى عنـه ـ أنـه قـال لعمـر بن الخـطاب ـ رضي الله تعالى عنـه ـ: إذا أردت أن تلقىٰ صاحبيـك؛ فارقـع قميصـك، واخصف نعليك[2]، وأقصر أملك، وكُلْ دون الشبع.

وروي عن أبي عثمان النهدي[3] أنه قال: رأيتُ على عمر قميصاً فيه اثنتا عشـرة رقعةً، وهو على المنبر يخطب.

وروي عن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنه دخـل السوق، وعليـه ثياب غليظة غير مغسولة، فقيل: يا أمير المؤمنين؛ لو لبستَ ألين من هذا. قال: هذا أخشع للقلب، وأشبه بشعار الصالحين، وأحسن للمؤمن أن يُقتدى به.

وروي عن أبي ذر ـ رضي الله تعـالى عنه ـ أنـه قـال: إنِّي لأعـرفُ بـالنـاس من البيطار بالدواب، أما خيارهم فالزّاهدون، وأمـا شِرارهم فمن أخـذ من الدنيـا فوق مـا يكفيه.

وقـال بعض الحكماء: أمهـاتُ الخطايـا ثـلاثـة أشيـاء: الحسـد، والحـرص، والكبر. أما الكبر فكان أصله من إبليس حين تكبّر وأبى أن يسجد فلُعن. وأما الحرص فكـان أصله من آدم ـ عليه السـلام ـ حيث قيـل لـه: الجنـة كلهـا مبـاح لـك إلا هـذه

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٧٣٩ و١٠٧٤٠)، وفيه أنَّ الخِطابَ لأهل دمشق.
(٢) «اخصف نعليك»: اخرزهما بالمِخْرز.
(٣) هو عبدالرحمٰن بن ملّ: مخضرم، ثقة، ثبت، عابد. (تقريب التهذيب ١/ ٤٩٩).

الشجرة، فحمله الحرص على أكلها حتى سقط منها. والحسد أصله من قابيل بن آدم حين قتل أخاه هابيل، فصار كافراً ومأواه النار أبداً.

وذُكِر في الخبر أن آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أوصى ابنه شيثاً ـ عليه الصلاة والسلام ـ بخمسة أشياء، وأمره أن يوصي بها أولاده من بعده:

أولها: قال له: قُل لأولادك: لا تطمئنوا بالدنيا، فإنّي اطمأننتُ بالجنة الباقية، فلم يرضَ الله مني، وأخرجني منها.

والثاني: قل لهم: لا تعملوا بهوى نسائكم، فإنّي عملتُ بهوى امرأتي، وأكلتُ من الشجرة فلحقتني الندامة.

والثالث: قُل لهم: كلّ عمل تريدونه فانظروا عاقبته، فإني لو نظرتُ عاقبة الأمر لم يصبني ما أصابني.

والرابع: إذا اضطربت قلوبُكم بشيء فاجتنبوه، فإنّي حين أكلتُ من الشجرة اضطرب قلبي، فلم أرجعْ، فلحقني الندم.

والخامس: استشيروا في الأمور، فإني لو شاورتُ الملائكة لم يصبني ما أصابني.

ورُوي عن شقيق البلخي ـ رحمه الله ـ أنه قال: أخرجت من علمي أربعة آلاف حديث، وأخرجتُ أربعمئة من أربعة آلاف، وأخرجتُ من الأربعمئة أربعين، وأخرجتُ من الأربعين حديثاً أربعة أحاديث:

أولها: ٢٨١/م «لا تعقدْ قلبَك مع المرأة، فإنّها اليوم لك، وغداً لغيرك، فإن أطعتها أدخلتك النار».

والثاني: «لا تعقد قلبك مع المال، فإنّ المالَ عارية، اليوم لك، وغداً لغيرك، فلا تتعبْ نفسك بما لغيرك، فإن المهنأ لغيرك والوزر عليك، وإنّك إذا عقدت قلبك بالمال منعته من حقّ الله تعالى، ودخل فيك خشية الفقر، وأطعت الشيطان».

والثالث: «اتركْ ما حاكَ في صدرك، فإنّ قلبَ المؤمن بمنزلة الشاهد، يضطرب عند الشبهة، ويهرب من الحرام، ويسكن عند الحلال».

والرابع: «لا تعملْ شيئاً حتى تَحكمَ الإجابة».

٢٨٢ ـ وروى مجاهد، عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «كُنْ في الدنيا كأنّك غريبٌ، أو عابر سبيل، وعدّ نفسَك مِن أهل القبور»[(١)].

وقال مجاهد: قال لي عبدُالله بن عمر: إذا أصبحتَ فلا تحدِّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيتَ فلا تحدِّث نفسَك بالصباح، وخُذْ من حياتك قبل موتك، ومن صحتك قبل سقمك؛ فإنك لا تدري ما اسمك غداً.

قال الفقيه: مَن قصر أمله أكرمه اللَّهُ تعالى بأربع كرامات:

إحداها: أن يقوّيه على طاعته؛ لأنّ العبدَ إذا علم أنه يموتُ عن قريب، لا يهتمّ بما يستقبله من المكروه، ويجتهد في الطاعات، فيكثر عمله.

والثانية: يقلّ همومه؛ لأنه إذا علم أنه يموتُ عن قريب، لا يهتمّ بما يستقبله من المكروه.

والثالثة: يجعله راضياً بالقليل؛ لأنه إذا علمَ أنه يموتُ عن قريب، فإنه لا يطلبُ الكثرة، وإنما يكون همّه همّ آخرته.

والرابعة: أن ينوّر قلبه؛ لأنه يقال: نورُ القلب من أربعة أشياء: أولها بطن جائع. والثاني: صاحب صالح. والثالث: حِفْظ الذنب القديم. والرابع: قصر الأمل.

فإن من طال أملُه عاقبه اللَّهُ تعالى بأربعة أشياء: أولها: أن يتكاسل عن الطاعات. والثاني: أن تكثر همومه في الدنيا. والثالث: أن يصيرَ حريصاً على جمع المال. والرابع: أن يقسو قلبه.

لأنه يقال: قسوة القلب من أربعة أشياء: أولها: بطن ممتلىء. والثاني: صحبة صاحب السوء، والثالث: نسيان الذّنب الماضي. والرابع: طول الأمل.

فينبغي للمسلم أن يقصر أمله، فإنه لا يدري في أيّ نَفَسٍ يموت، وفي أيّ قدم يموت. قال تعالى: ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾ [لقمان: ٣٤]. قال بعضُ المفسرين: بأي قدم يموت.

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦) في الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب»، وأحمد في المسند (٢/٢٤)، وفي الزهد (٤٢)، وابن المبارك في الزهد والرقائق رقم (١٣).

وفي آية أخرى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

فينبغي للمسلم أن يكثرَ ذِكْر الموت، فإنه لا غنيةَ للمؤمن من ست خصال:

أولاها: علم يدلّه على الآخرة.

والثانية: رفيق يعينه على طاعة الله تعالى، ويمنعه عن معصيته.

والثالثة: معرفة عدوّه والحذر منه.

والرابعة: عبرة يعتبرُ بها في آيات الله تعالى، وفي اختلاف الليل والنهار.

والخامسة: إنصاف الخلق؛ كيلا يكونوا له يوم القيامة خصماء.

والسادسة: الاستعداد للموت قبل نزوله؛ لكيلا يكون مفتضحاً يوم القيامة.

٢٨٣ ـ قال: وحدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن الحسن البصري أن النبي ـ ﷺ ـ قال لأصحابه: «أيريد كلّكم أن يدخلَ الجنة؟» قالوا: نعم، جعلنا الله تعالى فداءك يا رسول الله. قال: «قصّروا الأمل، واستحوا من الله حق الحياء». قالوا: يا رسول الله كلّنا نستحي من الله تعالى. قال: «ليس ذلك بالحياء، ولكن الحياء من الله تعالى: أن تذكروا المقابر والبلى، وتحفظوا الجوف وما وعى، والرأس وما حوى»[(١)].

ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا، فهنالك يستحي العبد من الله تعالى حق الحياء، وبها يصيب ولاية الله تعالى.

٢٨٤ ـ وروى حميد الطويل عن مورق العجلي قال: قرأ رسول الله ـ ﷺ ـ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١ ـ ٢] فقال: «يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيت، أو لبستَ فأبليت، أو تصدَّقتَ فأبقيت»[(٢)].

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: مكتوبٌ في التوراة خمسة أحرف:

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٨) في صفة القيامة، باب (٢٤)، وقال: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني عن عبدالله بن مسعود، مرفوعاً. وذكره المنذري في ترغيبه (٤/٢٤٠).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٨) في الزهد والرقائق، والترمذي (٢٣٤٢) في الزهد، باب (٣١)، وقال: حسن صحيح، وابن المبارك في الزهد (٤٩٧)، وأحمد في المسند (٤/٢٤، ٢٦) وأبو نعيم في الحلية (٢/٢١١ و٦/٢٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٦١) من حديث عبدالله بن الشخير.

الغنية في القناعة، والسلامة في العزلة، والحرية في رَفْض الشهوات، والمحبة في ترك الرغبة، والتمتّع في أيام طويلة بالصّبر في أيام قليلة.

٢٨٥ ـ وروي عن عروة بن الزبير، عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «يا عائشة، إن أردتِ اللحوقَ بي، فليكفك من الدّنيا كزاد الراكب، وإيّاكِ ومجالسةَ الأغنياء، ولا تستخلفي ثوباً حتى تُرَقّعيه»[١].

٢٨٦ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «اللهم مَن أحبّني فارزقه العفافَ والكفافَ، ومَن أبغضني فأكثِرْ ماله وولده»[٢].

٢٨٧ ـ قال: وحدثني الفقيه بإسناده عن الحسين بن علي قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الرغبةُ في الدنيا تكثر الهمّ والحزن، والزُّهد في الدنيا يريحُ القلب والبدن، وما الفقرَ أخافُ عليكم، ولكنني أخافُ عليكم الغنى أن تبسطَ لكم الدنيا كما بُسِطَتْ لمن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوا، فتهلككم كما أهلكتهم»[٣].

٢٨٨ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «صلاحُ أوّل هذه الأمة بالزهد واليقين، وهلاكُ آخر هذه الأمة بالبخل والأمل»[٤].

* * *

---

(١) رواه الترمذي (١٧٨٠) في اللباس، باب: ما جاء في ترقيع الثوب، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح بن حسان، قال: وسمعت محمداً يقول: صالح بن حسان مُنْكَرُ الحديث. ورواه أيضاً الحاكم (٤/٣١٢) وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: الوراق عدم. وهو سعيد بن محمد. وانظر: الترغيب والترهيب للمنذري (٤/١٦٥ ـ ١٦٦).

(٢) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢٣٢٢ و٢٣٢٣).

(٣) روى البخاري قوله: «ما الفقر...» برقم (٦٤٢٥) في الرقاق، باب: ما يُحذَّرُ من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ومسلم (٢٩٦١) في الزهد والرقائق. وروى أحمد أوله في الزهد رقم (٥٠) من حديث أبي هريرة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٨٦): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أشعث بن نزار، ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

(٤) رواه أحمد في الزهد برقم (٥١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٥٥): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عصمة بن المتوكل، وقد ضعفه غير واحد، ووثقه ابن حبان. ورواه ابن أبي الدنيا كما في (فتح الباري ١١/٢٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٨٤٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٧/١٨٦)، وانظر: الترغيب والترهيب للمنذري (٤/١٦٠ و٢٤١).

باب فضائل[1] الفقراء

٢٨٩ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا أبي ـ رحمه الله ـ، حدثنا أبو الحسين أحمد بن الفراء الفقيه السمرقندي، حدثنا أبو بكر الجوزجاني، حدثنا أحمد بن عبدالله، عن سلم بن سالم، عن خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: بعث الفقراء إلى رسول الله ـ ﷺ ـ رسولاً، فقال: يا رسول الله، إني رسول الفقراء إليك، فقال: «مرحباً بك، وبمن جئتَ من عندهم. جئتَ من عند قوم أحبهم الله».

قال: يا رسول الله، يقول الفقراء: إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله. هم يحجون ولا نقدر عليه، ويتصدقون[2] ولا نقدر عليه، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخراً.

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «بلّغ عني الفقراء أن من صبر منكم، واحتسب، فله ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء.

أما الخصلة الواحدة: أنّ في الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهلُ الدنيا إلى النجوم، لا يدخلها إلا نبي فقير، أو شهيد فقير، أو مؤمن فقير.

والثانية: يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو مقدار خمسمئة عام، يتمتعون فيها حيث شاؤوا. ويدخل سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ الجنة بعد دخول الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بأربعين عاماً بسبب الملك الذي أعطاه الله.

والخصلة الثالثة: إذا قال الفقير: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله،

---

(١) في الأصل: فضل. (٢) في (م): ويعتقون.

والله أكبر مخلصاً، ويقول الغني مثل ذلك مخلصاً، لم يلحق الغني الفقير، وإن أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم. وكذلك أعمال البر كله. فرجع إليهم الرسول فأخبرهم بذلك فقالوا: رضينا يا رب، رضينا يا رب»[1].

٢٩٠ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثني يحيى بن سليمان، عن عمران بن مسلم قال: بلغني أن أبا ذَرّ قال:

«أوصاني خليلي ـ ﷺ ـ بسبع لم أتركهن، ولا أتركهن، أوصاني: بحب المساكين، والدّنو منهم، وأن أنظرَ إلى مَن هو أسفل مني ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأن أصلَ رحمي وإن أدبرتْ وقطعتْ، وإن أستكثرَ مِن قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنّها مِن كنوز الجنة، وأن لا أسألَ الناس شيئاً، وأن لا أخافَ في الله لومةَ لائم، وأن أقولَ الحقَ وإن كان مرّاً»[2].

وكان أبو ذرّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ إذا سقط من يده سوطه يكره أن يقولَ لأحدٍ ناولنيه.

وبهذا الإسناد قال: حدثنا إبراهيم، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن خيثمة قال: تقول الملائكة: يا رب، عبدك الكافر بسطتَ له في الدنيا، وتزوي عنه البلاء، فيقول للملائكة: اكشفوا عن عقابه، فإذا رأوه قالوا: يا رب، لا ينفعه ما أصابَ مِنَ الدُّنيا. وتقول: يا رب، عبدك المؤمن، تزوي عنه الدنيا، وتعرضه للبلاء، فيقول للملائكة: اكشفوا عن ثوابه، فإذا رأوه، قالوا: يا رب، ما يضرّه ما أصابه من الدنيا.

٢٩١ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن أبي ذرّ الغِفاري أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «المكثرون هم الأسفلون؛ إلا من قال بالمال هكذا وهكذا ـ أربع مرات ـ وقليلٌ ما هم»[3].

---

(١) في إسناده: خارجه بن مصعب: متروك كذّاب. (ميزان الاعتدال ١/٦٢٥) و(تقريب التهذيب ١/٢١٠ و٢١١). وزيد بن أسلم: ثقة عالم، وكان يرسل. (التقريب ١/٢٧٢).

(٢) رواه أحمد (١٧٣/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣/٣): رواه الطبراني في الكبير والصغير بنحوه، وأظنه رواه أحمد، ورجاله ثقات؛ إلا أن الشعبي لم أجدْ له سماعاً من أبي ذرّ.

(٣) رواه ابن ماجه (٤١٣٠) في الزهد، باب: في المكثرين، وفي الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، وأحمد (٣٤٠/٢، ٤٢٨ و١٥٧/٥).

قال الفقيه: معنى قول النبي ـ ﷺ ـ: «المكثرون هم الأسفلون» يعني إذا كان الغني من أهل الجنة فهو أسفل درجة من الفقير، وإن كان من أهل النار فهو في الدرك الأسفل من النار. «إلا من قال بالمال هكذا وهكذا»، يعني يتصدق عن يمينه ويساره ومن خلفه، ومن بين يديه. «وقليل ما هم» يعني قلّما يوجد مثل هذا في الأغنياء؛ لأنّ الشيطانَ يزيّن لهم أموالهم في الدنيا.

٢٩٢ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ الشيطانَ يقول: لن ينجوَ الغني من إحدى ثلاث: إما أن أزيّنه في عينه فيمنعه من حقّه، وإما أن أسهّل عليه سبيله فينفقه في غير حقّه، وإما أن أحبّبه في قلبه فيكسبه بغير حقه».

وروي عن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: بُعث النبي ـ ﷺ ـ وأنا تاجر، فأردتُ أن تجتمعَ لي التجارةُ مع العبادة، فلم تجتمعا، فرفضتُ التجارة، وأقبلتُ على العبادة، فوالذي نفسي بيده؛ما أحبّ أن لي حانوتاً على باب المسجد، لا تخطئني فيه صلاةٌ، فأربح كلّ يوم أربعين ديناراً، فأتصدّق بها في سبيل الله. قيل: يا أبا الدّرداء ما تكره ذلك؟ قال: لسوء الحساب.

٢٩٣ ـ وروي عن أبي هُرَيْرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «اللَّهم مَن أحبّني فارزقه العفافَ والكَفافَ، ومن أبغضني فأكثر ماله وولده»[1].

٢٩٤ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «الفقر مشقّة في الدنيا مسرّة في الآخرة، والغنى مسرّة في الدنيا مشقّة في الآخرة»[2].

٢٩٥ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ لكل أحدٍ حرفة، وحرفتي اثنتان: الفقر والجهاد، فمن أحبّهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»[3].

قال الفقيه: ينبغي للمسلم أن يحب الفقر، ويحبّ الفقراء وإن كان غنياً؛ لأنّ في حبّ الفقراء حبّ الرسول ـ ﷺ ـ وقد أمر الله تعالى رسوله بحبّ الفقراء، والدنوّ منهم، وهو قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**

---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٨٦).

(٢) رواه أحمد (٥/٣٤٢)، والحاكم (٤/٣١٠) وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٤٩): رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٣٣٦).

(٣) رواه الديلمي في الفردوس (٥٠٢١).

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] الآية، يعني احبس نفسك مع الفقراء الذين حبسوا أنفسهم للعبادة.

وكان سببُ نزول هذه الآية: أنّ عُيينة بن حصن الفزاري ـ وكان رئيس قومه ـ دخل على رسول الله ـ ﷺ ـ وعنده سلمان الفارسي، وصهيب بن سنان الرومي، وبلال بن حمامة الحبشي وغيرهم من ضعفاء الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ وعليهم ثياب خلق، قد عرقوا فيها. فقال عيينة: إنّ لنا شرفاً، فإذا دخلنا عليك فأخرج هؤلاء، فإنهم يؤذوننا بريحهم، أو اجعل لنا مجلساً، فنهاه الله تعالى عن إخراجهم، فقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يعني يصلون الصلوات الخمس ويطلبون رضاه، ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني لا تتجاوزهم، ولا تحتقرهم طلب زينة الحياة الدنيا.

وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ يعني لا تطعْ مَن أعرضنا قلبه عن ذكرنا، عن القرآن، واتّبع هواه يعني اتبع هوى نفسه في بغض الفقراء ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] يعني أمره كان ضائعاً باطلاً.

فقد أمر الله تعالى نبيّه ـ ﷺ ـ بمجالسة الفقراء، والقرب منهم، وهذا الأمر لجميع الفقراء المسلمين إلى يوم القيامة. فينبغي للمسلم أن يحبّ الفقراء، ويبرهم، ويتّخذ عندهم الأيادي، فإنهم قوّاد الله يوم القيامة، وتُرجى شفاعتهم.

٢٩٦ ـ وروى الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيعتذر اللّهُ تعالى إليه، كما يعتذرُ الرجلُ إلى الرجل في الدنيا، فيقول جلّ سلطانه، وعظم شأنه: وعزتي وجلالي ما زويتُ الدُّنيا عنك لهوانك عليّ، ولكن لما أعددتُ لك من الكرامة والفضيلة، اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف، وانظر[1] مَن أطعمك فيّ، أو كساك فيّ، يريد بذلك وجهي، فخذ بيده فهو لك، والناسُ يومئذ قد ألجمهم العرق، فيتخلّل الصفوف وينظر من فعل ذلك به، فيأخذ بيده، فيدخله الجنة»[2].

٢٩٧ ـ وروى الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أكثروا

(١) من (م) و(ط).
(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٤/٣٣٢) بنحوه، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج رقم (١٩)، وانظر: إتحاف السادة (٩/٢٧٩).

معرفةَ الفقراء، واتّخذوا عندهم الأيادي، فإنّ لهم دولة» قالوا: يا رسول الله، وما دولتهم؟ قال: «إذا كان يوم القيامة، قيل: انظروا مَن أطعمكم كسرة، وسقاكم شربةً، وكساكم ثوباً، فخذوا بيده، ثم امضُوا به إلى الجنة»[1].

قال الفقيه: اعلمْ أنّ للفقير خمس كرامات:

إحداها: أنّ ثوابَ عمله أكثر من ثواب عمل الغني في الصلاة والصدقة وغير ذلك.

والثانية: أنه إذا اشتهى شيئاً، ولم يجده، يكتبُ له الأجر.

والثالثة: أنهم سابقون إلى الجنة.

والرابعة: أنّ حسابهم في الآخرة أقلّ.

والخامسة: أنّ ندامتهم أقلّ؛ لأنّ الأغنياءَ يتمنون في الآخرة أن لو كانوا فقراء، ولا يتمنّى الفقراء أن لو كان أغنياء، وفي كلّ هذا قد جاءتِ الآثارُ.

٢٩٨ ـ وروى زيد بن أسلم ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «درهمٌ مِن الصدقة أفضلُ من مئة ألف» قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «أخرج رجلُ من عرض ماله مئة ألف، وتصدّق بها، وأخرج رجل درهماً من درهمين لم يملك غيرهما، طيبة عن نفسه، فصار صاحبُ الدرهم أفضل من صاحب المئة ألف»[2].

٢٩٩ ـ وروى الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه سأله بعض أصحابه: إذا رأينا أشياءَ نشتهيها لا نقدرُ عليها، فهل لنا فيها أجرٌ؟ قال: «فَبِمَ تُؤجرون إن لم تُؤْجَرُوا فيها؟!»[3].

وقال الضحاك: مَن دخل السُّوقَ، فرأى شيئاً يشتهيه، فصبر، فاحتسب، كان خيراً له من مئة ألف دينار ينفقها كلّها في سبيل الله تعالى.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: والدليلُ على فضل الفقراء قوله تعالى:

---

(١) رواه النرسي في «قضاء الحوائج» بسندٍ فيه غير واحد من المجهولين، عن أبي عبدالرحمٰن السُّلمي التابعي، رفعه مرسلاً. (كشف الخفاء ١/٣٧) ثم ذكره بسند رواه عن ميمون بن مهران عن ابن عباس. وقال: وكل هذا باطل. وانظر: الفردوس للديلمي (٢٦١)، و(فيض القدير ١/١١٣)، وأسنى المطالب (٤١).

(٢) رواه النسائي (٥/٥٩) من حديث أبي هريرة، وابن حبان (٥/١٤٤)، والحاكم (١/٤١٦) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) مرسل من حديث الحسن، وهو كثير التدليس، (ميزان الاعتدال ١/٥٢٧).

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُم تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦] يعني أقيموا الصلاة إليّ، وأدّوا الزكاة إلى الفقراء، فَقَرَنَ حقّ الفقراء بحقّ نفسه.

ويقال: الفقيرُ طبيبُ الغني، وقَصَّاره، ورسوله، وحارسه، وشفيعه. وإنما طبيبه؛ لأنَّ الغني إذا مرضَ يتصدّق على الفقراء، فيبرأ من مرضه.

وإنما هو قصّاره؛ لأنّ الغني إذا تصدّق عليه، يدعو له الفقير، فيطهر الغني من ذنوبه، ويطهر ماله.

وإنما قيل هو رسوله؛ لأنّ الغني إذا تصدّق عن والديه، أو عن أحدٍ من أقربائه، فيصلُ ذلك إلى الموتى، فصار الفقيرُ رسوله إلى الموتى[1]. وإنما قيل هو حارسه؛ لأن الغني إذا تصدق، فدعا له الفقير، تحصّن مال الغني بدعاء الفقير.

٣٠٠ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أَلَا أخبركم عن ملوك الجنة؟» فقالوا: نعم. قال: «هم الضعفاءُ المظلومون الذين لا يزوّجون المتنعّمات، ولا تفتح لهم أبواب السُّدُد، يموت أحدهم وحاجته تتلجلجُ في صدره، ولو أقسم على الله لأبره»[2].

وقال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ملعونٌ من أكرم بالغِنىٰ، وأهان بالفَقْر.

وعن أبي الدرداء: ما أَنْصَفْنَا إخواننا الأغنياء؛ لأنّهم يأكلون ونحن نأكل، ويشربون ونحن نشرب، ويلبسون ونحن نلبس، ولهم فضولُ أموالهم ينظرون إليها، ونحن ننظرُ إليها معهم، وهم يحاسبون ونحن براء منها.

وعن شقيق الزاهد، أنه قال: اختار الفقراءُ ثلاثة أشياء، والأغنياء ثلاثة أشياء؛ اختار الفقراء: راحة النفس، وفراغ القلب، وخفّة الحساب، واختار الأغنياء: تعب النفس، وشغل القلب، وشدّة الحساب.

ورُوي عن حاتم الزاهد أنه قال: مَن ادّعى أربعاً من غير أربع، فهو مُكَذِّبٌ: مَن ادّعى حبّ مولاه من غير ورع عن محارمه، ومن ادّعى حبّ الجنة من غير إنفاق ماله في طاعة الله تعالى، ومن ادّعى حبّ رسول الله ـ ﷺ ـ من غير اتباع سنته، ومَن

(١) من (م) و(ط).

(٢) ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٤ و٢٦٥ و٢٦٦) عدة روايات لهذا الحديث، وعزاها لأحمد والطبراني.

ادّعى حبّ الدّرجات من غير صُحبة الفقراء والمساكين.

وقال بعض الحكماء: أربع مَن كُنّ فيه فهو محرومٌ مِنَ الخير كله؛ المتطاول على مَن تحته، والعاق لوالديه، ومن يحقر الفقير، ومن يعيّر المساكين لمسكنتهم.

٣٠١ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما أوحى الله تعالى إليّ أن أجمعَ المال، وأكون من التاجرين، ولكنْ أوحى إليَّ أن سبّح بحمد ربك، وكنْ من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين»[1].

٣٠٢ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر بإسناده، عن أبي سعيد الخُدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: يا أيها الناس، لا تحملكم العسرة والفاقة على أن تطلبوا الرزق من غير حلّه، فإني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «اللهم توفّني فقيراً، ولا تتوفّني غنياً، واحشرني في زُمرة المساكين يوم القيامة»[2]، فإنّ أشقى الأشقياء مَن اجتمع عليه فقرُ الدنيا، وعذابُ الآخرة.

وروي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه أُتي بغنائم من غنائم القادسية، فجعل يتصفّحها وينظر إليها ويبكي، فقال له عبدالرحمن بن عوف: هذا يوم السرور والفرح، وأنت تبكي يا أمير المؤمنين! قال: أجل، ولكن ما أُوتي هذا قومٌ إلا أوقع بينهم العداوة والبغضاء.

٣٠٣ ـ وروي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لكلّ أمة فتنةٌ، وإنّ فتنة أُمتي: المال»[3].

٣٠٤ ـ وروي عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ أحبَّ الخلق إلى الله الفقراء»[4]؛ لأنه كان أحبَّ الخلق إلى الله الأنبياء، فابتلاهم بالفقر.

---

(١) رواه الحاكم في تاريخه عن أبي ذر (الدر المنثور ٥/١٠٥)، والديلمي في الفردوس (٦٢٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢/١٣١) مرسلاً عن أبي مسلم الخولاني.

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٥٤٩٩)، وابن عدي (٣/٨٨٤) في ترجمة خالد بن يزيد بن أبي مالك، وهو ضعيف. ورواه الحاكم (٤/٣٢٢) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه الترمذي (٢٣٣٦) في الزهد، باب (٢٦)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن حبان في صحيحه (٥/٩٢)، والحاكم (٤/٣١٨) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٦٦٦) بلفظ: «إن الله يحب عبده المتعفّف الفقير أبا العيال»، والطبراني في الكبير (١٨/١٨٦). ورواه ابن ماجه (٤١٢١) في الزهد بلفظ: «إن الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفّف، أبا العيال».

قـال: حدثنـا أبي ـ رحمه الله تعـالى ـ حدثنـا أبـو الحسين الفـراء بـإسنـاده عن الحسن البصري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران: أنه يموتُ رجلٌ مِن أحبّ عبادي إليَّ، وأحب أهل الأرض، فأتـه، وكفّنه، وغسّله، وقُمْ على قبره. فطلبه في العمران فلم يجـده، ثم طلبه في الخـراب فلم يقدر عليـه، ثم رأى قوماً من الطيانين، فقـال: هل رأيتم مـريضاً هـاهنا بـالأمس، أو ميتاً اليـوم؟ فقال بعضُهم: رأيتُ مـريضاً في الخـربة، فلعلك تـريـده؟ قـال: نعم. فـذهب، فـإذا هـو بمريض طريح، وتحت رأسه لبنة، فلما أن عالجَ نفسه، سقط رأسه عن اللَّبنـة، قال: فقـام موسى فبكى، فقـال: يا رب، قلت: إن هـذا من أحبّ عبادك إليـك، فـلا أرى عنـده من كان يمـرضه، فـأوحى الله تعالى إليـه: أن يا مـوسى، إني إذا أحببتُ عبدي زويتُ عنه الدُّنيا كلها.

وروى عبـاد بن كثيـر، عن الحسن أنـه قـال: أخـذ إبليسُ أول دينـار ضُـرِب، فوضعه على عينيه، وقال: مَن أحبّك فهو عبدي.

وروى عبـدالمنعم بن إدريس، عن أبيـه، عن وهب بن منبـه أنـه قـال: وصـل إبليس إلى سليمـان بن داود ـ عليهما الصـلاة والسلام ـ على صـورة شيـخ، فقـال لـه سليمان: أخبرني بما أنتَ صانـعٌ بأمـة روح الله تعالى، يعني عيسى ابن مـريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقـال: لأدعنّهم يتّخذون إلهين من دون الله تعـالى. قال: فمـا أنتَ صانعٌ بأُمة محمَّد ـ ﷺ ـ؟ فقال: لأدعنّهم بالدينـار والدرهم، حتى يكـونَ ذلك أشهى عندهم من لا إله إلا الله. قال سليمان: أعوذ بالله منك، فنظر فإذا هو قد ذَهَبَ.

قال الفقيه: الواجبُ على الفقير أن يعرفَ مِنّةَ الله تعـالىْ، ويعلم أنه قـد صرف عنه الدنيا لكرامته عليه، وأكرمه بما أكرم به الأنبياء والأولياء ـ عليهم السلام ـ ويحمـد الله تعالى، ولا يجزع في ذلك، ويصبر على ما يصيبه من ضيق العيش، ويعلم أن مـا وعد الله في الآخرة خير له مما صرف عنـه في الدنيـا، ولو لم يكن للفقـر فضيلة سوى أنه حرفة رسول الله ـ ﷺ ـ واقتداء به لكان عظيماً.

٣٠٥ ـ قال الفقيه: حدثنا الثقة بإسنـاده، عن طاووس، عن ابن عبـاس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: بينما رسول الله ـ ﷺ ـ جالس، وقد نزل ملك ومعـه جبريـل ـ عليه السلام ـ، قال جبريل: هذا ملك قد نزل من السمـاء، لم ينزل قط، استـأذن ربه في زيارتك، فلم يمكثْ إلا قليـلاً حتى جاء الملك، فقـال: السلام عليـك يا رسـول

الله. فقال: «وعليك السلام». قال الملك: فإن الله تعالى يخبرك أنه يعطيك خزائنَ كلّ شيء، ومفاتيح كلّ شيء، لم يعطه أحداً قبلك، ولا يعطيه أحداً بعدك، مِن غير أن ينقصك مما ادَّخر لك شيئاً، أو يجمعها لك يوم القيامة. فقال النبي - ﷺ -: «بل يجمعها لي يوم القيامة»[1].

٣٠٦ - وعن صفوان بن سُليم، عن عبدالوهاب بن نجيد أن النبي - ﷺ - قال: «عُرِض عليّ بطحاءُ مكة ذهباً، قلت: يا رب، أشبع يوماً، وأجوع يوماً، فأحمدك إذا شبعت، وأتضرّعُ إليكَ إذا جعتُ»[2].

* * *

(١) رواه الطبراني في الأوسط بنحوه، وفيه سعدان بن الوليد، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣١٥): لم أعرفه. وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٩٦) وعزاه للطبراني بإسناد حسن، والبيهقي في الزهد.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٧) في الزهد، باب: ما جاء في الكفاف والصبر عليه، وقال: حديث حسن، من حديث أبي أمامة، ورواه أيضاً ابن المبارك في زياداته برقم (١٩٦).

باب رفض الدّنيا

٣٠٧ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا محمَّد بن عقيل، حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، حدثنا الحجاج، حدثنا شعبة، عن عمر بن سليمان، عن عبدالرحمٰن بن أبان، عن أبيه، عن زيد بن ثابت ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال:

«من كانت نيته الآخرة جَمَعَ الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته الدنيا فرّق الله أمره، وجَعَل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له»[1].

٣٠٨ ـ قال: حدثنا الفقيه[2] أبو جعفر، حدثنا محمد بن عقيل، حدثنا محمد بن علي، حدثنا أبو عثمان النهدي، حدثنا عمر بن زياد الأرجاني، عن الأسود بن قيس، قال: سمعتُ جندباً قال: دخل عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ على النبي ـ ﷺ ـ وهو على حصير، وقد أثر بجنبيه الشريط، فبكى عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقال النبي ـ ﷺ ـ «ما يبكيك يا عمر؟» قال: ذكرتُ كسرى وقيصر وما كانا فيه من الدنيا، وأنت رسول الله ـ ﷺ ـ فقد أثّر بجنبك الشريط، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «أولئك عُجِّلَتْ لهم طيباتُهم في حياتهم الدنيا، ونحن قوم أُخّرتْ لنا طيباتُنا في الآخرة»[3].

قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا علي بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا يعلى، حدثنا إسماعيل، عن ذر، عن وليد، قال: قال

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٥) في الزهد، باب: الهم بالدنيا، وفي الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات. وابن أبي الدنيا في ذمّ الدنيا برقم (٣٥٢).

(٢) من (م).

(٣) رواه البخاري (٤٩١٣) في التفسير، باب: ﴿تبتغي مرضاة أزواجك﴾، ومسلم (١٤٧٩) «٣١» في الطلاق، باب: في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن.

علي ـ رضي الله تعالى عنه ـ: إنما أخشى عليكم اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى. فإنَّ طولَ الأمل ينسي الآخرة، واتباع الهوى يضلّ عن الحق. وإنّ الدّنيا قد ارتحلت مدبرة، والآخرة قد أطلّتْ مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنَّ اليوم عمل ولا حساب، وإنَّ غداً حساب ولا عمل، يعني أكثروا من العمل في هذا اليوم، فإنكم لا تقدرون غداً على العمل.

٣٠٩ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا الثقة بإسناده عن الحسن البصري، قال: طلبتُ خطبة النبي ـ ﷺ ـ التي كان يخطب بها كل جمعة أربع سنوات، فلم أقدرْ عليها، حتى بلغني أنها عند رجل من الأنصار فأتيتُه، فإذا هو جابر بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنهما ـ، فقلت له: أنت سمعتَ خطبةَ النبي ـ ﷺ ـ التي كان يخطب بها كل جمعة؟ قال: نعم. سمعته يقول ـ ﷺ ـ:

«أيها الناس إنّ لكم معالمَ فانتهوا إلى معالِمكم، وإنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، وإنّ العبدَ المؤمن بين مخافتين: بين أَجَلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين أَجَلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فليتزود العبدُ مِن نفسه لنفسه، ومِن حياته لموته، ومِن شبابه لكبره، ومِن دنياه لآخرته، فإنّ الدّنيا خُلِقَتْ لكم وأنتم خُلِقْتُم للآخرة. فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم»[1].

وذكر عن سَهْل بن عبدالله التُّسْتَري[2]: أنه كان ينفق ماله في طاعة الله تعالى، فجاءت أمّه وإخوته إلى عبدالله بن المبارك يشكونه، وقالوا: إنّ هذا لا يمسك شيئاً، ونخشى عليه الفقر، فأراد عبدُالله أن يعينهم عليه، فقال له سهل: يا أبا عبدالرحمٰن، أرأيتَ لو أنّ رجلاً من أهل المدينة اشترى ضيعة برستاق، وهو يريد أن يتحوّل من المدينة إليها أيخلّف بالمدينة شيئاً، وهو يسكن الرستاق؟ قال عبدالله: خَصَمَكُم. يعني أنه إذا أراد أن يتحوّل إلى الرستاق لا يترك في المدينة شيئاً، فالذي يريد أن يتحوّل من الدنيا إلى الآخرة كيف يترك في الدنيا شيئاً؟.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٨١).

(٢) هو سهل بن عبدالله بن يونس التستري، أبو محمد: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال. له كتاب في «تفسير القرآن»، وكتاب «رقائق المحبين» وغير ذلك. (طبقات الصوفية ٢٠٦) و(حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩).

قال الفقيه: من كان عاقلاً فإنه يرضى بالقوت من الدنيا، ولا يشتغل بالجمع، ويشتغل بعمل الآخرة؛ لأنّ الآخرةَ هي دارُ القرار ودار النعيم، والدّنيا دار فناء وهي غدارة منتنة.

وروى جويبر عن الضحاك قال: لما أهبط اللَّهُ آدمَ وحواء إلى الأرض، ووجدا ريحَ الدنيا، وفقدا رائحة الجنَّة، غشي عليهما أربعين صباحاً من نتن الدنيا.

٣١٠ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «يا عجباً كلّ العجب للمصدّق بدار الخلود وهو يعمل لدار الغرور»[1].

٣١١ ـ وروى محمَّد بن المنكدر[2]، عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: شهدت مجلساً من مجالس رسول الله ـ ﷺ ـ، إذ أتاه رجل أبيض الوجه، حسن الشعر واللون، عليه ثياب بيض، فقال: السلام عليكم يا رسول الله. فقال النبي ـ ﷺ ـ: «وعليك السلام ورحمة الله». فقال: يا رسول الله ما الدنيا؟ قال: «حلم المنام، وأهلها مجازون ومعاقبون». قال: يا رسول الله وما الآخرة؟ قال: «الأبد، فريق في الجنة وفريق في السعير». فقال: يا رسول الله وما الجنة؟ قال: «بذل الدنيا لتاركها بنعيمها أبداً». قال: فما جهنم؟ قال: «بذل الدنيا لطالبها لا يفارقها أهلها أبداً». قال: فمن خير هذه الأمة؟ قال: «الذي يعمل فيها بطاعة الله تعالى». قال: فكيف يكون الرجل فيها؟ قال: «مشمراً كطالب القافلة». قال: فكم القرار بها؟ قال: «كقدر المتخلّف عن القافلة». قال: فكم ما بين الدنيا والآخرة؟ قال: «كغمضة عين». قال: فذهب الرجل فلم يُرَ. فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «هذا جبريلُ أتاكم ليزهّدكم في الدنيا، ويرغّبكم في الآخرة».

وذُكِر أن إبراهيم خليل الرحمٰن ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قيل له: بأي شيء اتّخذك الله خليلاً؟ قال: بثلاثة أشياء:

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا رقم (١٤). وفي إسناده: عبدالله بن المسور، أبو جعفر الهاشمي المدائني، قال أحمد: أحاديثه موضوعة، وقال الدارقطني والنسائي: متروك. (ميزان الاعتدال ٥٠٤/٢).

(٢) هو محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهُدَيْر بن عبد العزى القرشي التيمي المدني: زاهد، من رجال الحديث، من أهل المدينة، أدرك بعض الصحابة وروى عنهم. له نحو مئتي حديث. قال ابن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق. توفي سنة (١٣٠هـ). (تهذيب التهذيب ٤٧٣/٩) و(خلاصة تذهيب الكمال ٣٠٨).

أولها: ما خُيِّرتُ بين أمرين إلا اخترت الذي لله على غيره.
والثاني: ما اهتممتُ فيما تكفّل الله لي في أمر رزقي.
والثالث: ما تغدّيت وما تعشّيت إلا مع الضيفَ.

قال بعضُ الحكماء: حياة القلب في أربعة أشياء: العلم، والرضا، والقناعة، والزهد. فالعلم يرضيه، وبالرضا يبلغ هذه الدرجة، فإذا بلغ درجة الرضا وصل إلى القناعة، وتوصله القناعة إلى الزهد، وهو التهاون بالدنيا.

قال: والزهد ثلاثة أشياء:

أولها: معرفة الدنيا، ثم الترك لها.
والثاني: خدمة المولى، ثم الأدب فيها.
والثالث: الشّوق إلى الآخرة، ثم الطلب لها.

وعن يحيى بن معاذ الرازي قال: الحكمةُ تهوي من السماء إلى القلوب، فلا تسكن في قلب فيه أربع خصال: الركون إلى الدنيا، وهَمّ غد، وحسد أخ، وحبّ شرف.

وذُكِر أيضاً عن يحيى ـ قدَّس الله تعالى روحه ـ، قال: العاقلُ المصيبُ مَن عمل ثلاثاً: تَرَكَ الدُّنيا قبل أن تتركه، وبنى قبراً قبل أن يدخل فيه، وأرضى خالقَه قبل أن يلقاه.

ورُوي عن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: مَن جَمَعَ ستّ خصال لم يدع للجنة مطلباً، ولا عن النار مهرباً، يعني لم يترك الجهد في طلب الجنة، والهرب من النار، وهي[1]: عرف الله تعالى فأطاعه، وعرفَ الشيطان فعصاه، وعرفَ الحقّ فاتبعه، وعرفَ الباطل فاتّقاه، وعرف الدّنيا فرفضها، وعرف الآخرةَ فطلبها.

٣١٢ ـ وروى جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «يا علي أربع خصال من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، وحبّ الدنيا، وبُعْد الأمل»[2].

---

(١) في الأصل و(م): أولها، والمثبت من (ط).
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٧٥) وقال: تفرّد برفعه متصلاً عن صالح: حجاج. والديلمي في =

٣١٣ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «لو كانتِ الدُّنيا تزنُ عند الله جناحَ بعوضة ما سقى كافراً منها شربةَ ماء»[١].

٣١٤ ـ وروي عن شهر بن حوشب، عن عبدالرحمٰن بن عثمان قال: بينما رسول الله ـ ﷺ ـ أدلج ليلةً من الليالي، وصلَّى صلاة الصبح في دمنة الحي، يعني مزبلة القبيلة، فرأى سخلةً تتنفّس في سلاها ـ يعني تتحرك الدودة في جلدها ـ فنظر إليها رسول الله ـ ﷺ ـ فأمسك ناقته حتى قام القوم، فقال: «أترون أهل هذه الدمنة أغنياء عن سخلتهم هذه، وقد هانت عليهم؟» فقالوا: بلى يا رسول الله. قال: «والذي نفس محمد بيده للدنيا أهون على الله من هذه السخلة على أهلها»[٢].

٣١٥ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «الدّنيا سجنُ المؤمن، والقبرُ حصنه، والجنة مأواه. والدُّنيا جَنّة الكافر، والقبرُ سجنه، والنار مأواه»[٣].

قال الفقيه: معنى قوله ـ ﷺ ـ «الدنيا سجن المؤمن» أن المؤمن، وإن كان في النعمة والسعة، فهو بجنب ما أنعم الله تعالى عليه في الجنة كأنه في السجن، لأن المؤمن إذا حضرته الوفاة عرضت عليه الجنة، فإذا نظر إلى ما أعدّ الله له من الكرامة عرف أنه كان في السجن. وأما الكافر إذا حضرته الوفاة عرضت عليه النار، فإذا نظر إلى ما أعدّ الله له من العقوبة عرف أنه كان في الجنة.

فمن كان عاقلاً لا يكونُ مسروراً في السّجن، ولا يطلبُ الراحةَ. فينبغي للعاقل

= الفردوس (١٥٠٠)، وقال ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/٣٠١): أورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣/١٢٥) من حديث أنس من طريقين، في أحدهما: أبو داود النخعي، وضّاع، ومحمد بن إبراهيم الشامي، وضاع، وفي الآخر: عبدالله بن سليمان، مجهول، وعنه هانىء بن المتوكل، كثرت المناكير في روايته. وأورده الذهبي في الميزان (٤/٢٩١) وقال: هذا حديث منكر. ورواه البزار كما في كشف الأستار (٣٢٣٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٢٦): رواه البزار، وفيه هانىء بن المتوكل، وهو ضعيف.

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٠) في الزهد، باب: ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، وقال: صحيح غريب، وابن المبارك في الزهد (٥٠٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣/٢٥٣) وقال: حديث غريب، وابن ماجه (٤١١٠) في الزهد، باب: مثل الدنيا، وفي الزوائد: في إسناده زكريا بن منصور، وهو ضعيف. ورواه الضياء المقدسي في المختارة كما في (فيض القدير ٥/٣٢٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢١) في الزهد، باب (١٣) وقال: حديث حسن، وأحمد (٤/٢٢٩، ٢٣٠)، وابن ماجه (٤١١١) في الزهد، باب: مثل الدنيا، وابن المبارك في الزهد (٥٠٨)، وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (٢)، من حديث المستورد بن شداد.

(٣) رواه مسلم (٢٩٥٦) في الزهد والرقائق، والترمذي (٢٣٢٤) في الزهد، باب (١٦)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢/٣٢٣، ٣٨٩، ٤٨٥) مختصراً.

أن ينظرَ إلى الدنيا، ويتفكّر فيما ضرب للدنيا من الأمثال؛ لأن الله تعالى ضرب للدنيا مثلاً، والنبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ ضرب لها مثلاً، والحكماء ضربوا لها أمثالاً، والأشياء تصيرُ واضحةً بالأمثال.

قال الله تعالى عز من قائل: ﴿إنما مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني مثل الدنيا في فنائها وزوالها ﴿كَمَاءٍ﴾ يعني كمطر ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ يعني أنـزل الله تعالى من السماء ماء ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ يعني اختلط الماء بنبات الأرض؛ يعني أنّ الماء يدخلُ في الأرض فينبت النبات ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ من الحبوب ﴿وَالأَنْعَامِ﴾ يعني مما يأكل الأنعام من الكلأ والحشيش ﴿حَتَّى إذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ يعني زينتها وحُسْنَها ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ يعني تزيّنت الأرضُ بنباتها وحسنت بألوانٍ من النبات ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا﴾ يعني حسب أهل الزرع والنبات ﴿أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ يعني على غلاتها وأنها ستتم لهم ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ يعني عذاب الله ﴿لَيْلاً أَوْ نَهَاراً﴾ يعني بالليل أو بالنهار ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً﴾ يعني مستأصلاً ﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ يعني صارت كأن لم تكن. فكذلك الدنيا وما فيها لا تبقى كما لا يبقى الزرع ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ يعني الأمثال ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] في أمر الدنيا والآخرة أنّ الدنيا تفنى والآخرة تبقى.

٣١٦ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أن رجلاً قدم عليه من أرض الشام، فسأله عن أرضهم، فأخبره عن سعة أرضهم وكثرة النعيم فيها. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كيف تفعلون؟» قال: إنا نتّخذُ ألواناً من الطعام ونأكلها. قال: «ثم تصير إلى ماذا؟» قال: إلى ما تعلمُ يا رسول الله، يعني تصير بولاً وغائطاً، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «فكذلك مثل الدنيا»[1].

وروي عن يحيى بن معاذ الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: الدنيا مزرعة ربِّ العالمين، والناس فيها زرعه، والموت منجله، وملك الموت حاصده، والمقبرة مدراسه، والجنة والنار بيت أهوائه، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

وذُكِر عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: يا بني إنّ الدنيا بحرٌ عميق قد غرق فيها كثيرٌ من الناس، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالى. قال بعضهم:

(١) رواه عبدالله بن أحمد (٥/١٣٦)، وابن المبارك في الزهد (١٦٩)، وأبو الشيخ في الأمثال (٢٦٩)، كلهم بنحوه.

ففي هـذه الأعمال الصـالحـة بضـاعتـك التي تحمـل فيهـا، والحـرص عليهـا ربحـك، والأيام مَـوْجها، والتـوكل ظلّهـا، وكتاب الله دليلهـا، وردّ النفس عن الهوى حبالها، والموت ساحلها، والقيامة أرضُ المتجر التي تخرجُ إليها، والله مالكها.

وروي عن الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: بلغنا أنّه يُجاء بالدنيا يوم القيامـة تتبختر في زينتهـا وبهجتها، فتقـول: يا رب اجعلني لأحسن عبـادك داراً، فيقـول الله عز وجـل: لا أرضاك داراً لهم، أنت لا شيء، كـوني هباءً منثـوراً، فتصيرُ هباءً منثوراً.

وذُكِر عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: يؤتى بـالدنيـا يوم القيـامة على صورة عجوزٍ شمطاءَ زرقاءَ باديةٍ أنيابُها مشـوّهٍ خَلْقُها، لا يـراها أحـدٌ إلا كرههـا، فتشرف على الخلائق، فيقال لهم: أتعرفون هذه؟ فيقـولون: نعـوذ بالله من معـرفتها. فيقال: هذه الدنيا التي تفاخرتم بها، وتقاتلتم عليها.

ورُوي في خبـر آخرِ أنـه يؤمر بهـا فتُلقى في النار، فتقـول: يا ربّ أين أتبـاعي وأصحابي؟ فيلحقون بها.

قال الفقيه: لا يكـون لها عـذاب، لأنه لا ذنبَ لها، ولكنهـا تُلقى في النار لكي يراها أهلها فيرون هوانها، كما أنّ الأوثان جُعِلت في النار وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ولا يكون للأوثان عقوبة، ولكن لزيادة العقوبة والحسرة لأهلها، وكـذلك الـدُّنيا جُعِلت في النـار لزيـادة العقوبة والحسرة لأهلها؛ لتكونَ لهم زيادة الحسرة.

فينبغي للمؤمن أن يعملَ للآخرة، ولا يشتغل بالدنيا إلا مقدار[1] ما لا بد لـه منها من غير أن يتعلّق قلبه بها.

وروي عن عيسى ابن مريم ـ صلوات الله وسلامـه عليه ـ أنـه قال: عجبـاً لكم! تعملون للدنيا وأنتم تُرزقون فيها بغير عمل، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا تُـرزقون فيهـا بغير عمل.

٣١٧ ـ وروى أبو عبيدة الأسدي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من أُشرب قلبه حبّ الدنيا التاط قلبه منها بثلاثة: شغل لا ينفكّ عناؤه، وأمل لا يبلغ منتهاه، وحـرص

---

(١) من (م) و(ط).

لا يدرك عَناه. والدُّنيا طالبة ومطلوبة، والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلبَ الآخرة طلبته الدُّنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومَن طلبَ الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت، فيأخذه بغتة»[1].

وروى إبراهيم بن يوسف، عن كنانة، قال: بلغني عن أبي حازم أنه قال: وجدتُ الدُّنيا شيئين؛ شيئاً منها هو لي لا يفوتني، وشيئاً منها لغيري فلا أدركه، لأنّه منعَ الذي لي من غيري كما منعَ الذي لغيري مني، ففي أي هذين أفني عمري؟.

ووجدتُ ما أعطيت من الدنيا شيئين: شيئاً منها يأتي أجله قبل أجلي فأغلب عليه، وشيئاً منها يأتي أجلي قبل أجله فأموت وأتركه لغيري، ففي أي هذين أعصي ربي؟

٣١٨ ـ وروى الأعمش، عن أبي سفيان بإسناده، عن أشياخه قال: دخل سعد بن أبي وقاص على سلمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ يعوده وهو مريض، فبكى سلمان، فقال له سعد: ما يبكيكَ يا أبا عبدالله؟ توفي رسولُ الله ـ ﷺ ـ وهو عنك راضٍ، فقال سلمان: أَمَا إنّي لا أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكنّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ عهد إلينا عهداً، فقال: «ليكن بُلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب» وحولي هذه الأساود. قال: وإنما كان حوله إجانة وجفنة ومطهرة، فقال سعد: يا أبا عبدالله. اعهد إلينا عهداً فنأخذه بعدك، فقال: يا سعد اذكر اللَّهَ تعالى عند همّك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند برّك إذا أقسمت[2].

٣١٩ ـ وروى جويبر عن الضحاك عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قيل له: يا رسول الله من أزهد الناس؟ قال: «من لم ينس المقابر والبلى، وترك فضول زينة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى، ولم يعدّ من أيامه غداً، وعد نفسه من الموتى»[3].

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٤٩): رواه الطبراني عن شيخه جبرون بن عيسى المغربي، عن يحيى بن سليمان الحفري، عن فضيل بن عياض، ولم أعرف جبرون، وأما يحيى فقد ذكر الذهبي في الميزان في آخر ترجمة يحيى بن سليمان الجعفي فقال: فأما سميّه يحيى بن سليمان الحفري فما علمتُ به بأساً، ثم ذكر بعده يحيى بن سليمان القرشي، قال أبو نعيم: فيه مقال، وذكره ابن الجوزي، فإن كانا اثنين فالحفري ثقة، والحديث صحيح على شرط الخطبة، والله أعلم، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه الحاكم (٤/٣١٧) وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٣٩٥ و١٠٣٩٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٩٥).

(٣) رواه البيهقي عن الضحاك مرسلاً، ورمز السيوطي لضعفه. (فيض القدير ١/٤٨٢ ـ ٤٨٣).

قال الحكيم حاتم اللفاف: أربعة طلبناها فأخطأنا طرقها: طلبنا الغِنى في المال؛ فإذا هو في القناعة، وطلبنا الرّاحةَ في الكثرة؛ فإذا هي في القلّة، وطلبنا الكرامةَ في الخلق؛ فإذا هي في التقوى، وطلبنا النعمة في الطعام واللباس؛ فإذا هي في الستر والإسلام، يعني فيما يستر الله من العيوب.

٣٢٠ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن أصبح والدُّنيا أكبر همّه يلزم الله تعالى قلبه ثلاث خصال: همّ لا ينقطع عنه أبداً، وشغل لا يتفرّغ منه أبداً، وفقر لا يبلغُ منتهاه أبداً»[1].

وروي عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: ما أحدُ أصبح اليوم في الناس إلا وهو ضيف وماله عارية، فالضيف مرتحل، والعارية مؤداة.

قال الفُضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ: جُعِل الشرُّ كلُّه في بيت واحد، وجُعل مفتاحه حبّ الدنيا. وجعل الخيرُ كلّه في بيت واحد، وجُعِل مفتاحه الزهد في الدنيا.

٣٢١ ـ وروى ثابت عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «قال الله تعالى: يفرحُ عبدي المؤمن إذا بسطتُ له شيئاً من الدنيا، وذلك أبعدُ له مني، ويحزن إذا قتّرتُ عليه الدنيا، وذلك أقربُ له منيّ، ثم تلا رسول الله ـ ﷺ ـ هذه الآية: **﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾** [المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦]»[2] أي لا يعلمون أن ذلك فتنة لهم.

٣٢٢ ـ وعن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: خرج رسولُ الله ـ ﷺ ـ يوماً وهو آخذٌ بيد أبي ذر فقال: «يا أبا ذر إنّ بين يديك عقبة كؤداً، لا يصعدها إلا المخفّفون». قال: يا رسول الله أنا من المخففين أو من المثقلين؟ قال: «أعندك طعام يومك؟». قال: نعم. قال: «وطعام غدك؟». قال: نعم. قال: «وطعام بعد غد؟». قال: لا. قال: «فلو كان عندك طعام ثلاثة أيام كنت من المثقلين»[3].

* * *

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٥٨١٨) من حديث ابن عمر.
(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٠٤) موقوفاً على يزيد بن ميسرة، وعزاه لابن أبي حاتم.
(٣) رواه الديلمي في الفردوس (٨٣٥٢)، وابن المبارك في الزهد رقم (١٠٦٤)، والبيهقي في الشعب (١٠٤٠٧)، وابن عساكر كما في كنز العمال (١٧١٠١).

باب الصّبر على البلاء والشّدّة

٣٢٣ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا محمد بن عقيل، حدثنا عيسى بن أحمد، حدثنا ابن لهيعة، عن قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«يا غلام أو يا غليم، أَلَا أُعلِّمك كلمات ينفعك الله بهن؟».

قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «احفظِ الله يحفظك، احفظِ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله، قد جفّ القلمُ بما هو كائن. فلو أنّ الخلق كلهم أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقدّره اللَّهُ لك، لم يقدروا عليه. وإن أرادوا أن يضرّوك بشيء لم يكتبه اللَّهُ عليك، لم يقدروا عليه. اعمل لله بالشكر واليقين، واعلمْ أنّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأنّ النّصر مع الصبر، وأن الفرجَ مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»[1].

قال: حدثنا أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا أبو النصر بن محمد بن نصرويه، حدثنا أبو شهاب معمر بن محمد، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا بشر بن الزيات، عن الأعمش وخطاب وعنبسة ونحو من خمسين شيخاً، كلّهم يسندون هذا الحديث إلى أمير المؤمنين علي ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال: أيها الناس احفظوا عني خمساً: احفظوا عني اثنتين، واثنتين، وواحدة؛ ألا لا يخافنَّ أحد منكم إلا ذنبه، ولا يرجُ إلا ربه، ولا يستحِ منكم أحدٌ إذا لم يعلمْ أن يتعلّم، ولا يستحِ أحدٌ منكم إن سُئِل وهو لا يعلم؛ أن يقولَ لا أعلم. واعلموا أن الصبر من الأمور بمنزلة الرأس من

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦) في صفة القيامة، باب (٥٩) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (١/٣٠٧).

الجسد، فإذا فارق الرأسُ الجسدَ فَسَدَ الجسدُ، وإذا فارق الصبرُ الأمورَ فسدتِ الأمورُ.

ثم قال ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أَلَا أدلّكم على الفقيه كل الفقيه؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. قال: من لم يؤيس الناس من روح الله، ومن لم يقنط الناس من رحمة الله تعالى، ومن لم يؤمن الناس من مكر الله، ومن لم يزيّن للناس معاصي الله. ولا ينزل العارفين الموحّدين الجنة، ولا ينزل العاصين المذنبين النار حتى يكون الرب هو الذي يقضي بينهم، ولا يأمنن خير هذه الأمة من عذاب الله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [الأعراف: ٩٩] ولا ييأس شر هذه الأمة من روح الله، والله عز وجل يقول: ﴿**إِنَّه لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [يوسف: ٨٧].

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا الحكم بن يعقوب، عن عيسى بن المسيب، عن يزيد الرقاشي، قال: إذا أُدْخِلَ الرجلُ القبرَ قامت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن شماله، والبِرّ يظلّ عليه، والصبر يحاجّ عنه، يقول: دونكم صاحبكم، فإن حججتم؛ وإلا فأنا من ورائه. يعني إن استطعتم أن تدفعوا عنه العذاب، وإلا أنا أكفيكم ذلك، وأدفع عنه العذاب.

ففي هذه الأخبار دليلٌ على أنّ الصّبرَ أفضلُ الأعمال، والله تعالى يقول: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: ١٠].

٣٢٤ ـ وروى ابن أبي روّاد، عن محمد بن مسلم يرفعه إلى النبي ـ ﷺ ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله، ذهبَ مالي، وسقم جسمي. فقال النبي ـ ﷺ ـ: «لا خيرَ في عبد لا يذهبُ ماله، ولا يسقم جسمه. إنّ الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه، وإذا ابتلاه صبّره»[1].

وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: أيّما رجل حبسه السلطان ظلماً؛ فمات في حبسه فهو شهيد، فإن ضربه فمات فهو شهيد.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (مخطوط) قبل نهاية الكتاب بحديثين. وروى ابن سعد في الطبقات القسم الأول منه؛ عن عبدالله بن عبيد بن عمر مرسلاً (فيض القدير ٦/٤٢٦)، وقال الألباني: ضعيف (ضعيف الجامع ٦٣٠٣).

٣٢٥ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ الرجلَ لتكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمله؛ حتى يُبتلى ببلاء في جسمه، فيبلغها بذلك»(١).

٣٢٦ ـ وروي في الخبر أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]. قال أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: يا رسول الله؛ كيف الفرح بعد هذه الآية؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «غَفَرَ اللَّهُ لك يا أبا بكر ألست تمرض؟ أليس يصيبك الأذى؟ أليس تنصب؟ أليس تحزن؟ فهذا ما تجزون به»(٢) يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك.

٣٢٧ ـ وروي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: لما نزلت هذه الآية خرج علينا رسول الله ـ ﷺ ـ وقال: «قد أنزلت عليَّ آيةٌ، هي خيرٌ لأمتي من الدنيا وما فيها» ثم قرأ هذه الآية: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، ثم قال: «إن العبد إذا أذنب ذنباً، فتصيبه شدة أو بلاء في الدنيا، فالله أكرم من أن يعذّبه ثانياً»(٣).

قال الفقيه: اعلم أنّ العبدَ لا يدرك منزلة الأخيار إلا بالصبر على الشدة والأذى، وقد أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بالصبر، فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

٣٢٨ ـ وروي عن خباب بن الأرت ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: أتينا رسول الله ـ ﷺ ـ وهو متوسّد بردائه في ظلّ الكعبة، فشكونا إليه. فقلنا: يا رسول الله ألا تدعو الله؟ ألا تستنصر الله لنا؟ فجلس محمرّاً لونه، ثم قال: «إنّ مَنْ كان قبلكم كان يُؤتى بالرجل؛ فيحفر له في الأرض حفرة، ويُجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيجعل فرقتين؛ ما يصرفه ذلك عن دينه»(٤).

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٢٨٩٦) من حديث أبي هريرة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٩٢): رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات.

(٢) رواه أحمد (١/١١)، وابن حبان (٤/٢٥٠)، والحاكم (٣/٧٤)، وصححه، ووافقه الذهبي. والبيهقي في شعب الإيمان (٩٨٠٥).

(٣) رواه الترمذي (٢٦٢٦) في الإيمان، باب: ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن، وقال: حسن غريب صحيح، وابن ماجه (٢٦٠٤) في الحدود، باب: الحد كفارة، والحاكم (٢/٤٤٥ و٤/٢٦٢) بلفظ: «من أصاب في الدنيا عوقب به؛ فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده...».

(٤) رواه البخاري (٣٦١٢) في المناقب، باب: من علامات النبوة في الإسلام، وأبو داود (٢٦٤٩) في الجهاد، باب: في الأسير يكره على الكفر، وأحمد (٥/١٠٩).

٣٢٩ ـ وروي عن حميد عن أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الأرض، فيغمس في النار غمسةً فيخرج أسودَ محترقاً، فيقال له: هل مرّ بك نعيمٌ قط إذ كنتَ فيها؟ فيقول: لا، لم أزل في هذا البلاء منذ خلقني. ويُؤتى بأشد أهل الدنيا بلاء فيغمس في الجنة غمسةً، يعني يدخل فيها ساعة، فيخرج كأنه القمر ليلة البدر. فيقال: هل مرّ بك شدّة قط؟ فيقول: لا. لم أزل في هذا النعيم منذ خلقني»[1].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أول من يُدعى إلى الجنة الحمّادون لله؛ الذين يحمدون الله على السّرّاء والضّرّاء»[2].

فالواجب على العبد أن يصبرَ على ما يصيبه من الشدّة، ويعلم أن ما دفعَ الله عنه من البلاء أكثر مما أصابه، ويحمد الله تعالى على ذلك، وينبغي للعبد أن يقتدي بنبيه ـ ﷺ ـ، وينظر إلى صبره على أذى المشركين.

٣٣٠ ـ وروى عمرو بن ميمون عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: بينما رسول الله ـ ﷺ ـ يصلّي عند البيت، وأبو جهل وأصحابه جلوس، وقد نحرت جزورٌ بالأمس، فقال أبو جهل لعنة الله عليه: أيكم يقوم إلى سلا الجزور، فيلقيه على كتف محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ـ ﷺ ـ وضعه بين كتفيه فاستضحكوا، وأنا قائمٌ أنظر. قلتُ: لو كان لي منعةٌ لطرحته عن ظهر رسول الله ـ ﷺ ـ والنبي ـ ﷺ ـ ساجد ما يرفع رأسه؛ حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ وجاءت، وهي جويرية، فطرحته ثم أقبلت عليهم تشتمهم.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٢١) في الزهد، باب: صفة النار، وأحمد (٣/٢٠٣)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٩٩٩) بلفظ المصنف. ورواه مسلم (٢٨٠٧) في صفات المنافقين وأحكامهم، باب (١٢)، وابن المبارك في الزهد (٦٢٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٦٢٤٧)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٣٣)، كلهم بألفاظ متقاربة.

(٢) رواه أبو نعيم في صفة الجنة (١/١١٥)، وفي الحلية (٥/٦٩)، والحاكم (١/٥٠٢) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال محقق «صفة الجنة»: وليس كما قالا فالمسعودي لم يخرج له مسلم مطلقاً، ولا البخاري موصولاً ولا معلّقاً على الراجح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٩٥): رواه الطبراني في الثلاثة بأسانيد، وفي أحدها قيس بن الربيع؛ وثّقه شعبة والثوري وغيرهما، وضعّفه يحيى القطان وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بنحوه، وإسناده حسن. ورواه ابن أبي الدنيا كما في الترغيب والترهيب (٢/٤٣٧). وانظر: حادي الأرواح ص (١٦٥).

فلما قضى رسول الله ـ ﷺ ـ صلاته رفع صوته، فدعا عليهم، فقال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، فقال: «اللهم عليك بأبي جهل، وعقبة، وعتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف».

قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ: والذي بعث محمداً بالحق، لقد رأيت الذين سمّاهم صرعى يوم بدر[1].

وروى عبدالله بن الحرث عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: شكا نبي من الأنبياء إلى ربه، فقال: يا رب، العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء، ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترىء على معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا! فأوحى الله تعالى إليه: إنّ العباد لي، والبلاء لي، وكل يسبح بحمدي، فيكون المؤمن عليه من الذّنوب، فأزوي عنه الدنيا، وأعرض له البلاء، فيكون كفّارة لذنوبه حتى يلقاني، فأجزيه بحسناته.ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له في الرزق، فأزوي عنه البلاء حتى يلقاني فأجزيه بسيئاته.

٣٣١ ـ قال: حدثنا أبو أحمد[2] عبدالوهاب بن محمد الفضلاني بسمرقند بإسناده عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«إذا أراد اللَّهُ بعبد خيراً، أو أراد أن يصافيه صبّ عليه البلاء صباً، وثجّه عليه ثجّاً، وإذا دعاه قالت الملائكة: يا رب صوتٌ معروف. فإذا دعاه الثانية فقال: يا ربّ. قال الله تعالى: لبيك عبدي وسعديك، لا تسألني شيئاً إلا أعطيتك أو دفعتُ عنك ما هو شر، وادخرت عندي لك ما هو أفضل منه.

فإذا كان يوم القيامة جيء بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان، أهل الصلاة

---

(١) رواه البخاري (٥٢٠) في الصلاة، باب: المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى، ومسلم (١٧٩٤) في الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين. «فانبعث أشقى القوم»: هو عقبة بن أبي معيط. «لو كانت لي منعة»: لو كان لي قوة تمنع أذاهم، أو كان لي عشيرة تمنعني. «جويرية»: هو تصغير جارية، بمعنى شابة.

(٢) في (م): محمد.

والصيام والصدقة والحجّ، ثم يُؤتى بأهلِ البلاء، فلا ينصبُ لهم الميزان، ولا ينشر لهم الديوان، ويُصبّ عليهم الأجر صباً، فيودّ أهلُ العافية في الدنيا لو أنهم كانت تُقرض أجسامهم بالمقاريض؛ لما يرون مما يذهبُ به أهل البلاء من الثواب، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]»[1].

وذُكر في الخبر أنّ مؤمناً وكافراً في الزمن الأول انطلقا يصيدان السمك، فأخذ الكافر يذكر آلهته، فتدفق شبكته حتى أخذ سمكاً كثيراً، وجعل المؤمن يذكر الله فلا يجيء شيء، ثم أصاب سمكة عند الغروب واضطربت فوقعت في الماء، فرجع المؤمن وليس معه شيء، ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته، فأسف ملك المؤمن الموكل به، فلما صعد إلى السماء أراه الله مسكن المؤمن في الجنة، فقال: والله ما يضرّه ما أصابه بعد أن يصيرَ إلى هذا، وأراه مسكنَ الكافر في النار، فقال: والله ما يغني عنه ما أصاب من الدنيا بعد أن يصير إلى هذا.

ويُقال: إن الله تعالى يحتج يوم القيامة بأربعة أنبياء[2] على أربعة أجناس: يحتج على الأغنياء بسليمان بن داود عليهما السلام، فإذا قال الغني: الغِنى[3] شغلني عن عبادتك، يحتجّ عليه بسليمان، ويقول له: لم تكن أغنى من سليمان، فلم يمنعه غناه عن عبادتي.

ويحتجّ على العبيد بيوسف عليه الصلاة والسلام، فيقول العبد: كنت عبداً والرقُّ منعني عن عبادتك، فيقول له: إن يوسف عليه السلام لم يمنعه رقه عن عبادتي.

وعلى الفقراء بعيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فيقول الفقير: إنّ حاجتي منعتني عن عبادتك، فيقول: أنت كنت أحوج أم عيسى؟ وعيسى لم يمنعه فقره عن عبادتي.

وعلى المرضى بأيوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيقول المريض: منعني المرض عن عبادتك. فيقول: مرضك كان أشد أم مرض أيوب عليه السلام؟ فلم يمنعه مرضه عن عبادتي.

---

(١) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٥٣٤)، وابن أبي الدنيا كما في ترغيب المنذري (٤/ ٢٨٢).
«ثجّه»: أماله وأساله.

(٢) من (م). (٣) من (ط).

فلا يكون لأحدٍ عند الله عذر يوم القيامة.

وكان الصالحون - رحمهم الله تعالى - يفرحون بالمرض والشدّة لأجل أنّ فيه كفّارة للذنوب.

وذُكِر عن أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - أنه قال: الناس يكرهون الفقرَ وأنا أحبّه، ويكرهون الموتَ وأنا أحبه، ويكرهون السقم وأنا أحبّ السقم تكفيراً لخطاياي، وأحبّ الفقر تواضعاً لربي، وأحبُّ الموتَ اشتياقاً إلى ربي.

٣٣٢ - وروي عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «ثلاث من رُزقهن فقد رُزِق خير الدنيا والآخرة؛ الرضا بالقضاء، والصبر على البلاء، والدعاء عند الرخاء»[1].

٣٣٣ - قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر بإسناده عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: جاء رجلٌ إلى النبي - ﷺ - وهو مستلقٍ، فقال: من أيّ شيء تشتكي؟ فقال: «الخمص»، يعني الجوع، فبكى الرجل، ثم ذهب يعمل، فاستقى لرجل دلاء كل دلو بتمرة، ثم جاء إلى النبي - ﷺ - بشيء من تمر، فقال: «ما أراك فعلتَ هذا إلا وأنت تحبني». قال: أي والله إني لأحبّك. قال: «إن كنتَ صادقاً فأَعِدَّ للبلاء جلباباً، فوالله للبلاء أسرعُ إلى مَن يحبني من السيل من أعلى الجبل إلى الحضيض»[2].

٣٣٤ - وعن عقبة بن عامر - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: «إذا رأيتم الرجل يعطيه الله تعالى ما يحبُّه وهو مقيمٌ على معصيته، فاعلموا أن ذلك استدراج»[3]. ثم قرأ قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني لما تركوا ما أُمروا به فتحنا عليهم أبواب الخير ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ يعني بما أعطوا من الخير ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ يعني فجأة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] يعني آيسين من كل خير.

---

(١) رواه أبو الشيخ في «الثواب» عن عمران بن حصين، والديلمي عن أبي هلال التيمي مرفوعاً. (فيض القدير ٣/٣١٤).

(٢) رواه الخطيب في تاريخه (٣/١٥٥)، والأصبهاني في ترغيبه (٨٥٥) بنحوه. «الخمص»: ضمور البطن من الجوع.

(٣) رواه أحمد (٤/١٤٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٠): رواه أحمد والطبراني. ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان (٤٥٤٠). وانظر: (الدر المنثور ٣/٢٧٠).

٣٣٥ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه سئل أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل»[1].

ويقال: ثلاثةٌ مِن كُنوز البِرِّ: كتمان الصدقة، وكتمان الوجع، وكتمان المصيبة.

وذُكِر عن وهب بن منبه أنه قال: كتبتُ مِن كِتاب رجل من الحواريين: إذا سُلِك بك سبيل البلاء فَقُرَّ عيناً، فإنه يُسلك بك سبيل الأنبياء والصالحين، وإذا سُلك بك سبيل الرخاء فابك على نفسك، فقد خُولِف بك عن سبيلهم.

وذُكِر أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ نحو هذا.

وذُكِر عن فتح الموصلي[2] ـ رحمه الله تعالى ـ أنه أصابته خصاصةٌ[3] في أهله، فقال: إلٰهي ليتني علمت بأي عمل أكرمتني بهذا حتى أزداد من ذلك.

٣٣٦ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من قلّ ماله، وكثر عياله، وحسنت صلاتُه، ولم يغتبِ المسلمين، جاء معي يوم القيامة هكذا» وجمع بين أصبعيه[4].

٣٣٧ ـ وروي عن مجاهد عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: والذي لا إله إلا هو إني كنت لأعتمدُ بكبدي على الأرض من الجوع، وإني كنتُ لأشدّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرّ أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله تعالى ما سألته عنها، إلا ليستتبعني، يعني لكي يذهب بي إلى منزله، فمرّ ولم يفعل، ثم مرّ بي عمر، فسألته عن آية، ما سألته عنها إلا ليستتبعني، فمرّ ولم يفعل، ثم مرّ النبي ـ ﷺ ـ فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي.

ثم قال: «يا أبا هريرة» [قلت: لبيك يا رسول الله. قال:][5] «الحق بي»،

---

(١) رواه الترمذي إثر حديث (٢٣٩٨) من حديث أبي هريرة، في الزهد، باب (٥٦)، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (مخطوط) أول الكتاب، وابن النجار كما في كنز العمال (٦٨٣٠). ورواه أحمد (٦/٣٦٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٩٢): رواه أحمد والطبراني في الكبير بنحوه، وإسناد أحمد حسن، والبيهقي في الشعب (٩٧٧٦)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات»، كلهم من حديث أخت حذيفة: فاطمة. وانظر: (فيض القدير ١/٥١٩).

(٢) هو فتح بن سعيد الموصلي، أبو نصر: من أقران بشر الحافي، وسري السقطي. وهو كبير الشأن في باب الورع والمعاملات. توفي سنة (٢٢٠هـ). (طبقات الأولياء ص ٢٧٦) و(الحلية ٨/٢٩٢).

(٣) «الخصاصة»: الفقر والحاجة وسوء الحال.

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٥٦) ولم يعزوه لأحد. ورواه أبو يعلى والخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة. (كنز العمال ٧١٤٢).

(٥) من (م).

ومضى فاتبعته واستأذنتُ فأذن لي فدخلت فوجدت لبناً في قدح، فقال: «من أين هذا؟» قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة. قال: «يا أبا هريرة» قلت: لبيك، قال: «إلحق بأهل الصُّفّة وادعهم إلي»، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة! كنت أحقّ أن أصيبَ من هذا اللبن شربة أتقوّى بها، ولكن لم يكن بُدّ من طاعة الله وطاعة رسوله، فانتهيت فدعوتهم فأقبلوا حتى استأذنوا، فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم. فقال: «يا أبا هريرة خُذْ وأعطهم»، فأخذتُ القدح، فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يردّ عليّ القدح، حتى انتهيت إلى رسول الله - ﷺ - وقد روي القوم كلّهم، فأخذ القدح ووضعه على يديه، فقال: «يا أبا هريرة» قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «بقيت أنا وأنت». قلت: صدقت يا رسول الله. قال: «اقعد واشرب» فقعدت وشربت، قال: «اشرب» فشربت، فما زال يقول: «اشرب» فأشرب حتى قلت: والذي بعثك بالحق نبياً ما أجد مسلكاً، فأعطيته القدح فحمد الله وشرب النبي - ﷺ -[1].

قال الفقيه - رحمه الله تعالى -: كان أصحابُ رسول الله - ﷺ - في شدّةٍ من أذى الكفار ومن الجوع، فصبروا على ذلك حتي فرّج الله عنهم، وكلّ مَن صبر فرج الله عنه؛ فإنّ الفرجَ مع الصبر، وإنّ مع العسر يُسْراً.

وكان الصالحون - رحمهم الله - يفرحون بالشدّة لما يرجون من ثوابها.

وروى عثمان بن عبدالحميد بن لاحق، عن أبيه، عن جده، عن مسلم بن يسار، قال: قدمتُ البحرين فأضافتني امرأةٌ لها بنون ورقيق ومال ويسار، فكنت أراها محزونة، فلما خرجت من عندها قلت لها: ألك حاجة؟ قالت: نعم. إن أنت قدمت بلدتنا هذه أن تنزل عليّ، فغبت عنها كذا وكذا سنة ثم أتيتها، فلم أَرَ ببابها إنسياً، فاستأذنت عليها فإذا هي ضاحكةٌ مسرورة. قلتُ لها: ما شأنك؟ قالت: إنك لما غبتَ عنّا لم نرسل في البحر شيئاً إلا غرق، ولا في البر شيئاً إلا عطب، وذهب الرقيق، ومات البنون. فقلت لها: يرحمك الله رأيتك محزونة في ذلك اليوم، ومسرورة في هذا اليوم. فقالت: نعم، إني لما كنت فيه من سعة الدنيا خشيتُ أن يكون الله قد عجل حسناتي في الدنيا، فلما ذهب مالي وولدي ورقيقي رجوتُ أن يكون الله قد

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥٢) في الرقاق، باب: كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، والبخاري (٢٤٧٧) في صفة القيامة باب (٣٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١/ ٤٠٨، ٤٢٥).

ادّخر لي عنده خيراً ففرحت.

٣٣٨ ـ وروى الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ أنّ رجلاً من الصحابة رأى امرأةً كان يعرفها في الجاهلية، فكلّمها، ثم تركها فجعل الرجلُ يلتفت وهي تمشي، فصدمه حائطٌ فأثّر في وجهه، فأتى النبي ـ ﷺ ـ فأخبره، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً عجّل عقوبة ذنبه في الدنيا»[1].

وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: ألا أخبركم بأرجى آية في كتاب الله تعالى؟ قالوا: بلى، فقرأ عليهم: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠].

فالمصائبُ في الدنيا بكسب الأوزار، فإذا عاقبه اللَّهُ في الدنيا فالله أكرمُ من أن يعذّبه ثانياً، وإذا عفا عنه في الدنيا فهو أكرمُ من أن يعذّبه يوم القيامة.

٣٣٩ ـ وروت عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما يصيب المؤمن من[2] مصيبة حتى شوكة فما فوقها إلا حطّ الله عنه بها خطيئة»[3].

* * *

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٩١) من حديث ابن عباس، وعزاه للطبراني، وفيه عبدالرحمٰن بن محمد بن عبيدالله العرزمي، وهو ضعيف. ثم ذكر حديث عمار بن ياسر، وقال: رواه الطبراني، وإسناده جيد. ورواه الترمذي (٢٣٩٦) من دون ذكر القصة، في الزهد، باب: ما جاء في الصبر على البلاء، من حديث أنس، وقال: حسن غريب.

(٢) من (م).

(٣) رواه مسلم (٢٥٧٢) «٤٨» في البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك.

باب الصّبر على المصيبة

٣٤٠ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن عبدالرحمٰن القارىء، حدثنا إبراهيم بن إسحاق القاضي بالكوفة، حدثنا محمد بن عاصم صاحب الحكايات، حدثنا سليمان بن عمرون، عن مهاجر أبي الحسن، عن عبدالرحمٰن بن غنم، عن معاذ بن جبل ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: مات ابن لي فكتب إلي رسول الله ـ ﷺ ـ:

«مِن محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل، السلام عليك، فإني أحمدُ الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فعظّم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر. ثم إنّ نفوسَنا وأموالنا وأهالينا وأولادنا من مواهب الله الهنيئة، وعواريه المستودعة، نتمتّع بها إلى أَجَلٍ معدود، ويقبضها لوقت معلوم، ثم افترض الله علينا الشكر إذا أعطى، والصّبر إذا ابتلى.

وكان ابنك هذا من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة، متّعك الله به في غبطة وسرور، وقبضه بأجر كبير إن صبرتَ واحتسبتَ، فلا تجمعن عليك يا معاذ أن يُحبط جزعك أجرك، فتندم على ما فاتك، فلو قدمتَ على ثواب مصيبتك عرفتَ أنّ المصيبة قد قصرت عنه، واعلمْ أنّ الجزعَ لا يردُّ ميتاً، ولا يدفعُ حزناً، فَلْيُذْهبْ عنك أسفك بما هو نازل بك، فكأن قد. والسلام»[1].

قال الفقيه: معنى قوله: «فليذهب عنك أسفك بما هو نازل بك»؛ يعني تفكّر

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٢٤٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٣): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه مجاشع بن عمرو، وهو ضعيف. وقال ابن الجوزي في كتابه (الموضوعات ٣/٢٤٢): هذا حديث موضوع.

في الموت الذي هو نازل بك حتى يذهب حزنك. «فكأن قد»: يعني كأنه قد جاء الموت؛ لأنّ الرجلَ إذا تفكّر في موت نفسه، وعلم أنه يموت عن قريب فإنه لا يحزن بموت غيره، ولا يجزع له؛ لأنّ الجزعَ لا يرد ميتاً، ويبطل ثواب المصيبة؛ لأنّ الذي يجزعُ على المصيبة إنما يشكو ربه، ويريد ردّ قضائه.

٣٤١ ـ وأخبرني أبو حميد عبدالوهاب العسقلاني بسمرقند، حدثنا محمد بن علي، حدثنا الخزاعي، حدثنا إبراهيم بن سليمان المصري، عن علي بن معبد، عن وهب بن راشد، عن مالك بن دينار، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«مَن أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه، ومن أصبح يشكو مصيبةً نزلتْ به فإنما يشكو الله تعالى، ومن تضعضع لغني لينال ما في يده أحبط الله ثلثي عمله، ومَن أُعطي القرآنَ فدخل النار أبعده الله من رحمته»[1].

يعني مَن أعطاه اللَّهُ القرآنَ، ولم يعمل بما فيه، وتهاون حتى دخل النار؛ أبعده الله من رحمته؛ لأنه هو الذي فعل برضاء[2] نفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن.

وقال وهب بن منبه ـ رضي الله تعالى عنه ـ: وجدتُ في التوراة أربعة أسطر متوالية:

أحدها: مَن قرأ كتاب الله تعالى، فظنّ أنه لم يُغْفَرْ له فهو من المستهزئين بآيات الله تعالى.

والثاني: من شكا مِن مصيبة نزلتْ به فإنما يشكو ربّه.

والثالث: مَن حزن على ما فاته فقد سخطَ على قضاء ربّه.

والرابع: من تضعضع لغني ذهب ثلثا دينه، يعني نقصَ من يقينه.

٣٤٢ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من مات له ثلاثةُ أولاد لم يلج النّارَ إلا تحلّة القسم»[3]. يعني أن الله تبارك وتعالى

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٤٨): رواه الطبراني في الصغير (١/٢٥٧)، وفيه وهب بن راشد البصري، صاحب ثابت،وهو متروك. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/١٣٣).

(٢) من (م).

(٣) رواه البخاري (١٢٥١) في الجنائز، باب: فضل من مات له ولد فاحتسب، ومسلم (٢٦٣٢) في البر والصلة والآداب، باب (٤٧). «تحلة القسم»: ما ينحلّ به اليمين.

قال: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] الآية.

٣٤٣ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما من مسلم يُصابُ بمصيبة، وإن قدم عهدُها فأحدثَ لها استرجاعاً إلَّا أحدثَ الله له مثله»[1] يعني مثل أجره. والله أعلم. وأعطاه مثل ذلك الأجر الذي أعطاه يوم أصيب بها.

وذُكِر عن عثمان بن عفان ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه كان إذا ولد له ولد أخذه يوم السابع، فَسُئل عن ذلك، فقال: إني أحبّ أن يقعَ له في قلبي شيءٌ من المحبة، فإن مات كان أعظم لأجري.

٣٤٤ ـ وروي عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنّ رجلاً كان يجيءُ بصبي له معه إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، ثم إنّ الغلام توفي، فاحتبس والده، فلما فقده رسول الله ـ ﷺ ـ سأل عنه، فقالوا: يا رسول الله، مات صبيه الذي رأيته قال: «فهلا آذنتموني به» يعني أخبرتموني «قوموا إلى أخينا نُعَزّه»، فلما دخل عليه النبي ـ ﷺ ـ إذا الرجل حزين، وبه كآبة. فقال: يا رسول الله، إني كنت أرجوه لكبر سنّي وضعفي. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أما يسرك أن تأتي يوم القيامة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: يا رب وأبواي؟! فيقال له: ادخل الجنّةَ ثلاث مرات، فلا يزال يشفعُ حتى يشفّعه الله تعالى ويدخلكم الجنة جميعاً» فذهب الحزن عن الرجل[2].

ففي هذا الخبر دليل على أنّ التعزية سنة إذا أصاب الرجل مصيبة ينبغي لإخوانه أن يعزّوه.

قال الفقيه: حدثني أبي ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده عن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ قال: سأل موسى ـ عليه السلام ـ ربه عز وجل فقال: أي رب ما لعائد المريض من الأجر؟ قال: أخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه. قال: أي ربّ فما لمشيّع الموتى من الأجر؟ قال: أبعثُ عند موته ملائكةً يشيّعونه إلى قبره برايات، ثم إلى المحشر. قال: أي ربّ، ما لمعزّي الثكلى من الأجر؟ قال: أظلّه في ظلّي يوم لا

---

(١) رواه ابن ماجه (١٦٠٠) في الجنائز، باب: ما جاء في الصبر على المصيبة، وفي الزوائد: في إسناده ضعف؛ لضعف هشام بن زياد. وقد اختلف الشيخ هل هو روى عن أبيه أو عن أمه، ولا يعرف لهما حال. قيل: ضعفه الإمام أحمد، وقال ابن حبان: روى الموضوعات عن الثقات. «فأحدث لها استرجاعاً»: أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) رواه ابن منده، وقال: غريب، وأبو نعيم، وابن عساكر. كما في كنز العمال (٤٢٩٦٠) بنحوه.

ظلّ إلا ظلّي. يعني ظل العرش.

٣٤٥ ـ وروى أبان بن صالح، عن عمير، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما تجرّع عبدٌ قطّ جرعتين أحبّ إلى الله من جرعة غضب ردّها بحلم، وجرعة مصيبة يصبرُ الرجل عليها. ولا قطرت قطرتان أحبّ إلى الله من قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد، لا يراه إلا الله تعالى. وما خطا عبدٌ خطوتين أحبّ إلى الله من خطوة إلى الصلاة المفروضة وخطوة إلى صلة الرّحم»[1].

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: توفي ابن لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، فوجد عليه وجداً شديداً، فأتاه ملكان فجلسا بين يديه بزي الخصوم، فقال أحدهما: بذرت بذراً ولم أستحصده فمرّ به هذا فأفسده، فقال للآخر: ما تقول؟ قال: أخذت الجادة فأتيت على زرع فرميت[2] يميناً وشمالاً، فإذا الطريق عليه، فقال سليمان: ولم بذرت على الطريق؟ أما علمت أن لا بُدّ للناس من الطريق. فقال له الملك: ولم تحزن على ولدك؟ أما علمتَ أنّ الموتَ سبيلُ الآخرة؟.

وذُكِر في الخبر أنّ سليمان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ تاب إلى ربّه، ولم يجزع على ولده بعد ذلك.

وذُكِر عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه نُعِي إليه ابنة له وهو في السفر، فاسترجع ثم قال: عورة سترها الله، ومؤونة كفاها الله، وأَجْر قد ساقه الله إليّ، ثم نزل فصلّى ركعتين، ثم قال: قد صنعنا ما أمرنا الله تعالى به قال: ﴿**اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**﴾ [البقرة: ١٥٣].

٣٤٦ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ليسترجع أحدُكم في شسع نعله إذا انقطع؛ فإنها من المصائب»[3].

٣٤٧ ـ قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان، حدثنا أحمد بن الحرث،

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٣٢٥)موقوفاً على الحسن.

(٢) في الأصل و(م): فرأيت، والمثبت من (ط).

(٣) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٥٢)، وفي إسناده: يحيى بن عبيدالله بن موهب التيمي: قال أحمد: أحاديثه مناكير، وقال ابن عيينة: ضعيف. (ميزان الاعتدال ٤/٣٩٥). وقال الحافظ: حديث غريب. (الفتوحات الربانية ٤/٢٨ ـ ٢٩).

حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك، عن ربيعة، عن أبي عبدالرحمٰن، عن أم سلمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى إِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُم اؤجرني في مصيبتي، وأعقبني خيراً منها، فعل الله ذلك به». فقالت أم سلمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ: لما توفي أبو سلمة؛ قلته، ثم قلت: ومن لي مثل أبي سلمة؟! فأعقبها الله تعالى برسوله ـ ﷺ ـ فتزوجها[1].

٣٤٨ ـ وروى صالح بن محمد بإسناده عن أنس بن مالك، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبطُ الأجر، والصبر عند الصدمة الأولى [يعظم الأجر][2]، وعظم الأجر على قدر عظم المصيبة، ومن استرجع بعد المصيبة جدّد الله له أجرها كيوم أصيب بها»[3].

قال الفقيه: ينبغي للعاقل أن يتفكر في ثواب المصيبة، فتسهل عليه المصيبة، فإن ثواب المصيبة إذا استقبله يوم القيامة يودّ أن يكون جميع أقاربه وجميع أولاده ماتوا قبله؛ لينال الأجر وثواب المصيبة. وقد وعد الله تعالى في المصيبة ثواباً عظيماً إذا صبر واحتسب وهو قول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ يعني لنختبركم، والاختبار من الله تعالى إظهار ما يعلم منه به الغيب ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ﴾ يعني مخافة قتال العدو ﴿وَالجُوعِ﴾ يعني المجاعة ﴿ونَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ﴾ يعني ذهاب أموالهم ﴿وَالأَنْفُسِ﴾ يعني الأوجاع والأمراض والقتل والموت ﴿والثَّمَرَاتِ﴾ يعني لا تخرج الثمرات كما كانت تخرج ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على الرزايا والمصائب.

ثم نعتهم فقال: ﴿الَّذِينَ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿إنا لله﴾ يعني نحن عبيد الله وفي ملكه وفي قبضته إن عشنا فعليه أرزاقنا، وإن متنا فإليه مآلنا ومردنا، ﴿وإنا إليه راجعون﴾ يعني بعد الموت. فالواجب علينا أن نرضى بحكمه، فإن لم نرضَ بحكمه فلا يرضى عنا إذا رجعنا إليه ﴿أولئكَ﴾ يعني أهل الصفة ﴿عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الصلوات جمع الصلاة.

---

(١) رواه مسلم (٩١٩) في الجنائز، باب: ما يُقال عند المريض والميت، وأبو داود (٣١١٩) في الجنائز، باب: في الاسترجاع، والترمذي (٩٧٧) في الجنائز، باب (٧)، والنسائي (٤/٤ ـ ٥)، وابن ماجه (١٤٤٧) في الجنائز، باب: ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حُضِر، وأحمد (٦/٢٩١، ٣٠٦). «أعقبني»: بدّلني وعوّضني.

(٢) من (م) و(ط).

(٣) فقرات هذا الحديث موزّعة في عدة أحاديث بألفاظ متقاربة.

والصلاة من الله تعالى على ثلاثة أوجه: توفيق الطاعة، والعصمة من الذنوب، والمغفرة. فهذا تفسير الصلاة الواحدة، وأما الصلوات فلا يعرف منتهاها إلا الله تعالى.

ثم قال: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ يعني ورحمة من الله تعالى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧] إلى الاسترجاع، يعني وفقهم الله لذلك.

وروي عن سعيد بن جبير[1] أنه قال: لم يكن الاسترجاع إلا لهذه الأمة، ولو أعطي لأحد لأعطي يعقوب، ألا ترى أنه قال: ﴿يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤].

وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: نعم العِدْلان ونعم العلاوة ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ فهذان العدلان ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧] فهذه العلاوة.

٣٤٩ ـ وروي أنه لما مات إبراهيم بن رسول الله ـ ﷺ ـ بكى رسول الله ـ ﷺ ـ وذرفت عيناه، فقال له عبدالرحمٰن: يا رسول الله، تبكي! أو لم تنه عن البكاء؟ قال: «لا[2]، ولكن نهيت عن النوح والغناء، عن صوتين أحمقين فاجرَيْن، وعن خَمْش الوجوه، وشقّ الجيوب، ورنّة الشيطان، وعن صوت الغناء، فإنّه لعبٌ ولهو ومزامير الشيطان، ولكن هذه رحمة جعلها اللّهُ تعالى في قلوب الرحماء، ومن لا يَرحم لا يُرحم. ثم قال: القلبُ يحزنُ والعين تدمعُ، ولا نقولُ ما يسخط الربَّ تعالى وتقدس»[3].

وروي عن الحسن البصري أنه قال: إن الله تعالى رفع عنكم الخطأ والنسيان، وما أُكْرِهْتُم عليه وما لا تطيقون، وأحلّ لكم في حال الضرورة أشياء مما حرم عليكم. وأعطاكم خمساً: أعطاكم الدنيا فضلاً، وسألكموها قرضاً، فما أعطيتموه منها

---

(١) هو سعيد بن جُبَيْر الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبدالله: تابعيّ، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل، أخذ العلم عن عبدالله بن عباس وابن عمر. قبض عليه والي مكة خالد القسري، وأرسله إلى الحجاج، فقتله بواسط سنة (٩٥هـ). (وفيات الأعيان ١/٢٠٤) و(تهذيب التهذيب ٤/١١).

(٢) من (م).

(٣) رواه الترمذي (١٠٠٥) في الجنائز، باب: ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت، وقال: حديث حسن.

طيبة بها أنفسكم. جعل لكم به[1] التّضعيف من عشرة إلى سبعمئة إلى ما لا يحصيه غيره.

والثاني؛ أخذ منكم كرهاً، فاحتسبتم وصبرتم، ثم جعل لكم به الصلاة والرحمة لقوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ**﴾ [البقرة: ١٥٧].

والثالث: لئن شكرتم لأزيدنّكم.

والرابع: لو أساء مسيئكم حتى تبلغ ذنوبه الكفر، ثم تاب فإنه يتوب عليه ويحبه، حيث قال: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٢٢].

والخامس: لو أعطى جبريل وميكائيل ما أعطاكم[2] لكان قد أجزل لهما، فقال: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠].

٣٥٠ ـ وروي عن يحيى بن جابر الطائي أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «ما قدّم رجل شيئاً بين يديه أحبّ إليه ولا هو فيه أعظم أجراً من ولد قدمه بين يديه ابن اثنتي عشرة سنة»[3].

ويقال: «الصّبر عند الصّدمة الأولى»[4] لأنه إذا مضى عليه وقت فإنه يصبر إن شاء أو أبى، فالعاقل مَن صبر بأول مرة.

وروي عن ابن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ أنه مات له ابنٌ، فمرّ به مجوسي يعزيه، فقال له: ينبغي للعاقل أن يفعلَ اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام، فقال ابنُ المبارك: اكتبوا هذا منه.

٣٥١ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن عزّى مُصاباً كان له مثل أجره»[5].

---

(١) من (م). (٢) من (م).

(٣) فيه: يحيى بن جابر الطائي: أرسل كثيراً. (تقريب التهذيب ٢/٣٤٤) و(تذهيب تهذيب الكمال ١٤٤/٣).

(٤) رواه البخاري (٧١٥٤) في الأحكام، باب: ما ذكر أن النبي ﷺ لم يكن له بواب، ومسلم (٩٢٦) في الجنائز، باب: في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى.

(٥) رواه الترمذي (١٠٧٣) في الجنائز، باب (٧١) وقال: غريب. وابن ماجه (١٦٠٢) في الجنائز، باب: ما جاء في ثواب من عزّى مصاباً، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢٤٧/٣) في ترجمة علي بن عاصم الواسطي، وقال: لم يتابعه عليه ثقة. والشوكاني في الفوائد المجموعة ص (٢٦٦). وذكره الصغاني في الموضوعات رقم (٦٦). ورواه أبو نعيم في الحلية (١٦٤/٧)، والخطيب في تاريخه (٢٥/٤ و٤٥١/١١، ٤٥٢).

٣٥٢ ـ وروي عنه ـ ﷺ ـ أنه قال: «الصبر ثلاثة: صبر على الطاعة، وصبر على المصيبة، وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له [ثلاثمئة درجة، ومن صبر على الطاعة كتب الله له][1] ستمئة درجة، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمئة درجة، ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين»[2].

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال: أول شيء كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ: إني أنا الله لا إله إلا أنا، ومحمَّد رسولي، من استسلم لقضائي، وصبر على بلائي، وشكر لي نعمائي، كتبته صديقاً، وبعثته يوم القيامة مع الصدّيقين، ومن لم يستسلم لقضائي، ولم يصبر على بلائي، ولم يشكر لنعمائي فليتخذ إلهاً سوائي.

قال ابن المبارك: المصيبة واحدة، فإذا جزع صاحبها صارت اثنتين، يعني صارت المصيبة اثنتين: إحداهما: المصيبة. والثانية: ذهاب أجر المصيبة، وهو أعظم من المصيبة.

٣٥٣ ـ وروي عن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن أصابته مصيبةٌ فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب»[3].

٣٥٤ ـ وروي عنه أيضاً ـ كرم الله وجهه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومَن أشفقَ مِن النّار لَهَا عن الشهوات، ومن ترقب الموت ترك اللذات، ومَن زهد في الدنيا هانتْ عليه المصيبات»[4].

وذُكِر أن في بعض الكتب مكتوباً ستة أسطر: في السطر الأول: من أصبح حريصاً على الدنيا أصبح ساخطاً على الله، وفي الثاني: من شكا مصيبة نزلت به فإنما

---

(١) من (م).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في (الصبر)، وأبو الشيخ في (الثواب) عن علي. (فيض القدير ٤/٢٣٤، ٢٣٥)، والديلمي في الفردوس (٣٨٤٦)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/١٨٤) وقال: هذا حديث موضوع، والمتهم به عبدالله بن زياد، وهو ابن سمعان. قال مالك ويحيى: كان كذاباً. وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث، على أن علي بن زيد قد قال فيه أحمد ويحيى: ليس بشيء.

(٣) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٨٢) من حديث بريدة، و(٥٨٣) من حديث عطاء. والدارمي (٨٥) من حديث مكحول.

(٤) قال ابن الجوزي في الموضوعات (٣/١٨٠): هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ. قال يحيى: عبيدالله بن الوليد ليس بشيء، وقال الفلاس والنسائي: متروك الحديث؛ على أن الحارث كذاب.

يشكو ربه. وفي الثالث: من لا يبالي من أي باب أتاه رزقه لا يبالي الله من أي أبـواب النار أدخله. وفي الرابـع: من أتى خطيئـة وهو يضحـك دخـل النـار وهـو يبكي. وفي الخامس: من كان أكبر همّه الشهوات نـزع الله خوف الآخرة من قلبه. وفي السادس: مَن تواضع لغني لأجل دنياه أصبح والفقر بين عينيه.

* * *

باب فضل الوضوء

٣٥٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن عبدالرحمٰن القارىء، حدثنا أبو العباس الفضل بن الحكم النيسابوري، حدثنا يزيد بن عبدالله، حدثنا عكرمة بن عمَّار، حدثنا شداد بن عبدالله الدمشقي، حدثنا أبو أمامة الباهلي، قال: قلت لعمرو بن عَبَسة لأيِّ شيء تُدعى رابع الإسلام؟ قال: إني كنتُ أرى الناس على الضّلالة ولا أرى الأوثان شيئاً، ثم سمعتُ رجلاً يخبر أخباراً بمكة، فركبتُ راحلتي حتى قدمتُ مكة، فإذا رسول الله ـ ﷺ ـ مُسْتَخْفٍ، وإذا قومه عليه جُرْءَاءُ فتلطفتُ له، فدخلت عليه، فقلت: من أنت؟ فقال: «أنا نبي». فقلتُ: وما النبي؟ قال: «رسول الله». فقلت: آلله أرسلك؟ قال: «نعم». فقلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: «بأن نوحّد الله ولا نشرك به شيئاً، وكسر الأوثان، وصلة الرحم». فقلت له: ومن معك على هذا الأمر؟ قال: «حر وعبد». وإذا معه أبو بكر وبلال. قلت: فإني أتبعك. قال: «إنك لن تستطيعَ ذلك يومك هذا، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعتَ بأني قد ظهرتُ فالحقْ بي»، قال: فرجعتُ إلى أهلي وقد أسلمت.

قال عمرو بن عَبَسة: وقد رأيتني في ذلك اليوم وأنا رابع الإسلام، يعني لم يكن في ذلك الوقت من المسلمين إلا أربعة. فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ مهاجراً إلى المدينة، فركبتُ راحلتي حتى قدمتُ على المدينة فدخلتُ عليه، فقلت: يا رسولَ الله أتعرفني؟ قال: «نعم، ألستَ الذي أتيتني بمكة؟» قلت: يا رسول الله علّمني مما علّمك الله تعالى. قال: «إذا صليتَ الصبحَ فاقصرْ عن الصلاة حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت فلا تصلّ حتى ترتفع، فإنها تطلعُ بين قرني الشيطان، وحينئذٍ يسجدُ لها الكفّار، فإذا ارتفعت قدر رمح أو رمحين فصلّ، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقلّ الرمح للظلّ، ثم أقصر عن الصلاة فإنها حينئذ تسجر جهنم، فإذا فاء الفيء

فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، فإذا صليتَ العصر فاقصرْ عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني الشيطان، وحينئذٍ يسجد لها الكفار».

قال: قلت: يا نبي الله، أخبرني عن الوضوء، قال: «ما منكم من رجل يقرب وضوءه، ثم يتمضمض،ثم يستنشق ويستنثر؛ إلا خرجت خطايا فيه وخياشيمه مع الماء حتى يستنثر، ثم يغسل وجهه كما أمره الله تعالى إلا خرجت خطايا وجهه مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين كما أمره الله تعالى إلا خرجت خطايا يديه من أطراف أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه كما أمره الله تعالى إلا خرجتْ خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين كما أمره الله تعالى إلا خرجت خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء، ثم يقوم فيحمد الله ويثني عليه بالذي هو له أهل، ثم يركع ركعتين إلا انصرف من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[1].

٣٥٦ ـ قال الفقيه: حدثنا محمَّد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبدالرحمٰن، عن أبيه عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ألا أدلّكم على ما يمحو الله تعالى به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إسباغ الوضوء في السبرات، والصّبر على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط»[2] يعني الحصن من العدو، ويقال: يعني فضل الرباط الذي يرابط في سبيل الله تعالى.

قال الفقيه: حدثني أبي ـ رحمه الله ـ بإسناده عن عبدالله بن سلام، قال: وجدتُ في بعض ما أنزل الله عز وجلِ أن من توضأ من كل حدث، ولم يكنْ دخّالاً

---

(١) رواه مسلم (٨٣٢) في صلاة المسافرين وقصرها، باب: إسلام عمرو بن عبسة، والنسائي (١/ ٢٧٩) باختصار، وكذا ابن ماجه (١٢٥١) في إقامة الصلاة، باب (١٤٨). «جرءاء» من الجراءة، وهي الإقدام والتسلط. وذكره الحميدي في «الجمع بين الصحيحين»: جِراء، ومعناه غضاب، ذوو غم، وقد عيل صبرهم به حتى أثّر في أجسامهم. «مشهودة»: تشهدها الملائكة. «محضورة»: يحضرها أهل الطاعات. «حتى يستقلّ الرمح للظل»: أي يقوم مقابله في جهة الشمال، ليس مائلاً إلى المغرب ولا إلى المشرق. «خياشيمه»: جمع خيشوم، وهو أقصى الأنف.

(٢) رواه مسلم (٢٥١) في الطهارة، باب: فضل إسباغ الوضوء على المكاره، ومالك في الموطأ (١/ ١٦١)، والترمذي (٥١) في الطهارة، باب (٣٩) وقال: حسن صحيح، والنسائي (١/ ٨٩)، وابن ماجه (٤٢٧) في الطهارة وسننها، باب (٤٩). «إسباغ الوضوء في السبرات»: إسباغ الوضوء: أي إكمال وإتمام واستيعاب أعضائه بالماء. والسبرات: جمع سَبْرة، وهي شدّة البَرْد.

على النساء في البيوت، ولم يكسبْ مالاً بغير حقّ، رزق من الدنيا بغير حساب.

٣٥٧ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من بات طاهراً في شعار طاهر، بات ومعه ملك في شعاره، فلا يستيقظ ساعة من الليل إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان، فإنه بات طاهراً»[١].

٣٥٨ ـ وعن حُمران بن أبان قال: رأيتُ عثمان بن عفان توضّأ، فأفرغَ الماء على يديه ثلاثاً فغسلهما، ثم تمضمض واستنشق ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يده اليُمنى إلى المرفقين ثلاثاً، ثم اليُسرى ثلاثاً، ثم مسح برأسه، ثم غسل قدميه ثلاثاً، ثم قال: رأيتُ رسول الله ـ ﷺ ـ توضأ نحو وضوئي هذا. ثم قال: «من توضّأ نحو وضوئي هذا، ثم صلّى ركعتين لا يحدّث نفسه فيهما بشيء من أمر الدنيا، غُفِر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»[٢].

٣٥٩ ـ وروى ثوبان عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «استقيموا ولن تُحْصُوا، واعلموا أنّ خيرَ أعمالكم الصلاة، ولا يُحافِظ على الوضوء إلا مؤمن»[٣].

قال: معنى قوله ـ ﷺ ـ: «لن تحصوا»؛ يعني لن تقدروا على ذلك، إلا بالجهد، ويقال: معناه لن تقدروا أن تعدوا ثواب من استقام، يعني استقام على الإيمان والطاعة. ومعنى قوله: «لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»؛ يعني الدوام على الوضوء من أخلاق المؤمنين. فينبغي للمؤمن أن يكون النهار كلّه على الوضوء، وينام بالليل على الوضوء، فإنه إذا فعل ذلك يحبّه الله ويحبّه الحفظة، ويكون في أمان الله عزَّ وجلَّ.

قال الفقيه: سمعت أبي ـ رحمه الله ـ يحكي بإسناده، يقول: بلغني أن عمر بن

---

(١) رواه ابن حبان (١٠٤٨) من حديث ابن عمر، وكذا البزار والطبراني في الكبير، وفيه ميمون بن زيد، قال الذهبي: ليّنه أبو حاتم، وفي إسناد الطبراني: العباس بن عتبة، قال الذهبي: يروي عن عطاء، وساق له هذا الحديث، وقال: لا يصح حديثه. قال الهيثمي: قد رواه سليمان الأحول عن عطاء، وهو من رجال الصحيح، كذلك هو عند البزار، وأرجو أنه حسن الإسناد. (مجمع الزوائد ١/٢٢٦). ورواه ابن المبارك في الزهد ص (٤٤١) من حديث أبي هريرة، وقال محققه: الصواب عن ابن عمر، وما في الكتاب وهم من أحد الرواة.

(٢) رواه البخاري (١٦٤) في الوضوء، باب: المضمضة في الوضوء، ومسلم (٢٢٦) في الطهارة، باب: صفة الوضوء وكماله.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٧٧) في الطهارة وسننها، باب: المحافظة على الوضوء، وابن حبان (١٠٣٨)، والحاكم (١/١٣٠).

الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ وجّه رجلاً من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ إلى مصر لكسوة الكعبة، فنزل الرجلُ بعض أرض الشام إلى جانب صومعة حَبْر من الأحبار، ولم يكن حبر أعلم منه، فأحبّ رسولُ عمر أن يلقاه؛ فيسمع منه علمه، فأتاه يستفتح باب داره، فلم يفتح له طويلاً، ثم دخل على الحَبْر، فسأله ليسمع منه فأعجبه، فشكا إليه حبسه على بابه، فقال له الحبر: إنا كنا رأيناك حين عدلت إلينا، فرأيناك على هيبة السلطان، فتخوّفناك، وإنما حبسناك على الباب؛ لأن الله تبارك وتعالى قال لموسى: يا موسى إذا تخوّفت سلطاناً فتوضأ، وأمر أهلك بالوضوء، فإن من توضأ كان في أمان مما يتخوف، فأغلقنا دونك الباب حتى توضأتُ، وتوضأ جميعُ مَن في الدار، وصلّينا فأمناك لذلك؛ ثم فتحنا لك الباب.

قال الفقيه: ينبغي للذي يتوضأ أن يكون وضوؤه مع التعظيم، ويعلم أنه يريد به زيارة ربه عز وجل، فينبغي أن يتوبَ مِن جميع ذنوبه؛ لأنّ الله تبارك وتعالى جعل الغسل بالماء علامة لغسله من الذنوب، فينبغي أن يبدأ بذِكْر اسم الله تعالى، وإذا تمضمض واستنشق يغسل فاه من الغيبة والكذب كما غسله بالماء، وإذا غسل وجهه يغسله من النظر إلى الحرام وكذلك في سائر الأعضاء، فإذا فرغ من وضوئه يدعو الله تعالى ويسبحه.

٣٦٠ ـ وقد روي في الخبر: «إن العبدَ المؤمن إذا فرغ من وضوئه ثم قال: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، يختم بخاتم خير[1]، ثم يُوضَع تحت العرش، فلم يُكْسَرْ حتى يدفع إليه يوم القيامة»[2].

٣٦١ ـ وروى عقبة بن عامر عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إذا فرغ أحدُكم من وضوئه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فتحت له ثمانية أبواب الجنة، يدخل من أيها شاء»[3].

---

(١) من (م).

(٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٨١ و٨٢ و٨٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٣٩): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن النسائي قال بعد تخريجه في «اليوم والليلة»: هذا خطأ. والصواب موقوفاً، ثم رواه من رواية الثوري وغندر عن شعبة موقوفاً. «فلم يُكْسَر»: أي لم يتطرق إليه إبطال أو تغيير.

(٣) رواه مسلم (٢٣٤) في الطهارة، باب: الذكر المستحب عقب الوضوء، وأبو داود (١٦٩ و١٧٠) في =

٣٦٢ ـ قال: حدثني أبي ـ رحمه الله ـ، حدثنا إبراهيم بن نصر، حدثنا محمد بن مسعدة المروزي، عن عبدالله بن عبدالمجيد، عن عمران القطان، عن قتادة، عن خليد القصري، عن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«خمس من جاء بهن يوم القيامة مع الإيمان دخل الجنة: مَن حافظ على الصلوات الخمس في مواقيتهن ووضوئهن وركوعهن وسجودهن، ومَن أدّى الزكاة من ماله طيبة بها نفسه، ثم قال: وايم الله، لا يفعلُ ذلك إلا مؤمن، ومن صام رمضان، وحجّ البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وأدّى الأمانة».

قالوا: يا أبا الدرداء وما الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة، فإن الله تعالى لم يأتمن ابن آدم على شيء من دينه غيره[1].

٣٦٣[2] ـ وروى عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن أتمّ الوضوء كما أمر الله، والصلاة كما أمر الله، كانت كفارة لما بينهما»[3].

٣٦٤ ـ قال: حدثني أبي ـ رحمه الله ـ، حدثنا أبو الحسين محمد بن جم الفقيه بسمرقند، حدثنا محمد بن إسماعيل المكي، حدثنا أبو أسامة، حدثنا أبو زمان، عن أبي الفضائل التيمي، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ لبلال عند صلاة الفجر: «حدّثني بأزكى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت الليلة خشف[4] نعليك في الجنة، فقال: ما عملت عملاً في الإسلام بأرجى عندي من أني لم أتطهّر طهوراً في ساعة ليل أو نهار، إلا صليتُ لربي أدنى ما قدر لي» وفي نسخة: أزكى ما كتب لي. وفي خبر آخر: «ما أحدثت إلا وجدّدتُ الطهارة، وما تطهرت إلا صليت ركعتين»[5].

= الطهارة، باب: ما يقول الرجل إذا توضأ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٤)، وأحمد (١/١٩)، والترمذي (٥٥) في الطهارة، باب (٤١)، وابن ماجه (٤٧٠) في الطهارة وسننها، باب: ما يقال بعد الوضوء.

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٤٧): رواه الطبراني في الكبير، وإسناده جيد.

(٢) هذا الحديث من (م). (٣) رواه النسائي (١/٩١). (٤) في (م): خفق.

(٥) رواه البخاري (١١٤٩) في التهجد، باب: فضل الطهور بالليل والنهار، ومسلم (٢٤٥٨) في فضائل الصحابة، باب: من فضائل بلال رضي الله عنه. «خشف»: الخشف: الحركة الخفيفة. وفي البخاري: «دَفّ» وهو السير اللين. ووقع في حديث بريدة عند أحمد والترمذي وغيرهما «خشخشة»: وهو بمعنى الحركة أيضاً.

باب الصّلوات الخمس

٣٦٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا يزيد بن زريع، عن يونس، عن الحسن أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «مثل الخمس صلوات كمثل نهر جارٍ على باب أحدكم كثير الماء يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، فهل يبقى عليه من الدرن شيء؟»[1].

يعني أن الصلوات الخمس تطهّره مِن الذنوب، ولا يبقين عليه شيئاً من الذنوب فيما دون الكبائر، وهذا إذا صلى الصلاة على التعظيم، ويتمّ ركوعها وسجودها؛ فإذا لم يتمّ ركوعها ولا سجودها فهي مردودةٌ عليه.

٣٦٦ ـ قال: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا أبو الوليد هشام بن عبدالملك، عن همام بن يحيى، عن إسحاق بن عبدالله، عن يحيى بن خلاد، عن أبيه، عن عمه رفاعة بن رافع بن خالد، قال: بينما نحن جلوس حول رسول الله ـ ﷺ ـ إذ دخل رجل، فاستقبل القبلة، فصلى فلما قضى صلاته، جاء فسلم على النبي ـ ﷺ ـ وعلى القوم، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ» [فرجع الرجل وصلّى، فلما رجع قال: «ارجع وصلِّ فإنك لم تصل»][2] أمره بذلك مرتين أو ثلاثاً.

فقال الرجل: ما ألوت جهدي[3]، فلا أدري ما عبتَ عليّ من صلاتي.

فقال النبي ـ ﷺ ـ: «إنه لا تتم صلاةُ أحدِكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله

---

(١) رواه مسلم (٦٦٨) في المساجد ومواضع الصلاة، باب (٥١)، وأحمد (٢/٤٢٦)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٨٦٨) من حديث جابر. «الدرن»: الوسخ.

(٢) من (م) و(ط). (٣) من (م).

تعالى فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه، ويغسل رجليه إلى الكعبين، ثم يكبِّر الله ويحمده، ثم يقرأ من القرآن ما أذن له فيه، ثم يكبّر ويركع فيضع كفيه على ركبتيه حتى تطمئن مفاصله، ويسترخي ثم يرفع رأسه ويقول: سمع الله لمن حمِده فيستوي قائماً حتى يقيم صلبه. ويأخذ كل عضو مأخذه، ثم يكبر فيسجد فيمكن وجهه من الأرض حتى تطمئن مفاصله، ويسترخي، ثم يكبر فيستوي قاعداً على مقعده، ويقيم صلبه»، فوصف صلاته هكذا أربع ركعات حتى فرغ، ثم قال: «لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك»[1].

فقد أمر النبي - ﷺ - بإتمام الركوع والسجود، وأخبر أن الصلاة لا تقبل إلا هكذا، فينبغي للعبد أن يجتهد في إتمام الصلاة؛ لتكون صلاته كفارة لما فعل قبلها من الزلل والخطايا دون الكبائر.

٣٦٧ - قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا أبو عبدالرحمٰن المقبري، عن حيوة بن شريح، عن أبي عقيل، عن الحارث مولى عثمان - رضي الله تعالى عنه - قال: جلس عثمان يوماً، وجلسنا معه، فجاء المؤذّن فدعا عثمان - رضي الله تعالى عنه - بماء، فتوضأ، ثم قال: رأيت رسول الله - ﷺ - توضأ وضوئي هذا، وسمعته يقول:

«من توضأ وضوئي هذا، ثم قام فصلَّى صلاة الظهر، غفر الله له ما كان بينها وبين صلاة الصبح، ثم صلى العصر غفر الله له ما بينها وبين صلاة الظهر، ثم صلى المغرب غفر الله له ما بينها وبين صلاة العصر، ثم صلى العِشاء غفر الله له ما بينها وبين المغرب، ثم بعده يبيت ويتمرغ ليلته، ثم إذا قام وتوضأ، وصلَّى الصبح غفر الله له ما بينها وبين العشاء الآخرة، وهن الحسنات يذهبن السيئات» قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات الصالحات؟ قال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم»[2].

٣٦٨ - وقال: ورُوي عن عبدالله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - أنه قال:

---

(١) رواه البخاري (٧٥٧) في الأذان، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، ومسلم (٣٩٧) في الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة. من حديث أبي هريرة. «ما ألوت»: ما قصرت.

(٢) رواه البزار كما في (كشف الأستار ٣٠٧٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٨٩): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجاله رجال الصحيح؛ غير الحارث بن عبد مولى عثمان، وهو ثقة.

من سـرّه أن يلقى الله غداً مسلمـاً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات المفـروضات حيث يُنـادي بهن، فـإن الله تعـالى شـرع لنبيكم سنن الهـدى، وإنّهنّ من سنن الهـدي. فلعمري لو صليتم في بيوتكم كما يصلي هـذا المتخلف في بيته، لتـركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد أتى علينا زمان وما يتخلف عنهن إلا منافق ملعـون معلن نفاقه.

ولقد رأينا الرجل يتهـادى بين اثنين حتى يقام في الصف، ومـا من رجل يتـطهر فيحسن طهوره، ثم يعمد إلى مسجد من المساجـد، فيصلي فيه إلا كتب الله لـه بكل خطوة حسنة، ويرفع لـه بها درجـة، ويحط عنه بهـا خطيئـة، حتّى إنّا كنّـا لنقارب بين الخطى، وإن صلاة الرجل في الجماعة تزيد على صلاة الرجل وحده خمسـاً وعشرين درجة[1].

٣٦٩ ـ وعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قـال: أردنـا النـقلة إلى المسجد والبقاع حول المسجد لنا خالية، فبلغ النبي ـ ﷺ ـ فأتانا في ديارنا فقال: «يا بني سلمة بلغني أنكم تريدون النقلة إلى المسجد». قلنا: يا رسـول الله بعد عنا المسجد، والبقاع حوله خالية. فقال: «يا بني سلمة دياركم فإنهـا تكتب آثاركم». قال: فما وددنا حضرة المسجد لما قال النبي ـ ﷺ ـ الذي قاله[2].

٣٧٠ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنـه قال: «مَن صلّى في الجمـاعة أربعين يـوماً لم تفتـه ركعة، كتب الله لـه بـراءتين: بـراءة من النار، وبراءة من النفاق»[3].

٣٧١ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل بإسنـاده عن عبادة بن الصـامت أن النبي ـ ﷺ ـ قال:

«من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم قام إلى الصلاة فـأتم ركوعهـا وسجودهـا والقراءة فيها، قالت الصلاة: حفظكَ الله كما حفظتني، ثم يصعد بها إلى السمـاء، ولها ضـوء ونـور، فتفتـح لهـا أبـواب السمـاء حتى يُنتهى بهـا إلى الله تبـارك وتعـالى، فتشفـعُ

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط من طريق رجلة مولاة عبدالملك، عن ابن عمر، مرفوعاً، باختصـار. (مجمع الزوائد ٢ / ٣٩).

(٢) رواه مسلم (٦٦٥) في المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل كثرة الخطى إلى المساجد.

(٣) رواه التـرمذي (٢٤١) في الصـلاة، باب: مـا جاء في فضـل التكبيـرة الأولى. وقـال: وقـد رُوي هـذا الحديث عن أنس موقوفاً.

لصاحبها؛ فإذا ضيع ركوعها وسجودها والقراءة فيها، قالت الصلاة: ضيعكَ الله كما ضيعتني. ثم يُصعد بها، ولها ظلمةٌ، حتى يُنتهى بها إلى السماء، فتغلقُ أبوابُ السماء دونها، ثم تلفّ كما يلفّ الثوب الخلِق فيضرب بها وجه صاحبها»[1].

٣٧٢ ـ وعن الحسن أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ألا أخبركم بأسوأ الناس سرقة؟» قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «الذي يسرق من صلاته». قالوا: وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتمّ ركوعها ولا سجودها»[2].

وعن سلمان الفارسي ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: الصلاة مكيال، فمن وفى مكياله وفي له، ومن طفّف فقد علمتم ما قال الله تعالى في المطففين[3].

٣٧٣ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء الآخرة والفجر، ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبواً»[4].

٣٧٤ ـ وعن بُريدة الأسلمي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «بَشِّر المشّائين في ظُلَم الليل إلى المساجد بالنّور التّام يوم القيامة»[5].

٣٧٥ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لقد هممتُ أن آمرَ بالصّلاة، فتقام، ثم أخرج بفتيان معهم حزم من الحطب، فأحرق على قوم ديارهم يسمعون النداء، ثم لا يأتون الصلاة»[6].

---

(١) رواه الطيالسي في مسنده ص (٨٠). وقال المناوي: فيه محمد بن مسلم بن أبي وضاح، قال في الكاشف: وثقه جمع، وتكلم فيه البخاري. وأحوص بن سليم: ضعّفه النسائي، وقال المديني: لا يكتب حديثه.

(٢) رواه مالك في الموطأ (١/١٦٧)، وأحمد (٣/٥٦ و٥/٣١٠)، والدارمي (١/٣٠٥).

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١].

(٤) رواه البخاري تعليقاً (٢/٤٤) في مواقيت الصلاة، باب: ذكر العشاء والعتمة، ومسلم (٤٣٧) في الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها.

(٥) رواه أبو داود (٥٦١) في الصلاة، باب: ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلام، والترمذي (٢٢٣) في الصلاة، باب (١٦٥)، وقال: هذا حديث غريب. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/١٢٩): ورجال إسناده ثقات.

(٦) رواه مسلم (٦٥١) في المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاة الجماعة، وأبو داود (٥٤٩) في الصلاة، باب: في التشديد في ترك الجماعة، وابن ماجه (٧٩١) في المساجد والجماعات، باب: التغليظ في التخلف عن الجماعة، والترمذي (٢١٧) في الصلاة، باب: ما جاء فيمن يسمع النداء فلا يجيب، وقال: حسن صحيح.

٣٧٦ ـ وروي عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «خمس صلوات افترضَ اللَّهُ تعالى على عباده، فمن جاء بهنّ تامات ولم ينقصهن استخفافاً بحقّهنّ؛ كان له عند الله عهدٌ أن يدخله الجنة، ومن تركهن استخفافاً بحقّهن لم يكن له عند الله عهد، إن شاء رحمه وإن شاء عذّبه»[١].

وروي عن عطاء ـ رحمه الله ـ في قول الله تعالى: ﴿**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [النور: ٣٧] قال: شهود الصلاة المكتوبة. وفي قوله تعالى: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾ [السجدة: ١٦] قال: صلاة العتمة.

قال الفقيه: حدثني أبي ـ رحمه الله ـ: حدثنا أحمد بن يحيى، حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا هَوْذَةُ بن خليفة، عن عوف بن أبي جميلة، عن أبي المنهال، عن شهر بن حوشب، عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: إذا كان يوم القيامة وجمع الخلائق في صعيد واحد جنهم وأنسهم، والأمم جثياً صفوفاً، نادى منادٍ: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الحمادون لله على كل حال، فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادي ثانية: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون، فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادي ثالثة: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم: ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فيقومون فيسرحون إلى الجنة، فإذا أخذ هؤلاء الثلاثة منازلهم يخرج عنق من النار، فأشرف على الخلائق، له عينان بصيرتان، ولسان فصيح، فيقول: إني وكلت بثلاثة، إني وكلت بكل جبار عنيد، فيلقطهم من الصفوف كلقط الطير حبّ السمسم، فيخنس بهم في جهنم، ثم يخرج الثانية، فيقول: إني وكلت بمن آذى الله ورسوله فيلقطهم من الصفوف فيخنس بهم في جهنم، ثم يخرج الثالثة[٢].

قال أبو المنهال: حسبت أنه قال: إني وكّلتُ بأصحاب التصاوير، فيلقطهم من

---

(١) رواه مالك في الموطأ (١/١٢٣)، وأبو داود (١٤٢٠) في الصلاة، باب: فيمن لم يوتر، والنسائي (١/٢٣٠)، وابن ماجه (١٤٠١) في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها، وابن حبان (١٧٢٩).

(٢) في إسناده: هوذة بن خليفة: قال ابن معين: ضعيف. وقال النسائي: ليس به بأس. (ميزان الاعتدال ٤/٣١١). وعوف بن أبي جميلة: ثقة؛ رُمي بالقدر وبالتشيع. (تقريب التهذيب ٢/٨٩). وشهر بن حوشب: صدوق، كثير الإرسال والأوهام. (تقريب التهذيب ١/٣٥٥).

الصفوف، فيخنس بهم في جهنم، فإذا أخذ من هؤلاء الثلاثة ومن هؤلاء الثلاثة نشرت الصحف، ووضع الميزان، ودعيت الخلائق للحساب.

وذُكِر أنّ إبليس لعنه الله كان يُرى في الزمن الأول، فقال له رجل: يا أبا مرة، كيف أصنع حتى أكون مثلك؟ قال: ويحك لم يطلب مني أحد مثل هذا، فكيف تطلب أنت؟ فقال الرجل: إنّي أحبّ ذلك. فقال له إبليس: أما إن أردت أن تكون مثلي، فتهاون بالصلاة، ولا تبالِ من الحلف صادقاً كان أو كاذباً، فقال له الرجل: لقد عاهدت الله أن لا أدع الصلاة، ولا أحلف يميناً أبداً. فقال له إبليس: ما تعلم أحد مني بالاحتيال غيرك، وأنا عهدت الله أن لا أنصح آدمياً قط.

وروي عن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: أكرمُ عباد الله على الله الذين يراعون الشمس والقمر. قالوا: يا أبا الدرداء مَن هُمْ؟ قال: المؤذنون، وكل من يراعي وقتَ الصلاة من المسلمين.

٣٧٧ ـ قال: [حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن أحمد الخطيب النيسابوري، حدثنا أبو عمرو أحمد بن خالد الحراني، عن يعقوب بن يوسف][(١)]، عن محمد بن معن، عن يوسف بن محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه ـ رضي الله تعالى عنه ـ: قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«الصلاة مرضاة للرب تبارك وتعالى، وحبّ الملائكة، وسُنّة الأنبياء، ونور المعرفة، وأصل الإيمان، وإجابة الدعاء، وقبول الأعمال، وبركة في الرزق، وراحةٌ للأبدان، وسلاحٌ على الأعداء، وكراهية للشيطان، وشفيعٌ بين صاحبها وبين ملك الموت، وسراج في قبره، وفراش تحت جنبه، وجواب من منكر ونكير، ومؤنس وزائر في قبره إلى يوم القيامة.

فإذا كانت القيامة[(٢)]، صارت الصلاة ظلًّا فوقه، وتاجاً على رأسه، ولباساً على بدنه، ونوراً يسعى بين يديه، وسِتراً بينه وبين النار، وحُجّة للمؤمنين بين يدي الرب تبارك وتعالى، وثقلاً في الموازين، وجوازاً على الصراط، ومفتاحاً للجنة، لأن الصلاةَ تسبيحٌ وتحميدٌ وتمجيدٌ وتقديس وتعظيم وقراءة ودعاء، وأنّ أفضل الأعمال كلّها الصلاة لوقتها».

---

(١) من (م) و(ط). (٢) في (م): فإذا كان يوم القيامة.

٣٧٨ ـ وعن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال «أولُ ما يُحاسَبُ به العبدُ يومِ القيامة الصلاة، فإن كان قد أتمّها هوّن عليه الحساب. وإن كان قد انتقص منها شيئاً قال الله تعالى لملائكته: هل لعبدي من تطوع؟ فأتمو الفريضة من التطوع، فإن تمّ جزي جميع الأعمال على حساب ذلك»[1].

ويُقال: من داوم على الصلوات الخمس في الجماعة أعطاه الله تعالى خمس خصال: أولها: يرفع عنه ضيق العيش، ويرفع عنه عذاب القبر، ويعطى كتابه بيمينه، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف[2]، ويدخل الجنة بغير حساب.

ومن تهاون بالصلوات الخمس في الجماعة، عاقبه الله تعالى باثنتي عشرة خصلة: ثلاث في الدنيا، وثلاث عند الموت، وثلاث في القبر، وثلاث يوم القيامة.

أما الثلاث التي في الحياة الدنيا[3]: فإنه ترفع البركة من كسبه ورزقه؛ ولا يقبل منه سائر عمله، وينزع سيما الخير عن وجهه، ويكون بغيضاً في قلوب الناس.

وأما التي عند الموت: فتقبض روحه عطشان؛ جائعاً، ويشتدُّ نزعه.

وأما التي في القبر: فمسألة منكر ونكير، وظلمة القبر، وضيقه.

وأما التي في القيامة: فشدّة حسابه، وغضب الرب عليه، وعقوبة الله تعالى له في النار.

وقد رُوي عن أبي الدرداء، نحو هذا. وعن أبي ذر عن النبي ـ ﷺ ـ.

وروي عن مجاهد أن رجلًا جاء إلى ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ فقال: يا بن عباس، ما تقول في رجل يقوم الليل، ويصوم النهار، ولا يشهد جمعة، ولا يصلّي في الجماعة، فمات على ذلك، فأين هو؟ فقال: هو في النار. فاختلف إليه شهراً يسأله عن ذلك، وهو يقول: هو في النار.

قال: حدّثني أبي ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده، عن علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ أنه قال: ليأتين على الناس زمانٌ لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن

---

(١) رواه أبو داود (٨٦٤) في الصلاة، باب (١٤٩)، وابن ماجه (١٤٢٥) في إقامة الصلاة، باب: ما جاء في أول ما يُحاسَب به العبد الصلاة، والنسائي (١/٢٣٣ و٢٣٤)، والحاكم (١/٢٦٢) من حديث أبي هريرة. ورواه أحمد (٤/٦٥ و١٠٣ و٥/٧٢ و٣٧٧) من حديث يحيى بن يعمر، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ. والحاكم (١/٢٦٣) من حديث تميم الداري.

(٢) من (م) و(ط). (٣) من (م).

إلا رسمه، ومساجدهم يومئذٍ عامرة، وهي من الهدى خراب، علماؤهم يومئذٍ شرّ علماء؛ تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتنةُ، وفيهم تعود.

قال وهب بن منبه: إن الحوائج لم تطلب إلى الله بمثل الصلاة، وكانت الكرب العظام تُكشف عن الأولين بالصلاة، قلّما نزل بأحد منهم كربةٌ إلا كان مفزعُهُ إلى الصلاة.

وقال عز وجل في قصة يونس ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤]. قال ابن عباس: كان من المصلّين.

قال الحسن البصري ـ رحمة الله عليه ـ: إنَّ التضرُّعَ في الرخاء استعاذةٌ من نزول البلاء، ويجد صاحبه متّكأً إذا نزل به.

٣٧٨/م ـ قال النبي ـ ﷺ ـ: «ما أُعطي عبدٌ خيراً من أن يؤذن له في ركعتين يصليهما»[1].

قال محمد بن سيرين ـ رحمه الله تعالى ـ: لو خيّرت بين ركعتين وبين الجنة لاخترتُ الركعتين على الجنة؛ لأنّ في الركعتين رضا الله تعالى، وفي الجنة رضائي.

ويقال: إنّ الله تعالى لما خلق سبع سماوات حشاها بالملائكة، وتعبّدهم بالصلاة، فلا يفترون ساعة، فجعل لكلّ أهل سماء نوعاً من العبادة: فأهل سماء قيام على أرجلهم إلى نفخة الصور، وأهل سماء ركّع، وأهل سماء سجّد، وأهل سماء مرخية الأجنحة من هيبته، وأهل عليين وأهل العرش وقوف يطوفون حول العرش، يسبّحون بحمد ربّهم، ويستغفرون لمن في الأرض. فجمع الله ذلك كلّه في صلاة واحدة كرامة للمؤمنين حتى يكون لهم حظّ من عبادة أهل كل سماء، وزادهم القرآن، يتلونه فيها فطلب منهم شكرها، وشكرها إقامتها بشرائطها وحدودها.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] وقال: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] وقال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [هود: ١١٤] وقال: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢] فلم نجد ذكر الصلاة في

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد ص (٥٠) بلفظ: «ما تقرّب العبد إلى الله تعالى بشيء أفضل من سجود خفي» من حديث ضمرة بن حبيب، مرسلاً.

موضع من التنزيلَ إلا مع ذكر إقامتها.

فلما بلغ ذكر المنافقين قال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ ـ ٥] فسماهم المصلين، وسمى المؤمنين المقيمين الصلاة وذلك ليعلم أن المصلين كثير والمقيمين للصلاة قليل، فأهل الغفلة يعملون الأعمال على الترويج ولا يذكرون يوم تعرض على الله فتقبل أم تردّ.

٣٧٩ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ منكم مَن يُصلِّي صلاته، فلا يُكتب له من صلاته إلا ثلثها، أو ربعها، أو خمسها، أو سدسها، حتى ذكر عشرها»[١] يعني أنه لا يكتب له من صلاته ما سها عنه.

٣٨٠ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن صلّى ركعتين مُقبلاً على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[٢].

وإنما عظم شأن صلاة العبد بإقبال العبد على الله، فإذا لم يقبل ولها عنها بحديث النفس كان بمنزلة وافدٍ وفد إلى باب ملك معتذراً من خطيئته وزلته، فلما وصل إلى باب الملك قام بين يديه، وأقبل عليه الملك، فجعل الوافدُ يلتفت يميناً وشمالاً؛ فإنّ الملك لا يقضي حاجته وإنما يقبل الملك عليه على قدر عنايته. فكذلك الصلاة، إذا قام العبدُ فيها وسها فيها لا تقبل منه.

واعلم: أنّ مثل الصلاة كمثل ملك اتّخذ عرساً، فاتخذ وليمة، وهيّأ فيها ألواناً من الأطعمة والأشربة، لكلّ لون لذّة، وفي كلُّ لون منفعة، فكذلك الصلاة؛ دعاهم الربّ إليها، وهيّأ لهم فيها أفعالاً مختلفة وأذكاراً، فتعبّدهم بها ليلذّهم بكل لون من العبودية، فالأفعال كالأطعمة، والأذكار كالأشربة.

وقد قيل: إنّ في الصلاة اثني عشر ألف خصلة، ثم جمعت هذه الاثنا عشر ألفاً في اثنتي عشرة خصلة، فمن أراد أن يصلّي فلا بُدّ أن يتعاهدَ هذه الاثنتي عشرة خصلة؛ لتتم صلاته، فستة قبل الدخول في الصلاة، وستة بعدها.

---

(١) رواه أحمد (٣/٤٢٧) من حديث أبي اليسر.

(٢) رواه مسلم (٢٣٤) في الطهارة، باب: الذكر المستحب عقب الوضوء، وأبو داود (٩٠٦) في الصلاة، باب: كراهية الوسوسة، والنسائي (١/٩٥)، وابن ماجه (٤٧٠) في الطهارة وسننها، باب: ما يقال بعد الوضوء، من حديث عقبة بن عامر بلفظ: «ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين؛ يُقبل بقلبه ووجهه عليهما؛ إلا وجبت له الجنة».

أولها: العلم؛ ٣٨١ ـ لأن النبي ـ ﷺ ـ قال: «عملٌ قليل في علم، خيرٌ من عمل كثير في جهل»(١).

والثاني: الوضوء؛ ٣٨٢ ـ لقوله ـ ﷺ ـ: «لا صلاة إلا بطهور»(٢).

والثالث: اللباس؛ لقوله تعالى: ﴿**خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾ [الأعراف: ٣١] يعني البسوا ثيابكم عند كل صلاة.

والرابع: حفظ الوقت؛ لقوله عزّ وجل: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى المؤمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً**﴾ [النساء: ١٠٣] يعني فرضاً مؤقتاً.

والخامس: استقبال القبلة؛ لقوله عز وجل: ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾ [البقرة: ١٥٠] يعني نحوه.

والسادس: النية ٣٨٣ ـ لقوله ـ ﷺ ـ: «إنّما الأعمالُ بالنيّات، وإنّما لكلّ امرىء ما نوى»(٣).

والسابع: التكبير؛ ٣٨٤ ـ لقوله ـ ﷺ ـ: «تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم»(٤).

والثامن: القيام؛ لقوله عز وجل ﴿**وَقُومُوا لله قَانِتِينَ**﴾ [البقرة: ٢٣٨] يعني صلوا لله قائمين.

والتاسع: القراءة؛ لقوله تعالى: ﴿**فَاقْرَؤُوا ما تَيَسَّر مِنَ القُرْآنَ**﴾ [المزمل: ٢٠].

والعاشر: الركوع؛ لقوله عز وجل: ﴿**وارْكَعُوا**﴾ [البقرة: ٤٣].

والحادي عشر: السجود؛ لقوله عز وجل: ﴿**وَاسْجُدُوا**﴾ [الحج: ٧٧].

والثاني عشر: القعدة الأخيرة؛ ٣٨٥ ـ لقوله ـ ﷺ ـ: «إذا رفع الرجلُ رأسَه من

---

(١) رواه الديلمي عن أنس، كما في (فيض القدير ٤/٥٢٦) بلفظ: قليل العمل ينفع مع العلم، وكثير العمل لا ينفع مع الجهل.

(٢) رواه مسلم (٢٢٤) بلفظ: «لا تُقبل صلاة بغير طهور». وأحمد (٢/٤١٨) بلفظ: «لا صلاة لمن لا وضوء له»، وكذا أبو داود (١٠١)، وابن ماجه (٣٩٩)، والحاكم (١/١٤٦) من حديث أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري (١) في بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم (١٩٠٧) في الإمارة، باب: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، من حديث عمر.

(٤) رواه أبو داود (٦١) في الطهارة، باب: فرض الوضوء، والترمذي (٣) في الطهارة، باب (٣)، وقال: هذا الحديث أصحّ شيء في هذا الباب وأحسن، وابن ماجه (٢٧٥) في الطهارة وسننها، باب: مفتاح الصلاة الطهور.

آخر السّجدة وقعد قدر التشهد فقد تمّت صلاته»[1].

فإذا وُجدت هذه الاثنتا عشرة يحتاجُ إلى الختم وهو الإخلاص لتتمّ هذ الأشياء؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿فَادْعُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤].

فأما العلم فعلى[2] ثلاثة أوجه:

أولها: أن يعرفَ الفريضةَ مِنَ السُّنّة؛ لأنّ الصلاةَ لا تجوزُ إلا به.

والثاني: أن يعرفَ ما في الوضوء من الفريضة والسُّنّة؛ فإنّ ذلك من تمام الصلاة.

والثالث: أن يعرفَ كيدَ الشيطان فيأخذ في محاربته بالجهد.

وأما الوضوء فتمامه في ثلاثة أشياء:

أولها: أن تطهّر قلبك من الغلّ والحسد والغشّ.

والثاني: أن تطهّر البدنَ من الذنوب.

والثالث: أن تغسلَ الأعضاء غسلاً سابغاً بغير إسراف.

أما اللباس فتمامه بثلاثة أشياء:

أولها: أن يكونَ أصلُه من الحلال.

والثاني: أن يكونَ طاهراً من النّجاسات.

والثالث: أن يكونَ موافقاً لِلسُّنّة، ولا يكون لبسه على وجه الفخر والخيلاء.

وأما حفظ الوقت ففي ثلاثة أشياء:

أولها: أن يكونَ بصرُك إلى الشمس والقمر والنجوم تتعاهدُ به حضورَ الوقت.

والثاني: أن يكونَ سمعُك إلى الأذان.

والثالث: أن يكونَ قلبُك متفكّراً متعاهداً للوقت[3].

وأما استقبال القبلة فتمامه في ثلاثة أشياء:

أولها: أن تستقبلَ القبلةَ بوجهك.

والثاني: أن تُقبل على[4] الله بقلبك.

---

(١) قال الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/٥٦٠): رواه أبو داود والترمذي؛ في ترجمة عبدالرحمٰن بن رافع التنوخي، وقال: هذا من مناكيره.

(٢) في الأصل: فهو، والمثبت من (م) و(ط). (٣) من (م).

(٤) في (م): إلى.

والثالث: أن تكونَ خاشعاً ذليلاً.

وأما النية فتمامها في ثلاثة أشياء:

أولها: أن تعلمَ أيّ صلاة تصلّي.

والثاني: أن تعلمَ أنك تقومُ بين يدي الله تعالى وهو يراك، فتقوم بالهيبة.

والثالث: أن تعلمَ أنه يعلمُ ما في قلبك؛ فتفرغ قلبك من أشغال الدنيا.

وأما التكبير فتمامه في ثلاثة أشياء:

أولها: أن تكبّر تكبيراً صحيحاً جزماً.

والثاني: أن ترفعَ يديك حذاء أذنيك.

والثالث: أن يكونَ قلبُك حاضراً فتكبّر مع التعظيم.

وأما تمام القيام ففي ثلاثة أشياء:

أولها: أن تجعلَ بصرَك في موضع سجودك.

والثاني: أن تجعلَ قلبَك إلى الله.

والثالث: أن لا تلتفتَ يميناً ولا شمالاً.

وأما تمام القراءة ففي ثلاثة أشياء:

أولها: أن تقرأَ فاتحةَ الكتاب قراءةً صحيحةً بالترتيل بغير لحن.

والثاني: أن تقرأَ بالتفكّر وتتعاهد معانيها.

والثالث: أن تعملَ بما تقرأ.

وأما تمام الركوع ففي ثلاثة أشياء:

أولها: أن تبسطَ ظهرك ولا تنكسه ولا ترفعه.

والثاني: أن تضعَ يديك على ركبتيك، وتفرج بين أصابعك.

والثالث: أن تطمئن راكعاً، وتسبّح التسبيحات مع التعظيم والوقار.

وأما تمام السجود ففي ثلاثة أشياء:

أولها: أن تضعَ يديك بحذاء أذنيك.

والثاني: أن لا تبسطَ ذراعيك.

والثالث: أن تطمئن فيها ساجداً، وتسبح مع التعظيم.

وأما تمام الجلوس ففي ثلاثة:

أولها: أن تقعدَ على رجلك اليُسرى، وتنصبَ اليُمنى نصباً.

والثاني: أن تتشهّدَ بالتعظيم، وتدعو لنفسك وللمؤمنين.

والثالث: أن تسلّمَ على التمام.

وأما تمام السلام؛ فأن تكونَ مع النية الصادقة من قلبك، أن سلامك على مَن كان عن يمينك من الحفظة والرجال والنساء، وكذلك عن يسارك، ولا يتجاوز بصرك عن منكبيك.

وأما تمام الإخلاص ففي ثلاثة أشياء:

أولها: أن تطلبَ بصلاتك رضا الله تعالى، ولا تطلبَ رضا الناس.

والثاني: أن ترى التّوفيقَ مِنَ الله تعالى.

والثالث: أن تحفظَها حتى تذهب بها مع نفسك يوم القيامة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ [الأنعام: ١٦٠] ولم يقل من عمل الحسنة.

وينبغي للمصلّي أن يعلمَ ماذا يفعل ويعرف قدره؛ ليحمدَ الله تعالى على ما وفّقه، فإنّ الصلاةَ قد جمعت فيها أنواع الخير من الأفعال والأذكار، فإذا قام العبدُ إلى الصلاة، وقال: الله أكبر، ومعناه الله أعظم، يقول الله تعالى: قد علم عبدي أنّي أكبرُ من كل شيء، وقد أقبل عليّ. فإذا كبر رفع يديه إلى أذنيه. ومعنى رفع اليدين هو التبرئة من كل معبود سوى الله تعالى.

ثم يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، وتعلم في قلبك معنى هذا القول «سبحانك اللهم» يعني تنزيهاً لله عن كل سوء ونقص، «وبحمدك» يعني أن لك الحمد. «وتبارك اسمك» يعني جعلت البركة في اسمك أي[1] فيما ذكر عليه اسمك، ثم يقول: «وتعالى جدّك» يعني ارتفع قدرك وعظمتك، «ولا إله غيرك» يعني لا خالق ولا رازق ولا معبود غيرك، لم يكن فيما مضى، ولا يكون فيما بقي.

ثم يقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» يعني أسألك أن تعيذني وتمنعني من فتنة الشيطان الملعون. «إن الله هو السميع العليم» يعني السميع لدعائي، العليم بضعفي وحاجتي. «بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم» فمعنى قوله: بسم الله: يعني الأول فلا شيء قبله ولا شيء بعده، الرحمن: العاطف على جميع خلقه بالرزق، الرحيم: البارّ بالمؤمنين خاصة.

---

(١) في (م): و.

ثم تقرأ فاتحة الكتاب إلى آخرها، يعني الحمد لله الذي لم يجعلني من المغضوب عليهم وهم اليهود، ولا الضالين وهم النصارى، ولكنّه جعلني على طريق أنبيائه.

وإذا ركعت فتفكّر في نفسك، فكأنّك تقول: يا رب إني خضعتُ بين يديك، وجئتُ بهذه النفس العاصية إليك، وانقادتْ نفسي لعظمتك لعلك تعفو عني[1] وترحمني.

ثم تقول: «سبحان ربي العظيم»، ومعناه: تضرّعاً إلى رب عظيم ومولى كريم، ثم ترفع رأسك وتقول: «سمع الله لمن حمده»، ومعناه غفر الله لمن وَحَّدَهُ وأطاعه، ثم تقول: «ربنا لك الحمد». ومعناه لك الحمد إذ وفقتنا لهذا.

ثم تسجد، ومعنى السجود الميل بالذل والاستسلام والتواضع. ومعناه: يا رب إنك صوّرتَ وجهي على أحسن الصور، وجعلتَ فيه البصر والسمع واللسان، فهذه الأشياء أحبّ إليّ وأنفع، فقد جئتُ بهذه الأشياء ووضعتها بين يديك لعلك ترحمني.

ثم تقول: «سبحان ربي الأعلى» ومعناه: تنزّه ربي الأعلى الذي لا شيء فوقه، . وإذا جلستَ للتشهد، وقرأت التحيات [فتقول: «التحيات لله»][2] يعني الملك لله والحمد والثناء.

وروي عن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: كان في الجاهلية أصنام، فكانوا يقولون لأصنامهم: لك الحياة الباقية، فأمر الله تعالى أهل الصلاة أن يجعلوا التحيات لله تكذيباً لهم، يعني البقاء والملك الدائم لله تعالى.

ثم تقول: «والصّلوات» يعني الصلوات الخمس لله عز وجل، لا ينبغي أن تُصلّي إلا له. «والطيبات» يعني شهادة أن لا إله إلا الله هي لله تعالى، يعني الوحدانية لله تعالى.

ثم تقول: «السلام عليك أيها النبي» يعني يا محمد عليك السلام كما بلغت رسالة ربك، ونصحت لأمتك. «ورحمة الله» يعني رضوان الله لك واجب[3] «وبركاته»: يعني عليك البركة وعلى أهل بيتك. «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» يعني مغفرة الله تعالى لنا، وعلينا، وعلى جميع من مضى من النبيين

---

(١) في (م): تغفر لي. (٢) من (م). (٣) من (م).

والصديقين، ومن سلك طريقهم إلى يوم القيامة. «أشهد أن لا إله إلا الله» يعني لا معبود في السماء والأرض غيره «وأشهد أن محمداً عبده[1] ورسوله»، خاتم أنبيائه وصفيه وخيرته من جميع خلقه.

ثم تصلّي على النبي - ﷺ -، ثم تدعو لنفسك وللمؤمنين والمؤمنات، ثم تسلّم عن يمينك وشمالك.

ومعنى التسليم عن اليمين وعن اليسار، يعني: أنتم معاشر إخواني من المؤمنين سالمون آمنون من شرّي وخيانتي إذا خرجتُ من المسجد.

٣٨٦ - وروي عن الحسن البصري - رحمة الله عليه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: «للمصلي ثلاثُ كرامات: يتناثر البرّ على رأسه من عنان السماء إلى مفرق رأسه، والملائكة محفوفة به من قدميه إلى عنان السماء، وملك ينادي لو يعلم العبدُ مَن يناجي ما انفتل من صلاته، فهذه الكرامات كلّها للمصلي»[2].

فينبغي للمصلي[3] أن يعرفَ قدر صلاته، ويحمد الله تعالى على ما مَنّ عليه ووفقه لذلك.

وروى سعيد عن قتادة أن دانيال - عليه السلام - نعت أمة محمد - ﷺ - فقال: يصلّون صلاةً لو صلاّها قوم نوح ما أغرقوا، ولو صلاّها قومُ عاد ما أرسلتْ عليهم الريحُ العقيم، ولو صلاها قومُ ثمود ما أخذتهم الصّيحةُ. ثم قال قتادة: عليكم بالصلاة فإنّها خُلُقٌ للمؤمنين حَسَنٌ.

٣٨٧ - وروى خلف بن خليفة، عن ليث رفعه إلى النبي - ﷺ - أنه قال: «أمتي أمة مرحومة، وإنما يدفعُ الله عنهم البلاء بإخلاصهم ودعائهم وصلاتهم وضعفائهم»[4].

* * *

---

(١) من (م).

(٢) رواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (١٦٠) موقوفاً على عباد بن كثير. وعزاه في كنز العمال (٧/ ٢٨٩) لمحمد بن نصر في الصلاة عن الحسن مرسلاً.

(٣) من (م).

(٤) في إسناده: خلف بن خليفة: صدوق، اختلط في الآخر، وادّعى أنه رأى عمرو بن حُريث الصحابي، فأنكر عليه ذلك ابنُ عيينة وأحمد. (تقريب التهذيب ١/ ٢٢٥). والليث: مضطرب الحديث. (ميزان الاعتدال ٣/ ٤٢٠).

باب فضل الأذان والاقامة

٣٨٨ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا علي بن يونس العابد، عن أبي عون البصري، عن سلمة بن ضرار، عن رجل من أهل الشام قال: جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: أخبرني بعملٍ أدخل به الجنة. قال: «كن مؤذّن قومك يجمعوا بك صلاتهم». قال: يا رسول الله إن لم أطق؟ قال: «كنْ إمامَ قومك يقيموا بك صلاتهم». قال: فإن لم أطق؟ قال: «فعليك بالصّفّ الأول»(١).

وروى وكيع؟ عن عبيدالله بن الوليد، عن محمد بن نافع، عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: نزلت هذه الآية في المؤذنين **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** [فصلت:٣٣] يعني دعا الخلق إلى صلاة، وصلّى بين الأذان والإقامة.

٣٨٩ ـ وروى القاسم عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «يُغفر للمؤذن مدّ صوته، وله مثل أجر مَن صلّى معه من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ»(٢).

٣٩٠ ـ وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن خولة بنت حكيم السلمية قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «المريضُ ضيفُ الله ما دام في مرضه، يُرفع له كل يوم عمل سبعين شهيداً، فإن عافاه من مرضه خرجَ مِن ذنوبه كيوم ولدته أمه، فإن قضى عليه بالموت أدخله الجنة بغير حساب.

---

(١) رواه البخاري في تاريخه (١/١/٣٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٣٢٧): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن إسماعيل الضبي، وهو منكر الحديث. من حديث ابن عباس.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٣٢٦) رواه الطبراني في الكبير، وفيه جعفر بن الزبير، وهو ضعيف.

والمؤذن هو حاجبُ الله تعالى، يعطيه بكل أذانٍ ثوابَ ألف نبي. والإمامُ وزيرُ الله يعطيه بكل صلاة ثواب ألف صديق. والعالمُ وكيلُ الله تعالى؛ يعطيه بكل حديث نوراً يوم القيامة، وكتب الله له بكل حديث عبادة ألف سنة. والمتعلّمون من الرجال والنساء هم خدمُ الله، فما جزاؤهم إلا الجنة».

قال الفقيه: قوله: «حاجب الله» على وجه المثل، يعني يعلم الناس وقت الدخول على ربهم كالحاجب للملك، يأذن للناس بالدخول وقت الإذن، وكذلك قوله: «وزير الله»، يعني أن الناس يقتدون به في صلاته، وصلاتهم تتمّ بصلاته.

٣٩١ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن أذّن سبع سنين أعتقه اللَّهُ مِن سبع دركات من النار، بعد أن يحسن نيته»(١).

٣٩٢ ـ وعن عطاء بن يسار أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «يغفر للمؤذّن مدّ صوته ويصدّقه كل ما سمعه من رطب ويابس»(٢).

٣٩٣ ـ وعن أبي سعيد الخُدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: إذا كنتَ في هذه البوادي، فأذّنت فارفعْ صوتك؛ فإني سمعت النبي ـ ﷺ ـ يقول: «لا يسمع مدى صوت المؤذّن شجر ولا حجر ولا مدر ولا إنس ولا جان، إلا شهد له يوم القيامة عند الله تعالى»(٣).

٣٩٤ ـ قال: وحدثني محمد بن الفضل بإسناده عن معاذ بن جبل ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «يبعث الله يوم القيامة بلالاً على ناقة من نوق الجنة يؤذّن على ظهرها، فإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمَّداً رسول الله، نظر الناسُ بعضهم إلى بعض، فقالوا: نشهد على مثل ما تشهد؛ حتى يوافي المحشر

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٦) في الصلاة، باب: ما جاء في فضل الأذان، وقال: حديث غريب، وابن ماجه (٧٢٧) في الأذان والسنة فيها، باب: فضل الأذان وثواب المؤذنين. من حديث ابن عباس بنحوه. ورواه البيهقي في الشعب (٢٧٠٢) عن ابن عباس أيضاً، ولكن بلفظ آخر.

(٢) رواه أحمد (٤/٢٨٤)، والنسائي (٢/١٣) من حديث البراء بن عازب. ورواه الطبراني عن عطاء مرسلاً (الكنز ٢٠٩٢٧).

(٣) رواه البخاري (٦٠٩) في الأذان، باب: رفع الصوت بالنداء، ومالك في الموطأ (١/٦٩)، وأحمد (٣/٣٥، ٤٣)، والنسائي (٢/١٢). «مدى»: المدى: الغاية، أي يستكمل مغفرة الله إذا استنفذ وُسْعَهُ في رفع صوته، فيبلغ الغاية في المغفرة إذا بلغ الغاية في الصوت. «مدر»: هو الطين المتماسك.

فإذا وافى المحشر؛ يؤتى بحلل من حلل الجنة، فأول مَن يكسى بلال وصالحو المؤذنين»[1].

٣٩٥ ـ قال قتادة: ذكر لنا أن أبا هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ كان يقول: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة، وإن أول من يقضى له يوم القيامة الشهداء والمؤذنون بعد الأنبياء، فيدعى مؤذنُ الكعبة ومؤذن بيت المقدس، ثم يتتابع المؤذنون»[2].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: لو كنت مؤذناً لما باليت أن لا أغزو.

وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: لو كنتُ مؤذناً لما باليتُ أن لا أجاهدَ.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: لو كنتُ مؤذناً لما باليت أن لا أحجّ ولا أعتمر بعد حجة الإسلام.

وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: ما أتأسّفُ على شيء إلا أني وددتُ أني كنت سألت النبي ـ ﷺ ـ الأذان للحسن والحسين.

٣٩٦ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما من مدينة يكثر المؤذّنون فيها إلا قلّ بردها»[3].

٣٩٧ ـ وعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إذا نادى المؤذّنون بالأذان هرب الشيطان حتى يكونَ بالروحاء» وهي [ستة و] ثلاثون ميلاً من المدينة[4].

---

(١) قال ابن الجوزي في الموضوعات (٣/٢٤٥): هذا حديث موضوع لا أصل له. قال العقيلي: عبدالكريم مجهول بالنقل، وحديثه غير محفوظ. وذكره السيوطي في البدور السافرة ص (١١٣) وعزاه لحميد بن زنجويه في «فضائل الأعمال».

(٢) روى قسمه الأولى مسلم (٣٨٧) في الصلاة، باب: فضل الأذان، وابن حبان (١٦٦٧) من حديث معاوية، وبرقم (١٦٧٠) من حديث أبي هريرة. وروى بقيته ابن سعد، والحاكم في تاريخه، والبيهقي وضعّفه، عن جابر. (كنز العمال ٢٠٩٣٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/٩١) وقال: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وفي إسناده: بشير بن غالب؛ قال الأزدي: هو متروك الحديث. وفيه عمرو بن جميع؛ وهو المتهم عندي. قال يحيى: هو كذّاب خبيث، وقال النسائي والدارقطني: متروك، وقال ابن عدي: كان يتهم الوضع، وقال ابنُ حبان: لا يحلّ كتب حديثه إلا للاعتبار. وانظر: الفوائد المجموعة ص (١٨).

(٤) رواه مسلم (٣٨٨) في الصلاة، باب: فضل الأذان. وما بين حاصرتين مستدرك منه.

قال الفقيه: يحتاج المؤذِّنُ إلى عشر خصال حتى ينال فضل المؤذنين:

أولها: أن يعرف ميقات الصلاة ويحفظها.

والثاني: أن يحفظ حلقه، فلا يؤخر الأذان لأجل حلقه.

والثالث: إذا كان غائباً لا يسخطُ على مَن أذّن في مسجده.

والرابع: أن يحسنَ الأذان.

والخامس: أن يطلبَ ثوابه من الله تعالى ولا يمنّ على الناس.

والسادس: أن يأمرَ بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقول الحقّ للغني والفقير سواء.

والسابع: أن ينتظرَ الإمام بقدر ما لا يشق على القوم.

والثامن: أن لا يغضبَ على مَن أخذ مكانه في المسجد.

والتاسع: أن لا يطوّل الصلاة بين الأذان والإقامة.

والعاشر: أن يتعاهد مسجده فيطهّره من القذر، ويجنّب الصبيان عنه.

ويحتاج الإمامُ إلى عشر خصال حتى تتمّ صلاته وصلاة من خلفه:

أولها: أن يكونَ قارئاً لكتاب الله تعالى، ولا يكون لحاناً.

والثاني: أن تكونَ تكبيراتُه جزماً صحيحاً.

والثالث: أن يتمّ ركوعه وسجوده.

والرابع: أن يحفظَ نفسه من الحرام والشبهة.

والخامس: أن يحفظ ثيابه وبدنه [عن الأذى][1].

والسادس: أن لا يطوّل القراءةَ إلا برضا القوم.

والسابع: أن لا يُعجبَ بنفسه.

والثامن: أن لا يدخلَ في الصلاة حتى يستغفرَ الله من جميع ذنوبه؛ لأنه شفيعٌ لمن خلفه.

والتاسع: إذا سلّم لا يخصّ نفسه بالدُّعاء فيخون القوم.

والعاشر: إذا نَزل في مسجده غريبٌ يسأله عما يحتاجُ إليه.

٣٩٨ ـ وروى أبو سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «خمسة أضمن لهم الجنة: المرأة الصالحة المطيعة لزوجها، والولد المطيع

---

(١) من (م).

لأبويه، والمتوفّى في طريق مكة، وصاحب الخُلُق الحسن، ومن أذّن في مسجدٍ من المساجد إيماناً واحتساباً».

٣٩٩ ـ وروي عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «الإمامُ ضامن، والمؤذّنُ مُؤْتَمَنٌ، اللهم ارشدْ الأئمة واغفرْ للمؤذنين»[1].

قال الفقيه: سُمِّي المؤذن مؤتمناً لأنّ الناس ائتمنوه في أمر صلاتهم وصومهم، فمن حقّ المسلمين على المؤذن أن لا يؤذّن لصلاة الفجر حتى يطلع الفجر؛ كيلا يشتبه عليهم أمرُ صلاتهم وسحورهم، ولا يؤذّن لصلاة المغرب حتى تغربَ الشمس؛ لكيلا يشتبه عليهم أمر فطرهم، فمن هذا الوجه يكون مؤتمناً. والإمام ضامن، لأنه قد ضمن صلاة القوم فتفسد صلاتهم بصلاته، وتصحّ صلاتهم بصلاته.

٤٠٠ ـ قال: وأخبرني عبدالوهاب بن محمد الفضلاني بسمرقند بإسناده عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «ثلاثة يقومون يوم القيامة على كثبان المسك لا يهولهم الحساب، ولا يحزنهم الفزع الأكبر: رجل أمّ قوماً وهم له راضون، ورجل أذّن الخمس ابتغاء وجه الله، وعبد أطاع ربه وسيده»[2].

٤٠١ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا يحلّ لمسلم أن ينظر في بيت مسلم إلا بإذنه، فإن نظر فقد دمر، ومن دمر فقد نقض العهد. ولا يحلّ لمسلم أن يصلي وهو حاقن حتى يخفف. ولا يحلّ لمسلم أن يؤمّ قوماً إلا بإذنهم، فإن فعل قبلتْ صلاتُهم ورُدّتْ صلاته. ولا يخصّ الإمام نفسه بالدعاء، فإن فعل ذلك فقد خانهم»[3].

٤٠٢ ـ وعن أبي صالح عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لو يعلم الناسُ ما في النداء والصّفّ الأول لاسْتَهَمُوا عليهما، ولو يعلمون ما

---

(١) رواه أبو دود (٥١٧) في الصلاة، باب: ما يجب على المؤذّن من تعاهد الوقت، والترمذي (٢٠٧) في الصلاة، باب (١٥٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٢٨)، وابن حبان (١٦٧٢).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٣١٨/٣ و٣٢٠/٩)، والديلمي في الفردوس (٩٩/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٨/١): رواه الطبراني في الأوسط، والصغير (١٢٤/٢)، وفيه عبدالصمد بن عبدالعزيز المقري، ذكره ابن حبان في الثقات. وانظر: ضعيف الجامع الصغير (٢٥٧٧).

(٣) رواه أبو داود (٩١) في الطهارة، باب: أيصلي الرجل وهو حاقن؟ وانظر قول الترمذي في هذا الحديث (١٩٠/٢).

في التّهجير لاستبقوا إليه. ولو يعلمون ما في شهود العَتَمة والصبح لأتوهما ولو حبواً»[1].

٤٠٣ ـ وروى جويبر عن الضحاك قال: لما رأى عبدالله بن زيد الأذان في المنام وعلّمه بلالاً، فأمر النبي ـ ﷺ ـ بلالاً أن يصعدَ السطح ويؤذّن، فلما افتتح الأذان سمعوا هدة بالمدينة، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «أتدرون ما هذه الهدة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنّ ربّكم أمر بأبواب السماء ففتحت إلى العرش لأذان بلال»، فقال أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: هذا لِبَلال خاصة أم للمؤمنين عامة؟ قال: «بل للمؤمنين عامة، وإن أرواح المؤذنين مع أرواح الشهداء فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين المؤذنون؟ فيقومون على كثبان المسك والكافور»[2].

٤٠٤ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «خمسة ليس لهم صلاة: المرأة الساخطة على زوجها، والعبد الآبق من سيده حتى يرجع، والمصارم الذي لا يكلّم أخاه فوق ثلاثة أيام، ومدمن الخمر، وإمام قوم يصلي بهم وهم له كارهون»[3].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: كراهيةُ القوم على وجهين: إن كانت كراهيتهم لفساد فيه، أو كان لحاناً بالقراءة وهم يجدون غيره، أو كان في الجماعة من هو أعلم منه، فهذا الذي يكره، وكره له أن يؤمّهم، وإن كانت كراهيتهم لأنه يأمر بالمعروف فيبغضونه أو للحسد وليس في الجماعة من هو أعلم منه، فكراهيتهم باطلة، وله أن يؤمّهم وإن رغم أنفهم.

٤٠٥ ـ وروى جابر بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «المؤذّنون المحتسبون يخرجون يوم القيامة من قبورهم وهم يؤذنون، فالمؤذن المحتسب يشهد له كل شيء يسمع صوته من حجر أو شجر أو مدر أو بشر أو رطب أو يابس، ويغفر الله له مدّ صوته، ويكتب له من الأجر بعدد من يصلي بأذانه،

---

(١) رواه البخاري (٦١٥) في الأذان، باب: الاستهام في الأذان، ومسلم (٤٣٧) في الصلاة، باب: تسوية الصفوف. «لاستهموا»: الاستهام هو الاقتراع. «التهجير»: هو التبكير إلى الصلاة. «العتمة»: هي العشاء.

(٢) في إسناده: جويبر؛ متروك الحديث. (ميزان الاعتدال ١/٤٢٧).

(٣) رواه الديلمي في الفردوس (٢٩٨٢)، وروى الترمذي قسماً منه (٣٥٨) وقال: لا يصح.

ويعطيه الله ما يسأل بين الأذان والإقامة، إما أن يعجله في الدنيا، أو يدخره في الآخرة، وإما أن يصرف عنه السوء.

وأول مَن يُكسى يوم القيامة من كسوة الجنة إبراهيم، ثم محمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، وفي رواية: محمد ثم إبراهيم، ثم يُكسى الرسل والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، ثم المؤذنون المحتسبون، وتتلقّاهم الملائكة بنجائب من ياقوت أحمر، ثم[1] يشيّع كلّ رجل منهم سبعون ألف ملك من قبره إلى المحشر»[2].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ثلاثة يعصمهم الله تعالى من عذاب القبر، المؤذن، والشهيد، والمتوفى يوم الجمعة، أو في ليلة الجمعة.

وعن عبدالأعلى التيمي أنه قال: ثلاثة على كثبان المسك حتى يفرغَ الناس من الحساب، إمام قوم يلتمس به وجه الله تعالى، ورجل قرأ القرآن يلتمس به وجه الله تعالى، ومؤذّن ينادي بالصلاة يلتمس به وجهَ الله تعالى.

٤٠٦ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من قال مثل ما يقول المؤذن كان له مثل أجره»[3].

٤٠٧ ـ ورُوي في خبر آخر أن النبي ـ ﷺ ـ كان إذا قال المؤذن الله أكبر يقول معه، وكذلك في الشهادتين، وإذا قال حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[4].

قال الفقيه: ينبغي للرجل إذا سمع الأذان أن يستمع ويعظم ويقول مثل ما يقول المؤذن، فإذا انتهى إلى قوله حيّ على الصلاة يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإذا قال حيّ على الفلاح يقول: ما شاء الله كان.

---

(١) من (م).

(٢) قال ابن الجوزي في الموضوعات (٢/٨٨ ـ ٨٩): هذا حديث موضوع؛ فكافأ الله مَن وضعه، فما أوحش هذا الكذب! وما أبرد هذه السياقة!. وفي هذا الحديث: عباد بن كثير، كان شعبة يقول: احذروا حديثه. وقال أحمد بن حنبل: روى أحاديث كذب لم يسمعها. وقال يحيى: ليس بشيء في الحديث. وقال البخاري: تركوه. وفيه سلام الطويل، قال البخاري: تركوه، وقال ابن حبان: يروي عن الثقات الموضوعات؛ كأنّه كان المتعمّد لها.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٣٣١): رواه الطبراني في الكبير من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين، وهو ضعيف فيهم.

(٤) رواه مسلم (٣٨٥) في الصلاة، باب (٧)، وأبو داود (٥٢٧) في الصلاة، باب: ما يقول إذا سمع المؤذّن.

وينبغي أن يعرفَ تفسيرَ الأذان ومعناه، فإنّ لكلّ كلمة منه ظهراً أو بطناً، فإذا قال المؤذّن: الله أكبر الله أكبر، تفسيره في الظاهر الله أعظم، ثم الله أعظم وأجلّ، ومعناه الله أعظم، وعمله أوجب، فاشتغلوا بعمله واتركوا أشغال الدنيا.

وإذا قال أشهد أن لا إله إلا الله فتفسيره: أشهد أنه واحد لا شريك له، ومعناه أن الله قد أمركم بأمر فاتبعوا أمره، فإنه لا ينفعكم أحد إلا الله، ولا ينجيكم أحد من عذابه إن لم تؤدوا أمره.

وإذا قال أشهد أن محمَّداً رسول الله فتفسيره: وأشهد أن محمَّداً رسول الله، أي الله أرسله إليكم؛ لتؤمنوا به وتصدقوه، ومعناه أنه قد أمركم بإقامة الجماعة، فاتبعوا ما أمركم به.

فإذا قال حيّ على الصلاة تفسيره: أسرعوا إلى أداء الصلاة، ومعناه حان وقت الصلاة فأقيموها، ولا تؤخروها عن وقتها وصلوها بالجماعة.

وإذا قال حيّ على الفلاح، فتفسيره: أسرعوا إلى النجاة والسعادة، ومعناه أن الله تعالى جعل الصلاة سبباً لنجاتكم وسعادتكم فأقيموها تنجوا من عذابه.

وإذا قال الله أكبر الله أكبر، فتفسيره: أن الله تعالى أعظم وأجلّ، ومعناه أن عمله أوجب، فلا تؤخروا عمله.

وإذا قال لا إله إلا الله تفسيره: اعلموا أنه واحد لا شريك له، ومعناه: أخلصوا صلاتكم لوجه الله تعالى.

* * *

باب الطّهارة والنّظافة

٤٠٨ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو جعفر، حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي سهل القاضي، حدثنا إبراهيم بن خنيس عن أبيه، عن إسماعيل بن أبي زياد، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «عليكم بالسواك فإنّ فيه عشر خصال: مطهرة للفم، ومرضاة للرب، ومفرحة للملائكة، ومجلاة للبصر، ويبيض الأسنان، ويشد اللثة، ويذهب بالبخر، ويهضم الطعام، ويقطع البلغم، وتضاعف به الصلوات، ويطيب النكهة، وهو طريق القرآن»(١).

٤٠٩ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا وكيع، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية رفعه إلى النبي ـ ﷺ ـ قال: «الوضوء شطر الإيمان، والسواك شطر الوضوء، ولولا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة. وركعتان يَسْتاك فيهما العبدُ أفضل من سبعين ركعة لا يَسْتاك فيها»(٢).

٤١٠ ـ قال الفقيه: حدثنا محمد بن حمدان، حدثنا الحسين بن علي الطوسي، حدثنا محمد بن شوكة، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن أبي إسحاق، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ،

---

(١) رواه عبدالجبار الخَوْلاني في «تاريخ داريا» عن أنس، وصححه السيوطي كما في (فيض القدير ٤/٣٤٢). وذكره ابن حجر في (الاستعداد ليوم المعاد ص ١٠١)، وأورده ابن الجوزي في (العلل المتناهية ١/٣٣٥) وقال: هذا حديث لا يصحّ عن رسول الله ﷺ. قال الدارقطني في سننه (١/٥٨): معلى بن ميمون ضعيف متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه مناكير غير محفوظة. وانظر: الطب النبوي للبغدادي ص (٧٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١/١٧٠) عن حسان بن عطية مرسلاً.

عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «خمس من الفطرة: قص الشارب، وتقليم الأظفار، وحلق العانة، ونتف الإبط، والسواك»[1].

قال ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: السواك بعد الطعام أفضل من أن تعتق وصيفتين.

٤١١ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا يزال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه. ولا يزال يوصيني بالمماليك حتى ظننت أنه يجعل لعتقهم وقتاً. ولا يزال يوصيني بالسواك حتى ظننت أنه يدردني ـ يعني يذهب اللثة ـ، ولا يزال يوصيني بالنساء حتى ظننت أنه يحرم الطلاق، ولا يزال يوصيني بصلاة الليل حتى ظننت أن خيار أمتي لا ينامون بالليل»[2].

٤١٢ ـ وروي عن الأعمش، عن مجاهد قال: أبطأ جبريل على النبي ـ ﷺ ـ ثم أتاه فقال: «ما حبسك يا جبريل؟» قال: وكيف نأتيكم وأنتم لا تقلمون أظفاركم، ولا تأخذون من شواربكم، ولا تنقون براجمكم، ولا تستاكون! ثم قال: **﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾** [مريم: ٦٤][3].

٤١٣ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «حقّ على كلّ مسلم الغسل يوم الجمعة، والسواك، والطيب»[4].

وعن حميد بن عبدالرحمٰن، قال: من قصّ أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه الداء، وأدخل فيه الشفاء[5].

٤١٤ ـ وروى ابن شهاب عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن قلّم أظفاره يوم

---

(١) رواه البخاري (٥٨٨٩) في اللباس، باب: قص الشارب، ومسلم (٢٥٧) في الطهارة، باب: خصال الفطرة.

(٢) الوصية بالجار متفق عليها، رواها البخاري (٦٠١٤ و٦٠١٥) في الأدب، باب: الوصاة بالجار، ومسلم (٢٦٢٤) في البر والصلة والآداب، باب: الوصية بالجار والإحسان إليه. والوصية بالسواك رواها البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٩)، والبزار كما في مجمع الزوائد (٢/ ٩٩) وفيه: عمران بن خالد، وهو ضعيف. والوصية بقيام الليل رواها الديلمي في الفردوس (٦٣٠٦).

(٣) رواه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، كما في (الدر المنثور ٥/ ٥٣٠). «براجمكم»: البراجم: هي العقد التي في ظهور الأصابع؛ يجتمع فيها الوسخ. الواحدة بُرْجُمة.

(٤) رواه مسلم (٨٤٦) في الجمعة، باب: وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال، بنحوه، من حديث أبي سعيد الخدري.

(٥) رواه عبدالرزاق في المصنف (٥٣١٠).

الجمعة كان له أماناً من الجذام»[1].

٤١٥ ـ وروي في بعض الأخبار أن النبي ـ ﷺ ـ وقّت في كلّ أربعين يوماً حلق العانة، وفي كل جمعة قصّ الأظفار[2].

٤١٦ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «طيّبوا أفواهكم بالسواك[3] فإن أفواهكم طرق القرآن»[4].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: السواك على ثلاثة أوجه: إما أن يريد به وجه الله تعالى وإقامة السنة، وإما أن يريد به نفع نفسه، وإما أن يريد به وجه الناس. فإن أراد به وجه الله تعالى وإقامة السنة فهو مأجور، وكلّ صلاة تعدل سبعين، كما جاء في الخبر. وإن أراد به منفعة نفسه فلا أجر له وهو محاسب به، وإن أراد به الرياء فهو محاسب آثم.

وعن طاووس عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ [البقرة: ١٢٤]. قال: ابتلاه بطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد، فأما التي في الرأس: فقصّ الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس. وفي الجسد: تقليم الأظفار، والختان، ونتف الإبط، وحلق العانة، والاستنجاء بالماء[5].

* * *

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٥٦٣٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٧١): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أحمد بن ثابت، وهو ضعيف. وانظر: (كشف الخفاء ٢/٥٥٦) و(اللآلىء المصنوعة ٢/٢٦٧).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨) في الطهارة، باب: خصال الفطرة، وأبو داود (٤٢٠٠) في الترجل، باب: في أخذ الشارب، والترمذي (٢٧٥٩) في الأدب، باب (١٥). وانظر: الدر المنثور (١/٢٧٦).

(٣) من مصادر التخريج.

(٤) رواه الديلمي في الفردوس (٣٩٧٠)، والبيهقي كما في فيض القدير (٤/٢٨٤) وفيه غياث بن كلوب قال الذهبي: ضعفه الدارقطني؛ وفيه أيضاً: الحسن بن الفضل بن السمح، قال المناوي: قال الذهبي: مزّقوا حديثه.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٢٧٣).

باب فضل الجمعة

٤١٧ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا الحسين بن علي الجعفي، عن عبدالرحمٰن بن يزيد، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنّ أفضلَ أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خُلِق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة. فأكثروا فيه عليَّ من الصلاة، فإن صلاتكم معروضة عليّ». قالوا: يا رسول الله وكيف تُعرض صلاتُنا عليك وقد بليت؟ قال: «أتقولون قد بليت؟ أَمَا علمتم أنّ الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام».

٤١٨ ـ قال الفقيه: حدثنا عبدالرحمٰن بن محمد، حدثنا أبو القاسم، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا الحسين بن علي الجعفي، عن عبدالرحمٰن بن يزيد، عن أبي الأشعث، عن أوس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ وذكر الجمعة، فقال: «من غسل واغتسل، وبكّر وابتكر، ودنا فأنصت ولم يلغ، كان له من الأجر بكل خطوة كأجر سنة صيامها وقيامها»[1].

قال محمد بن الفضل: سألتُ يزيد بن هارون عن قوله «غسل واغتسل»، قال: غسل مواضع الوضوء، واغتسل يعني غسل جسده، وسألت عن «بكر وابتكر» قال: يعني بكر على غسله، وابتكر إلى الجمعة.

٤١٩ ـ قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضيل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا

---

(١) رواه أبو داود (١٠٤٧) في الصلاة، باب: فضل يوم الجمعة، والنسائي (٣/٩١)، وابن ماجه (١٠٨٥) في إقامة الصلاة، باب: في فضل الجمعة، وبرقم (١٦٣٦) في الجنائز، باب: ذكر وفاته ودفنه ﷺ، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/٢٤٩)، والحاكم (١/٢٧٨ و٤/٥٦٠).

إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبدالرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال:

«لم تطلع الشمسُ ولم تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة في الأرض إلا وهي تفزعُ ليوم الجمعة إلا الثقلين ـ الجن والإنس ـ. وعلى كلّ باب من أبواب المسجد ملكان يكتبان الناس الأول فالأول، كرجل قرّب بدنةً، وكرجل قرّب شاة، وكرجل قرّب طيراً، وكرجل قرّب بيضة، فإذا قعد الإمامُ طُويت الصُّحف»[2].

٤٢٠ ـ وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «مَن توضّأ يوم الجمعة، فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة فاستمع، ودنا فأنصت، غُفِر له ما بينه وبين الجمعة، وزيادة ثلاثة أيام؛ ومَنْ مسّ الحصى فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له»[3].

٤٢١ ـ وروى أبو سلمة عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إنّ خيرَ يوم طلعت فيه الشمسُ يوم الجمعة، فيه خَلَق اللَّهُ آدم، وفيه أدخله الله الجنة، وفيه أهبط منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يصادفها مؤمنٌ يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إيّاه»[4].

قال أبو سلمة: قال عبدالله بن سلام: قد عرفت تلك الساعة، وهي آخر ساعات النهار، وهي الساعة التي خُلِق فيها آدم ـ عليه السلام ـ، قال الله تعالى: ﴿**خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾ [الأنبياء: ٣٧].

---

(١) رواه أبو داود (٣٤٥) في الطهارة، باب: في الغسل يوم الجمعة، والترمذي (٤٩٦) في الصلاة، باب (٣٥٦)، وقال: حديث حسن، وابن ماجه (١٠٨٧) في إقامة الصلاة، باب (٨٠)، وأحمد (٤/٨، ١٠)، والنسائي (٣/٩٥ ـ ٩٦)، وابن خزيمة (٣/١٢٨ ـ ١٢٩)، وابن حبان (٢٧٧٠)، والحاكم (١/٨١).

(٢) رواه أبو داود (١٠٤٦) في الصلاة، باب: فضل يوم الجمعة، وابن خزيمة (٣/١١٥)، وابن حبان (٢٧٥٩).

(٣) رواه مسلم (٨٥٧) في الجمعة، باب: فضل من استمع وأنصت في الخطبة، وأبو داود (١٠٥٠) في الصلاة، باب: فضل الجمعة، والترمذي (٤٩٨) في الصلاة، باب: ما جاء في الوضوء يوم الجمعة، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١٠٩٠) في إقامة الصلاة، باب (٨١).

(٤) رواه مسلم (٨٥٤) في الجنة، باب: فضل يوم الجمعة، وأبو داود (١٠٤٦) في الصلاة، باب (٢٠٧)، والترمذي (٤٨٨) في الصلاة، باب (٣٥٣) وقال: حسن صحيح. وبرقم (٤٩١)، والنسائي (٣/٨٩ ـ ٩٠)، وابن خزيمة (٣/١١٤).

وقال سعيد بن المسيب: لأن أشهدَ الجمعة أحبّ إليّ من حجّة تطوع.

وعن كعب الأحبار: لأن أشربَ قدحاً من [نار أحب إليّ من أن أشرب قدحاً][1] من خمر، ولأن أشرب قدحاً من خمر أحب إليّ من أن أتخلّف عن الجمعة، ولأن أتخلّف عن الجمعة أحب إليّ من أن أتخطّى رقابَ الناس.

٤٢٢ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: تلا رسول الله ـ ﷺ ـ على المنبر آية، فقال ابن مسعود لأبيّ بن كعب: متى أنزلت هذه الآية؟، فغمزه، فلما انصرف، قال له أبيّ: إنما فات حظك من صلاتك ما لغوت، فدخل عبدالله على رسول الله ـ ﷺ ـ فسأله عن ذلك ،فقال:«صدق أبيّ»،ثم قال: «ما من عبد يغتسل يوم الجمعة ويلبس أحسن ما عنده، ويمسّ من دهنه ما كان، ثم يأتي الجمعة فلا يؤذي أحداً ولا يتخطّى رقابَ الناس، فيصلي ما قضى الله تعالى له، فإذا خرج الإمامُ جلس وأنصت إلا غفر الله له ما بين الجمعتين»[2].

٤٢٣ ـ وروى عبدالرحمٰن بن يزيد عن أبي لبابة بن عبدالمنذر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يومُ الجمعة سيّد الأيام وأعظمها عند الله، وهو أعظمُ عند الله من يوم الفطر، ومن يوم النَّحر، وفيه خمس خصال: فيه خَلَقَ اللَّهُ آدم، وفيه أهبط اللَّهُ تعالى آدم إلى الأرض، وفيه توفي آدم، وفيه ساعةٌ لا يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه الله إياه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقومُ الساعة ،وما من ملك مقرّب عند ربه ولا في سماء ولا في أرض إلا وهو يشفق من يوم الجمعة»[3].

٤٢٤ ـ وعن عليّ بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ أنه قال: «إذا كان يوم الجمعة خرج الشيطان مع أعوانه يُرَيِّثون للناس أسواقهم، ومعهم الرايات، وتقعد الملائكة على أبواب المسجد، فيكتبون الناس على قدر منازلهم حتى يخرج الإمام، فمن دنا

---

(١) ساقط من الأصل، ومستدرك من (م) و(ط).

(٢) رواه أحمد (٥/١٤٣)، وابن ماجه (١١١) في إقامة الصلاة، باب: ما جاء في الاستماع للخطبة والإنصات لها، وفي الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، وابن خزيمة (١٨٠٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/٢٢٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٨٥ ـ ١٨٦)، وعزاه السيوطي في (اللمعة في خصائص الجمعة رقم ٣٨) لسعيد بن منصور أيضاً.

(٣) رواه ابن ماجه (١٠٨٤) في إقامة الصلاة، باب: في فضل الجمعة، وفي الزوائد: إسناده حسن، وأبو نعيم في الحلية (١/٣٦٦)، وذكره السيوطي في (اللمعة رقم ١١٠)، وعزاه لابن ماجه والبيهقي في الشعب. وانظر: كشف الخفاء (٢/٥٥٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/٤٩٠).

من الإمام فأنصت، واستمع ولم يلغ، كان لـه كفلان من الأجـر، ومن تباعـد فاستمـع وأنصت، ولم يلغ، كان له كفل من الأجر، ومن دنا من الإمام فلغـا، ولـم يستمع كـان له كفلان من الوزر، ومن قال مه فقد تكلم، ومن تكلّم فقـد لغا، ومن لغـا فلا جمعـة له». ثم قال عليّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ: هكذا سمعتُ نبيّكم ـ ﷺ ـ[1].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعت أبي قال: بلغنا أنّ صـالحاً المـرّي أقبل ليلة الجمعة يريـد مسجد الجـامع ليصلي فيـه صلاة الفجـر، فمر بمقبـرة، فقال: لـو أقمت حتى يطلع الفجر، فدخل المقبرة فصلى ركعتين، واتكأ على قبر فغلبته عينـاه، فرأى في المنام كأن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم، فقعدوا حلقاً حلقاً يتحـدثون، فإذا شاب عليه ثياب دنسة، فقعد في جانب مغموماً، فلم يمكثوا إذ أقبلت أطباق عليها ألطاف مغطاة بمناديل، فكلما جاء واحـداً منهم طبق أخذه، ودخـل في قبره حتى بقي الفتى في آخر القوم لم يأته شيء. فقام حزيناً ليدخل في قبره، فقلت له: يا عبدالله ما لي أراك حزيناً؟ وما الذي رأيت؟ قـال: يا صـالح المـري، هل رأيت الأطبـاق؟ قال: قلت نعم. فما هي؟ قال: تلك ألطاف الأحياء لموتاهم، كلما تصدقوا عنهم، أو دعوا لهم أتـاهم ذلك في ليلة الجمعـة، وإني رجلٌ من أهـل السند، أقبلت بـوالدتي نـريد الحـج، فلما صـرت[2] بالبصـرة، توفيتُ بهـا، وتزوّجت والـدتي بعدي، ولم تـذكر[3] لزوجها أنـه كان لهـا ولد، وقـد ألهتها الـدنيا فمـا تذكـرني بشفة ولا لسـان، فحق لي الحزن، إذ ليس لي من يذكرني من بعدي.

قـال صالـح: وأين منزل أمـك؟ فـوصف لي المـوضـع، قـال: فلمـا أصبحت وقضيت صلاتي أقبلتُ فسألت عن منزلها، فـأرشدت إليـه، فجئت، فاستـأذنت عليها، فقلت: إني صـالح المـري بـالبـاب، فـأذنت لي فـدخلت وقلت: أحب أن لا يسمـع كلامي وكلامك أحد، فدنوت حتى ما كان بيني وبينها إلا ستر، فقلت: يرحمك الله هل لك من ولد؟ قالت: لا. قلت: فهل كان لك ولـد؟ فتنفست الصعداء، ثم قـالت: قد كان لي ولد شاب فمات، فقصصت عليها القصة، قال: فبكت حتى تحدرت دمـوعها على خديها.

---

(١) رواه أبو داود (١٠٥١) في الصلاة، بـاب: فضل الجمعـة، وأحمد (٩٣/١)، وقـال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٧/٢): رواه أحمد، وفيه رجل لم يُسمَّ. وانظر: ضعيف الجـامع (١٥٠٩). «يريّثـون»: أي يؤخّرون ويُثبّطون. «كفل»: حظّ ونصيب.

(٢) في (م): حضرت. (٣) في (م): تذكرني لاستغنائها.

ثم قالت: يا صالح ذاك ولدي من منزل كبدي والحشا، مَن كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، ثم دفعت إليّ ألف درهم، وقال: تصدق بها عن حبيب وقرّة عيني، ولا أنساه بالدعاء والصدقة فيما بقي من عمري.

قال: فانطلقت فتصدّقت بالألف، فلما كان في الجمعة الأخرى أقبلت أريد الجمعة فأتيت المقبرة وصليت ركعتين واستندت إلى قبر فخفقتُ برأسي[1]، فإذا أنا بالقوم قد خرجوا وإذا أنا بالفتى عليه ثياب بيض فرحاً مسروراً، ثم أقبل حتى دنا مني، ثم قال: يا صالح المري جزاك الله خيراً عني، وقد وصلت إلينا الهدية، فقلت له: أنتم تعرفون الجمعة؟ قال: نعم، وإن الطيور في الهواء يعرفونها، ويقولون: سلام ليوم صالح، يعني يوم الجمعة.

٤٢٥ ـ قال الفقيه: وحدثني الثقة بإسناده عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: «جاء جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وفي كفه كالمرآة البيضاء، وفي وسطها كالنكتة السوداء. قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا يوم الجمعة، يعرضها الله عليك؛ لتكون لك عيداً ولأمتك من بعدك، ولكم فيها خير، من دعا فيها بخير هو له قسم أعطاه الله إياه، وإن لم يكن له قسم ادخر له ما هو أفضل منه، وهو عندنا يوم المزيد ونحن ندعوه سيد الأيام.

قال: ولم ذلك؟ قال: لأن ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيح، فيه كثيب من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة جاء النبيون وجلسوا على منابر من نور مكللة بالجواهر، ثم حفّ وراء تلك المنابر بكراسي من نور، فجاء الصدّيقون والشهداء فجلسوا عليها، ثم يأتي أهل جنة عدن فيجلسون على ذلك الكثيب الأبيض فيقول لهم الرب تعالى: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي، فسلوني.

فيقولون: ربنا نسألك رضوانك والجنة، فيقول: رضواني أحلكم داري وأنالكم كرامتي، فيسألونه الرضا فيهديهم الرضا، ويعطيهم فوق رغبتهم وأمنيتهم، وذلك قدر منصرف إمامكم من الجمعة، ويفتح لهم عند ذلك ما لا يخطر على قلب بشر، ولم تره عين.

ثم يرجع النّبيون والصدّيقون والشهداء، ويرجع أهلُ الغرف إلى غرفهم،

---

(١) «خفقت برأسي»: أي نعست.

فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة؛ ليزدادوا فيه كرامة، فلذلك سُمّي يوم المزيد، وفيه تقوم الساعة»[1].

٤٢٦ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «الصلوات في الجماعة، والجمعة إلى الجمعة، كفّارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»[2].

* * *

(١) سبق تخريجه برقم (٦٤).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٥٠) من حديث أنس، ورواه مسلم (٢٣٣) في الطهارة، باب: الصلوات الخمس، والترمذي (٢١٤) في الصلاة، باب (١٦٠) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢/ ٤٨٤)، وابن حبان (٢٤٠٩) من حديث أبي هريرة.

باب حرمة المساجد

٤٢٧ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا علي السردري الحاكم، حدثنا عبيدة بن محمد السرخسي، حدثنا صالح بن كَيْسَان، حدثنا ابن أبي فديك، عن كثير بن زيد، عن المطلب بن عبدالله، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إذا دخل أحدُكم المسجدَ فلا يجلسنَّ حتى يصلّي ركعتين»[1].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا كان في وقت مباح. فأما إذا دخل في المسجد بعدما صلّى العصر [وبعدما صلّى الفجر لا ينبغي أن يصلي؛ لأنه نهي أن][2] لا يصلّي في ذلك الوقت ولكنه يسبّح ويهلّل، ويصلّي على النبي ـ ﷺ ـ؛ فينال فضل الصلاة، وأدّى حقّ المسجد.

٤٢٨ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا عبدالرحمٰن بن محمد المحاربي، عن ليث بن أبي سليم عن بعض أشياخه قال: بلغ أبا الدرداء أن سلمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ اشترى خادماً، فكتب إليه يعاتبه في ذلك فكان في كتابه ـ يا أخي تفرّغ للعبادة قبل أن ينزل بك من البلاء ما لا تستطيعُ فيه العبادة، واغتنمْ دعوةَ المؤمن المبتلى، وارحم اليتيمَ، وامسحْ برأسه، وأطعمه من طعامك يلنْ قلبك وتدرك حاجتك؛ فإني شهدته يوماً، يعني النبي ـ ﷺ ـ وأتاه رجل يشكو إليه قساوة قلبه. فقال: «أتحبّ أن يلينَ قلبك وتدرك حاجتك؟» قال: نعم. قال: «ارحم اليتيم، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك، يلنْ قلبك وتدرك حاجتك»[3].

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل (١/٢٥١)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (١/٧٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) من (م).

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٦٠): رواه الطبراني، وفي إسناده مَن لم يُسمّ، وبقيّة مدلّس.

يـا أخي؛ ليكن المسجد بيتـك، فـإنّي سمعتُ رسـول الله ـ ﷺ ـ يقـول: «المساجد بيوت المتقين، وقد ضمن الله تعـالى لمن كانت بيـوتهم المساجـد بالـروح والراحة، والجوازِ على الصراط، والنّجاة من النار إلى رضوان الرب تبارك وتعالى»[1].

قـال الحكيم بن عمير صـاحب رسول الله ـ ﷺ ـ: كـونوا في الـدنيـا أضيـافـاً، واتخذوا المساجد بيوتـاً، وعوّدوا قلوبكم الـرقة، وأكثـروا التفكّر والبكـاء، لا تختلفن بكم الأهواء.

قال قتادة ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ما كان للمؤمن أن يُرى إلا في ثلاثة مواطن: مسجد يعمره، وبيت يستره، وحاجة لا بأس بها.

وقال النزّال بن سَبْرة[2]: المنافق في المسجد كالطير في القفص.

وعن خلف بن أيوب[3] أنه كان جالساً في المسجد فأتاه غلامه يسـأله عن شيء، [فقـام و][4] خرج من المسجـد ثم أجابـه، فقيل لـه في ذلك، فقـال: مـا تكلمت في المسجد بكلام الدنيا منذ كذا سنة فكرهت أن أتكلم اليوم.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: إنّما يصيرُ للعبـد منزلـة عند الله تعـالى إذا عَظّم أوامره، وعظم بيوته وعباده، والمساجد بيوت الله، فينبغي للمؤمن أن يعظّمها؛ فإن في تعظيم المساجد تعظيم الله تعالى.

ورُوي عن بعض الزهاد أنه قال: ما استندتُ في المسجد إلى شيء، ولا طوّلت قدمي فيها، ولا تكلّمت بكلام الدنيا. وإنما قال ذلك لِيُقتدى به.

وعن الأوزاعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: خمس كان عليها أصحاب رسـول الله ـ ﷺ ـ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله تعالى.

وروي عن الحسن بن علي ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال: ثـلاثة في جـوار

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٢): رواه الطبراني في الكبير، وفيه صالح المـري، وهو ضعيف. والديلمي (٦٦٥٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٦٥٧).

(٢) هو النزال بن سبرة الهلالي، كوفي ثقة. وقيل: إن له صحبة. والمعروف أنـه مخضرم. وقـد جزم مسلم وابن سعد والدارقطني والحاكم بأنه تابعي. (الإصابة ٣/٥٥٣) و(تقريب التهذيب ٢/٢٩٨).

(٣) هو خلف بن أيوب العامري البلخي، أبو سعيد: أحد الفقهاء الأعـلام ببلخ. قـال ابن معين: ضعيف توفي سنة (٢٠٥هـ). (ميزان الاعتدال ١/٦٥٩).

(٤) من (م).

الله تعالى: رجل دخل المسجد لا يدخله إلا لله، فهو ضيف الله تعالى حتى يرجع، ورجل زار أخاه المسلم لا يزوره إلا لله فهو من زوار الله تعالى حتى يرجع من عنده، ورجل خرج حاجاً أو معتمراً لا يخرج إلا لله تعالى فهو من[1] وفد الله تعالى حتى يرجع إلى أهله.

ويقال: حصون المؤمن ثلاثة: المسجد، وذكر الله، وتلاوة القرآن. والمؤمن إذا [لم يكن][2] في واحد من ذلك، فهو في حصن من الشيطان.

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: مهور الحور في الجنة كنس المساجد وعمارتها.

٤٢٩ ـ قال أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ: «من أسرج في المسجد سراجاً؛ لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام ذلك في المسجد»[3].

٤٣٠ ـ وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: «المساجدُ بيوتُ الله في الأرض، والمصلّي فيها زائر الله، وحقّ على المزور أن يكرم زائره»[4].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: يقال حرمة المساجد خمس عشرة خصلة:

أولها: أن يسلّم وقت الدخول إذا كان القوم جلوساً؛ وإن لم يكن أحد فيها، أو كانوا في الصلاة يقول: السلام علينا مِن ربنا وعلى عباد الله الصالحين.

والثاني: أن يصلّي ركعتين قبل أن يجلس، ٤٣١ ـ لما روي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لكل شيء تحية، وتحية المسجد ركعتان»[5].

والثالث: أن لا يشتري فيه ولا يبيع.

والرابع: أن لا يسلّ فيه السيف.

والخامس: أن لا ينشدَ فيه الضالة.

والسادس: أن لا يرفعَ فيه الصوت في غير ذكر الله تعالى.

---

(١) من (م).

(٢) من (م).

(٣) رواه الحارث بن أبي أسامة وأبو الشيخ بسند ضعيف. (كشف الخفاء ٢/٣١٣)، و(المقاصد ١٠٥٩) و(أسنى المطالب ١٣٣٥).

(٤) رواه الحاكم في تاريخه عن ابن عباس، (كنز العمال ٢٠٣٤٧).

(٥) انظر الحديث (٤٢٧).

والسابع: أن لا يتكلّم فيه بشيء من أحاديث الدنيا.

والثامن: أن لا يتخطّى رقاب الناس.

والتاسع: أن لا ينازع في المكان.

والعاشر: أن لا يضيّق على أحد في الصف.

والحادي عشر: أن لا يمرّ بين يدي المصلي.

والثاني عشر: أن لا يبزقَ فيه.

والثالث عشر: أن لا يفرقعَ أصابعه فيه.

والرابع عشر: أن ينزّهه عن النجاسات والمجانين والصبيان وإقامة الحدود.

والخامس عشر: أن يُكْثِرَ فيه ذكر الله تعالى ولا يغفل عنه.

٤٣٢ ـ وروي عن الحسن أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «يأتي على أمتي زمانٌ يكون حديثهم في مساجدهم لأمر دنياهم ليس لله فيهم حاجة، فلا تجالسوهم»[١].

٤٣٣ ـ وروي عن الزهري عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «يكون الغرباءُ في الدُّنيا أربعة: قرآن في جوف ظالم، ومسجد في نادي قوم لا يصلّون فيه، ومصحف في بيت لا يقرأ فيه، ورجل صالح مع قوم سوء»[٢].

٤٣٤ ـ وعن أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «يحشر الله المساجد كأنها بخت بيض؛ قوائمها من العنبر، وأعناقها من الزعفران، ورؤوسها من المسك الأذفر، وأزمتها من الزبرجد الأخضر، وقوّادها المؤذنون يقودونها، والأئمةيسوقونها، فيعبرون بها في عرصات القيامة كالبرق الخاطف، فيقول أهل القيامة: هؤلاء الملائكة المقرّبون والأنبياء المرسلون، فينادونهم: يا أهل القيامة؛ ما هؤلاء الملائكة المقربون والأنبياء والمرسلون؟ قالوا: هم من أمة محمد ـ ﷺ ـ الذين كانوا يحفظون صلاة الجماعة».

وعن وهب بن منبه ـ رحمه الله تعالى ـ قال: يؤتى بالمساجد يوم القيامة كأمثال السفن مُكلّلة بالدّرّ والياقوت؛ فتشفعُ لأهلها.

---

(١) رواه البيهقي عن الحسن مرسلاً. (كنز العمال ٣١١٨٤).

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (٤٣٠١)، وفيه: عبدالله بن هارون الصوري، قال الذهبي في «الذيل»: لا يعرف، (فيض القدير ٤/ ٤٠٩).

وعن علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ قال: يأتي على الناس زمـانٌ لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رَسْمه، يعمـرون مساجـدهم؛ وهي خراب من ذكر الله تعالى، شرّ أهل ذلك الزمان علماؤهم، ومنهم تخرج الفتن، وإليهم تعود.

* * *

باب فضل الصّدقة

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إبراهيم بن إدريس، عن ليث بن أبي سليم، عن ميمون بن مهران، عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: الصلاة عماد الإسلام، والجهاد سنام العمل، والصدقة شيء عجيب، والصدقة شيء عجيب، والصدقة شيء عجيب.

وسُئل عن الصوم فقال: الصوم جُنّة، وقال: قربة، وليس هناك فضل. قيل: فأيّ الصدقة أفضل؟ قال: أكثرها وأكبرها، ثم قرأ: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢] قيل: فمن لم يكن عنده [مال][1] قال: فعفو مال، يعني يتصدّق بفضل مال. قيل: فمن لم يكن عنده مال؟ قال: فعفو طعام. قيل: فمن لم يكن عنده؟ قال: يعين بقوته. قيل: فمن لم يفعل؟ قال: يتقي النار ولو بشق تمرة. قيل: فمن لم يفعل؟ قال: يكفّ نفسه، . يعني لا يظلم الناس.

وذُكر في رواية أخرى أنه روي هذا عن رسول الله ـ ﷺ ـ[2].

٤٣٥ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا يزيد بن زريع، عن هشام الدستوائي، عن قتادة، عن خليد بن عبدالله العَصَري، عن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال:

«ما طلعت شمسٌ إلا بُعِث بجنبتيها ملكان يناديان، وإنهما يسمعان أهل الأرض

---

(١) من (م).

(٢) رواه البزار كما في كشف الأستار (٩٤١)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٠٩) وقال: رواه البزار، وفيه العوام بن جويرية وهو ضعيف. وأول الحديث: عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله ما تقول في الصلاة؟ قال: «تمام العمل». . .

إلا الثقلين: أيها الناس، هلمّوا إلى ربكم، فإن ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى، وملكان يناديان: اللهم عجّل لمنفق ماله خلفاً، وعجّل لممسك ماله تلفاً»[1].

٤٣٦ ـ قال: أخبرنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا محمد بن موسى، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا إبراهيم بن يسار، عن زرعة بن أيوب، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: مرّ النبي ـ ﷺ ـ برجل متعلق بأستار الكعبة، وهو يقول: أسألك بحرمة هذا البيت أن تغفر لي. فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ:

«يا عبدالله سَلْ بحرمتك؛ فإنَّ حُرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة هذا البيت»، فقال: يا رسول الله، إنّ لي ذنباً عظيماً، قال: «وما ذنبك؟» قال: إنّ لي مالاً كثيراً، وإنّ ماشيتي كثيرة، وإنّ خيلي كثيرة، ولكنّ الرجل إذا سألني شيئاً من مالي فكأن شعلة من نار تخرج من وجهي.

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «تنحَّ عني يا فاسق لا تحرقني بنارك، والذي نفسي بيده لو صُمْتَ ألف عام، وصلَّيتَ ألف عام، ثم مُتَّ لئيماً لأكبّك اللَّهُ في النار، أما علمتَ أنّ اللؤمَ من الكفر، والكفرَ في النار، والسخاوة من الإيمان، والإيمان في الجنة»[2]؟!.

٤٣٧ ـ وروت عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «السخاوة شجرة أصلها في الجنة وأغصانها متدلية في الدنيا، فمن تعلّق بغصن منها مده إلى الجنة. والبخل شجرة أصلها في النار، وأغصانها متدلية في الدنيا، فمن تعلّق بغصنٍ منها مدّه إلى النار»[3].

٤٣٨ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «البخيلُ بعيدٌ من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار. والسخيّ قريبٌ من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار»[4].

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٤١٢).

(٢) في إسناده: جويبر؛ ضعيف جداً. (تقريب التهذيب ١/١٣٦).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٨٧٥)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/١٨٤) وقال: فيه إسماعيل بن عباد، قال الدارقطني: متروك، وفيه حسين بن علوان، قال يحيى: هو كذاب. وانظر: تنزيه الشريعة (٢/١٣٩)، والفوائد المجموعة ص (٧٨).

(٤) رواه الترمذي (١٩٦١) في البر والصلة، باب: ما جاء في السخاء، وقال: حديث غريب، والأصبهاني=

٤٣٩ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «حصّنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصّدقة، واستقبلوا أنواع البلاء بالدعاء»[١].

٤٤٠ ـ وعن عبدالرحمن السلماني مولى عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «إذا سأل سائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها، ثم ردوا عليه بوقار ولين أو ببذل يسير أو بردّ جميل، فإنه قد يأتيكم من ليس بإنس ولا جان، ينظرون كيف صنيعكم فيما خولكم الله»[٢].

٤٤١ ـ وروى سعيد بن مسعود الكندي قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما من رجل يتصدّق في يوم وليلة إلا حُفِظ من أن يموتَ من لدغة أو هدمة أو موت بغتة».

٤٤٢ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما نقص مالٌ من صدقة قط، ولا عفا رجلٌ عن مظلمة إلا زاده الله بها عزّاً، وما تواضع رجل لله إلا رفعه الله تعالى»[٣].

وروى عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: اثنان من الشيطان، واثنان من الله تعالى، ثم قرأ هذه الآية: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً**﴾ يعني يأمركم بالطاعة والصدقة لتنالوا مغفرته وفضله ﴿**والله واسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦٨]، يعني واسع الفضل عليم بثواب من يتصدّق.

٤٤٣ ـ وروى ابن بُريدة، عن أبيه، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما نقص قومٌ العهدَ إلا ابتلاهم الله تعالى بالقتل، ولا ظهرت فاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الموت فجأة، ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر»[٤].

= في الترغيب والترهيب (٥٢٤)، وانظر: الفوائد المجموعة ص (٧٧).

(١) رواه أبو داود في المراسيل (١٠٥) من حديث الحسن مرسلاً، والطبراني في الأوسط والكبير، من حديث ابن مسعود، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٥٧) عن أبي أمامة، و(٣٥٥٨) عن سمرة، و(٣٥٥٦) عن ابن عمر.

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (١٢٧٤)، وذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/١٤٣) وقال: وفيه محمد بن سليمان بن أبي كريمة. ضعّفه أبو حاتم، وقال العقيلي: روى عن هشام بواطيل. (ميزان الاعتدال ٣/٥٧٠).

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٨) في البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، والترمذي (٢٠٢٩) في البر والصلة، باب: ما جاء في التواضع، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢/٢٣٥، ٣٨٦).

(٤) رواه الحاكم (٢/١٢٦) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٦٩): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، غير رجاء بن محمد وهو ثقة. كلاهما عن بريدة.

وروى الضحاك عن النزال بن سبرة قال: مكتوب على باب الجنة ثلاثة أسطر:

أولها: لا إله إلا الله محمَّد رسول الله.

والثاني: أمة مذنبة وربٌّ غفور.

والثالث: وجدنا ما عملنا، ربحنا ما قدمنا، خسرنا ما خلفنا.

ويقال: من منع خمساً منع الله منه خمساً:

أولها: من منع الزكاة، منع الله منه حفظ المال.

والثاني: من منع الصدقة، منع الله منه العافية.

والثالث: من منع العشر، منع الله منه بركة أرضه.

والرابع: من منع الدعاء، منع الله منه الإجابة.

الخامس: من تهاون بالصلاة، منع منه عند الموت قول لا إله إلا الله.

وروي عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: درهم ينفقه أحدكم في صحته وشحه أفضل من مئة يوصي بها عند[1] الموت.

قال الفقيه: سمعت أبي ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كان في زمن عيسى ـ عليه السلام ـ رجل يسمّى ملعوناً من بخله، فجاءه رجل ذات يوم يريد الغزو. فقال: يا ملعون، أعطني شيئاً من السلاح أستعين به في غزوي، وتنجو به من النار، فأعرض عنه ولم يعطه شيئاً، فرجع الرجل، فندم الملعون فناداه، فأعطاه سيفه، فرجع الرجل، واستقبله عيسى ـ عليه السلام ـ مع عابد قد عبد الله سبعين سنة، فقال له عيسى: من أين جئت بهذا السيف؟ فقال: أعطانيه الملعون. ففرح عيسى بصدقته، فكان الملعون قاعداً على بابه، فلما مر به عيسى ـ عليه السلام ـ مع العابد، قال الملعون في نفسه: أقوم وأنظر إلى وجه عيسى وإلى وجه العابد، فلما قام ونظر إليهما قال العابد: أنا أفرّ وأعدو من هذا الملعون قبل أن يحرقني بناره، فأوحى الله عز وجل إلى عيسى ـ عليه السلام ـ أن قل لعبدي هذا المذنب، إني قد غفرت له بصدقته بالسيف، وبحبه إياك، وقل للعابد إنه رفيقك في الجنة، فقال العابد: والله ما أريد الجنة معه، ولا أريد رفيقاً مثله، فأوحى الله عز وجل إلى عيسى ـ عليه السلام ـ أن قل لعبدي إنك لم ترض بقضائي، وحقرت عبدي، فإني قد جَعَلْتُكَ ملعوناً من أهل النار، وبدلت

---

(١) في (م): بعد.

منازلك في الجنة بالذي له في النار، وأعطيت منازلك في الجنة لعبدي، ومنازله في النار لك.

٤٤٤ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ ملكاً ينادي من أبواب السماء يقول: من يقرض اليوم يجز غداً، وملك آخر ينادي: يا معشر بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب»[1].

٤٤٥ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه سئل فقيل: يا رسول الله إذا خرجتَ من الدنيا فظَهْر الأرض خير لنا أم بطنها؟ قال أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ: قال النبي ـ ﷺ ـ:

«إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم أسخياءكم، وأموركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها»[2].

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إن استطعت أن تجعل كنزك حيث لا يأكله السوس، ولا تناله اللصوص فافعل بالصدقة.

٤٤٦ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من أدّى الزكاة، وقرى الضيف، وأدى الأمانة، فقد وقي شحّ نفسه»[3] يعني دفع البخل عن نفسه.

قال الفقيه: عليك بالصدقة بما قلّ أو كثر، فإنّ في الصدقة عشر خصال محمودة، خمس في الدنيا، وخمس في الآخرة. فأما الخمس التي في الدنيا:

فأولها: أنّ فيها تطهيراً للمال ٤٤٧ ـ كما قال النبي ـ ﷺ ـ: «ألَا إنَّ البيعَ يحضره اللغو والحلف والكذب، فشوبوه بالصدقة»[4].

والثاني: أن فيها تطهير البدن من الذنوب كما قال الله عز وجل: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾ [التوبة: ١٠٣].

---

(١) رواه ابن حبان (٥/١٤٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٢٦٦) في الفتن، باب (٧٨)، وقال: حديث غريب.

(٣) رواه الديلمي في الفردوس (٢٤٥٦)، وابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/١٠٨) من حديث جابر.

(٤) رواه أبو داود (٣٣٢٦) في البيوع، باب: في التجارة يخالطها الحلف واللغو، والترمذي (١٢٠٨) في البيوع، باب (٤) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٧/١٤، ١٥)، وابن ماجه (٢١٤٥) في التجارات، باب: التوقي في التجارة، وأحمد (٤/٦، ٢٨٠).

والثالث: أن فيها دفع البلاء والأمراض.

٤٤٨ ـ كما قال النبي ـ ﷺ ـ «داووا مرضاكم بالصّدقة»[1].

والرابع: أن فيها إدخال السرور على المساكين، وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين.

والخامس: أن فيها بركة في المال وسعة في الرزق كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩].

وأما الخمس التي في الآخرة:

فأولها: أن تكون الصدقة ظلًا لصاحبها في شدّة الحر.

والثاني: أن فيها خفّة الحساب.

والثالث: أنها تثقل الميزان.

والرابع: جواز على الصراط.

والخامس: زيادة الدّرجات في الجنة.

ولو لم يكن في الصدقة فضيلة سوى دعاء المساكين؛ لكان الواجب على العاقل أن يرغب فيها، فكيف وفيها رضا الله تعالى ورغم الشيطان لأنه روي في الخبر ٤٤٩ ـ «إن الرجل لا يستطيع أن يتصدّق ما لم يفكّ لحي سبعين شيطاناً»[2] وفيها الاقتداء بالصالحين لأنّ الصالحين كانت نهمتهم في الصدقة.

قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده، عن محمد بن المنكدر، عن أم ذرّ، وكانت تدخل على عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: بعث عبدالله بن الزبير إلى عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ بمال في غرارتين[3] فيهما ثمانون ومئة ألف درهم وهي صائمة، فجعلت تقسم بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: يا جارية هلمي فطوري، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها: أما استطعت فيما قسمت هذا اليوم أن تشتري لنا لحماً بدرهم. قالت: لا تعنفيني، لو كنت ذكرتني لفعلت.

---

(١) سبق تخريجه برقم (٤٣٩).

(٢) روراه أحمد (٥/ ٣٥٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٠٩): رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات، ورواه الحاكم (١/ ٤١٧) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) «غرارتين»: مثنى غِرارة، وعاء من الخيش ونحوه يُوضع فيه القمح ونحوه.

وعن عروة بن الزبير قال: لقد رأيتُ عائشة ـ رضي الله عنها ـ تصدّقت بسبعين ألف درهم، وإنها لترقع جانب درعها.

وذكر أن عبدالملك بن الحسن ورث خمسين ألف درهم، فبعث إلى إخوانه صرراً وقال: كنت أسأل لإخواني الجنة، فكيف أبخل عليهم بالدنيا.

وذكر في الخبر أن امرأة جاءت إلى حسان بن أبي سنان[1] فسألته شيئاً فجعل ينظر إليها، فإذا هي امرأة جميلة فقال: يا غلام: أعطها أربعمئة. فقيل له: يا عبدالله، سائلة تسألك درهماً، فأعطيتها أربعمئة درهم. فقال: لما نظرت إلى جمالها؛ خشيت أن تعسر فتقع في المعصية، فأحببت أن أغنيها فعسى أن يرغبَ فيها أحد فيتزوجها.

وذكر في الخبر أن رجلاً من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ أهدى إليه برأس شاة، فقال: أخي فلان أحوج مني، فبعث إليه، فقال الذي بعث إليه: إن فلاناً أحوج مني فبعث إليه، فلم يزل يبعث به واحد واحد حتى تداولت سبعة أبيات. ثم رجع إلى الأول فنزل قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

ويقال: إنّ نزولَ هذه الآية كان في شأن رجل من الأنصار، وذلك ما رواه الحسن: أن رجلاً أصبح على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ صائماً فلما أمسى لم يجد ما يفطر عليه إلا الماء فشرب، ثم أصبح صائماً فلما أمسى لم يجد ما يفطر عليه إلا الماء، فشرب ثم أصبح صائماً. فلما كان اليوم الثالث أجهده الجوع، ففطن به رجل من الأنصار، فلما أمسى أتى به منزله، فقال لأهله قد نزل بنا الليلة ضيف، فهل عندنا طعام؟ فقالت: إن عندنا من الطعام ما يشبع الواحد، وكانا صائمين ولهما صبي. فقال لها: إنا نطعم ذلك ضيفنا، ونصبر الليلة، فنوّمي الصبي قبل وقت العشاء، وإذا قَرَّبْتِ الطعام فأطفئي السراج حتى يرى الضيف أنا نأكل معه، حتى يشبع فجاءت بثريدة، فوضعتْها، ثم دنت من السراج كأنها تصلحه فأطفأته، فجعل الأنصاري يضع يده في القصة بين يديه ولا يأكل شيئاً؛ فأكل الضيف حتى أتى على ما في القصعة فلما أصبح الأنصاري صلى مع رسول الله ـ ﷺ ـ الفجر فلما سلّم النبي ـ ﷺ ـ أقبل على الأنصاري وقال: «لقد عجب الله تعالى من صنيعكما». يعني رضي به، وتلا هذه

---

(١) هو حسان بن أبي سنان البصري: صدوق، عابد. (تقريب التهذيب ١/ ١٦١).

الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩][1].

يعني يؤثرون بما عندهم لغيرهم، ويمنعون أنفسهم وإن كان بهم مجاعة ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يعني من يدفع البخل عن نفسه، فأولئك هم الناجون من عذابه.

وذكر عن حامد اللفاف ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: إني لأرضى منكم بأربعة، وإن كان السلف على خلاف ذلك:

أحدها: أن تهتموا لتقصير الفريضة كما كانوا يهتمون لتكثير الفضيلة.

والثاني: أن تخافوا الله في ذنوبكم أن لا تغفر كما كانوا يخافون على الطاعة أن لا تقبل.

والثالث: أن تزهدوا في الحرام كما كانوا يزهدون في الحلال.

والرابع: أن تؤثروا الشفقة[2] والمعروف إلى إخوانكم وأصدقائكم كما كانوا يؤثرونهما[3] إلى أعدائهم.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٣٧٩٨) في مناقب الأنصار، باب (١٠)، ومسلم (٢٠٥٤) في الأشربة، باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره.

(٢) في (م): تؤتوا النفقة. (٣) في (م): يؤتونها.

باب ما تدفع الصّدقة عن صاحبها

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبي، حدثنا عبدالله بن حيان البخاري، حدثنا أبو جعفر المنادي البغدادي، حدثنا إبراهيم بن محمد، عن أشعث الحراني، عن أبي الفرج الأزدي: أن عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ مر بقرية وفي تلك القرية قَصّار، فقال أهل القرية: يا عيسى؛ إنّ هذا القصار يمزّق علينا ثيابنا، ويحبسها فادع الله أن لا يرده برزمته[1]. فقال عيسى ـ عليه السلام ـ: اللهم لا ترده برزمته.

قال: فذهب القصار ليغسل الثياب، ومعه ثلاثة أرغفة، فجاءه عابد كان يتعبد في تلك الجبال وسلم على القصار، وقال: هل عندك خبز تطعمني، أو تريني حتى أنظر إليه، أو أشم ريحه، فإني لم آكل الخبز منذ كذا وكذا. فأطعمه رغيفاً، فقال: يا قصار غفر الله لك ذنبك، وطهر قلبك. فأعطاه الثاني، فقال: يا قصار غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر. قال: فأطعمه الثالث، فقال: يا قصار؛ بنى الله لك قصراً في الجنة.

فرجع القصار من العشي سالماً، فقال أهل القرية: يا عيسى هذا القصار قد رجع! فقال: ادعوه، فلما أتاه قال: يا قصار، أخبرني بما عملت اليوم فقال: أتاني سيار من سياري تلك الجبال فاستطعمني، فأطعمته ثلاثة أرغفة فبكل رغيف أطعمته دعا لي بدعوات، فقال عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: هات رزمتك حتى أنظر إليها، فأعطاه ففتحها فإذا فيها حية سوداء ملجمة بلجام من حديد، فقال عيسى ـ عليه السلام ـ: يا أسود. قال: لبيك يا نبي الله. قال: ألست قد بعثت إلى هذا؟ قال: نعم، ولكن جاءه سيار من تلك الجبال فاستطعمه، فبكل رغيف أطعمه دعا له بدعوة، وملك قائم يقول

(١) «الرزمة»: الثياب المطويات.

آمين، فبعث الله تعالى إليّ ملكاً من الملائكة، فألجمني بلجام من حديد. فقال عيسى ـ عليه السلام ـ: يا قصار استأنف العمل فقد غفر لك ببركة صدقتك عليه.

حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد. قال: خرجت امرأة ومعها صبي لها، فجاء ذئبٌ فاختلس منها الصبي، فخرجت في أثره وكان معها رغيف، فعرض لها سائل فأعطته، فجاء الذئب بصبيها حتى ردّه عليها، فهتف هاتفٌ: هذه لقمة بلقمة.

وبهذا الإسناد عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن مغيث بن سمي، قال: تعبّد راهبٌ من بني إسرائيل في صومعة ستين سنة، فنظر يوماً في غبّ سماء؛ فأعجبته الأرض فقال: لو نزلت إلى الأرض فمشيت فيها ونظرت إليها، [فنزل إليها][1] وأنزل معه رغيفاً، فعرضت له امرأة فكشفت له فافتتن بها فلم يملك نفسه أن واقعها، فأدركه الموت على تلك الحال، وجاءه السائل فأعطاه الرغيف، فمات فجيء بعمل الستين سنة فوضع في كفة الميزان وجيء بخطيئته ووضعت في الكفة الأخرى فرجحت خطيئته بعمل ستين سنة حتى جيء بالرغيف فوضع مع عمله فرجح بخطيئته. وقيل إن الصدقة تدفع سبعين باباً من الشر[2].

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه: ما على الأرض صدقة تخرج حتى يفكّ عنها لحي سبعين شيطاناً، كلّهم ينهاه عنها.

• ٤٥ ـ وعن قتادة قال: ذكر لنا «إنّ الصّدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار»[3].

وروي عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أنها كانت جالسة ذات يوم إذ جاءتها امرأة وقد[4] سترت يدها في كمّها، فقالت لها عائشة: ما لك لا تخرجين يدك من كمّك؟ قالت: لا تسألي يا أم المؤمنين. قالت عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ: لا بُدَّ لك أن تخبريني. فقالت: يا أم المؤمنين، إنه كان لي أبوان فكان أبي يحبّ الصدقة،

---

(١) من (م). (٢) في (م): السوء.

(٣) جزء من حديث رواه الترمذي (٦١٤) في الصلاة، باب: ما ذكر في فضل الصلاة، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٣٩٧٣) في الفتنة، باب: كفّ اللسان في الفتن.

(٤) من (م).

وأما أمي فكانت تبغض الصدقة، فلم أرها تصدّقت بشيء إلا قطعة شحم وثوباً خَلِقاً، فلما ماتا رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، ورأيت أمي قائمة بين الخلق. والثوب الخلق موضوع على عورتها، ورأيت الشحم بيديها وهي تلحسه وتنادي: واعطشاه، ورأيتُ أبي على شفير الحوض وهو يسقي الماء، ولم يكن عند أبي أي صدقة أحب إليه من سقيه الماء، فأخذتُ قدحاً من ماء فسقيت أمي فنودي من فوق ألا مَنْ سقاها شلت يده، فاستيقظت وقد شلّت يدي.

وذُكِر أن مالك بن دينار ـ رحمه الله تعالى ـ كان جالساً ذات يوم فجاءه سائل وسأله شيئاً[1]، وكان عنده سلّة تمر، فقال لامرأته: ائتني بها، فجاءت به، فأخذها مالك فأعطى نصفها إلى السائل، ورد نصفها إلى امرأته فقالت له امرأته: مثلك يسمى زاهداً! هل رأيتَ أحداً يبعث إلى الملك هدية مكسرة، فدعا مالك بالسائل وأعطاه البقية. ثم أقبل على امرأته فقال لها: يا هذه اجتهدي ثم اجتهدي، فإن الله تعالى قال: ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ**﴾. فيقال: من أين هذه الشدة قال: ﴿**إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٤] اعلمي أيتها المرأة أنا قد طرحنا من أعناقنا نصفه بالإيمان، فينبغي لنا أن نطرح النصف الآخر بالصدقة.

قال: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن رجل من أهل البصرة قال: كان أعرابيّ صاحبَ ماشية، وكان قليلَ الصدقة، فتصدّق بغريض من غنمه، يعني بسخلة مهزولة، فرأى فيما يرى النائم كأنها أقبلت عليه غنمه كلّها تنطحه، فجعل الغريض يحامي[2] عنه فلما انتبه قال: والله لئن استطعت لأجعلن أتباعك كثيرة، قال: وكان بعد ذلك يعطي ويقسم.

٤٥١ ـ وروى الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما منكم من أحد إلا سيكلّمه ربّه، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه، ثم ينظر أمامه فلا يرى شيئاً إلا النار فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[3].

---

(١) من (م). (٢) في (م): يخاصم.

(٣) رواه البخاري (٦٥٣٩) في الرقاق، باب: من نوقش الحساب عُذِّب، ومسلم (١٠١٦) «٦٧» في الزكاة، باب: الحث على الصدقة.

قال الفقيه: يقال عشر خصال تُبلغ العبدَ منزلة الأخيار، ويَنال بها الدرجات:

أولها: كثرة الصدقة.

والثاني: كثرة تلاوة القرآن.

والثالث: الجلوس مع من يذكّره بالآخرة ويزهّده في الدنيا.

والرابع: صلة الرحم.

والخامس: عياده المريض.

والسادس: قلّة مخالطة الأغنياء الذين شغلهم غناهم عن الآخرة.

والسابع: كثرة التفكّر فيما هو صائر إليه غداً.

والثامن: قصر الأمل وكثرة ذِكْر الموت.

والتاسع: لزوم الصّمت وقلّة الكلام.

والعاشر: التّواضع، ولبس الدّون، وحبّ الفقراء والمخالطة معهم وقرب اليتامى، والمساكين؛ ومسح رؤوسهم.

ويقال: سبع خصال تربي الصدقة وتعظمها:

أولها: إخراجها من حلال؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**﴾ [البقرة: ٢٦٧].

والثاني: إعطاؤها من جهد مقل، يعني يعطي من مال قليل.

والثالث: تعجيلها مخافة الفوت.

والرابع: تصفيتها مخافة البخل، يعني يعطيها من أحسن أمواله، ولا يعطيها من الرديء، لأن الله تعالى قال: ﴿**وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾ [البقرة: ٢٦٧] ولستم بآخذيه، يعني لا تأخذونه، يعني الرديء إذا كان على الآخر لكم قرضاً، إلا أن تغمضوا فيه: أي تسامحوا وتساهلوا فيه.

والخامس: يعطيها في السّر مخافة الرياء.

والسادس: بُعْد المنّ عنها مخافة إبطال الأجر.

والسابع: كف الأذى عن صاحبها مخافة الإثم؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى**﴾ [البقرة: ٢٦٤].

* * *

باب فضل شهر رمضان

٤٥٢ ـ قال أبو الليث السمرقندي: حدثني أبي ـ رحمه الله ـ قال: حدثنا أبو جعفر الإسكاف، عن محمد بن موسى، حدثنا الفضل بن عصام، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا القاسم بن الحكم العدني، عن هشام بن الوليد، عن حماد بن سليمان السدوسي، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه سمع النبي ـ ﷺ ـ يقول:

«إنَّ الجنة لَتُنَجَّد وتزيّن من الحول إلى الحول؛ لدخول شهر رمضان، فإذا كان أول ليلة من رمضان هبّتْ ريحٌ مِن تحت العرش يقال لها المثيرة، فتصفق ورق أشجار الجنة وحلق المصاريع، فيسمع لذلك طنينٌ لم يسمع السامعون أحسن منه، فتبرز الحور العين حتى يقمن على شرف الجنة فينادين: هل من خاطب إلى الله تعالى فيزوجه الله سبحانه وتعالى منا؟ ثم يقلن: يا رضوان، ما هذه الليلة؟ فيجيبهن بالتلبية، فيقول: يا خيرات حسان، هذه أول ليلة من شهر رمضان، ويقول الله: يا رضوان، افتح أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد ـ ﷺ ـ، ويقول الله: يا مالك أغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة محمد ـ ﷺ ـ، ويقول: يا جبريل اهبط إلى الأرض فصفِّد مردة الشياطين، وغلّهم بالأغلال، ثم اقذفهم في لجج البحار، حتى لا يفسدوا على أمة حبيبي محمد صيامهم، فيقول الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرات: هل من سائل فأعطيه سؤله؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ ثم ينادي منادٍ: من يقرض المليء غير المعدم، الوفي غير الظلوم.

وإن لله تعالى في كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار، كلّهم قد استوجبوا العذاب. فإذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة أعتق في كلّ ساعة منها ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا العذاب، فإذا كان في آخر يوم من

شهر رمضان أعتق في ذلك اليوم بعدد من أعتق من أول الشهر إلى آخره، فإذا كانت ليلة القدر يأمر الله تعالى جبريل فيهبط في كَبْكَبَةٍ من الملائكة إلى الأرض، ومعه لواء أخضر فيركزه على ظهر الكعبة، وله ستمئة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر، فينشرهما تلك الليلة فيجاوزان المشرق والمغرب، فيبعث جبريل الملائكة في هذه الأمة، فيسلّمون على كل قائم وقاعد ومصلّ وذاكر، ويصافحونهم ويؤمّنون على دعائهم حتى يطلع الفجر.

فإذا طلع الفجرُ نادى جبريل ـ عليه السلام ـ: يا معشر الملائكة؛ الرحيل، فيقولون: يا جبريل ما صنع الله في حوائج المؤمنين من أمة محمد؟ ـ ﷺ ـ فيقول: إن الله تعالى نظر إليهم وعفا عنهم وغفر لهم، إلا أربعة، فقالوا: ومن هؤلاء الأربعة؟ قال: مدمن خمر، وعاق لوالديه، وقاطع الرحم، ومشاحن. قيل: يا رسول الله، ومن المشاحن؟ قال: هو المصارم، يعني الذي لا يكلّم أخاه فوق ثلاثة أيام.

فإذا كانت ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة، فإذا كانت غداة الفطر بعث الله الملائكة في كل البلاد فيهبطون إلى الأرض، فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع ما خلق الله تعالى إلا الجن والإنس، فيقولون: يا أمة محمد، اخرجوا إلى ربّ كريم، يعطي الجزيل، ويغفر الذنبَ العظيم.

فإذا برزوا إلى مصلاهم، يقول الله جل جلاله لملائكته: يا ملائكتي ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فتقول الملائكة: إلٰهنا وسيدنا، جزاؤه أن توفيه أجره. فيقول الله تعالى: فإني أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثوابهم من صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضائي ومغفرتي، فيقول الله تعالى: يا عبادي سلوني، فوعزتي وجلالي لا تسألونني اليوم شيئاً لدينكم ودنياكم إلا أعطيتكم إياه»[1].

٤٥٣ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا علي بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام بن أبي هشام، عن محمد بن محمد بن الأسود، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٦٩٥)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٧٤١)، وذكره المنذري في ترغيبه (٢/ ٩٩). وقال ابن عراق: لا يصح. (تنزيه الشريعة ٢/ ١٤٦).

«أعطيت أمتي في شهر رمضان خمس خصال لم تُعْطَ أمةٌ قبلها: لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، وتصفّد فيه مردةُ الشياطين؛ فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون في غيره، ويزيّن الله كلّ يوم جنته ويقول لها: يوشك عبادي الصالحون أن تكفى عنهم المؤونة والأذى[1]، ويصيروا إليك، ويغفر لهم في آخر ليلة. قيل: يا رسول الله أهي ليلة القدر؟ قال: لا. ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله»[2].

٤٥٤ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ يبشّر أصحابه ويقول:

«قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك قد افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتُغلق فيه أبوابُ الجحيم، وتُغلل فيه مردةُ الشياطين: وفيه ليلةٌ خيرٌ مِن ألف شهر»[3].

٤٥٥ ـ وروي عن الأعمش عن خيثمة قال: كانوا يقولون: «من رمضان إلى رمضان، والحج إلى الحج، والجمعة إلى الجمعة، والصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»[4].

وروي عن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه كان يقول إذا دخل شهر رمضان: مرحباً بمطهّرنا، رمضان خير كله، صيام نهاره، وقيام ليله، والنفقة فيه كالنفقة في سبيل الله.

٤٥٦ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن

---

(١) في (م): أن ينتقلوا من الدنيا.

(٢) رواه أحمد (٢/٢٩٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٤٠): رواه أحمد والبزار، وفيه هشام بن زياد أبو المقدام، وهو ضعيف. ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٦٠٢)، وابن حبان في كتاب «الثواب» كما في ترغيب المنذري (٢/٩١ ـ ٩٢).

(٣) رواه النسائي (٤/١٢٩)، والبيهقي في الشعب (٣٦٠٠)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٩٨).

(٤) سبق تخريجه من حديث أبي هريرة، وأوله: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة...».

صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدم من ذنبه»[1].

٤٥٧ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «قال الله تعالى: كلّ حسنة يعملها ابن آدم تضاعف له من عشرة إلى سبعمئة ضعف إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يَدَعُ شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، والصوم جُنّة، وللصائم فرحتان: فرحة عند الإفطار، وفرحة يوم القيامة»[2].

٤٥٨ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد، حدثنا فارس، حدثنا محمد بن الفضل. قال: حدثنا أبو وهب عبدالله بن بكر، حدثنا إياس، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيّب، عن سلمان الفارسي ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ آخر يوم من شعبان فقال:

«أيها الناس إنه قد أظلّكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة القدر وهي خير من ألف شهر، شهر فَرَضَ اللَّهُ صيامه، وجَعَل قيام ليله تطوّعاً؛ فمن تطوّع فيه بخصلة من الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه، ومن أدّى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وهو شهر المواساة وشهر يزاد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائماً كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه».

قلنا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم؟ قال: «يعطي اللَّهُ هذا الثوابَ لمن يفطّر صائماً على مذقة لبن أو تمرة أو شربة ماء، ومن أشبع صائماً كان له مغفرة لذنوبه، وسقاه ربّه من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، وهو شهر أوله رحمة، وأوسط مغفرة، وآخره عتق من النار، ومن خفف عن مملوكه فيه أعتقه الله من النار»[3].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبوالحسين الفراء بإسناده عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: ما من عبد صام رمضان في إنصات وسكوت، وذكر الله تعالى وأحلّ حلاله وحرّم حرامه، ولم يرتكبْ فيه

(١) رواه البخاري (١٩٠١) في الصوم، باب: من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونيّة، ومسلم (٧٥٩) في صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في قيام رمضان. «إيماناً واحتساباً»: إيماناً: تصديقاً بأنه حق، معتقداً فضيلته. ومعنى احتساباً: أنه يريد به الله تعالى وحده. وقيام رمضان هو صلاة التراويح.

(٢) رواه مسلم (١١٥١) «١٦٤» في الصيام، باب: فضل الصوم.

(٣) رواه ابن خزيمة (١٨٨٧)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٧٢٦)، والبيهقي في الشعب (٣٦٠٨)، وذكره المنذري في ترغيبه (٢/ ٩٥).

فاحشةً إلا انسلخ من رمضان يوم ينسلخ إلا وقد غُفرت لـه ذنوبـه كلها، ويبنى لـه بكلّ تسبيحة وتهليلة بيت في الجنة من زمـردة خضراء، في جوفها ياقوتـة حمراء، في جـوف تلك الياقوتة خيمة من درّة مجوفة فيها زوجة من الحور العين عليها سواران من ذهب، موشح بياقوتة حمراء تضيء لها الأرض كلّها.

٤٥٩ ـ وبهذا الإسناد عن أبي مسعود ـ رضي الله تعالى عنـه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنـه قال وقـد دنا شهـر رمضان: «لـو يعلمُ العبـادُ مـا في رمضان لتمنت أمتي أن يكـون رمضان سنة»، فقال رجل من خزاعة: حدثنا يا رسول الله بما فيه. قال:

«إن الجنة لتزيّن لرمضان من الحول إلى الحول، فإذا كان أول ليلة من رمضـان هبّتْ ريـحٌ من تحت العرش، فصفقت ورق أشجـار الجنـة فتنـظر الحور إلى ذلـك، ويقلن: يا رب اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجاً تقرّ أعيننـا بهم، وتقر أعينهم بنـا، فما من عبـد صـام رمضـان إلا زوج زوجتين من الحـور العين في خيمـة من درة مجـوفـة ممـا نعت الله تعـالى في كتـابـه: ﴿حُـورٌ مَقْصُـورَاتٌ في الخِيَـامِ﴾ [الرحمٰن: ٧٢]. وعلى كل امرأة منهن سبعون حلّة ليس فيها حلة على لون الأخـرى، ويُعـطى سبعين لـونـاً من الـطيب؛ وكل امـرأة منهن على سريـر من ياقـوتة حمـراء، منسوجة بالدر، على كلّ سرير سبعون فراشاً بـطائنها من إستبـرق، لكل امـرأة سبعون وصيفة، هذا لكل يوم صامه من رمضان سوى ما عمل من الحسنات»[1].

٤٦٠ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ: «رجب شهر أمتي، وفضله على سائر الشهور كفضل أمتي على سائر الأمم. وشعبان شهري وفضله على سـائر الشهـور كفضلي على سائـر الأنبياء. ورمضان شهر الله وفضله على سائر الشهور كفضل الله على خلقه»[2].

٤٦١ ـ قـال الفقيه ـ رحمـه الله تعالى ـ: حـدثنا محمـد بن الفضل بـإسناده عن الحسن أن النبي ـ ﷺ ـ خـرج وإذا الناس يتـلاحون، فقـال النبي ـ ﷺ ـ: «جئتُ وأنا

---

(١) رواه ابن خـزيمة (١٨٨٦) وقـال محققه: ضعيف، بـل مـوضـوع، وقـال الهيثمي في مجمـع الـزوائـد (١٤٢/٣): رواه الطبراني في الكبير، وفي إسناده جـرير بن أيـوب البجلي، قال أبـو نعيم: كان يضـع الحديث، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسـائي: متروك. (ميـزان الاعتدال ٣٩١/١). ورواه البيهقي في الشعب (٣٦٣٤). وانـظر: تـرغيب المنـذري (١٠٢/٢ ـ ١٠٣)، وفـوائـد الشـوكـاني ص (٨٨).

(٢) رواه الأصبهـاني في تـرغيبـه (١٨٣٠) عن الحسن مرسـلاً، وذكـره ابن الجـوزي في المـوضـوعـات (٢٠٥/٢) وقال: هذا حديث موضوع، والكسائي لا يعرف، والنقاش متّهم. وانـظر: فوائـد الشوكـاني ص (١٠٠).

أريد أن أخبركم بليلة القدر، غير أني خشيتُ أن تتكلوا عليها، وعسى أن يكون خيراً. فاطلبوها في العشر الأواخر، في تسع بقين، وفي سبع بقين، وفي خمس بقين، وفي ثلاث بقين، وفي آخر ليلة تبقى. ومن أماراتها: أنها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة، حتى تطلع الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع، من قامها إيماناً واحتساباً غفر الله له ما كان قبل ذلك من ذنب»[1].

قال الفقيه: قد اشترط النبي - ﷺ - في قيام الليل وصيام النهار الإيمان والاحتساب. والإيمان: هو التصديق بما وعد الله له من الثواب. والاحتساب، أن يكونَ مُقبلاً عليه خاشعاً لله تعالى. فإذا أراد العبدُ أن ينالَ الثواب والفضائل التي ذكرها النبي - ﷺ - فينبغي أن يعرفَ حرمة الشهر، ويحفظ فيه لسانه عن الكذب والغيبة والفضول، ويحفظ جوارحه عن الخطايا والزلل، ويحفظ قلبه عن الحسد وعداوة المسلمين، فإذا فعل ذلك فينبغي أن يكونَ خائفاً أن الله يقبل منه أو لا يقبل.

وقد ذُكِر عن بعض الحكماء أنه كان يقول: إلٰهي قد ضمنت لصاحب المصيبة في الدنيا الأجر، وفي الآخرة الثواب، إلٰهي إن رددتَ علينا هذا الصوم فلا تحرمنا أجر المصيبة يا معروفاً بالمعروف.

٤٦٢ - وروى أبو ذر الغفاري - رضي الله تعالى عنه قال: «صمنا مع رسول الله - ﷺ - فلما كان ليلة الثالث والعشرين قام وصلى بنا حتى مضى ثلث الليل، ثم لما كانت ليلة الرابع والعشرين لم يخرج إلينا، فلما كانت ليلة الخامس والعشرين خرج إلينا، وصلى بنا حتى مضى شطر الليل فقلنا لو نفلتنا ليلتنا هذه. فقال: «إنه من خرج، وقام مع الإمام حتى ينصرف، كتب له قيام ليلة»، ثم لم يصلّ بنا في الليلة السادسة والعشرين فلما كانت ليلة السابع والعشرين قام وجمع أهله،وصلّى بنا حتّى خشينا أن يفوتنا الفلاح، قلنا: وما الفلاح؟ قال: السحور[2].

٤٦٣ - وعن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن النبي - ﷺ - خرج في أول جوف الليل في رمضان، وصلى في المسجد وصلّى الناس بصلاته، فأصبح الناس

---

(١) رواه أحمد (٥/٣٢٤) من حديث عبادة بن الصامت، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٧٥): رواه أحمد، ورجاله ثقات.

(٢) رواه أبو داود (١٣٧٥) في الصلاة، باب: في قيام شهر رمضان، والترمذي (٨٠٦) في الصوم، باب (٨١) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١٣٢٧) في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب (١٧٣)، والنسائي (٣/٨٣).

يتحدّثون بـذلك، وكثـر الناس في الليلة الثـانية، فصلى وصلوا بصـلاته. فلمـا كانت الليلة الثـالثة كثـر الناس حتى عجـز المسجد عن أهله، فلم يخـرج إليهم حتى خـرج لصلاته، فلما صلى الفجر أقبل على الناس وقال: «إنه لم يخف عليّ شـأنكم الليلة، ولكني خشيتُ أن يفرضَ عليكم صلاة الليل فتعجزوا عن ذلك»[1].

٤٦٤ ـ قالت عائشـة ـ رضي الله تعالى عنهـا ـ: وكان النبي ـ ﷺ ـ يـرغبهـم في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة، فتوفي رسول الله ـ ﷺ ـ والأمر على ذلـك في خلافة أبي بكر، وصدر من خلافة عمر؛ حتى جمعهم عمر بن الخـطاب على أبي بن كعـب رضي الله تعالى عنهما[2].

٤٦٥ ـ قـال الفقيـه: حـدثني أبي بـإسنـاده عن علي بن أبي طـالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إنما أخذ عمر بن الخطاب هذه التراويح من حديث سمعـه مني، قالوا: وما هو يـا أمير المؤمنين؟ قـال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقـول: «إنّ لله تعالى حول العرش مـوضعاً يسمى حـظيرة القـدس، وهو من النـور، فيها مـلائكة لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، يعبـدون الله عز وجـل عبادة لا يفتـرون ساعـة، فإذا كـان ليالي شهر رمضان استـأذنوا ربهم أن ينـزلوا إلى الأرض فيصلون مـع بني آدم، فينزلـون كل ليلة الأرض، فكل من مسهم أو مسوه سعد سعادة لا يشقى بعدها أبـداً». فقال عمـر ـ رضي الله تعالى عنه ـ عند ذلك: نحن أحقّ بهذا، فجمع الناس للتراويـح ونصبها إلى أبيّ بن كعب.

وروي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه خرج في أول ليلة من شهر رمضان، فسمع القراءة في المساجد، ورأى القناديل تزهر في المساجد، فقـال: نوّر الله قبر عمر، كما نوّر مساجدنا بالقرآن.

وروي عن عثمـان بن عفان ـ رضي الله تعـالى عنـه ـ هكـذا، رضي الله تعـالى عنهم أجمعين.

* * *

---

(١) رواه البخـاري (٢٠١٢) في صلاة التـراويح، بـاب: فضل من قـام رمضان، ومسلم (٧٦١) في صـلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في قيام رمضان.

(٢) رواه مسلم (٧٥٩) في صلاة المسافرين وقصرها، باب (٢٥)، وأبـو داود (١٣٧١) في الصلاة، بـاب: في قيام شهر رمضـان، والترمـذي (٨٠٨) في الصوم، بـاب: الترغيب في قيـام رمضان، وقـال: حسن صحيح.

باب فضل أيّام العشر

٤٦٦ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا علي بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا عبدالله بن نمير، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ما من أيامٍ العملُ الصّالحُ فيها أحبّ إلى الله من هذه الأيام» يعني أيام العشر، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله تعالى؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجعْ من ذلك بشيء»[1].

٤٦٧ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا محمد بن عقيل، حدثنا محمد بن مخلد بن خالد، حدثنا يحيى بن أبي كثير، حدثنا عبدالسلام بن سليمان، عن مرزوق، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما من أيام أحبّ إلى الله وأفضل من أيام العشر». قيل: ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: «ولا مثلهن في سبيل الله، إلا رجل عقر جواده، وعفّر وجهه». وفي رواية أخرى «عقر جواده وأهريق دمه»[2].

٤٦٨ ـ قال الفقيه: [حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ][3] حدثنا محمد بن غالب بإسناده، عن عطاء، عن أم المؤمنين عائشة، رضي الله تعالى عنها ـ أن شاباً كان صاحب سماع، وكان إذا أهلّ هلال ذي الحجة أصبح صائماً، فارتفع الحديث إلى

---

(١) رواه البخاري (٩٦٩) في العيدين، باب: فضل العمل في أيام التشريق، والترمذي (٧٥٧) في الصوم، باب: ما جاء في العمل في أيام العشر، وقال: حسن صحيح غريب، وأبو داود (٢٤٣٨) في الصوم، باب: في صوم العشر، وابن ماجه (١٧٢٧) في الصيام، باب: صيام العشر.

(٢) رواه ابن حبان (٣٨٤٢)، والبزار كما في كشف الأستار (١١٢٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٧): رواه البزار، وإسناده حسن، ورجاله ثقات.

(٣) من (م).

النبي ـ ﷺ ـ فأرسل إليه فدعاه، فقال: «ما يحملك على صيام هذه الأيام؟» قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنها أيام المشاعر، وأيام الحج عسى الله أن يشركني في دعائهم. قال: «فإن بكلّ يوم تصومه عدل مئة رقبة، ومئة بدنة، ومئة فرس، تحمل عليها في سبيل الله، فإذا كان يوم التروية فلك فيها عدل ألف رقبة وألف بدنة وألف فرس، تحمل عليها في سبيل الله، فإذا كان يوم عرفة فلك بها عدل ألفي رقبة وألفي بدنة وألفي فرس تحمل عليها في سبيل الله، وهو صيام سنتين سنة قبلها وسنة بعدها»[1].

٤٦٩ ـ وروى في رواية أخرى أنه قال ـ ﷺ ـ: «يعدل صوم يوم عرفة بصوم سنتين ويعدل صوم عاشوراء بصوم سنة»[2].

وقال أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] إنها عشر من أول ذي الحجة، وكلم الله موسى تكليماً، وقربه نجياً في أيام العشر، وكتب له الألواح في أيام العشر.

٤٧٠ ـ وروي عن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: عليكم بصوم أيام العشر، وإكثار الدعاء والاستغفار والصدقة فيها، فإني سمعتُ نبيكم محمداً ـ ﷺ ـ يقول: «الويل لمن حُرِم خيرَ أيام العشر، عليكم بصوم التاسع خاصة فإن فيه من الخيرات أكثر من أن يحصيها العادون».

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثني أبي ـ رحمة الله عليه ـ حدثنا أبو عبدالرحمٰن بن أبي الليث، حدثنا أحمد بن جعفر البغدادي، حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، عن محمد بن الفضل بن عطية، عن أبيه، عن عبدالله بن عبيد بن عمير الليثي، قال: بلغنا أن الله تعالى أهدى إلى موسى بن عمران خمس دعوات جاء بهن جبريل ـ عليه السلام ـ في أيام العشر:

أولهن: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

---

(١) رواه ابن عدي عن عائشة مرفوعاً، قال الشوكاني: ولا يصحّ، وفي إسناده كذاب. (الفوائد ص ٩٥).
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «فضل عشر ذي الحجة» عن أبي قتادة. (كنز العمال ١٢١١٦).

والثانية: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلٰهاً واحداً أحداً صَمَداً لم يتّخذْ له صاحبة ولا ولداً.

والثالثة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحداً صمداً، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

والرابعة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كلّ شيء قدير.

والخامسة: حسبي الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى.

وذُكِر أنّ هذه الكلمات أنزلت في الإنجيل، وأن الحواريين سألوا عيسى - عليه السلام - عن فضل هذه الدعوات، فذكر لهم من الثواب والفضيلة لمن قرأها في أيام العشر ما لا يقدر على وصفه أحد.

قال أبو النضر هاشم بن القاسم: حدثني رجل أنه دعا بهذه الدعوات في أيام العشر، فرأى في منامه كأن في بيته خمس طبقات من نور بعضها فوق بعض.

٤٧١ - وروى مجاهد عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما -: أن النبي - ﷺ - قال: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحبّ إليه فيهن العمل من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيها التكبير والتحميد والتهليل»[1].

وروى نافع عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أنه كان يكبّر في جميع أيام العشر على فراشه ومجلسه. وكان عطاء بن أبي رباح[2] يكبّر في العشر في الطريق وفي الأسواق.

وروى جرير عن يزيد بن أبي زياد قال: كان سعيد بن جبير وعبدالرحمٰن بن أبي ليلى ومَن رأينا من فقهاء المسلمين يوم العيد وأيام التشريق يقولون: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

وقال جعفر بن سليمان[3]: رأيت ثابتاً البناني يقطع حديثه في أيام العشر. يعني

---

(١) رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس، ورجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد ٤/١٧).

(٢) هو عطاء بن أبي رباح، القرشي، مولاهم، المكي: ثقة، فقيه، فاضل، لكنه كثير الإرسال. وقيل: إنه تغير بآخره. (تقريب التهذيب ٢/٢٢).

(٣) هو جعفر بن سليمان الضُبَعي، أبو سليمان البصري: صدوق، زاهد، لكنه كان يتشيع. (تقريب التهذيب ١/١٣١).

في مجلس الذكر، ثم يقول: الله أكبر، الله أكبر [لا إله إلا الله. والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد][1]، وقال: إنها أيام الذكر. هكذا كان الناس يصنعون. فقال جعفر: رأيت مالك بن دينار يفعل هكذا.

وروى المغيرة بن شعبة عن أبي معشر قال: سألت إبراهيم[2] النخعي عن التكبير في الطريق أيام العشر، فقال: إنما يفعل ذلك الحواكون.

وعن ليث بن أبي سُليم[3] قال: سألتُ مجاهداً عن التّكبير في الطريق أيام العشر، فقال: إنما يفعلُ ذلك الحاكة.

قال الفقيه: مَن كبّر في هذه الأيام في نفسه كان أفضل، ولو أنه كبّر ورفّع صوته، وأراد به إظهار الشريعة، وأن يذكر الناس فلا بأس به، وقد جاء الأثر في ذلك.

٤٧٢ ـ وروى عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إن الله تعالى قد اختار من الأيام أربعة، ومن الشهور أربعة، ومن النساء أربعة، وأربعة يسبقون إلى الجنة، وأربعة اشتاقت إليهم الجنة، أما الأيام:

فأولها: يوم الجمعة، فيه ساعةٌ لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله تعالى شيئاً من أمر الدنيا والآخر إلا أعطاه الله إياه.

والثاني: يوم عرفة، فإذا كان يومُ عرفة يباهي الله تعالى ملائكته فيقول: يا ملائكتي، انظروا إلى عبادي، جاؤوا شعثاً غبراً، قد أنفقوا الأموال، وأتعبوا الأبدان، اشهدوا أني قد غفرتُ لهم.

والثالث: يوم النّحر، فإذا كان يوم النحر، وقرّب العبدُ قربانه، فأول قطرة قطرت من القربان تكون كفّارةً لكلّ ذنبٍ عمله العبدُ.

والرابع: يوم الفطر، فإذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم، يقول الله تبارك وتعالى لملائكته: يا ملائكتي إنّ كلّ عامل يطلبُ أجره، وعبادي صاموا شهرهم، وخرجوا إلى عيدهم، يطلبون أجرهم، أشهدكم أني قد غفرت لهم. وينادي المنادي: يا أمة محمد، ارجعوا فقد بدّلتُ سيئاتكم حسنات.

---

(١) من (م). (٢) من (م).
(٣) هو ليث بن أبي سُليم بن زُنَيْم: صدوق، اختلط أخيراً، ولم يتميز حديثه فترك. (تقريب التهذيب ١٣٨/٢).

وأما الشهور: فشهر الله الأصم رجب، وثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم.

وأما النساء: فمريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وفاطمة بنت محمد سيدة نساء أهل الجنة.

وأما السابقون فلكل قوم سابق إلى الجنة، فمحمد ـ ﷺ ـ سابق العرب، وسلمان سابق فارس، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبشة.

وأما الأربعة التي اشتاقت إليهم الجنة: فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ، وسلمان، وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود ـ رضي الله تعالى عنهم ـ»[1].

٤٧٣ ـ وروي عن سالم بن أبي الجعد أن النبي ـ ﷺ ـ قال لفاطمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ: «قومي إلى أضحيتك، فاشهديها، فإن الله تعالى يرفعُ عنكِ ذنوبك عند أول دفعة من دمها». يعني أول قطرة. قال عمران بن الحصين: أخاصّة لك يا رسول الله ولأهل بيتك أم لعامة المسلمين؟ قال: «بل لعامة المسلمين»[2].

٤٧٤ ـ وعن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أنها قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ضحُّوا وطِيْبُوا بها نفساً، فإنه مَن أخذ أضحيته يوم محلها، فاستقبل بها القبلة، كان قرنها وفرثها ودمها وشعرها وصوفها ووبرها محضورات له يوم القيامة، إن الدم إذا وقع في التراب فإنما يقع في حرز الله، أنفقوا يسيراً تؤجروا كثيراً»[3].

* * *

---

(١) رواه ابن عساكر من حديث أبي هريرة، وقال ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٦٤ ـ ٦٥): منكر بمرة، وفيه العباس بن أسجور، وأبو محمد المراغي ؛ مجهولان.

(٢) رواه الحاكم (٤/ ٢٢٢)، والأصبهاني في ترغيبه (٣٤٨)، وذكره ابن أبي حاتم في العلل (١٥٩٦) من حديث أبي سعيد، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥) وعزاه للأصبهاني.

(٣) رواه عبدالرزاق في المصنف (٤/ ٣٨٨)، والديلمي في الفردوس (٣٨٧٣).

باب فضل يوم عاشوراء

٤٧٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الحاكم أبو الحسن علي بن الحسين السردري، حدثنا أبو جعفر أحمد بن حاتم، حدثنا يعقوب بن جندب، عن حامد بن آدم، عن حبيب بن محمد، عن أبيه، عن إبراهيم الصائغ، عن ميمون بن مهران، عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«من صام يوم عاشوراء من المحرم، أعطاه الله تعالى ثواب عشرة آلاف ملك [ومئة شهيد][1]، ومن صام يوم عاشوراء من المحرم أُعطي ثواب عشرة آلاف حاج ومعتمر، وعشرة آلاف شهيد، ومن مسح يده على رأس يتيم يوم عاشوراء رفع الله تعالى له بكلّ شعرة درجة، ومن فطّر مؤمناً ليلة عاشوراء، فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأشبع بطونهم». قالوا: يا رسول الله لقد فضل الله يوم عاشوراء على سائر الأيام.

قال: «نعم خلق الله تعالى السمٰوات والأرضين يوم عاشوراء، وخلق الجبال يوم عاشوراء، وخلق النُّجوم يوم عاشوراء، وخلق اللوح والقلم يوم عاشوراء، وخلق آدم يوم عاشوراء، وخلق حواء يوم عاشوراء، وخلق الجِنّة وأدخلهم الجَنّة يوم عاشوراء، وولد إبراهيم يوم عاشوراء، ونجّاه الله من النار يوم عاشوراء، وقد أمر بالذبح يوم عاشوراء، وفدى ولده من الذبح يوم عاشوراء، وأغرق فرعون يوم عاشوراء، وكشف البلاء عن أيوب يوم عاشوراء، وتاب الله على آدم يوم عاشوراء، وغفر ذنب داود يوم عاشوراء، ورد ملك سليمان يوم عاشوراء، وولد عيسى في يوم عاشوراء، ورفع الله

---

(١) من (م).

عيسى في يوم عاشوراء، وولد النبي - ﷺ - في يوم عاشوراء، ويوم القيامة في يوم عاشوراء»[1].

قال الفقيه - رحمه الله تعالى -: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا المسيب بن أبي بكر، عن عكرمة - رضي الله تعالى عنه - قال: يوم عاشوراء هو اليوم الذي تِيبَ فيه على آدم، وهو اليوم الذي أهبط فيه نوح من السفينة، فصامه شكراً، وهو اليوم الذي أُغْرِقَ فيه فرعون، وفلق البحر لبني إسرائيل فصاموه، فإن استطعت أن لا يفوتك صومه فافعل.

٤٧٦ - قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا سفيان، عن إبراهيم، عن محمد بن ميسرة قال: بلغنا عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه «مَن وسّع على عياله يوم عاشوراء وسّع اللَّهُ عليه سائر السنة»[2] قال سفيان: جربناه فوجدناه كذلك.

٤٧٧ - وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قدم النبي - ﷺ - المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك، فقالوا: إن هذا اليوم أظهر الله فيه موسى وبني إسرائيل على قوم فرعون، فنحن نصومه تعظيماً له. فقال النبي - ﷺ - «نحن أولى بموسى منكم» فأمر بصومه[3].

قال الفقيه - رضي الله تعالى عنه -: قد اختلفوا في تفسير هذا اليوم، قال بعضهم: إنما سمي عاشوراء لأنه عاشر يوم من المحرم.

وقال بعضهم: لأنّ الله تعالى أكرم فيه عشرة من الأنبياء بعشر كرامات: تاب الله على آدم يوم عاشوراء، ورفع الله تعالى إدريس مكاناً عليّاً في يوم عاشوراء، واستوت سفينة نوح على الجودي يوم عاشوراء، وولد إبراهيم - عليه السلام - في يوم

---

(١) ذكره السيوطي في اللآلىء المصنوعة (٢/١٠٨ - ١٠٩) وقال: آفته حبيب؛ وهو متروك، كذّبه أبو داود وجماعة. (تقريب التهذيب ١/١٤٩). وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة ص(٩٦)، وقال: موضوع.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٨٩) بروايتين: الأولى: من حديث أبي سعيد، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن إسماعيل الجعفري، قال أبو حاتم: منكر الحديث. والثانية: من حديث ابن مسعود، وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه الهيصم بن الشداخ، وهو ضعيف جداً.

(٣) رواه البخاري (٢٠٠٤) في الصوم، باب: صيام يوم عاشوراء، ومسلم (١١٣٠) في الصيام، باب (١٩).

عاشوراء، واتخذه خليلاً وأنجاه من النار كذلك[1]، وتاب الله على داود يوم عاشوراء، ورفع الله عيسى يوم عاشوراء، وأنجى الله موسى من البحر، وأغرق فرعون يوم عاشوراء، وأخرج يونس من بطن الحوت يوم عاشوراء، ورد ملك سليمان يوم عاشوراء، وولد النبي - ﷺ - يوم عاشوراء.

قال بعضُهم: إنما سُمِّي عاشوراء لأنه عاشر عشر كرامات أكرم الله بها هذه الأمة:

أولها: شهر رجب، وهو شهر الله الأصمّ، وإنما جعله كرامة لهذه الأمة، وفضله على سائر الشهور كفضل هذه الأمة على سائر الأمم.

والثاني: شهر شعبان، وفضله على سائر الشهور كفضل النبي - ﷺ - على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والثالث: شهر رمضان، وفضله على سائر الشهور كفضل الله تعالى على خلقه.

والرابع: ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر.

والخامس: يوم الفطر، وهو يوم الجزاء.

والسادس: أيام العشر، وهي أيام ذكر الله تعالى.

والسابع: يوم عرفة، وصومه كفّارة سنتين.

والثامن: يوم النحر، وهو يوم القربان.

والتاسع: يوم الجمعة، وهو سيّد الأيام.

والعاشر: يوم عاشوراء، وصومه كفّارة سنة، فلكلّ وقت من هذه الأوقات كرامات، جعلها الله تعالى لهذه الأمة لتكفير ذنوبهم، وتطهير خطاياهم.

٤٧٨ - وعن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية، وكان يصومه رسول الله - ﷺ - بمكة، فلما قدم المدينة فرض صيام شهر رمضان. فقال النبي - ﷺ -: «إنّي كنتُ أمرتُ بصوم يوم عاشوراء، فمن شاء صام ومن شاء ترك»[2].

---

(١) في (م): في يوم عاشوراء.

(٢) رواه البخاري (٤٥٠٢) في التفسير، باب (٢٤)، ومسلم (١١٢٥) في الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء.

وروي عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: يوم عاشوراء يوم التاسع. وقال بعضهم: يوم الحادي عشر، وأكثرهم على أنه يوم العاشر[1].

[وقيل: ينبغي أن يقرأ في أوّل المحرم هذا الدعاء ألف مرة، يقول: اللهم هذه سنة جديدة، وأنت ملك قديم؛ أسألك خيرها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها، وأستكفيك مؤونتها وشغلها؛ يا ذا الجلال والإكرام][2].

* * *

---

(١) عن ابن عباس قال: أَمَرَ رسول الله ﷺ بصومِ عاشوراء يوم العاشر. رواه الترمذي (٧٥٥) في الصوم، وقال: حديث حسن صحيح. واختلف أهلُ العلم في يوم عاشوراء؛ فقال بعضهم: يوم التاسع، وقال بعضهم: يوم العاشر. ورُوي عن ابن عباس أنه قال: صوموا التاسع والعاشر، وخالِفُوا اليهود. وبهذا الحديث يقول الشافعي وأحمد وإسحاق.

(٢) من (م).

باب فضل صوم التطوّع، وصوم أيام البيض، وصوم رجب

٤٧٩ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا علي بن أحمد، حدثنا عيسى بن أحمد، حدثنا ابن وهب، عن عمر بن محمد العمري: أن زيد بن أسلم حدثه وقال: لا أعلم إلا أنه عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال:

«الأعمال سبعة: فعمل بمثله، وعمل بمثليه، وعمل موجب، وعمل بعشرة، وعمل بسبعمئة، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله.

فأما العمل الذي بمثله: فالرجل يعمل سيئة تُكتب عليه واحدة. ورجل يهمّ بحسنة ولم يعملها فتُكتب له حسنة. [وأمّا العمل الذي بمثليه فهو الرجل يعمل حسنة فتكتب أضعافاً][1] والعمل الموجب: من لقي الله لا يعبد إلا هو وجبت له الجنة، ومن لقي الله يعبد غيره وجبت له النار[2]. والعمل الذي بعشرة من عمل حسنة فيكتب له عشرة، والعمل الذي بسبعمئة: من عمل في سبيل الله تعالى أو ينفق في ذلك، فيكتب له سبعمئة. والعمل الذي لا يعرف ثواب عامله إلا الله فهو الصوم»[3].

٤٨٠ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا علي بن أحمد، حدثنا عيسى بن أحمد، حدثنا ابن وهب، حدثنا أبو صدقة اليماني قال: دخل بلال ـ رضي الله تعالى عنه ـ على رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يأكل الطعام فقال: «يا بلال الطعام الطعام»، فقال: يا رسول الله إني صائم، فقال رسول

---

(١) من (م).
(٢) في (م) زيادة، وهي شرح للآية ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾، ولم أرَ ضرورة لذكر ذلك.
(٣) رواه البيهقي في الشعب (٣٥٨٨) وقال: هكذا رواه ابن وهب منقطعاً.

الله ـ ﷺ ـ: «نأكل أرزاقنا، ورزق بلال في الجنة، إن الصائم إذا كان عند قوم يأكلون تسبح أعضاؤه وتصلي عليه الملائكة، وتقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ما دام في مجلسه»[1].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا علي بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام بن حسان، عن واصل مولى أبي عيينة. قال: أخبرني لقيط، عن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: ركبنا البحر، فبينما نحن نسير في لجة البحر وقد رفعنا الشراع، ولا نرى جزيرة ولا شيئاً إذا نحن بمناد ينادي يا أهل السفينة، قفوا أخبركم. قال: فانصرفنا، فلم نر شيئاً. فنادى سبعاً، قال أبو موسى: فلما كانت السابعة، قمت فقلت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه، ولسنا نستطيع أن نحتبسَ عليك، فأخبرنا ما تريد أن تخبرنا به، فقال: ألا أخبركم بقضاء قضى الله تعالى على نفسه. قلنا: أخبرنا قال: فإن الله تعالى قضى على نفسه أنه ما من عبد أظمأ نفسه في يوم حار إلا أرواه الله تعالى يوم القيامة[2].

وذكر عن ابن المبارك، عن واصل مولى أبي عيينة، عن لقيط، عن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري نحوه، وزاد فيه: وكان أبو موسى يتتبع اليوم الحارّ الشّديد فيصومه.

٤٨١ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر قال: حدثنا أبو عتاب البغدادي، قال: حدثنا يحيى بن جعفر بن الزبير، قال: حدثنا الحارث بن منصور، حدثنا يحيى السقاء، عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن أبي مالك الأشعري، عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «ست خصال من الخير: مجاهدة عدو الله بالسيف، والصّوم في الصيف، وحسن الصّبر عند المصيبة، وترك المراء وإن كان محقاً، والتّبكير بالصلاة في يوم الغيم ـ أو قال في يوم الصّيف ـ وحسن الوضوء في أيام الشّتاء»[3].

---

(١) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/٤٦٧) في ترجمة يوسف بن السَّفْر، وهو وضّاع كذّاب.

(٢) رواه البزار كما في كشف الأستار (١٠٣٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٨٣): رواه البزار، ورجاله موثقون.

(٣) رواه البيهقي، وقال: يحيى بن كثير السقاء ضعيف. وقال المناوي: يحيى بن أبي طالب؛ أورده الذهبي في «الذيل» وقال: وثقه الدارقطني، وقال موسى بن هارون: أشهد أنه يكذب، يريد في كلامه لا حديثه. والحارث الواسطي؛ قال ابن عدي: في حديثه اضطراب، ويحيى؛ قال الذهبي: اتفقوا على تركه. ومن ثمة قطع الحافظ العراقي بضعف سند الحديث. (فيض القدير ٤/٩٣ ـ ٩٤).

قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا علي بن أحمد، حدثنا نصير بن يحيى، حدثنا أبو مطيع، عن بكر بن خنيس يرفعه إلى أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: لولا ثلاث ما باليت أن أموت:

أحدُها: تعفير وجهي في التراب لله ساجداً.

والثاني: صوم يوم بعيد ما بين طرفيه، أتلوّى فيه من الجوع والظمأ.

والثالث: جلوس مع قوم يتخيّرون أطيبَ الكلام كما يتخيّرون أطيبَ التمر.

٤٨٢ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا علي بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا ابن عبدالله الطنافسي، عن العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبي سليمان مولى هاشم، أنه سمع أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ يقول: «علمني رسول الله ـ ﷺ ـ ثلاث خصال لا أدعهن حتى أموت: أن لا أنام إلا على وضوء، وأن أصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وأن لا أدع صلاة الضحى»[1].

٤٨٣ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا علي بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن عبدالله الطنافسي، عن العوام بن حوشب، حدثنا محمد بن سلمة، حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا هشام بن القاسم، حدثنا أبو إسحاق الأشجعي، عن عمر بن قيس، عن الحسن بن الصباح، عن هنيدة بن خالد الخزاعي، عن حفصة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: أربع لم يدعهن النبي ـ ﷺ ـ: صيام يوم عاشوراء، وصوم أيام العشر، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتان قبل الغداة[2].

٤٨٤ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا أبو بكر محمد بن عبدالله، حدثنا محمد بن علي، حدثنا يحيى بن محمد بن كامل بن طلحة، عن حماد بن سلمة، عن الحجاج بن أبي إسحاق، عن الحارث بن علي ـ كرم الله وجهه، أن النبي ـ ﷺ ـ قال:

«صوموا شهر الصبر، يعني شهر رمضان، وثلاثة أيام من كل شهر، فهو بمنزلة صوم الدهر، ويذهب وَحَرَ الصدر»؛ يعني غلّه وغشه[3].

---

(١) رواه البخاري (١١٧٨) في التهجد، باب: صلاة الضحى في الحضر، ومسلم (٧٢١) في صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة الضحى.

(٢) في إسناده: الحسن بن الصباح؛ صدوق، يهم. (تقريب التهذيب ١/١٦٧). وعمر بن قيس: صدوق ربما وَهِم. (تقريب التهذيب ٢/٦٢).

(٣) رواه أحمد (٣/٤٣٦)، والبزار كما في كشف الأستار (١٠٥٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٩٦) وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير، ورجال أحمد رجال الصحيح.

حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا علي بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن رجل، عن عبدالله بن شقيق العقيلي قال: أتيت المدينة، فإذا أبو ذر الغفاري ـ رضي الله تعالى عنه ـ، فقلت: لأنظرن على أي حال هو اليوم، فقلت له: أصائم أنت؟ قال: نعم. وهم ينتظرون الإذن على عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ فلما دخلوا أتينا بقصاع فأكل أبو ذر فحركته بيدي أذكره، فقال: إني لم أنس ما قلت لك أخبرتك أني صائم، فإني أصوم من كل شهر ثلاثة أيام فأنا أبداً صائم.

٤٨٥ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا علي بن أحمد، حدثنا محمد بن سلمة، حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا محمد بن الفضل الضبي، عن حصين، عن مجاهد، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: كنت رجلاً مجتهداً، فزوّجني أبي امرأةً، فدخل يوماً منزلي فلم يَرَني، فقال للمرأة: كيف تجدين بعلك؟ فقالت: نعم الرجل، هو رجلٌ لا ينام ولا يفطر، فوقع في أبي، فقال: زوّجتك امرأةً من المسلمين، فعطّلتها، فلم أبالِ بما قال لي أبي؛ مما أجد من القوة والاجتهاد إلى أن بلغ ذلك إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فدعاني فقال لي:

«لكني أنام وأصلي وأصوم وأفطر، فصل ونم وصم من كل شهر ثلاثة أيام»، فقلت: يا رسول الله أنا أقوى من ذلك قال: «صم يوماً، وأفطر يوماً وهو صوم داود ـ عليه السلام ـ» وقال لي: «في كم تقرأ القرآن؟» قلت: في يومين وليلتين. قال: «اقرأه في خمسة عشر يوماً». قال: قلت يا رسول الله أنا أقوى من ذلك. قال: «فاقرأه في سبع». ثم قال: «إن لكل عمل شرة، ولكل شرة حرص فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك».

فقال عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ: لإن أكون قبلت رخصة رسول الله ـ ﷺ ـ أحب إليّ من أن يكون لي مثل أهلي ومالي، وأنا اليوم شيخ قد كبرتُ وضعفتُ، وأكره أن أترك ما أمرني به رسول الله ـ ﷺ ـ[1].

ورُوي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلاً جاء إليه فسأله عن الصيام فقال: ألا أحدّثك بحديث كان عندي من التّحف المخزونة، إن كنت تريد صوم داود

---

(١) رواه البخاري (١٩٧٥) في الصوم، باب: حق الجسم في الصوم، ومسلم (١١٥٩) في الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرّر به، والنسائي (٤/٢١١).

عليه السلام فإنه كان يصوم يوماً ويفطر يوماً؛ وإن كنت تريد صوم ابنه سليمان عليه السلام فإنه كان يصوم ثلاثة أيام من أول كل شهر، وثلاثة من أوسطه وثلاثة من آخره. وإن كنت تريد صوم ابن العذراء البتول، يعني عيسى ابن مريم عليهما السلام ـ فإنه كان يصوم الدهر كله، ويأكل الشعير، ويلبس الشعر[1] الخشن، وكان حيثما أدركه الليل صف قدميه يصلي حتى يرى علامة الفجر قد طلعت، وكان لا يقوم مقاماً إلا صلَّى ركعتين فيه، وإن كنت تريد صَوم أمه فإنها كانت تصوم يومين وتفطر يومين، وإن كنت تريد صوم خير البشر النبي العربي القرشي أبي القاسم محمد ـ ﷺ ـ فإنه كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر؛ يعني صوم أيام البيض، الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، ويقول: ٤٨٦ ـ «هن صيام الدهر»[2].

٤٨٧ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من صام شهر رمضان، ثم أتبعه بستّ من شوال، فكأنّما صام الدهر كله». قال أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ: حتى أحسب لكم، فصوم رمضان يكون ثلثمائة يوم وستة أيام ستين يوماً لأن الله تعالى قال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وكل يوم يقوم مقام عشرة أيام[3].

قال الفقيه: وقد كره بعض الناس صيام السبت[4]، وقال: فيه تشبه بالنصارى.

وروي عن إبراهيم النخعي أنه سئل عن صيام السبت فقال: هو صوم الحيض.

وقال بعضهم: ينبغي أن يصوم متفرقاً حتى لا يكون تشبهاً بالنصارى، وعندي أنه لا بأس به متتابعاً أو متفرقاً لأن يوم الفطر صار فاصلاً بينهما.

* * *

---

(١) في (م): الصوف.

(٢) رواه أبو ذر الهروي في جزء من حديثه عن قتادة بن ملحان، بلفظ «هن كنز الدهر». (كنز العمال ٢٤١٨٦). ورواه الطبراني عن ابن مسعود بلفظ: «صيام ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة صيام الدهر». المصدر السابق (٢٤٢٠٩).

(٣) رواه البزار كما في كشف الأستار (١٠٦٠ و١٠٦١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٣/٣): رواه البزار، وله طرق رجال بعضها رجال الصحيح.

(٤) عن عبدالله بن بُسْر، عن أخته الصماء، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصوموا ليلة السبت إلا فيما افْتُرِضَ عليكم» رواه الترمذي (٧٤٤)، وابن خزيمة (٢١٦٤)، وأبو داود (٢٤٢١)، وقال: هذا حديث منسوخ. وعن عبدالله بن شقيق عن عمته الصماء أخت بسر؛ أنها كانت تقول: نهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم السبت. رواه ابن خزيمة (٢١٦٤ مكرر). قال الحافظ: وهذا النهي إنما هو عن إفراده بالصوم.

باب النّفقة على العيال

٤٨٨ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا ابن علية، عن أيوب قال: نبئت أن أصحاب النبي ـ ﷺ ـ كانوا في منزل لهم، فأشرف عليهم رجل، فأعجبهم شبابه وقوته ،فقالوا: لو أن هذا جعل شبابه وقوته في سبيل الله تعالى، فسمع بذلك النبي ـ ﷺ ـ فقال:

«أو ما في سبيل الله إلا كلّ من قاتل أو غزا، من سعى على نفسه ليعفّها فهو في سبيل الله، ومن سعى على والديه ليعفهما فهو في سبيل الله، ومن سعى على عياله ليعفّهم فهو في سبيل الله، ومن سعى مُكاثراً فهو في سبيل الشيطان»[١].

٤٨٩ ـ قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا حماد بن زيد، عن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أسماء، عن ثوبان ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «أفضل الدينار: دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله»[٢].

قال أبو قلابة: بدأ بالعيال، وأي رجل أعظم أجراً من رجل يسعى على عياله الصغار.

٤٩٠ ـ وعن أبي سلمة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّما

---

(١) رواه الطبراني في الثلاثة، ورجال الكبير رجال الصحيح. (مجمع الزوائد ٤/٣٢٥). من حديث كعب بن عجرة.

(٢) رواه مسلم (٩٩٤) في الزكاة، باب: فضل النفقة على العيال، والترمذي (١٩٦٦) في البر والصلة، باب: ما جاء في النفقة في الأهل، وقال: حسن صحيح.

الصّدقة عن ظهر غِنى، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى، وابدأْ بمن تعول»[1].

[قوله «عن ظهر غنى»: أي ما فضل عن العيال. و«اليد العليا»: اليد المنفقة. و«اليد السفلى»: اليد السائلة. «وابدأ بمن تعول» بالصدقة لمن هو صاحب عيال][2].

٤٩١ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعت أبي ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كان ثابت البناني عند أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنهما ـ فذكر أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول:

«إنّ اللَّهَ عز وجل قد ضمنَ دينَ العبد إذا استدان في ثلاثة: أحدها من قِبَل النكاح مخافة الفجور، ثم لم يقدر على قضائها حتى مات، فقد ضمن الله دينه أن يُقضى عنه يوم القيامة. والثاني دينه لإعانة المسلمين ليخرج إلى الغزو. والثالث: إذا استدان لكفن الميت، فإن الله تعالى يرضي خصماءه يوم القيامة».

فدخل ثابت البناني ـ رحمه الله تعالى ـ على الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ فذكر له ما سمع من أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ، فقال الحسن البصري: قد كبر أنس وضعف، ونسي ما هو الأفضل من ذلك، بل ضمن الله تعالى مع هؤلاء رجلاً استدان لينفق على عياله، واجتهد على قضائه فلم يبلغ حتى مات لم يكن بين خصمائه وبينه خصومة.

٤٩٢ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ في السماء ملكين ما لهما عمل إلا يقول أحدهما: اللهم أعطِ لمنفق خلفاً، ويقول الآخر: اللهم عجّل لممسكٍ تلفاً»[3].

٤٩٣ ـ وروى مكحول ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من طلب الدُّنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة، وسَعْياً على عياله، وتعطّفاً على جاره، جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حلالاً، مكاثراً مفاخراً مرائياً، لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان»][4].

٤٩٤ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثني أبي ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا

---

(١) رواه أحمد (٢/٥٠١)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٦١١).

(٢) من (م). (٣) رواه هناد عن أبي هريرة. (كنز العمال ١٦١١٨).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/١١٠) عن مكحول، عن أبي هريرة مرفوعاً و(٨/٢١٥) وقال: غريب من حديث مكحول، لا أعلم له راوياً عنه إلا الحجاج.

محمد بن جناح، حدثنا أبو حفص، عن علي بن إسحاق، عن أبي معاوية، عن سعيد بن أبي عروة، عن قتادة، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله، رغيف أتصدّق به أحبّ إليك أم مئة ركعة تطوعاً؟ قال: «رغيف تتصدّق به أحبّ إلي من مئتي ركعة تطوعاً» قلت: يا رسول الله، قضاء حاجة المسلم أحبّ إليك أم مئتا ركعة تطوّعاً؟ قال: «قضاء حاجة المسلم أحبّ إليّ من ألف ركعة تطوعاً». قال: قلت: ترك لقمة من الحرام أحب إليك أم ألف ركعة تطوعاً؟ قال: «ترك لقمة من حرام أحب إليّ من ألفي ركعة تطوعاً».

قال: قلت: يا رسول الله ترك الغيبة أحبّ إليك أم ألفا ركعة تطوعاً؟ قال: «ترك الغيبة أحب إليّ من عشرة آلاف ركعة تطوعاً». قال قلت: يا رسول الله قضاء حاجة الأرملة أحبّ إليك أم عشرة آلاف ركعة تطوعاً؟ قال: «قضاء حاجة الأرملة أحبّ إليّ من ثلاثين ألف ركعة تطوعاً».

قال: قلت يا رسول الله الجلوس مع العيال أفضل أم الجلوس في المسجد؟ قال: «الجلوس ساعة عند العيال أحب إلي من الاعتكاف في مسجدي هذا». قال: قلت: يا رسول الله النفقة على العيال أحبّ إليك أم النفقة في سبيل الله؟ قال: «درهم ينفقه الرجل على العيال أحب إلي من ألف دينار ينفقه في سبيل الله».

قال: قلت يا رسول الله برّ الوالدين أحب إليك أم عبادة ألف سنة؟ قال: «يا أنس، ﴿**جاء الحقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ، إنَّ الباطل كان زَهُوقاً**﴾ [الإسراء: ٨١] فبرّ الوالدين أحبّ إلي من عبادة ألفي ألف سنة»[1].

٤٩٥ ـ قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا ابن معاذ، حدثنا الحسين المروزي، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي كبشة، قال: ضرب لنا رسول الله ـ ﷺ ـ:

«مثل الدنيا مثل أربعة رجال، رجل آتاه الله علماً وآتاه مالاً فهو يعمل بعلمه في ماله، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً، فيقول: لو أنّ الله تعالى آتاني مثل ما آتى فلاناً لفعلت فيه مثل ما يفعل، فهما في الأجر سواء. ورجل آتاه الله مالاً، ولم يؤته علماً، فهو يمنعه من حقه، وينفقه في الباطل. ورجل لم يؤته مالاً ولم يؤته علماً.

(١) في إسناده: سعيد بن أبي عَروبة: كثير التدليس، واختلط. (تقريب التهذيب ١/٣٠٢).

فيقول: لو أنّ الله تعالى آتاني مثل ما آتى فلاناً لفعلت فيه مثل ما يفعل فهما في الوزر سواء»[1].

٤٩٦ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا إسحاق بن عبدالرحمٰن القارىء، حدثنا أبو عيسى موسى بن هارون الطوسي ببغداد، حدثنا أبو معاوية، عن عمرو، وحدثنا طعمة بن عمرو، عن أبي إسماعيل، عن أبي رجاء، عن رجل من أهل البصرة، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال:

«إنّ في الجنة لغرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها. قيل: ومن سكانها يا رسول الله؟ قال: الذين يطعمون الطعام، ويطيبون الكلام، ويديمون الصيام، ويفشون السلام، ويصلون بالليل والناس نيام».

قالوا: يا رسول الله إن هؤلاء أهل لذلك. ومن يطيق ذلك؟ قال: «فمن قال سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فقد أطاب الكلام، ومن أطعم أهله فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان فقد أدام الصيام، ومن لقي أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام، ومن صلى العشاء الآخرة والفجر فقد صلى بالليل والناس نيام»[2] يعني اليهود والنصارى والمجوس ـ لعنهم الله ـ.

٤٩٧ ـ[3] وعن سالم، عن أبيه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «المؤمن حبيبُ الله، وولده تحفةُ الله، فمن رزقه الله ولداً في الإسلام فليكثر قُبلته؛ فإنه يُكتب له بكل قُبلة ثواب شهيد، وبكل قُبلة بيتاً في الجنة».

٤٩٨ ـ وعن ثابت، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الله يحبّ المؤمن، ويحب أهله وولده، وأحبّ شيء إلى الله تعالى أن يرى الرجل مع امرأته وولده على مائدة يأكلون، فإذا اجتمعوا عليها نظر إليهم بالرحمة

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٥) في الزهد، باب: ما جاء مَثَلُ الدنيا مَثَلُ أربعة نفر، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢٢٨) في الزهد، باب: النية، وأحمد (٤/٢٣١).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٢٧) في صفة الجنة، باب: في صفة غرف الجنة، من حديث علي. ورواه أحمد (٢/١٧٣)، والحاكم (١/٨٠)، والبيهقي في البعث والنشور رقم (٢٥١) من حديث عبدالله بن عمرو. ورواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (٢/٢٥٥) من حديث أبي مالك الأشعري. وانظر: حادي الأرواح ص (٢٠٤ ـ ٢٠٥).

(٣) من هنا إلى نهاية الفصل زيادة من (م)، أي الأحاديث (٤٩٧ ـ ٥٠١).

لهم، فيغفر لهم قبل أن يتفرّقوا من موضعهم».

٤٩٩ ـ وعن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أيّما مؤمن يحبّ الأكل مع الأولاد ناداه مَلَكٌ من تحت العرش: يا عبدالله استأنف العمل؛ فقد غفر الله لك الذنوب كلها».

٥٠٠ ـ وعن عبدالرحمٰن اليماني، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إذا أكل المؤمن مع أولاده كُتِب له بكل لقمة ثواب عتق رقبة، ورُفع له مدينة[1]، وأعطاه الله كتابه بيمينه».

٥٠١ ـ وعن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، [عن] جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «حبُّ الأولاد سِتْرٌ من النار، والأكل معهم براءة من النار، وكرامتهم جواز على الصراط».

والله أعلم.

* * *

(١) كذا في (م).

باب الرّعاية على ملك اليمين

٥٠٢ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن شريك بن أبي نَمِر، عن عطاء بن يسار، أنّ أبا ذرّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ ضَرَبَ وجهَ غلام له، فاستعدى عليه النبي ـ ﷺ ـ فقال النبي ـ ﷺ ـ: «لا تضربوا وجوهَ المصلّين من مماليككم، وأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، فإن رابوكم فبيعوهم»[1].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا الأسباط، عن مطرف، عن عامر الشعبي ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: استسقى رجل من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ من أهل بيت، فدعت المرأة خادمتها، فأبطأت عليها فقذفتها. فقال: أما إنك ستحدّين يوم القيامة لها، أو تقيمين أربعة يشهدون أنها كما قلت، فأعتقتها فقال لها: عسى أن يكفّر هذا عنك.

٥٠٣ ـ وروى أبو ذرّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إخوانكم خَوَلكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم فوق طاقتهم ما يغلبهم، فإن كلّفتوهم فأعينوهم»[2].

---

(١) في إسناده: شريك بن أبي نمر، قال ابن معين والنسائي: ليس بالقوي، ووهّاه ابن حَزْم لأجل حديثه في الإسراء. (ميزان الاعتدال ٢/٢٦٩). وقال ابن حجر: صدوق، يخطىء. (تقريب التهذيب ١/٣٥١). ورواه أبو داود من طريق آخر بنحوه (٥١٦١).

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٠) في الأدب، باب: ما يُنهى عن السباب واللعن، ومسلم (١٦٦١) في الأيمان، باب: إطعام المملوك مما يأكل. «خولكم»: الخَوَل: حَشَمُ الرجل وأتباعُه، واحدهم خائِل. ويقع على العبد والأمة، وهو مأخوذ من التّخْويل: التمليك وقيل: من الرِّعاية.

٥٠٤ ـ وروى أبو بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لا يدخل الجنة سيِّىء الملكة، أكرموهم إكرامكم أولادكم، وأطعموهم مما تأكلون». قلت: يا رسول الله ما ينفعنا من الدنيا؟ قال: «فرس تربطه تقاتل عليه في سبيل الله، ومملوك يكفيك، وإذا صلى فهو أخوك»[(١)].

٥٠٥ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أن رجلاً سأله فقال: كم نعفو عن الخادم؟ قال: «كلّ يوم سبعين مرة»[(٢)].

٥٠٦ ـ وعن قتادة ـ رضي الله تعالى عنه قال ـ كان من آخر كلام النبي ـ ﷺ ـ عند موته: «الصلاة، وما ملكتْ أيمانُكم»[(٣)]. يعني عليكم بمحافظة الصلوات، وتعاهد ما ملكت إيمانكم.

٥٠٧ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «دخلت امرأةٌ النَّارَ في هرّة لها ربطتها في البيت، لم تطعمها ولم تسقها، ولم ترسلْها فتأكل من خَشَاش الأرض حتى ماتت»[(٤)].

٥٠٨ ـ وعن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ قال: مرّ النبي ـ ﷺ ـ ببعير معقول صدر النهار، فقضى حاجته ثم رجع والبعير على حاله، فقال لصاحبه: «أما علفت البعير هذا اليوم؟» قال: لا. قال: «أما إنه ليحاجّك يوم القيامة»[(٥)]. يعني يخاصمك إلى الله تعالى يوم القيامة.

٥٠٩ ـ وروي عن عبد خير، عن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ عن

---

(١) رواه كلّه أحمد (١٢/١)، وابن ماجه (٣٦٩١) في الأدب، باب: الإحسان إلى المماليك، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٦/٤): ـ روى الترمذي (١٩٤٦) وغيره طرفاً منه ـ ورواه أحمد وأبو يعلى، وفيه فرقد السبخي، وهو ضعيف. «سيِّىء الملكة»: أي الذي يسيء صحبة المماليك.

(٢) رواه أبو داود (٥١٦٤) في الأدب، باب: في حق المماليك، والترمذي (١٩٤٩) في البر والصلة، باب: ما جاء في العفو عن الخادم، وقال: حسن غريب، من حديث ابن عمر.

(٣) رواه أحمد (١١٧/٣)، وابن ماجه (٢٦٠٧) في الوصايا، باب: هل أوصى رسول الله ﷺ؟ وفي الزوائد: إسناده حسن؛ لقصور أحمد بن المقدام عن درجة أهل الضبط، وباقي رجاله على شرط الشيخين. من حديث أنس بن مالك. ورواه برقم (٢٦٩٨) من حديث علي بن أبي طالب.

(٤) رواه البخاري (٣٣١٨) في بدء الخلق، باب (١٦)، ومسلم (٢٦١٩) في التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى. «خشاش الأرض»: أي هوامّها وحشراتها، الواحدة خَشاشة.

(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٦/٨ ـ ١٩٧): رواه الطبراني، وإسناده جيد، من حديث عبدالله بن عمرو.

النبي ـ ﷺ ـ أنه قال في خطبته: «أيها الناس، اللَّهَ اللَّهَ، فيما ملكت أيمانكم، أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإنهم لحم ودم، وخلق أمثالكم، ألا من ظلمهم فأنا خصمهم يوم القيامة، والله حاكمهم»(1).

وروي عن عون بن عبدالله(2) أنه كان يقول لغلامه إذا عصاه: ما أشبهك بسيّدك.

٥١٠ ـ وروي [عنه] ﷺ: «أرقّاءكم أرقاءكم، أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، فإذا جاؤوا بذنبٍ ولم تريدوا أن تغفروا لهم، فبيعوهم، ولا تعذّبوا خَلْق الله تعالى»(3).

قوله: «أرقاءكم»: يعني راعوا وتعاهدوا أرقاءكم.

٥١١ ـ وقال ﷺ: «إذا ضرب أحدُكم خادمه فذكر الله تعالى، فارفعوا أيديكم»(4).

٥١٢ ـ وقال: «حُسْن الملكة يمن، وعُسْر الملكة شؤم»(5).

ورُوي أنَّ عليّاً رضي الله عنه ـ دعا غلاماً له مرة ومرتين وثلاثاً، فلم يجبه، فقام إليه وقال: ألم تسمع يا غلام؟ قال: نعم. [فقال]: ما منعك عن جوابي؟ قال: أمنتُ من عقوبتك فتكاسلتُ، فقال: امضِ، فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى.

ورُوي أنَّ عثمان ـ رضي الله عنه ـ عَرَكَ أُذنَ خادمه لذنبٍ، ثم ندم على ذلك، فقال لخادمه: قم فخذْ أُذني فاعركها بكل قوّة لك؛ لعلَّ الله تعالى يعفو عني. قال له

---

(1) روى أبو داود (٥١٥٦) أوله في الأدب، باب: في حقّ المملوك، وابن ماجه (٢٦٩٨) في الوصايا، باب (١).

(2) هو عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي: خطيب، راوية، ناسب، شاعر. كان من آدب أهل المدينة، وسكن الكوفة فاشتهر فيها بالعبادة والقراءة، وكان يقول بالإرجاء، ثم رجع. وخرج مع ابن الأشعث ثم هرب، وصحب عمر بن عبدالعزيز في خلافته. توفي نحو سنة (١١٥هـ). (تهذيب التهذيب ٨/١٧١) و(الحلية ٤/٢٤٠).

(3) رواه أحمد (٤/٣٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٢٣٦): رواه أحمد والطبراني، وفيه عاصم بن عبيدالله، وهو ضعيف. ورواه أيضاً ابن سعد في الطبقات. (فيض القدير ١/٤٧٧).

(4) رواه الترمذي (١٩٥٠) في البر والصلة، باب: ما جاء في أدب الخادم، وفيه أبو هارون العبدي، ضعّفه شعبة.

(5) رواه أبو داود (٥١٦٢) في الأدب، باب: في حق المملوك.

الغلام: يا مولاي، أنا أيضاً أخافُ من مالك يوم الدِّين كما تخاف؛ فعفوتُ عنك لعلّ الله يعفو عني بفضله][1].

٥١٢ م - وروى أبو بردة عن أبي موسى، عن النبي - ﷺ - أنه قال: «ثلاثة كلهم لهم أجران: رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها فتزوجها، فله أجران. ورجل كان من أهل الكتاب يؤمن بنبيه فأدرك النبي - ﷺ - فآمن به فله أجران. ورجل مملوك أَدَّى حق الله تعالى وحق مواليه فله أجران»[2].

وروي عن الحسن البصري - رحمه الله تعالى - أنه سُئل عن المملوك يرسله مولاه في الحاجة، وتحضره صلاة الجماعة بأي ذلك يبدأ؟ قال: بحاجة مولاه.

قال الفقيه - رحمه الله -: يعني إذا كان معه من الوقت سعة ولا يخاف فوت الوقت، وأما إذا خاف ذهاب الوقت؛ فلا يجوز له أن يؤخّرها عن وقتها، لأن النبي - ﷺ - قال: ٥١٣ - «لا طاعةَ لمخلوق في معصية الخالق»[3].

ويستحب للرجل أن يتعاهدَ ما ملكت يمينه، ولا يكلّفه من العمل ما لا يطيق؛ لأن الله تعالى لم يكلّف عباده ما لا يطيقون. وينبغي أن يحسنَ المعاشرة؛ فإنَّ حُسْنَ المعاشرة من أخلاق المؤمنين.

٥١٤ - وروي عن عبدالله بن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أنه رأى كسرة خبز فقال لغلامه: ارفع، وأمط عنها الأذى، فلما أمسى وأراد أن يفطرَ قال لغلامه: ما فعلتَ بالكسرة؟ قال: أكلتُها. قال: اذهب فأنت حرٌّ، سمعتُ النبي - ﷺ - يقول: «من وجد كسرةً فرفعها وأكلها لم تصلْ إلى جوفه حتى يغفر الله له»[4] فإني أكره أن أستعبدَ مَن قد غُفِر له[5].

* * *

(١) ما بين المعقوفتين من (م)، وهي الأحاديث من (٥١٠) إلى حكاية عثمان مع خادمه.

(٢) رواه عبدالرزاق في الجامع. (كنز العمال ٤٣٣٠٦).

(٣) رواه أحمد (٤/٤٢٦، ٤٣٢، ٤٣٦ و٥/٦٦ - ٦٧)، والبزار كما في كشف الأستار (١٦١٣ و١٦١٤ و١٦١٥ و١٦١٦)، وعبدالرزاق (٢٠٧٠٠) من طرق عن عمران بن حصين، وبألفاظ متقاربة.

(٤) ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/٢٦٥) بنحوه من حديث ابن مسعود، وفيه يوسف بن السَّفْر، قال الدارقطني: متروك يكذب، وقال ابنُ عدي: رَوَى أباطيل، وقال البيهقي: هو في عِداد مَن يَضَعُ الحديث. (ميزان الاعتدال ٤/٤٦٦).

(٥) بعد هذا الحديث زيادة في (م) وهي أحاديث في ذمّ الغضب، وحُسْن كظم الغيظ، ولم أَرَ مسوّغاً لذكرها هنا، فقد سبقت في باب: كظم الغيظ.

باب الاحسان الى اليتيم

٥١٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثني أبي ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبوعبدالله الطالقاني بسمرقند، حدثنا أحمد بن عمرو، عن أبيه، عن[١] عيسى بن يونس، عن أبي الورقاء، قال: سمعت عبدالله بن أبي أوفى يقول: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من مسح على رأس يتيم رحمةً كتب الله له بكل شعرة مرت عليها يدُه حسنة، ومحا عنه بكل شعرةٍ سيئة، ورفع له بكلّ شعرة درجة»[٢].

[٥١٦ ـ وفي رواية: «مَن مَسَحَ رأسَ يتيم، لا يمسحه إلا لله، كان له بكل شعرة تمرّ عليها يده حسنات. ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنتُ أنا وهو في الجنة كهاتين» وقَرَنَ بين أصبعيه[٣]][٤].

٥١٧ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن عاصم، عن أبي علي الرحبي، عن عكرمة، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«من ضمّ يتيماً من بين يتامى المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى؛ أوجب الله تعالى له الجنة البتة، إلا أن يعمل عملاً لا يغفره الله له. ومن أذهب الله كريمته فصبر واحتسب أوجب الله له الجنة؛ البتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفره الله له».

---

(١) من (م). (٢) رواه ابن النجار. (كنز العمال ٦٠٣٤).

(٣) رواه أحمد (٥/٢٥٠، ٢٦٥)، وابن المبارك في الزهد ص(٢٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (٨/١٧٩) وقال: غريب، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٦٠): رواه أحمد والطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو ضعيف.

(٤) ما بين المعقوفتين من (م).

قيل: وما كريمته؟ قال: عينه. «ومن كان له ثلاث بنات، [أو مثلهن من الأخوات][1] فأدّبهن، وأنفق عليهن حتى يمتن، أو يبني بهن أوجب الله له الجنة البتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفره الله له». قال: فناداه رجل من الأعراب فقال: يا رسول الله أو اثنتين؟ قال: «أو اثنتين».

قال: وكان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ إذا حدّث بهذا الحديث قال: هذا والله من غرائب الحديث[2].

٥١٨ ـ وعن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رجلاً جاء إلى النبي ـ ﷺ ـ فشكا إليه قسوة القلب، فقال له النبي ـ ﷺ ـ: «إنْ سرّك أن يلينَ قلبُك فامسحْ برأس اليتيم وأطعمه»[3].

[٥١٩ ـ وقال ﷺ: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه، وشرّ بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُسيئون إليه»[4]][5].

٥٢٠ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه سُئِل عن الكبائر، قال: «هي تسع: الشرك بالله، وقتل المؤمن متعمداً، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين والسحر، واستحلال البيت الحرام»[6].

وعن مجاهد عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: ستّ موبقات ليس فيهن توبة: أكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والسحر، والشرك بالله، وقتل نبي من الأنبياء.

---

(١) من (م).

(٢) روى الترمذي أوّله (١٩١٨) من حديث ابن عباس. وقوله: «من أذهب الله كريمته...» رواه أبو يعلى وابن حبان من حديث ابن عباس أيضاً. (الترغيب والترهيب للمنذري ٤/٣٠٢). وروى القسم الأخير من الحديث أحمد (٣/٣٠٣) من حديث جابر، وبنحوه من حديث ابن عباس رواه ابن ماجه.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٦٠): رواه الطبراني، وفي إسناده من لم يُسمَّ، وبقية مدلس. وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٣٤٩).

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٣٧)، وابن ماجه (٣٦٧٩) في الأدب، باب: حق اليتيم.

(٥) هذا الحديث من (م).

(٦) رواه الحاكم (١/٥٩) وفيه عبدالحميد بن سنان مجهول، ووثقه ابن حبان، والبيهقي (١٠/١٨٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٤٨): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون. وذكره الذهبي في الكبائر ص (٢٤٩ ـ ٢٥٠) وقال: سنده صحيح.

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ [النساء: ١٠] يعني سيدخلون في الآخرة النار.

ويقال: طُوبى للبيت الذي فيه اليتيم، وويل للبيت الذي فيه اليتيم. يعني ويل لأهل البيت الذين لم يعرفوا حقّ اليتيم، وطوبى لهم إذا عرفوا حقّه.

٥٢١ ـ ورُوي أن رجلاً جاء إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: عندي يتيم فمم أضربه؟ قال: «مما تضرب به ولدك»[١]. يعني لا بأس أن تضربه للتأديب ضرباً غير مبرح، مثل ما يضرب الوالد ولده.

وروي عن فضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: ربّ لطمة أنفع ليتيم من أكلة خبيص[٢].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: إن كان يقدر أن يؤدّبه بغير ضرب ينبغي له أن يفعل ذلك، ولا يضربه، فإنَّ ضَرْبَ اليتيم أمرٌ شديد.

٥٢٢ ـ بدليل ما حدثنا به الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن عمر، حدثنا محمد بن علي، وهو والد أبي ترخان، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عمرو بن سفيان القطعي، حدثنا الحسن بن أبيَ جعفر، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«إنّ اليتيمَ إذا ضُرب اهتزّ عرشُ الرحمن لبكائه، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي من أبكى الذي غيّبتُ أباه في التراب؟ وهو أعلم به، قال: تقول الملائكة: ربّنا لا علم لنا، قال: فإني أشهدكم أنّ مَن أرضاه في فأرضيه من عندي يوم القيامة»[٣].

قال: وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يمسح رؤوسهم، ويلطف بهم، وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ يفعل ذلك.

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٥٢٦٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٦٣): رواه الطبراني في الصغير (١/٨٩)، وفيه معلى بن مهدي؛ وثّقه ابن حبان وغيره، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(٢) «خبيص»: هو الحلواء المخبوصة من التمر والسّمن.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل (٢/٧٢٢)، والقرطبي في تفسيره (٢٠/١٠١).

وعن عبدالرحمٰن بن أبزى[1] قال: قال الله تعالى لداود النبي ـ ﷺ ـ: كُنْ لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنك كما تزرعُ كذلك تحصد، واعلمْ أنّ المرأةَ الصالحة لزوجها كالملك المتوّج بالذهب كلما رآها قرّت عينه، والمرأة السوء لبعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير.

٥٢٣ ـ وعن زيد بن أسلم ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «أنا وكافل اليتيم المسلم كهاتين في الجنة» وجمع بين أصبعيه[2].

وعن أبي عمران الجوني، عن أبي الخليل، قال: قرأت في مسألة داود ـ عليه السلام ـ قال: إلٰهي، ما جزاء من أحسن إلى اليتيم والأرملة ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن أظلّه في ظلّي يوم لا ظلّ إلا ظلّي.

٥٢٤ ـ وعن عوف بن مالك الأشجعي أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ما من مسلم يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن حتى يَبِنَّ أو يمتن؛ إلا كُنَّ له حجاباً من النار»، فقالت امرأة: يا رسول الله أو ثنتان؟ قال: «أو ثنتان»[3].

٥٢٥ ـ وقال النبي ـ ﷺ ـ: «أنا وامرأة سفعاء الخدّين في الجنة كهاتين» وأشار بأصبعيه[4]. امرأة مات زوجها فحبست نفسها على بناتها حتى يبنّ أو يمتن.

٥٢٦ ـ وروى يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من حمل من السوق طرفةً إلى ولده، كان كمن حمل صدقةً حتى يضعها في فيهم، وليبدأ بالإناث؛ فإنّ الله تعالى يرقّ للإناث، ومن رقّ للأنثى كان كمن بكى من خشية الله، ومن بكى من خشية الله غفر له، ومن فرَّح أنثى فرَّحه الله يوم الحزن»[5].

---

(١) هو عبدالرحمٰن بن أبزى الخزاعي، مولاهم: له صحبة، وقال أبو حاتم: أدرك النبي ﷺ وصلى خلفه. وقال البخاري: هو كوفي. واستعمله النبي ﷺ على خراسان. (الإصابة ٣/٣٨٨ ـ ٣٨٩).

(٢) رواه البخاري (٦٠٠٥) في الأدب، باب: فضل من يعول يتيماً، وأبو داود (٥١٥٠) في الأدب، باب: في من ضمّ اليتيم، والترمذي (١٩١٨) في البر والصلة، باب: ما جاء في رحمة اليتيم وكفالته، وقال: حسن صحيح. كلهم من حديث سهل بن سعد.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٥٧): رواه الطبراني، وفيه النهاس بن قهم، وهو ضعيف.

(٤) رواه أبو داود (٥١٤٩) في الأدب، باب: في فضل مَن عَال يتيماً. «سفعاء الخدين»: هي التي تغيّر لونها إلى الكمودة والسواد من طول الإيمة وترك التزيُّن. وكأنه مأخوذ من سفع النار، وهو أن يُصيب لفحها شيئاً فيسودّ مكانه.

(٥) ذكره الغزالي في الإحياء (٢/٥٣). وفيه يزيد الرقاشي: ضعيف.

[٥٢٧ ـ وقال النبي ـ ﷺ ـ: «يا علي، إذا بكى اليتيم اهتزّ العرش، فيقول الله تعالى: يا جبريل وسّع في النار موضعاً لمن أبكاه فإني مبكيه، ووسّع في الجنة لمن أضحكه؛ فإني أضحكه»][1].

* * *

(١) هذا الحديث من (م).

باب الزّنا

٥٢٨ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا أبو الحسين أحمد بن حمدان، حدثنا ابن الحرث، حدثنا قتيبة بن سعيد البَغْلاني، حدثنا مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، عن أبي هريرة وزيد بن خالد ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنهما أخبرا: أن رجلين اختصما إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال أحدهما: يا رسول الله، اقض بيننا بكتاب الله تعالى، وقال الآخر ـ وهو أفقههما ـ: أجل يا رسول الله، اقضِ بيننا بكتاب الله، وأذنْ لي أن أتكلّم، قال: «تكلم»، قال: إنّ ابني كان عَسيفاً لهذا الرجل، يعني كان أجيراً عنده، فزنى بامرأته، فأخبروني أنّ على ابني الرجم، فافتديت منه بمئة شاة وجارية لي، ثم سألتُ أهلَ العلم فأخبروني أنَّ على ابني مئة جلدة وتغريب عام، وإنما الرجم على المرأة. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أما والذي نفسي بيده، لأقضيّن بينكما بكتاب الله تعالى. أما غنمك وجاريتك فردّ عليك، وأما الذي على ابنك فجلد مئة، وتغريب عام» فجلد ابنه مئة، وغرّبه عاماً، وأمر أنيساً الأسلمي أن يأتي المرأة، وقال: «اُغد يا أُنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» فاعترفت فرجمها[1].

فقد بيّن النبيّ ـ ﷺ ـ حكم الزنا، وأن الزاني، وكذا الزانية، إذا لم يكن محصناً يعني إذا لم يكن له امرأة يجب عليه مئة جلدة. كما قال الله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ**﴾ من النساء ﴿**وَالزَّانِي**﴾ من الرجال ﴿**فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَة**﴾ يعني مئة سوط ﴿**وَلَا تَأْخُذْكُمْ بهما رَأْفَةٌ في دِينِ اللَّهِ**﴾ يعني لا تأخذكم الرأفة والرحمة في حد الله تعالى. ومعناه ولا تحملكم الشفقة على إبطال الحد؛ فإن الله تعالى أرحم بعباده

---

(١) رواه البخاري (٦٨٢٧ و٦٨٢٨) في الحدود، باب: الاعتراف بالزنا، والترمذي (١٤٣٣) في الحدود، باب: ما جاء في الرجم على الثيب.

منكم، وأمر بحد الزانيين في الدنيا، فمن لم يقم حده في الدنيا، فإنما يضرب يوم القيامة بسياط من نار على مشهد الخلائق.

ثم قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ يعني إن كنتم تصدقون بتوحيد الله وبيوم القيامة، فلا تعطلوا الحد. ثم قال: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢] يعني وليحضر عند إقامة الحد جماعة من المؤمنين.

وإنما يحضر عندهما جماعة لزيادة العقوبة؛ لأنهما يخجلان إذا كان بمحضر من القوم، ويكون ذلك زجراً لهما عن الزنا، فهذا حدّ مَن لم يكن محصناً.

فأما إذا كان محصناً فهو الرجل إذا كانت له امرأة وقد دخل بها، أو زنت امرأة وكان لها زوج وقد دخل بها، فحدّهما الرجم.

٥٢٩ ـ كما روي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه رجم ماعز بن مالك[١].

٥٣٠ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أن امرأة جاءت إليه فأقرت بالزنا وهي حامل، فأمرها أن ترجع حتى تضع حملها، فلما وضعت حملها أتته، فأمر بها فرجمت[٢].

[اعلم أنّ حدّ الزنا كان في أوّل الإسلام هو التعيير والضَّرب بالنعال، وهو قوله تعالى: **﴿واللذان يأتيانِها مِنكُم﴾** أي الفاحشة وهي الزنا **﴿فآذُوهما فَإِنْ تابا وأَصْلَحا فَأَعْرِضُوا عنهما﴾** فلا تؤذوهما **﴿إنَّ الله كان تواباً رحيماً﴾** [النساء: ١٦].

وإن كانت المرأة محصنة والرجل غير محصن فحدّه الضرب والتغريب كما قلنا، وحدّها الحبس في بيت، ثم لا تخرج حتى تموت، وهو قوله تعالى: **﴿واللاتي يأتينَ الفاحشةَ مِن نِسائِكُم فاسْتَشْهِدُوا عليهنّ أربعةً منكم فإن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ في البيوتِ حتى يتوفّاهُنّ الموتُ أو يجعلُ اللّهُ لهنّ سبيلاً﴾** [النساء: ١٥].

وهذا كان في أول الإسلام قبل نزول الحدود، ثم نُسخ ٥٣١ ـ بقوله ﷺ: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهنّ سبيلاً؛ البكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مئة والرجم»[٣].

---

(١) في (م) ذُكرت قصة ماعز بالتفصيل. وهي عند البخاري (٦٨٢٥) و(٦٨٢٦) في الحدود، باب (٢٩)، ومسلم (١٦٩١) «١٦» في الحدود، باب: من اعترف على نفسه بالزنا.

(٢) رواه مسلم (١٦٩٥) «٢٢» و«٢٣» و(١٦٩٦) في الحدود، باب: (٥).

(٣) رواه مسلم (١٦٩٠) في الحدود، باب: حد الزنا، وأبو داود (٤٤١٥) في الحدود، باب: في الرجم، =

فهـذه الاثنان مسنـونة بـالسنة لا بـالكتاب، وكنّى بـذكر النسـاء عن ذكر النسـاء والرجال، كمـا كنّى في آية أخـرى بذكـر الرجـال عن ذكر الـرجال والنسـاء، ثم نُسخ تغريب العام في حق البكر، والجلد في حق الثيب، يعني المحصن، فنُسخ التغـريب بقوله تعالى: ﴿**الزانية والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مئةَ جلدة**﴾ [النور: ٢]. ونُسخ الجلد في حق الثيب بحديث ماعز، وحديث المرأة الحامل الغامدية، وحديث الرجـل الذي أقرَّ بالزنا.

وقد قيل عن أصحـابنا إن أرادوا بـالتغريب هـو النفي عن الأرض، فهو منسـوخ بالآية، وإن أرادوا بالتغريب هو الحبس والإمساك في الحبس، فهو محكم؛ لأنّ المرادَ هو قَطْعُ الشر، ولا يقطع شرّه عن الخلائق بالنفي، والأول أبلغ][1].

فهذا حدّ الزنا في الدنيا، فإنْ أُقيم عليهما الحـد في الدنيـا وإلا أقيم عليهما في الآخرة، وعذاب الآخرة أشدّ وأبقى، فاحذروا الزنا فإنه معصية عظيمة.

قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّه كَانَ فَاحِشَةً**﴾ يعني لا تزنوا واجتنبوا الزنا، فإن الزنا معصية ومقت، يعني يوجب لصاحبه المقت والسخط من الله تعالى: ﴿**وَسَـاءَ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء: ٣٢] بئس المسلك وبئس الطريق لأهل الزنا، يعني قـد أخذ طـريقاً يجرّه إلى النار.

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الفَـوَاحِشَ مَا ظَهَـرَ مِنْهَا وَمَـا بَطَنَ**﴾ [الأنعام: ١٥١] ﴿**ما ظهر**﴾: يعني ما كبر وهو الزنا، ﴿**وما بطن**﴾ يعني القُبلة واللمس كله زنا.

٥٣٢ ـ كما جاء في الخبر: «اليدان تزنيان والعينان تزنيان»[2].

قال[3] الله تعالى: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِـكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيـرٌ بِمَـا يَصْنَعُـونَ * وَقُـلْ لِلْمُـؤْمِنَـاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١].

فقد أمر الله تعالى الرجال والنساء بغضّ البصر عن الحرام، وبحفظ الفروج عن

= والترمـذي (١٤٣٤) في الحـدود، بـاب: مـا جـاء في الـرجم على الثيب، وابن مـاجـه (٢٥٥٠) في الحدود، باب: حد الزنا.

(١) ما بين المعقوفتين من (م). (٢) رواه أحمد (٢/٣٤٣، ٣٤٤، ٥٢٨، ٥٣٥، ٥٣٦).

(٣) في (م) زيادة لم أرَ مسوّغاً لذكرها هنا.

الحرام، فقد حرّم الله تعالى الزنا في آيات كثيرة من التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وهو ذنب عظيم، وأي ذنب أعظم من هتك ستر حرمة المسلمين، واختلاط الأنساب!.

وروي عن جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه كان لا يزني في الجاهلية، وكان يقول: لا يعجبني لو هَتَكَ أحدُ حرمتي، فأنا لا أهتكُ حرمةَ أحدٍ.

ورُوي عن بعض الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أنه قال: إيّاكم والزنا، فإن فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا، وثلاث في الآخرة:

فأما التي في الدنيا: فنقصان الرزق، يعني تذهب البركة من رزقه، ويصير محروماً من الخيرات، ويصير بغيضاً في قلوب الناس.

وأما التي في الآخرة: فغضب الرب، وشدّة الحساب، والدخول في النار، وهي التي سمّاها الله تعالى النار الكبرى.

٥٣٣ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ نارَكم هذه جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم»[1].

٥٣٤ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال لجبريل ـ عليه السلام ـ: «صف لي النار». فقال: يا محمد، سوداء مظلمة، لو أنّ مثل خرق إبرة برز من النار؛ لأحرق ما على وجه الأرض. ولو أن ثوباً من ثيابها علق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من نتن ريحه. ولو أن قطرةً من الزقّوم طرحت إلى الأرض لأفسدت على أهل الأرض معايشهم. ولو أن ملكاً من التسعة عشر الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه برز إلى أهل الأرض لمات أهل الأرض من تشويهه، واختلاف خلقه، ولو أنّ حلقةً من السلسلة التي ذكرها الله تعالى في كتابه طرحت إلى الأرض لهدمتها إلى الأرض السفلى ثم لم تستقر.

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «حسبي يا جبريل»، فبكى رسول الله ـ ﷺ ـ وبكى جبريل. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يا جبريل أنت تبكي وأنت من الله بالمكان الذي أنت منه!» فقال جبريل ـ عليه السلام ـ: يا محمد، وما يئمنني على أن أكون عند الله على غير ما أنا عليه، أو أُبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت وإبليس الملعون[2].

---

(١) رواه البيهقي في البعث والنشور برقم (٤٩٩) من حديث أبي هريرة.
(٢) سبق تخريجه برقم (٥٨).

فهذا جبريل مع كرامته على ربّه كان يبكي، فكيف لا يبكي من هو عاص؟! فلا تغتر بحياتك وصحتك؛ فإنّ الدنيا زائلةٌ والعذاب طويل. واحذر الزنا؛ فإنه يوجب الغضب والسّخط والعذاب الأليم.

وأشدّ الزنّا ما هو مصرّ عليه، وهو الرجل الذي يطلّق امرأته وهو مقيمٌ معها بالحرام، ولا يقرّ عند الناس مخافةَ أن يفتضح، فكيف لا يخاف فضيحة الآخرة يوم تبلى السرائر، يعني تظهر الأسرار. فاحذر فضيحة ذلك اليوم، واجتنب الزنا، ولا تصرّ عليه، فإنه لا طاقة لك على عذاب الله، وتب إلى الله تعالى، فإنّ الله تعالى يقبل التوبة عن عباده، وأنت إذا مت لا ينفعك الندم والتوبة وإنما تنفعك التوبة والندامة ما دمت في الحياة.

وقد مدح الله المؤمنين بحفظ فروجهم، [وبشّرهم بالفلاح والنجاة][1] فقال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٧].

[أي عن الحرام والزنا بالفرج أعم، [إذ] يجمع سواه، فالرجل والمرأة. وحفظ الفرج [يعني] التعفف عن الحرام ﴿**إلا على أزواجهم**﴾ أي إلّا من أزواجهم. «على» بمعنى من. ﴿**أو ما ملكت أيمانهم**﴾ «ما» في محل الخفض، بمعنى أو مما ملكت أيمانهم.

والآية في الرجال خاصة بدليل قوله ﴿**أو مما ملكت أيمانهم**﴾ والمرأة لا يجوز لها أن تتمتّع بفرج مملوكها.

﴿**فإنهم غير ملومين**﴾ يعني بحفظ فرجه إلا من امرأته، أو أمته. قال: لا يلام على ذلك، وإنما يُلام فيها إذا كان على وجه الشرع دون الإتيان في غير المأتى، وفي حال الحيض والنفاس؛ فإنّه محظور، وإنه على فعله ملوم.

﴿**فمن ابتغى وراء ذلك**﴾ أي التمس وطلب سوى الأزواج والولاية المملوكة ﴿**فأولئك هم العادون**﴾ الظالمون المتجاوزون من الحلال إلى الحرام. وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام، وهو قول العلماء. قال جريج: سألت عطاء عنه، فقال: مكروه، سمعتُ أنّ قوماً يُحشرون وأيديهم حبالى، فأظن أنهم هؤلاء.

---

(١) من (م).

وعن سعيد بن جبير قال: عذّب اللَّهُ أمةً يعبثون بمذاكيرهم.

وقال في آية أخرى: ﴿**والذين لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم**﴾ حرَّم الوطء إلا بنكاح أو ملك يمين في الاثنين. ثم شرائط النكاح وعدد المنكوحات مذكورٌ في غير هذا الموضع، وكذلك مُلْكُ اليمين.

ويدل الاثنان على تحريم وطء الذكران، واستدلّوا بالاثنين على تحريم الاستمناء وغيره.

ودخول «على» بمعنى «من» فإنهم لا يُلامون إلا على سوى أزواجهم ومملوكهم.

﴿**فمن ابتغى وراء ذلك**﴾ أي وراء ما ذكرنا، كقوله: ﴿**لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك**﴾ [البقرة: ٦٨].

وقيل: فمن ابتغى وراء حفظ الفرج على سوى هذين شيئاً فأولئك هم العادون المتجاوزون حدّ الله، الظالمون، يعني هم العاصون. فالواجب على كل مسلم أن يتوب من الزنا، وينهى الناس عن ذلك، فإن كل موضع ظهر فيه الزنا ابتلاهم الله تعالى بالطاعون.

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم العطار، حدثنا أبو محمد بن صالح الترمذي، حدثنا سويد بن نصر، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرمة قال: سمعت كعباً يقول لابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: إذا رأيتم السيوف قد أُعريت، والدماء قد أُهريقت، فاعلموا أن حكم الله قد ضيع فيهم، فانتقم الله ببعضهم من بعض، وإذا رأيتم المطر قد منع، فاعلموا أن الناس قد منعوا الزكاة، فمنع الله ما عنده، وإذا رأيتم الوباء قد فشا، فاعلموا أن الزنا قد فشا.

٥٣٥ ـ وفي الخبر عن جابر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط».

٥٣٦ ـ وعن ابن عباس: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل

---

(١) رواه الترمذي (١٤٥٧) في الحدود، باب: ما جاء في حدّ اللوطي، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢٥٦٣) في الحدود، باب: من عمِل عَمَل قوم لوط، وأحمد (٣/٣٨٢)، والحاكم (٤/٣٥٧) وصححه، ووافقه الذهبي.

والمفعول به، ومَن أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه»[1].

ويُقال: إنّ العرش يهتز، ويغضب الربُّ تعالى لأربعة أعمال: لقتل النفس بغير حق، ومدح الإنسان لإنسان فاسق، وركوب الأنثى الأنثى، وإتيان الذكور الذكور.

٥٣٧ ـ وفي خبر: «لو اغتسل اللوطي بالبحار، لم يطهر إلا بالتوبة»[2].

فوطء غير الأزواج والمملوكات ودواعي الوطء حرام.

٥٣٨ ـ وقال ﷺ: «ما آمن بالقرآن من استحلّ محارمه»[3].

* * *

---

(١) رواه أبو داود (٤٤٦٢ و٤٤٦٣) في الحدود، والترمذي (١٤٥٦)، والحاكم (٤/٣٥٥).

(٢) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/١١٢).

(٣) رواه الترمذي (٢٩١٨) في فضائل القرآن، باب (٢٠) وقال: هذا حديث ليس إسناده بالقوي.

باب أكل الرّبا

٥٣٩ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا علي بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا مؤمل، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي الصلت، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال:

«ليلة أُسري بي سمعتُ في السماء السابعة فوق رأسي رعداً وصواعق، ورأيت برقاً، ورأيت رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوت، فيها حيّات ترى من ظاهر بطونهم، فقلت: يا جبريل: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء أكلة الربا»[1].

وروي عن عطاء الخراساني[2] أن عبدالله بن سلام[3] قال: الربا اثنان وسبعون حوباً، يعني إثماً، وأصغرها حوباً، كمن أتى أمه في الإسلام، ودرهم من الربا شر من بضع وثلاثين زنية. قال: ويأذن الله تعالى بالقيام للبر والفاجر يوم القيامة إلا آكل الربا، فإنه لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ، يعني كالمجنون كلما قام سقط[4].

---

(١) رواه أحمد (٢/٣٥٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/١١٧): رواه الإمام أحمد في حديث طويل في عجائب المخلوقات، وقد رواه ابن ماجه (٢٢٧٣) باختصار، وفيه علي بن يزيد، وفيه كلام، والغالب عليه الضعف. ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٦٤٧ و١٣٧٧)، وذكره المنذري في ترغيبه (٣/٨).

(٢) هو عطاء بن أبي مسلم، أبو عثمان الخراساني، واسم أبيه ميسرة، وقيل: عبدالله. صدوق، يهم كثيراً، ويرسل، ويدلّس. (تقريب التهذيب ٢/٢٣).

(٣) هو عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف: صحابي، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه «الحصين» فسمّاه رسولُ الله ﷺ عبدالله. وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية. ولما كانت الفتنة بين عليّ ومعاوية، اتخذ سيفاً من خشب، واعتزلها، وأقام بالمدينة إلى أن مات سنة (٤٣هـ). (الإصابة ٤٧٢٥) و(خلاصة تذهيب الكمال ٢٠٠).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا والبغوي. (ترغيب المنذري ٣/٦ ـ ٧) وقال: وهو الصحيح.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: آخر ما نـزل من القرآن آية الربا، فتوفي رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يفسرها لنا، فدعوا الربا والـربية. يعني الكبيـرة والصغيرة.

٥٤٠ ـ وعن الحـارث، عن علي ـ رضي الله تعـالى عنهمـا ـ أنـه قـال: «لعن رسول الله ـ ﷺ ـ آكل الربا، وموكله، وشاهـديه، وكـاتبه، والـواشمة والمستـوشمة، والمحلّل والمحلّل له، ومانع الصدقة»[1].

[«الأكل»: هو الأخذ، وهو رب المال. و«الموكـل» هو معـطيه، وهـو المديـون لأنه راضٍ به، وكـذا شاهـديه وكـاتبه؛ لأنهم معينـون عليه، و«الـواشمة» المـرأة التي تنقش وتشم بَدَنَ غيرهـا؛ بأن تنقـر وتجعل في مـوضع النقـر شيئاً من النيـل والوشمـة ونحوهما. و«المستوشمة» التي تأمر غيرها بذلك، وهي الملتمسة بأن يُفعل بها ذلك.

٥٤١ ـ وفي رواية أبي جحيفة أن النبي ـ ﷺ ـ لعن آكل الربا وموكله، والواشمة والمستوشمة والمصوّر[2]][3].

٥٤٢ ـ وروي عن عبـدالله بن مسعود ـ رضي الله تعـالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما يكسب العبدُ مالاً من الحرام، فيتصدّق به، فلا يؤجر عليـه، ولا ينفق منه فلا يبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، [إنَّ الله لا يمحو السيء بـالسيء، ولكن يمحو السيء بـالحسن. إن الخبيث لا يمحو الخبيث»[4] قـال تعالى: ﴿**أَنفِقُوا مِن طَيِّباتِ مَا كَسَبْتُمْ ومِمّا أَخْرَجْنَا لكُم**﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٥٤٣ ـ وقد قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمـل يديـه، وإن نبيَّ الله داود كان يـأكل من عمـل يديـه. وإنّ الله طيب لا يقبـل إلا الطيب. وإنّ الله أَمَر المؤمنين بما أمر بـه المرسلين فقـال: ﴿**يا أيهـا الرسُـلُ كُلُوا من الطَّيِّباتِ**﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿**يا أيها الذين آمَنوا كُلُوا من طَيِّبـاتِ ما رَزَقْنَـاكُم**﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمدُّ يديه إلى السماء: يا رب

---

(١) رواه النسائي (٨/١٤٧)، وأحمد (١/٣٩٣، ٤٠٢)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٣٨١).
(٢) رواه البخاري (٥٩٦٢) في اللباس، باب: من لعن المصوّر.
(٣) ما بين المعكوفتين من (م).
(٤) رواه أحمد (١/٣٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٥٢٤).

يا رب، ومطعمه حرام، وشرابه حرام، وملبسه حرام، ونومه حرام، وغدوّه حرام، ومجيئه حرام، فأنّى يُستجاب لذلك. ويأتي زمان لا يُبالي المرءُ ما أخذ منه من الحلال أم من الحرام»[1].

قوله: «إن الله طيب»: قد يُوصف الرب بالطيب، ويُراد به: مُنزّه عن النقائص، مقدّس عن العيوب والآفات. وإذا وُصِف العبدُ يُراد به تعرّيه عن رذائل الخلائق وقبائح الأعمال، المتحلّي بأضداد ذلك. وإذا وُصفت الأموال به يُراد به حلال من خيار المال.

ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ أنّه مُنزّه عن العيوب. فلا يقبل العيوب، ولا ينبغي أن يتقرّب إليه إلا بما يليق به؛ في كونه طيباً، كما قال: ﴿**لن تنالوا البِرُّ حتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون**﴾ [آل عمران: ٩٢].

قوله: «ثم ذكر الرجل الذي يطيل السفر أشعث أغبر»: يعني ذكر النبي ـ ﷺ ـ الرجل الحاج الذي أثَّر فيه السفر، وأصابه الشعث والغبرة والصعوبة والجوع والعطش والسهر؛ حتى بلغ بيت الله، فإن طاف يدعو الله في هذه الحالة؛ ظانّاً بالإجابة وقبول الحجّة والطاعة، لا يُستجاب له، ولا يُقبل بصرف نفقته من الحرام. ومَن تصدَّق من الحرام، واستحلّ واستحسن، أو طمع بالثواب، فقد كفر بالله تعالى، وقد ذكرناه في باب الصدقة][2].

٥٤٤ ـ وعن أبي رافع قال: بعتُ خلخال فضة من أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ فوضع الخلخال في كفة، والدراهم في كفّة، فكان الخلخال أثقل منها يسيراً، فأخذ مقراضاً ليقطعه فقلت: الزيادة لك يا خليفة رسول الله ـ ﷺ ـ قال: لا، سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «الزائد والمستزيد في النار»[3].

٥٤٥ ـ وروى أبو سعيد الخدري، وعبادة بن الصامت، وأبو هريرة وغيرهم عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «الفضة بالفضة مثلاً بمثل والفضل ربا، والحنطة بالحنطة مثلاً

---

(١) روى أوله البخاري (٢٠٧٢) في البيوع، وأحمد (٤/١٣١، ١٣٢). وروى مسلم (١٠١٥) في الزكاة قصة الأشعث الأغبر. وروى النسائي (٧/٢٤٣) قسمه الأخير.

(٢) ما بين المعقوفتين من (م).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٣٦٨).

بمثل والفضل ربا، وذكر الشعير والتمر والملح»، ثم قال: «فمن زاد أو استزاد فقد أربى»[1].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الربا.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ هكذا، ويقال: ما ظهر الزنا وأكل الربا في بلد إلا خَرِبت.

[وعن السلف من أئمتنا كأبي حنيفة، وسفيان الثوري، وفضيل بن عياض، وداود الطائي، والشافعي وغيره؛ أنهم قالوا: طَلَبُ علم البيع والشراء والنكاح والطلاق والحيض والكسب وغير ذلك؛ ممّا لا بُدّ له منه، وشرع فيه فريضةٌ بعد طلب علم الإيمان والصلاة والزكاة والحج والصوم وغسل الجنابة والوضوء.

٥٤٦ ـ وهو المرادُ بقوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[2]. فكل عمل عليه فريضة، أو شرع فيه، فعلمه عليه فرض.

وقد روي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: من أتجر قبل أن يتفقه في الدين، فقد ارتطم في الربا، ثم ارتطم ثم ارتطم، يعني غرق فيه.

وروى العلاء بن عبدالرحمٰن، عن أبيه عن جدّه. قال: قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: لا يبيعن في أسواقنا هذه قوم لم يتفقهوا في الدين، ولم يوفوا الكيل والميزان.

وعن ليث، عن عبدالرحمٰن بن سابط، قال: إنما يؤذن في هلاك القرى إذا استحلوا أربعاً: إذا نقصوا الميزان، وبخسوا المكيال، وأظهروا الزنا، وأكلوا الربا؛

---

(١) رواه مسلم (١٥٨٤) في المساقاة، باب: الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً، والنسائي (٧/٢٧٣).

(٢) رواه ابن عدي والبيهقي عن أنس، والطبراني في الأوسط والخطيب عن الحسين بن علي، قال الهيثمي: وفيه عبدالعزيز بن أبي ثابت، ضعيف جداً. والطبراني في الأوسط عن ابن عباس. قال الهيثمي: وفيه عبدالله بن عبدالعزيز بن أبي رواد، ضعيف. ورواه تمام في فوائده عن ابن عمر، والطبراني عن ابن مسعود، وفيه عثمان بن عبدالرحمٰن بن عثمان القرشي، عن حماد بن أبي سليمان. وعثمان قال البخاري: مجهول، ولا يُقبل من حديث حماد إلا ما رواه عنه القدماء كالثوري وشعبة، ومن عداهم رووا عنه بعد الاختلاط. ورواه الخطيب عن علي، ورواه الطبراني في الأوسط والبيهقي عن أبي سعيد. سُئِل عنه النووي فقال: ضعيف، وإن كان معناه صحيحاً، وقال ابن القطان: لا يصحّ فيه شيء، وأحسن ما فيه ضعيف. (فيض القدير ٤/٢٦٧).

لأنهم إذا أظهروا الزنا أصابهم الوباء، وإذا أنقصوا الميزان وبخسوا المكيال منعوا القطر، وإذا أكلوا الربا جرد فيهم السيف.

وروي عن عبيد المحاربي قال: كنت أمشي خلف علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ في السوق، ومعه الدرة، فإن رأى رجلاً لا يوفي الكيل ضربه، وقال: أوفِ الكيل.

وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال: يا معشر الأعاجم إنكم وليتم أمرين، بهما أهلك من كان قبلكم من القرون الماضية: المكيال والميزان.

٥٤٧ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا»، قيل: يا رسول الله، أو كلهم يأكلون الربا؟ قال: «من لم يأكلْ منه يصبه من غباره»[1]. يعني يصيبه من إثمه لأنه يعين على ذلك، فيكون شاهداً أو كاتباً أو راضياً بفعله [أو قابلاً لهديته، أو آكلاً لدعوته][2] فله حظ من الوزر.

كما قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ: الزائد والمستزيد في النار.

٥٤٨ ـ [وفي رواية أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليأتينّ على الناس زمانٌ لا يبقى أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من غباره»[3].

والمعنى: أنّ الربا يكثر، وتظهر الحيل والشبهات في البيعات والأقراض، فتختلط أموال الناس بالربا والشبهات والحرام؛ حتى لا يمكن الفرق والفصل بين الأموال، فيأكلون من غير قصد، ويتعدّى أثره وضرره إلى كلّ واحد، ويصل إليه من أثر الحرام، مع أنه لا يكون مُؤكِلاً ولا متوسّطاً ولا شاهداً، ولا مكاتباً ولا معاملاً مع آكل الربا والحرام، ولا من معامله، ولا مع مَن خالط ماله بماله][4].

فينبغي للتاجر أن يتعلم من العمل مقدار ما يحتاج إليه لتجارته لكيلا يأكل الربا، [ويفرق بين الحلال والحرام، ولا يختلط الحرام بماله، ولا يأكله. والفرق بين الحلال والحرام، والشبهة والخاصة، والصدق والكذب، والشك واليقين، والسنّة والبدعة، والكفر والإيمان. لا يمكن إلا بالعلم.

---

(١) رواه أبو داود (٣٣٣١) في البيوع والإجارات، باب: في اجتناب الشبهات، وابن ماجه (٢٢٧٨) في التجارات، باب: التغليظ في الربا.

(٢) من (م).

(٣) رواه الحاكم (٢/ ١١) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٤) ما بين المعقوفتين من (م).

٥٤٩ ـ كما روى الحسن ـ رضي الله عنه ـ الحديث المشهور قال: حفظتُ من رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال غير مرة ولا مرتين: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن اليقين والصدق طمأنينة، وإن الشك والكذب ريبة»[1].

وأكثر مسائل أصحابنا مبنيّة على هذا الحديث؛ لأنهم تركوا كلّ ما فيه ريبة، وعملوا باليقين][2].

وينبغي أن يجتهد في الكيل والوزن؛ لأنّ الله تعالى شدد في أمر الكيل والوزن، وأوعد الوعيد الشديد فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ يعني الشدة من العذاب، ويقال: ويل وادٍ في جهنم للذين ينقصون الكيل، ويبخسون الوزن، ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ يعني يكتالون من الناس ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ يعني حقهم تامّاً ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ يعني إذا كالوا للناس ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ يعني لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ يعني ينقصون. ثم قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ يعني ألا يعلم هؤلاء الذين يخونون في الكيل والوزن أنهم مبعوثون ليوم القيامة ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين ١ ـ ٥] يعني هَوْلُه عظيم.

[قال: ﴿على الناس﴾ يعني من الناس؛ لأنه حق عليه.

٥٥٠ ـ ويقال: لما قدم رسولُ الله ـ ﷺ ـ المدينة، وأهل المدينة أسوأ الناس كيلاً، وكان لهم كيلان وميزانان، وكان الرجل إذا اشترى بالكيل الزائد باع بالكيل الناقص، فقال لهم: «ويل لكم ما تصنعون»؟![3] فأنزل الله تعالى هذه الآيات ببركة قدوم رسول الله ـ ﷺ ـ على العدل والإنصاف، بما فيه مصالح العالم، وأمر الناس بالحق والصدق؛ لأنه عليه مدار العدل والإنصاف، وهو الميزان والمكيال.

ثم قال: ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون﴾ يعني ألا أيقن أولئك أنهم مبعوثون يوم القيامة، ويحاسبون [بكل] ذرة، ويُجازون بكل ما يعملون، ويُؤخَذُون بكلّ ما يُخْسِرُون على الناس؛ حيث لا مال ولا دينار ولا درهم.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٨) في صفة القيامة، باب (٦٠)، وقال: حسن صحيح، والنسائي (٨/٣٢٧ ـ ٣٢٨) في الأشربة، باب: الحث على ترك الشبهات.

(٢) ما بين المعقوفتين من (م).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٢٢٣) في التجارات، باب: التوقي في الكيل والوزن، وفي الزوائد: إسناده حسن؛ لأن محمد بن عقيل وعلي بن الحسين مختلف فيهما، وباقي رجال الإسناد ثقات. ورواه النسائي وابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان. (الدر المنثور ٨/٤٤١).

﴿ليوم عظيم﴾ هوله عظيم][1].

فاعتبر يا بن آدم؛ فإن اليوم الذي سماه الله عظيماً كيف يكون حاله، وأي يوم يكون، وأي هيبة، وأي خوف أعظم منه ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] يعني يقفون بين يدي الله تعالى، ويسألهم عن كلّ قليل وكثير، ويقرأ في كتابه كل ما عملوا، كما قال الله تعالى، ﴿ووُضِعَ الكتابُ فترى المجرمين مُشْفِقين مِمّا فيه ويقولون يا ويلتنامالِ هذا الكتاب لا يغادرُ صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف: ٤٩] فطوبى لمن عدل في الدنيا من حقوق الناس، وويل لمن لم يعدل في حقوق الناس.

٥٥١ ـ وروي عن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إنّ العدلَ ميزانُ الله تعالى في الأرض، فمن أخذه قاده إلى الجنة، ومن تركه ساقه إلى النار».

واعلم أنّ العدلَ يكون من السلطان في رعيته، ويكون من الرعية فيما بينهم. فعليكم بالعدل لتنجوا من العذاب الأليم.

* * *

(١) ما بين المعقوفتين من (م).

باب ما جاء في الذّنوب

٥٥٢ ـ حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا إسحاق بن عبدالرحمٰن القارىء، حدثنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن أحمد بن أبي العوام الرياحي، حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن سابق، عن خيثمة بن خليفة، عن ربيعة بن أبي عبدالرحمٰن، عن أبي جعفر محمد بن الحسين، عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول:

«كان فيما أعطى الله لموسى بن عمران ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الألواح عشرة أبواب، فأول ما كتب في اللوح الأول يا موسى لا تشركن بي شيئاً، فقد حقّ القول مني لتلفحن وجوه المشركين النار، واشكر لي ولوالديك أقك المتالف؛ أعني أحفظك من المهالك، وأنسئ لك في عمرك، وأحيك حياة طيبة، وأنقلك وأقلبك إلى خير منها، ولا تقتل النفس التي حرمتها، فتضيق عليك الأرض برحبها والسماء بأقطارها، وتبوء بسخطي في النار.

لا تحلف باسمي كاذباً ولا آثماً، فإني لا أطهّر ولا أزكّي من لم ينزّهني، ومن لم يعظّم أسمائي، ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي، فإن الحاسد عدوّ لنعمتي، رادّ لقضائي، ساخط لقسمتي التي قسمت بين عبادي، ومن لم يكن كذلك فلست منه، وليس مني.

لا تشهد بما لا يعيه سمعك، ويحفظه عقلك، ويعقد عليه قلبك، فإني واقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة، أسألهم عنها سؤالاً حثيثاً، ولا تسرق، ولا تزن بحليلة جارك، فأحجب عنك وجهي وأغلق عليك أبواب السماء، وأحب للناس ما تحب لنفسك.

ولا تذبحن لغيري، فإني ما أقبل من القربان إلا ما ذكر عليه اسمي، وكان

خالصاً لوجهي، وتفرغ لي يوم السبت، وفرغ جميع أهل بيتك».

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ الله تعالى جعل السبت لموسى عيداً، واختار الجمعة فجعلها لنا عيداً»[1].

٥٥٣ ـ قال الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو القاسم، حدثنا محمد بن الحسن، حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا أبي، عن عبيدالله بن عبدالرحمٰن بن وهب، عن محمد بن كعب القرظي. قال: قام رسول الله ـ ﷺ ـ على المنبر فقبض كفه اليمنى. ثم قال: «كتاباً كتب الله تعالى فيه أهل الجنة بأسمائهم وأنسابهم، ولا يزاد فيهم ولا ينقص»، ثم قبض كفّه اليسرى فقال: «كتاباً كتب الله، فيه أهل النار بأسمائهم وأنسابهم، لا يُزاد فيه ولا ينقص. وليعملن أهل السعادة بعمل أهل الشقاء حتى يقال بأنهم منهم بل هم، ثم يستنقذهم الله تعالى بقضائه من الشقاء إلى السعادة قبل الموت، ولو بفواق ناقة. وليعملن أهل الشقاء بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم، وليستخرجنهم الله منهم ثم ليستخرجنهم الله بقضائه قبل الموت ولو بفواق ناقة. السعيد من سعد بقضاء الله تعالى، والشقي من شقي بقضاء الله، والأعمال بالخواتيم»[2].

٥٥٤ ـ وروي عن فضالة بن عبيد، عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن والمسلم والمجاهد والمهاجر. المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله تعالى، والمهاجر من هجر الذنوب والخطايا»[3].

قال أبو الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ: اعبدوا الله عز وجل كأنكم ترونه، وعدوا أنفسكم من الموتى، واعلموا أن قليلاً يغنيكم خير من كثير يلهيكم، واعلموا أن البِرَّ لا يبلى، وأن الإثمَ لا يُنسى.

٥٥٥ ـ وروى ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه

---

(١) رواه ابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية، وابن لال في «مكارم الأخلاق». (الدر المنثور ٣/٥٥١).

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢١٣): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حماد بن وافد الصفار، وهو ضعيف.

(٣) رواه ابن حبان (٧/١٧٨)، والحاكم (١/١١).

قال: «البِرُّ لا يبلى، والإثم لا ينسى، والديان لا يفنى، وكُنْ كما شئت؛ يعني كما تدين تُدان»[1].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: معنى قوله: «كما تدين تدان»: يعني أنك لو عملت خيراً تجد ثواب الخير، وإن عملت شراً تجز به يوم القيامة جزاء الشر.

وهذا كقوله عز وجل: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧] يعني أن الله تعالى لا يظلم أحداً ولا ينقص من ثواب حسناته شيئاً، ولا يزيد على سيئاته شيئاً، ولا يعاقبه بغير ذنب، وقد بيّن الله تعالى الطريق، وبعث رسولاً كريماً ناصحاً لأمته، وقد بين طريق الجنة وطريق النار.

٥٥٦ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجاء الفراش يتهافتن فيها، فأنا أمنعكم من أن تقعوا في النار»[2] يعني أنهاكم عن الذنوب والعصيان فإن الذنوب تلقي صاحبها في النار.

ويقال: قُبلت توبة آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لخمس خصال، ولم تُقبل توبة إبليس لعنه الله لخمس خصال؛ فآدم أقرّ على نفسه بالذنب، وندم عليه، ولام نفسه، وأسرع بالتوبة، ولم يقنط من رحمة الله تعالى. وإبليس ـ لعنه الله ـ لم يقرّ على نفسه بالذنب، ولم يندم عليه، ولم يلم نفسه، ولم يسرع في التوبة، وقنط من رحمة الله تعالى، فمن كان حاله مثل حال آدم قُبلت توبته، ومن كان حاله مثل حال إبليس لم تُقبل توبته.

وروي عن إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: لأن أدخلَ النار وقد أطعت الله أحبّ إليّ من أن أدخل الجنة وقد عصيت الله تعالى.

معناه لو دخلَ الجنة وقد عصى الله تعالى فالحياء من الله تعالى لأجل ذنوبه باق ينغّص عليه الجنّة، ولو دخل النار وقد أطاع الله تعالى لا يكون له الخجل والحياء ويرجى خروجه منها.

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٢٢٠٣).

(٢) رواه البخاري (٣٤٢٦) في أحاديث الأنبياء، باب (٤٠)، ومسلم (٢٢٨٤) في الفضائل، باب: شفقته ﷺ على أمته، وأحمد (٣/٣٩٢).

وقد روي عن مالك بن دينار ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه مرّ بِعُتْبَةٍ الغُلام في برد شديد، وعلى عُتْبَة قميص خلق، وهو قائم يتفكّر، وهو يترشّح عرقاً، فقال له مالك: ما الذي أوقفك في هذا الموضع؟ قال: يا معلّمي هذا موضع عصيتُ الله تعالى فيه، يعني أنه كان يتفكّر في ذنبه وهو يسيل منه العرق حياء من الله تعالى.

وقال مكحول الشامي: من أوى إلى فراشه، ثم تفكر فيما صنع في يومه، فإن عمل خيراً حمد الله، وإن أذنب استغفر ربه عز وجل، وإن لم يفعل كان كمثل التاجر الذي ينفق ولا يحسب حتى يفلس ولا يشعر.

ويُقال: إنّ الله تعالى قال في بعض الكتب: عبدي أنا ملك لا أزول، فأطعني فيما أمرتك به، وانتهِ عما نهيتك عنه، حتى أجعلك حياً لا تموت. عبدي أنا الذي إذا أقول للشيء كن فيكون.

وعن محمد بن محيريز قال: إن استطعت أن لا تسيء إلى من تحبّه فافعل. قيل له: وهل يسيء أحد إلى من يحبه؟ قال: نفسك أحبّ الأنفس، وأعزّها إليك، فإذا عصيت فقد أسأت إليها.

وقيل لبعض الحكماء: أوصني بشيء قال: لا تَجْفُ ربَّك، ولا تَجْفُ الخلق، ولا تجف نفسك؛ أما الجفاء بربك فأن تشتغل بخدمة غيره من المخلوقين. وأما الجفاء مع الخلق فأن تذكرهم عند الناس بسوء، وأما الجفاء مع النفس فأن تتهاون بفرائض الله.

وروي عن كَهْمس[1] بن الحسن، أبو الحسن البصري، أنه قال: أذنبت ذنباً وأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة. قيل: ما هو يا عبدالله؟ قال: زارني أخٌ لي، فاشتريتُ له سمكاً، فأكل ثم قمت إلى حائط جاري، فأخذت منه قطعة طين، فغسلت بها يدي.

٥٥٧ ـ وعن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «أعظمُ الذُّنوب عند الله تعالى أصغرها عند الناس، وأصغر الذنوب عند الله تعالى أعظمها عند الناس».

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: يعني أعظمها عند المذنب إذا عظمه وخافه فإنها أصغر عند الله تعالى فيغفر له. وأما إذا كان صغيراً في عين المذنب فهو عظيم عند الله تعالى؛ لأن أعظم الذنوب ما كان مصرّاً عليه وهكذا.

---

(١) هو كَهْمس بن الحسن التميمي، أبو الحسن البصري؛ ثقة. (تقريب التهذيب ٢/١٣٧).

كما روي عن بعض الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أنه قال: لا صغيرةَ مع الإصرار ولا كبيرةَ مع الاستغفار.

وروي عن عوام بن حوشب[1] أنه قال: أربع بعد الذنب شر من الذنب: الاستصغار، والاغترار، والاستبشار، والإصرار.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: لا تغرنك هذه الآية **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾** [الأنعام: ١٦٠] لأنه قد اشترط في الحسنة المجيء بها يوم القيامة، والعمل سهل على العامل، ولكن المجيء به يوم القيامة شديد، وإن السيئة واحدة؛ ولكن لها عشر من العيوب:

أولها: أن العبد إذا عمل سيئة فقد أسخط خالقه على نفسه، وهو قادر عليه في كل وقت.

والثاني: أنه أدنى من هو أبغض إليه، وهو إبليس عدو الله وعدوه.

والثالث: يتباعد من أحسن المواضع، وهو الجنة.

والرابع: تقرّبه إلى شر المواضع، وهو جهنم.

والخامس: أنه جفا من أحبّ إليه، وهي نفسه.

والسادس: نجّس نفسه، وقد خلقها الله طاهرة.

والسابع: آذى أصحابه الذين لا يؤذونه، وهم الحفظة.

والثامن: أحزن النبي ـ ﷺ ـ في قبره.

والتاسع: أشهد على نفسه الأرض والليل والنهار، وآذاهم بذلك وأحزنهم.

والعاشر: أنه خان جميع الخلائق من الآدميين وغيرهم. فأما خيانته للآدميين، لو كان لأحد عنده شهادة، فإنه لا تقبل شهادته لأجل ذنبه، فيبطل حقّ صاحبه لأجل ذنبه. وأما الخيانة لجميع الخلائق: فإنه يقلّ المطر إذا أذنب، فكان في ذلك خيانة لجميع الخلائق. فإياك والذنب، فإن في الذنب هذه العيوب، وفي ذلك كلّه ظُلْم نفسه بمعصيته.

وقيل: أبخل الناس من بخل على نفسه بما فيه سعادة. وأظلم الناس من ظلم نفسه بمعصية الله تعالى؛ لأنّ مَن عمل المعصية فقد أهلك نفسه.

---

(١) هو العوام بن حَوْشب بن يزيد الشيباني، أبو عيسى الواسطي: ثقة ثبت فاضل. (تقريب التهذيب ٢/ ٨٩).

وقال بعض الحكماء: إياك والذَّنب فإنَّ الذَّنب شؤم فيصير شؤمه حجر المنجنيق، فيضرب على حائط الطاعة، فيكسر الحائط، ويدخل ريح الهواء، ويطفىء سراج المعرفة.

وقيل لبعض الحكماء: ما لنا نسمع العلم ولا نتفع به؟ فقال لهم: لخمس خصال:

أولها: قد أنعم الله عليكم فلم تشكروه.

والثاني: إذا أذنبتم فلم تستغفروه.

والثالث: لم تعملوا بما علمتم من العلم.

والرابع: صحبتم الأخيار ولم تقتدوا بهم.

والخامس: دفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم.

٥٥٨ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ سمعت أبي يقول: روي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما من يوم إلا وينزل من السماء خمسة من الملائكة: أحدهم بمكة، والثاني بالمدينة، والثالث ببيت المقدس، والرابع بمقابر المسلمين، والخامس بأسواق المسلمين.

فأما الذي ينزل بمكة فينادي: ألا مَن ترك فرائض الله تعالى فقد خرج من رحمة الله تعالى، وأما الذي ينزل بالمدينة فينادي: ألا من ترك سنن النبي ـ ﷺ ـ فقد خرج من شفاعته، وأما الذي ينزل ببيت المقدس فينادي: ألا من اكتسب مالاً حراماً لم يقبل الله تعالى سائر عمله، وأما الذي ينزل بمقابر المسلمين فينادي: يا أهل المقابر، بماذا تغتبطون وعلى ماذا تندمون؟ فيقولون: ندامتنا على ما فات من أعمارنا ونغتبط بأهل الجماعات؛ لقراءتهم كلام الله تعالى، وتذاكرهم بالعلم، وصلواتهم على النبي ـ ﷺ ـ واستغفارهم لذنوبهم ونحن لا نقدر على شيء من ذلك.

وأما الذي ينزل في الأسواق فينادي ويقول: يا معشر الناس مهلاً مهلاً، فإن لله تعالى سطوات ونقمات، فمن خشي سطواته ونقماته فليداوِ جراحته، حتى يتوب من ذنوبه، شوّقناكم فلم تشتاقوا، خوّفناكم فلم تخافوا، لولا رجال خشّع، وصبيان رضّع، وبهائم رتّع، وشيوخ ركّع، لصبَّ عليكم العذاب صبّاً»[1].

---

(١) ذكر الذهبي أوله في ميزان الاعتدال (١/٩٨) من حديث ابن مسعود، في ترجمة: أحمد بن رجاء بن عبيدة. قال الخطيب: رواته ثقات سوى هذا، وشيخه محمد بن محمد بن إسحاق البصري؛ فإنهما=

٥٥٩ ـ وروي عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لها: «يا عائشة إياكِ ومحقّرات الذّنوب، فإنّ لها من الله تعالى طالباً»[1].

ويقال: مثل الذنوب الصغار كمثل من جمع خشبات صغاراً، فيوقد منها ناراً باجتماعها.

ويقال: مكتوب في التوراة: من يزرع البرّ يحصد السلامة، وفي الإنجيل مكتوب: من يزرع السوء يحصد الندامة،وهذا في القرآن وهو قوله تعالى: ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾ [النساء: ١٢٣].

وروى القاسم بن محمد، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه سُئل عن رجل كثير الذنوب؛ كثير العمل أعجب إليك، أم رجل قليل الذنوب قليل العمل؟ قال: ما أعدل بالسلامة شيئاً؛ يعني قليل الذنوب أعجب إليّ.

قال بعض العلماء[2]: كل سفلة يعمل بالطاعة، ولكن الكريم من يترك المعصية.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: في كتاب الله دليلٌ على أنّ ترك المعصية أفضل من أعمال الطاعة؛ لأنّ الله تعالى قد اشترط في الحسنة المجيء بها إلى الآخرة، وفي ترك الذنوب لم يشترط شيئاً سوى الترك وقال تعالى: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقال تعالى: ﴿**وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى**﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

[والهوى أصل كل ذنب. وقد اشترط في الطاعات والشرائط الكثيرة والأوقات وغيرها، ثم بعد ذلك إن شاء قبل وأدخله الجنة برحمته وفضله، وإن شاء ردّ. ولم يشترط في ترك الذنوب إلا الترك، وواعده دخول الجنة، فقال: ﴿**إن تجتنبوا كبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عنه نُكَفِّرْ عنكم سَيِّئاتكُم ونُدْخِلْكُم مُدْخَلاً كريماً**﴾ [النساء: ٣١]. وهو الجنة.

= مجهولان. وقال الذهبي (٤/ ٢٥): محمد بن محمد بن إسحاق، شيخ بصري، روى عن سويد بن نصر المروزي، أتى بخبر كذب، وعنه أحمد بن رجاء، لا يُعْرَف أيضاً.

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٤٣) في الزهد، باب: ذكر الذنوب، وفي الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات. ورواه أيضاً ابن حبان (٥٥٤٢). «محقرات الذنوب»: أي ما لا يُبالي المرء به من الأعمال.

(٢) في (م): الحكماء.

٥٦٠ ـ وقد قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «ترك ذرّة ممّا نهى الله عنه خير من عبادة الثقلين».

قال قائل:

أرضيت أن تبكي ودمعك ماء   كلا ودموع المذنبين دماء
خلّ المدامع، والدماء فجدّ بها   فالذنب داء، والبكاء دواء
واحذرْ هواك تجد رضاه   فإنما أصل الضلالة كلّها الأهواء][1]

* * *

(١) من (م).

باب ما جاء في المظالم

٥٦١ ـ قال الفقيه: حدثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان، حدثنا الحسن بن علي الطوسي، حدثنا محمد بن هشام، حدثنا أبو معاوية، عن زهير بن زيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنّ الله تعالى يُمْلي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته» يعني لا ينجو [منه الأخذ][1]، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢][2].

٥٦٢ ـ حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا ابن منيع، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من كانت لأخيه عنده مظلمةٌ من عرض أو مال، فليتحلّله اليوم قبل أن يؤخذَ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر عمل مظلمته، وإن لم يكن له عمل أخذ من سيئاته فحملت عليه، [ثم يُلقى في النار][3]»[4].

٥٦٣ ـ قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا خزيمة، حدثنا علي بن أحمد، حدثنا إسماعيل، حدثنا يعلى، عن أبيه، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «أتدرون من المفلس في أمتي؟» قالوا له: المفلس من لا

---

(١) من (م).

(٢) رواه البخاري (٤٦٨٦) في التفسير، باب (٥)، ومسلم (٢٥٨٣) في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم. «يملي»: يمهل ويؤخر ويطيل له في المدة.

(٣) من (م).

(٤) رواه البخاري (٦٥٣٤) في الرقاق، باب: القصاص يوم القيامة، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/٦٥)، والأصبهاني في ترغيبه (٢٠٦٩).

درهم لـه ولا دينار ولا متـاع، قال: «فـإنّ المفلسَ من أمتي: الذي يـأتي يوم القيـامـة بصلاته وزكاته وصيامه، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فَيُعْطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم وطُرحت عليه، ثم طُرح في النار»[1].

وذُكر عن أبي ميسرة قال: أتي بسوط إلى رجل في قبره بعدما دفن فجاءاه، يعني منكـراً ونكيراً، فقـالا له: إنـا ضاربـاك مئة سـوط، فقال الميت: إني كنتُ كـذا كذا، فتشفع حتى حطّا عنه عشراً، [ولم يزل بهم حتى حطّا عنـه تسعة وتسعين ضـربة][2] ثم لم يزل بهما حتى صار إلى ضربة واحدة، فقالا: إنا ضارباك ضربة، فضرباه واحـدة، فالتهب القبر ناراً، فقال: لِمَ ضربتماني؟ فقالا: مررت برجل مظلوم، فاستغـاث بك، فلم تغثه، فهذا حال الذي لم يغث المظلوم، فكيف يكون حال الظالم؟.

قال ميمون بن مهران: إن الرجل يقرأ القرآن، وهو يلعن نفسه. قيل لـه: وكيف يلعن نفسه؟ قال: يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم، [وقد مرّ ذكر الـظالم في بـاب التوبـة][3]. قال الفقيـه ـ رحمـه الله تعالى ـ: ليس شيء من الـذنـوب أعـظم من الظلم؛ لأن الذنب إذا كـان بينك وبين الله تعـالى فإن الله تعـالى كريم يتجـاوز عنك، فإذا كان الذنب بينك وبين العباد فلا حيلة لـك سوى رضـا الخصم، فينبغي للظالم أن يتـوب من الظلم، ويتحلل من المـظلوم في الدنيـا، فإذا لـم يقـدر عليه، فينبغي أن يستغفر له، ويدعو له فإنه يرجى أن يحلله بذلك.

قال ميمون بن مهران: إن الرجل إذا ظلم إنسانـاً فأراد أن يتحلل منـه مظلمتـه، ففاته ولم يقدر عليه، فاستغفر الله تعالى له في دُبر صلاته خرج من مظلمته.

وعن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنـه ـ قال: مَن أعـان ظالمـاً على ظلمه، أو لقّنـه حجّة يـدحض بهـا حقّ امـرىء مسلم، فقـد بـاء بغضب من الله تعـالى، وعليـه وزرها.

وعن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال للأحنف بن قيس: من أجهل الناس؟ قال الأحنف: من باع آخرته بدنياه.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨١) في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم.
(٢) من (م). (٣) من (م).

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ألا أنبئك بأجهل من هذ قال: بلى يا أمير المؤمنين. قال: من باع آخرته بدنيا غيره.

٥٦٤ ـ[1] وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، قلت: يا رسول الله، أنصره مظلوماً، فكيف أنصر ظالماً؟ قال: «تمنعه من الظلم، فذلك نصرُك إيّاه»[2].

وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ما أحسنت إلى أحد، ولا أسأت إلى أحدٍ قط؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا**﴾ [فصلت: ٤٦] يعني إن أحسنتُ إلى أحد فقد أحسنتُ إلى نفسي، وإن أسأت إلى أحدٍ فقد أسأتُ إلى نفسي.

[٥٦٥ ـ وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لردّ دانقٍ من حرام أفضل عند الله من سبعين حجّة مبرورة»[3].

والحج المبرور: هو الذي لا يخالطه من الرياء شيء. والبيع المبرور الذي لا يخالطه شيء من الخيانة. والتجارة المبرورة التي لا يخالطها شيء من الربا.

٥٦٦ ـ وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «ملعون من سأل بوجه الله تعالى. ملعون من يُسأل بوجه الله تعالى فيمنع سائله؛ ما لم يسأل هجراً. ملعون مَن ضرّ أخاه المسلم أو ما كره. ملعون من كذب. ملعون مال لا يزكّى كل عام. ملعون بدن لا يُبتلى في كل عام ليلة من البلاء والعثرة والنكبة والمرضة والخدشة واختلاج العين فما فوق ذلك»[4].

٥٦٧ ـ وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «أوحى

---

(١) هذا الحديث من (م).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٤) في المظالم، باب: أَعِنْ أخاك ظالماً أو مظلوماً، والترمذي (٢٢٥٥) في الفتن، باب (٦٨) وقال: حسن صحيح، والدارمي (٢/٣١١)، وأحمد (٣/٩٩، ٢٠١).

(٣) رواه ابن عدي من حديث ابن عمر، وفيه إسحاق بن وهب الطهرمسي، وسرقه منه أحمد بن محمد بن الصلت، فرواه عن يحيى بن سليمان بن نضلة، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر. (تنزيه الشريعة ٢/٢٩٨).

(٤) رواه الطبراني إلى قوله: «هجراً» في الكبير، وإسناده حسن على ضعف في بعضه مع توثيق. كذا في المجمع (٣/١٠٣)، وروى قوله: «ملعون من ضر أخاه المسلم أو ماكر به» الترمذي (١٩٤١) في البر والصلة، باب (٢٧) وقال: حديث غريب، من حديث أبي بكر. وروى الديلمي قوله: «ملعون من كذب» في الفردوس (٦٣٩٤) من حديث معاوية بن حيدة.

الله إلى عيسى ـ عليه السلام ـ أن قل للملأ من بني إسرائيل: أنا ملك الملوك، أملك قلوبهم بيدي، فإن أطاعني عبادي جعلتهم رحمةً عليهم، وإن عصوني جعلتهم نقمةً عليهم، فلا تشتغلوا بالدعاء عليهم، ولكن توبوا إليّ أعطفهم عليكم»](1).

٥٦٨ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن أبي سعيد الخُدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كان رجل من المهاجرين له حاجة إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأراد أن يلقاه على خلاء فيبدي له حاجته، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ في معسكر بالبطحاء، وكان يجيء في الليل فيطوف، حتى إذا كان في وجه الصبح رجع فصلى صلاة الغداة، قال: فحبسه الطواف ذات ليلة حتى أصبح، فلما استوى على راحلته عرض له الرجل فأخذ بخطام ناقته فقال: يا رسول الله، لي إليك حاجة. قال: «دعني فإنك ستدرك حاجتك»، فأبى، فلما خشي أن يحبسه خفقه بالسوط خفقة.

ثم مضى فصلى صلاة الغداة، فلما انفتل أقبل بوجهه على القوم، واجتمع القوم حوله فقال: «أين الذي جلدته آنفاً؟» فأعادها: إن كان في القوم فليقمْ، فجعل الرجل يقول: أعوذ بالله تعالى ثم برسوله، وجعل رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «ادْنُ، ادْنُ مني»، حتى دنا منه، فجلس رسول الله ـ ﷺ ـ بين يديه وناوله السوط، وقال: «خذ بجلدتك واقتص مني»، فقال: أعوذ بالله أن أجلد نبيه. قال: «خذ بجلدتك فاقتص، لا بأس»، فقال: أعوذ بالله أن أجلد نبيّه. قال: «إما أن تعفو أو تقتصّ» فألقى السوط. وقال: قد عفوت يا رسول الله، ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يا أيها الناس، اتقوا ربكم، ولا يظلم أحد منكم مؤمناً إلا انتقم الله منه يوم القيامة»(2).

[٥٦٩ ـ وقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «والله لتؤدنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يؤخذ للشاة الجمّاء من الشاة القرناء»(3)](4).

٥٧٠ ـ وعنه أيضاً: «إنّ المظلومين هم المفلحون يوم القيامة»(5).

---

(١) ما بين المعقوفتين من (م)، أي الأحاديث (٥٦٥ ـ ٥٦٦ ـ ٥٦٧).

(٢) رواه الدارمي (١/ ٣٤ ـ ٣٥) بنحوه، من حديث عبدالله بن أبي بكر.

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٢) في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، والترمذي (٢٤٢٠) في صفة القيامة، باب: ما جاء في شأن القصاص، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢/ ٢٣٥، ٣٠١، ٣٧٢).

(٤) هذا الحديث من (م).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الغضب»، ورستة في «الإيمان» عن أبي صالح الحنفي مرسلاً. (كنز العمال ٧٦٣٣ و٧٦٥١).

وعن سفيان الثوري ـ رحمة الله عليه ـ أنه قال: إنْ لقيتَ الله تعالى بسبعين ذنباً فيما بينك وبين الله، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد.

وعن إبراهيم بن أدهم ـ رحمة الله عليه ـ أنه قال: لا ينبغي للرجل إذا كان عليه دين أن يصطبغ بالزيت أو بأقلّ منه ما لم يقضِ دينه.

وروي عن فضيل بن عياض قال: قراءة آية من كتاب الله تعالى والعمل بها أحب إليّ من أن أختم القرآن ألف مرة، وإدخال السرور على المؤمن وقضاء حاجته أحب إليَّ من عبادة العمر كلّه، وترك الدنيا ورفضها أحب إليَّ من أن أعبدَ الله بعبادة أهل السماوات والأرض، وترك دانق من حرام أحب إليَّ من مئة حجة من مال حلال.

وذكر عن أبي بكر الوراق أنه قال: أكثر ما ينزع من القلب الإيمان، إنّما ينزع عند الموت. قال: فنظرنا في الذنوب. فلم نجد ذنباً أسرع لنزع الإيمان مِن ظلم العباد.

وسُئل أبو القاسم الحكيم: هل من ذنب ينزع الإيمان من العبد؟ قال: نعم. ثلاثة أشياء تنزع الإيمان من العبد:

أولها: ترك الشّكر على الإسلام.
والثاني: ترك الخوف على ذهاب الإسلام.
والثالث: الظّلم على أهل الإسلام.

٥٧١ ـ وروى حميد عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أوصى النّبي ـ ﷺ ـ رجلاً بثلاث فقال له: «أكثر ذكر الموت يشغلك عما سواه، وعليك بالشكر فإنه زيادة في النعمة، وعليك بالدعاء فإنك لا تدري متى يستجاب لك. وأنهاك عن ثلاث: لا تنقض عهداً، ولا تعن على نقضه. وإياك والبغي؛ فإن مَن بُغي عليه لينصرنه الله. وإياك والمكر، فإنه لا يحيقُ المكر السيء إلا بأهله»[1].

وروى منصور، عن مجاهد، عن يزيد بن سمرة قال: إن لجهنم جباباً؛ يعني مواضع كساحل البحر، فيها حيات كالبخاتي وعقارب كالبغال الدّهم، فإذا استغاث أهل جهنم أن يخفّف عنهم، قيل لهم: اخرجوا إلى الساحل، فيخرجون، فتأخذ الحيّات بشفاههم ووجوههم وما شاء الله تعالى منهم، فتكشطهن فيستغيثون فراراً منها

(١) روى أوله ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت» عن سفيان عن شيخ مرسلاً. (كنز العمال ٤٢٠٩٤).

إلى النار، فيسلّط عليهم الجرب، فيحكّ أحدهم جلده حتى يبدو العظم؛ فيقال: يا فلان، هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم. فيقال: ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين، وهو قوله تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

وروي عن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنّه قال: كفى بالمؤمن من الغيّ ثلاث: يعيب على الناس بما يأتي به، ويبصر من عيوبهم ما لا يبصر من عيوب نفسه، ويؤذي جليسه فيما لا يعنيه.

٥٧٢ ـ وعن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «ينادي منادٍ من تحت العرش يوم القيامة: يا أمة محمد، ما كان لي قبلكم من التبعات فقد وهبته لكم، وبقيت التبعات التي فيما بينكم فتواهبوها، وادخلوا الجنة برحمتي»[1].

[حدثنا القاضي الإمام أبو جعفر، عن الشيخ الزاهد أبي عبدالله الرّقي ببخارى قال: كنتُ بين النائم واليقظان، وهاتف ينشد أن الفضائل كلها إن جمعت رجعت بجملتها إلى شيئين: تعظيم أمره جل ثناؤه، والسعي في إصلاح ذات البين.

وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحُوا ذاتَ بينكُم﴾ [الأنفال: ١] والله أعلم بالصواب][2].

* * *

---

(١) سبق تخريجه برقم (٨٤). (٢) من (م).

باب الرّحمة والشّفقة

٥٧٣ ـ قال الفقيه: حدثنا أبو الحسين أحمد بن حمدان، حدثنا أحمد بن الحارث، حدثنا قتيبة بن سعيد البغلاني، عن مالك، عن سُمَيّ مولى أبي بكر، عن أبي صالح السّمّان، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

«بينما رجل يمشي في الطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل بها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهثُ، وهو يأكل الثّرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب ورواه، فشكر الله تعالى له فغفر له». قالوا: يا رسول الله، إن لنا في البهائم لأجراً؟ قال: «في كل ذات كبد رطبة أجر»[1].

٥٧٤ ـ حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا النضر بن الأشعث، عن الحسن أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا يدخل الجنة إلا رحيم». قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم. قال: «ليس رحمة أحدكم خويصية، يعني خاصة نفسه، ولكن حتى يرحم الناس عامة، ولا يرحمهم إلا الله تعالى»[2].

حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا معاوية، عن الأعمش، عن حسان بن الأشرس، عن أبي عبيدة، عن عبدالله قال: إذا رأيتم أخاكم قد أصابه جزاء فلا تلعنوه ولا تعينوا عليه الشيطان، ولكن قولوا: اللهم ارحمه، اللهم تُبْ عليه.

---

(١) رواه البخاري (٢٣٦٣) في المساقاة، باب: فضل سقي الماء، ومسلم (٢٢٤٤) في السلام، باب: فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها. «الثرى»: التراب النديّ.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٧/٨): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. من حديث أبي موسى الأشعري.

٥٧٥ ـ وعن الشعبي قال: صعد النعمان بن بشير المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «ينبغي للمسلمين أن يكونوا بينهم بنصيحة بعضهم بعضاً، وتراحمهم فيما بينهم كمثل العضو من الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى الجسد كله بالسهر حتى يذهب الألم من ذلك العضو»[1].

وعن أنس بن مالك قال: بينما عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ يعسّ[2] ذات ليلة إذ مرّ برفقة قد نزلت، فخشي عليهم السرقة، فأتى عبدالرحمٰن بن عوف ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقال: ما الذي جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟ قال: مررتُ برفقة قد نزلت فحدثتني نفسي أنهم إذا باتوا ناموا، فخشيت عليهم السرقة، فانطلق بنا نحرسهم. قال: فانطلقا، فقعدا قريباً من الرفقة يحرسان؛ حتى إذا رأيا الصبح نادى عمر ـ رضي الله عنهُ ـ: يا أهل الرفقة؛ الصلاة؛ الصلاة، مراراً حتى إذا رآهم تحرّكوا، قاما فرجعا.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: عليك أن تقتدي بالذين قبلك، فإن الله قد مدح أصحاب النبي ـ ﷺ ـ بالتراحم فيما بينهم قال الله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وكانوا رحماء على المسلمين وعلى جميع الخلق، وكانوا يرحمون أهل الذّمّة، فكيف بالمسلمين؟

وروي عن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه رأى رجلاً من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، وهو شيخ كبير، فقال له عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ما أنصفناك، أخذنا منك الجزية ما دمت شاباً، ثم ضيعناك اليوم. وأمر بأن يُجرى عليه قوتُه من بيت مال المسلمين.

وروي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: رأيت عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ وعلى كتفه قَتَب[3] وهو يعدو به بالأبطح، فقلت له: يا أمير المؤمنين أين تصير؟ فقال: بعير ندّ[4] من الصدقة، فأنا أطلبه، فقلت له: لقد أذللت الخلفاء من بعدك. فقال: لا تلمني يا أبا الحسن، فوالذي بعث محمّداً ـ ﷺ ـ

---

(١) رواه البخاري بنحوه (٦٠١١) في الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، ومسلم (٢٥٨٦) في البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم.
(٢) «يعس»: عسّ: طاف بالليل يكشف عن أهل الرّيبة.
(٣) «قَتَب»: هو الرَّحْل الصغير على قدر سَنام البعير. (٤) «ندّ»: نَفَر وشَرَد.

بالحق، لو أن عناقاً[1] ذهب بشاطىء الفرات لأوخذ بها عمر يوم القيامة؛ لأنه لا حرمة لوالٍ ضيّع المسلمين، ولا لفاسق روّع المؤمنين.

٥٧٦ ـ وعن الحسن، عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن برحمة القلوب وسلامة الصدور وسخاوة النفس والرحمة لجميع المسلمين»[2].

٥٧٧ ـ وروى عبدالوهاب بن محمد العسقلاني بسمرقند بإسناده عن حميد، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أربع من حقّ المسلمين عليك: أن تعينَ محسنهم، وأن تستغفرَ لمذنبهم، وأن تدعو لمدبرهم، وأن تحبّ تائبهم»[3].

٥٧٨ ـ حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا عبدالرحمٰن بن زياد، عن أبيه، عن أبي أيوب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «للمسلم على أخيه ست خصال واجبة، إن ترك منها واحدة فقد ترك حقاً واجباً: إذا دعاه أن يجيبه، وإذا مرض أن يعوده، وإذا مات أن يحضره، وإذا لقيه أن يسلّم عليه، وإذا استنصحه أن ينصحه، وإذا عطس أن يشمّته»[4].

٥٧٩ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما من نبي إلا وقد رعى». قالوا: يا رسول الله، وأنت قد رعيت؟ قال: «نعم رعيت»[5].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: الحكمة في رعي الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه؛ أنّ الله تعالى ابتلاهم على البهائم أولاً حتى تظهر شفقتهم على خلقه، وهو

---

(١) «عناقاً»: العَنَاق: الأنثى من أولاد المعيز والغنم من حين الولادة إلى تمام حَوْل.

(٢) رواه المنذري في أربعينه، وتبعه أبو عبدالله المسلمي في تخريجها عن أبي سعيد الخدري. (كشف الخفاء ١/٢٦ و٣٣٤).

(٣) في إسناده: حُمَيْد، وهو مدلس. قال حماد بن سَلَمة: عامة ما يرويه حُمَيْد عن أنس لم يسمعه منه، إنما سَمِعَهُ من ثابت. (ميزان الاعتدال ١/٦١٠) و(الضعفاء الكبير للعقيلي ١/٢٦٦).

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٨٥): رواه الطبراني، وعبدالرحمٰن وثقه يحيى القطان وغيره، وضعّفه جماعة. وبقية رجاله ثقات. ورواه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول (١٥٣).

(٥) رواه البخاري (٢٢٦٢) في الإجارة، باب: رعي الغنم على قراريط، ومالك في الموطأ (٢/٩٧١).

أعلم بهم، وإذا وجدهم مشفقين على البهائم جعلهم أنبياء، وجعلهم مسلّطين على بني آدم في أمر دينهم.

وروي أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: يا ربّ بأي شيء اتّخذتني صفيّاً؟ قال: برحمتك على خلقي، فإنك كنت ترعى غنم شعيب ـ عليه الصلاة والسلام ـ فندّت شاة من غنمك، فاتبعتها، فأصابك الجهد في طلبها حتى أدركتها، فلما أخذتها ضممتها إلى حجرك، وقلت لها: يا مسكينة لِمَ أتعبتني؟! وأتعبت نفسك. فبرحمتك على خلقي اصطفيتُك، وأكرمتُك بالنبوة.

٥٨٠ ـ وروي عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة. ومن نفّس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربةً مِن كرب يوم القيامة. والله تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم»[1].

٥٨١ ـ وروى قتادة عن أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه من الخير»[2].

وروى الشعبي[3] عن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: إن الله تعالى لا يرحم من لا يرحم، ولا يغفر لمن لا يغفر، ولا يتوب على من لا يتوب.

٥٨٢ ـ وروي عن بعض الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أنه قال: «الرّاحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء»[4].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، وأبو داود (٤٩٤٦) في الأدب، باب: في المعونة للمسلم، والترمذي (٢٩٤٥) في القراءات، باب (١٢)، وابن ماجه (٢٢٥) في المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم. «الكربة»: الغمّ والشدّة.

(٢) رواه البخاري (١٣) في الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبّ لنفسه، ومسلم (٤٥) في الإيمان، باب (١٧). «لا يؤمن أحدكم»: أي لا يؤمن الإيمان التام.

(٣) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي، أبو عمرو: راوية، من التابعين، يُضرب المثل بحفظه. اتصل بعبدالملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان من رجال الحديث الثقات. استقضاه عمر بن عبدالعزيز، وكان فقيهاً، شاعراً. توفي سنة (١٠٣هـ). (تهذيب التهذيب ٥/٦٥) و(تاريخ بغداد ١٢/٢٢٧).

(٤) رواه أبو داود (٤٩٤١) في الأدب، باب: في الرحمة، والترمذي (١٩٢٤) في البر والصلة، باب: ما جاء في رحمة المسلمين، وقال: حسن صحيح ،وأحمد (٢/١٦٠)، من حديث عبدالله بن عمرو.

٥٨٣ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى»[1].

وعن قتادة أنه قال: ذكر لنا أن في الإنجيل مكتوباً: ابن آدم، كما ترحم فكذلك ترحم، وكيف ترجو أن يرحمك الله وأنت لا ترحم عباده؟!

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه كان يتبع الصبيان فيشتري منهم العصافير، فيرسلها ويقول: اذهبي فعيشي.

وقال شقيق الزاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا ذكرتَ الرجل بالسوء، فلم تهتم له ترحّماً، فأنت أسوأ حالاً منه، وإذا ذكرتَ الرجل الصالح فلم تجدْ في قلبك حلاوة طاعة ربك، فأنت رجل سوء.

وقال مالك بن أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ: بلغني أن عيسى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قال: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله؛ فتقسو قلوبكم، والقلب القاسي بعيد من الله تعالى، ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في عيوب الناس كأنكم أرباب وانظروا إليها كأنكم عبيد، وإنما الناس رجلان: مبتلى ومعافى فارحموا صاحب البلاء، واحمدوا الله على العافية.

وروي عن أبي عبدالله الشامي قال: استأذنت على طاووس، فخرج شيخ، فقلت: أنت طاووس؟ فقال: لا، أنا ابنه، فقلتُ له: إن كنت ابنه فإنه لخرِف. فقال: إن العالِم لا يخرف، فدخلت عليه فقال لي: سَلْ وأوجز. فقلت له: إن أوجزت لي أوجزت لك. فقال: إن شئت جمعت لك التوراة والإنجيل والفرقان في ثلاث كلمات؟ فقلت: وددت ذلك. فقال: خَفِ الله خوفاً لا يكون أحد أخوف عندك منه، وارجه رجاءً هو أشد من خوفك إياه، وأحبّ لغيرك ما تحبّ لنفسك.

وعن عمّار بن ياسر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: ثلاث من جمعهن جمع الإيمان كله: الإنفاق في الإقتار، والإنصاف من نفسه، وإفشاء السلام على الخلائق.

وروي عن عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: أحبّ الأمور إلى

---

(١) رواه الترمذي (١٩٢٢) في البر والصلة، باب (١٦)، وقال: حسن صحيح، من حديث جرير بن عبدالله.

الله تعالى ثلاثة: العفو عند المقدرة، والقصد في الحدّة، والرفق بعباد الله تعالى، وما رفق أحدٌ بعباد الله إلا رفق به.

وروى هشام عن الحسن قال: أوحى الله تعالى إلى آدم: يا آدم أربع هن جماع لك ولولدك، يعني جماع الخير، واحدة لي وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، وواحدة بينك وبين الناس. فأما التي لي فأن تعبدني، ولا تشرك بي شيئاً. وأما التي لك، فعملك أجزيك به حين أنت أفقر ما تكون إليه. وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعليَّ الإجابة. وأما التي بينك وبين الناس فاصحبهم بالذي تحبّ أن يصحبوك به. والله أعلم.

* * *

باب خوف الله تعالى

٥٨٤ ـ حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا إسحاق بن عبدالرحمٰن القارىء، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا داود بن المحبّر، عن ميسرة، عن محمد بن زيد، عن سعيد بن المسيب أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ دخلوا على رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا: يا رسول الله من أعلم الناس؟ قال: «العاقل». [قالوا: يا رسول الله من أعبد الناس؟ قال: «العاقل»][1]، قالوا: يا رسول الله، من أفضل الناس؟ قال: «العاقل». قالوا: يا رسول الله أليس العاقل مَن تمّت مروءته، وظهرت فصاحته، وجادت كفّه، وعظمت منزلته؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «﴿**وَإِنْ كُلُّ ذلكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا والآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف: ٣٥] العاقل: المتّقي وإن كان في الدُّنيا خسيساً دنيئاً»[2] يعني بالمتقي الذي يتقي الله عز وجل ويتّقي معاصيه.

وروى مالك بن دينار ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: إذا عرف الرجل من نفسه علامة الخوف وعلامة الرجاء، فقد تمسّك بالأمر الوثيق. أما علامة الخوف فاجتناب ما نهى الله عنه. وأما علامة الرجاء: فالعمل بما أمر الله به. [وقيل: للرجاء والخوف علامتان فعلامة الرجاء: عملك لله بما يرضي. وعلامة الخوف اجتنابك ما نهى الله عنه][3].

قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن الشعبي ـ رضي الله تعالى عنه ـ

---

(١) من (م).
(٢) في إسناده: داود بن المحبّر: متروك، وأكثر كتاب العقل الذي صنّفه موضوعات. (تقريب التهذيب ١/٢٣٤). وميسرة بن عبد ربه، قال أبو داود: أقرّ بوضع الحديث، وقال البخاري: يُرمى بالكذب. وقال ابن حبان: كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، ويَضَعُ الحديث. (ميزان الاعتدال ٤/٢٣٠).
(٣) من (م) و(ط).

عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال لعمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ حين طُعِن: يا أمير المؤمنين أسلمتَ حين كفر الناس، وجاهدتَ مع رسول الله ـ ﷺ ـ حين خذله الناس، وتوفي رسول الله ـ ﷺ ـ وهو عنك راضٍ، ولم يختلفْ عليك اثنان، وقُتِلْتَ شهيداً. فقال عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: المغرور مَن غرّرتموه، والله لو أنّ لي ما طلعتْ عليه الشمسُ لافتديتُ به من هول المطلع.

٥٨٥ ـ وعن الحسن البصري، عن جابر ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «المؤمن بين مخافتين، بين أَجَلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين أَجَل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فليتزوّد العبدُ مِن نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته. فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار»[١].

٥٨٦ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «قال الله عزَّ وجلَّ: وعزّتي وجلالي إني لا أجمعُ على عبدي خوفين، ولا أمنين، مَن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة، ومَن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة»[٢].

٥٨٧ ـ وروي عن عمار بن منصور ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: كنت تحت منبر عدي بن أرطأة، فقال: ألا أحدثكم حديثاً ما بيني وبين رسول الله ـ ﷺ ـ إلا رجل واحد؟ قالوا: نعم. قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنّ لله ملائكةً في السماء السابعة سجوداً منذ خلقهم اللَّهُ إلى يوم القيامة، ترعد فرائصُهم من مخافة الله، فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك»[٣].

وروي عن أبي ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه قال: ليت أمي لم تلدني. فقالت له امرأته: يا أباميسرة،أليس الله قد أحسن إليك، وهداك إلى الإسلام؟ قال:

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (ص١٠٢) مرفوعاً من حديث الحسن، وكذا البيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٨١). ورواه أبو نعيم في الحلية (٢/٥٨) موقوفاً على الحسن.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٩٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٠٨): رواه البزار عن شيخه محمد بن يحيى بن ميمون، ولم أعرفه، وبقية رجال المرسل رجال الصحيح، ورواه الحكيم الترمذي عن الحسن مرسلاً، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن حبان عن أبي سلمة وعن أبي هريرة، كما في (الإتحافات السنية رقم ٢٢١). وانظر (شرح الصدور ص ٥١).

(٣) رواه الديلمي. (كنز العمال ٢٩٨٣٧). وفي إسناده: عدي بن أرطأة: حديثه غير محفوظ. (الضعفاء للعقيلي ٣/٣٧١).

أجل، ولكن الله قد بيّن لنا أنا واردون النار، ولم يبيّن لنا أنا صادرون عنها.

وعن الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: إني لا أغبطُ ملكاً مقرّباً، ولا نبيّاً مرسلاً، أليس هؤلاء يعاتَبُونَ يوم القيامة؟ إنما أغبط مَن لم يخلق.

وقال حكيم من الحكماء: الحزن يمنع الطعام، والخوف يمنع الذنوب، والرجاء يُقوّي على الطاعة، وذِكْر الموت يزهّدُ في الفضول.

٥٨٨ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «إذا اقشعرّ قلبُ المؤمن من خشية الله تعالى تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها»[1].

٥٨٩ ـ وسئل رسول الله ـ ﷺ ـ مَن آلك يا رسول الله؟ قال: «آلي كلّ مؤمن تقي إلى يوم القيامة، ألا إن أوليائي هم المتقون، ولا فضل لأحد منكم على أحد إلا بتقوى الله عز وجل»[2].

٥٩٠ ـ وروى الربيع، عن الحسن، عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «ثلاث منجيات وثلاث مهلكات، فأما المهلكات: فشحّ مُطاع، وهوى مُتّبع، وإعجابُ المرء بنفسه. وأما المنجيات: فالعدلُ في الرّضا والغضب، والاقتصاد في الفاقة والغِنى، وخشية الله عزَّ وجل في السّر والعلانية»[3].

وذُكِر عن الربيع بن خُثيم أنه كان لا يزال باكياً خائفاً ساهراً بالليل، فلما رأت أمّه ما به من الجهد، نادته: أقتلت قتيلاً؟ قال: نعم. قالت: فمن هو حتى نطلب العفو من أوليائه، فوالله لو يعلمون ما تلقاه لرحموك هم. قال: يا أماه، قتلتُ نفسي.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: علامة خوف الله تتبيّن في سبعة أشياء:

أولها: تتبيّن في لسانه، فيمتنع لسانه من الكذب والغيبة وكلام الفضول، ويجعل لسانه مشغولاً بذكر الله وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم.

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٠/١٠): رواه البزار، وفيه: أم كلثوم بنت العباس، ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات. والبيهقي في الشعب (٨٠٣)، وكشف الأستار (٧٤/٤).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٢٥٠٦/٧) في ترجمة نوح بن أبي مريم، وهو متروك.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٤٣/٢)، والبزار والطبراني في الأوسط ببعضه، وفيه زائدة بن أبي الرقاد، وزياد النميري، وكلاهما مختلف في الاحتجاج به. والبيهقي في الشعب (٧٤٥)، وابن عبدالبر في (جامع بيان العلم ١٤٢/١ ـ ١٤٣). كلهم من حديث أنس.

والثاني: أن يخافَ في أمر بطنه، فلا يدخل بطنه إلا طيباً حلالاً، ويأكل من الحلال مقدار حاجته.

والثالث: أن يخافَ في أمر بصره، فلا ينظر إلى الحرام. ولا إلى الدنيا بعين الرغبة، وإنما يكون نظره على وجه العبرة.

والرابع: أن يخافَ في أمر يده، فلا يمدن يده إلى الحرام، وإنما يمد يده إلى ما فيه طاعة الله عز وجل[1].

والخامس: أن يخافَ في أمر قدميه فلا يمشي في معصية الله.

والسادس: أن يخافَ في أمر قلبه، فيخرج منه العداوة والبغضاء وحسد الإخوان، ويدخل فيه النصيحة والشفقة للمسلمين.

والسابع: أن يكونَ خائفاً في أمر طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله، ويخاف الرياء والنفاق، فإذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله فيهم: ﴿**وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[الزخرف: ٣٥]. وقال: ﴿**إِنَّ المتَّقِينَ فِي جنَّاتٍ وَنَعِيم**﴾ [الطور: ١٧]. وقد مدح الله المتقين في كتابه في مواضع كثيرة، وأخبر أنهم ينجون من النار، وقال تعالى: ﴿**وَإِن مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُها كان عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقُوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً**﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢].

قال الفقيه: حدثنا محمد بن محمد بن مندوسة، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا علي بن عاصم، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا الجريري، عن أبي السائل، عن غنيم، عن ابن قيس، عن أبي العوام قال: قال كعب الأحبار: أتدرون ما معنى قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا**﴾؟ قالوا: ما كنا نرى ورودها إلا دخولها. قال: لا. ولكن ورودها أن يجاء بجهنم كأنها نتن إهالة، وهو الودك، حتى إذا استوت عليها أقدام الخلائق، برّهم وفاجرهم، نادى منادٍ: خذي أصحابك، وذري أصحابي. فتخسف بكل ولي لها، وهي أعلم بهم من الوالد بولده، وينجو المؤمنون ندية ثيابهم، وإن الخازنَ من خزنة جهنم معه عمود من حديد له شعبتان شعبة يدفع به الدفعة، فيكبّ في النار سبعمئة ألف، أو كما قال.

٥٩١ ـ وروي عن الحسن، عن عمران بن حصين قال: كنا مع رسول الله ـ

---

(١) في (م): والرابع: أن يخاف في أمر سمعه، فلا يسمع إلا الحقّ.

ﷺ ـ في مسيره، فنزلت هذه الآية: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أتدرون أيّ يوم ذلك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك اليوم الذي يقول الله لآدم: قم فابعثْ بَعْثَ النار وبَعْثَ الجنة، فيقول آدم: أي ربّ فما بَعْثُ النار وما بَعْثُ الجنة؟ فيقول الله تعالى: من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد في الجنة».

فأنشأ القوم يبكون، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لم يكن نبيّ إلا كانت قبله جاهلية، فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن لم يكمل العدد من الجاهلية فيؤخذ من المنافقين. وما مثلكم في الأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة، أو كالشامة في جنب البعير» ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة فكبروا». ثم قال: «إن معكم لخليقتين ما كانتا في شيء إلا كثّرتاه يأجوج ومأجوج، ومن مات من كفرة الجن والإنس»][1].

وعن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لا يغرنك قول من يقول: المرء مع مَن أحبّ، فإنك لن تلحقَ الأبرار إلا بأعمالهم، فإنّ اليهودَ والنصارى وأهل البدعة يحبّون أنبياءهم وليسوا معهم.

٥٩٢ ـ وعن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان غدُه شراً من يومه فهو ملعون، ومن لم يكن في الزيادة فهو في النقصان، ومن كان في النقصان فالموتُ خير له»[2].

وروي عن كعب الأحبار ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إنّ لله تعالى داراً من زمردة أو من لؤلؤة فوقها لؤلؤة، فيها سبعون ألف دار، وفي كل دار سبعون ألف بيت، لا ينزلها إلا نبي، أو صديق، أو شهيد، أو إمام عادل، أو رجل حكم في نفسه. قيل: وما الحكم في نفسه؟ قال: الذي يعرض له الحرام فيتركه مخافة الله عز وجل.

٥٩٣ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: سمعتُ أبي ـ رحمه الله ـ يقول: كان رجلٌ على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ يقال له حنظلة، قال: كنا عند رسول الله ـ ﷺ ـ فوعظنا موعظة رقّت لها القلوب، وذرفت منها العيون، وعرفتنا أنفسنا، فرجعت إلى أهلي

---

(١) رواه الترمذي (٣١٦٨) و(٣١٦٩) في تفسير القرآن، باب: (٢٣). وقال: حسن صحيح.
(٢) رواه البيهقي في الزهد رقم (٩٨٧). وقال العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ٣٣٥): لا أعلم هذا إلا في منامٍ لعبد العزيز بن أبي رواد.

فدنت مني المرأة، وجرى بيننا من حديث الدنيا، فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله ـ ﷺ ـ وأخذنا في حديث الدنيا، ثم تذكّرت ما كنت فيه، فقلت في نفسي: قد نافقتُ حين تحوّل عني ما كنت فيه من الخوف والرقة، فخرَجت، فجعلتُ أنادي: نافق حنظلة، فاستقبلني أبو بكر فقال: كلا. لم تنافق يا حنظلة، فدخلت على النبي ـ ﷺ ـ وأنا أقول: نافق حنظلة، نافق حنظلة، فقال: «كلا لم تنافق يا حنظلة». فقلت: يا رسول الله، كنّا عندك، فوعظتنا موعظة وجلتْ منها القلوب، وذرفت منها العيون، وعرفتنا أنفسنا، فرجعت إلى أهلي، فأخذنا في حديث الدنيا، ونسيت ما كنا عندك عليه فقال:

«يا حنظلة إنكم لو كنتم على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطريق، ولزارتكم في دوركم وعلى فُرشكم. ولكن يا حنظلة ساعة فساعة»(1).

٥٩٤ ـ وروي عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أنها قالت: سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن قول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾ [المؤمنون: ٦٠] الآية أَهُم الذين يعملون بالمعاصي ويخافون؟ قال: «لا، ولكن هم الذين يعملون بالطاعة ويخافون أن لا تقبلَ منهم»(2).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: مَن عمل الحسنة يحتاج إلى خوف أربعة أشياء، فما ظنك بمن يعمل السيئة؟.

أولها: خوف عدم القبول لأن الله تعالى قال: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: ٢٧].

والثاني: خوف الرياء، لأن الله تعالى قال: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة: ٥] الآية.

والثالث: خوف التسليم والحفظ، لأن الله تعالى قال: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾ [الأنعام: ١٦٠]. فاشترط المجيء بها إلى دار الآخرة.

والرابع: خوف الخذلان لطاعة أخرى، لأنه لا يدري أنه هل يوفق لها أم لا. لقول الله تعالى: ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [هود: ٨٨].

---

(1) رواه مسلم (٢٧٥٠) في التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر.

(2) رواه الترمذي (٣١٧٥) في تفسير القرآن، باب (٢٤)، وابن ماجه (٤١٩٨) في الزهد، باب: التوقّي على العمل، والحاكم (٢/٣٩٣ ـ ٣٩٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

باب ما جاء في ذكر الله تعالى

٥٩٥ ـ قال الفقيه أبو الليث ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد، حدثنا فارس بن مرديه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا أبو أسامة، عن عبدالحميد بن جعفر، حدثنا صالح بن أبي كريب، عن كثير بن مرة قال: سمعت أبا الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ يقول:

ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأحبّها إلى مليككم، وأنماها ثواباً، وخير من أن تغزوا عدوّكم، فتضربوا رقابهم، ويضربوا رقابهم، وخير من إعطاء الدراهم والدنانير؟ قالوا: وما هو يا أبا الدرداء؟ قال: ذكر الله، وذكر الله أكبر[1].

٥٩٦ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الحجاج، عن أبي جعفر، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «أشدّ الأعمال ثلاثة: إنصاف الرجل من نفسه، ومواساة الأخ في المال، وذكر الله تعالى على كلّ حال»[2].

وروي عن معاذ بن جبل ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل. قيل: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٥٩٧ ـ وعن الحسن البصري. قال: قيل: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «أن تموتَ ولسانُك رطبٌ بذكر الله»[3].

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٧) مرفوعاً، في الدعاء، باب (٦)، وابن ماجه (٣٧٩٠) في الأدب، باب: فضل الذكر، وأحمد (٦/٤٤٦).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد ص (٢٥٧).

(٣) رواه ابن حبان (٢/٩٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٧٤): رواه الطبراني بأسانيد، وفي هذه =

وقال مالك بن دينار ـ رحمه الله تعالى ـ: من لم يأنسْ بحديث الله عز وجل عن حديث المخلوقين؛ فقد قلّ عمله، وعمي قلبه، وضيّع عمره.

٥٩٨ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «ذِكْر الله علم الإيمان، وبراءةٌ من النفاق، وحصنٌ من الشيطان، وحِرْزٌ من النار».

٥٩٩ ـ وروى وهب بن منبه، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال: «لما بعث الله يحيى بن زكرياء عليهما السلام إلى بني إسرائيل أمره بأن يأمرهم بخمس خصال، ويضرب لهم بكل خصلة مثلاً: أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وضرب لهم مثلاً، فقال: مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله، ثم أسكنه داراً وزوجه جارية له، ودفع إليه مالاً، وأمره أن يتّجر فيه، ويأكل منه ما يكفيه، ويؤدّي إليه فضل الربح، فعمد العبد إلى فضل ربحه فجعل يعطيه لعدو سيده، ويعطي لسيده منه شيئاً يسيراً، فأيّكم يرضى بمثل هذا العبد؟.

وأمرهم بالصلاة، وضرب لهم مثلاً فقال: مثل الصلاة كمثل رجل استأذن على ملك من الملوك، فأذن له فدخل عليه، فأقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته، ويقضي حاجته، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً ولم يهتمّ لقضاء حاجته، فأعرض عنه الملك ولم يقض حاجته.

وأمرهم بالصيام، وضرب لهم مثلاً فقال: مثل الصائم كمثل رجل لبس جبّة للقتال، وأخذ سلاحه، فلم يصل إليه عدوه، ولم يعمل فيه سلاح عدوه.

وأمرهم بالصدقة، وضرب لهم مثلاً فقال: مثل الصدقة كمثل رجل أسره العدو، فاشترى منهم نفسه بثمن معلوم، فجعل يعمل في بلادهم ويؤدي إليهم من كسبه من القليل والكثير حتى فدى نفسه منهم، فعتق وفكّ منهم رقبته.

وأمرهم بذكر الله، وضرب لهم مثلاً فقال: مثل الذكر كمثل قوم لهم حصن، وبقربهم عدوّ، فجاءهم عدوّهم فدخلوا حصنهم وأغلقوا عليهم بابه، فحصنوا أنفسهم من العدو».

= الطريق خالد بن يزيد بن عبدالرحمٰن بن أبي مالك، ضعّفه جماعة، ووثّقه أبو زرعة الدمشقي وغيره، وبقية رجاله ثقات. ورواه البزار من غير طريقه، وإسناده حسن، من حديث معاذ.

ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «و أنا آمركم بهذه الخصال الخمس التي أمر الله تعالى بهن يحيى ـ عليه الصلاة والسلام، وآمركم بخمس خصال أخرى أمرني الله تعالى بهن: عليكم بالجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد، ومن دعا بدعاء الجاهلية فهو في جُثا جهنم»[1].

٦٠٠ ـ وعن عبيدالله بن عمير قال: من قال الحمد لله تفتح له أبواب السماء، والتكبير يملأ ما بين السماء والأرض، والتسبيح لله تعالى لا ينتهي إلى ثوابه علم أحد دون الله تعالى. «قال الله تعالى: إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإذا ذكرني وحده ذكرتُه وحدي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرتُه في ملأ أحسن منه وأكرم»[2].

وقال: ما من عبد يضع جنبه على الفراش، فيذكر الله تعالى، فيدركه النوم وهو كذلك، إلا كتب ذاكراً إلى أن يستيقظ. قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: الذكر من الله عز وجل العفو والمغفرة، فإذا ذكر العبد الله تعالى ذكره الله تعالى بالمغفرة.

وذكر عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: الذكر بين الذكرين، والإسلام بين السيفين، والذنب بين الفرضيْن.

وإنما أراد بقوله «الذكر بين الذكرين»؛ يعني أن العبد لا يقدر على ذكر الله تعالى ما لم يذكره الله تعالى بالتوفيق، وإذا ذكر الله تعالى ذكره الله تعالى بالمغفرة. ومعنى قوله: «الإسلام بين السيفين»؛ يعني يقاتل حتى يسلم، ثم إذا رجع عن الإسلام يقتل. ومعنى قوله: «الذنب بين الفرضين»؛ يعني فرض عليه أن لا يذنب فإذا أذنب فرض عليه أن يتوب.

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿**مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ**﴾ [الناس: ٤] قال: هو الشيطان جاثم على القلب، فإذا ذكر الله تعالى خَنَس، فإذا غفل وَسْوس.

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٦٣) في الأمثال، باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، وقال: حسن صحيح غريب، وابن حبان (٦٢٠٠)، والحاكم (١/ ٢٣٦)، كلهم من حديث الحارث الأشعري. «جُثا جهنم»: هم الجماعة المحكوم عليهم بالنار.

(٢) رواه البخاري (٧٤٠٥) في التوحيد، باب (١٥)، ومسلم (٢٦٧٥) «٢١» في الذكر والدعاء، باب: فضل الذكر.

٦٠١ ـ وعن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «لكل شيء صقال، وصقال القلب ذكر الله تعالى»[(١)].

وعن إبراهيم النَّخَعي أنه قال: إذا دخل الرجل بيته فسلّم، قال الشيطان: لا مقيل؛ يعني لم يبق لي ههنا موضع قرار، وإذا أُتي بطعام فذكر الله تعالى، قال الشيطان: لا مقيل ولا مطعم، فإذا أُتي بشراب؛ فسمّى الله تعالى، قال الشيطان: لا مقيل ولا مطعم، ولا مشرب؛ فيخرج خائباً.

٦٠٢ ـ وعن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إذا أكل أحدُكم طعاماً فليقل: بسم الله، فإن نسي في أوله فليقل في آخره: بسم الله في أوّله وآخره»[(٢)].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إذا أكل أحدكم طعاماً ولم يقل بسم الله أكل الشيطان معه، وإذا ذكر اسم الله تعالى منع الشيطان من بقية طعامه وتقايا ما أكل واستأنف طعاماً جديداً.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر قال: حدثنا أحمد بن محمد، قال: حدثنا نصر بن يحيى، قال: حدثنا أبو مطيع، عن الربيع بن بدر، عن أبي محمد، وكان أبو محمد رجلاً من أصحاب أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال إبليس لربه: أي رب، جعلت لبني آدم بيوتاً يذكرونك فيها، فما بيتي؟ قال: الحمام. قال: فجعلت لهم مجالس فما مجلسي؟ قال: السوق. قال: فجعلت لهم قراءة فما قراءتي؟ قال: الشعر. قال: فجعلت لهم حديثاً فما حديثي؟ قال: الكذب. قال: فجعلت لهم أذاناً فما أذاني؟ قال: المزمار. قال: فجعلت لهم رسلاً فما رسلي؟ قال: الكهنة. قال: فجعلت لهم كتاباً فما كتابي؟ قال: الوشم. قال: فجعلت لهم مصائد فما مصائدي؟ قال: النساء. قال: فجعلت لهم طعاماً فما طعامي؟ قال: ما لم يذكر عليه اسمي. قال: فجعلت لهم شراباً فما شرابي؟ قال: كلّ مسكر.

وعن الفضيل بن عياض ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: جاء رجل فقال:

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٥٢٢)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٣٩٦) وعزاه لابن أبي الدنيا والبيهقي.

(٢) رواه أبو داود (٣٧٦٧) في الأطعمة، باب: التسمية على الطعام، والترمذي (١٨٥٩) في الأطعمة، باب: التسمية على الطعام، والبيهقي(٧/٢٧٦)، وابن حبان(٥١٩١)، وأحمد (٦/٢٠٨).

أوصني بشيء. فقال له فضيل: احفظ عني خمساً:

أولها: أنّ ما أصابك من شيء فقل ذلك بقضاء الله تعالى حتى ترفع الملامة عن الخلق.

والثاني: احفظْ لسانك لينجو كل الخلق منك، وأنت تنجو من عذاب الله تعالى.

والثالث: صدق ربك بما وعدك من الرزق حتى تكون مؤمناً.

والرابع: استعدّ للموت حتى لا تموت غافلاً.

والخامس: اذكرِ اللَّهَ كثيراً حيثما كنت حتى تكونَ محصناً من جميع السيئات.

وذُكِر عن إبراهيم بن أدهم أنه رأى رجلاً يحدث بشيء من كلام الدنيا، فوقف عليه وقال: أهذا كلام ترجو فيه الثواب؟ فقال الرجل: لا. قال: أفتأمن فيه من العقاب؟ قال: لا. قال: فما تصنع بكلام لا ترجو فيه ثواباً، ولا تأمن فيه عقاباً؟ عليك بذكر الله تعالى.

٦٠٣ ـ وقال كعب الأحبار ـ رضي الله تعالى عنه ـ: إنا نجد في كتاب الله تعالى المنزل على أنبيائه «إن الله تعالى يقول: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين»[1].

وقال فضيل بن عياض ـ رضي الله تعالى عنه ـ: إنَّ البيتَ الذي يُذكر فيه اسم الله تعالى ـ يضيء لأهل السماء كما يضيء المصباح لأهل البيت المظلم، وإنّ البيتَ الذي لا يُذكر فيه اسم الله تعالى يظلم على أهله.

وروي في الخبر أن موسى ـ عليه السلام ـ قال: يا رب كيف لي أن أعلمَ مَن أحببتَ ممن أبغضتَ؟ قال: يا موسى إني إذا أحببتُ عبداً جعلتُ فيه علامتين، قال: يا رب وما هما؟ قال: ألهمه ذكري لكي أذكره في ملكوت السماوات والأرض، وأعصمه من محارمي وسخطي كي لا يحلّ عليه عذابي ونقمتي. يا موسى وإني إذا أبغضت عبداً جعلت فيه علامتين قال: يا رب وما هما؟ قال: أنسيه ذكري، وأخلي بينه وبين نفسه لكي يقعَ في محارمي بسخطي؛ فيحلّ عليه عذابي ونقمتي.

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٥٧٢)، والبخاري في خلق أفعال العباد ص (١٠٥) من حديث عبدالله بن عمر عن أبيه عن جده. ورواه البيهقي في الشعب (٥٧٣)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٣٣٧) من حديث جابر.

٦٠٤ ـ وروى أبو المليح عن أبيه أنّ رجلاً من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ كان رديفه على دابة، فعثرت بهما الدابة، فقال الرجل: تعس الشيطان. فقال النبي ـ ﷺ ـ: «لا تقل تعس الشيطان، فإنه عند ذلك يتعاظمُ حتى يكونَ ملء البيت، ولكن قُل بسم الله فإنه يصغر عند ذلك حتى يكون مثل الذباب»[١].

٦٠٥ ـ وروى داود بن قيس ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن نافع بن جبير أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «كفّارة المجلس إذا أراد أحدكم أن يقوم من مجلسه أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوبُ إليك. فإن كان مجلس ذكر كان كالطابع عليه إلى يوم القيامة، وإن كان مجلس لغو كان كفارة لما قبله»[٢].

٦٠٦ ـ قال: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد بإسناده، عن محمد بن واسع قال: قدمتُ من مكة، فلقيت أخا سالم بن عبدالله يحدث عن أبيه، عن جدّه عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

«من دخل السوق، فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحيي ويُميت، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير؛ كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة».

قال: فقدمت خراسان، فأتيت قتيبة بن مسلم فقلت: قد أتيتك بهدية، فحدثته بالحديث، فكان قتيبة يركبُ في موكبه حتى يأتي السوق فيقول بهذه الكلمات، ثم ينصرف[٣].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: اعلم أن ذكر الله تعالى أفضل العبادات؛ لأنّ الله تعالى جعل لسائر العبادات مقداراً، وجعل لها أوقاتاً، ولم يجعل لذكر الله تعالى مقداراً ولا وقتاً، وأمر بالكثرة بغير مقدار، وهو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً**﴾ [الأحزاب: ٤١] يعني اذكروه في جميع الأحوال.

وتفسير الذكر في الأحوال كلها: أن العبد لا يخلو من أربعة أحوال: أن يكون

---

(١) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٥٥٥)، وابن السني (٥١٠)، والحاكم (٤/٢٩٢) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٤٢٤)، والحاكم (١/٥٣٧) وصححه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٤٢): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه الترمذي (٣٤٢٨) في الدعوات، باب: ما يقول إذا دخل السوق، وقال: حديث غريب، وابن ماجه (٢٢٣٥) في التجارات، باب: الأسواق ودخولها، والحاكم (١/٥٣٨).

في الطاعة، أو في المعصية، أو في النعمة، أو في الشدة. فإن كان في الطاعة فينبغي أن يذكر الله تعالى بالتوفيق، ويسأله القبول، وإن كان في المعصية فينبغي أن يدعو الله بالامتناع، ويسأله التوبة، وإن كان في النعمة يذكره بالشكر، وإن كان في الشدة يذكره بالصبر.

واعلم أنّ في ذكر الله تعالى خمس خصال محمودة:

أولها: أن فيه رضا الله تعالى.

والثاني: أنه يزيد في الحرص على الطاعات.

والثالث: أن فيه حِرْزاً من الشيطان إذا كان ذاكراً لله تعالى.

والرابع: أن فيه رقّة القلب.

والخامس: أن يمنعه من المعاصي.

* * *

باب الدّعاء

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبي قال: حدثنا أبو بكر إبراهيم قال: حدثنا سالم بن أبي مقاتل القاضي، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: من رزق خمساً لم يحرم خمساً:

من رزق الشكر لم يحرم الزيادة، لقوله تعالى: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم: ٧].

ومن رزق الصبر لم يحرم الثواب لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: ١٠].

ومن رزق التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**﴾ [الشورى: ٢٥].

ومن رزق الاستغفار لم يحرم المغفرة لقوله تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً**﴾ [نوح: ١٠].

ومن رزق الدعاء لم يحرم الإجابة لقوله تعالى: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠].

وقد روي السادس: من رزق الإنفاق لم يحرم الخلف لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾ [سبأ: ٣٩].

وقد روي السابع: ومن أعطى الجهد لا يُحرم التوفيق، لقوله تعالى: ﴿**والذين جَاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٦٠٧ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل. قال: حدثنا محمد بن جعفر. قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن ليث، عن زيادة بن المغيرة، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ما من مسلم يدعو بدعاء إلا

استجيب له، فإما أن يعجل له في الدنيا، وإما أن يدّخر لـه في الآخرة، وإمـا أن يكفّر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رحم»[1].

وعن يزيد الرقاشي ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إذا كان يوم القيامة عـرض الله تعالى كلّ دعوة دعا بها العبد في الدنيا فلم يجبْ بهـا، فيقول لـه: عبدي دعـوتني يوم كذا فأمسكت عليك دعـوتك، فهـذا الثواب مكـان ذلك الـدعاء، فـلا يزال العبـدُ يُعطى من الثواب حتى يتمنّى أنه لم يكن أجابه في الدنيا دعوةً قط.

٦٠٨ ـ وروى النعمـان بن بشير ـ رضي الله تعـالى عنـه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنـه قال: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠][2].

وقال أبو ذر الغفـاري: يكفي من الدعـاء، مع البـرّ؛ مثل مـا يكفي الطعـام من الملح.

٦٠٩ ـ وعن الحسن البصري، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قـال: «لا يزال العبـد بخير ما لم يستعجل». قالوا: وكيف يستعجل يا رسول الله؟ قال: «يقول دعوتُ الله ودعوتُ فلم يستجب لي»[3].

وعن الحسن أنه دخل على أبي عثمـان النهدي يعـوده وهو مـريض، فقال لأبي عثمان: يا أبا عثمان، ادعُ الله بدعوات فقد بلغك في دعاء المريض ما قيل فيه، قال: فحمد الله وأثنى عليه، وتلا آياتٍ من كتاب الله تعالى، وصلى على النبي ـ ﷺ ـ، ثم رفع يده، ورفعنا أيدينا، فدعا فلما وضعنا أيدينا قال: أبشروا، فوالله لقـد استجاب الله لكم. فقـال الحسن: أتـأتلي على الله؟ قـال: نعم يـا حسن، لـو حـدثتني بحـديث لصدقتك، فكيف لا أصدّقه وهـو يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافـر: ٦٠] فلما خرجوا قال الحسن: إنه لأفقه مني.

---

(١) رواه أحمد (٢/٤٤٨)، وذكره الهيثمي في مجمـع الزوائـد (١٠/١٤٨): وفيه ليث بن أبي سليم، وهـو مدلس، وبقية رجاله ثقات، والحاكم (١/٤٩٧).

(٢) رواه أبو داود (١٤٧٩) في الصلاة، باب: الدعـاء، والترمـذي (٣٣٧٢) في الدعـاء، باب: مـا جاء في فضل الدعاء، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٨٢٨) في الدعاء، باب: فضل الدعـاء، وابن حبان (٨٨٧)، والحاكم (١/٤٩١). «داخرين»: صاغرين أذلّاء.

(٣) رواه البخاري (٦٣٤٠) في الدعوات، باب: يُستجاب للعبد ما لم يعْجل، ومسلم (٢٧٣٥) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب (٢٥)، من حديث أبي هريرة.

وذكـر أن موسى ـ عليـه السلام ـ سـأل ربه، فقـال: أيّ سـاعـة أدعـوك يـا ربّ فتستجيب لي فيها؟ فقال: أنـت عبدي، وأنا ربّك، فمتى دعوتني أستجب، فعـاوده مراراً، فقال له ربّه: ادعني في كبد الليل فإني أستجيبُ، وإن دعاني فيها عشّار[1].

وذكر أن رابعة العدوية خرجت إلى المقبرة، فاستقبلها رجـلٌ فقال: لهـا: ادعي الله لي. فقالت: يرحمك الله، أطعِ اللَّهَ، وادْعُه فإنه يجيبُ المضطر إذا دعاه.

٦١٠ ـ وروى الأعمش عن مالك بن الحارث قال: «يقول الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»[2].

وعن جعفر بن بُرْقان[3]، عن صالح بن مسمار، قال: يقول الله تعـالى: تدعـونني وقلوبكم معرضة عني فباطل ما تذهبون.

وقيـل لبعض الحكماء: إنـا لنـدعـو فـلا يستجـاب لنـا، وقـد قـال الله تعـالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافـر: ٦٠] قال: لأن فيكم سبـع خصال تمنـع دعاءكم من السماء. قيل: وما هن؟ قال:

أولهـا: أنكم أسخـطتم ربكم ولم تـطلبـوا رضـــاه، يعني أنكم تعملون أعمـالاً توجب عليكم السّخط من الله بها ولم ترجعوا عن ذلك، ولم تندموا على ما فعلتم.

والثاني: أنكم تقولون نحن عبيد الله، ولا تعملون عمل العبيد. يعني أنّ العبـدَ يعمل بما أمره سيده ولا يخرج عن أمره.

والثالث: أنكم تقرؤون القرآنَ ولم تتعاهـدوا حروفـه، يعني لا تقرؤون بـالتفكّر والتّعظيم ولا تعملون بما أمر الله فيه.

والرابع: أنكم تقـولون نحن أمـة محمد ـ ﷺ ـ ولم تعملوا بسنتـه. يعني أنكم تعملون بالرسم ـ العادة ـ ولا تعملون بالسنّة.

والخامس: أنكم تقولون إن الدنيا عارية، وقد اطمأننتم إليها.

والسادس: أنكم تأكلون الحرام والشبهة، ولا ترجعون عنهما.

---

(١) «عشّار»: هو الذي يأخذ عشر الأمـوال، وهو مـا كان يُؤخـذ في الجاهليـة.

(٢) فيه الأعمش: ثقة حافظ، لكنه يدلس. (تقريب التهذيب ١/٣٣١).

(٣) هو جعفر بن بُرْقان الكـلابي، أبو عبـدالله الرّقي، صـدوق يَهِم في حديث الـزهري. (تقـريب التهذيب ١/١٢٩).

والسابع: أنكم تقولون: إنّ الآخرة خير من الدنيا، ولا تجتهدون في طلبها وتختارون الدنيا على الآخرة.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: ينبغي لمن دعا الله أن يكونَ بطنه طاهراً من الحرام فإن الحرام يمنع الإجابة.

٦١١ ـ وقد روي عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: يا رسول الله أدعو الله فلا يستجيب لي دعائي، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «يا سعد، اجتنبِ الحرام، فإنّ كلّ بطن دخل فيه لقمة من حرام لا يستجاب دعاؤه أربعين يوماً»[1].

وينبغي لمن دعا أن لا يستعجل؛ لأنّ الداعي إذا دعا الرب تبارك وتعالى أجابه الرب عز وجل البتة، وربما تتبيّن الإجابة من ساعته، وربما تتبيّن في وقت آخر، وربما تتبيّن في الآخرة ولا تتبيّن في الدنيا.

وذكر في الخبر أن موسى ـ عليه السلام ـ دعا على فرعون وقومه بالهلاك وأمّن هارون ـ عليه السلام ـ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهما ﴿**قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا**﴾ [يونس: ٨٩]. قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: كان بين الدعاء والإجابة أربعون سنة.

٦١٢ ـ وروى يزيد الرقاشي ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إذا أحبّ الله عبداً ضرب وجهه بالبلاء كما تضرب الغريبة من الإبل عن حياض الماء، فيكون مرحوماً في أهل السماء. وما من دعوة يدعو بها إلا أعطاه الله تعالى إحدى خصال ثلاث»[2] وقد ذكرناها.

وقال بعض الحكماء: أربعة لا سعادة فيهم:

أحدهم: الذي يبخل بالصلاة والسلام على النبي ـ ﷺ ـ.

والثاني: الذي لا يجيبُ المؤذن.

والثالث: من استعان به إنسانٌ بخير فلا يعينه.

والرابع: الذي يعجزُ أن يدعو لنفسه وللمؤمنين دُبر صلواته.

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٩١): رواه الطبراني في الصغير، وفيه من لم أعرفهم، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٥٤٧).

(٢) في إسناده: يزيد الرقاشي: ضعيف. (تقريب التهذيب ٢/٣٦١).

وقال عبدالله الأنطاكي ـ رضي الله تعالى عنه ـ: دواء القلب خمسة أشياء: مجالسة الصالحين، وقراءة القرآن، وإخلاء البطن من الحرام، وقيام الليل، والتضرع عند الصبح.

٦١٣ ـ وروى ابن عباس، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفّكم، ولا تسألوه بظهورها، وامسحوا بها وجوهكم»[1].

* * *

(١) رواه الحاكم (١/٥٣٦)، وأبو داود (١٤٨٥) برواية أطول، وقال: روي هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب من طُرُق كلّها واهية، وهذا الطريق أمثلها، وهو ضعيف أيضاً. ورواه برقم (١٤٨٦) عن مالك بن يسار السكوني من دون الجملة الأخيرة.

باب ما جاء في التّسبيح

٦١٤ ـ قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا محمد بن الفضل الضبي، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده»[1].

٦١٥ ـ قال: وحدثني الثقة بإسناده عن خالد بن عمران أن النبي ـ ﷺ ـ خرج على قومه فقال: «خذوا جُنّتكم». فقالوا: يا رسول الله، أمن عدو حضر؟ قال: «لا، بل من النار»، قالوا: وما جنتنا من النار؟ قال: «سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومجنبات ومعقبات، وهن الباقيات الصالحات»[2].

ومعنى قوله ـ ﷺ ـ «مقدمات» يعني يقدمن صاحبهن إلى الجنة. و«مجنبات» يعني يجنبن صاحبهن النار. و«معقبات» يعني حافظات.

٦١٦ ـ قال: وحدثني الثقة بإسناده عن الضحاك عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: جاء إسرافيل ـ عليه السلام ـ إلى النبي ـ ﷺ ـ وقال:

«قل يا محمد: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. عدد ما علم الله تعالى، وزنة ما علم الله تعالى، وملء ما

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٦) في الدعوات، باب: فضل التسبيح، ومسلم (٢٦٩٤) في الذكر والدعاء، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٨٤٨)، والحاكم (١/٥٤١)، والبيهقي في الشعب (٦٠٦)، كلهم من حديث أبي هريرة.

علم الله تعالى، فمن قالها مرة كتب الله له خمس خصال؛ كتب من الذاكرين الله كثيراً، وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار، وكان له غرساً في الجنة، وتحاتت عنه ذنوبه كما يتحاتّ ورق الشّجر اليابس، ونظر الله إليه، ومن نظر إليه لم يعذبه»[1].

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال: إن الله تعالى لما خلق العرش أمر الحملة بحمله، فثقل عليهم. فقال الله تعالى: قولوا: سبحان الله، فقالت الملائكة سبحان الله، فتيسر عليهم حمله، وجعلوا يقولون طول الدهر: سبحان الله إلى أن خلق الله آدم عليه السلام، فلما عطس آدم ـ عليه السلام ـ ألهمه الله تعالى قول الحمد لله، فقال الله تعالى: يرحمك ربك. ولهذا خلقتك. فقالت الملائكة: كلمة ثانية جليلة شريفة، لا ينبغي لنا أن نتغافلَ عنها، فضمتها إلى هذه.

فقالوا على طول الدهر: سبحان الله والحمد لله إلى أن بعث الله نوحاً ـ عليه السلام ـ. وكان أول من اتخذ الأصنام قوم نوح، فأوحى الله تعالى إلى نوح أن يأمر قومه أن يقولوا لا إله إلا الله، فيرضى عنهم. فقالت الملائكة: هذه كلمة ثالثة جليلة شريفة لا ينبغي لنا أن نتغافل عنها فضمتها إلى هاتين، فجعلوا يقولون على طول الدهر. سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، إلى أن بعث الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ فأمره بالقربان، ثم فداه بكبش، فلما رأى الكبش قال: الله أكبر فرحاً بذلك. فقالت الملائكة: هذه كلمة رابعة جليلة شريفة فضمتها إلى هذه الكلمات، فجعلوا يقولون: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

فلما حدث جبريل ـ عليه السلام ـ بهذا الحديث النبي ـ ﷺ ـ قال تعجباً: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، فقال جبريل ـ عليه السلام ـ: اضمم هذه الكلمة إلى هؤلاء الكلمات[2].

٦١٧ ـ وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، إن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب. فإذا أحب الله عبداً أعطاه الإيمان فمن ضن بالمال أن ينفقه، وخاف

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٩٠): ـ رواه ابن ماجه باختصار ـ ورواه الطبراني بإسنادين في أحدهما عمر بن راشد اليمامي، وقد وثّقه على ضعفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. من حديث أبي هريرة.

(٢) زاد في (م): وقد تمّت هذه الكلمات في رأس ثمانمائة ألف سنة.

العدو أن يجاهده، وهاب الليل أن يكابده، فيكثر من قوله: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله[1].

٦١٨ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لأن أقولَ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبّ إليَّ مما طلعت عليه الشمسُ»[2].

٦١٩ ـ وروى سمرة بن جندب عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أفضل الكلام أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت»[3].

وروي عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه كان إذا سمع سائلاً يسأل شيئاً ويقول: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ [البقرة: ٢٤٥] فيقول عبدالله بن مسعود: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وقال: هذا هو القرض الحسن.

قال الفقيه: يعني إذا كان الرجل معسراً، ولم يكن معه شيء يتصدّق به، فليقلْ هذه الكلمات، فينال فضلَ الصدقة.

٦٢٠ ـ وروي في الخبر أن النبي ـ ﷺ ـ حثّ أصحابه على الصدقة فجعل الناس يتصدقون، وأبو أمامة الباهلي جالس بين يدي النبي ـ ﷺ ـ وهو يحرّك شفتيه، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنك تحرك شفتيك، فماذا تقول عند ذلك؟» فقال أبو أمامة الباهلي: يا رسول الله، أرى الناس يتصدّقون، وليس لي شيء أتصدق به، فأقول في نفسي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فقال النبي ـ ﷺ ـ: «يا أبا أمامة هذه الكلمات خير لك من مدّ ذهب تتصدّق به على المساكين»[4].

* * *

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩): رواه الطبراني موقوفاً، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٥) في الذكر والدعاء، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، والترمذي (٣٥٩٧) في الدعوات، باب: في العفو والعافية، وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم (٢١٣٧) في الآداب، باب: كراهة التسمية بالأسماء القبيحة، وابن ماجه (٣٨١١) في الأدب، باب: فضل التسبيح، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٤٥)، وأحمد (٥/ ٢١).

(٤) رواه أحمد (٥/ ٢٤٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٣): رواه الطبراني من طريقين، وإسناد أحدهما حسن. ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة (١٦٦)، وابن حبان (٢٣٣١/ موارد)، والحاكم (١/ ٥١٣).

باب فضل الصّلاة على النّبي ﷺ

٦٢١ ـ قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا ابن أبي فديك، عن يحيى بن عبدالرحمٰن ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن جدّه محمد بن عبدالرحمٰن، أنّ النبي ـ ﷺ ـ قال: «ما منكم مِن أحد سلّم عليّ إذا مت إلا جاءني جبريل، فقال جبريل: يا محمد هذا فلان بن فلان يقرئك السلام، فأقول: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته»[1].

٦٢٢ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن سعيد بن المسيب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال عمر: بلغني أن الدعاء [موقوف] بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء، حتى تصلّي على نبيك عليه السلام[2].

٦٢٣ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر ـ رضي الله تعالى عنه ـ، حدثنا أبو بكر بن أبي يزيد، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن سلمة عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ صعد المنبر فقال: «آمين» ثم صعد، فقال: «آمين»، ثم صعد، فقال: «آمين» ثم استوى فجلس، فقال له معاذ بن جبل: صعدت فأمّنت ثلاثاً قال: «أتاني جبريل، فقال: يا محمد من أدرك رمضان فلم يغفر له، فمات فدخل النار فأبعده الله، قلت: آمين، وقال: من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قلت: آمين، وقال: ومن ذكرت عنده فلم

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٤١) في المناسك، باب: زيارة القبور، وأحمد (٢/٥٢٧) بنحوه من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي (٤٨٦) في الصلاة، باب (٣٥٢)، وما بين حاصرتين مستدرك من مصدر التخريج. وقال الشيخ أحمد شاكر: هذا موقوف في حكم المرفوع. وقال القاضي أبو بكر بن العربي: مثل هذا إذا قاله عمر لا يكون إلا توقيفاً؛ لأنه لا يُدرَك بنظر.

يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله، قلت: آمين»[1].

٦٢٤ ـ وروي عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «من صلّى عليّ في اليوم مئة مرة، قضى الله له مئة حاجة، سبعين منها في الآخرة، وثلاثين في الدنيا»[2].

٦٢٥ ـ وعن سعيد بن عمير الأنصاري وكان بدرياً، أي قاتل يوم بدر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من صلّى عليّ من أمتي مُخلصاً مِن قلبه صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، ورفع له عشر درجات، ومحا عنه عشر سيئات»[3].

قال: وسمعت أبي يحكي قال: كان سفيان الثوري بينما هو يطوف إذ رأى رجلاً لا يرفع قدماً، ولا يضع قدماً إلا وهو يصلي على النبي ـ ﷺ ـ قال: قلت له: يا هذا، إنك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت على الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ هل عندك في هذا شيء؟ قال: مَن أنت عافاك الله؟ فقلت: أنا سفيان الثوري. قال: لولا أنك غريب في أهل زمانك، ما أخبرتك عن حالي، ولا أطلعتك على سري.

ثم قال لي: خرجت أنا ووالدي حاجين إلى بيت الله الحرام، حتى إذا كنت في بعض المنازل، مرض والدي، فقمتُ لأعالجه، فبينما أنا ذات ليلة عند رأسه إذ مات والدي، واسودّ وجهه فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، فجذبت الإزار على وجهه فغطيته، فغلبتني عيني فنمت، فإذا أنا برجل لم أر أحسن منه وجهاً، ولا أنظف منه ثوباً، ولا أطيب منه ريحاً، يرفع قدماً ويضع أخرى حتى دنا من والدي، فكشف الإزار عن وجه فأمرَّ يده على وجهه، فابيضّ، ثم ولّى راجعاً، فتعلقت بثوبه، فقلت: يا عبدالله، من أنت الذي منّ الله على والدي بك في أرض الغربة؟ فقال: أو ما تعرفني، أنا محمد بن عبدالله صاحب القرآن، أما إنّ والدك كان مسرفاً على نفسه، ولكن كان يكثر الصلاة عليّ، فلما نزل به ما نزل، استغاث بي وأنا غياث لمن أكثر الصلاة عليّ، فانتبهت فإذا وجه أبي أبيض[4].

---

(١) رواه ابن النجار. (كنز العمال ٢٤٢٩٥).

(٢) رواه ابن منده، وقال الحافظ أبو موسى المديني: إنه حديث غريب حسن. (القول البديع للسخاوي ص ١٨٨ ـ ١٨٩).

(٣) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٦٤)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٦٤٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٦٢): رواه البزار، ورجاله ثقات، ورواه الطبراني.

(٤) في إسناد القصة رجل مجهول.

٦٢٦ ـ وروي عن عمر بن دينار، عن أبي جعفر، أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «من نسي الصلاة عليّ، فقد أخطأ طريقَ الجنة»[١].

٦٢٧ ـ وعن ابن بريدة، عن أبيه، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أربع من الجفاء: أن يبول الرجل وهو قائم، وأن يمسحَ جبهتَه قبل أن يفرغَ من الصلاة، وأن يسمعَ النداء فلا يشهد مثل ما يشهد المؤذن، وأن أُذكر عنده فلا يصلّي عليّ»[٢].

٦٢٨ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «صلّوا عليّ، فإنّ الصَّلاةَ عليّ زكاةٌ لكم، واسألوا الله لي الوسيلة». قالوا: وما الوسيلة يا رسول الله؟ قال: «أعلى درجة في الجنة، لا ينالها إلا رجلٌ واحد، وأنا أرجو أن أكون أنا هو»[٣].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: معنى قوله ـ ﷺ ـ «زكاة لكم»؛ يعني طهارة لكم ومغفرة لذنوبكم، فلو لم يكن للصلاة على النبي ـ ﷺ ـ ثواب سوى أنه يُرجى بذلك شفاعته لكان الواجب على العاقل أن لا يغفل عنها، فكيف وفيها مغفرة الذنوب، وفيها الصلاة من الله تعالى.

٦٢٩ ـ وروي عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من صلّى عليّ صلاةً واحدة صلّى الله عليه عشر صلوات، وحطّ عنه عشر خطيئات»[٤].

وإذا أردتَ أن تعرفَ أنَّ الصَّلاةَ على النبي ـ ﷺ ـ أفضل من سائر العبادات فانظر وتفكر في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا**

---

(١) ذكره صاحب «فضل الصلاة على النبي» (٤١)، وابن القيم في (جلاء الأفهام ص ٩٩)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٤) وفيه: بشير بن محمد الكندي، وهو ضعيف. والطبري كما في (القول البديع ص ٢١٣).

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (١٥٠١)، وابن عدي والبيهقي من حديث أبي هريرة. (كنز العمال ٤٣٩٧١).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٣٦٥)، وصاحب فضل الصلاة على النبي رقم (٤٦)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٦٤١)، والسخاوي في (القول البديع ص ١٨٧). وفيه ليث بن أبي سليم، وكان اختلط. وسعيد بن زيد، فيه ضعف. وقد تابعه شريك، وهو مثله في الضعف، عن ليث.

(٤) رواه النسائي في المجتبى (٣/ ٥٠)، وفي عمل اليوم والليلة (٦٢)، وابن حبان (٢٣٩٠/ موارد)، والحاكم (١/ ٥٥٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٥٠٥).

الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦] ففي سائر العبادات أمر الله تعالى عباده، بها، وأما الصلاة على النبي - ﷺ - فقد صلّى عليه بنفسه أولاً، وأمر ملائكته بالصلاة عليه، ثم أمر المؤمنين بأن يصلّوا عليه، فثبت بهذا أن الصلاة على النبي - ﷺ - أفضل العبادات.

٦٣٠ - وروي عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة قال، قلنا: يا رسول الله كيف نصلّي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[1].

وقال بعضهم: الصلاة على النبي - ﷺ -: أن يقول: اللهم صليتُ كما صليتَ أنتَ وملائكتك على محمد.

وقال بعضهم: الصلاة عليه أن يقول: اللهم إنّي أشهدك وأشهد ملائكتك أنّي أصلي على محمد.

وقال بعضهم: أن يقول: اللهم صلّ على محمد، وعلى آل النبي الأمي وعلى آله[2].

* * *

(١) رواه البخاري (٦٣٥٧) في الدعوات، باب: الصلاة على النبي ﷺ ومسلم (٤٠٦) في الصلاة، باب (١٧).

(٢) زاد في (م): وكل ذلك حسن، وفقنا الله لذلك بكرمه.

باب ما جاء في فضل لا اله الا اللّه

٦٣١ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا الإفريقي، عن أبي عبدالرحمٰن، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«يؤتى بالرّجل يوم القيامة إلى الميزان، فيخرج له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مدّ البصر، فيها خطاياه وذنوبه، فيوضع في كفة الميزان، ثم يخرج قرطاس مثل أنملة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيوضع في الكفة الأخرى فيرجع بخطاياه»[1].

٦٣٢ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن عمرو مولى المطلب، عن المطلب بن حنطب، أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبل لا إله إلا الله»[2].

٦٣٣ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا عبدالله بن حبان، حدثنا أبو جعفر، عن محمد بن عبدالله المنادي البغدادي، حدثنا إبراهيم بن هدبة، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

---

(١) رواه عبد بن حميد في المنتخب (٣٣٩).

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي (٣٥٨٥) في الدعوات، باب: في دعاء يوم عرفة، وقال: حديث غريب، من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه. ورواه إسماعيل بن عبدالغافر في «الأربعين» عن علي. (كنز العمال ١٢١٠٨).

«نزل عليّ جبريل ـ عليه السلام ـ وهو يتلو هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ والسَّمٰوٰتُ وَبَرَزُوا لله الوَاحِدِ القَهَّار﴾ [إبراهيم: ٤٨]» قال النبي ـ ﷺ ـ: «يا جبريل كيف يكون الناس يوم القيامة؟ قال: يا محمد، يكونون على أرض بيضاء، لم يعمل عليها ذنب قط، فإذا زفرت جهنم زفرة تتعلّق الملائكة بالعرش، ويقولُ كلّ ملك: يا رب لا أسألك إلا نفسي، وتكون الجبال كالعهن المنفوش.

قال: يا جبريل وما العهن المنفوش؟ قال: يعني الصوف المندوف. وتذوب الجبال من مخافة جهنم يا محمد، فَيُجاء بجهنم يوم القيامة، وهي تزفر زفرةً عليها سبعون ألف زمام، على كل زمام سبعون ألف ملك؛ حتى تُوقف بين يدي الله عز وجل، فيقول لها: يا جهنم، تكلّمي، فتقول: لا إله إلا الله، وعزّتك وعصمتك لأنتقمن لك اليوم ممن أكل رزقك، وعبد غيرك، لا يجاوزني إلا من عنده جواز.

قال النبي: يا جبريل، وما الجواز يوم القيامة؟ قال: أَبْشِرْ يا محمد، فإن أمتك يوم القيامة على الجواز، ألا من شهد أنه لا إله إلا الله فقد جاز من جسر جهنم. فقال النبي ـ ﷺ ـ: الحمد لله الذي ألهم أمتي شهادة أن لا إله إلا الله»[1].

وروي عن عطاء بن أبي رباح، قال: سألت ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن قول الله عز وجل: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ﴾ [غافر: ٣]، قال ابن عباس: غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله، وقابل التوب لمن قال لا إله إلا الله، وشديد العقاب لمن لا يقول لا إله إلا الله.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: الواجب على كل إنسان[2] أن يكثر من قول لا إله إلا الله، ويسأل الله تعالى في آناء الليل وأطراف النهار أن لا ينزع منه الإيمان وهذا القول منه. ويحفظ نفسه من المعاصي، فإنّ كثيراً من الناس يقولون هذا القول، ثم ينزع منهم في آخر عمرهم بسبب أعمالهم الخبيثة، ويخرجون من الدنيا على الكفر نعوذ بالله، وأي مصيبة أعظم من هذا؟.

إن الرجل كان اسمه من المسلمين في جميع عمره، فيبعث يوم القيامة واسمه من الكافرين، فهذا هو الحسرة كل الحسرة، وليست الحسرة بالذي يخرج من الكنيسة أو من بيت النار فيدخل جهنم، ولكن الحسرة بالذي يخرج من المسجد،

---

(١) في إسناده: إبراهيم بن هدبة؛ متروك. (ميزان الاعتدال ١/ ٧١).

(٢) في (م): مسلم.

فيطرح في النار، وذلك كله بسبب أعماله الخبيثة وارتكابه المحرمات في السراء، فرب رجل وقع في يده شيء من أموال الناس، فيقول: أنفقها ثم أردها، أو أستحل منهم فيموت قبل أن يرضي خصمه، ورب إنسان وقع بينه وبين امرأته حرمة. فيقول: كيف أدعها وبيننا أولاد، فيصر على ذلك فيأتيه الموت وهو على الحرام، وربما ينزع منه الإيمان بسبب ذلك.

فانظرْ يا أخي، واجتهدْ في إصلاح أمرك قبل أن يأتيك الموت، فإنك لا تدري متى يأتيك الموت. واعلم أن العمر قليل، والحسرة طويلة وعليك أن تكثر من قول لا إله إلا الله، [وأن تعمل ما هو شكر لهذه النعمة العظيمة، فإنّ النّعمةَ تبقى مع الشكر][1].

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: لا إله إلا الله ثمن الجنة.

٦٣٤ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قيل له: يا رسول الله هل للجنة ثمن؟ قال: «نعم. لا إله إلا الله»[2].

٦٣٥ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله من أسبق الناس إلى شفاعتك؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من نفسه»[3].

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿**رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾ [الحجر: ٢]، قال: إذا أخرج من النار من قال لا إله إلا الله، قال المشركون: يا ليتنا كنّا مسلمين.

وعن عطاء في قوله تعالى: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا**﴾ [النمل: ٨٩] يعني من قال: لا إله إلا الله، فله الجنة، ﴿**وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ**﴾ [النمل: ٩٠] يعني من جاء بالشرك.

وعن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ**﴾ [الرحمٰن: ٦٠] قال: هل جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنة.

---

(١) من (م).

(٢) رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/٣٨)، وفيه أبَان بن أبي عيّاش؛ وهو متروك، وكذّبه شعبة. (ميزان الاعتدال ١/١٠ ـ ١٥).

(٣) رواه البخاري (٩٩) في العلم، باب: الحرص على الحديث.

٦٣٦ ـ وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن جبريل ـ عليه السلام ـ جاء إلى النبي ـ ﷺ ـ يوماً فقال: «يا محمد، إنّ الربّ يقرئك السلام، وهو يقول مالي أراك مغموماً حزيناً؟ ـ وهو أعلم به ـ فقال: يا جبريل، قد طال تفكّري في أمر أمتي يوم القيامة قال: يا محمد في أمر أهل الكفر أم في أمر أهل الإسلام؟ قال: يا جبريل لا بل في أمر أهل لا إله إلا الله، قال: فأخذ بيده حتى أقامه على مقبرة بني سلمة، فضرب بجناحه الأيمن على قبر ميت، فقال: قم بإذن الله، فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول لا إله إلا الله، محمد رسول الله، الحمد لله رب العالمين، فقال له جبريل: عُدْ، فعاد كما كان، ثم ضرب بجناحه الأيسر على قبر ميت، فقال: قم بإذن الله، فخرج رجل مسود الوجه أزرق العينين، وهو يقول: واحسرتاه واندامتاه واسوأتاه. فقال له: عُد فعاد كما كان، ثم قال جبريل: هكذا يبعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه».

٦٣٧ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لقّنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدماً»، قالوا: يا رسول الله، فإن قالها في حياته قال: «هي أهدم وأهدم»[1].

٦٣٨ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «احضروا موتاكم فلقّنوهم لا إله إلا الله، وبشّروهم بالجنة، فإن الحكيم العليم من الرجال والنساء يحار عند ذلك المصرع، وإن إبليسَ عدوّ الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن؛ عند فراق الدنيا وترك الأحبة، ولا تقنطوهم، فإنّ الكربَ شديدٌ والأمر عظيم، والذي نفس محمد بيده لمعالجةُ ملك الموت أشدّ من ألف ضربة بالسيف»[2].

وروي في الخبر أن رجلاً كان في بني إسرائيل من أعبد الناس، وكان في زمنه رجل آخر من أفجر الناس، فمات العابد، فقيل لموسى ـ عليه السلام ـ: إنه في النار، ومات الفاجر فقيل لموسى ـ عليه السلام ـ: إنه من أهل الجنة. قال موسى ـ عليه السلام ـ لامرأة العابد ـ: ما كان عمله؟ قالت: كان من أعبد الناس وما يخفى عليكم فقال: وما كان عمله أيضاً؟ قالت: كان إذا أوى إلى فراشه، قال: طوبى لنا إن كان ما جاء به موسى حقاً. وقال لامرأة الفاجر: ما كان عمله؟ قالت: كان من أفجر الناس، وما يخفى عليكم. فقال: وما كان عمله أيضاً؟ قالت: كان إذا أوى إلى فراشه، قال: لا إله إلا الله، والحمد لله على ما جاء به موسى عليه السلام.

---

(١) رواه الديلمي من حديث أبي هريرة. (كنز العمال ٤٢٢٠٢).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١٨٦/٥) وقال: غريب.

٦٣٩ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ومن قال لا إله إلا الله خرج من فيه طير أخضر، له جناحان أبيضان مكللان بالدر والياقوت، فعرج إلى السماء، فيسمع له دوي تحت العرش كدوي النحل، فيقال له: اسكن. فيقول: لا، حتى يغفر لصاحبي، فيغفر لقائلها، ثم يجعل بعدها لذلك الطائر سبعون لساناً يستغفر لصاحبه إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة جاء ذلك الطائر فأخذ بيد صاحبه حتى يكون قائده ودليله إلى الجنة»[1].

وروي في الخبر أن الله تعالى لما أغرق فرعون، وأنجى موسى عليه السلام، قال موسى: يا رب دلني على عمل أعمله يكون شكراً لما أنعمت عليّ. قال: يا موسى، قل لا إله إلا الله، وكان موسى يطلب الزيادة، فقال: يا موسى، لو وضعت سبع سماوات وسبع أرضين في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى؛ لرجح لا إله إلا الله.

وعن مجاهد قال: ثلاث لا يحجبهن عن الله شيء: شهادة أن لا إله إلا الله؛ يدعوه موقن بالإجابة، ودعوة الوالد لولده، ودعوة المظلوم على الظالم.

٦٤٠ ـ وروي عن بعض الصحابة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: من قال لا إله إلا الله من قلبه خالصاً، ومدّها بالتعظيم، كفّر الله عنه أربعة آلاف ذنب من الكبائر. قيل: إن لم يكن له أربعة آلاف ذنب، قال: يغفر من ذنوب أهله وجيرانه[2].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: يقال من حفظ سبع كلمات فهو عند الله شريف، وعند الملائكة شريف، وغفر الله له ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر، ويجد حلاوة الطاعة، وتكون حياته ومماته خيراً له:

أولها: أن يقولَ عند ابتداء كل شيء: بسم الله.

والثاني: أن يقول بعد الفراغ من كل شيء: الحمد لله.

والثالث: إذا جرى على لسانه لغو أو عمل سوء قلّ أو كثر يقول بعده: أستغفر الله.

والرابع: إذا أراد أن يقول: أفعل غداً كذا، فيقول على أثره: إن شاء الله.

والخامس: إذا استقبله مكروه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/٤٦).

(٢) هذا الحديث باطل. (تنزيه الشريعة ٢/٣٢٥ ـ ٣٢٦).

والسادس: إذا أصابته مصيبة في النفس أو في المال قلّ أو كثر يقول: إنّا لله وإنا إليه راجعون.

والسابع: لا يزال يجري على لسانه في آناء الليل وأطراف النهار: لا إله إلا الله.

٦٤١ ـ وروي عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبدالله قال: حدثنا من سمع معاذ بن جبل ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه لما حضرته الوفاة يقول: اكشفوا عني، فإني سمعت من رسول الله ـ ﷺ ـ حديثاً لم يمنعني أن أحدّثكم به إلا أن تتكلّموا به سمعت النبي ـ ﷺ ـ يقول: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً موقناً دخل الجنة»[١].

٦٤٢ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من لُقِّن عند الموت لا إله إلا الله دخل الجنة»[٢].

٦٤٣ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»[٣].

٦٤٤ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده عن زيد بن أسلم ـ عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنهم ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال:

«ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ـ عليه السلام ـ ابنه؟! قال: يا بني آمرك بأمرين، وأنهاك عن أمرين. آمرك أن تقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فإن السماء والأرض لو جعلتا في كفّة، ولا إله إلا الله في كفّة أخرى لوزنتهما، وآمرك أن تقول سبحان الله وبحمده فإنها صلاة الملائكة ودعاء الخلق وبها يرزق الخلق، وأنهاك أن تشرك بالله شيئاً، فإن من يشرك بالله شيئاً فقد حرم الله عليه الجنة، وأنهاك عن الكبر، فإنه لا أحد يدخل الجنة وفي قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»[٤].

٦٤٥ ـ وروي في الخبر: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة»[٥].

---

(١) رواه الطبراني عن معاذ. (كنز العمال ٢١٨).

(٢) رواه الخرائطي عن علي بنحوه. (كنز العمال ٤٢١٩٩).

(٣) رواه أبو داود (٣١١٦) في الجنائز، باب: في التلقين، وأحمد (٥/٢٣٣، ٢٤٧)، والحاكم (١/٣٥١ و٥٠٠).

(٤) رواه عبد بن حميد في المنتخب (١١٥١) من حديث جابر. وفيه: موسى بن عبيدة الربذي، ضعيف؛ ولا سيما في عبدالله بن دينار. (تقريب التهذيب ٢/٢٨٦).

(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٧): رواه البزار، ورجاله ثقات إلا أنَّ مَن روى عنهما البزار لم أقف لهما على ترجمة.

فقد اشترط في هذا القول الإخلاص، ولا يكون الإخلاص إلا أن يمنعه ذلك القول من الذنوب، فإن كان القول لا يمنعه من الذنوب فليس بمخلص، ويخاف أن يكون ذلك القول عنده عارية والعارية تستردّ منه.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: الناس في إيمانهم على ضربين: منهم من يكون إيمانه له عطاء، ومنهم من يكون إيمانه له عارية، فالعلامة في ذلك: أن الذي يكون إيمانه عطاء يمنعه إيمانه من الذنوب، ويرغبه في الطاعات، والذي هو عارية لا يمنعه من الذنوب ولا يرغبه في الطاعات، لأنه لا تدبير له في مكان هو فيه عارية.

٦٤٦ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا إله إلا الله ثمن الجنة». وفي خبر آخر: «مفتاح الجنة»[١].

ويقال: لا إله إلا الله مفتاح الجنة، ولكن المفتاح لا بُدَّ له من الأسنان حتى يفتح الباب، ومن أسنانه لسان ذاكر طاهر من الذنوب والغيبة، وقلب خاشع طاهر من الحسد والخيانة، وبطن طاهر من الحرام والشبهة، وجوارح مشغولة بالخدمة طاهرة من المعاصي.

٦٤٧ ـ وعن أبي ذر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قلت يا رسول الله علمني عملاً يقربني إلى الجنة، ويباعدني من النار قال: «إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة، فإنها بعشر أمثالها»، فقلت: يا رسول الله لا إله إلا الله من الحسنات؟ قال: «هي من أحسن الحسنات»[٢].

وروى سلمة بن زيد عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: يندرس الإسلام حتى لا يدري أحد ما الصلاة وما الصيام، حتى أن الرجل ليقول كان من قبلنا من يقول لا إله إلا الله، فنحن نقول لا إله إلا الله، قيل له: فما يغني عنهم لا إله إلا الله؟ قال: ينجون بها من النار، ويدخلون بها الجنة. [قالها ثلاثاً][٣].

* * *

(١) رواه الحسن بن عرفة كما في النهاية (٢/٣٦٧)، وحادي الأرواح (ص ١٠٤)، وأحمد في المسند (٥/٢٤٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٦): رواه أحمد والبزار، وفيه انقطاع بين شهر ومعاذ، وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة، وهذا منها. ورواه الديلمي أيضاً في الفردوس (٢٥٤٨).

(٢) رواه أحمد (٥/١٦٩ و١٧٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٨١): رواه أحمد، ورجاله ثقات؛ إلا أن شمر بن عطية؛ حدّث به عن أشياخه عن أبي ذر، ولم يسمّ أحداً منهم.

(٣) من (م).

باب ما جاء في فضل القرآن

٦٤٨ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن المعلي، عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أنه قال: «القرآن شافع مشفّع، ماحل مصدّق، فمن جعله إمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»[1].

قال الفقيه ـ رضي الله تعالى عنه ـ: معنى قوله «شافع مشفع»، يعني يطلب الشفاعة لصاحبه، وتعطى له الشفاعة. «والماحل»: الساعي؛ يعني يسعى لصاحبه إنه لم يقرأه، ولم يعمل به، فيصدق قوله. «فمن جعله إمامه»، يعني يقرأه ويعمل به قاده إلى الجنة. «ومن جعله خلفه»، يعني جفاه فلم يقرأه، ولم يعمل به ساقه إلى النار يوم القيامة.

٦٤٩ ـ وبهذا الإسناد عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن نافع بن عبدالحرث، وكان عامل عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ على مكة، فخرج يتلقى عمر في بعض حجاته، فقال له عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: من استعملت على مكة؟ قال: عبدالرحمٰن بن أبي أبزى، قال له عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: تستعمل رجلاً من الموالي على قريش؟ قال: يا أمير المؤمنين، إني لم أَدَعْ خلفي أحداً أقرأ للقرآن منه، قال له ـ رضي الله تعالى عنه ـ: نعم، إنّ الله تعالى رفع بالقرآن رجالاً، ووضع رجالاً، وإن عبدالرحمٰن بن أبي أبزى ممن رفعه الله بالقرآن[2].

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٦٤): رواه الطبراني، وفيه الربيع بن بدر، وهو متروك.
(٢) رواه مسلم (٨١٧) في صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وابن ماجه (٢١٨) في المقدمة، باب (١٦)، والدارمي (٢/٤٤٣)، وأحمد (٢/٣٣٧).

٦٥٠ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمود بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا المسيب، عن محمد بن عمرو، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلّموا مأدبة الله تعالى ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله المتين، ونور مبين، وشفاء نافع، وعصمة لمن تمسك به، ومنجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الترداد، اتلوه فإن الله تعالى يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول (ألم) عشرة، ولكن الألف عشرة، واللام عشرة، والميم عشرة»[1].

٦٥١ ـ وروى الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من نفّس عن أخيه المؤمن كُربةً من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما دام في عون أخيه المسلم. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة. وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله تعالى، ويتدارسونه فيما بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده»[2].

٦٥٢ ـ وروى يزيد بن أبي حبيب عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من استظهر القرآن، خفّف الله تبارك وتعالى عن أبويه العذاب وإن كانا كافرين»[3].

٦٥٣ ـ وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: من قرأ القرآن فكأنما أُدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه، ومن قرأ القرآن؛ فرأى أنّ أحداً من خلق الله تعالى أعطي أفضل مما أعطي، فقد حقّر ما عظّم الله تعالى[4].

وليس ينبغي لحامل القرآن أن يجهل فيمن يجهل وأن يحدّ فيمن يحدّ، ولكن يعفو ويصفح.

---

(١) رواه الحاكم (١/٥٥٥) مرفوعاً. (٢) سبق تخريجه برقم (٥٨٠).

(٣) ذكره ابن حبان في المجروحين (٢/٣١١) في ترجمة محمد بن المهاجر البغدادي، وهو وضاع. وانظر: (تنزيه الشريعة ١/٢٩٣).

(٤) رواه الحاكم (١/٥٥٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٥٩): رواه الطبراني، وفيه إسماعيل بن رافع، وهو متروك.

وقال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره يصوم إذ الناس مفطرون، وبحزنه إذ الناس يفرحون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبخشوعه إذ الناس يختالون.

وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً حزيناً حليماً سكيناً ليناً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكونَ جافياً ولا غافلاً ولا صيّاحاً ولا حديداً.

٦٥٤ ـ وروى معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ثلاثةٌ هم الغُـرَباء في الدنيا: القرآن في جوف الظالم، والرّجل الصّالح في قوم سوء، والمصحف في بيتٍ لا يُقرأ فيه»[1].

وقال محمد بن كعب القرظي: من قرأ القرآن فكأنما رأى النبي ـ ﷺ ـ ثم قرأ هذه الآيات: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

٦٥٥ ـ وروي في الخبر أن عدد درج الجنة على عدد آي القرآن، فيقال للقارىء يوم القيامة: اقرأ وارقَ، فإن كان معه نصف القرآن يقال له: لو كان عندك زيادة لزدناك[2].

٦٥٦ ـ وروى خالد بن بشير، عن الحسين بن علي، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من قرأ القرآن في الصلاة وهو قائم فله بكلّ حرف مئة حسنة، ومن قرأ القرآن في الصلاة قاعداً كتب الله له بكل حرف خمسين حسنة، ومن قرأ القرآن في غير الصلاة فله بكل حرف عشر حسنات، ومن استمع إلى شيء من كتاب الله وهو يريد الأجر كتب له بكل حرف حسنة، ومن قرأ القرآن حتى يختمه كانت له عند الله دعوة مستجابة، إما معجّلة وإما مؤجّلة»[3].

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٤٣٠١) عن أبي هريرة. قال المناوي: وكذا ابن لال، وفيه عبدالله بن هارون الصوري، قال الذهبي في «الذيل»: لا يُعرف. (فيض القدير ٤/٤٠٩).

(٢) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يُقال لصاحب القرآن يوم القيامة إذا دَخَل الجنة. اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعدُ بكل آية درجةً، حتى يقرأ آخر شيء معه». رواه ابن ماجه (٣٧٨٠) في الأدب، وأحمد (٣/٤٠). وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارقَ ورتّل كما كنتَ تُرتّل في الدنيا، فإنّ منزلتَك عند آخر آية تقرؤها». رواه أبو داود (١٤٦٤) في الصلاة، والترمذي (٢٩١٤) في فضائل القرآن، وأحمد (٢/١٩٢)، وابن حبان (١٧٩٠/ موارد)، وابن الضريس في فضائل القرآن (١١٢ و١١٣ و١١٤).

(٣) رواه الديلمي عن أنس، (كنز العمال ٢٤٢٧).

٦٥٧ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ثلاثة لا يستخفّ بحقّهنّ إلا منافق: إمام مُقْسِط، وذو شيبة في الإسلام، وحامل القرآن»[١].

٦٥٨ ـ وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه قال: حرّضنا رسول الله ـ ﷺ ـ على تعلم القرآن، ثم أخبرنا عن فضله وقال:

«إنّ القرآنَ يأتي أهله يوم القيامة أحوج ما يكون إليه، قال: فيقدم على صاحبه بأحسن صورة له، فيقول: أتعرفني؟ فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا الذي كنت تحبّه وتكرمه وكنت تسهر ليلك بي، وتدأب نهارك، يعني من عادتك أن تقرأ نهارك. قال: فيقول: لعلّك القرآن، ثم يقدم على الله فيعطي الملك بيمينه والخلد بشماله، ويُوضع تاجُ الملك على رأسه، ويلبس والده المسلمان حُلّتين ما يقوم بهما الدنيا وأضعافها فيقولان: من أين لنا هذا ولم تبلغه أعمالنا؟ فيقال لهما: بفضل ولدكما بقراءة القرآن أعطيتما ذلك».

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «تعلموا الزهراوين، يعني البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان أهلهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غَيَايتان أو فِرْقان من طير صوافّ بأجنحتهما، ويحاجان عن أهليهما».

ثم قال: «تعلّموا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة، يعني السحرة». ثم قال: «هذا لمن تعلّمه ولم يلغ فيه، ويعمل به، ولم يجفُ عنه، ولم يستأكل به»[٢].

وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: مَن ختم القرآن نهاراً صلّتْ عليه الملائكة حتى يمسي، ومن ختمه ليلاً صلّتْ عليه الملائكةُ حتى يصبح. وكانوا يستحبّون أن يختموا نهاراً.

قال عبدالله بن المبارك: كانوا يستحبّون أن يختمَ في أيام الصيف في أول النهار، وفي أيام الشتاء في أول الليل حتى تكونَ الصلاةُ عليهم أكثر.

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٧/٧): رواه الطبراني في الكبير من رواية عبيدالله بن زحر، عن علي بن يزيد، وكلاهما ضعيف. «مقسط»: عادل.

(٢) رواه ابن الضريس بأكمله في فضائل القرآن (٩٢)، وأحمد (٣٤٨/٥)، والدارمي (٤٥٠/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩/٧): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. وروى مسلم قسماً منه (٨٠٤) في صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة. «غيايتان»: جمع غياية، وهي كل شيء أظلّ الإنسان فوق رأسه. «فرقان»: جمع فِرق، وهو الجماعة.

٦٥٩ ـ وروى قتادة عن أنس بن مالك، عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآنَ كمثل الأُتْرجّة، ريحها طيب وطعمها طيّب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآنَ كمثل التمر طعمه طيب ولا ريح له. ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الرَّيْحانة ريحها طيب وطعمها مر. ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحَنْظَلة طعمها مر ولا ريحَ لها»[1].

٦٦٠ ـ وروى عقبة بن عامر عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «المسرّ بالقرآن كالمسرّ بالصدقة، والجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة»[2] يعني إن جهر بالقراءة فنعمّا هي، وإن أسرّ فهو أفضل.

٦٦١ ـ وعن الوليد بن عبدالله أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «عُرِضَتْ عليّ الذُّنوب، فلم أَرَ فيها شيئاً أعظم من حامل القرآن وتاركه»[3].

٦٦٢ ـ وعن طلق بن حبيب أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «من تعلّم القرآنَ ثم نسيه من غير عذر حطّ له بكل آية درجة، وجاء يوم القيامة مخصوماً»[4].

٦٦٣ ـ وعن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من تعلّم القرآنَ ثم نسيه من غير عذر جاء يوم القيامة أجذم»[5]؛ أي مقطوع اليد.

وعن الضحاك قال: ما تعلم القرآن رجل ثم نسيه إلا جاء يوم القيامة وهو مصاب بذنب يصيبه، ثم قرأ ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠] وأيّ مصيبة أعظم من نسيان القرآن[6].

---

(١) رواه البخاري (٥٠٢٠) في فضائل القرآن، باب: فضل القرآن على سائر الكلام، ومسلم (٧٩٧) في صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة حافظ القرآن. «الأترجة»: هي ثمر جامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون، يشبه البطيخ.

(٢) رواه أبو داود (١٣٣٣) في الصلاة، باب: في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، والترمذي (٢٩١٩) في فضائل القرآن، باب (٢٠) وقال: هذا حديث حسن غريب، وأحمد (٤/ ١٥١ و١٥٨).

(٣) رواه أبو داود (٤٦١) في الصلاة، باب: في كنس المسجد، والترمذي (٢٩١٦) في فضائل القرآن، باب (١٩) وقال: غريب، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٢٧١).

(٤) جزء من حديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٨١) من حديث أبي هريرة، وقال: هذا حديث موضوع.

(٥) رواه أبو داود (١٤٧٤) في الصلاة، باب: التشديد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه. وفيه يزيد بن أبي زياد، قال البخاري: منكر الحديث. (تذهيب تهذيب الكمال ٣/ ١٧٠).

(٦) ذكره ابن حجر في (فتح الباري ٩/ ٨٦).

٦٦٤ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعت أبا جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ قال: حدثنا ابن أحمد، حدثنا شاذان بن إبراهيم، حدثنا علي بن الحسين الحكمي، قال: سمعت الحسن بن زياد يقول: سمعت أبا حنيفة ـ رضي الله تعالى عنه ـ يقول: من قرأ القرآن في السنة مرتين، فقد أدى حقّه ؛ لأن النبي ـ ﷺ ـ عرضه في كلّ سنة على جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ مرة، وفي السنة التي توفي فيها مرتين[1].

* * *

(١) رواه البخاري (٤٩٩٨) في فضائل القرآن، باب (٧) بلفظ: «كان يَعْرِضُ على النبي ﷺ كلّ عام مرة، فعرض عليه مرّتين في العام الذي قُبض فيه».

باب فضل طلب العلم

٦٦٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد الوراق، حدثنا خشنام بن إسماعيل بن أبي بكر الصوفي، حدثنا القاسم بن محمد المهلبي، عن عبدالله بن داود، عن عاصم بن رجاء، عن داود بن جميل، عن كثير بن قيس قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ في مسجد دمشق، فأتاه رجل، فقال: يا أبا الدرداء، جئتك من مدينة رسول الله ـ ﷺ ـ في حديث بلغني أنك حدثته عن رسول الله ـ ﷺ ـ فقال له: ما جئت لتجارة ولا لحاجة ولا جئت إلا لهذا؟ قال: ما جئت إلا لهذا. قال: إني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول:

«من سلك طريقاً يطلب به علماً سهّل الله له طريقاً من طرق الجنة. وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع. وإن العالم يستغفر له كلّ مَن في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء. وإنّ فَضْلَ العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وإنّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء. وإنّ الأنبياءَ لم يورّثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورّثوا العلم؛ فمن أخذه فقد أخذ بحظّ وافر»[1].

٦٦٦ ـ قال: حدثنا أبو جعفر، حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن شريك، حدثنا إبراهيم بن عبدالله، عن جعفر بن عوف، عن أبي العميس، عن القاسم قال: قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ: منهومان لا يشبعان: طالب العلم وطالب الدنيا، وهما لا يستويان. أما طالب العلم فيزداد رضا من الرحمن، وأما طالب الدنيا

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١ و٣٦٤٢) في العلم، باب: الحثّ على طلب العلم، والترمذي (٢٦٨٢) في العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وابن ماجه (٢٢٣) في المقدمة، باب: فضل العلماء والحثّ على طلب العلم، وابن حبان (٨٨)، والبيهقي في الآداب (١٠٤٥ و١٠٤٦)، وفي الأربعين الصغرى (٣)، وفي الشعب (١٦٩٦ و١٦٩٧).

فيزداد في الطغيان، ثم قرأ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وقرأ ﴿كَلَّا إِنَّ الإنسانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦ ـ ٧][1].

قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا علي بن محمد الوراق، حدثنا الفضيل بن محمد، حدثنا عبدالله بن صالح المصري[2]، عن معاوية بن صالح، عن أبي عبيد، عن محمد بن سيرين، قال: دخلت مسجد البصرة والأسود بن سريع[3] يقصّ على الناس، وقد اجتمع عليه أهل المسجد وخلفه من أهل الفقه جلوس في ناحية أخرى يتحدّثون الفقه، ويتذاكرون، فركعت بين الحلقة والذكر، فلما فرغت قلت: لو أتيت إلى الأسود، فعسى أن تصيبهم إجابة ورحمة تصيبني معهم، ثم قلت: لو أتيت حلقة الفقه لعلي أسمع كلمةً لم أسمعها فأعمل بها، فلم أزل أخير نفسي في ذلك حتى جاوزتهم، فلم أقعد مع أحد منهم، فلما كانت تلك الليلة، أتاني آتٍ في المنام، فقال: أما إنك لو أتيت الحلقة التي كان يذكر فيها الفقه لوجدت جبريل عليه السلام معهم جالساً.

٦٦٧ ـ قال: حدثني أبي ـ رحمه الله تعالى ـ قال: حدثنا عبدالرحمٰن بن يحيى، حدثنا محمد بن الربيع، حدثنا داود بن سليمان، عن جعفر بن محمد، عمّن حدثه، عن ثابت، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«مَن أحبّ أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلّمين، فوالذي نفس محمد بيده ما من متعلّم يختلف إلى باب العالم إلا كتب الله له بكل حرف وبكل قدم عبادة سنة، وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة، ويمشي على الأرض تستغفر له، ويمسي ويصبح مغفوراً له، وشهدت له الملائكة ويقولون هؤلاء عتقاء الله من النار»[4].

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٣٥): رواه الطبراني في الأوسط والكبير والبزار من حديث ابن عباس ـ أحسبه رفعه ـ وفيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

(٢) هو عبدالله بن صالح بن محمد بن مسلم الجُهني، أبو صالح المصري: كاتب الليث، صدوق، كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة. (تقريب التهذيب ١/ ٤٢٣).

(٣) هو الأسود بن سريع التميمي السعدي، الشاعر المشهور، وكان في أول الإسلام قاضياً، وهو أول من قصّ في مسجد البصرة. توفي في عهد معاوية. (الإصابة ت ١٦١).

(٤) قال ابن حجر نقلاً عن السيوطي: كذب موضوع. (كشف الخفاء ٢/ ٣٠٨).

٦٦٨ ـ قال: سمعت الفقيه أبا جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ يذكر بإسناده أن النبي ـ ﷺ ـ دخل المسجد، فرأى مجلسين: أحدهما يذكرون الله، والآخر يتعلّمون الفقه ويدعون الله ويرغبون إليه فقال ـ ﷺ ـ: «كِلا المجلسين على خير، وأحدُهما أفضل من الآخر. أمّا هؤلاء فيدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلّمون ويعلّمون الجاهل، وإنما بُعِثْتُ معلماً، فهؤلاء أفضل» ثم جلس معهم[1].

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: لأن أتعلّم مسألةً أحبّ إليّ من قيام ليلة.

وعن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: أنتم في زمن العمل فيه خير من العلم، وسيأتي زمنٌ العلم فيه خير من العمل.

٦٦٩ ـ وروى سعيد بن المسيب، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «أفضلُ الأعمال على ظهر الأرض ثلاثة: طلب العلم، والجهاد، والكسب، لأنَّ طالَب العلم حبيب الله، والغازي وليّ الله، والكاسب صديق الله»[2].

٦٧٠ ـ وروى أبان عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من طلبَ العلمَ لغير الله لم يخرجْ من الدنيا حتى يأتي عليه العلم فيكون لله. ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله. وإن باباً من العلم يتعلمه الرجل خير من أن يكون له أبو قبيس ذهباً، فأنفقه في سبيل الله تعالى»[3].

وقيل لعبدالله بن المبارك: إلى متى يحسن للمرء أن يتعلّم؟ قال: ما دام يقبح عليه الجهل يحسن له التعلّم.

وحكي عن ابن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ أنه كان في حال الموت، ورجل عنده يكتب له العلم، فقيل له: في هذه الحالة تكتب العلم! فقال: لعلّ الكلمة التي تنفعني لم تبلغني إلى الآن.

---

(١) رواه ابن عبدالبر في بيان جامع العلم (١/٥٠)، وروى بقي بن مخلد أوله، كما في «نتيجة الفكر» للسيوطي ص (٤٨).

(٢) رواه ابن لال عن أبي سعيد، بلفظ: «أفضل الأعمال الكسبُ من الحلال». (كشف الخفاء ١/١٧٧).

(٣) في إسناده: أبان بن أبي عياش، ضعيف. وقال النسائي: متروك. وقال الجوزجاني: ساقط. وقال شعبة: يكذب في الحديث. (ميزان الاعتدال ١/١٠).

٦٧١ ـ وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: تعلّموا العلم، فإن تعلّمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قُربة، لأنّ العلم سبيل منازل أهل الجنة. وهو المؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء، والمعين على الضراء، والزين عند الأخلاء، والسلاح على الأعداء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة أئمة، تقتفى آثارهم، ويقتدى بأفعالهم، وترغب الملائكة في خُلّتهم، وبأجنحتها تمسحهم ويصلي عليهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامّ الأرض وسباع البر والبحر والأنعام؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف، ويبلغ بالعبد منازل الأخيار والأبرار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل بالصيام، ومذاكرته تعدل بالقيام، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام والعمل تابعه، ويلهمه السعداء، ويُحرمه الأشقياء[1].

قال الفقيه: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد بإسناده عن الحسن البصري ـ رحمهم الله ـ قال: ما أعلم شيئاً أفضل من الجهاد في سبيل الله إلا أن يكون طلب العلم، فإنه أفضل من الجهاد في سبيل الله، ومن خرج من بيته في طلب باب من العلم حفته الملائكة بأجنحتها، وصلت عليه الطيور في جو السماء، والسباع في البر، والحيتان في البحر وآتاه الله أجر اثنين وسبعين صديقاً. ألا فاطلبوا العلم، واطلبوا للعلم السكينة والحلم والوقار، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ولمن تعلمونه، ولا تباهوا به العلماء، ولا تماروا به السفهاء، ولا تختلفوا به إلى الأمراء، ولا تطاولوا به على عباد الله فتكونوا من جبابرة العلماء الذين أدركهم سخط الله فكبهم على مناخرهم في نار جهنم. اطلبوا علماً لا يضركم في عبادة الله، واعبدوا الله عبادة لا تضركم في طلب العلم، فإنه لا ينتفع بهذا إلا هذا، ولا تكونوا كأقوام تركوا طلب العلم وأقبلوا على العبادة، حتى إذا نحلت جلودهم على أجسادهم خرجوا على الناس بأسيافهم، ولو أنهم طلبوا العلم لكان العلم يحجزهم عما صنعوا. وإن العامل بغير علم كالحائد عن الطريق، فهو لا يزداد اجتهاداً إلا ازداد بعداً، وكان ما يفسده أكثر

---

(١) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم (١/٥٤ ـ ٥٥) مرفوعاً من حديث معاذ. وقال المنذري في الترغيب والترهيب رقم (١٠٧): ورفعه غريب جداً.

مما يصلحه. قيل له: عمن هذا يا أبا سعيد؟ قال: لقيت فيه سبعين بدرياً واغتربت في طلبه أربعين عاماً.

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: أيها الناس، ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون؟! تعلّموا قبل أن يرفع العلم، فإنَّ رَفْعَ العلمِ ذهابُ العلماء.

٦٧٢ ـ وروى عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ الله لا يرفعُ العلمَ بقبض يقبضه، ولكن بقبض العلماء بعلمهم، حتى إذا لم يبقَ عالم اتّخذ الناسُ رؤساءَ جهّالاً فيُسْألون فيحدّثون، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا»[1].

وعن ابن المبارك ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قيل له: لو أوحى الله إليك أنك ميت العشية ما أنت صانع اليوم؟ قال: أطلب فيه العلم.

وعن إبراهيم النَّخَعي قال: لا يزال الفقيه في الصلاة. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأنك لا تلقاه إلا وذكر الله تعالى على لسانه، يحلّ حلالاً ويحرّم حراماً.

ويقال: العلماءُ سِراجُ الأزمنة، فكلُّ عالم مصباح زمانه يستضيءُ به أهلُ عصره.

وروي عن سالم بن أبي الجعد[2] أنه قال: اشتراني مولاي بثلثمئة درهم، فأعتقني، فقلت في نفسي بأي الحرف أحترف، فاخترت العلم على كل الحرف فلم يمض كثير مدة، حتى إنه أتاني الخليفة زائراً فلم آذن له.

وذكر عن صالح المرّي[3] ـ رحمه الله تعالى ـ أنه دخل على أمير المؤمنين فأجلسه على وسادته فقال صالح: قال الحسن وصدق الحسن. فقال له أمير المؤمنين: وأيّ شيء قال الحسن؟ قال: قال الحسن: إن العلمَ يزيدُ الشريفَ شرفاً،

---

(١) رواه البخاري (١٠٠) في العلم، باب: كيف يُقبض العلم، ومسلم (٢٦٧٣) في العلم، باب: رفع العلم وقبضه.

(٢) هو سالم بن أبي الجعد الغَطَفاني الأشجعي مولاهم، الكوفي: ثقة، وكان يرسل كثيراً. (تقريب التهذيب ١/ ٢٧٩).

(٣) هو صالح بن بشير بن وادع المُرّي، أبو بشر البصري: القاضي الزاهد، ضعيف. (تقريب التهذيب ١/ ٣٥٨).

ويبلغ بالعبد منازل الأحرار، وإلا فمن صالح المري حتى يجلس على وسادة أمير المؤمنين لولا العلم؟!.

٦٧٣ ـ وعن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: اطلبوا العلم ولو بالصين، فإنّ طلبَ العلم فريضةٌ على كلّ مسلم[١].

وروى المسيب، عن أبي بكر، عن عون بن عبدالله؛ قال: جاء رجل إلى أبي ذر الغفاري ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقال: إني أُريدُ أن أتعلّم، وأخاف أن أضيعه ولا أعمل به، قال: أما إنك إن توسّدت العلم خير لك من أن تتوسّد الجهل. ثم ذهب إلى أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ وقال له مثل ذلك. فقال أبو الدرداء: إن الناس يبعثون على ما ماتوا عليه، يبعث العالم عالماً، والجاهل جاهلاً، ثم ذهب إلىٰ أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ وقال له مثل ذلك. فقال له أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ما أنت بواجد شيئاً أضيع له من تركه.

٦٧٤ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما عُبِد الله بشيء أفضل مِن فقهٍ في الدين، ولفقيهُ واحدُ أشدّ على الشيطان من ألف عابد، وإن لكل شيء عماداً، وعماد الدين الفقيه»[٢].

وذُكِر في الخبر أنَّ أهلَ البصرة اختلفوا، فقال بعضهم: العلم أفضل من المال. وقال بعضهم: المال أفضل من العلم، فبعثوا رسولاً إلى ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ فسأله عن ذلك فقال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: العلم أفضل. فقال الرسول: إن سألوني عن الحجة ماذا أقول لهم؟ قال: قل لهم: إنّ العلمَ ميراثُ الأنبياء، والمال ميراث الفراعنة، ولأنّ العلم يحرسك وأنت تحرسُ المال، ولأن العلمَ لا يعطيه الله إلا من يحبه، والمال يعطيه الله لمن أحبه ومن لا يحبه، بل يعطي لمن لا يحبه أكثر، ألا ترى إلى قول الله عز وجل: ﴿**وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا**

---

(١) رواه ابن عدي عن أنس، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٣٠) وقال: لا يحفظ «ولو بالصين» إلا عن أبي عاتكة، وهو متروك الحديث. و«فريضة على كل مسلم» الرواية فيها لين؛ متقاربة في الضعف. وقال ابن حبان: حديث باطل لا أصل له. وقال أحمد: لا يثبت عندنا في هذا الباب شيء، وذكره ابن الصلاح في «علوم الحديث» مثلاً للحديث المشهور غير الصحيح. (تنزيه الشريعة ١/ ٢٥٨).

(٢) رواه الدارقطني في سننه (٣/ ٧٩)، والبيهقي في الشعب (١٧١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٢١): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه يزيد بن عياض، وهو كذاب.

لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣] الآية.

ولأن العلم لا ينقص بالبذل والنفقة، والمال ينقص بالبذل والنفقة، ولأن صاحب المال إذا مات انقطع ذكره، وصاحب العلم إذا مات فذكره باقٍ، ولأنّ صاحبَ المال ميت، وصاحب العلم لا يموت، ولأنّ صاحب المال يُسأل عن كلّ درهم من أين اكتسبه، وأين أنفقه؟ وصاحب العلم له بكلّ حديث درجة في الجنة.

وروي عن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال: الناس ثلاثة: عالم ربّاني، ومتعلّم على سبيل النجاة، وسائر الناس همج رعاع أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح.

وقال: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزكو على النفقة، والمال تنقصه النّفقة، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: العالم والمتعلّم في الأجر سواء، وإنما الناس رجلان: عالم ومتعلّم، ولا خير فيما سوى ذلك[1].

* * *

(١) رواه الدارمي (١/ ٧٩) في المقدمة، ورواه ابن ماجه (٢٢٨) من حديث أبي أمامة، في المقدمة، باب: فضل العلماء، والحث على طلب العلم.

باب العمل بالعلم

٦٧٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا الحاكم أبو الحسن علي بن الحسين، حدثنا الحسين بن إسماعيل القاضي، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا إبراهيم بن رستم، حدثنا حفص الأثري، عن إسماعيل بن سميع، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «العلماءُ أمناءُ الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان، ويدخلوا في الدنيا؛ فإذا دخلوا في الدنيا، فقد خانوا الرسل، فاعتزلوهم واحذروهم»[1].

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا عبدالله بن نمير، عن جعفر بن بُرْقان، عن الفرات بن سليمان قال: قال أبو الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ: لا يكون عالماً حتى يكون متعلّماً، ولا يكون عالماً حتى يكون بالعلم عاملاً.

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: ويلٌ للذي لا يعلم مرّة، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات.

وعنه أيضاً ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إني لا أخافُ أن يُقالَ لي يوم القيامة: يا عويمر، ماذا علمت؟ لكن أخاف أن يقال لي يوم القيامة: يا عويمر ماذا عملتَ فيما علمت؟.

وعن عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ أنه قال: من علم وعمل وعلَّم فذلك

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٤٢١٠)، والحسن بن سفيان في مسنده، والعقيلي في الضعفاء عن أنس، وقال ابن الجوزي: موضوع، إبراهيم لا يُعرف، والعبدي. متروك. وتعقبه السيوطي بقوله: قوله موضوع ممنوع؛ وله شواهد فوق الأربعين، فنحكم له على مقتضى صناعة الحديث بالحسن. (فيض القدير ٤/٣٨٢ ـ ٣٨٣) و(الموضوعات ١/٢٦٣).

الذي يُدعى في ملكوت السماوات عظيماً.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال لعبدالله بن سلام ـ رضي الله تعالى عنه ـ: من أرباب العلم؟ قال: الذين يعملون به. قال: فما ينفي العلم من صدور الرجال؟ قال: الطمع.

وعن عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ: ماذا يغني عن الأعمى؛ حمل السراج ويستضيء به غيره؟ وماذا يغني عن البيت المظلم أن يكون السراج على ظهره؟ وماذا يغني عنكم أن تتكلموا بالحكمة وما تعملون بها؟.

وعنه أيضاً عليه السلام قال: ما أكثر الأشجار، وليس كلها بمثمر! وما أكثر العلماء وليس كلهم بمرشد! وما أكثر الثمار وليس كلها بطيب! وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع!.

وعن الأوزاعي قال: مَن عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم.

٦٧٦ ـ وقال سهل بن عبدالله: الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم سكرى إلا العاملون بالعلم، والعاملون مغرورون إلا المخلصون، والمخلصون في الخطر[١].

٦٧٧ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا تجلسوا عند كلّ عالم إلا الذي يدعوكم من الخمس إلى الخمس: من الشك إلى اليقين، ومن التكبّر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد»[٢].

وروي عن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال: إذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل أن يتعلم منه؛ لأنَّ العالمَ إذا لم يعمل بالعلم لا ينفع العلم إياه ولا غيره، وإن جمع العلم بالأوقار[٣]؛ لأنّه بلغنا أن رجلاً في بني إسرائيل جمع ثمانين

---

(١) ذكره الصغاني في الموضوعات ص (٣٨). وقال محمد الحوت البيروتي في كتابه «أسنى المطالب» رقم (١٦٣١): موضوع، وهذا الحديث ذكره السمرقندي في كتاب «تنبيه الغافلين» وولع به أهل الوعظ. وانظر: كشف الخفاء (٢/٤٣٣)، والفوائد المجموعة ص(٢٥٧).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/٧٢) وقال: كان شقيق كثيراً ما يعظ به أصحابه والناس، فوهم فيه الرواة فرفعوه وأسندوه. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/٢٥٧) وقال: هذا ليس من كلام رسول الله ﷺ.

(٣) «الأوقار»: جمع وِقْر، الحمل الثقيل.

تابوتاً من العلم، فأوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء أن قُلْ لهذا الحكيم: لو جمعت مثله معه لا ينتفع به إلا أن تعمل بهذه الثلاثة أشياء:

أولها: أن لا تحبّ الدّنيا؛ فإنها ليست بدار المؤمنين.

والثاني: أن لا تصاحبَ الشيطان؛ فإنه ليس برفيق المؤمنين.

والثالث: أن لا تؤذي المؤمنين؛ فإنه ليس بحرفة المؤمنين.

قال سفيان بن عُيينة[1] ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ليس يحسن على الناس الجهل. من عمل بما يعلم فهو من أعلم الناس، ومن ترك العمل بما يعلم فهو الجاهل. قال: وقد كان يقال: يغفر للجاهل سبعون ذنباً ما لا يغفر للعالم واحدة.

وذكر في الخبر: أن الملائكة تتعجّب من ثلاثة: عالم فاسق يحدّث الناس بما لا يعمل به، وقبر الفاجر يُبنى بالجصّ والآجر، والنقش على جنازة الفاجر.

ويقال: أشدّ الحسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل له مملوك صالح يدخل الجنة ومولاه يدخل النار، ورجل جمع المال ومنع منه حقوق الله تعالى فيموت فينفق منه ورثته في طاعة الله تعالى فينجون به والذي جمعه في النار، ورجل عالم سوء يحدث الناس ينجو الناس بعلمه وهو يصير إلى النار.

وقال رجل للحسن البصري ـ رضي الله تعالى عنه ـ: إنّ فقهاءنا يقولون كذا، فقال الحسن: وهل رأيت فقيهاً قط؟ إنما الفقيه: الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه.

ويقال: إذا اشتغل العلماء بجمع الحلال صار العوام أكلة الشبهة، وإذا صار العلماء أكلة الشبهة صار العوام أكلة الحرام، وإذا صار العلماء أكلة الحرام صار العوام كفاراً.

قال الفقيه: لأن العلماء إذا جمعوا الحلال فالعوام يقتدون بهم في الجمع، ولا يحسنون العلم فيقعون في الشبهة. وأما إذا أخذ العلماء من الشبهة وتحرزوا عن الحرام فيقتدي بهم الجهال، ولا يميزون بين الشبهة والحرام، فيقعون في الحرام،

---

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي ثم المكي: ثقة حافظ فقيه إمام حُجّة؛ إلا أنه تغير حفظه بآخره، وكان ربّما دلّس، لكن عن الثقات. وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار. (تقريب التهذيب ١/٣١٢).

وأما إذا أخذ العلماء من الحرام فيقتدي بهم الجهال، ويظنون أنه حلال فيكفرون إذ استحلوا الحرام.

ويقال: إذا كان يوم القيامة تعلّق الجهّال بالعلماء يقولون: أنتم قد علمتم فلم تدلونا، ولم تنهونا، حتى وقعنا فيما وقعنا.

٦٧٨ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه سئل أي الناس شر؟ قال: «العالم إذا فسد»[1].

ويقال: إذا فسد العالِم فسد لفساده العالَم.

وروي عن بشر بن الحارث[2] أنه كان يقول لأصحاب الحديث: أدوا زكاة هذه الأحاديث، قالوا: كيف نؤدّي زكاتها؟ قال: اعملوا من كل مئتي حديث بخمسة أحاديث.

وقال بعض الحكماء: تعلم العلم في زماننا تهمة، والاستماع مؤانسة، والقول به شهوة، والعمل به نزع النفس.

٦٧٩ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من تعلّم العلم لأربع دخل النار: ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يقبل به وجوه الناس إليه، أو يأخذ به من الأمراء المال والحرمة والجاه والمنزلة»[3].

وقال سفيان الثوري: أول العلم الصمت، والثاني: الاستماع، والثالث: الحفظ، والرابع: العمل به، والخامس: نشره.

وقال أبو الدرداء: كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك، يعني ممن لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع ولا يحبّ.

ويقال العلماء ثلاثة:

أولها: عالم بالله، وعالم بأمر الله.

والثاني: عالم بالله وليس عالماً بأمر الله.

---

(١) رواه الدارمي (١/ ٨٢) بنحوه.

(٢) هو بشر بن الحارث بن عبدالرحمٰن المروزي، نزيل بغداد، أبو نصر الحافي: الزاهد الجليل المشهور، ثقة قدوة. (تقريب التهذيب ١/ ٩٨).

(٣) رواه الترمذي (٢٦٥٤) في العلم، باب: ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا، من حديث كعب بن مالك، وقال: هذا حديث غريب؛ لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القويّ عندهم، تُكَلِّم فيه من قبل حفظه.

والثالث: عالم بأمر الله وليس بعالم بالله.

فأما العالم بالله وبأمر الله فالذي يخشى الله، ويعلم الحدود والفرائض، وأما العالم بالله وليس بعالم بأمر الله، فالذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض. وأما العالم بأمر الله وليس بعالم بالله، فالذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعت أبي ـ رحمه الله ـ قال: سمعت محمد بن جناح قال: قال أبو حفص يزاد للعالم عشرة أشياء: الخشية، والنصيحة، والشفقة، والاحتمال، والصبر، والحلم، والتواضع، والعفة في أموال الناس، والدوام على النظر في الكتب، وقلة الحجاب، وأن يكون بابه مفتوحاً للوضيع والشريف. فإنه بلغنا أن داود النبي ـ ﷺ ـ إنما ابتلي من شدّة الحجاب.

قال أبو حفص: عشرة أشياء قبيحة في عشرة أصناف من الناس: الحدة في السلطان، والبخل في الأغنياء، والطمع في العلماء، والحرص في الفقراء، وقلة الحياء في ذوي الأحساب، والفتوة في الشيوخ، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وإتيان الزهاد أبواب أهل الدنيا، والجهل في العباد.

قال فضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا كان العالم راغباً في الدنيا حريصاً عليها فإن مجالسته تزيد الجاهل جهلاً، والفاجر فجوراً وتقسي قلب المؤمن.

وقال بعض الحكماء: كلامُ الحكماء لهو السفهاء، وكلام السفهاء عبرة الحكماء.

قال الفقيه: يعني أن السفهاء إذا سمعوا كلام الحكماء يستظرفون كلامهم فيكون بمنزلة اللهو لهم، وأما الحكماء إذا سمعوا كلام السفهاء فيرون قبح ذلك الكلام فيعتبرون به ويحترزون عن مثل ذلك.

ويقال: . همّة السفهاء الاستماع، وهمّة العلماء الرواية، وهمّة الزهاد الرعاية، يعني يتعاهدون بما فيه، ويعملون به.

* * *

باب فضل مجالس أهل العلم

٦٨٠ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا أبو القاسم بن محمد بن روزبة، حدثنا أبو موسى، عيسى بن خشنام، حدثنا سويد، عن مالك، عن إسحاق بن عبدالله، عن أبي طلحة، عن أبي مرّة، عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ـ ﷺ ـ بينما هو جالس والناس معه ـ إذ أقبل ثلاثة نفر. فأمَّا أحدهم فرأى فرجة في الحلقة فجلس إليها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ـ ﷺ ـ من كلامه قال:

«ألا أخبركم عن النّفر الثلاثة؟ فأما الأول فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الثاني فاستحى من الله أن يؤذي الناس فاستحى الله منه، وأما الثالث فأعرض، فأعرض الله عنه»[1].

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا سفيان، عن داود بن شابور، عن شهر بن حوشب قال: قال لقمان لابنه: يا بني إذا رأيت قوماً يذكرون الله فاجلسْ معهم، فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً علّموك، ولعل الله تعالى يطّلع عليهم برحمته فتصيبك معهم. وإذا رأيتَ قوماً لا يذكرون الله تعالى فلا تجلس معهم فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً يزدك غيّاً، ولعل الله يطّلع عليهم بسخطه فيصيبك معهم.

٦٨١ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إنّ لله تعالى ملائكة سيّاحين في الأرض، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا وقالوا: هلّموا إلى

---

(١) رواه البخاري (٦٦) في العلم، باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومسلم (٢١٧٦) في السلام، باب: من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها، وإلا وراءهم.

بغيتكم، فيجيئون فيحفون بهم، فإذا صعدوا إلى السماء فيقول الله تعالى: على أي شيءٍ تركتم عبادي يصنعون؟ وهو أعلم بهم، قالوا: تركناهم يحمدونك، ويسبحونك، ويذكرونك. فيقول: فأي شيءٍ يطلبون؟ فيقولون: الجنة. فيقول الله عز وجل: هل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول: كيف لو رأوها؟فيقولون: لو رأوها لكانوا أشدّ لها طَلَباً، وأشد عليها حرصاً.

فيقول: من أي شيءٍ يتعوّذون؟ فيقولون: يتعوّذون من النار. فيقول الله تعالى: هل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول: لو رأوها لكانوا أشدّ منها هَرَباً، وأشدّ منها خوفاً.

فيقول: إنّي أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم. فيقولون: إن فيهم فلاناً الخاطىء، لم يُرِدْهُم، وإنما جاءهم لحاجة. فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[1].

وروى عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: مثل الجليس الصالح كمثل حامل المسك، إن لم يعطك منه أصابك من ريحه. ومثل جليس السوء كمثل القين إن لم يحرق ثيابك أصابك من ريح دخانه[2].

وعن كعب الأحبار ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إن الله عز وجل كتب كلمتين ووضعهما تحت العرش قبل أن يخلقَ الخَلْقَ، ولم يعلم الملائكة عن علمهما، وأنا أعلم بهما. قيل: يا أبا إسحاق وما هما؟ قال: إحداهما كتب: لو كان رجل يعمل عَمَلَ جميع الصالحين بعد أن تكون صحبته مع الفجّار، فأنا الذي أجعل عمله إثماً وأحشره يوم القيامة مع الفجار. والأخرى: لو كان رجل يعمل عمل جميع الأشرار بعد أن تكون صحبته مع الصّالحين والأبرار، ويحبّهم فأنا الذي أجعل آثامه حسنات وأحشره يوم القيامة مع الأبرار.

قال الفقيه: يقال: من انتهى إلى العالِم وجلس معه، ولا يقدر على أن يحفظَ العلم فله سبع كرامات:

أولها: ينال فضل المتعلّمين.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٨) في الدعوات، باب: فضل ذكر الله عز وجل، ومسلم (٢٦٨٩) في الذكر والدعاء، باب: فضل مجالس الذكر، والترمذي (٣٦٠٠) في الدعوات، باب (١٣٠).

(٢) رواه البخاري (٢١٠١) في البيوع، باب (٣٨)، ومسلم (٢٦٢٨) في البر والصلة والآداب، باب: استحباب مجالسة الصالحين. من حديث أبي موسى. «القين»: الحدّاد.

والثاني: ما دام جالساً عنده كان محبوساً عن الذنوب والخطايا.

والثالث: إذا خرجَ من منزله تنزل عليه الرحمة.

والرابع: جلس عنده فتنزل عليهم الرحمةُ فتصيبه ببركتهم.

والخامس: ما دام مستمعاً تكتب له الحسنة.

والسادس: تحفّ عليهم الملائكة بأجنحتها رضاً وهو فيهم.

والسابع: كل قدم يرفعه ويضعه يكون كفّارة للذنوب ورفعاً للدرجات له وزيادة في الحسنات.

ثم يكرمه الله تعالى بست كرامات أخرى:

أولها: يكرمه بحبّ شهود مجلس العلماء.

والثاني: كلّ من يقتدي به فله مثل أجورهم من غير أن ينقصَ من أجورهم شيء.

والثالث: لو غفر لواحد منهم يشفع لهم.

والرابع: يبرد قلبه من مجلس الفساق.

والخامس: يدخل في طريق المتعلّمين والصّالحين.

والسادس: يقيم أمر الله تعالى؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ**﴾ [آل عمران: ٧٩] يعني العلماء والفقهاء. هذا لمن لم يحفظ شيئاً، وأما الذي يحفظ فله أضعاف مضاعفة.

وقال بعض الحكماء: إنّ لله تعالى جنّة في الدنيا، من دخلها طاب عيشه. قيل: ما هي؟ قال: مجالس الذكر.

٦٨٢ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «المجلس الصّالح يكفّر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء»[1].

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: إنّ الرجل ليخرج من منزله، وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف واسترجع عن ذنوبه، فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالسَ العلماء، فإنّ الله تعالى لم يخلقْ على وجه الأرض بقعة أكرم على الله من مجالس العلماء.

---

(١) ذكره الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٩) وقال: ذكره صاحب الفردوس من حديث أسد بن وداعة؛ وهو مرسل، ولم يخرجه ولده، وكذلك لم أجد له إسناداً.

٦٨٣ ـ وروى حميد عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: متى قيام الساعة؟ فقال: «ما أعددتَ لها؟» قال: ما أعددتُ لها كثيراً من صلاة ولا صيام، إلا أنّي أحبّ الله ورسوله، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «المرء مع من أحبّ، وأنتَ مع من أحببت».

قال أنس: وما رأيت المسلمين فرحوا بشيء كفرحهم بذلك[1].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: ثلاثة أقولهن حقاً، لا يتولى الله عبداً في الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة، وليس من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، والمرء مع من أحبّ، والرابعة لو حلفتُ عليها لبررت، لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر الله عليه في الآخرة.

وروي عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه دخل السوق فقال: أنتم هٰهنا وميراث محمد ـ ﷺ ـ يقسم في المسجد، فذهب الناس إلى المسجد، وتركوا السوق فرجعوا. وقالوا: يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم. فقال لهم: ما رأيتم؟ قالوا: رأينا قوماً يذكرون الله تعالى ويقرؤون القرآن. قال: فذلك ميراث محمد ـ ﷺ ـ.

وعن علقمة بن قيس قال: لأن أغدوَ على قوم أسألهم عن الله تعالى، أو يسألونني عنه أحب إليّ من أن أحمل على مئة فرس في سبيل الله تعالى.

٦٨٤ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما جلس قومٌ يذكرون الله تعالى إلا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا فقد بدّلت سيئاتكم حسنات، وغفرت لكم جميعاً، وما قعدتْ عدةٌ من أهل الأرض يذكرون الله تعالى إلا قعدتْ معهم عدتهم من الملائكة»[2].

قال شقيق الزاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: الناس يقومون من مجلسي على ثلاثة أصناف: كافر محض، ومنافق محض، ومؤمن محض، قال: لأني أفسّر القرآن فأقول عن الله تعالى وعن رسوله، فمن لم يصدّقني فهو كافر محض، ومن كان يضيق قلبه

---

(١) رواه البخاري (٦١٧١) في الأدب، باب: علامة الحب في الله، ومسلم (٢٦٣٩) في البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحبّ.

(٢) رواه أحمد (١٤٢/٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦/١٠): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، وفيه ميمون المرئي وثقه جماعة وفيه ضعف، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح، من حديث أنس بن مالك.

بهذا فهو منافق محض، ومن ندم على ما صنع ونـوى أن لا يذنب بعـد هذا فهـو مؤمن محض.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: يقـال: مَن جلس مع ثمـانية أصنـاف من الناس زاده الله ثمانية أشياء:

من جلس مع الأغنياء زاده الله حب الدنيا والرغبة فيها.

ومن جلس مع الفقراءِ زاده الله الشكر والرضا بقسمة الله تعالى.

ومن جلس مع السلطان زاده الله الكبر وقساوة القلب.

ومن جلس مع النساء زاده الله الجهل والشهوة.

ومن جلس مع الصبيان زاده الله اللهو والمزاح.

ومن جلس مع الفسّاق زاده الله الجرأة على الذنوب والمعاصي، والإقـدام عليها والتسويف في التوبة.

ومن جلس مع الصالحين زاده الله الرغبة في الطاعات.

ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم والورع.

ويقال: ثلاثة من النوم يبغضها الله تعالى، وثلاثة من الضحك يبغضها الله تعالى النوم عند مجلس الذكر، والنـوم بعد صـلاة الفجـر وقبـل العشاء الآخـرة، والنوم في صلاة الفريضة، والضحك خلف الجنـازة، والضحك في مجلس الـذكر، والضحـك عند المقابر.

وقال أبو يحيى الوراق: المصائب أربعة: فوت التكبيـرة الأولى، وفوت مجلس الذكر، وفوت مواقعة العدو، وفوت الوقوف بعرفات؛ يعني إذا خرج إلى الحـج وفاتـه الحج.

ويقال: مجالسة العلماء مرمة للدين، وزين للبـدن، ومجالسـة الفساق جـراحة للدين، وشين للبدن.

٦٨٥ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «النـظر في وجه الـوالد عبـادة، والنظر في الكعبة عبادة، والنّظر في المصحف عبادة، والنظر في وجه العالم عبادة»[1].

قال الفقيه: «لو لم يكن لحضور مجلس العلم منفعة سوى النظر إلى وجه العالم

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٦٨٦٧)، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة ص(٢٨٧) مختصراً.

لكان الواجب على العاقل أن يرغب فيه، فكيف وقد أقام النبي - ﷺ - العالم مقام نفسه فقال: ٦٨٥/م - «من زار عالماً فكأنما زارني، ومن صافح عالماً فكأنما صافحني، ومن جالس عالماً فكأنما جالسني، ومن جالسني في الدنيا أجلسه الله معي يوم القيامة في الجنة»[1].

وروي عن الحسن البصري - رحمه الله تعالى - أنه قال: مثل العلماء مثل النجوم إذا بدت اهتدوا بها، وإذا أظلمت تحيروا، وموت العالِم ثُلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلفت الليالي والأيام.

* * *

---

(١) قال الشوكاني في الفوائد المجموعة ص(٢٨٥): في إسناده كذاب. ورواه ابن النجار من حديث أنس في قصّة بيّنة الكذب. (تنزيه الشريعة ١/٢٧٢).

باب ما جاء في الشّكر

٦٨٦ ـ قال الفقيه أبـو الليث السمرقنـدي : حدثنـا الفقيه أبـو جعفر ـ رحمـه الله تعالى ـ، حدثنا أبو القاسم أحمد بن حم، حدثنا محمـد بن سلمة، حـدثنا محمـد بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسـامة، عن زكـريا بن أبي زائـدة، عن سعيد بن أبي بـردة، عن أنس بن مـالـك ـ رضي الله تعـالى عنـه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنـه قـال: «إنّ الله تعـالى ليرضى عن العبد أن يأكلَ الأكلة أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[1].

٦٨٧ ـ قـال: حدثنـا الفقيه أبـو جعفر ـ رحمـه الله تعالى ـ، حـدثنـا محمـد بن عقيـل، حـدثنـا عيـاش الـدوري، حـدثنـا عمرو بن حفص، حـدثنـا أبي، عن عبدالرحمٰن بن إسحاق، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، قـالت: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول:

«إذا جمـع الله الأولين والآخرين يجيء منـادٍ فينادي بصـوت يسمعه الخـلائق: سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم، ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقـومون وهم قليـل، ثم ينادي: ليقم الـذين كانت لا تلهيهم تجـارة ولا بيع عن ذكـر الله، فيقومون وهم قليل، ثم ينادي: ليقم الذين كانـوا يحمدون الله تعـالى في السراء والضراء، فيقومون وهم قليل، ثم يحاسب سائر الناس»[2].

قـال: حدثنـا محمـد بن داود، حـدثنـا محمـد بن جعفـر الكـرابيسي، حـدثنـا إبراهيم بن يوسف، حدثنا محمد بن عبيد، عن يوسف بن ميمون، عن الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ قال: قال موسى ـ عليه الصلاة والسـلام ـ لربـه: يا رب كيف استـطاع آدم

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٤) في الذكر والدعاء، باب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، والترمذي (١٨١٦) في الأطعمة، باب (١٨) وقال: حديث حسن.

(٢) ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤/٣٧٣) وعزاه لابن إسحاق وأبي يعلى، وسكت عليه البوصيري.

أن يؤدي شكر ما صنعت إليه، خلقته بيدك، ونفخت فيه من روحك، وأسكنته جنتك، وأمرت الملائكة فسجدوا لـه، قال يـا موسى: علم آدم أن ذلـك مني فحمدني عليـه، فكان ذلك شكراً لما صنعت إليه.

٦٨٨ ـ وروي عن سعيد عن قتادة أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «أربع من أعطيهن فقد أعطي خيري الدنيا والآخرة: لسان ذاكـر، وقلب شاكـر، وبدن صـابر، وزوجـة مؤمنة صالحة»[1].

ويقال: كان من دعاء داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ: اللهم إني أسـألك أربعـة، وأعوذ بك من أربعة. أما اللواتي أسألك: فلساناً ذاكراً، وقلباً شـاكراً، وبـدناً صـابراً، وزوجـة تعينني في دنياي وآخرتي. وأما اللواتي أعـوذ بك منهن: فـأعوذ بـك من ولد يكون عليَّ سيداً، ومن امـرأة تشيّبني قبل وقت المشيب، ومن مـال يكون عـذاباً لي، ومن جار لو رأى مني حسنةً كتمها، ولو رأى مني سيئةً أفشاها.

وروي عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال لجلسائـه: ما العـافية فيكم؟ فقـال كل واحـد منهم شيئاً. فقـال معاويـة: العافيـة للرجل أربعـة أشيـاء: بيت يؤويـه، وعيش يكفيه، وزوجة ترضيه، ونحن لا نعرفه فنؤذيه، يعني لا يعرفه السلطان فيؤذيه لأنـه كان خليفة وسلطاناً.

وعن سفيان الثوري ـ رحمه الله تعالى ـ قال: نعمتان إن رزقك الله تعالى إياهما فاحمدِ الله عليهما واشكره: اجتنابك من باب السلطان، واجتنابك من باب الطبيب.

وعن بكر بن عبدالله المزني قال: من كـان مسلماً وبـدنه في عـافية فقـد اجتمع عليه سيد نعيم الدنيا، وسيد نعيم الآخرة، لأن سيد نعيم الدنيا هو العافية، وسيد نعيم الآخرة هو الإسلام.

٦٨٩ ـ وعن ابن عبـاس ـ رضي الله تعالى عنهمـا ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنـه قـال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصّحّة، والفراغ»[2].

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٢٧٣): رواه الطبراني في الكبيـر والأوسط، ورجال الأوسط رجـال الصحيح. من حديث ابن عبـاس. ورواه ابن أبي الدنيـا في «الشكر» رقم (٣٤)، والبيهقي في الشعب (٤٤٢٩).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٢) في الرقاق، باب (١)، والترمذي (٢٣٠٤) في الزهد، بـاب (١)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤١٧٠) في الزهد، باب: الحكمة. «مغبون فيهما»: أي ذو خسران فيهما.

وروي عن بعض التابعين ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أنه قال: من تظاهرتْ عليه النّعم فليكثر ذكر الحمد لله، ومن كثرت همومه فعليه بالاستغفار، ومن ألحّ عليه الفقر فليكثر: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٦٩٠ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إذا كان في الطعام أربعة فقد كمل شأنه كلّه: إذا كان من حلال، وإذا أكل ذكر اسم الله عليه، ثم تكثر عليه الأيدي، وإذا فرغ منه حمد الله»[1].

٦٩١ ـ وروى الحسن عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما أنعم الله على عبد من نعمة، صغرت أو كبرت، فقال الحمدلله إلا كان قد أعطي أفضل مما أخذ»[2].

٦٩٢ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «عجبتُ لأمر المؤمن، أمره كله خير له، إن أصابه خير فشكر كان خيراً له، وإن أصابه شر فصبر كان خيراً له»[3].

وعن مكحول ـ رحمه الله تعالى ـ أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ [التكاثر: ٨] قال: بارد الشراب، وظلّ المساكن، وشبع البطون، واعتدال الخلق، ولذّة النوم.

وذكر عن عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه خرج ذات يوم إلى أصحابه، وعليه مِدْرَعة من صوف، وكساء من صوف، وتبّان من صوف، مجزوز الرأس والشاربين، باكياً متغير اللون من الجوع، يابس الشفتين من الظمأ، طويل شعر الصدر والذراعين، فقال: السلام عليكم، أنا الذي أنزلت الدنيا منزلتها بإذن الله، ولا عجب ولا فخر يا بني إسرائيل، تهاونوا بالدنيا تهن عليكم، وأهينوا الدنيا تكرم لكم الآخرة، ولا تهينوا الآخرة فتكرم عليكم الدنيا، فإن الدنيا ليست بأهل كرامة، هي تدعو كل يوم إلى الفتنة والخسارة. ثم قال: إن كنتم جلسائي وأصحابي فوطنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من الدنيا، فإن لم تفعلوا فلستم بأصحابي ولا بإخواني. يا بني إسرائيل اتخذوا المساجد بيوتاً، والقبور دوراً، كونوا كأمثال

---

(١) رواه أبو عبدالرحمٰن السلمي في سننه من حديث ابن عباس، وفيه عمرو بن جميع. (تنزيه الشريعة ٢/٢٦٥ ـ ٢٦٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٠٥) في الأدب، باب: فضل الحامدين، وفي الزوائد: إسناده حسن، شبيب بن بشر مختلف فيه. وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٥٦) من حديث أنس.

(٣) رواه مسلم (٢٩٩٩) في الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، وأحمد (٤/٣٣٣).

الأضياف، ألا ترون إلى طيور السماء لا يزرعون ولا يحصدون، والله في السماء يرزقهم. يا بني إسرائيل، كلوا من خبز الشعير، ومن بقول الأرض، واعلموا أنكم لم تؤدّوا شكر ذلك، فكيف ما فوق ذلك؟.

وروي أن سعيد بن جبير قال: أول من يدخل الجنة من يحمد الله في السّرّاء والضّرّاء.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: اعلم أن الحمد والشكر عبادة الأولين والآخرين، وعبادة الملائكة، وعبادة الأنبياء عليهم السلام، وعبادة أهل الأرض، وعبادة أهل الجنة، فأما عبادة الأنبياء عليهم السلام فهو أن آدم عليه السلام لما عطس قال: الحمد لله، وأن نوحاً عليه الصلاة والسلام لما أغرق الله قومه وأنجاه ومن معه من المؤمنين أمره الله تعالى بأن يحمده فقال له: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وقال إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام: ﴿الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وقال داود وسليمان ـ عليهما الصلاة والسلام ـ: ﴿الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥] وإن أهل الجنة يحمدون الله تعالى في ستة مواضع:

أحدها: عند قوله تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩] فإذا امتازوا يقولون ﴿الحمْدُ للَّهِ الَّذِي نجّانا مِنَ القَومِ الظالمين﴾ [المؤمنون: ٢٨].

والثاني: حين جاوزوا الصراط قالوا: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

والثالث: لما اغتسلوا بماء الحياة نظروا إلى الجنة فقالوا: ﴿الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

والرابع: حين دخلوها قالوا: ﴿الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرضَ﴾ [الزمر: ٧٤].

والخامس: حين استقروا في منازلهم قالوا: ﴿الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٤ ـ ٣٥] الآية.

والسادس: حين فرغوا من الطعام قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وقال بعض الحكماء: اشتغلت بشكر أربعة أشياء:

أولها: أن الله تعالى خلق ألف صنف من الخلق، ورأيت بني آدم أكرم الخلق، فجعلني من بني آدم.

والثاني: فضل الرجال على النساء، فجعلني من الرجال.

والثالث: رأيت الإسلام أفضل الأديان وأحبّها إلى الله تعالى، فجعلني مسلماً.

والرابع: رأيت أمة محمد ـ ﷺ ـ أفضل الأمم، فجعلني من أمة محمد ـ ﷺ ـ.

٦٩٣ ـ وروي عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إنّ الله تعالى خَلَق الخَلْق حين خلقهم، وهم أربعة أصناف: الملائكة، والجن، والإنس، والشياطين، وجعلهم عشرة أجزاء، تسعة منهم الملائكة، وجزء واحد الجن والإنس والشياطين».

ويقال: الخلق عشرة أجزاء: تسعة منها الشياطين والجن، وواحد منها الإنس، ثم جعل الإنس مئة وخمسة وعشرين صنفاً، فالمئة منها يأجوج ومأجوج، وخمسة وعشرون سائر الخلق، فاثنا عشر من ذلك الروم والخزر والسقلاب ونحوها، وستة في المغرب: الزلط والحبش والزنج ونحوها، وستة بالمشرق الترك، والخاقان، وغز، وتغر، وخلنج، وكيماك، ويملك، فهؤلاء كلهم كفار، ومصيرهم في النار، إلا من أسلم، ويبقى صنف واحد من المسلمين من مئة وخمسة وعشرين صنفاً، فالواجب على كل من كان مؤمناً أن يحمد الله تعالى على هذا، ويعرف نعمته، ويعلم أن الله تعالى قد اختاره من جملة الخلق وجعله من صنف المؤمنين، ثم جعل الصنف الواحد من المسلمين على ثلاثة وسبعين صنفاً: إثنان وسبعون من ذلك في أهواء مختلفة كلهم على الضلالة وواحد على سبيل السنة.

ويقال: الشكر على وجهين: شكر العام، وشكر الخاص. فأما الشّكر العام: فهو الحمد باللسان، وأن يعترفَ بالنّعمة من الله تعالى. وأما الشّكر الخاص: فالحمد باللسان، والمعرفة بالقلب، والخدمة بالأركان، وحفظ اللسان وسائر الجوارح عما لا يحلّ.

وعن محمد بن كعب أنه قال: الشكر: العمل. لقوله تعالى: ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً**﴾ [سبأ: ١٣] يعني اعملوا عملاً تؤدّون به شكراً.

٦٩٤ ـ وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «خصلتان مَن كانتا فيه كتبه الله عنده شاكراً صابراً إحداهما: أن ينظر في دينه إلى مَن هو فوقه، فيقتدي به وينظر في دنياه إلى من هو دونه فيحمد الله»[١].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: تمام الشكر في ثلاثة أشياء:

أولها: إذا أعطاك الله شيئاً، فتنظر من الذي أعطاك، فتحمده عليه.

والثاني: أن ترضى بما أعطاك.

والثالث: ما دام منفعة ذلك الشيء معك وقوته في جسدك لا تعصه.

وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: إن لله تعالى من خلقه صفوة، إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا أُنعموا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا.

وروي عن محمد بن كعب القرظي[٢] قال: ركب سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ مركباً، فجاء أناس من قومه، فقالوا: يا رسول الله، أعطيت شيئاً ما أعطى أحد قبلك؟ قال سليمان ـ عليه السلام ـ: أربع خصال من كُنّ فيه فقد أُعطي خيراً مما أُعطي آل داود من الدنيا: خشية الله في السرّ والعلانية، والقصد في الغِنى والفقر، والعدل في الغضب والرضا، وحمد الله في السراء والضراء.

وروي عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قيل له: أيّ الناس أنعم؟ قال: جسد في التراب، آمن من العذاب، منتظر الثواب.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٢) في صفة القيامة، وفي سنده المثنى بن الصباح، وهو ضعيف، وابن أبي الدنيا في الشكر رقم (٢٠٠).

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة القُرَظي، المدني: ثقة، عالم. (تقريب التهذيب ٢/٢٠٣).

باب فضل الكسب

٦٩٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن الحجاج بن فرافصة، عن مكحول، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال:

«من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة، وسعياً على أهله، وتعطّفاً على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر. ومن طلب الدنيا حلالاً مُكاثراً مُفاخراً مُرائياً لقي الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان»[1].

قال: حدثنا القاسم بن حمزة بن محمد، حدثنا أبو القاسم أحمد بن حم، عن نصير بن يحيى قال: حدثنا بعض أصحابنا أن داود النبي ـ صلوات الله تعالى عليه وسلامه ـ كان يخرج متنكّراً فيسأل عن سيرته من يراه من أهل مملكته، فتعرّض له جبريل ـ عليه السلام ـ على صورة آدمي فقال له داود عليه السلام: يا فتى، ما تقول في داود؟ فقال: نعم العبد هو غير أن فيه خصلة. قال: وما هي؟ قال: يأكل من بيت مال المسلمين، وما في العباد أحبّ إلى الله من عبد يأكل من كدّ يده، فعاد إلى محرابه باكياً متضرعاً يقول: يا رب علمني صنعة أعملها بيدي تغنيني بها عن مال المسلمين، فعلّمه الله تعالى صنعة الدروع وألان له الحديد، حتى كان في يده بمنزلة العجين، وكان إذا تفرغ من القضاء وحوائج أهله، عمل درعاً، فباعها وعاش هو وعياله بثمنها. وذلك قوله تعالى: ﴿**وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ**﴾ [سبأ: ١٠] وقوله: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ**﴾ [الأنبياء: ٨٠] يعني لتحفظكم من حربكم.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/١١٠) و(٨/٢١٥) وقال: غريب من حديث مكحول، لا أعلم له راوياً عنه إلا الحجاج، ورواه البيهقي في الشعب (١٠٣٧٤).

قال: حدثنا حمزة بن محمد، حدثنا أبو القاسم أحمد بن حم، حدثنا ابن يحيى، حدثنا مكي بن إبراهيم، عن شيخ بن أشجع، عن ثابت البناني - رضي الله تعالى عنه - قال: بلغني أن العافية عشرة أجزاء: تسعة في السكوت، وواحدة في الفرار من الناس، والعبادة عشرة أجزاء: تسعة في طلب المعيشة، وواحدة في العبادة.

٦٩٦ - وروى جابر بن عبدالله - رضي الله تعالى عنهما - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «ما فتح الرّجلُ على نفسه بابَ مسألة إلا فتح الله عليه باب الفقر. ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغنِ يغنه الله. لأن يأخذ أحدكم حبلاً فيعمد إلى هذا الوادي، فيحتطب فيه، ثم يأتي سوقكم هذا فيبيعه بمد من تمر، لكان خيراً له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[1].

٦٩٧ - وعن النبي - ﷺ - أنه قال: «عليكم بالبزّ، فإنّ أباكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان بزّازاً».

٦٩٨ - وروى أبو هريرة - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - ﷺ -: «إنّ زكريا عليه الصلاة والسلام كان نجاراً»[2].

وروى هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنها قالت: كان سليمان بن داود - عليهما السلام - يخطب الناس على المنبر، وإن في يده لَخَوْصاً[3] يعمل به القفة أو بعض ما يعمل، فإذا فرغ ناوله إنساناً، وقال: اذهب به وبِعْه.

وقال شقيق بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوا فِي الأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]: إن الله عز وجل لو رزق العباد من غير كسب لتفرّغوا فتفاسدوا، ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرّغوا للفساد.

وقال سعيد بن المسيب: لا خيرَ فيمن لا يجمع المال من حله، فيخرج منه حقّه، ويصون به عرضه.

---

(١) رواه ابن جرير في تهذيبه من حديث أبي هريرة. (كنز العمال ١٦٧٤٧)، وروى أبو يعلى أوله. (مجمع الزوائد ٣/ ٩٥).

(٢) رواه مسلم (٢٣٧٩) في الفضائل، باب: من فضائل زكريا عليه السلام.

(٣) «الخوص»: وَرَقُ النخل والمُقْل والنّارجيل وما شاكلها.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: يا معشر الفقراء، ارفعوا رؤوسكم، واتّجروا فقد وضح الطريق، ولا تكونوا عيالاً على الناس.

وروى العوام بن حوشب، عن أبي صالح مولى عمر ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أنه قال: كان عمر يأمرنا أن نشترك ثلاثة: فيجلب واحد، ويبيع الآخر، ويغزو الثالث في سبيل الله تعالى.

قال العوام: فحدّثني أبو صالح، ورأيته مرابطاً بالساحل، قال: نحن ثلاثة شركاء، وهذه نوبتي في الغزو.

قال: وسمعت الفقيه أبا جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ قال: روي عن ابن المبارك أنه قال: من ترك السوق ذهبت مروءته، وساء خلقه.

وعن إبراهيم بن يوسف ـ رحمه الله تعالى ـ قال لمحمد بن سلمة: عليك بالسوق، فإنه أعزّ لصاحبه.

٦٩٩ ـ وعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «من غَرس غرساً أو زرع زرعاً، فأكل منه إنسان أو دابة أو طير أو سبع فهو له صدقة»[١].

٧٠٠ ـ وعن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لو قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاعَ أن لا يقومَ حتى يغرسها فليفعل»[٢].

٧٠١ ـ وعن مكحول ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إيّاكم أن تكونوا عيّابين أو مداحين أو طعّانين أو متماوتين»[٣]. يعني أن يجعل نفسه كالميت لا يشتغل بالكسب.

٧٠٢ ـ وعن الأعمش، عن أبي المخارق قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ مع أصحابه إذ مرّ عليهم أعرابي شاب جلْد، فقال أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ:ويحه

---

(١) رواه مسلم (١٥٥٢) في المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع، وأحمد (٦/ ٤٢٠).
(٢) رواه البزار كما في كشف الأستار (١٢٥١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٦٣): رواه البزار، ورجاله أثبات ثقات. وقال الهيثمي: وكأنه أراد بقيام الساعة: أمارتها؛ فإنه قد ورد: «إذا سمع أحدكم بالدجال وفي يده فسيلة فليغرزها، فإن للناس عيشاً بعد».
(٣) فيه: مكحول: كثير الإرسال. (تقريب التهذيب ٢/ ٢٧٣).

لو كان شبابه وقوته في سبيل الله كان أعظم لأجره، فقال رسول الله - ﷺ -:

«إن كان يسعى على أبوين كبيرين ليعينهما فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على أولاده الصغار فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه ليستغني عن الناس فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى رياء وسمعة فهو في سبيل الشيطان»[1].

٧٠٣ - وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - أنه قال: «إنّ الله تعالى يحبّ كلّ مؤمن محترف أبا العيال، ولا يحبّ الفارغَ الصّحيح ؛ لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة»[2].

٧٠٤ - وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: كان النبي - ﷺ - يخرج إلى السوق ويشتري حوائج أهله فسئل عن ذلك فقال: «أخبرني جبريل عليه السلام، فقال: من سعى على عياله؛ ليكفّهم عن الناس؛ فهو في سبيل الله»[3].

٧٠٥ - وعن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه -: أن رجلاً جاء إلى النبي - ﷺ - فسأل منه حاجة، فقال له رسول الله - ﷺ -: «أو ما في بيتك شيء؟» قال: بلى يا رسول الله، حِلْسٌ قد تخرّق بعضه، ونحن نجلس عليه. وننام فيه، ونجعل بعضه تحتنا وبعضه فوقنا، وقصعة نأكل فيها ونشرب فيها ونغسل فيها رؤوسنا. فقال رسول الله - ﷺ -: «ائتني بهما جميعاً».

فأتاه بهما فأخذهما رسول الله - ﷺ - بيده وقال: «من يشتري هذين؟» فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم، فقال: «ألا من يزيد على درهم» مرتين، فقال رجل آخر: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه وقبض الدرهمين، ودفعهما إلى الرجل، وقال له: «اشترِ بأحدهما طعاماً واحمله إلى منزلك، واشترِ بالآخر قدوماً وائتني به»، فأتاه فشدّ له رسول الله - ﷺ - عوداً بيده، ثم قال: «انطلق، واحتطب، وبع، ولاأراك خمسة عشر يوماً». فذهب واكتسب عشرة دراهم فاشترى ببعضها طعاماً، وببعضها

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٣٢٥): رواه الطبراني في الثلاثة، ورجال الكبير رجال الصحيح. من حديث كعب بن عجرة.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٦٢): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عاصم بن عبيدالله، وهو ضعيف.

(٣) فيه جعفر بن محمد، قال النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن عُيينة: لم يكن صاحب حديث. (ميزان الاعتدال ١/٤١٤).

ثوباً فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أليس هذا خير لك من أن تجيءَ يوم القيامة، ومسألتك في وجهك نكتة سوداء لا يمحوها إلا النار»[1].

وقال بعضُ الحكماء: لا ينبغي للعاقل أن ينـزلَ بلداً ليس فيها خمسة: سلطان قاهر، وقاضٍ عادل، وسوق قائم، ونهر جارٍ، وطبيب حاذق.

وقيل لبعض الحكماء: ما خير المكاسب؟ قال: أما خير مكاسب الدنيا: فطلب الحلال لزوال الحاجة، والأخذ منه لعدة العبادة، وتقديم فضل زاد يوم القيامة. وأما خير مكسب الآخرة: فعلم معمول به نشرته، وعمل صالح قدمته، وسُنّة حسنة أحييتها. قيل: وما شرّ المكاسب؟ قال: أما شرّ مكاسب الدنيا فحرام جمعته، وفي المعصية أنفقته، ولمن لا يطيع ربه خلفته، وأما شرّ مكاسب الآخرة: فحقّ أنكرته حسداً، ومعصية قدمتها إصراراً، وسنة سيئة أحييتها عدواناً؛ أي ظلماً.

* * *

(١) رواه أبو داود (١٦٤١) في الزكاة، باب: ما تجوز فيه المسألة، وابن ماجه (٢١٩٨) في التجارات، باب: بيع المزايدة. «حِلْس»: كساء يلي ظهر البعير، يُفرش تحت القتب.

باب آفة الكسب والحذر عن الحرام

٧٠٦ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو حفص، عن سعيد، عن قتادة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: ذكر لنا أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إن شئتم لأحلفن أنّ التاجر فاجر»[1].

٧٠٧ ـ قال قتادة: وكان يقول ـ ﷺ ـ: «عجبتُ للتاجر أن يتخلّص يحلف بالنهار ويحسب بالليل»[2].

وقال: حدثنا حمزة بن محمد، حدثنا أبو القاسم أحمد بن حم، عن نَصر بن يحيى قال: بلغنا عن أهل العلم أنه قال: لا يقوم الدين والدنيا إلا بأربعة: العلماء، والأمراء، والغزاة، وأهل الكسب.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعتُ بعض الزهاد يفسّر هذا الكلام فقال: أما الأمراء فهم الرعاة يرعون الخلق، وأما العلماء فهم ورثة الأنبياء وهم يدلّون الخلق إلى الآخرة، والناس يقتدون بهم، وأما الغزاة فهم جند الله على الأرض لقمع الكفار ولأمن المسلمين، وأما أهل الكسب فهم أمناء الله تعالى لمصلحة الخلق. ثم قال: الرعاة إذا صاروا ذئاباً فمن يحفظ الغنم؟ والعلماء إذا تركوا العلم واشتغلوا بالدّنيا فبمن يقتدي الخَلْق؟ والغزاة إذا ركبوا للفخر والخيلاء وخرجوا للطمع فمتى يظفروا بالعدو؟ وأما أهل الكسب إذا خانوا الناس فكيف يأمن بهم الناس؟.

---

(١) رواه عبدالرزاق في الجامع من حديث الحسن. (كنز العمال ١٣٥٠٧).

(٢) رواه العقيلي من حديث أنس. (تنزيه الشريعة ٢/١٩٧). وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (١/٣١٦) في ترجمة بشر بن الحسين الأصبهاني، قال الدارقطني: متروك، وقال ابن عدي: عامة حديثه ليس بمحفوظ. «أن يتخلّص»: أي من النار.

قال بعض الحكماء: إذا لم يكن في التاجر ثلاث خصال افتقر في الدارين جميعاً:

أولها: لسان تقي من ثلاثة: الكذب، واللغو، والحلف.

والثاني: قلب صاف من ثلاث: من الغش والخيانة والحسد.

والثالث: نفس محافظة لثلاث: الجمعة والجماعة، وطلب العلم في بعض الساعات، وإيثار مرضاة الله تعالى على غيره.

وعن علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ أنه قال: التاجر إذا لم يكن فقيهاً ارتطم في الربا؛ يعني غرق في الربا، ثم ارتطم، ثم ارتطم.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: من لم يتفقّه في الدِّين فلا يتّجرن في أسواقنا.

وقال سفيان الثوري ـ رضي الله تعالى عنه ـ: لا تنظرن[1] إلى زي أهل السوق، فإن تحت ثيابهم ذئاباً.

وقال سفيان أيضاً: إياكم وجيران الأغنياء، وقراء الأسواق، وعلماء الأمراء.

وعن محمد بن أبي الشمال[2]: ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه دخل السوق فقال: يا أهل السوق سوقكم كاسد، وبيعكم فاسد، وجاركم حاسد، ومأواكم النار.

وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال: كسبُ الحلال أشدّ من نقل الجبل إلى الجبل.

وعن يونس بن عبيد ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: ما أعلم اليوم شيئاً أقل من درهم طيب ينفق، وأخٍ يسكن إليه في الإسلام، وعامل يعمل على السنة وما يزدادون إلا قلة، ولو وجدنا درهماً من الحلال لاستشفينا به مرضانا.

٧٠٨ ـ وقال معاذ بن جبل ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ما من عبد إلا ويُعرض على الله يوم القيامة، فلا تزول قدماه حتى يسأل عن أربع خصال: عن جسده، فيم أبلاه، وعن عمره فيم أفناه، وعن علمه كيف عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه؟[3].

---

(١) في (م): لا تنظروا.

(٢) قال البخاري: لا يتابع على حديثه. (ميزان الاعتدال ٣/ ٥٨٠).

(٣) رواه الترمذي (٢٤١٦) من حديث ابن مسعود، و(٢٤١٧) من حديث أبي برزة الأسلمي، في صفة القيامة. باب (١).

وقال بعض الحكماء: المنافق ما أخذ من الدنيا يأخذ من الحرص، ويمنع بالشك، وينفق بالرياء، والمؤمن البصير يأخذ بالخوف، ويمسك بالشّكر، وينفق خالصاً لوجه الله تعالى.

وقال يحيى بن معاذ الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ: الطاعة مخزونة في خزائن الله تعالى، ومفتاحها الدعاء، وأسنانها لقمة الحلال.

وعن ابن شبرمة[1] ـ رحمه الله تعالى ـ قال: العجب ممن يحتمي من حلال مخافة الداء فكيف لا يحتمي بالحرام مخافة النار.

٧٠٩ ـ وروى ابن الزبير عن جابر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «يا أيها الناس إن أحدكم لن يموت حتّى يستكملَ رزقه، فلا تستبطئوا الرزق، فاتّقوا الله وأَجْمِلُوا في الطلب، فَخُذُوا ما حلّ لكم، وذروا ما حرّم الله»[2].

وقال الحكيم: الناس في الكسب على خمس مراتب: منهم من يرى الرزق من الله تعالى، ومنهم من يرى الرزق من الكسب، فهو كافر. ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ومن الكسب، فهو مشرك، ولا يدري أيعطيه أم لا، فهو منافق شاكّ. ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويعصي لأجل الكسب ولا يؤدي حقّه، فهو فاسق. ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سبباً، ويخرج حقه ولا يعصي الله تعالى لأجل الكسب فهو مؤمن مخلص.

٧١٠ ـ وروي عن زيد بن أرقم ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: كان لأبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ غلام يأتيه كل ليلة بغلّته طعاماً يأكله، وكان أبو بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ لا يأكله حتى يسأله من أين اكتسبه، ومن أين أصابه. قال: فجاء ذات ليلة بطعام، فضرب يده إليه، فأكل لقمة من غير أن يسأله. فقال الغلام: قد كنت تسألني كل ليلة غير هذه الليلة فإنك لم تسألني، قال: ويحك، الجوع حملني، ويحك، أخبرني من أين جئت به؟ قال: كنت رقيت لأناس في الجاهلية، فوعدوني عليه عدة، فرأيت عندهم وليمة، فذكرتهم وعدهم الذي

---

(١) هو عبدالله بن شُبْرُمة بن الطفيل بن حسّان الضبي، أبو شُبْرُمة، الكوفي القاضي: ثقة، فقيه. (تقريب التهذيب ١/٤٢٢).

(٢) رواه ابن ماجه (٢١٤٤) في التجارات، باب: الاقتصاد في طلب المعيشة. وفي الزوائد: إسناده ضعيف. والحاكم (٤/٣٢٥) وصححه، ووافقه الذهبي. ورواه ابن حبان في صحيحه (٣٢٢٨).

وعدوني، فأعطوني هذا الطعام. فاسترجع أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ عند ذلك، ثم أخذ يتقيأ، فكابدِ وجاهد نفسه أن ينزع اللقمة من بطنه فلم يقدر حتى اخضر واسود من الجهد، فلم يقدر فلما رأوا ما يلقى من المعالجة قالوا: لو شربت عليه قدحاً من ماء فأتى بعس من ماء، فشرب ثم تقيأ، فما زال يعالج نفسه حتى نبذها. فقالوا: هذا من أجل هذه اللقمة؟ قال: إني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إنّ الله تعالى حرّم الجنة على كلّ جسد تغذّى أو غذي بحرام»[1].

قال الفقيه: رحمه الله تعالى ـ: من أراد أن يكون كسبه طيباً، فعليه أن يحفظ خمسة أشياء:

أولها: أن لا يؤخّر شيئاً من فرائض الله تعالى لأجل الكسب، ولا يدخل النقص فيها.

والثاني: لا يؤذي أحداً مِن خَلْق الله تعالى لأجل الكسب.

والثالث: أن يقصد بكسبه استعفافاً لنفسه ولعياله، ولا يقصد به الجمع والكثرة.

والرابع: أن لا يجهدَ نفسه في الكسب جداً.

والخامس: أن لا يرى رزقه من الكسب ويرى الرزق من الله تعالى والكسب سبباً.

٧١١ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من اكتسب مالاً من مأثم، فتصدّق به أو وصل به رحماً، أو أنفقه في سبيل الله جُمِع ذلك كلّه وأُلقي في النار»[2].

وروي عن عمران بن الحصين ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: لا يقبل الله حج رجل ولا عمرته ولا جهاده ولا صدقته ولا إعتاقه ولا نفقته من ربا أو رشوة أو خيانة أو غلول أو سرقة. ثم قال: الخمس بالخمس.

٧١٢ ـ وعن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يكسب عبدٌ مالاً حراماً فيتصدّق به، فيؤجر عليه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه

---

(١) رواه عبد بن حميد في المنتخب دون ذكر القصة رقم (٣)، وفي إسناده: عبدالواحد بن زيد، قال البخاري: تركوه. (ميزان الاعتدال ٢/٦٧٢).

(٢) رواه أبو داود في المراسيل رقم (١٣١) من حديث القاسم بن مخيمر.

خلف ظهره، إلا كان زاده إلى النار. وإن الله تعالى لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن»[1].

٧١٣ ـ وعن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إنما المالُ مال جالب، وشرّ تجاركم المقيمون بين أظهركم الذين يمارونكم وتمارونهم، وتخالفونهم ويخالفونكم»[2].

٧١٤ ـ وسئل النبي ـ ﷺ ـ عن أطيب الكسب قال: «عملُ الرّجل بيده، وكلّ بيع مبرور»[3]. الذي لا شبهة فيه ولا خيانة.

٧١٥ ـ وعن قتادة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: كان يقال: التّاجر الصّدوق تحت ظلّ العرش يوم القيامة[4].

* * *

---

(١) رواه أحمد (١/٣٨٧)، والحاكم (١/٣٣) وصححه، والبيهقي في الشعب (٥٥٢٤).

(٢) الحديث من مراسيل الحسن، وهو كثير التدليس. (ميزان الاعتدال ١/٥٢٧).

(٣) رواه أحمد (٤/١٤١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٦٢): رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه المسعودي وهو ثقة، لكنه اختلط، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

(٤) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٧٦٧)، وعزاه المنذري في ترغيبه (٢/٥٨٥) للأصبهاني، وضعّفه.

باب فضل اطعام الطّعام وحسن الخلق

٧١٦ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن عبدالوهاب بن محمد، حدثنا أحمد بن علي، حدثنا أبو ثابت أحمد بن أبي وداعة، حدثنا أبو بكر بن عمرو بن سعيد بن علي بن الأزهري، عن جرير، عن الأعمش، عن عطية العوفي، قال: قال لي جابر بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: يا عطية، احفظ وصيتي ما أراك مصاحبي غير سفري هذا: أحب آل محمد وصحبه، وأحب محبي آل محمد، ولو وقعوا في الذنوب والخطايا، وأبغض مبغضي آل محمد ـ ﷺ ـ ولو كانوا صواماً قواماً، وأطعم الطعام، وأفش السلام، وصلّ بالليل والناس نيام فإني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول:

«ما اتّخذ الله إبراهيم خليلاً إلا لإطعامه الطعام، وإفشائه السلام، وصلاته بالليل والناس نيام»[1].

٧١٧ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضيل، حدثنا محاصر بن مورع، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن الغيران بن حريث قال: جاء رجل إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال: إن هؤلاء المهاجرين والأنصار يقولون: إنا لسنا على شيء، فقال: بلى. إذا أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وصمت، وحججت بيت الله، وقريت الضيف دخلت الجنة. قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضيل، حدثنا يعلى بن عبيد، عن محمد بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي شريح الخزاعي، قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، والضيافة

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٩٦١٦) من حديث عبدالله بن عمرو بنحوه.

ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك فهو صدقة»[1].

وعن عطاء قال: كان إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يتغدّى ولم يجدْ من يتغدّى معه سار الميل والميلين في طَلَب من يتغدّى معه.

وعن عكرمة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كان إبراهيم ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ يسمّى أبا الضيفان، وكان لقصره أربعة أبواب، ينظر من أيّها مجيء المرء.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ أنه قال: لأن أجمع نفراً من إخواني على صاع أو صاعين أحب إليّ من أن أخرج إلى سوقكم هذا فأعتق نسمة.

وعن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه كان إذا صنع طعاماً فمرّ به رجل ذو هيئة، لم يَدْعُه، وإذا مرّ به مسكين دعاه، وقال: أَتَدْعُون من لا يشتهي، وتَدَعُون من يشتهي؟.

٧١٨ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه سُئل: ما أكثر ما يلجُ به الناس في الجنة؟ قال: «تقوى الله وحسن الخلق» فقلت: ما أكثر ما يلجُ به الناس في النار؟ قال: «الأجوفان: الفم، والفرج، وسوء الخلق»[2].

وعن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها وعن أبويها ـ قالت: إن حسن الخلق،وحسن الجوار، وصلة الرحم، يعمرن الديار، ويزدن في الأعمار، وإن كان القوم فجاراً.

٧١٩ ـ وروي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: كنت عاشر عشرة رهط في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبدالرحمٰن، وابن مسعود، ومعاذ، وحذيفة، وأبو سعيد الخدري، وعبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهم ـ فجاء فتى من الأنصار، فسلّم على النبي ـ ﷺ ـ ثم جلس فقال: أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقاً»، قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً قبل أن ينزل به، أولئك هم الأكياس».

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٥) في الأدب، باب: إكرام الضيف وخدمته إيّاه بنفسه، ومسلم (٤٨) في اللقطة، باب: الضيافة ونحوها.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٤٦) في الزهد، باب: ذكر الذنوب، وأحمد (٢/٤٤٢)، والترمذي (٢٠٠٤) في البر والصلة، باب: ما جاء في حُسْن الخُلُق، وقال: صحيح غريب، والبيهقي في الآداب رقم (٧٤٥).

ثم سكت الفتى، وأقبل علينا النبي ـ ﷺ ـ وقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار، خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن فيما مضى من أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين: شدة المؤونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم، وما ترك أئمتهم الحكم بكتاب الله تعالى إلا جعل بأسهم بينهم»[1].

٧٢٠ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، فليسعهم منكم بسط وجه، وحسن خُلُق»[2].

٧٢١ ـ وعن عبدالرحمٰن بن جبير، عن أبيه، عن نواس بن سمعان الأنصاري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن البِرّ والإثم فقال: «البرّ حُسْن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهتَ أن يطلع عليه الناس»[3].

٧٢٢ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «كرم المرء دينه، ومروءته عقله، وحَسْبُهُ خُلُقه»[4].

٧٢٣ ـ وعن أبي ثعلبة الخشني عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ من أحبّكم إلي وأدناكم مني مجلساً في الآخرة أحسنكم أخلاقاً، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً في الآخرة أساوئكم أخلاقاً»[5].

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٩٢) من حديث سعد بن مسعود، وأبو نعيم في الحلية (٣/٣٥٧ و٨/٣٣٣)، والحاكم (٤/٥٤٠) عن ابن عمر. وانظر: مجمع الزوائد (٥/٣١٧).

(٢) رواه البزار كما في كشف الأستار (٢/٤٠٨ و٤٠٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٢): رواه أبو يعلى (٦٥٥٠) والبزار، وفيه عبدالله بن سعيد المقبري، وهو ضعيف. ورواه أبو نعيم في الحلية (١٠/٢٥)، وابن حجر في المطالب العالية (٢/٣٨٧) وعزاه لابن أبي شيبة ولأبي يعلى.

(٣) رواه مسلم (٢٥٥٣) في البر والصلة والآداب، باب: تفسير البر والإثم، والترمذي (٢٣٨٩) في الزهد، باب (٥٢) وقال: حسن صحيح.

(٤) رواه ابن حبان (١/٣٥١)، والحاكم (١/١٢٣) وصححه على شرط مسلم، وتعقبه الذهبي بقوله: بل مسلم بن خالد ضعيف، وما خرّج له. ورواه البيهقي في الشعب (٤٦٥٧).

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٩٨٩). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢١): رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح.

وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: إن حسن الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

٧٢٤ ـ وروى يحيى بن سعيد، عن معاذ بن جبل ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كان آخر ما أوصاني به رسول الله ـ ﷺ ـ حين جعلت رجلي في الغرز فقال: «حَسِّن خُلُقَكَ مع الناس يا معاذُ بن جبل»[1].

٧٢٥ ـ وروى جابر بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «حُسْنُ الخُلُق زمامٌ من رحمة الله في أنف صاحبه، والزّمام بيد الملك، والملك يجره إلى الخير، والخير يجرّه إلى الجنة، وسُوء الخُلُق زمامٌ من عذاب الله في أنف صاحبه، والزّمام بيد الشيطان، والشّيطان يجرّه إلى الشرّ، والشرّ يجرّه إلى النار»[2].

٧٢٦ ـ وروى جابر بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ هذا الدّين هو الذي ارتضيته لنفسي، ولا يصلحه إلا خصلتان: السّخاء وحُسْن الخُلُق، فأكرموه بهما ما صحبتموه»[3].

ويقال: إذا دعا الرجل أضيافاً يجب على صاحب البيت ثلاثة أشياء، ويجب على الضيف ثلاثة أشياء.

فأما التي تجبُ على صاحب البيت:

فأولها: أن لا يتكلّف للضّيف ما لا يطيق، ولا يجاوز فيه السُّنَّة.

والثاني: أن لا يطعمه إلا من حلال.

والثالث: أن يحفظَ عليه وقت الصلاة.

وأما التي تجبُ على الضيف:

فأولها: أن يجلس.

والثاني: أن يرضى بما قدّم إليه.

والثالث: أن يدعوَ له عند خروجه بالبركة.

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/٩٠٢).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٠٣٧) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٠): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر، وهو ضعيف. وكذلك مقدام بن داود. ورواه أيضاً الخرائطي في (المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها رقم ٢٠).

٧٢٧ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن أدّى زكاة ماله، وقرى الضيف، وأعطى قومه في النائبة، فقد وُقي شحّ نفسه»[1].

* * *

(١) رواه أبو يعلى والطبراني وسعيد بن منصور، عن خالد بن حارثة الأنصاري. (كنز العمال ١٥٧٨٠).

باب التوكّل على الله

قال الفقيه أبو الليث السّمرقندي: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا عبدالرحمٰن بن محمد المازني، عن شيخ بن أشجع، عن سالم بن أبي الجعد ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال عيسى ابن مريم ـ صلوات الله عليه وسلامه: لا تخبئوا طعاماً لغد، فإن غداً يأتي ومعه رزقه، وانظروا إلى الذرّ ومن يرزقه، فإن قلتم بطون الذر صغار فانظروا إلى الطائر، فإن قلتم للطائر أجنحة، فانظروا إلى الوحوش ما أبدنها وأسمنها!.

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن سفيان، عن أبي السوداء، عن أبي مجلز قال: قال عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ما أبالي على أيّ حال أصبحت؛ على ما أحب أو على ما أكره؛ لأني لا أدري الخير فيما أحبّ أو فيما أكره.

٧٢٨ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن عمرو مولى المطلب، عن المطلب بن حنطب أن النبي ـ ﷺ ـ قال:

«ما تركتُ شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، وما تركت شيئاً مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه، ألا وإن الروح الأمين جبريل ـ عليه السلام ـ قد ألقى في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوعب كل الذي كتب لها، فمن أبطأ عنه شيء من ذلك فليجمل في الطلب، فإنكم لا تدركون ما عند الله بمثل طاعته»[1].

٧٢٩ ـ وروي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٢٢٧)، وابن أبي الدنيا في القناعة والتعفّف رقم (٥٧)، من حديث ابن مسعود.

قال: «من سرّه أن يكونَ أقوى الناس فليتوكّل على الله، ومن سرّه أن يكون أكرم الناس فليتّق الله، ومن سرّه أن يكون أغنى الناس فليكنْ بما في يد الله أوثق منه ممّا في يده»[1].

وذكر عن داود ـ عليه السلام ـ أنه قال لابنه سليمان ـ عليه السلام ـ: يا بني إنما يستدلّ على تقوى الرجل بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصّبر فيما قد فات.

وذكر عن أبي مطيع البلخي أنه قال لحاتم الأصم ـ رحمهما الله ـ: بلغني أنك تجاوز المفاوز بالتوكل بغير زاد، قال: بل أجوزها بزاد، قال: وما زادك؟ قال: زادي فيها أربعة أشياء. قال: وما هي؟ قال: أرى الدنيا بحذافيرها مملكة لله، وأرى الخَلْقَ كلهم عيال الله، وأرى الأسباب والأرزاق كلها بيد الله، وأرى قضاء الله نافذاً في جميع أرض الله. قال أبو مطيع: نعم الزاد زادك يا حاتم، وإنك لتجاوز به مفاوز الآخرة، فكيف مفاوز الدنيا.

وذكر أن رجلاً جاء إلى شقيق الزاهد ـ رحمه الله تعالى ـ فقال له: أوصني، فقال له شقيق: احفظ ثلاثة أشياء: اعبد الله فإنه يثبتك، وحارب عدو الله فإنه ينصرك، وصَدِّقْهُ بالوعد فإنه يأتي به إليك.

٧٣٠ ـ وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: لو أن أهل العلم صانوا علمهم وبذلوه لأهله لسادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم، فهانوا على أهلها. سمعت نبيكم ـ ﷺ ـ يقول: «من جعل الهمومَ همّاً واحداً؛ يعني همّ آخرته، كفاه الله ما أهمّه من أمر دنياه، ومن شغلته همومُ أحوال الدنيا لم يبالِ الله تعالى في أي أودية النار أهلكه، وأي أودية النار عذّبه»[2].

ويقال: مكتوب في التوراة: يابن آدم حرك يدك أبسط لك في رزقك، وأطعني فيما أمرتك، ولا تعلمني فيما يصلحك.

وروي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: قوام الإسلام

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/٢١٨)، والبيهقي في الزهد (٩٨٦)، والحاكم (٤/ ٢٧٠)، وابن أبي الدنيا في التوكل (٩)، وانظر: (فيض القدير ٦/ ١٤٩).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٠٥) وقال: غريب من حديث الأسود، لم يرفعه إلا الضحاك، ولا عنه إلا نهشل. ورواه البيهقي في شعب الإيمان (١٨٨٨).

بأربعة أركان: اليقين، والعدل، والصبر، والجهاد.

والعلماء فسروا هذه الأربعة الأشياء، فقالوا: أما اليقين فهو على وجهين:

أحدهما: أن يعملَ لله خالصاً، ولا يطلب به عرض الدنيا، ولا رضا المخلوقين.

والثاني: أن يكونَ آمناً بوعد الله، وهو الرزق.

وأما العدل فهو على وجهين:

أحدهما: أنه لو كان عليه حقّ يؤدّيه قبل الطلب.

والثاني: إذا كان له على غيره حقّ يرفق بطلبه.

وأما الصبر فهو على وجهين:

أحدهما: أن يصبرَ على أداء فرائض الله تعالى.

والثاني: أن يصبرَ عما نهاه الله عنه.

وأما الجهاد فهو على وجهين:

أحدهما: أن لا تغفلَ عن عدوّك وهو الشيطان، فإنك إن غفلتَ عنه فإنه لم يغفلْ عنك، فهو كالذئب إذا وقع في الغنم، فكلّ شاة غفلت عنها أخذها.

والثاني: إن أكثر فتنة بني آدم لأجل المال، فارْضَ باليسير من المال لكيلا يغرّك.

وروي عن شقيق ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال لحاتم الأصم ـ رحمه الله تعالى ـ: منذ كم تختلف إليّ؟ قال: منذ ثلاثين سنة. فقال له شقيق: أي شيء تعلّمت في هذه الثلاثين سنة؟ قال: تعلّمتُ ستّ كلمات فلو عملت بها لرجوت أن تنجيني من فتنة الدنيا. فقال له شقيق: أخبرني عن ذلك، فلعلي أعمل بهن فأنجو بذلك.

فقال: أما الأولى نظرت في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ [هود: ٦]، فرأيت نفسي من تلك الدواب التي رزقها الله تعالى، وعلمت أن ما هو لي فإنه يصل إلي، فإن الله تعالى يرزق الفيل مع عظمه، ولا ينسى البعوضة لصغرها، ففوضت أمري إلى الله، فاشتغلت بالعبادة، ولا أهتم لغيرها. فقال له شقيق: نعم ما فهمت، فما الثانية؟

قال: نظرت في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠] فرأيت

المؤمنين كلهم إخوة لي، والأخ ينبغي أن يكونَ مشفقاً على أخيه، ورأيت العداوة التي تقع بين الناس أصلها من الحسد، فاجتهدت حتى أخرجْت الحسد من قلبي، حتى صار قلبي بحال لو أصاب المؤمن هم بالمشرق جعلت أهتم حتى كأنه أصابني، ولو أصاب مسلماً خير في المغرب أسر به حتى كأنه أصابني. فقال له شقيق: نعم ما فهمت. فما الثالثة؟

قال: نظرت فوجدت لكلّ إنسان حبيباً، ولا بد للحبيب أن يظهر للحبيب محبته، فوجدت حبيبي طاعة الله تعالى، وما سوى ذلك من الأحباء كلهم ينقطعون عني إلا طاعة الله، فإنها معي في القبر وفي المحشر وعلى الصراط، فانقطعت عن جميع الأحبة، واتّخذت طاعة الله حبيباً. فقال له شقيق: نعم ما فهمت. فما الرابعة؟

قال: نظرت فوجدت لكل إنسان عدواً، ولا بُدّ للعدو من عداوته والحذر منه، فرأيت عدوي الكافر والشيطان، فرأيت عداوة الكافر أيسر، لأنه إن قاتلني فقتلني كنت شهيداً، وإن قتلته كنت مأجوراً، فرأيت عداوة الشيطان أشد لأنه يراني من حيث لا أراه، فيريد أن يجعلني مع نفسه في النار، فاشتغلت بعداوته ما عشت وتركت عداوة غيره. فقال له شقيق: نعم ما فهمت. فما الخامسة؟

قال: نظرتُ فوجدت لكل إنسان بيتاً، ولا بُدَّ للبيت من العمارة، فرأيت منزلي القبر، فاشتغلت بعمارته. فقال له شقيق: نعم ما فهمت. فما السادسة؟

قال: نظرتُ فوجدتُ لكلّ شيء طالباً، فرأيت طالبي ملك الموت، ولا أدري متى يأتيني، فاستعددت له كالعروس تزفّ إلى منزل زوجها، فمتى جاءني لا أطلب منه التأخير، فقال له شقيق: نعم ما فهمت إن عملتَ بها نجوت أنا وأنت.

٧٣١ ـ عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى قال: جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: «يا نبيّ، أخلي ناقتي وأتوكل، أو أعقلها وأتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكّل على الله»[1].

وقال بعض الحكماء[2]: صفة أولياء الله تعالى ثلاث خصال: الثقة بالله في كلّ

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٧) في صفة القيامة، باب (٦٠)، قال يحيى: وهذا عندي حديث منكر، وقال أبو عيسى: وهذا حديث غريب، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٩٠). وابن أبي الدنيا في التوكل (١١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٩١): رواه الطبراني بإسنادين، وفي أحدهما عمرو بن عبدالله بن أمية الضمري، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. وانظر: (فيض القدير ٢/ ٨).

(٢) في (م): العلماء.

شيء، والفقر إلى الله في كلّ شيء، والرجوع إلى الله في كلّ شيء.

وقال فضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ: أحبّ الناس إلى الناس من استغنى عن الناس، ولم يسألهم شيئاً، وأبغض الناس إليهم من احتاج إليهم، وأحبّ الناس إلى الله من احتاج إليه وسأله، وأبغض الناس إليه من استغنى عنه ولم يسأل منه شيئاً.

وذُكِر أن لقمان الحكيم عليه السلام لما حضرته الوفاة، قال لابنه: يا بنيّ، كثيراً ما أوصيتك إلى هذه الغاية. وإني لموصيك الآن بست خصال فيها عِلْم الأولين والآخرين:

أولها: أن لا تشغلَ نفسك بالدنيا إلا بقدر ما بقي من عمرك.

والثاني: اعبد ربّك بقدر حوائجك إليه.

والثالث: اعمل للآخرة بقدر ما تريدُ المقام بها.

والرابع: ليكنْ شغلك في فكاك رقبتك من النار ما لم تظهر لك النّجاة منها.

والخامس: لتكن جرأتك على المعاصي بقدر صبرك على عذاب الله.

والسادس: إذا أردت أن تعصي الله فاطلبْ مكاناً لا يراك فيه الله وملائكته.

وقيل لبعض الحكماء: ما الفرق بين اليقين والتوكل؟ قال: أما اليقين، فهو أن تصدّق الله بجميع أسباب الآخرة، والتوكّل أن تصدّق الله بجميع أسباب الدنيا.

ويقال: التوكل توكلان:

أحدهما: في الرزق فلا يجوز فيه إلّا الأمن.

والثاني: في طلب ثواب العمل فيكون آمناً بوعد الله في الثواب، ويكون خائفاً في عمله أيقبل منه أم لا يقبل؟.

وروى عطاء بن السائب[1]، عن يعلى بن مُرّة[2]، قال: اجتمعنا مع نفر من أصحاب علي ـ كرم الله وجهه ـ، فقلنا: لو حرسنا أمير المؤمنين فإنه محارب ولا نأمن عليه أن يُغتال. فبينما نحن عند باب حجرته حتى خرج للصلاة، فقال: ما شأنكم؟ فقلنا: حرسناك يا أمير المؤمنين؛ لأنك محارب، وخشينا أن تُغتال، فقال: أفمن أهل

---

(١) هو عطاء بن السائب، أبو محمد، الثقفي الكوفي: صدوق، اختلط. (تقريب التهذيب ٢/٢٢).

(٢) هو يعلى بن مرة بن وهب الثقفي، أبو المرازم: صحابي، شهد خيبر وبيعة الشجرة والفتح وهوازن والطائف، قال أبو عمر: كان من أفاضل الصحابة، وقد أمره النبي ﷺ بأن يقطع أعتاب ثقيف، فقطعها (الإصابة ٣/٦٦٩).

السماء حرستموني أم من أهل الأرض؟ قالوا: بل من أهل الأرض، فكيف نستطيع أن نحرسك من أهل السماء؟ قال: فإنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقدّره الله في السماء، وليس من أحد إلا وقد وكّل به ملكان يدفعان عنه حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خلّيا بينه وبين قدره.

* * *

باب الورع

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو جعفر، عن سعيد، عن قتادة، قال: كان عبدالله بن مطرف يقول: إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صوماً وصلاة وصدقة، وأنّ الآخر أفضل منه ثواباً. قيل له: كيف يكون ذلك؟ قال: هو أشدّهما ورعاً.

٧٣٢ ـ قال: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا عبدالعزيز بن أبان، عن أبي معشر، عن عمارة أنه قال: لما توجّه عبدالله بن رواحة نحو مؤتة، قال: يا رسول الله أوصني. قال: «إنك تقدم أرضاً السجود بها قليل، فاستكثِرْ من السجود بها». قال: زدني. قال: «اذكر الله فإنه عونٌ لك على ما تطلب». فولى ثم رجع إليه، فقال: يا رسول الله زدني. قال: «اذكر الله تعالى، فإن الله تعالى وتر يحبّ الوتر» قال: زدني. قال: «نعم، لا تعجزن، لا تعجزن، لا تعجزن، إن أسأتَ عشراً أن تحسنَ واحدة»[1].

٧٣٣ ـ قال: حدثنا عبدالوهاب بن محمد بإسناده، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه وعنهم ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «تقبّلوا لي ستاً أتقبل لكم الجنة: إذا حدّثتم فلا تكذبوا، وإذا وعدتم فلا تخلفوا، وإذا ائتمنتم فلا تخونوا، وغضّوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وكفّوا أيديكم وأرجلكم عن الحرام، تدخلُوا جَنَّةَ ربكم»[2].

---

(١) في إسناده: عبدالعزيز بن أبان، قال الذهبي: أحد المتروكين. وقال يحيى: كذاب خبيث، حدّث بأحاديث موضوعة. (ميزان الاعتدال ٢/٦٢٢) و(تقريب التهذيب ١/٥٠٧).

(٢) رواه الحاكم (٤/٣٥٩) وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: فيه إرسال، من حديث عبادة بن الصامت. ورواه البيهقي في الشعب (٤٣٥٥).

٧٣٤ ـ وعن الحسن، عن عمران بن الحصين ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «قال الله تعالى: عبدي، أَدِّ ما افترضت عليك تكنْ من أعبد الناس، وانته عما نهيتك تكن من أورع الناس، واقنعْ بما رزقتُك تكنْ من أغنى الناس»[1].

وعن فضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ أنه قال: خمس من علامات السعادة: اليقين في القلب، والورع في الدين، والزهد في الدنيا، والحياء في العينين، والخشية في البدن. وخمس من علامات الشقاوة: القسوة في القلب، والجمود في العينين، وقلّة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: كنا ندع تسعة أعشار من الحلال مخافة أن نقع في الشبهة أو في الحرام.

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ نحو هذا.

وقال بعض الحكماء: أمر الدنيا كلها عجب، ولكني أعجب من ابن آدم المغرور في خمسة أشياء:

أولها: أتعجّب من صاحب فضول الدنيا كيف لا يقدم فضوله ليوم فقره، وحاجته إليه.

والثاني: أتعجّب من لسان ناطق، كيف يطاوع نفسه ويفتر عن ذكر الله تعالى وعن تلاوة القرآن.

والثالث: أتعجّب من صحيح فارغ إذا رأيته مفطراً أبداً كيف لا يصوم من كلّ شهر ثلاثة أيام أو نحوه، وكيف لا يتفكّر في عاقبة الصوم إذا استقبله.

والرابع: أتعجّب من الذي يمهد فراشه، وينام إلى الصبح، كيف لا يتفكر في فضل صلاة ركعتين في الليل، فيقوم ساعة من الليل.

والخامس: أتعجّب من الذي يجترىء على الله، ويرتكب ما نهاه عنه، وهو يعلم أنه يعرض عليه يوم القيامة، فكيف لا يتفكر في عاقبة أمره لينزجر عنه.

وروي عن ابن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: تَرْكُ فلس من حرام أفضلُ من مئة ألف فلس يُتصدّق بها.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢١٧) بنحوه من حديث أبي هريرة، في الزهد، باب: الورع والتقوى.

وعنه أنه كان بالشام يكتب الحديث، فانكسر قلمه، فاستعار قلماً، فلما فرغ من الكتابة، نسي فجعل القلمَ في مقلمته، فلما رجع إلى مرو ورأى القلم، عرفه، فتجهّز للخروج إلى الشام لردّ القلم!.

٧٣٥ ـ وعن الشعبي: أنه[1] قال: سمعتُ النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتّقى الشُّبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشُّبهات وقع في الحرام، كالراعي الذي يرعى الغنم حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألَا[2] وإنّ لكلّ ملك حِمى، وإنّ حِمى الله محارمه، ألَا وإنّ في الجسد مُضْغة، فإنْ صلحتْ صلحَ الجسدُ كلّه، وإن فسدتْ فسد الجسدُ كلّه ألَا وهي القلب»[3].

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: لكلّ شيء حدّ، وحدود الإسلام: الورع، والتواضع، والشكر، والصبر. فالورع ملاك الأمور، والتّواضع براءة من الكبر، والصّبر النّجاة من النار، والشّكر الفوز بالجنة.

٧٣٦ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لو صلّيتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، فما ينفعكم إلا بالورع»[4].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: «علامة الورع أن يرى عشرة أشياء فريضة على نفسه:

أولها: حفظ اللسان عن الغيبة؛ لقوله تعالى: ﴿**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾ [الحجرات: ١٢].

والثاني: الاجتناب عن سوء الظن؛ لقوله تعالى: ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِن بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [الحجرات: ١٢].

٧٣٧ ـ ولقول النبي ـ ﷺ ـ: «إياكم والظن، فإنه أكذبُ الحديث»[5].

---

(١) من (م). (٢) من (م).

(٣) رواه البخاري (٥٢) في الإيمان باب: فضل من استبرأ لدينه، ومسلم (١٥٩٩) في المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات.

(٤) رواه الديلمي في الفردوس (٥١٢٤)، وابن منده من حديث عمر، من طريق محمد بن فارس البلخي. (تنزيه الشريعة ٢/٣١١). وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/٤): محمد بن فارس البلخي، لا يُعْرف، وقد أتى بخبر باطل.

(٥) رواه البخاري (٦٧٢٤) في الفرائض، باب: تعليم الفرائض، ومسلم (٢٥٦٣) في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظن.

والثالث: الاجتناب عن السخرية؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

والرابع: غضّ البصر عن المحارم؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

والخامس: صدق اللسان؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢] يعني فاصدقوا.

والسادس: أن يعرفَ نعمة الله على نفسه، لكيلا يعجب بنفسه لقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

والسابع: أن ينفقَ ماله في الحق، ولا ينفقه في الباطل؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ يعني لم ينفقوا في المعصية، ولم يمنعوا من الطاعة ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان: ٦٧].

والثامن: أن لا يطلب لنفسه العلو والكبر؛ لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَاداً﴾ [القصص: ٨٣].

والتاسع: المحافظة على الصلوات الخمس في مواقيتها بركوعها وسجودها؛ لقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

والعاشر: الاستقامة على السنة والجماعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال محمد بن كعب القرظي: ثلاث خصال إن استطعت أن لا تترك شيئاً منها أبداً فافعل: لا تبغين على أحد، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣]. ولا تمكرن على أحد مكراً؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]. ولا تنكثن عهداً أبداً، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠].

وقال إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله تعالى ـ: الزهد ثلاثة أصناف: زهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة. فالزهد الفرض: هو الزهد في الحرام. والزهد الفضل:

هو الزهد في الحلال، وزهد السلامة: هو الزهد في الشبهات.

وقال أيضاً: الورع ورعان: ورع فرض، وورع حذر، فورع الفرض: الورع عن معاصي الله تعالى، وورع الحذر: الورع عن الشبهات. والحزن حزنان: حزن لك، وحزن عليك. فالحزن الذي هو لك: حزنك على الآخرة، والحزن الذي عليك: حزنك على الدنيا وزينتها.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: الورع الخالص أن يكفّ بصره عن الحرام، ويكف لسانه عن الكذب والغيبة، ويكف جميع أعضائه وجميع جوارحه عن الحرام.

وروي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه أُتي بزيتٍ من الشّام، وكان الزيت في الجفان، يعني في القصاع، وعمر يقسمه بين الناس بالأقداح، وعنده ابن له شعراني، فكلما أفرغت جفنة مسح بقيتها برأسه، فقال له عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أرى شعرك شديد الرغبة على زيت المسلمين، ثم أخذ بيده، فانطلق إلى الحجّام، فحلق شعره، وقال: هذا أهون عليك.

وروي عن إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله تعالى ـ أنه استأجر دابة إلى عُمان، فبينما هو يسير إذ سقط سوطه، فنزل عن الدابة وربطها وذهب راجلاً فأخذ السَّوط فقيل له: لو حولت رأس دابتك، فأخذت السوط. فقال: إنما استأجرتها لتذهب ولم أستأجرها لترجع.

٧٣٨ ـ وعن أبي رزين العقيلي عن معاذ ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: كنت مع النبي ـ ﷺ ـ وهو على حمار عليه بردعة فقال: «يا معاذ، هل تدري ما حقّ الله على العباد؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً» ثم قال: «وهل تدري ما حقّ العباد على الله تعالى إذا فعلوا ذلك؟». فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: «أن يدخلهم الجنة»[1].

* * *

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٣) في التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمّته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ومسلم (٣٠) في الإيمان، باب: الدليل على أنّ مَن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

باب الحياء

٧٣٩ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا محمد بن معاذ، حدثنا نصر، عن الحجاج، عن مكحول، عن أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «أربع من سنن المرسلين: التعطر، والنكاح، والسواك، والحياء»(١).

٧٤٠ ـ قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا الماسرجي، حدثنا جرير، عن منصور، عن ربعي بن حِراش، عن عقبة بن عمرو ـ رضي الله عنهم ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فافعل ما شئت»(٢).

٧٤١ ـ قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن، حدثنا إسحاق، حدثنا بكر بن منير، حدثنا محمد بن الهيثم، حدثنا أبو عثمان، عن هشام، عن سفيان، عن أبان بن إسحاق، عن الصباح بن محمد، عن مرة، عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «استحيوا من الله تعالى حقّ الحياء». فقالوا: إنا نستحي من الله والحمد لله. قال: «ليس ذلك من الحياء، ولكن من استحى من الله حقّ الحياء، فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومَن أرادَ الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك؛ فقد استحى من الله حقّ الحياء»(٣).

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٠) في الجنائز، باب: ما جاء في فضل التزويج والحث عليه، وقال: حسن غريب، وأحمد (٥/٤٢١). وفيه أبو الشمال: مجهول، وقال ابن محمود شارح أبي داود: في سنده ضعيف ومجهول. وقال ابن العربي في «شرح الترمذي»: فيه الحجاج ليس بحجة، وعباد بن العوام. (فيض القدير ١/٤٦٦).

(٢) رواه البخاري (٣٤٨٤) في أحاديث الأنبياء، باب (٥٤)، وأبو داود (٤٧٩٧) في الأدب، باب: في الحياء، وابن ماجه (٤١٨٣) في الزهد، باب: الحياء، وأحمد (٥/٢٧٣).

(٣) رواه الترمذي (٢٤٥٨) في صفة القيامة، باب (٢٤) وقال: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه من=

٧٤٢ ـ وعن الحسن، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار»[١].

وعن سلمان الفارسي ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: لأن أموت، ثم أحيا ثم أموت ثم أحيا، ثلاثاً أحب إليَّ من أن أنظر إلى عورة أحد، أو ينظر أحد إلى عورتي.

٧٤٣ ـ وعن علي ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال: لعن الله الناظر والمنظور إليه.

وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا يحلّ لأحدٍ أن يدخلَ الحمام إلا بمئزر»[٢].

وعن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: لا يصلحُ دخولُ الحمام إلا بإزارين: إزار للعورة، وإزارة للعين يعني يغض بصره عن عورات الناس.

وعن عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ أنه قال: إيّاكم والنّظرة، فإنها تزرعُ الشهوة في القلب، وكفى بها فتنة لصاحبها.

وسُئِل حكيمٌ عن الفاسق قال: الذي لا يغضّ بصره عن أبواب الناس وعوراتهم.

٧٤٤ ـ وعن عطاء أنه قال: مرّ النبي ـ ﷺ ـ برجل يغتسل فقال: «يا أيها الناس، إنّ الله حييّ حليم ستّار، ويحب الحياء والسّتر، فإذا اغتسل أحدُكم فليتوارَ عن أعين الناس»[٣].

٧٤٥ ـ وعن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ كان إذا أراد قضاء الحاجة لم يرفعْ ثوبه حتى يدنوَ من الأرض[٤].

= حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد. قال الحافظ: أبان بن إسحاق فيه مقال، والصباح مختلف فيه، وتكلّم فيه لرفعه هذا الحديث، وقالوا: الصواب عن ابن مسعود موقوف، ورواه الطبراني مرفوعاً من حديث عائشة. (الترغيب والترهيب للمنذري ٣/ ٤٠٠).

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٣١٤)، وابن ماجه (٤١٨٤) في الزهد، باب: الحياء، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٣ ـ ٤)، والحاكم (١/ ٥٢) وصححه، كلهم عن الحسن عن أبي بكرة عن النبي ﷺ.
«البذاء»: هو الفحش من القول.

(٢) رواه الترمذي (٢٨٠١) في الأدب، باب: ما جاء في دخول الحمام، وقال: حسن غريب لا نعرفه من حديث طاووس عن جابر إلا من هذا الوجه. قال محمد بن إسماعيل: ليث بن أبي سُليم: صدوق وربما يَهِمُ في الشيء. ورواه الحاكم (٤/ ٢٨٨) وصححه.

(٣) رواه عبدالرزاق عن عطاء مرسلاً. (كنز العمال ٢٦٦٠٦).

(٤) رواه أبو داود (١٤) في الطهارة، باب: كيف التكشّف عند الحاجة، والترمذي (١٤) في الطهارة، باب: ما جاء في الاستتار عند الحاجة، وقال: هكذا روى محمد بن ربيعة، عن الأعمش، عن أنس هذا الحديث، وهو مرسل. والدارمي (١/ ١٧١).

قال الفقيه: الحياء على وجهين: حياء فيما بينك وبين الناس، وحياء فيما بينك وبين الله تعالى. أما الحياء الذي بينك وبين الناس: أن تغضّ بصرك عما لا يحل لك. وأما الحياء الذي بينك وبين الله تعالى: أن تعرفَ نعمته، فتستحي أن تعصيه.

٧٤٦ ـ ورُوي عن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه دخل على النبي ـ ﷺ ـ فوجده يبكي، فقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «أخبرني جبريل ـ عليه السلام ـ أن الله تعالى يستحي من عبد يشيبُ في الإسلام أن يعذّبه، أفلا يستحي الشيخُ من الله أن يذنبَ بعدما شاب في الإسلام؟»[1].

٧٤٧ ـ وروى بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده؛ قال: قلت: يا رسول الله عورتنا، ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «احفظْ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكتْ يمينُك». قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان أحدنا خالياً؟ قال: «فالله أحقّ أن يُستحى منه»[2].

وقال بعض السلف لابنه: إذا دعتْكَ نفسُك إلى كبيرة فارم ببصرك إلى السماء، واستحِ ممن فيها، فإن لم تفعلْ فارمِ ببصرك إلى الأرض، واستح ممن فيها، فإن كنت لا ممن في السماء تخاف، ولا ممن في الأرض تستحي، فاعدد نفسك في عدد البهائم.

قال الفضيل بن عياض: تغلق بابك، وترخي سترك، وتستحي من الناس، ولا تستحي من القرآن الذي في صدرك، ولا تستحي من الجليل الذي لا يخفى عليه خافية.

وقال منصور بن عمار في الحكمة: مَن أبصر عَيْبَ نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن تعرى عن لباس التقوى لم يستتر بشيء، ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما في يد غيره، ومن سل سيف البغي قطع به يده، ومن احتفر بئراً لأخيه وقعَ فيه، ومن

---

(١) قال أبو حاتم: هذا حديث باطل لا أصل له. وفيه محمد بن عبدالله الأنصاري، يُقال له: ابن زياد، قال أبو حاتم: يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم لا يجوز الاحتجاج به بحال. (الموضوعات لابن الجوزي ١/١٧٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٠١٧) في الحمَّام، باب: ما جاء في التعرّي، والترمذي (٢٧٦٩) في الأدب، باب: ما جاء في حفظ العورة، وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه (١٩٢٠) في النكاح، باب: التستر عند الجماع، وأحمد (٥/٣).

هتك حجاب غيره انكشفت عورته، ومن نسي زلل نفسه استعظم زلة غيره، ومن كابد الأمور عطب، يعني ارتكب الأمور العظام، ومن خاطر بنفسه هلك، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبّر على الناس ذلّ، ومن تعمق في العمل مل، ومن فخر على الناس قصم، يعني كسر، ومن سفه عليهم شتم، ومن صاحب الأرذال حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن دخل مدخل السوء اتهم، ومن تهاون بالدين ارتطم، ومن اغتنم أموال الناس افتقر، ومن انتظر العافية اصطبر، ومن جهل موضع قدميه مشت في ندامة، ومن خشي الله فاز، ومن لم يجرب الأمور خدع، ومن صارع أهل الحق صرع، ومن احتمل ما لا يطيقه عجز، ومن عرف الجنة قصر أمله، ومن تعود طريق الجهل ترك طريق العدل.

* * *

باب العمل بالنّيّة

قال الفقيه أبو الليث السمرقنـدي ـ رحمه الله تعـالى ـ: حدثنـا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبـراهيم بن يوسف، حـدثنا إسمـاعيل بن عبـاس، عن صدقة بن عبدالله، عن المهاجر بن حبيب، عن زيد بن ميسرة قال: يقـول الله تعالى: إني لست أقبل كلام كلّ حكيم، ولكن أنظر إلى همّه وهواه، فإن كان همّه وهواه إياي جعلتُ صمته تفكّراً، وكلامه ذكراً، وإن لم يتكلّم.

قال: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم النخعي، قال: إن الرجل ليتكلّم بالكلام وعلى كلامه المقت ينوي فيه الخير، فيلقي الله له العذر في قلوب الناس، حتى يقولوا ما أراد بكلامه هذا إلا الخير.

وإن الرجل ليتكلّم بكلام حسن لا ينوي فيه الخير، فيلقيـه الله في قلوب الناس حتى يقولوا ما أراد بكلامه هذا خيراً.

وعن عـون بن عبدالله ـ رحمـه الله ـ: كان أهـلُ الخير يكتب بعضهم إلى بعض ثلاث كلمات: من عمـل لآخرتـه كفاه الله أمـر دنياه، ومن أصلح سـريرتـه أصلح الله علانيته، ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله فيما بينه وبين الناس.

وعن الحسن ـ رحمه الله ـ في قولـه عز وجـل: ﴿**قُلْ كُـلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَـاكِلَتِهِ**﴾ يعني على نيته، يعني صحة العمل بالنية.

٧٤٨ ـ قال النبي ـ ﷺ ـ: «نيةُ المؤمن خيرٌ من عمله»[1].

---

(١) رواه أبـو نعيم في الحلية (٣/٢٥٥)، والخـطيب في تـاريـخ بغـداد (٩/٢٣٧)، والقضـاعي في مسنـد الشهاب (١٠٣)، وفيه: عثمان بن عبدالله الشامي؛ متهم، وبقية مدلّس، وقد عنعن.

قال بعض أهل العلم: إنما كان كذلك؛ لأنه قد يُثاب على نية الخير وإن لم يعملْ، ولا يُثاب على عمله بلا نيّة.

وقال بعضهم: نية المؤمن خير من عمله، لطول نيته وقصر عمله، لأنه ينوي أن يعملَ الخير ما بقي، ولا يستطيع أن يعملَ الخير ما بقي.

وقال بعضهم: لأن النية عمل القلب، والقلب معدن المعرفة، وما كان من معدن المعرفة كان أفضل من غيره.

٧٤٩ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «يؤتى بالعبد يوم القيامة، ومعه من الحسنات أمثال الجبال الرواسي، فينادي منادٍ: من كان له على فلان مظلمة[١] فليجيء وليأخذها، فيجيء أناس فيأخذون من حسناته حتى لا يبقى له من الحسنات شيء، ويبقى العبد حيران، فيقول له ربه: إن لك عندي كنزاً لم أطلع عليه ملائكتي، ولا أحداً من خلقي، فيقول: يا رب ما هو؟ فيقول: نيتك التي كنت تنوي من الخير كتبتها لك سبعين ضعفاً».

وروي في الخبر أن عابداً من عباد بني إسرائيل مرّ بكثيب من الرمل، فتمنى في نفسه لو كان دقيقاً فأشبع به بني إسرائيل في مجاعة أصابتهم، فأوحى الله إلى نبيّ فيهم: قل لهذا العابد: إن الله تعالى يقول: إني قد أوجبتُ لك من الأجر ما لو كان دقيقاً فتصدّقتَ به.

٧٥٠ ـ وروي في الخبر أنه «يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيعطى كتابه بيمينه، فيرى فيه الحج والعمرة والجهاد والزكاة والصدقة، فيقول العبد في نفسه: ما علمتُ من هذا شيئاً، وليس هذا كتابي. فيقول الله تعالى: اقرأ، فإنه كتابك، عشت دهراً وأنت تقول لو كان لي مال لحججتُ، ولو كان لي مال لجاهدتُ، وعرفتُ من نيتك أنّك صادق، فأعطيتك ثوابَ ذلك كلّه».

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: وإنما يظهر صدقُ نيته إذا لم يبخل بالقليل الذي عنده، فلو رأى حاجاً منقطعاً فيقول في نفسه: لو كان لي مال لحججت، فلما لم يكن لي طاقة إلا هذين الدرهمين دفعتهما إلى هذا. وإذا رأى غازياً منقطعاً يقول: لو كان لي مال لغزوت، فلما لم يكن لي طاقة إلا هذه الدراهم دفعتها إلى هذا الغازي

---

(١) في (م): مظالم.

المحتاج، أو إلى مسكين بجواره.

وأما إذا بخل بالقليل الذي عنده فيعلم الله تعالى أنه لو كان عنده أكثر من ذلك لكان يبخل بالكثير كما يبخل بالقليل، فلا ثواب له في نيته. وكذلك الذي يقول لو كنت حفظت القرآن لقرأته آناء الليل والنهار، فإذا كان يقرأ السورة التي يحفظها، فيعلم الله أنه لو كان يحفظ الباقي منه لكان يقرأ، فيعطيه الله فضل الذي يحفظ القرآن كله، وإن لم يقرأ ما عنده علم الله منه أن نيته غير خالصة.

٧٥١ ـ وروى سهل بن سعد الساعدي، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «نية المؤمن خير من عمله، وعمل المنافق خير من نيته»[1].

٧٥٢ ـ وروى محمد بن علي، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من أحبّ رجلاً في الله لعدلٍ ظهر منه، وهو في علم الله من أهل النار، آجره الله على حبه إياه، كما لو أحبّ رجلاً من أهل الجنة. ومن أبغضَ رجلاً في الله لجورٍ ظهر منه، وهو في علم الله من أهل الجنة، آجره الله على بغضه إياه كما لو كان يبغض رجلاً من أهل النار».

وروي في الخبر: أن الله تعالى قال لموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يا موسى هل عَمِلْتَ لي عملاً قطّ؟ قال: إلٰهي صليتُ لك، وصمتُ لك، وتصدّقت لك، وذكرتك. قال الله تبارك وتعالى: أما الصلاة فلك برهان، يعني حجة لك، والصوم جنة، والصدقة ظل، والذكر نور، فأي عمل عملت لي؟ قال موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: إلٰهي دلني على العمل الذي هو لك؟ قال: يا موسى هل واليت لي ولياً أو عاديت لي عدواً؟ فعلم موسى أن أفضل الأعمال: الحب في الله تعالى، والبغض في الله تعالى.

٧٥٣ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أموالكم، ولا إلى أحوالكم، وإنما ينظر إلى أعمالكم وإلى قلوبكم»[2].

٧٥٤ ـ وروت عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا

---

(١) سبق تخريجه برقم (٧٤٨).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤) «٣٣ و٣٤» في البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم.

الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»[1].

٧٥٥ ـ وروى الأعمش عن أبي عمرو الشيباني، عن أبي مسعود الأنصاري ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أنه قال: جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ وأراد الجهاد، فقال: احملني يا رسول الله. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ائتِ فلاناً فإنه يحملك» فأتاه فأعطاه بعيراً، فرجع إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبره، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَن دلّ على خير فله مثل أجر فاعله». وفي خبر آخر: «الدّالّ على الخير كفاعله»[2].

٧٥٦ ـ وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قدم سائل على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ فسأل، فسكت القوم، ثم إن رجلاً أعطاه، فأعطاه القوم، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من استنّ خيراً أو اسْتُنَّ به، فله أجره ومثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن استن شراً واستُنّ به فعليه وزره ووزر من تبعه من غير أن ينقصَ من أوزارهم شيئاً»[3].

٧٥٧ ـ وروى تميم الداري، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «خمس من جاء بهن يوم القيامة لم يضلّ عن الجنة: النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وللعامة»[4].

٧٥٨ ـ وروي في خبر آخر أنه ـ ﷺ ـ قال: «ألا إنّ الدين النصيحة» قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولجميع المسلمين»[5].

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: أمّا النّصيحة لله عز وجل: فأن تؤمن بالله، وتدعو الناس إلى ذلك، وتتمنى أن يكون جميع الناس مؤمنين.

وأما النصيحة لرسول الله ـ ﷺ ـ: فأن تصدّقه بما جاء به من عند الله، وتعمل بسنته، وتدل الناس على ذلك.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٤) في الزهد، باب (٦٤)، وأبو نعيم في الحلية (١٨٨/٨) وقال: غريب من حديث هشام بهذا اللفظ.

(٢) رواه مسلم (١٨٩٣) في الإمارة، باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، والترمذي (٢٦٧١) في العلم، باب: ما جاء الدالّ على الخير كفاعله، وقال: حسن صحيح، وأبو داود (٥١٢٩) في الأدب، باب: في الدال على الخير.

(٣) رواه مسلم (١٠١٧) في العلم، باب: من سن سُنّة حسنة أو سيئة.

(٤) رواه ابن النجار. (كنز العمال ٧٢٠٢).

(٥) سبق تخريجه برقم (٢٢٥).

وأما النصيحة لكتابه: فهو أن تقرأه، وتعمل بما فيه، وتتمنى أن يقرأه جميع الناس، ويعملوا بما فيه.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فأن تطيعهم فيما أمروه، وتنتهي عما نهوه، وتأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر، ولا تخرج عليهم بالسيف.

وأما النصيحة للمسلمين: فهو أن تحبّ لهم ما تحبّ لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وتتمنى أن يكونوا فيما بينهم على الألفة والمودة.

قال الفقيه: كم من نائم يكتب له أجر المصلين، وكم من مصل مستيقظ يكتب من النائمين، وذلك أن الرجل إذا كان من عادته أن يقوم وقت السحر، ويتوضأ، ويصلي حتى يطلع الفجر، فنام ليلة على تلك النية، فغلبه النوم حتى أصبح، فاستيقظ وحزن لذلك، واسترجع، فإنه يكتب مصلياً، ويبلغ ثواب القائمين بنيته. وأما إذا كان الرجل لم يكن يقوم بالليل، فظن أنه قد أصبح، فقام، وتوضأ ودخل المسجد فإذا هو لم يصبح، فجعل ينتظر الصبح ويقول في نفسه لو علمت أنه لم يطلع الفجر لم أقمْ من فراشي، فهذا الذي يكتب من النائمين وهو مستيقظ.

* * *

باب العُجْب

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا وكيع، عن المسعودي، عن زيد بن رفيع، عن أبي عبيدة، قال: قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: النجاة في اثنتين: التقوى والنية. والهلاك في اثنتين: القنوط، والإعجاب.

وعن وهب بن منبه ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: كان فيمن كان قبلكم رجل عبدَ الله سبعين سنة، يفطر من سبت إلى سبت، فطلب إلى الله حاجة فلم يعطها، فأقبل على نفسه، وقال: لو كان عندك خير لقُضيت حاجتك، وإنما أتيت من قبلك، فنزل عليه ملك من ساعته فقال: يا بن آدم، إن ساعتك التي ازدريت نفسك فيها خير من عبادتك التي قد مضت.

وقال الشعبي: كان رجلٌ إذا مشى أظلّته سحابة، فقال رجل: لأمشين في ظله، فأعجب الرجل بنفسه، فقال: مثل هذا يمشي في ظلّي، فلما افترقا ذهب الظل مع ذلك الرجل.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: إنّ مِن صلاح توبتك أن تعرفَ ذنبك، وإن من صلاح عملك أن ترفض عجبك، وإن من صلاح شكرك أن تعرف تقصيرك.

وذكر عن عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ أنه كان إذا خطب فخاف العجب قطع، وإذا كتب فخاف العجب مزّق، وقال: اللهم إنّي أعوذُ بك من شرّ نفسي.

وعن مطرّف بن عبدالله قال: لأن أبيتَ نائماً وأصبح نادماً؛ أحبّ إليَّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً.

وعن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أنه سألها رجل، فقال: متى أعلم أني

محسن؟ قالت: إذا علمت أنك مسيء. قال: متى أعلم أني مسيء؟ قالت: إذا علمت أنك محسن.

وذكر أن شاباً من بني إسرائيل رفض دنياه، واعتزل عن الناس وجعل يتعبد في بعض النواحي، فخرج إليه رجلان من مشايخ قومه ليرداه إلى منزله، فقالا له: يا فتى، أخذت بأمر شديد لا تصبر عليه! فقال الشاب: قيام الناس بين يدي الله أشدّ من قيامي هذا. فقالا له: إن لك أقرباء، فعبادتك فيهم أفضل. فقال الشاب: إن ربي إذا رضي عني أرضى عني كل قريب وصديق. فقالا له: أنت شاب لا تعلم، وإنا قد جرّبنا هذا الأمر، ونخاف عليك العجب، فقال الشاب: من عرف نفسه لم يضره العجب، فنظر أحدهما إلى صاحبه، فقال: قم فإن الشاب قد وجد ريحَ الجنة، فلا يقبل قولنا.

وذُكِر في الخبر: أن داود ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ خرج إلى ساحل، فعبد ربه سنة، فلما تمت السنة، قال: يا رب، قد انحنى ظهري، وكلّت عيناي، ونفدت الدموع، فلا أدري إلى ماذا يصير أمري، فأوحى الله تعالى إلى ضفدع أن أجيبي عبدي داود ـ عليه السلام ـ فقالت الضفدع: يا نبي الله، أَتَمُنُّ على ربك في عبادة سنة؟ والذي بعثك بالحق نبياً، إني على ظهر بردية منذ ثلاثين سنة أو ستين، أسبّحه وأحمده، وإن فرائصي ترعد من مخافة ربي، فبكى داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ عند ذلك.

وذُكر أن هذه القصة كانت لموسى ـ عليه السلام ـ بعدما قتل قتيلاً.

قال الفقيه: من أرادَ أن يكسرَ العجب، فعليه بأربعة أشياء:

أولها: أن يرى التّوفيقَ من الله تعالى، فإذا رأى التوفيقَ من الله تعالى، فإنه يشتغل بالشّكر، ولا يعجب بنفسه.

والثاني: أن ينظرَ إلى النّعماء التي أنعم الله بها عليه، فإذا نظر في نعمائه اشتغل بالشكر عليها، واستقل عمله، ولا يعجب به.

والثالث: أن يخاف أن لا يتقبل منه، فإذا اشتغل بخوف القبول لا يعجب بنفسه.

والرابع: أن ينظرَ في ذنوبه التي أذنب قبل ذلك، فإذا خاف أن ترجح سيئاته على حسناته فقد كسر عجبه. وكيف يعجب المرء بعمله ولا يدري ماذا يخرج من

كتابه يوم القيامة. وإنما يتبين عجبه وسروره بعد قراءة الكتاب.

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ بإسناده عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال: كنت أسمع قول الله تعالى: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] ولم أدر لمن قالها، حتى دخل كعب ـ رحمه الله تعالى ـ على عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ ونحن عنده فقال: يا كعب، حدثنا، ولا تحدثنا إلا بحديث يشبه كتاب الله تعالى، فقال كعب ـ رحمه الله تعالى ـ:

إنّ الله يبعثُ الخلائقَ يوم القيامة في قاع أفيح، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، ثم يُدعى كلّ قوم بإمامهم؛ يعني بعالمهم الذي يعلمهم الهدى أو الضلالة فيُدعى بإمام الهدى قبل أصحابه، فيتقدم فيعطى كتابه بيمينه، وقد أخفيت سيئاته فهو يقرؤه بينه وبين نفسه؛ لكيلا يقول بعملي دخلت الجنة، وقد بدت حسناته للناس فهم يقرؤونها، حتى إنهم يقولون: طوبى لفلان ما ظهر له من الخير فيقرأ سيئاته في نفسه حتى يقول في نفسه قد هلكت، فيجد في آخره إني قدغفرت لك، فيتوج بتاج من نور، يسطع ضوؤه، ثم يقال له: اذهب إلى أصحابك فبشّرهم بأنّ لكلّ منهم مثل ما لك، فإذا أقبل نظر إليه أهل الوادي، فليس واحد منهم إلا وهو يقول: اللهم اجعله منا، اللهم ائتنا به، ثم يأتي أصحابه فيقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] قد غفر لي، فأبشروا، فإن لكل رجل منكم مثل ما لي.

وإذا كان إمام الضلالة دُعي به، فإذا قام أعطي كتابه، فإذا تناوله بيمينه غُلَّت يمينه إلى عنقه، فيتناوله بشماله، فَيُجْعَلُ شمالُهُ من وراء ظهره، فيلوي عنقه، ويقرأ حسناته بينه وبين نفسه لكيلا يقول حُفِظَتْ سيئاتي، ولم تُحْفَظْ حسناتي، فيقول: عملت كذا فجازيتك بما عملت، وهكذا حتى يستوفي حسناته، وسيئاته ظاهرة للناس يقرؤونها حتى يقولوا: ويل لفلان ما ظهر له من الشر، حتى إذا فرغ من صحيفته، وجد في آخرها: وإنه حقّ عليك كلمة العذاب، يعني وجب عليك العذاب، فيسود وجهه كقطع الليل المظلم، فيتوّج بتاج من النار، يسطع دخانه، ثم يقال له: ائت أصحابك فبشرهم، فإن لكل واحد منهم مثل هذا. فإذا أقبل رآه أهل الوادي، فقال كل واحد منهم: اللهم لا تجعل هذا منا، اللهم لا تأتنا به، فلا يمرّ بقوم إلا لعنوه، ثم يأتي أصحابه فإذا رأوه لعنوه، وتبرؤوا منه، فلعنهم هو كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾

[العنكبوت: ٢٥] فيقول لهم: أبشروا، فإن لكل واحد منكم مثل هذا.

وعن مسروق ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله.

٧٥٩ ـ وعن مجاهد[1] ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: بعث سعيد بن العاص قوماً يثنون عليه عند عثمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقام المقداد، فحثا في وجوههم التراب وقال: سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا التراب في وجوههم»[2].

* * *

---

(١) في الأصل و(ط): مسروق، والمثبت من (م).

(٢) رواه مسلم (٣٠٠٢) في الزهد والرقائق، باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وأبو داود (٤٨٠٤) في الأدب، باب: في كراهية التمادح، والترمذي (٢٣٩٣) في الزهد، باب: (٥٤) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٧٤٢) في الأدب، باب: المدح، والبخاري في الأدب المفرد (٣٣٩).

باب في فضل الحجّ

٧٦٠ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن داود، حدثنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن زكريا بإسناده، حدثنا محمد بن عبدالله، حدثنا ابن علي البغدادي، عن أبيه، عن ليث، عن مجاهد، عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: كنا مع النبي ـ ﷺ ـ بمنى إذ أقبلت طائفة من اليمن، فقالوا: فداك الأمهات والآباء، أخبرنا بفضائل الحج. قال:

«بلى، أيّ رجل خرج من منزله حاجاً أو معتمراً، فكلما رفع قدماً ووضع قدماً تناثرت الذنوب من بدنه كما يتناثر الورق من الشجر، فإذا ورد المدينة وصافحني بالسلام صافحته الملائكة بالسلام، فإذا ورد ذا الحليفة، واغتسل طهره الله من الذنوب، وإذا لبس ثوبين جديدين جدد الله له الحسنات، وإذا قال لبيك اللهم لبيك أجابه الرب عز وجل: بلبيك وسعديك، أسمع كلامك، وأنظر إليك، فإذا دخل مكة وطاف وسعى بين الصفا والمروة، وَصَّل الله له الخيرات.

فإذا وقفوا في عرفات، وضجت الأصوات بالحاجات، باهى الله بهم ملائكة سبع سماوات، ويقول: ملائكتي وسكان سماواتي، أما ترون إلى عبادي، أتوني من كلّ فجّ عميق شُعثاً غبراً، قد أنفقوا الأموال، وأتعبوا الأبدان.

فوعزّتي وجلالي لأهبن مسيئهم بمحسنهم، ولأخرجنهم من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم، فإذا رموا الجمار، وحلقوا الرؤوس، وزاروا البيت، نادى منادٍ من بُطنان العرش: ارجعوا مغفوراً لكم، واستأنفوا العمل»[1].

---

(١) في إسناده: الليث بن أبي سُليم؛ قال أحمد: مضطرب الحديث، ولكن حدّث عنه الناسُ. وقال يحيى والنسائي: ضعيف، وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره. (ميزان الاعتدال ٣/ ٤٢٠).

٧٦١ ـ قال: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن عبدالله، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا يزيد بن هارون، عن نصر بن حاجب، عن محمد بن كعب، عن علي ـ كرم الله وجهه ـ قال: كنت طائفاً مع النبي ـ ﷺ ـ ببيت الله الحرام، فقلت: فداك أبي وأمي ما هذا البيت؟ فقال لي: يا علي؛ أسّس الله سبحانه وتعالى هذا البيت في دار الدنيا كفّارة لذنوب أمتي». فقلت: فداك أبي وأمي ما هذا الحجر الأسود؟ قال: «تلك جوهرة كانت في الجنة أهبطها الله إلى الدنيا لها شعاع كشعاع الشمس، واشتدّ سوادها وتغيّر لونها لما مستها أيدي المشركين»(١).

٧٦٢ ـ قال: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن فضل، حدثنا أبو الوليد، حدثنا عبدالقاهر بن السري، قال: حدثنا أبي، عن كنانة، حدثنا العباس بن مرداس أن رسول الله ـ ﷺ ـ دعا عشية عرفة لأمته بالرحمة والمغفرة، فأكثر الدعاء، فأجابه ربه، بأني قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضاً. قال: «أي ربّ، إنك قادر على أن تثيبَ هذا المظلوم خيراً من مظلمته، وتغفر لهذا الظالم».

فلم يجبه تلك العشية، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء. فأجابه ربه بأني قد غفرت لهم، ثم تبسّم رسول الله ـ ﷺ ـ فقال بعضُ أصحابه: يا رسول الله تبسّمت في ساعة لم تكن تبتسم فيها، قال: «تبسمت من عدو الله إبليس إنّه لما علم أن الله قد استجاب لي في أمتي، أهوى يدعو بالويل والثبور، ويحثو التراب على رأسه»(٢).

٧٦٣ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من حجّ البيت ولم يرفثْ ولم يفسقْ، رجعَ كيوم ولدته أمه»(٣).

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: مَن أتى هذا البيت لا يريد إلّا إياه، فطافَ به طوافاً خرجَ من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

---

(١) في إسناده: نصر بن حاجب؛ قال أبو داود: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: صالح الحديث. (ميزان الاعتدال ٤/٢٥٠).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٠١٣) في المناسك، باب: الدعاء بعرفة، وفي الزوائد: في إسناده عبدالله بن كنانة، قال البخاري: لم يصحّ حديثه، ولم أرَ مَن تكلّم فيه بجرح ولا توثيق. ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١١٨/٥)، وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند (١٤/٤).

(٣) رواه البخاري (١٥٢١) في الحج، باب: فضل الحج المبرور، ومسلم (١٣٥٠) في الحج، باب: في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة. «الرفث»: اسم للفحش من القول، وقيل: هو الجماع. و«الفسوق»: المعصية، والخروج عن الاستقامة.

٧٦٤ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما رؤي الشيطانُ يوماً قطّ هو فيه أضعف ولا أحقر ولا أغيظ من يوم عرفة؛ وما ذلك إلا لما رأى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام، ولم ير قبل ذلك مثله إلا ما رؤي من يوم بدر»[(١)].

وعن عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: فيما أوحى الله تعالى إلى موسى ـ عليه السلام ـ ذكر بيت الله الحرام وفضيلته قال: إلٰهي ما الحجّ؟ قال: بيتي الذي اخترته على جميع البيوت، وحرمي الذي حرمه خليلي، ينتهون إليه من أطراف الأرض، يهللون بالتلبية كما يلبي العبد لسيده. قال موسى: إلٰهي فما ثوابهم؟ قال: ألحقهم المغفرة حتى أشفعهم في جيرنهم وقرابتهم. فقال موسى: إلٰهي، منهم من ليس له نفقة طيبة ولا قلب زاك. قال: فإني أهبُ المسيء منهم للمحسن.

٧٦٥ ـ وعن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: حججنا مع عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ في أول خلافته، فدخل المسجد حتى وقف على الحجر ثم قال: إنك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقبلك ما قبلتك. فقال علي ـ كرم الله وجهه ـ: لا تقل مثل هذا يا أمير المؤمنين فإنه يضرّ وينفع بإذن الله تعالى، ولولا أنك قرأت القرآن وعلمت ما فيه ما أنكرت عليك. فقال له عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: يا أبا الحسن، وما تأويله من كتاب الله عز وجل؟ قال: يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية فلما أقروا بالعبودية، كتب إقرارهم في رقّ، ثم دعا هذا الحجر فألقمه ذلك الرق، فهو أمين الله على هذا المكان؛ يشهد لمن وافاه يوم القيامة. قال عمر: يا أبا الحسن، لقد جعل الله بين ظهرانيكم من العلم غير قليل[(٢)].

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال بعدما كف بصره: ما ندمت على شيء مثل ما ندمت على أن لا أكون حججت ماشياً؛ لأني سمعت أنّ الله تعالى يقول: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧].

قال الفقيه: إذا كان الطريق قريباً فلا بأس أن يحجّ ماشياً، وهو أفضل. وأما إذا

---

(١) رواه مالك في الموطأ مرسلاً (١/٤٢٢)، وكذا الأصبهاني في ترغيبه (١٠٤٣).

(٢) رواه الحاكم (١/٤٥٧)، وتعقبه الذهبي بقوله: أبو هارون ساقط، ورواه الجندي في «فضائل مكة»، وأبو الحسن القطان في «الطوالات»، والبيهقي في «شعب الإيمان» وضعفه. (الدر المنثور ٣/٦٠٥).

كان الطريق بعيداً فالراكب أفضل، لأن الماشي يتعب نفسه ويسوء خلقه، فإذا أمن من هذا المعنى فالمشي أفضل.

وروي عن الحسن البصري ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إنّ الملائكة يتلقّون الحاج، فيسلّمون على أصحاب الجمال، ويصافحون أصحابَ البغال والحمير، ويعانقون الرجالة.

٧٦٦ ـ وروى الضحاك، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أيّما مسلم خرج من بيته قاصداً في سبيل الله فوقصته دابته قبل القتال، أو لدغته هامة، أو مات بأي حتف، مات وهو شهيد. وأيما مسلم خرج من بيته حاجاً إلى بيت الله الحرام، ثم نزل به الموت قبل بلوغه أوجب الله له الجنة»[1].

٧٦٧ ـ ورُوي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «اللهم اغفرْ للحاج ولمن استغفر له الحاج»[2].

٧٦٨ ـ وروي عن عطاء، عن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «صلاة في مسجدي تعدلُ ألف صلاة في غيره إلا المسجد الحرام»[3].

٧٦٩ ـ وفي خبر آخر: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من عشرة آلاف في غيره إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة في غيره، وصلاة في سبيل الله أفضل من مئتي ألف صلاة» ثم قال: «ألا أدلّكم على ما هو أفضل من ذلك، رجل قام في سواد الليل، فأحسن الوضوء، وصلى ركعتين يريد بهما ما عند الله»[4].

٧٧٠ ـ وعن يزيد بن بشر، عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً

---

(١) الضحاك: صدوق، كثير الإرسال. (تقريب التهذيب ١/٣٧٣). ورواه بنحوه أبو نعيم في الحلية (٥/١٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/١٩٠) عن أبي مالك الأشعري. ورواه أحمد والطبراني عن عبدالله بن عتيك، كما في المجمع (٥/٢٧٧)، وفيه محمد بن إسحاق: مدلس، وبقية رجال أحمد ثقات.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢٥١٦)، والحاكم (١/٤٤١) وصححه على شرط مسلم.

(٣) رواه مسلم (١٣٩٥) في الحج، باب: فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، والنسائي (٥/٢١٣)، وابن ماجه (١٤٠٥) في إقامة الصلاة، باب (١٩٥).

(٤) قال العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء (١/٢٤٤): هذا حديث غريب، لم أجده بجملته هكذا.

رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»[1].

٧٧١ ـ وروي عن سعيد بن المسيب ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ الله تعالى ليدخل ثلاثة نفر في الحجّة الواحدة الجنة، الموصي بها، والمنّفذ لها، والحاج عنه، والعمرة كذلك»[2]، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٨) في الإيمان، باب: دعاؤكم إيمانكم، ومسلم (١٦) في الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٤١٢٣)، وعدّه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢١٩)، وقال: هذا حديث لا يصحّ عن رسول الله ﷺ، والمتهم به إسحاق بن بشر، وهو في عداد من يضع الحديث. وانظر: (فيض القدير ٢/ ٣٠٠).

باب فضل الغزو والجهاد

٧٧٢ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو نصر، حدثنا منصور بن جعفر الدبوسي بسمرقند، حدثنا أبو القاسم أحمد بن خيثم، حدثنا عيسى بن أحمد، حدثنا علي بن عاصم، عن سهيل، عن صفوان بن أبي يزيد، عن القعقاع بن اللجلاج، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «لا يجتمعُ غبارٌ في سبيلِ الله، ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمعُ الشّحّ والإيمان في قلب عبد أبداً»[1].

٧٧٣ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عمار بن نصير، عن الحسن ـ رحمهم الله تعالى ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لغدوةٌ أو روحةٌ في سبيل الله أفضل من الأرض ومن عليها، ولموقف الرجل في الصف أفضل من عبادة ستين سنة»[2].

٧٧٤ ـ وبهذا الإسناد، عن أبي معاوية، عن الحجاج، عن مقسم، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن النبي ـ ﷺ ـ بعث عبدالله بن رواحة في سرية، فوافق ذلك يوم الجمعة، فقال عبدالله: أصلّي الجمعة مع النبي ـ ﷺ ـ ثم ألحق بأصحابي، وقد غدا أصحابه، فلما صلى رآه النبي ـ ﷺ ـ قال: «ما لك لم تغد مع أصحابك؟». فقال: أحببتُ أن أصلي معك الجمعة، ثم ألحق بأصحابي، فقال له: «لو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً ما أدركت فَضْلَ غدوتهم»[3].

---

(١) رواه أحمد (٢/٤٤١)، والنسائي (٦/١٣)، وابن حبان (١٥٩٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/١٦١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/٣٣٤ و٩/٩٧)، والأصبهاني في ترغيبه (٥٢٠).

(٢) فيه: هشام بن عمار بن نصير: صدوق، مقرىء، كبر فصار يتلقّن، فحديثه القديم أصح، وقد سمع من معروف الخيّاط، لكنْ معروف ليس بثقة. (تقريب التهذيب ٢/٣٢٠). والحديث من مراسيل الحسن، والحسن كثير التدليس. (ميزان الاعتدال ١/٥٢٧).

(٣) رواه ابن أبي شيبة. (كنز العمال ٣٠٢٤٥).

٧٧٥ ـ وعن سلمان الفارسي ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: رباط ليلة على ساحل البحر خير من صيام رجل، وقيامه في أهله شهراً. ومن مات في سبيل الله مرابطاً أجاره الله من فتنة القبر، وأمنه من الفزع الأكبر، وأجرى عمله كلّ يوم وليلة إلى يوم القيامة[1].

٧٧٦ ـ وعن عبيد بن عمير عن أبيه قال: سئل رسول الله ـ ﷺ ـ ما الإسلام؟ قال: «طيب الكلام، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام». قيل: وأي الإسلام أفضل؟ قال: «من سَلِم الناسُ من يده ولسانه». قيل: فأي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القيام». قيل: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المقل». قيل: فأي الإيمان أفضل؟ قال: «الصّبر والسّماحة». قيل: فأي الجهاد أفضل؟ قال: «من عقر جواده، وأُهريق دمه». قيل: فأي الرقاب أفضل؟ قال: «أغلاها ثمناً»[2].

٧٧٧ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله تعالى ودخان جهنم في منخري عَبْدٍ مسلم»[3].

٧٧٨ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «كلّ عين باكية يوم القيامة إلا ثلاث أعين: عين بكت من خشية الله تعالى، وعين غضت عن محارم الله تعالى، وعين حرست في سبيل الله تعالى»[4].

٧٧٩ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «عرض عليّ أول ثلاثة من أمتي يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار. فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد، والعبد المملوك لم يشغله رقّ الدّنيا عن طاعة الله تعالى، وفقير متعفّف ذو عيال، وأما أول ثلاثة يدخلون النار: فأمير مسلّط، وذو ثروة من مال لا يؤدّي حقّ الله تعالى من ماله، وفقير فخور»[5].

---

(١) رواه مسلم (١٩١٣) في الإمارة، باب: فضل الرباط في سبيل الله عز وجل. وزاد في (م): وزيارة قبر المرابط رباط إلى يوم القيامة.

(٢) رواه أحمد (٤/ ١١٤ و٣٨٥) من حديث عمرو بن عبسة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٥٤): رواه أحمد، وفي إسناده: شهر بن حوشب، وقد وثق على ضعف فيه. وذكره أيضاً (١/ ٦١). ورواه أبو داود (١٤٤٩) من حديث عبدالله بن حبشي الخثعمي، في الصلاة، باب: طول القيام مرفوعاً، وكذا النسائي (٥/ ٥٨).

(٣) رواه النسائي (٦/ ١٤)، وابن حبان (٧/ ٦٣)، وابن المبارك في الجهاد رقم (٣٠).

(٤) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٤٧٧)، وعزاه ابن كثير في تفسيره لابن أبي الدنيا (٣/ ٢٩٣).

(٥) رواه أحمد (٢/ ٤٢٥)، وابن حبان (٣٨٧/ موارد)، والحاكم (١/ ٣٨٧)، وابن المبارك في الجهاد رقم =

٧٨٠ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه سئل أيّ الأعمال أفضل؟ قال: «الصّلاة لوقتها، وبرّ الوالدين، والجهاد في سبيل الله تعالى»[(١)].

وعن ميمون بن مهران، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال: من أعطى قوساً في سبيل الله كان له كأجر من جاهد في سبيل الله تعالى بماله ونفسه، ومن أعطى سيفاً في سبيل الله تعالى جاء يوم القيامة وله لسان ينادي يوم القيامة: أنا سيف فلان، لم أزل أجاهد له إلى يومي هذا.

ومن أعطى سهماً في سبيل الله، ادّخر الله له ذلك ويربيه حتى يجيء يوم القيامة على رؤوس الخلائق، وهو أعظم من جبل أحد. ومن حمل مجاهداً في سبيل الله جعله الله له علماً يوم القيامة، ومن أعطى ترساً في سبيل الله جعل الله له جُنة يوم القيامة؛ يعني من النار.

ومن طعن طعنة في سبيل الله جعلها الله له نوراً بين يديه، وجاءت يوم القيامة ولها ريح كريح المسك، يجدها الخلائق. ومن سقى أخاه في سبيل الله تعالى سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة.

ومن زار أخاه في سبيل الله كتب الله له بكل خطوة حسنة ورفع له بها درجة، وحط عنه بها سيئة. ومن حبس فرساً في سبيل الله كتب الله له بكلّ شعرة حسنة، وحطّ عنه سيئة، ومن حرس ليلة في سبيل الله أمنه الله تعالى من الفزع الأكبر يوم القيامة.

وقال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: إذا كنتَ في سرية في سبيل الله فكن خلفها، تسوق ضعيفها، وتؤمن خائفها، يكنْ لك مثل أجورهم، ولا ينقص من أجورهم شيء.

وعن بعض الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أنه قال: السيوف مفاتيح الجنة. قال: وإذا التقى الصفان في سبيل الله تزيّن الحور العين فاطّلعن، فإذا أقبل الرجل قلن: اللهم انصره اللهم ثبّته، اللهم. . . . . ، فإذا أدبر احتجبن عنه، وقلن: اللهم اغفر له، وإذا قتل غفر الله له بأول قطرة تخرج من دمه كل ذنب هو له، وتنزل عليه

= (٤٦)، والطيالسي في مسنده (٢٥٦٧).

(١) رواه البخاري (٥٢٧) في مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها، ومسلم (٨٥) في الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، من حديث ابن مسعود.

اثنتان من الحور العين تمسحان الغبار عن وجهه.

٧٨١ ـ وذكر أن رجلاً حبشياً جاء إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله، أنا كما تراني دميم الوجه منتن الريح غير زاكي الحسب، فأين أنا إن قاتلت حتى أقتل؟ قال: «أنت في الجنة»، فأسلم؛ فقال: عندي غنم فكيف أصنع بها؟ قال: «وجهها إلى المدينة، ثم صح بها، فإنها سترجع إلى أهلها»، ففعل ذلك، ثم اقتحم القتال فاقتتلوا، فلما تحاجز القوم قال النبي ـ ﷺ ـ: «تفقدوا إخوانكم»، ففعلوا. فقالوا: يا رسول الله، ذلك الحبشي قتيل في وادي كذا، فقام النبي ـ ﷺ ـ معهم، فلما أشرف النبي عليه قال: «اليوم حسّن الله وجهك، وطيّب ريحك، وزكّى حسبك». فبكى، فأعرض عنه، فقالوا: رأيناك أعرضت عنه! فقال: «والذي نفسي بيده لقد رأيت أزواجه من الحور العين ابتدرن حتى بدت خلاخيلهن»[١].

ويقال: الغزاة ثلاثة أصناف: صنف منهم يرعون دوابهم، وصنف منهم يخدمونهم، وصنف منهم يباشرون القتال، وكلهم في الأجر سواء، وأفضلهم الذي يرعى دوابهم، ويقاتل إذا حضر القتال، ثم الذي يخدمهم ويقاتل إذا حضر القتال.

٧٨٢ ـ وروي عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ما من عبد يموتُ وله عند الله خير يتمنّى أن يرجع إلى الدنيا، وإن كانت له الدنيا وما فيها» يعني لا يتمنى الرجوع إلى الدنيا، وإن أعطي له جميع الدنيا لما يخاف من هول الموت «إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يتمنّى أن يرجعَ إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى»[٢].

وعن سعيد بن جبير ـ رضي الله تعالى عنه ـ في قوله تعالى: ﴿**فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ [الزمر: ٦٨] قال: هم الشهداء متقلدي السيوف حول العرش.

وعن قتادة أنه قال: إن الله تعالى أعطى المجاهدين ثلاث خصال: من قُتِل منهم صار حياً مرزوقاً، ومن غُلِب أعطاه الله أجراً عظيماً، ومن عاش يرزقه الله رزقاً حسناً.

---

(١) رواه الحاكم (٢/٩٣) وصححه على شرط مسلم.

(٢) رواه البخاري (٢٧٩٥) في الجهاد، باب: الحور العين وصفتهنّ، ومسلم (١٨٧٧) في الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله تعالى.

٧٨٣ ـ وعن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من سأل الله الشهادة فمات كان له أجر الشهيد»[1].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في قول الله عز وجل: ﴿**بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩] قال: أرواحهم في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة في أيّها شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلّقة تحت العرش.

٧٨٤ ـ وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من قاتل في سبيل الله فواق ناقة، فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله الشهادة من عند نفسه صادقاً ثم مات أو قتل فله أجر شهيد، ومن جرح في سبيل الله جرحاً أو نكب نكبة فإنه يجيء يوم القيامة لونه كالزعفران وريحه كالمسك»[2].

٧٨٥ ـ وروى الحسن البصري ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «كلّ عين باكية يوم القيامة إلا أربع أعين: عين فقئت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين باتت ساهرة من خشية الله، وعين باتت تحرس سرية من وراء المسلمين»[3].

* * *

(١) رواه الترمذي (١٦٥٤) في فضائل الجهاد، باب: ما جاء فيمن سأل الشهادة، وقال: حسن صحيح، من حديث معاذ. ورواه الحاكم (٢/٧٧) من حديث أنس.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٤١) في الجهاد، باب: فيمن سأل الله تعالى الشهادة، والترمذي (١٦٥٧) في فضائل الجهاد، باب: ما جاء فيمن يُكْلَمُ في سبيل الله، والنسائي (٦/٢٥ ـ ٢٦).

(٣) رواه الرافعي عن أسامة بن زيد. (كنز العمال ٤٣٤٦٨).

باب فضل الرّباط

٧٨٦ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا أبي ـ رحمه الله ـ قال: حدثنا أبو عبدالرحمٰن بن عبدالله، حدثنا محمد بن حرب المدني، حدثنا عمر بن منصور، عن النضر بن معبد، عن أبي قلابة، عن عثمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كنت أُسِرُّ واليوم أُعلن، وما كان يمنعني أحد أن أحدثكم إلا الظن بكم، سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «رباط يوم في سبيل الله أفضل من صيام ألف يوم، وقيام ألف ليلة»(١).

٧٨٧ ـ وقال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا علي بن أحمد، حدثنا نصير بن يحيى، قال: حدثنا أبو سليمان، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن راشد، عن مكحول أن سلمان الفارسي ـ رضي الله تعالى عنه ـ مرّ بشُرْحَبِيل بن السِّمِط، وهو مرابط في قلعة بأرض فارس، فقال: ألا أحدّثكم بحديثٍ سمعته من رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لرباط يوم في سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه، ومن مات وهو مرابط أجير من فتنة القبر، ونما له كل عمل كأحسن ما كان يعمل إلى يوم القيامة»(٢).

٧٨٨ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثني أبي بإسناده عن نافع عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من كبّر تكبيرة في سبيل الله، كانت كصخرة في ميزانه يوم القيامة أثقل من السماوات والأرض وما فيهن، ومن قال في سبيل الله لا إلٰه إلا الله، والله أكبر رافعاً صوته بها

---

(١) رواه الترمذي (١٦٦٧) في فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل المرابط، وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي (٦/ ٤٠)، وابن ماجه (٢٧٦٦)، وفي إسناده: عبدالرحمٰن بن زيد بن أسلم، ضعّفه أحمد وابن معين وغيرهما.

(٢) رواه مسلم (١٩١٣) في الإمارة، باب: فضل الرباط في سبيل الله عز وجل، والترمذي (١٦٦٥) في فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل المرابط، وقال: حديث حسن.

كتب الله له بها رضوانه الأكبر، ومن يكتب له رضوانه الأكبر جمع الله بينه وبين محمد وإبراهيم وسائر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام»[1].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: اختلفوا في الرضوان الأكبر، قال بعضهم: هو رؤية الله تعالى. وقال بعضهم: الرضوان الأكبر الذي لا يسخط عليه بعده أبداً.

٧٨٩ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: جاء رجل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله كيف لي أن أنفق من مالي حتى أبلغ عمل المجاهد في سبيل الله؟ قال: «وما لك؟» قال: ستة آلاف. قال: «لو تصدّقت بها كان عدل نومة الغازي في سبيل الله».

وروى محمد بن مقاتل العباداني، عن أبيه، قال: كان يقال: من حلق رأسه في الرباط، ثم دفنه، كان له أجر المرابط مّا دام ذلك الشعر مدفوناً، والشعر لا يبلى.

وروى عثمان بن عطاء[2]، عن أبيه قال: دخل رجل مع عبدالرحمٰن بن عوف في حائط له فأعتق ثلاثين رقبة، فجعل الرجل يتعجب من ذلك، فقال له عبدالرحمٰن: أفلا أخبرك بعمل أفضل منه؟ قال: نعم. قال: بينما رجل يسير في سبيل الله تعالى على دابته وسوطه متعلق في أصبعه، إذ نعس نعسة فسقط سوطه، فلروعته بسوطه أفضل مما رأيتني صنعت.

٧٩٠ ـ وذكر عبدالله بن المبارك بإسناده عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «بعث الله يوم القيامة أقواماً يمرون على الصراط كهيئة الريح ليس عليهم حساب ولا عذاب». قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «أقوام يدركهم موتهم في الرباط»[3].

٧٩١ ـ وروى أبو أمامة الباهلي ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أربعة تجري عليهم أجورُهم بعد موتهم: من مات مرابطاً في سبيل الله، ومن علّم علماً أجرى له أجر من عمل به، ومن تصدّق بصدقة جارية من ماله فأجرها يجري

---

(١) قال أبو حاتم: هذا الخبر لا أصلَ له من كلام رسول الله ﷺ، وإسحاق يأتي عن الثقات الموضوعات، لا يحلّ الرواية عنه إلا عن التعجب، ولا يحتج بعبدالله بن نافع، وقال النسائي: عبدالله متروك الحديث. (الموضوعات لابن الجوزي ٢/٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٢) هو عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني، أبو مسعود المقدسي، ضعيف. (تقريب التهذيب ١٢/٢).

(٣) رواه ابن المبارك في كتاب «الجهاد» رقم (١٨١).

له ما دامت الصدقة، ورجل ترك ولداً صالحاً وهو يدعو له»[1].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعت الفقيه أبا جعفر يذكر عن أبي القاسم، عن نصير، عن أبي مطيع أنه قال: الرباط الذي جاء فيه الفضل هو الرباط الذي لا يكون وراءه إسلام.

وروي عن سفيان بن عيينة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إذا أغار العدو على موضع فذلك الموضع رباط إلى أربعين سنة، وإذا أغار مرتين فهو رباط إلى مئة وعشرين سنة، وإذا أغار ثلاث مرات فهو رباط إلى يوم القيامة.

* * *

(١) رواه أحمد (٥/٢٦١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٦٧): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، والبزار، وفيه ابن لهيعة ورجل لم يُسمّ.

باب فضل الرّمي والرّكوب

٧٩٢ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضيل، حدثنا أبو يحيى الحماني، عن الحسن بن عمارة، عن عبدالله بن عبدالرحمٰن، عن جابر بن زيد،قال: كنتُ أرامي رجلاً من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ففقدني يوماً، فقال لي: ما أبطأ بك؟ فأخبرته بعذري،فقال: ألا أحدثك بحديث سمعته من رسول الله ـ ﷺ ـ يكون لك عوناً على الرمي؟ فقلت: بلى. قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول:

«إنّ الله تعالى يُدخل بسهم واحد ثلاثة نفر الجنة: الرامي، والمحتسب بصنعته، والمقوّي به».

قال النبي ـ ﷺ ـ: «ارموا واركبوا،وأن ترموا خير لكم وأحب إليّ من أن تركبوا، فإن كل لهو لها به المؤمن باطل إلا في ثلاث: رميك من قوسك، وتأديبك فرسك، وملاعبتك مع أهلك، فإن ذلك من الحق»[1].

وعن مكحول: إن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ كتب إلى أهل الشام: علِّموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية، ومروهم بالاختفاء بين الأغراض.

وعن مجاهد قال: رأيتُ ابنَ عمر ـ رضي الله عنهما ـ يشتدّ بين الهدفين في قميص.

وعن حذيفة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه كان يشتدّ بين الهدفين في قميصٍ واحد.

---

(١) رواه الترمذي (١٦٣٧) في فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، مرسلاً من حديث عبدالله بن عبدالرحمٰن. ورواه أبو داود (٢٥١٣) من حديث عقبة بن عامر، في الجهاد، باب: في الرمي، والنسائي (٦/٢٢٢)، وابن ماجه (٢٨١١) في الجهاد، باب: الرمي في سبيل الله.

٧٩٣ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال لسعد يوم أحد: «ارمِ يا سعد، فداك أبي وأمي»[1].

٧٩٤ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: في هذا الخبر بيان فضل الرمي لأن النبي ـ ﷺ ـ لم يقل لأحد فداك أبي وأمي إلا لسعد، لأجل أنه كان رامياً. ودعا النبي ـ ﷺ ـ لسعد فقال: «اللهم سدّد رميته، وأجبْ دعوته»[2].

٧٩٥ ـ وعن عمرو بن شرحبيل أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «الإبل عزّ لأهلها، والغنم بركة، والخيلُ معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[3].

٧٩٦ ـ وفي خبر آخر: «العزّ في نواصي الخيل، والذّلّ في أذناب البقر». يعني إذا اشتغل الناس بالجهاد كان فيه عز الإسلام، وإذا تركوا الجهاد واتبعوا أذناب البقر ذلوا.

٧٩٧ ـ وعن عمرو بن عبسة عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من رمى سهماً في سبيل الله فهو عدل محرر»[4] يعني مثل عتق رقبة.

٧٩٨ ـ وعن عقبة بن عامر أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «سَتُفْتَحُ لكم الأرض، وتكفون المؤونة، فلا يعجزن أحدكم أن يلهوَ بأسهمه»[5].

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: المعراض روضة من رياض الجنة، والرامي على المعراض كالرامي على العدو، والذي يردّ السّهام له بكلّ قدم عتق رقبة.

٧٩٩ ـ وعن عقبة بن عامر ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قرأ على المنبر هذه الآية: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال: ٦٠] ثم قال: «أَلاَ إنّ القوّة الرّمي» قالها ثلاثاً[6].

---

(١) رواه البخاري (٤٠٥٩) من حديث علي، في المغازي، باب (١٨)، والترمذي (٣٧٥٥) في المناقب، باب (٢٧)، وقال: حديث صحيح، وابن ماجه (١٢٩) في المقدمة، باب (١١).

(٢) رواه ابن عساكر وابن النجار من حديث أبي بكر. (كنز العمال ٣٦٦٤٤).

(٣) رواه الديلمي في الفردوس (٤٣٠٩) من حديث عمرو بن شرحبيل، وابن ماجه (٢٣٠٥) من حديث عروة البارقي، والبزار عن حذيفة. (فيض القدير ٤/٤١٥).

(٤) رواه الترمذي (١٦٣٨) في فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، وقال: حديث صحيح. والحاكم (٢/١٢١) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٥) رواه مسلم (١٩١٨) في الإمارة، باب: فضل الرمي والحثّ عليه، وأحمد (٤/١٥٧).

(٦) رواه مسلم (١٩١٧) في الإمارة، باب: فضل الرمي، وأبو داود (٢٥١٤) في الجهاد، باب: في الرمي، =

٨٠٠ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من ترك الرمي بعدما علمه فقد ترك سنة» وفي خبر آخر: «نعمة تركها»[1].

ويقال: لا ينبغي للشريف أن يأنفَ من أربعة وإن كان أميراً: قيامه من مجلسه لوالديه، وخدمته لضيفه، وقيامه على فرسه، وخدمته لمؤدبه الذي يأخذ منه العلم.

[٨٠١ ـ ورُوي عن أنس بن مالك أنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ ـ يقول: «مِن شَرَفِ المرء بعد طلب العلم تعلُّم الرمي»، فقلت: يا رسول الله، ما ثواب تعلُّم الرمي؟ قال: «يا أنس، مَن رَمَىٰ بسهم يريد بذلك وجه الله وعِزّ الإسلام، كان له بكلّ رمية جارية من حور العين، وبُني له خيمة في الجنة من درّة بيضاء، سعتها مدار الأرض. ومَن رمى بسهمٍ في سبيل الله زاده ذلك السهم حتى يجيء يوم القيامة وهو أثقل من جبل أحد».

٨٠٢ ـ وقال: «من تعلّم الرمي أعطاه الله ثلاثة أشياء: الحشر مع المجاهدين والهيبة، والسعة في الرزق. وفي الآخرة ثلاثة أشياء: الحشر مع المجاهدين، ويجوز على الصراط كالبرق اللامع، ويدخل الجنة بغير حساب»][2].

* * *

= وابن ماجه (٢٨١٣) في الجهاد، باب: الرمي في سبيل الله.

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٩٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٧٠): رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط، وفيه قيس بن الربيع، وثّقه شعبة والثوري وغيرهما، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. كلهم من حديث أبي هريرة. ورواه أبو داود (٢٥١٣)، والنسائي (٦/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣)، والحاكم (٢/ ٩٥) من حديث عقبة بن عامر.

(٢) الحديثان (٨٠١ و٨٠٢) زيادة من (م).

باب أدب[1] الغزو

٨٠٣ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا يعلى بن عبيد، عن عبدالرحمٰن بن زياد، عن عبدالله بن يزيد، عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، وأكثروا ذكر الله»[2].

وعن عوف بن مالك الأشجعي[3] أنه قال: من أراد أن يكونَ غازياً حقّاً مجاهداً في سبيل الله بالسنة، فليحافظ على عشر خصال:

أولها: أن لا يخرجَ إلا برضا الوالدين.

والثاني: أن يؤدّي أمانة الله التي في عنقه من الصلاة والزكاة والحج والكفّارات، ثم يؤدّي أمانات الناس التي في عنقه من المظالم والغيبة وقول الزور.

والثالث: أن يَدَعْ لأهله من النفقة ما يكفيهم قدر إقامته.

والرابع: أن تكون نفقته من كسبٍ حلال، فإنّ الله تعالى لا يقبلُ إلا الطيب.

والخامس: أن يسمعَ ويطيع لأميره وإن كان عبداً حبشياً بعدما كان أميراً عليه.

والسادس: أن يؤدّي حقّ رفيقه، ويتبسّم في وجهه كلّما لقيه، وينفق أكثر ممّا هو ينفق، ويمرضه ويقوم في حوائجه.

---

(١) في (م): آداب.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/٤٦٢)، والديلمي في الفردوس (٧٤٠٨)، وعبدالرزاق في المصنف (٩٥١٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/١٥٣).

(٣) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي: صحابي، أسلم عام خيبر، ونزل حمص، وشهد الفتح وكانت معه راية أشجع، وسكن دمشق. وآخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء. توفي سنة (٧٣هـ) في خلافة عبدالملك. (الإصابة ٣/٤٣).

والسابع: أن لا يؤذي في طريقه مسلماً ولا معاهداً.

والثامن: أن لا يفرّ من الزحف.

والتاسع: أن لا يغلّ من الغنيمة شيئاً؛ لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٦١] الآية.

والعاشر: أن يريدَ بغزوه إعزاز الدِّين ونُصْرة المؤمنين.

ويقال: ينبغي للغازي أن يكون له عشر خصال في الحرب: أن يكون في قلب الأسد لا يجبن، وفي كبر النمر لا يتواضع لعدوه، وفي شجاعة الدبّ يقاتل بجميع جوارحه، وفي حملة الخنزير لا يولي دبره إذا حمل عليه، وفي إغارة الذئب إذا أيس من وجه أغار من وجه آخر، وفي حمل الثقيل كالنملة تحمل أضعاف وزنها، وفي ثباته كالحجر لا يزولْ عن مكانه، وفي صبره كالحمار إذا أثقله نصول السهام وضرب السيف، وفي وفاء الكلب لو دخل سيده النار لاتبع أثره، وفي التماس الفرصة كالديك.

* * *

باب فضل أمّة محمد ﷺ

٨٠٤ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو عبدالله محمد بن جناح، حدثنا أبو سعيد الإمام، حدثنا نصير، عن عباد بن كثير، عن مقاتل بن سليمان ـ رضي الله عنهم ـ أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة هم الشافعون والمشفعون، فاجعلهم أمتي، قال: هم أمة محمد ـ ﷺ ـ قال: يا رب، أجد في الألواح أمة كفارة خطاياهم الصلوات الخمس، فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة محمد ـ ﷺ ـ قال: يا رب أجد في الألواح أمة يقتلون أهل الضلالة، حتى أنهم يقتلون الأعور الدجال، فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة محمد ـ ﷺ ـ.

قال: يا رب، أجد في الألواح أمة طهارتهم بالماء والتراب، فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة محمد ـ ﷺ ـ قال: يا رب، أجد في الألواح أمة يأخذون الصدقات ويأكلونها، وكان الأولون يحرقونها بالنار، فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة محمد ـ ﷺ ـ.

قال: يا رب، أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة، وإذا عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف فصاعداً، وإذا هَمّ أحدهم بسيئة لم يكتب عليه شيء، وإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة، فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة محمد ـ ﷺ ـ.

قال موسى: يا رب، أجد في الألواح أمة يدخل الجنة منهم سبعون ألفاً بغير حساب، فاجعلهم أمتي، قال: هم أمة محمد ـ ﷺ ـ[1].

---

(١) في إسناده: مقاتل بن سليمان؛ قال وكيع: كان كذاباً. (ميزان الاعتدال ٤/١٧٣)، وعباد بن كثير: قال البخاري: تركوه. (ميزان الاعتدال ٢/٣٧١).

وروى معمر عن قتادة نحو هذا، وزاد فيه قال: يا رب، أجد في الألواح أمة هم خير الأمم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة محمد ـ ﷺ ـ قال: يا رب، أجد في الألواح أمة هم الآخرون، هم السابقون يوم القيامة، فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة محمد ـ ﷺ ـ قال: يا رب، أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم، وكانوا يقرؤون نظراً، فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة محمد ـ ﷺ ـ حتى كان موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ تمنّى أن يكون من أمة محمد ـ ﷺ ـ فأوحى الله تعالى إليه ﴿**يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ [الأعراف: ١٤٤] ﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٥٩] فرضي موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

٨٠٥ ـ وروى مقاتل بن حبان أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لما أسري بي إلى السماء، انطلق جبريل عليه السلام، حتى انتهى بي جبريل إلى الحجاب الأكبر عند سدرة المنتهى، قال جبريل عليه السلام: تقدم يا محمد، قلت: يا جبريل لا، بل تقدم أنت. قال: يا محمد، لا ينبغي لأحد غيرك أن يجاوز هذا المكان، وأنت أكرم على الله مني. قال: فتقدمت حتى انتهيت إلى سرير من ذهب، وعليه فراش من حرير الجنة.

فنادى جبريل عليه السلام من خلفي: يا محمد، إن الله تعالى يثني عليك فاسمع وأطع، ولا يهولنّك كلامه، فبدأت بالثناء على الله تعالى، فقلت: التحيات لله والصلوات والطيبات. قال الله تعالى: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فقلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وقال جبريل عليه السلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال الله تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ**﴾. فقلت: بلى يا رب آمنت بك ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾ كما فرقت اليهود بين موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ، وفرقت النصارى بينهما قال الله عز وجل: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ يعني إلا طاقتها ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ**﴾ يعني لها ثواب ما كسبت من الخير ﴿**وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ من الشر، ثم قال: سل تعط. فقلت: ﴿**غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وإِلَيْكَ المَصِيرُ**﴾ يعني اغفر ذنوبنا، فإنّ مرجعنا

إليك يوم القيامة. قال الله تعالى: قد غفرت لك ولأمتك، ومَن وحّدني وصدّق بك.

ثم قال: يا محمد سل تعط. فقلت: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤاخِذْنَا إنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال الله تعالى: لك ذلك، لا أؤاخذكم بما نسيتم أو أخطأتم، أو بما استكرهتم عليه، ثم قال: سل تعط. فقلت: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ وذلك لأن بني إسرائيل كانوا إذا أخطؤوا خطيئة حرم الله عليهم بذلك أطيب الطعام كما قال الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] قال الله تعالى: لك ذلك.

ثم قال: سل تعط فقلت: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ فإن أمتي هم الضعفاء. قال الله تعالى: لك ذلك، سل تعط. فقلت: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦]. قال: لك ذلك ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

٨٠٦ ـ قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن السردري، قال: حدثنا بكر بن حنيش، حدثنا هانيء بن النضير، حدثنا أحمد بن خالد، عن المسعودي، عن مزاحم بن زفر، عن مجاهد، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال:

«أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي: أُرسلتُ إلى الأحمر والأسود، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونُصِرْتَ بالرّعب مسيرة شهر، وأُحِلّ لي المغنم، وأُعْطِيتُ الشّفاعة فادّخرتها لأمتي»[٢].

٨٠٧ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ: يُحكى أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ كان له على يهودي حق، فلقيه عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقال: والذي اصطفى أبا القاسم على البشر، لا تفارقني وأنا طالبك بشيء، فقال اليهودي: ما اصطفى الله أبا القاسم على البشر، فرفع عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ يده فلطم خدّه. فقال اليهودي: بيني وبينك أبو القاسم.

وأتيا النبي ـ ﷺ ـ فقال اليهودي: إن عمر زعم أن الله اصطفاك على البشر،

---

(١) في إسناده: مقاتل بن حبان؛ لم يحتج به ابن خزيمة، وقال ابن معين: ضعيف، وقال النسائي: ليس به بأس. (ميزان الاعتدال ٤/١٧١).

(٢) رواه مسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة من طريق آخر، ورواه أحمد (١٤٨/٥) من حديث أبي ذرّ، وابن حبان في صحيحه (٦٤٢٨).

وإني زعمت أن الله لم يصطفك على البشر، فرفع يده فلطمني. فقال النبي - ﷺ -: «أمّا أنت يا عمر فأرضه من لطمتك». ثم قال: «بلى يا يهودي، إن آدم صفيّ الله، وإبراهيم خليل الله، وموسى نبي الله، وعيسى روح الله، وأنا حبيب الله.

بلى يا يهودي، اسمان من أسماء الله تعالى سمّى بهما أمتي، سمّى نفسه السلام، وسمّى أمتي المسلمين. وسمّى نفسه المؤمن، وسمّى أمتي المؤمنين.

بلى يا يهودي، طلبتم يوماً ادخره لنا؛ يعني يوم الجمعة، فاليوم لنا وغداً لكم. وبعد غد للنصارى.

بلى يا يهودي، أنتم الأولون، ونحن الآخرون السابقون يوم القيامة.

بلى يا يهودي، إنّ الجنة لمحرّمة على الأنبياء حتى أدخلها أنا، وإنها لمحرمة على الأمم حتى تدخلها أمتي».

وقال كعب الأحبار - رضي الله تعالى عنه -: إنّ الله تعالى أكرم هذه الأمة بثلاثة أشياء، قد أكرم بها أنبياءه:

أحدها: أنه جعل كل نبي شاهداً على قومه، وجعل هذه الأمة شهداء على الناس، وقال للرسل: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً**﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال لهذه الأمة: ﴿**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾ [البقرة: ١٧٢] وقال لكل نبي: ادعوني أستجب لكم، وقال لهذه الأمة: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠].

ويقال: إنّ الله تعالى أكرم هذه الأمّة بخمس كرامات:

أولها: أنه خلقهم ضعفاء حتى لا يستكبّروا.

والثاني: خلقهم صغاراً في أنفسهم حتى تكون مؤونة الطعام والشراب والثياب عليهم.

والثالث: جعل عمرهم قصيراً حتى تكونَ ذنوبهم أقلّ.

والرابع: جعلهم فقراء حتى يكون حسابهم في الآخرة أقلّ.

والخامس: جعلهم آخر الأمم حتى يكون بقاؤهم في القبر أقلّ.

وذُكِر أن آدم - عليه الصلاة والسلام - قال: إنّ الله تعالى أعطى أمة محمد - ﷺ - أربع كرامات ما أعطانيها:

أحدها: أن قبول توبتي كان بمكة وأمة محمد - ﷺ - يتوبون في كلّ مكان، فيتقبل الله توبتهم.

والثاني: إني كنت لابساً فلما عصيت جعلني عرياناً، وأمة محمد - ﷺ - يعصون عراة فيلبسهم الله.

والثالث: أني لما عصيت فرّق بيني وبين امرأتي، وأمة محمد - ﷺ - يعصون ولا يفرق بينهم وبين أزواجهم.

والرابع: إني عصيتُ في الجنة فأخرجني منها، وأمة محمد - ﷺ - يعصون خارج الجنة فيدخلونها بالتوبة.

٨٠٨ - ورُوي عن علي - رضي الله تعالى عنه - أنه قال: بينما النبي - ﷺ - جالس مع المهاجرين والأنصار إذ أقبل إليه جماعة من اليهود، فقالوا: يا محمد، إنا نسألك عن كلمات أعطاهن الله تعالى لموسى بن عمران لا يعطيها إلا نبياً مرسلاً أو ملكاً مقرباً. فقال النبي - ﷺ -: «سلوا». فقالوا: يا محمد أخبرنا عن هذه الصلوات الخمس التي افترضها الله على أمتك. فقال النبي - ﷺ -:

«أما صلاة الظهر إذا زالت الشمسُ يسبح كلّ شيء لربه، وأما صلاة العصر، فإنها الساعة التي أكل فيها آدم - عليه السلام - من الشجرة، وأما صلاة المغرب فإنها الساعة التي تاب الله على آدم - عليه السلام - فيها، فما من مؤمن يصلي هذه الصلاة محتسباً، ثم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه، وأما صلاة العتمة فإنها الصلاة التي صلاها المرسلون قبلي، وأما صلاة الفجر فإن الشمس إذا طلعت تطلع بين قرني الشيطان ويسجد لها كل كافر من دون الله».

قالوا له: صدقت يا محمد، فما ثواب من صلى؟ قال النبي - ﷺ -:

«أما صلاة الظهر فإنها الساعة التي تسعر فيها جهنم، فما من مؤمن يصلي هذه الصلاة إلا حرم الله تعالى عليه لفحات جهنم يوم القيامة، وأما صلاة العصر فإنها الساعة التي أكل آدم - عليه السلام - فيها من الشجرة، فما من مؤمن يصلي هذه الصلاة إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى**﴾ [البقرة: ٢٣٨] وأما صلاة المغرب فإنها الساعة التي تاب الله فيها على آدم عليه السلام، فما من مؤمن يصلي هذه الصلاة محتسباً، ثم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه. وأما صلاة العتمة فإن القبر ظلمة، ويوم القيامة

ظلمـة، فما من مؤمن مشى في ظلمـة الليل إلى صـلاة العتمة إلا حـرم الله عليه وقـود النار، ويعطيه نوراً يجوزه على الصراط. وأما صلاة الفجر فما من مؤمن يصلي الفجـر أربعين يـوماً في الجماعة إلا أعطاه الله براءتين: براءة من النار، وبراءة من النفاق».

قالوا: صدقت يا محمد، ولم افترض الله على أمتك الصوم ثلاثين يومـاً؟ قال: «إن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة بقي في بطنه مقدار ثلاثين يوماً، فافترض الله على ذريته الجوع ثلاثين يوماً، ويأكلون بالليل تفضلاً من الله تعالى على خلقه».

قالوا: صدقت يا محمد. فأخبرنا ما ثواب مَن صام مِن أمتك؟ قال: «ما من عبد يصومُ مِن شهر رمضان يومـاً محتسباً إلا أعـطاه الله تعالى سبـع خصال: يـذوب اللحم الحـرام من جسده، ويقـرب من رحمته، ويعـطيه خيـر الأعمـال، ويؤمنـه من الجـوع والعـطش، ويهون عليـه عذاب القبـر، ويعطيـه الله نوراً يـوم القيامـة حتى يجـاوز بـه الصراط، ويعطيه الكرامات في الجنة».

قالوا: صدقت يا محمد. فأخبرنا ما فضلك على النبيين؟ قال: «فما من نبي إلا دعا على قومه، وأنا ادخرت دعوتي لأمتي»؛ يعني الشفاعة.

قالوا: صدقت يا محمد. نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

وعن كعب الأحبار ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قـرأت في بعض ما أُنزِلَ على موسى ـ عليه السلام ـ: يا موسى ركعتان يصليهمـا أحمد وأمتـه، وهي صلاة الغـداة، من يصليهمـا غفرت لـه ما أصـاب من الذنـوب من ليله ويومـه، ويكون في ذمتي. يـا موسى، أربع ركعات يصليها أحمـد وأمته وهي صـلاة الظهـر أعطيهم بـأول ركعة فيـه المغفرة، وبالثانية أثقل ميزانهم، وبالثالثة أوكل عليهم الملائكة؛ يسبحون ويستغفرون لهم، وبالرابعة أفتح لهم أبواب السماء، ويشرف عليهم الحور العين، يا موسى أربـع ركعات يصليها أحمـد وأمته وهي صـلاة العصر فـلا يبقى ملك في السماوات والأرض إلا استغفر لهم، ومن استغفر له الملائكة لم أعذّبه.

يـا موسى، ثـلاث ركعات يصليهـا أحمد وأمتـه حين تغـرب الشمس أفتـح لهم أبواب السماء، لا يسألون من حاجة إلا قضيتها لهم.

يا موسى، أربع ركعات يصليهـا أحمد وأمتـه حين يغيب الشفق، وهي خيرٌ لهم

(١) في الأصل: قدم مشت!.

من الدنيا وما فيها، ويخرجون من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم.

يا موسى، يتوضأ أحمد وأمته كما أمرتهم، أعطيهم بكل قطرة تقطر من الماء جنة عرضها كعرض السماء والأرض

يا موسى، يصوم أحمد وأمته شهراً في كل سنة وهو شهر رمضان، أعطيهم بصيام كل يوم مدينة في الجنة، وأعطيهم بكل خير يعملون فيه من التطوع أجر فريضة، وأجعل فيه ليلة القدر من استغفر منهم فيها مرة واحدة نادماً صادقاً من قلبه فإن مات من ليله أو شهره أعطيته أجر ثلاثين شهيداً.

يا موسى، إن في أمة محمد رجالاً يقومون على كل شرف، يشهدون بشهادة أن لا إله إلا الله[1]، فجزاؤهم بذلك جزاء الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ورحمتي عليهم واجبة، وغضبي بعيد منهم، ولا أحجب باب التوبة عن واحد منهم، ما داموا يشهدون أن لا إله إلا الله.

٨٠٩ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ أول من يُدعى يوم القيامة نوح ـ عليه السلام ـ وأمته، ثم يقال له: هل بلغت ما أرسلت به؟ فيقول: نعم يا رب. ثم يقال لقومه: هل بلغكم نوح رسالة الله، فيقولون: لا والله، ولئن كنت أرسلت إلينا رسولاً لنتبع آياتك، ونكون من المؤمنين، فما بلغنا ما أمرته به. فقال لنوح عليه السلام: إن هؤلاء يزعمون أنك لم تبلغهم، فهل لك عليهم من شهيد؟ فيقول: نعم. فيقال من هم؟ فيقال: هم أمة محمد عليه السلام، فيدعون ويُسألون، فيقولون: نعم نشهد أن نوحاً عليه السلام قد بلغ قومه، فيقول قوم نوح: كيف تشهدون علينا، ونحن أول الأمم، وأنتم آخر الأمم؟ فيقولون: نشهد أن الله تعالى بعث إلينا رسولاً، وأنزل عليه الكتاب، وكان فيما أنزل عليه خبركم».

قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «نحن الآخرون ونحن الأولون يوم القيامة فذلك قوله تعالى: **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾** [البقرة: ١٤٣][2].

---

(١) أي المؤذّنون.

(٢) رواه البخاري (٤٤٨٧) في التفسير، باب (١٣)، والترمذي (٢٩٦١) في تفسير القرآن، باب (٣) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣/٣٢) كلهم من حديث أبي سعيد. «الوسط»: العدل.

باب حقّ الزّوج على زوجته

٨١٠ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا عبدالوهاب بن محمد، حدثنا محمد بن علي، حدثنا محمد بن صالح، حدثنا عبدالرحمٰن الدوري، عن عبدالعزيز بن الخطاب، عن حبان بن علي العنزي، عن صالح بن حيان، عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه قال: جاء أعرابي إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: إني أسلمت، فأرني شيئاً أزدد به يقيناً. قال: «ما تريد؟» قال: ادع تلك الشجرة فلتأتك. قال: «اذهب فادعها»، فذهب. فقال: أجيبي رسول الله. فمالت على جانب من جوانبها، فقطعت عروقها، ثم مالت على الجانب الآخر، ثم أقبلت، ثم أدبرت، فقطعت عروقها، ثم أقبلت تجر عروقها وفروعها حتى انتهت إلى النبي ـ ﷺ ـ وسلمت عليه. فقال الأعرابي: حسبي حسبي، فأمرها فرجعت، فدلّت عروقها في ذلك الموضع ثم استوت. فقال الأعرابي: ائذن لي يا رسول الله، فأقبّل رأسك ورجليك، فأذن له، فقبّل رأسه ورجليه. فقال: أتأذن لي أن أسجد لك؟ قال:

«لا تسجد لي، ولا يسجد أحد لأحد من الخلق، ولو كنت آمراً أحداً بذلك لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها تعظيماً لحقّه»[1].

٨١١ ـ وروى عطاء عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: جاءت امرأة إلى النبي ـ ﷺ ـ فقالت: يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة؟ قال: «أن لا تمنعَ نفسها ولو كانت على ظهر قتب، ولا تصوم يوماً إلا بإذنه إلا رمضان، فإن فعلت كان الأجر له والوزر عليها، ولا تخرج إلا بإذنه، فإن خرجت لنفسها لعنتها ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب حتى ترجع»[2].

---

(١) رواه ابن حبان (٦/١٨٣) دون ذكر القصة. وفي إسناده: حبان بن علي: ضعيف. (تقريب التهذيب ١/١٤٧)، وصالح بن حيان: ضعيف. (تقريب التهذيب ١/٣٥٨).
(٢) رواه الطيالسي: (كنز العمال ٤٤٧٨٦).

وعن قتادة قال: ذكر لنا أن كعباً قال: أول ما تسأل المرأة عنه يوم القيامة عن صلاتها، ثم عن حق زوجها.

٨١٢ ـ وعن الحسن، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إذا هربت المرأةُ من بيت زوجها لم تقبل لها صلاة حتى ترجع، وتضع يدها في يده، وتقول: اصنع ما شئت، وإن المرأة إذا صلت ولم تَدْعُ لزوجها؛ رُدَّتْ عليها صلاتها حتى تدعو لزوجها».

٨١٣ ـ وعن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال في خطبته وهو يومئذ بمنى: «أيها الناس إنّ لكم على نسائكم حقاً، وإنّ لهنّ عليكم حقاً، وإنّ من حقّكم عليهن أن يحفظن فرشكم، ولا يأذنّ في بيوتكم لأحد تكرهونه، ولا يأتين بفاحشة مبينة، فإن هن فعلن ذلك، فقد أحلّ الله لكم أن تضربوهن ضرباً غير مبرح، وإنّ من حقّهن عليكم: الكسوة والنفقة بالمعروف»[1].

٨١٤ ـ وروي عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ المرأة إذا صلّت خمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت»[2].

٨١٥ ـ وعنه أيضاً، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لو أن الزوج سال من أحد منخريه دم، ومن الآخر صديد، فلحسته المرأة ما أدّت حقّ زوجها»[3].

* * *

(١) رواه ابن ماجه (١٨٥١) في النكاح، باب: حق المرأة على الزوج، وأحمد (٤/٣٨١).
(٢) رواه البزار كما في كشف الأستار (٢/١٧٧)، والأصبهاني في ترغيبه (١٤٩٦).
(٣) جزء من حديث رواه البزار في كشف الأستار (١٤٦٦)، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٣٠٧) للبزار، وفيه سليمان بن داود اليمامي، وهو ضعيف. ورواه الحاكم (٤/١٧٢) وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: بل سليمان هو اليماني؛ ضعّفوه.

باب حقّ المرأة على زوجها

٨١٦ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبي ـ رحمه الله ـ حدثنا أبو الحسين الفراء، حدثنا محمد بن غالب البغدادي، عن الحسن بن عطية، عن ابن عاتكة، قال أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ: سئل رسول الله ـ ﷺ ـ أي المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال: «أحسنهم خُلُقاً مع أهله»[١].

٨١٧ ـ قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن السردري، قال: حدثني أبو أحمد الحلواني، حدثنا العباس بن محمد، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا أبو حفص الأبار، عن حجادة، عن عطية العوفي، عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال:

«كلّكم راعٍ، وكلّكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه، [والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، ألا كلّكم راعٍ، وكلّكم مسؤول عن رعيته][٢]»[٣].

٨١٨ ـ قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان، حدثنا الحسن بن علي، عن الفضل بن سهل، عن محمد بن عبدالله بن أبان، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن تزوّج امرأةً بصداق مثلها، وهو ينوي أن لا يؤدّيه إليها، فهو زانٍ. ومن استدان ديناً وهو

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢/٨): رواه البزار، وفيه سهيل بن أبي حزم، وثقه ابن معين، وضعّفه جماعة، وانظر: (فيض القدير ٩٧/٢).

(٢) ساقط من الأصل، ومستدرك من (م) و(ط).

(٣) رواه البخاري (٧١٣٨) في الأحكام، باب (١)، ومسلم (١٨٢٩) في الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل. «الراعي»: الحافظ المؤتمن، الملتزم صلاح ما قام عليه.

ينوي أن لا يقضيه فهو سارق»[1].

٨١٩ ـ قال: حدثنا أبو القاسم الشناباذي بإسناده، عن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى»[2].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حقّ المرأة على الزوج خمسة أشياء:

أولها: أن يخدمها من وراء ستر، ولا يدعها تخرج من الستر، فإنها عورة، وخروجها إثم وترك للمروءة.

والثاني: أن يعلّمها ما تحتاج إليه من العلم، مما لا بد لها من أحكام الوضوء والصلاة والصوم.

والثالث: أن يطعمها الحلال، فإن اللحم إذا نبت من الحرام يذوب بالنار.

والرابع: أن لا يظلمها فإنها أمانة عنده.

والخامس: إن تطاولت عليه يحتمل ذلك منها، نصيحة لها لكيلا تقع في أمر هو أضرّ بها مما وقعت فيه.

وذُكِر أنّ رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه زوجته، فلما بلغ بابه سمع امرأته أم كلثوم، تطاولت عليه. فقال الرجل: إني أردت أن أشكو إليه زوجتي وبه من البلوى مثل ما بي فرجع، فدعاه عمر ـ رضي الله عنه ـ، فسأله. فقال: إني أردت أن أشكو إليك من زوجتي فلما سمعت من زوجتك ما سمعت، رجعت. فقال عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: إني أتجاوز عنها لحقوق لها عليّ:

أولها: إنها ستر بيني وبين النار، فيسكن بها قلبي عن الحرام.

والثاني: إنها خازنة لي إذا خرجت من منزلي، حافظة لي.

والثالث: إنها قصارة لي، تغسل ثيابي.

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/١٣١): رواه البزار من طريقين، إحداهما هذه، وفيها محمد بن أبان الكوفي، وهو ضعيف. والأخرى فيها محمد بن الحصين الجزري شيخ البزار، ولم أجد من ذكره، وبقية رجاله ثقات. وانظر: (كشف الأستار ٢/١٦٣).

(٢) جزء من حديث رواه مسلم (١٢١٨) في الحج، باب: حجّة النبي ﷺ، وأبو داود (١٩٠٥) في المناسك، باب: صفة حجّة النبي ﷺ، وابن ماجه (٣٠٧٤) في المناسك، باب (٨٤)، وأحمد (٥/٧٣)، من حديث جابر.

والرابع: إنها ظئر لولدي.

والخامس: إنها خبازة وطباخة لي.

فقال الرجل: إن لي مثل ما لك فما تجاوزتَ عنها فأتجاوز عنها.

٨٢٠ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أربع نفقات لا يحاسب العبد بهنّ يوم القيامة: نفقته على أبويه، ونفقته على إفطاره، ونفقته على سحوره، ونفقته على عياله».

٨٢١ ـ وعن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «الدّنانير أربعة: دينار تنفقه في سبيل الله تعالى، ودينار تعطيه للمساكين، ودينار تعطيه في رقبة، ودينار تنفقه على أهلك، وأعظمها أجراً الدينار الذي تنفقه على أهلك»[1].

* * *

(١) رواه مسلم (٩٩٥) في الزكاة، باب: النفقة على العيال، من حديث أبي هريرة.

باب اصلاح ذات البين[1] والنهي عن المصارمة

٨٢٢ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو الحسن القاسم بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا عيسى بن خشنام، حدثنا سويد، عن مالك، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد، عن أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنهم ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

«لا يحلّ لمسلم أن يهجرَ أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان، فيعرض هذا بوجهه وهذا بوجهه، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[2].

٨٢٣ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا ابن علية، عن يونس، عن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا تَهجروا فإن كنتم مهتجرين لا محالة، فلا تهتجروا فوق ثلاثة أيام، وأيما مسلمين ماتا وهما مهتجران لا يجتمعان في الجنة»[3].

٨٢٤ ـ قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان، حدثنا الحسن بن علي الطوسي، حدثنا عبدالله بن محمد، عن مالك بن سفيان، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن لله عباداً يُوضع لهم يوم القيامة منابر من نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء»، فقالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم المتحابّون في الله»[4].

---

(١) في (م): الإصلاح بين الناس.

(٢) رواه البخاري (٦٢٣٧) في الاستئذان، باب: السلام للمعرفة وغير المعرفة، ومسلم (٢٥٦٠) في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي.

(٣) رواه ابن أبي شيبة كما في ترغيب المنذري (٤٥٦) من حديث هشام بن عامر.

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٩): رواه الطبراني، وفيه مَن لم أعرفهم. من حديث معاذ. =

٨٢٥ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «تفتح أبوابُ الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكلّ عبد مسلم، لا يشرك بالله شيئاً إلا عبد كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا، قال: فإذا رُفع عَمَلُ المتصارمين فوق ثلاث ردّ»[(١)].

٨٢٦ ـ وعن أبي أمامة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إذا كانت ليلةُ النصف من شعبان، يهبط الله إلى سماء الدنيا، فيطّلع على أهل الأرض، فيغفر لأهل الأرض جميعاً إلا الكافر والمشاحن»[(٢)].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: هبوطه هبوط أمره، كما قال الله تعالى: ﴿**فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا**﴾ [الحشر: ٢] يعني أتاهم أمره.

٨٢٧ ـ وروي عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «خمسة ليست لهم صلاة: المرأة السّاخط عليها زوجها، والعبد الآبق من سيده، والمصارم الذي لا يكلّم أخاه فوق ثلاثة أيام، ومدمن خمر، وإمام قوم يصلّي بهم وهم له كارهون»[(٣)].

٨٢٨ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ألا أنبئكم بصدقة يسيرة يحبّها الله تعالى؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إصلاح ذات البين إذا تقاطعوا»[(٤)].

٨٢٩ ـ وعن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟»[(٥)] قالوا: بلى. قال: «إصلاح

= ورواه المقدسي في (المتحابين في الله رقم ٤٥) من حديث أبي مالك.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٤١١)، ومسلم (٢٥٦٥) في البر والصلة والآداب، باب: النهي عن الشحناء والتهاجر، وأبو داود (٤٩١٦) في الأدب، باب: فيمن يهجر أخاه المسلم، والترمذي (٢٠٢٣) في البر والصلة، باب: ما جاء في المتهاجرين، وقال: حسن صحيح، ومالك في الموطأ (٩٠٨/٢).

(٢) رواه ابن حبان (٥٦٣٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٥/٨): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجالهما ثقات. من حديث معاذ.

(٣) رواه الترمذي (٣٦٠) في الصلاة، باب (٢٦٦) وقال: حسن غريب، بلفظ: «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم..»، ورواه ابن ماجه (٩٧١) في إقامة الصلاة، باب (٤٣) وقال في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، وابن حبان (١٧٥٤) من حديث ابن عباس.

(٤) رواه أبو سعيد السمان في مشيخته عن أنس. (كنز العمال ٥٤٨٦).

(٥) أي الصيام والصلاة والصدقة النّفل.

ذات البين إذا تقاطعوا»[1].

وروي عن بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أنه قال: من عجز عن ثمانية فعليه بثمانية أخرى لينال فضلها:

أولها: من أراد فَضْلَ صلاة الليل وهو نائم فلا يعصِ بالنهار.

والثاني: من أراد فَضْلَ صيام التطوّع وهو مفطر فليحفظْ لسانه.

والثالث: من أراد فضل العلماء فعليه بالتفكر.

والرابع: من أراد فضل المجاهدين والغزاة وهو قاعد في بيته فليجاهد الشيطان.

والخامس: من أراد فَضْل الصدقة وهو عاجز فليُعلِّم الناسَ ما سمع من العلم.

والسادس: من أراد فضل الحج وهو عاجز فليلزم الجمعة.

والسابع: من أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس، ولا يوقع بينهم العداوة والبغضاء.

والثامن: من أراد فَضْل الأبدال فليضع يده على صدره ويرضى لأخيه ما يرضى لنفسه.

٨٣٠ ـ وعن علي بن الحسين ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: إذا جَمَعَ اللَّهُ الأولين والآخرين نادى منادٍ: أين أهل الفضل؟ فيقوم عنق من الناس يريدون الجنة، فتتلقاهم الملائكة فيقولون: أين تريدون؟ فيقولون: نريد الجنة. فتقول الملائكة: أَقَبْلَ الحساب؟ فيقولون: نعم قبل الحساب. فيقولون: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل. فيقولون: ما كان فضلكم في الدنيا؟ قالوا: إنا كنا إذا جُهِل علينا حَلُمنا، وإذا أسيء إلينا عفونا. فتقول الملائكة: ادخلوا الجنة. فنعم أجر العاملين.

ثم ينادي منادٍ: أين أهل الصبر؟ فيقوم عنقٌ من الناس يريدون الجنة، فتقول لهم الملائكة: أين تريدون؟ قالوا: نريد الجنة. فتقول الملائكة: أقبلَ الحساب؟ قالوا: نعم. فتقول الملائكة: من أنتم؟ قالوا: نحن أهل الصبر. فتقول: وما كان صبركم؟ فيقولون: صبَّرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معاصي الله. فتقول

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (١١٠٨٨/مكرر)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٨١).

الملائكة: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين. ثم ينادي منادٍ: أين جيران الله في داره؟ فيقوم عنق من الناس يريدون الجنة فتقول الملائكة: أين تريدون، فيقولون: نريد الجنة. فتقول الملائكة: أقبل الحساب؟ فيقولون: نعم. فتقول الملائكة: من أنتم؟ فيقولون: نحن جيران الله في أرضه، فيقولون: وما كان جواركم؟ فيقولون: كنا نتحاب في الله، وكنا نتباذل في الله، وكنا نتزاور في الله، فتقول الملائكة: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين[1].

٨٣١ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون فيّ؟ فوعزّتي وجلالي اليوم أظلّهم بظلّي يوم لا ظلّ إلا ظلّي»[2].

٨٣١/م ـ وعن أبي أمامة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: امش ميلاً، وعُدْ مريضاً. وامش ميلين وزر أخاك. وامش ثلاثة أميال وأصلح بين اثنين[3].

٨٣٢ ـ وعن أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة[4].

وقال أبو بكر الوراق ـ رضي الله تعالى عنه ـ: إن الله بعث نبيه ـ عليه السلام ـ ليدعو الخلق إلى الله تعالى، وإنما طلب منهم عمل أربعة أشياء: القلب، واللسان، والجوارح، والخُلق، وإنما طلب من كل واحد من هذه الأربعة شيئين. أما القلب فطلب منه تعظيم أمور الله تعالى، والشفقة على خلقه. وأما اللسان فطلب منه ذكر الله تعالى على الدوام، ومداراة الخلق. وأما الجوارح فطلب منها عبادة الله تعالى، وعون المسلمين. وأما الخُلق فطلب منه الرضا بقضاء الله تعالى، وحسن المعاشرة مع الخلق، واحتمال أذاهم.

---

(١) رواه أبو يعلى كما في المطالب العالية (٤/٣٩٤)، والمقدسي في كتاب (المتحابين في الله رقم ١٥٥).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٦) في البر والصلة والآداب، باب: في فضل الحب في الله، ومالك في الموطأ (٢/٩٥٢)، والمقدسي في كتاب المتحابين في الله رقم (٣٤).

(٣) ذكره الذهبي في (ميزان الاعتدال ٣/١٦٢) في ترجمة علي بن يزيد الألْهاني، قال البخاري: منكر الحديث، وقال الدارقطني: متروك. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان عن مكحول مرسلاً. (فيض القدير ٢/١٩٥)، ورواه الأصبهاني في ترغيبه (١٨٤).

(٤) رواه الأصبهاني في ترغيبه (١٨٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/٤٨٩) وعزاه للأصبهاني وقال: حديث غريب جداً.

٨٣٢/م ـ وروى سهل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ألا إنما الدِّين النصيحة» قالها ثلاثاً. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المؤمنين ولعامتهم»[١].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: النصيحة لله تعالى: أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيئاً، وتعمل بما أمر الله به، وتنتهي عما نهى عنه، وتدعو الناس إلى ذلك، وتدلهم عليه. وأما النصيحة لرسوله فأن تعمل بسنته، وتدعو الناس إليها. وأما النصيحة لكتابه فأن تؤمن به، وتتلوه، وتعمل بما فيه، وتدعو الناس إليه. وأمَّا النصيحة للأئمة: فأن لا تخرج عليهم بالسيف، وتدعو لهم بالعدل والإنصاف، وتدل الناس عليه. وأما النصيحة للعامة؛ فهو أن تحب لهم ما تحبّ لنفسك، وأن تصلحَ بينهم ولا تهجرهم، وتدعو لهم بالصلاح.

وقال علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ: إنّ من موجبات المغفرة إدخال السّرور على أخيك المسلم.

٨٣٣ ـ وروى معمر عن الزهري، عن حُمَيْد، عن أمه أم كلثوم بنت عقبة، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ليس بالكاذب مَن أصلح بين الناس فقال خيراً أو نمى خيراً»[٢].

وأما الإصلاح بين الناس فشعبة من شعب النبوة، والصرم بين الناس شعبة من شعب السحر.

٨٣٤ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أفضلُ الناس عند الله تعالى يوم القيامة ثواباً أنفعهم للناس في الدنيا، وإن المقرّبين عند الله يوم القيامة المصلحون بين الناس»[٣].

* * *

---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٥٥ و ٧٥٨).

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٢) في الصلح، باب: ليس الكاذب الذي يُصلح بين الناس، ومسلم (٢٦٠٥) في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكذب.

(٣) ذكر الهيثمي بنحوه روايتين في المجمع (٨/١٩١) من حديث أنس وابن مسعود، وانظر: ترغيب الأصبهاني (١١٣٥).

باب مخالطة السّلطان

٨٣٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الحاكم أبو الحسن السردري، حدثنا الحسين بن إسماعيل القاضي، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا إبراهيم بن رستم، حدثنا أبو حفص الأزدي، عن إسماعيل بن سميع، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان، ولم يدخلوا في الدنيا، فإذا خالطوا السلطان ودخلوا في الدنيا فقد خانوا الرسل، فاعتزلوهم واحذروهم»[1].

٨٣٦ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الليث، عن الحسن بن مسلم، عن عبيد بن عمير أن النبي ـ ﷺ ـ قال:

«ما ازداد رجلٌ من السلطان قُرباً إلا ازداد من الله بعداً، ولا كثر أتباعه إلا كثرت شياطينه، ولا كثر ماله إلا اشتدّ حسابه»[1].

وقال حذيفة ـ رضي الله تعالى عنه ـ: إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما مواقف الفتن؟ قال: أبواب الأمراء.

وقيل لابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: إنّا ندخل على السلطان فنتكلّم بالكلام فإذا خرجنا تكلّمنا بخلافه. قال: كنا نعدّ هذا من النفاق.

---

(١) قال الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص ٢٨٨): قيل: هو موضوع. وفي إسناده: مجهول ومتروك، وتعقّب ذلك، وورد في هذا المعنى أشياء لا تصح. وقال ابن الجوزي في الموضوعات (١/٢٦٣): هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، فأما عمر العبدي فقال أحمد بن حنبل: حرقنا حديثه، وقال يحيى: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك. وأمّا إبراهيم بن رستم، فقال ابن عدي: ليس بمعروف. وأما محمد بن معاوية فقال أحمد: هو كذاب.

(٢) رواه هناد عن عبيد بن عمير مرسلاً. (فيض القدير ٥/٤١٧).

وعن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: إنّ الرجل ليدخل على ذي سلطان ومعه دينه، فيخرج وما معه دينه. قيل: وكيف ذلك؟ قال: يرضيه بما يسخط الله.

وقال بعض المتقدمين: إذا رأيت القارىء يختلف إلى الأغنياء، فاعلم أنه مراء، وإذا رأيت عالماً يختلف إلى الأمراء فاعلم أنه لص.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: ليس شيء أضرّ بهذه الأمة من ثلاث: حبّ الدّينار والدّرهم، وحبّ الرياسة، وإتيان باب السلطان، وقد جعل الله منهن مخرجاً.

وعن مكحول ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: من تعلّم القرآن وتفقّه في الدين، ثم أتى باب السلطان تملّقاً إليه، وطمعاً بما في يديه؛ خاض في نار جهنم بعدد خطاه.

وعن ميمون بن مهران قال: في صحبة السلطان خطر؛ إن أطعته خاطرت بدينك، وإن عصيته خاطرت بنفسك، والسلامة أن لا يعرفك.

وعن الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لو أنّ رجلاً لا يخالط هؤلاء، يعني السلاطين، ولا يزيد على الفرائض، فهو أفضل من رجل يخالط السلطان، ويصوم النهار، ويقوم الليل، ويحج، ويجاهد.

ويقال: ما أقبح بعالم يقال أين هو؟ فيقال: عند الأمير.

٨٣٧ ـ وروى الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا تزال يدُ الله على هذه الأمة ما لم يعظّمْ أبرارهم فجارهم، وما لم يرفقْ خيارهم بشرارهم، وما لم يملْ قراؤهم إلى أمرائهم، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم البركة، وسلط عليهم جبابرتهم، وقذف في قلوبهم الرعب، وأنزل عليهم الفاقة»[1].

وعن عيسى ابن مريم ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ أنه قال: يا معشر العلماء، كما أن الملوك تركوا الحكمة عندكم، فاتركوا ملكهم عليهم.

٨٣٨ ـ وعن شقيق بن سلمة أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ ولّى بشر بن عاصم الثقفي على صدقات هوازن، فتخلّف، فلقيه عمر ـ رضي الله تعالى

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٧٥٧٢) بنحوه من حديث علي.

عنه ـ فقال: ما خلّفك، أما ترى لنا عليك سمعاً وطاعة؟ قال: بلى، ولكني سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «من وليَ أحداً من الناس أُتي به يوم القيامة حتى يُوقف به على جسر جهنم، فإن كان محسناً نجا، وإن كان مسيئاً انخرق به الجسر، فيهوي فيها سبعين خريفاً».

فخرج عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ حزيناً كئيباً، فلقيه أبو ذرّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقال له: ما لي أراك حزيناً كئيباً؟ قال: وما يمنعني وقد سمعت بشر بن عاصم يقول كذا وكذا. قال أبو ذر: أما سمعت ذلك؟. قال عمر: لا. قال أبو ذر: أشهد أني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «من وُلِّي أحداً من الناس أُتي به يوم القيامة حتى يوقفَ به على جسر جهنم، فإن كان محسناً نجا، وإن كان مسيئاً انخرق به الجسر، فيهوي فيها سبعين خريفاً، وهي سوداء مظلمة»[1].

٨٣٩ ـ وروت عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «يجاء بقاضي العدل يوم القيامة، فيلقى من شدة الحساب ما يودّ أن لم يكن قضى بين اثنين قطّ»[2].

٨٤٠ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من جُعِل على القضاء، فكأنما ذُبح بغير سكين»[3].

وعن أبي حنيفة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه دخل على أبي جعفر الدوانيقي فقال: يا أبا حنيفة، أعنّا على أمرنا. فقال أبو حنيفة: أنا لا أصلح لهذا الأمر. فقال له: سبحان الله، أعنّا على أمرنا. فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنتُ صادقاً فقد أخبرتك، وإن كنتُ كاذباً فلا يحل لك أن توليني هذا الأمر.

٨٤١ ـ وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: خرجت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فصحبني رجلان، فلما دخلنا على رسول الله ـ ﷺ ـ قالا: يا رسول

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٠٦): رواه الطبراني، وفيه سويد بن عبدالعزيز وهو متروك. وذكره المنذري في ترغيبه (٣/١٥٨).

(٢) رواه أحمد وابن حبان، كما في البدور السافرة للسيوطي ص (٢٠٣).

(٣) رواه أبو داود (٣٥٧٢) في الأقضية، باب: في طلب القضاء، والترمذي (١٣٢٥) في الأحكام، باب (١) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢٣٠٨) في الأحكام، باب: ذكر القضاة، والحاكم (٤/٩١).

الله، استعملنا على بعض أعمالك، فقال النبي - ﷺ -: «إنّا لا نستعمل على عملنا مَن أراده وطلبه»(١).

٨٤٢ - وعن النبي - ﷺ - أنه قال لكعب بن عجرة: «يا كعب أعيذك بالله من إمارة السفهاء، ثلاث مرات، أمراء يكونون من بعدي، فمن صدقهم على كذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك مني برآء، وأنا منهم بريء. يا كعب بن عجرة كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به. يا كعب بن عجرة الصوم جُنة، والصدقة تطفىء الخطيئة، والصلاة قُربان. يا كعب بن عجرة، الناس غاديان، فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها»(٢).

٨٤٣ - قال: حدثنا أبي - رحمه الله - بإسناده، قال: حدثنا أبو عبدالله الطالقاني بسمرقند قال: حدثنا زبير بن بكار الزبيري، حدثنا عيسى بن يونس، عن موسى بن عبدالصمد، عن زاذان قال: كنا مع عبدالله بن عباس - رضي الله تعالى عنهما - على سطح له، وله من رسول الله - ﷺ - صحبة، فرأى الناس يتحملون وينتقلون، فقال: ما بالهم؟ قيل: يفرون من الطاعون. فقال: يا طاعون خذني، يا طاعون خذني. فقيل له: لِمَ تدعو بالموت وأنت صاحب رسول الله، وقد سمعته ينهى عنه؟ فقال: أسأل الله الموت لخصال ست، رأيت رسول الله - ﷺ - يتخوفهن على أمته، قلنا: ما هن؟ قال:

«إمارة الصبيان، وكثرة الشّرط، والرشوة في الحكم، وقطيعة الرحم، واستخفاف بالدم، ونَشْو يتخذون هذا القرآن مزامير، يقدّمون الرجل وما هو بأفضلهم ولا بأفقههم إلا ليغنيهم بالقرآن غناء»(٣).

وعن الحسن البصري - رحمه الله - أنه مرّ على باب ابن هُبَيْرة فرأى قوماً من القراء قال: ما ظنكم يا هؤلاء القراء؟ ليس هذا من مجالس الأتقياء.

٨٤٤ - وعن النبي - ﷺ - قال: «إياكم وجيران الأغنياء، وعلماء الأمراء، وقراء الأسواق».

---

(١) رواه البخاري (٧١٤٩) في الأحكام، باب: ما يُكره من الحرص على الإمارة، ومسلم (١٧٣٣) في الإمارة، باب (٣).

(٢) رواه الترمذي بنحوه (٢٢٥٩) في الفتن، باب (٧٢)، وقال: حديث صحيح غريب.

(٣) رواه أحمد (٣/٤٩٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/١٩٩): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عثمان بن عمير وهو ضعيف. وذكره السيوطي في شرح الصدور (ص ٢٨ - ٢٩) وعزاه لابن عبدالبر في التمهيد، وللمروزي في الجنائز أيضاً. «النشو»: جماعة استخفّهم الطرب.

وعن الضحاك بن مزاحم[1] قال: إني لأتقلّب الليلة كلّها على فراش ألتمس كلمة أُرضي بها سلطاني، ولا أسخط بها خالقي، فلا أقدر عليها.

وذكر أن عيسى بن موسى لقي ابن شبرمة، فقال له: ما لك لا تأتينا؟ فقال: وما أصنع بإتيانك؟ إن قربتني فتنتني، وإن أبعدتني آذيتني، وما عندي ما أخافك، وما عندك ما أرجوك.

قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: اجتنبوا أبواب الملوك فإنكم لا تصيبون من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من آخرتكم ما هو أفضل منه.

وقال بعض المتقدمين: دخولك على الملوك يدعوك إلى ثلاث: إيثارك رضاهم، وتعظيمك دنياهم، وتزكيتك عملهم [الخبيث، فإن فعلت بهؤلاء فقد هلكت][2]، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

(١) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، أبو محمد الخراساني: صدوق، كثير الإرسال. (تقريب التهذيب ١/٣٧٣).

(٢) من (م).

باب فضل المرض وعيادة المريض

٨٤٥ ـ قال الفقيه ـ أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو الحسن القاسم بن محمد بن روزبه، حدثنا عيسى بن خشنام، حدثنا سويد بن مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

«إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين، فقال: انظرا ماذا يقول عبدي لعوّاده، فإن هو إذا جاؤوه حمد الله رَفَعَا ذلك إلى الله عز وجل، وهو أعلم. فيقول الله: قولا لعبدي إن أنا توفيته أدخله الجنة، وإن شفيته بدّلت له لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، وأكفّر عن سيئاته»(١).

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن سعيد بن وهب قال: دخلت مع سلمان الفارسي ـ رضي الله تعالى عنه ـ على صديق له، فقال سلمان: إن الله تعالى يبتلي عبده المؤمن بالبلاء، ثم يعافيه، فيكون كفارة لما مضى ومستعتباً لما بقي. وإن الله ليبتلي عبده الفاجر بالبلاء، ثم يعافيه فيكون كالبعير الذي عقله أهله ثم أطلقوه، لا يدري فيم عقلوه ولا فيم أطلقوه.

٨٤٦ ـ وبهذا الإسناد عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن الحرث بن سويد، عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: دخلت على النبي ـ ﷺ ـ وهو يوعك وعكاً شديداً، فمسستُه، فقلت: إنك لتوعك وعكاً شديداً؟ فقال: «أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم» فقلت: إنّ لك أجرين. قال: «نعم، والذي نفسي

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٤٠)، والبيهقي في الشعب (٩٩٤١) مرسلاً عن عطاء، ورواه الأصبهاني في ترغيبه (٥٤٨) مرفوعاً من حديث أبي هريرة.

بيده ما على الأرض مسلم يصيبه مرضٌ فما سواه إلا حطّ الله عنه خطاياه كما تحطّ الشجرة ورقها».

٨٤٧ ـ قال: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا أحمد بن الفضل القاضي، حدثنا جعفر بن محمد بن مصعب، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا أبو بلال الأشعري، عن سليمان النهدي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«إذا جاءت الحمى للنفس المؤمنة، فتناديها الروح من جوف النفس، فتقول: أيتها الحمى ما تريدين من هذه النفس المؤمنة؟ فتجيبها الحمى فتقول: أيتها الروحُ الطيبة، إنّ نفسك هذه كانت طاهرة، فقذرتها الذنوب والخطايا، فأنا أطهرها، فتجيبها الروحُ: ادني إذاً ثلاث مرات فطهّريها».

وعن جعفر بن برقان، عن شيخ بن أشجع، عن رجل من المهاجرين أنه عاد مريضاً فقال: بلغني أن للمريض في مرضه أربع خصال: يرفع عنه القلم، ويجري له من الأجر مثل الذي كان يعمل وهو صحيح، ويتبع كل خطيئة في مفاصله فيستخرجها، فإن مات مات مغفوراً له، وإن عاش عاش مغفوراً له.

وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: إذا ابتلى الله العبد المؤمن بالسقم قال لصاحب الشمال: ارفع القلم عنه، وقال لصاحب اليمين: اكتب لعبدي أحسن ما كان يعمل وهو صحيح.

٨٤٨ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: إن الحمى جاءت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ تشبه امرأةسوداء، فقال لها: «من أنت؟» قالت: أنا أم ملدم. قال: «وما تصنعين يا أم ملدم؟» قالت: آكل اللحم، وأنشف الدم، وحَرّي من فيح جهنم، فعرف أنها الحمى. فقالت: يا رسول الله، ابعثني إلى أحب أهلك إليك. قال: فبعثها إلى الأنصار، فأخذتهم سبعة أيام، فبعثوا صريخهم إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فدعا رسول الله ـ ﷺ ـ فرفعها الله عنهم، فكان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا رآهم قال: «مرحباً بقوم طهرهم الله تطهيراً»[2].

---

(١) رواه البخاري (٥٦٤٧) في المرضى، باب: شدّة المرضى، ومسلم (٢٥٧١) في البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك. «لتوعك»: الوعْك: قيل هو الحمى، وقيل: ألمها.

(٢) رواه ابن حبان (١٨١)، والبيهقي في الشعب (٩٩٦٧)، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات =

٨٤٩ ـ وعن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا تُكْرِهُوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن الله تعالى يطعمهم ويسقيهم»[١].

٨٥٠ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أنين المريض تسبيح، وصياحه تهليل، ونَفَسُه صدقة، ونومه عبادة، وتقلّبه من جانب إلى جانب جهاد في سبيل الله، ويكتب له أحسن ما كان يعمل في الصّحّة»[٣].

٨٥١ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «أربع يستأنفون العمل: المريض إذا برىء، والمشرك إذا أسلم، والمنصرف من الجمعة إيماناً واحتساباً، والحاج من كسب حلال».

٨٥٢ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ثلاثة من كنوز البرّ: كتمان المرض، وكتمان الصدقة، وكتمان المصيبة»[٢].

٨٥٣ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه دخل على سلمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ وهو مريض، فقال: «إنّ لك في مضجعك ثلاث خصال؛ أولها: تذكرة من ربك، والثاني: تمحيص وكفّارة لما سلف من ذنوبك، والثالث: أن دعاء المبتلى مستجاب، فادْعُ اللَّهَ ما استطعت»[٣].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إنّ السّقيمَ لا يُكتب له أجر، إنما الأجرُ في العمل، ولكن يكفّر به الخطايا.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: لا يكتب له بالمرض ولكنه يكتب له مثل عمله

= (مخطوط برقم ٢٤٦) من حديث جابر. ورواه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٢/٣٠٦) من حديث سلمان، وفيه هشام بن لاحق؛ وثقه النسائي، وضعّفه أحمد وابن حبان.

(١) رواه الترمذي (٢٠٤٠) في الطب، باب: ما جاء لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٣٤٤٤) في الطب، باب: لا تكرهوا المريض على الطعام، والحاكم (١/٣٥٠)، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (مخطوط برقم ٢٠٢)، وذكره البغدادي في الطب النبوي ص(١٩٨). كلهم من حديث عقبة بن عامر.

(٢) رواه الخطيب والديلمي عن أبي هريرة، وقالا: رجاله معروفون بالثقة إلا حسين بن أحمد البلخي فإنه مجهول. (كنز العمال ٦٧٠٥).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/١١٧) عن أنس، وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة ص (٢٦٣): في إسناده: مَن ليس بشيء. ورواه الطبراني كما في كنز العمال (٦٥٢٠).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (مخطوط الحديث ٩١ بترقيمي)، وفيه: سهل بن عامر البجلي، قال البخاري. (ميزان الاعتدال ٢/٢٣٩)، ويحيى بن أبي كثير: مدلس. (ميزان الاعتدال ٤/٤٠٢). ورواه ابن عساكر كما في كنز العمال (٢٥١٩٩).

الـذي كان يعمـل إذا كان محسنـاً وعجـز عن العمـل، ويعلم الله تعـالى أنـه لـو كـان صحيحاً لكان يعمـل مثل مـا كان يعمله، فـإنه يكتب لـه ثواب تلك الأعمـال. ويكون المـرض كفارة لـذنوبـه، يعني إذا تاب من ذنـوبه. وأمـا إذا لم يتب، وفي نيته أنـه إذا برىء من مرضه، يعود إلى مثل أعماله الخبيثة، فإنه لا يكفر عنه.

٨٥٤ ـ وعن الحسن البصري أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «الحمّى حظّ كـلّ مؤمن من النار»[1].

٨٥٥ ـ وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «قال ربكم: وعزّتي وجلالي لا أخرجُ عبداً من الدنيا، وأنا أريـدُ أن أرحمه حتى أنقيـه من كل خطيئة عملها بسقم في جسده، أو ضيق في معيشته، فإن بقي عليه منهـا شيء شددت عليه الموت حتى يجيء إلي كما ولدته أمه. ولا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها بصحـة في جسده، أو سعـة في رزقه، فـإن بقي منها شيء هوّنت عليه الموت، حتى يجيء إليّ وليست له حسنة»[2].

وعن عـاصم الأحول، عن أبي العالية، قـال: كنا نتحـدث منذ خمسين سنـة أن الرجل إذا مرض مرضاً يشرف منه على نفسه، كأنّه خـرج من ذنوبـه كيوم ولـدته أمـه. ويقول الله تعالى: اكتبوا لعبدي ما كان يعملُ في صحته، حتى أقبضه أو أخلي سبيله.

٨٥٦ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من عاد مريضاً لم يزلْ يخوضُ في الرحمة، فإذا جلس عنده انغمس فيها»[3].

٨٥٧ ـ وعن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من عاد مريضاً فكأنما صام يوماً في سبيل الله تعالى، اليوم بسبعمئة يـوم، ومن تبع جنـازة فكأنما صام يوماً في سبيل الله، اليوم بسبعمئة يوم».

ورُوي أنّ رجـلاً جـاء إلى أم الـدرداء ـ رضي الله تعـالى عنهـا ـ، فشكـا إليهـا

---

(١) رواه أحمد (٥/٢٥٢ و٢٦٤) من حديث أبي أمامة، والـديلمي في الفردوس (٢٧٨٨) عن ابن مسعـود، والبزار (٧٦٥)، والطبراني في المعجم الصغير (١/١١٣ ـ ١١٤) عن عائشة.

(٢) ذكره المنذري في ترغيبه (٤/٢٩٧) وقال: ذكره رزين، ولم أره.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٢٢) وأحمد (٣/٣٠٤)، وابن حبان (٢٩٤٥)، والحـاكم (١/٣٥٠) وصححـه على شرط مسلم، ووافقـه الذهبي. وانـظر: مجمع الـزوائـد (٢/٢٩٧). كلهم من حـديث جابر.

القساوة من قلبه، قالت: هي أعظم الداء، ولكن عُدِ المريض، وشَيِّعِ الجنازة، واطّلع في القبور. ففعل فكأنه رأى من نفسه ما يسره، فرجع إليها فقال: جزاك الله خيراً.

* * *

باب فضل صلاة التّطوّع

٨٥٨ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا المسيب بن شريك، عن عمر بن عبيد، عن الحسن البصري ـ رحمة الله عليهم ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «للمصلّي ثلاث خصال: تحفّ به الملائكة من قدمه إلى عنان السماء، ويسقط عليه البرّ من عنان السماء إلى مفرق رأسه، وملك ينادي: لو يعلم هذا المصلّي مَن يناجي ما انفتل»[1].

٨٥٩ ـ قال: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضيل، حدثنا إسماعيل بن أبي فديك، عن محمد بن حميد، عن عبدالرحمٰن بن سالم، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنهم ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه بعث سرية فعجلت الكرة، وأعظمت الغنيمة. فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا سرية قط أعجل الرجوع كرة، ولا أعظم غنيمة من سريتك هذه. قال:

«أفلا أخبركم بأعجل كرة وأعظم غنيمة من سريتي هذه؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أقوام يصلون الصبح، ثم يجلسون في مجالسهم يذكرون الله تعالى؛ حتى تطلع الشمس، ثم يصلون ركعتين، ثم يرجعون إلى أهاليهم، فهؤلاء أعجل كرة، وأعظم غنيمة»[2].

---

(١) عزاه في الكنز (١٨٩٢٣) للحسن مرسلاً، ورواه المروزي في (تعظيم قدر الصلاة رقم ١٦٠) موقوفاً من حديث عباد بن كثير.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٦١) في الدعوات، باب (١٠٩)، وقال: حديث غريب، وحماد بن أبي حُمَيْد: ضعيف في الحديث.

٨٦٠ ـ قال: حدثنا عبدالرحمٰن، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام بن حسان، عن واصل، عن يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، عن أبي ذر ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال:

«يصبح على كلّ سُلَامىٰ من بني آدم كل يوم صدقة، ثم قال: أمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة، وذكرك الله تعالى صدقة، ومباضعتك أهلك صدقة». قلنا: يا رسول الله أيقضي الرجل شهوته ويكون له صدقة؟ قال: «أرأيت لو فعل ذلك فيما حرم الله عليه أليس كان عليه إثماً؟» قالوا: بلى. قال: «فإذا فعلها فيما أحل الله كانت له صدقة. قال: ويجزىء عن ذلك كله ركعتا الضحى»[1].

٨٦١ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ قال: حدثنا علي بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضيل، حدثنا زيد بن الحُبَاب، عن موسى بن عُبيدة، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي رافع، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ للعباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ:

«يا عم، ألا أصلك، ألا أحبوك، ألا أنفعك؟» قال: بلى فداك أبي وأمي. قال: «قم فصل أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا انقضت القراءة قل سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، خمس عشرة مرة، ثم اركع فقلها عشراً، ثم ارفع رأسك فقلها عشراً، ثم اسجد فقلها عشراً، ثم ارفع رأسك فقلهاعشراً، ثم اسجد فقلها عشراً، ثم ارفع رأسك فقلها عشراً قبل أن تقوم، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة وهي ثلاثمئة في أربع ركعات، فلو كانت ذنوبك مثل رمل عالج، غفرها الله لك. قال: ومن لم يستطع أن يفعلها في كل يوم؟ قال: يفعلها في كل جمعة، قال: فإن لم يستطع. قال: يفعلها في كل شهر قال: فإن لم يستطع قال: يفعلها في كلّ سنة».

وعن كعب الأحبار ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: لو أنّ أحدكم رأى ثواب

(١) رواه مسلم (٧٢٠) في صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة الضحى. «سلامى»: أصله عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله.

(٢) رواه الترمذي (٤٨٢) في الصلاة، باب: ما جاء في صلاة التسبيح، وقال: حديث غريب، وابن ماجه (١٣٨٦) في إقامة الصلاة، باب: (١٩٠)، وقال السندي: ثمّ الحديث قد تكلّم فيه الحفاظ. ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/٥١ ـ ٥٢). «أحبوك»: أعطيك. «مثل رمل عالج»: العالج: ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض، وهو أيضاً اسم لموضع كثير الرمال.

ركعتين من التَّطوّع، لرأى ذلك أعظم من الجبال الرواسي، فأما المكتوبة فهي أعظم من أن يقال فيها.

٨٦٢ ـ وعن زيد بن خالد الجهني، عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «صلّوا في بيوتكم ولا تتّخذوها قبوراً»(١).

٨٦٣ ـ وعن ضمرة بن حبيب، عن رجل من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «تطوّع الرجل في بيته يزيد على تطوعه عند الناس، كفضل صلاة الجماعة على صلاته وحده»(٢).

٨٦٤ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «صلاة الرجل في بيته تطوعاً نور؛ فنوّروا بيوتكم»(٣).

٨٦٥ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن صلّى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة، حفظ الله له أهله وماله ودينه ودنياه وآخرته، ومن صلى الغداة فقعد في مصلاّه حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، جَعَلَ اللَّهُ له حجاباً من النار يوم القيامة»(٤).

٨٦٦ ـ وروى زيد بن أسلم، عن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قلت لأبي ذر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أوصني يا عم. قال: سألت رسول الله ـ ﷺ ـ كما سألتني، فقال: «من صلّى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين، ومن صلاها أربعاً كتب من العابدين، ومن صلاها ستاً لم يتبعه يومئذ ذنب، ومن صلاها ثمانياً كتب من القانتين، ومن صلاّها عشراً بني له بيت في الجنة»(٥).

٨٦٧ ـ وروى أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ

---

(١) رواه أحمد (٤/١١٤، ١١٦). (٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/٢٥٦).

(٣) رواه ابن خزيمة كما في ترغيب المنذري (١/٢٧٩)، وابن ماجه (١٣٧٥) في إقامة الصلاة، باب: ما جاء في التطوع في البيت، من حديث عمر.

(٤) روى أوله إلى قوله «وآخرته» نظام الملك في السداسيات عن ابن هدبة، عن أنس. (الكنز ١٩٤٥٣). والطبراني في الأوسط من حديث عائشة، وفيه عبيدالله بن القاسم، وعنه أحمد بن سعيد بن خيشنة الحمصي، قال في الميزان (١/١٧٧): موضوع، والآفة أحمد بن سعيد أو شيخه. انظر: (تنزيه الشريعة ٢/١٢٢).

(٥) رواه البزار كما في كشف الأستار (٦٩٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٣٧): وفيه حسين بن عطاء، ضعّفه أبو حاتم وغيره، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطىء ويدلس.

للجنة باباً يقال لـه باب الضحى، فـإذا كان يـوم القيامـة نادى منـادٍ: أين الذين كـانوا يديمون على صلاة الضحى؟ هذا بابكم فادخلوه»[1].

وعن عبـدالله بن مسعود ـ رضي الله تعـالى عنه ـ أنـه قال: إذا كـان الرجـل في صلاته فإنما يقرع باب الملك، ومن يدم على قرع باب الملك يوشك أن يفتح له.

ويقال: فضل صـلاة الليل على صـلاة النهار كفضـل صدقـة السرّ على صـدقة العلانية.

٨٦٨ ـ وعن أنس بن مالك ـ رضي الله تعـالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنـه قال: «ما من بقعة يُصلّى فيها صلاةٌ أو ذكر الله عليها، إلا استبشرت بذلـك إلى منتهاهـا إلى سبع أرضين، وفخرت على ما حولهـا من البقاع. ومـا من عبد يقـوم بفلاة من الأرض يريد الصلاة إلا تزخرفت له الأرض»[2].

٨٦٩ ـ وعن خالد بن معدان[3] ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: «بلغني أن ربك يباهي الملائكة بثلاثة نفر: رجـل يكون بـأرض قفر فيؤذن، ويقيم الصـلاة، ثم يصلي وحده، فيقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي، يصلي وحده لا يـراه أحد غيـري، لينزل سبعون ألف ملك، وليصلّوا وراءه. ورجل قام بالليل فيصلي وحده، فيسجد فينام وهو ساجد، فيقول انظروا إلى عبدي روحه عنـدي وجسده سـاجد إليّ. ورجـل في زحف غزو، فثبت حتى قتل»[4].

٨٧٠ ـ وعن المعـافى بن عمران ـ رضي الله تعـالى عنه ـ أنـه قال: عـزّ المؤمن استغناؤه عن الناس، وشرفه قيامه بالليل[5].

---

(١) رواه ابن عساكر عن أنس، وفيه: يعقوب بن الجهم متهم. (كنز العمال ٢١٥٢١).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٤١١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٩): وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف.

(٣) هـو خالـد بن مَعْدان الكـلاعي الحمصي، أبو عبـدالله: ثقة عـابد، يـرسـل كثيـراً. (تقـريب التهـذيب ١/ ٢١٨).

(٤) رواه أبو داود (١٢٠٣) في الصلاة، باب: الأذان في السفر، والنسائي (٢/ ٢٠) بنحوه.

(٥) رواه الخطيب، عن سهل بن سعد مرفوعاً، وفي إسنـاده: محمد بن حميـد، كذّبـه أبو زرعـة. رواه عن زافر بن سليمان، وهـو ضعيف. قال في الـلآلىء: أخرجـه الحاكم في المستـدرك من طريق عيسى بن صبيح عن زافر، وصححه. قال ابن حجر في الأمالي: تفـرّد به زافـر، وهو صـدوق سيء الحفظ، كثير الـوهم. وفي إسناده: محمـد بن عيينة وفيـه مقال. فـالصواب: أنَّ الحـديث ضعيف، لا كما جـزم بـه الحاكم من كونه صحيحاً، ولا كما جزم به ابن الجوزي من كونه مـوضوعـاً، وله شـواهد، ولكن بـدون قوله: «واعلم» الخ. (الفوائد المجموعة للشوكاني ص ٣٤).

باب اتمام الصّلاة والخشوع فيها

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي نضرة، عن سالم بن الجعد، عن سلمان الفارسي ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أنه قال: الصّلاة مكيال، فمن وفى وفي له، ومن طفّف فقد علمتم ما قاله الله تعالى في المطففين.

وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه رأى رجلاً يصلّي ولا يتم ركوعها ولا سجودها، فقال: لو مت على هذا لمت على غير الفطرة.

٨٧١ ـ وعن الحسن البصري ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ألا أخبركم بأسوأ الناس سرقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الذي يسرق من صلاته»، قيل: وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها»[1].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: من لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر، لم يزدد بها من الله إلا بعداً، وقرأ هذه الآية: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ**﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وعن الحكم بن عُتيبة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: مَن تأمّل في صلاته من عن يمينه وعن شماله فلا صلاةَ له.

وعن مسلم بن يسار ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه كان يقول لأهله: إني إذا كنت في الصلاة فحدّثوا، فإني لست أسمع حديثكم.

---

(١) رواه أحمد (٥/٣١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٢٠): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح. وابن خزيمة في صحيحه (١/٣٣٢)، والحاكم (١/٢٢٩) من حديث أبي قتادة مرفوعاً.

وذكر عن يعقوب القارىء أنه كان في الصلاة، فجاء طرار[1] فاختلس رداءه، فذهب به إلى أصحابه، فعرفوا رداءه. فقيل له: ردّه إلى الرجل الصالح، فإنا نخاف دعاءه فجاءه فوضعه على كتفه واعتذر إليه من صنيعه، فلما فرغ من صلاته أخبر بذلك فقال: إني لم أشعر من رفعه ولا من وضعه.

وذكر عن رابعة العدوية ـ رحمها الله ـ أنها كانت في الصلاة، فسجدت على البواري، فدخلت قطعة من قصب في عينها، فلم تشعرْ بها حتى انصرفت من الصلاة.

وروي عن الحسن بن علي ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه كان إذا أراد أن يتوضّأ تغير لونه، فسئل عن ذلك، فقال: إني أريد القيام بين يدي الملك الجبار. وكان إذا أتى باب المسجد، رفع رأسه ويقول: إلٰهي عبدك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، وقد أمرتَ المحسن منا أن يتجاوز عن المسيء، فأنت المحسن وأنا المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم. ثم دخل المسجد.

٨٧٢ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه رأى رجلاً في الصلاة وهو يعبث بلحيته فقال: «لو خشع قلبُه لخشعت جوارحُه»[2].

وعن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنه كان إذا حضر وقت الصلاة ارتعدت فرائصه، وتغيّر لونه، فَسُئِل عن ذلك، فقال: جاء وقت الأمانة التي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الإنسان، فلا أدري أأحسن أداء ما حملت أم لا؟.

وروي هذا أيضاً عن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنهم ـ.

وعن سعيد بن جبير ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كنا عند ابن عباس ـ رضي الله

---

(١) «الطرّار»: النّشّال يَشُقُّ ثوب الرجل، ويَسُلُّ ما فيه.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد رقم (١١٨٨) من حديث سعيد بن المسيب، وفيه جهالة. ورواه الحكيم الترمذي (ص٣١٧) في النوادر، من حديث أبي هريرة، وفيه سليمان بن عمر وهو أبو داود النخعي؛ متفق على ضعفه. وقال في المغني: سنده ضعيف، والمعروف أنه من قول سعيد. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٢٨٩) وفيه رجل لم يُسمّ، وقال ولده فيه: فيه سليمان بن عمرو: مجمع على ضعفه. وقال الزيلعي: قال ابن عدي في الكامل (٢/ ١١٠٢): أجمعوا على أنه يضع الحديث. (فيض القدير ٥/ ٣١٩). وذكره ابن رجب في رسالة الخشوع في الصلاة ص(١٢) أنه عن بعض السلف.

تعالى عنهما ـ في المسجد بالطائف أنا وعكرمة، وميمون بن مهران، وأبو العالية وغيرهم ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ إذ صعد المؤذن فقال: الله أكبر الله أكبر، فبكى ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ حتى بَلَّ رداءَه، وانتفخَتْ أوداجه، واحمرت عيناه. فقال أبو العالية: يا بن عم رسول الله، ما هذا البكاء وما هذا الجزع؟ فإنا نسمع الأذان، ولا نبكي، فبكينا لبكائك. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لو يعلم الناس ما يقول المؤذن ما استراحوا، ولا ناموا. فقيل له: أخبرنا ما يقول المؤذن. قال: إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر يقول: يا مشاغيل تفرغوا الآن، وأريحوا الأبدان، وتقدموا إلى خير عملكم.

وإذا قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله يقول: يشهدوا جميع من في السماوات ومن في الأرض من الخلائق يشهدوا لي عند الله يوم القيامة أني قد دعوتكم.

وإذا قال: أشهد أن محمداً رسول الله. يقول: يشهد لي يوم القيامة الأنبياء كلهم، ومحمد صلى الله عليهم أجمعين أني أخبركم في كل يوم خمس مرات.

وإذا قال حي على الصلاة يقول: إن الله تعالى قد أقام لكم هذا الدين فأقيموه. وإذا قال حي على الفلاح يقول: خوضوا في الرحمة وخذوا سهمكم من الهدي.

وإذا قال الله أكبر الله أكبر. يقول: حَرُمَت الأعمال قبل الصلاة. وإذا قال: لا إله إلا الله يقول: أمانة سبع سماوات وسبع أرضين وضعت في أعناقكم، فإن شئتم فتقدّموا، وإن شئتم فأدبروا.

٨٧٣ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ الرّجلين ليقومان في الصّلاة، وركوعهما وسجودهما واحد، وإن ما بين صلاتهما كما بين السماء والأرض»[1].

ويقال: إنما سُمِّي المحراب محراباً لأنه موضع الحرب، يعني يحارب الشيطان حتى لا يشغل قلبه.

وذكر أنّ حاتماً الزاهد ـ رحمه الله تعالى ـ دخل على عصام بن يوسف، فقال له عصام: يا حاتم، هل تحسن أن تصلي؟ فقال: نعم. فقال: كيف تصلي؟ قال: إذا تقارب وقت الصلاة أسبغت الوضوء، ثم أستوي في الموضع الذي أصلي فيه حتى

---

(١) قال العراقي في تخريجه للإحياء (١/١٤٨): أخرجه ابن المحبر في العقل، من حديث أبي أيوب الأنصاري، وهو موضوع.

يستقر كل عضو مني، وأرى الكعبة بين حاجبي، والمقام بحيال صدري، والله تعالى فوقي يعلم ما في قلبي، وكأن قدمي على الصراط،والجنة عن يميني والنار عن يساري، وملك الموت من خلفي، وأظن أنها آخر صلاتي، ثم أكبر تكبيرة بإخبات، وأقرأ قراءة بالتفكر، وأركع ركوعاً بالتواضع، وأسجد سجوداً بالتضرع، ثم أجلس على التمام، وأتشهد على الرجاء والخوف، وأُسَلِّم على السنة، ثم أسلمها بإخلاص، وأقوم بين الرجاء والخوف، ثم أتعاهد على الصبر. قال عصام: يا حاتم هكذا صلاتك؟ قال: هكذا صلاتي. قال: منذ كم صلاتك على هذا الوصف؟ قال: منذ ثلاثين سنة. فبكى عصام، وقال: ما صليت صلاة من صلاتي مثل هذا قطّ.

وذُكِر أنّ حاتماً فاتته الجماعة مرة، فعزّاه بعض أصحابه فبكى، وقال: لو مات لي ابن واحد لعزاني نصف أهل بلخ، والآن قد فاتتني جماعة، فما عزاني إلا بعض أصحابي، وإنه لو مات لي الأبناء جميعاً لكان أهون علي من فوات هذه الجماعة.

وقال بعض الحكماء: الصلاة بمنزلة الضيافة، قد هيأ الله تعالى للموحدين في كل يوم خمس مرات، كما أن الضيافة اجتمع فيها الألوان من الطعام، ولكل طعام لذة ولون، فكذلك الصلاة فيها أفعال وأذكار مختلفة، لكل فعل ثواب وتكفير للذنوب.

ويقال: المصلون كثير، ومقيمو الصلاة قليل، والله تعالى وصف المؤمنين بإقام الصلاة فقال: ﴿**وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ**﴾ [الحج: ٣٥] ووصف المنافقين وسماهم مصلين، فقال: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ [الماعون: ٤ - ٥] وقال في المؤمنين ﴿**يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾ [البقرة: ٣] وإقامتها إدامتها، ومحافظتها لوقتها، وتمام ركوعها وسجودها.

وقال بعض الحكماء: الناس في حضور الصلاة صنفان: خاص، وعام. فأما الخاص: فيأتي بالصلاة مع الحرمة، ويقوم باليقين والهيبة، ويؤديها بالتعظيم ويرجع مع الخوف. وأما العام، فيجيء مع الغفل، ويقوم بالجهل، ويؤديها مع الوسوسة ويرجع مع الأمن.

وقال بعض الحكماء: بالفارسية: (كناه كترا كنده توبة ياذكلدوايد ست حابغان وبماز حوق جوق أزين كونه نمازان سرين ذبرذجو كاجوك). يعني إذا توضأ مع الوسوسة بغير تعظيم، ويصلي مع الوسوسة،ويتفكر في أشغال الدنيا لا يتقبل منه.

وقال بعض الحكماء: أربعة أشياء قد انغمست في أربعة مواضع، وأطلعت رأسها في أربعة أماكن:

أولها: رضا الله تعالى قد انغمس في الطاعات، وأطلع رأسه في بيت الأسخياء.

والثاني: سخط الله تعالى قد انغمس في الخطايا، وأطلع رأسه في بيت البخلاء.

والثالث: طيب العيش وسعة الرزق اختفى في المثوبات، فأطلع رأسه في بيوت المصلين.

والرابع: ضيق المعيشة انغمس في العقوبات فأطلع رأسه في بيوت المتهاونين بالصلاة.

وقال بعض الحكماء: إذا اشتغل الناس بستة أشياء فاشتغلوا أنتم بستة أخرى:

أولها: إذا اشتغل الناس بكثرة الأعمال فاشتغلوا أنتم بحسن الأعمال.

والثاني: إذا اشتغل الناس بالفضائل فاشتغلوا أنتم بإتمام الفرائض.

والثالث: إذا اشتغل الناس بإصلاح العلانية فاشتغلوا أنتم بإصلاح السر.

والرابع: إذا اشتغل الناس بطلب عيوب الناس فاشتغلوا أنتم بعيوب أنفسكم.

والخامس: إذا اشتغل الناس بعمارة الدنيا فاشتغلوا أنتم بعمارة الآخرة.

والسادس: إذا اشتغل الناس بطلب رضا المخلوقين فاشتغلوا أنتم بطلب رضا الله تعالى.

* * *

باب الدّعوات والتّسبيحات

٨٧٤ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن الحجاج، عن إبراهيم بن عبدالرحمٰن، عن عبدالله بن أبي أوفى ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: أتى النبي ـ ﷺ ـ رجل من الأعراب، فقال: يا نبي الله، علمني ما يجزيني من القرآن، فإني لا أحفظ شيئاً من القرآن. فقال النبي ـ ﷺ ـ: «قل سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». فعدّها في يده خمساً، فمضى هنيهة، ثم رجع فقال: يا رسول الله، هؤلاء لربي فما لي؟ قال: «قل: اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني، وعافني» فعدها بيده الأخرى خمساً، ثم انطلق. فقال النبي ـ ﷺ ـ: «لقد ملأ الأعرابي يديه من الخير إن هو وفّى بما قال»[1].

قال الفقيه: معنى قوله علمني ما يجزيني من القرآن، يعني إذا علم من القرآن ما يقرأ في الصلاة فلا بد له من ذلك، فإن لم يعلم أكثر من ذلك واستعمل هذه الكلمات يرجى له أن ينال فضل من يقرأ القرآن.

٨٧٥ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو الحسين القاسم بن محمد بن روزبه، حدثنا عيسى بن خشنام، حدثنا سويد، عن مالك، عن يزيد بن حفصة، عن عمرو بن عبدالله بن كعب، عن نافع، عن ابن جبير، عن عثمان بن أبي العاص، قال: أتاني رسول الله ـ ﷺ ـ وبي وجع كاد أن يهلكني، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «امسحه بيمينك سبع مرات، وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر». قال: ففعلت

(١) رواه أبو داود (٨٣٢) في الصلاة، باب: ما يجزىء الأميّ والأعجميّ من القراءة، والنسائي (٢/١٤٣)، والدارقطني في سننه (١/٣١٣ ـ ٣١٤).

ذلك، فأذهب الله ما كان بي[1].

[قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا ابن جعفر][2] حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا هشام، عن ابن جريج، عن عطاء ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: من صلى اثنتي عشرة ركعة لا يتكلم فيها، ثم قرأ في آخرها سبع مرات بفاتحة الكتاب وآية الكرسي سبع مرات، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرات، ثم سجد فقال: اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك،وباسمك الأعظم، وجدّك الأعلى، وكلماتك التامات، ثم دعا استجيب له.

٨٧٦ ـ وعن ميمونة بنت سعد، وكانت خادمة لرسول الله ـ ﷺ ـ، قالت: مرّ النبي ـ ﷺ ـ بسلمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ وهو يدعو في دبر الصلاة. فقال: «يا سلمان ألك حاجة إلى ربك؟» قال: نعم يا رسول الله. قال: «فقدِّمْ بين يدي دعائك ثناءً على ربك، وصِفْه كما وصف نفسه، وسبّحه تسبيحاً وتحميداً وتهليلاً». فقال سلمان: وكيف أقدم ثناء يا رسول الله؟ قال: «تقرأ فاتحة الكتاب ثلاثاً فإنها ثناء الله تعالى». قال: فكيف أصفه؟ قال: «تقرأ سورة الصمد ثلاثاً فإنها صفة الله وصف بها نفسه». قال: فكيف أسبح؟ قال: «قل سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ثم تسأل حاجتك».

٨٧٦/م ـ وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه ثلاث مرات دبر صلاته غفر الله له ما أتى من سيئة، وإن كان مثل زبد البحر[3]. قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا كان الاستغفار مع ندامة القلب.

وعن الحسن بن علي ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال: أنا ضامن لمن قرأ عشرين آية من شرّ كلّ شيطان مارد، وسلطان ظالم، ولص عادٍ، وسبع ضار ألا

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/٩٤٢)، وأبو داود (٣٨٩١) في الطب، باب: كيف الرقى؟، والترمذي (٢٠٨٠) في الطب، باب (٢٩)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٥٢٢) في الطب، باب (٣٦)، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٩٩٩)، وأحمد (٤/٢١٧).

(٢) من (م).

(٣) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (١٢٦) من حديث معاذ مرفوعاً، وهو حديث ضعيف.

يضـرّوه، وهي آية الكـرسي وثلاث آيـات من سورة الأعـراف [٥٤ ـ ٥٦] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ﴾ إلى قوله: ﴿قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وعشر آيـات من أول سورة الصافات إلى قوله ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافـات: ١٠] وثلاث آيـات من سورة الرحمٰن ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣٣ ـ ٣٥] وثلاث آيات من آخر سورة الحشر ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: ٢٢] إلى آخر السورة.

٨٧٧ ـ وعن أبي هـريـرة ـ رضي الله تعـالى عنـه ـ أن رجـلاً من بني أسلم قـال للنبي ـ عليـه السلام ـ مـا نمت هذه الليلة، فقـال له رسـول الله ـ ﷺ ـ: «لم»؟ قال: لدغتني عقرب، فقال له النبي ـ ﷺ ـ: «أمـا إنك لـو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمـات الله التامات من شرّ ما خلق، لم يضرّك شيء إن شاء الله تعالى»[1].

٨٧٨ ـ وعن سعيد بن المسيب، عن معاذ بن جبـل ـ رضي الله تعالى عنـه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ افتقده يوم الجمعة، فلما صلى أتاه معاذ فقال: «ما لي لم أركَ؟» قال: يا رسول الله كان لفلان اليهودي علي دين، فخشيت إن خرجت أن يحبسني عنك فقال: «يا معاذ ألا أعلمك دعاء تـدعو بـه، لو كـان عليك من الـدين مثل كـذا وكذا لأدّاه الله عنك؟» قال: بلى. قـال: «فادع بعـد أن تقرأ ﴿قُـلِ اللَّهُمَّ مَالِـكَ المُلْكِ﴾ إلى قولـه: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦ ـ ٢٧] يا رحمٰن الـدنيا والآخـرة ورحيمهما، تعـطي منهمـا من تشاء، وتمنـع منهما من تشـاء، فارحمني رحمـة تغنيني بهـا عن رحمـة من سواك»[2].

ويقال: هذا دعاء لو دعا به أسير لفكّ الله به أسره.

٨٧٩ ـ وعن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من قـال حين يصبـح: اللهم لـك الحمـد، لا إلــه إلا أنت، أنت ربي خلقتني وأنـا عبـدك، آمنت بك مخلصـاً لك ديني، أصبحت على عهـدك ووعـدك مـا استـطعت، وأتوب إليك من سيىء عملي، وأستغفرك لذنوبي، إنه لا يغفـر الذنـوب إلا أنت، فإن

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/٩٥١)، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٥٨٩)، وأحمد (٢/٣٧٥).
(٢) ذكـر الهيثمي في مجمع الـزوائد (١٠/١٨٦) عـدة روايات لهـذا الحديث، رواهـا الطبـراني، وكلهـا ضعيفة.

مات في يومه وجبت له الجنة، وإن قالها حين يمسي فمات في ليلته وجبت له الجنة، إلا أنه يقول: أمسيت»[1].

٨٨٠ ـ وعن أبان بن عثمان، عن أبيه، عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من أصبح وقال بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرات، لم يصبه بلاء حتى يمسي. وإن قالها حين يمسي لم يصبه بلاء حتى يصبح»[2].

ويقال: لما أصاب أبان الفالج ـ نعوذ بالله ـ قالوا له: أين كنت مما تحدثنا به، قال: أما والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ، ولكن الله لما أراد أن يبتليني بالذي ابتلاني به، أنساني ذلك الدعاء.

٨٨١ ـ وعن نافع عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: شهدت رسول الله ـ ﷺ ـ وقد أتاه رجل فقال: يا رسول الله، قلَّتْ ذات يدي، قال: «فأين أنت من صلاة الملائكة، وتسبيح الخلائق وما به يرزقون؟» قال: ما هو يا رسول الله؟ قال: «سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، استغفر الله مئة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي صلاة الغداة، تأتيك الدنيا صاغرة راغمة»[3].

٨٨٢ ـ وعن عروة، عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: «كان النبي ـ ﷺ ـ إذا أراد أن ينام جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ: قل هو الله أحد والمعوذتين، ثم مسح بهما وجهه ورأسه وسائر جسده»[4].

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١١٤) رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو ضعيف.

(٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٣٤٧)، وفيه: يزيد بن فراس: مجهول. (تقريب التهذيب ٢/٣٦٩).

(٣) قال ابن عراق في (تنزيه الشريعة ٢/٣١٨): رواه ابن حبان، وفيه إسحاق بن إبراهيم الطبري، وقد ورد من طريق أخرى الله أعلم بها. قال السيوطي: ورواه الحاكم في تاريخه من طريق آخر، فيه الجويباري. وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (١/٣٤٤): وهذا باطل، وقال الدارقطني: منكر الحديث. وانظر تتمة كلام ابن عراق.

(٤) رواه البخاري (٥٧٤٨) في الطب، باب: النفث في الرقية، وأبو داود (٥٠٥٦) في الأدب، باب: ما يقول عند النوم، والترمذي (٣٤٠٢) في الدعوات، باب (٢١) وقال: حسن غريب صحيح، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٨٨)، وابن ماجه (٣٨٧٥) في الدعاء، باب (١٥).

وروى إبـراهيم بن الحكم[1]، عن أبيه، عن عكـرمـة ـ رضي الله تعـالى عنهم ـ قال: بينما رجل مسافر إذ مرّ برجل نائم، فرأى عنده شيطانين يقول أحدهما لصاحبه: اذهب فأفسد على هذا قلبه، فلما دنا منه رجع إلى صاحبه، وقال: لقد نام على آية ما لنـا إليه من سبيـل. فذهب صـاحبه إلى النـائم فلما دنـا منه رجع، وقال: صـدقت، فذهبا، ثم إن المسافر أيقظه وأخبره بما رأى من الشيطانين، ثم قال: أخبرني على أي آية نمت؟ قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَـرْشِ﴾ إلى قـولـه تعـالى: ﴿إِنَّ رَحْمَـتَ اللَّهِ قَـرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤ ـ ٥٦].

وعن عمـران بن حُرَيـر، عن أبي مجلز، قال: من خـاف أميـراً ظـالمـاً، فقـال: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ـ ﷺ ـ نبياً، وبالقرآن إماماً وحكماً؛ نجّاه الله منه.

٨٨٣ ـ وروى مالك، عن يحيى بن سعيد قال: بلغني أن خالد بن الوليد قـال: يا رسول الله إني أروع في منامي، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «قـل أعوذ بكلمـات الله التـامات من غضبـه وعقابـه وشر عبـاده، ومن همزات الشيـاطين، وأعوذ بـك رب أن يحضرون»[2].

٨٨٤ ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ أنـه أخـذ بيـد معـاذ ـ رضي الله تعـالى عنـه ـ وقـال: «أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دُبر كلّ صـلاة أن تقول: اللهم أعني على تـلاوة ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[3].

٨٨٥ ـ وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله تعالى عنـه ـ قال: كـان النبي ـ ﷺ ـ إذا استيقظ من منامه قال: «الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النشور»[4].

٨٨٦ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعـالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنـه قال: «إذا

---

(١) هو إبراهيم بن الحكم بن أبان العدني: ضعيف، وصل مراسيل. (تقريب التهذيب ١/٣٤).

(٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٧٦٦)، ومالك في الموطأ (٢/٩٥٠) بلاغاً، وأحمد (٦/٦).

(٣) رواه أبو داود (١٥٢٢) في الصلاة، باب: في الاستغفار، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٩)، وابن حبان (٢٣٤٥/ موارد)، وأحمد (٥/٢٤٥)، والحاكم (١/٢٧٣).

(٤) رواه البخـاري (٦٣١٢) في الدعـوات، باب: مـا يقول إذا نـام، وأبـو داود (٥٠٤٩) في الأدب، بـاب (١٠٧)، والترمذي (٣٤١٧) في الدعوات، بـاب (٢٨)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجـه (٣٨٨٠) في الدعاء، باب: ما يدعو به إذا انتبه من الليل، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٧٤٧).

حلم أحدكم حلماً يخافه فليبزقْ عن شماله ثلاث مرات، وليستعذْ بالله من شره ثلاثاً، فإنه لا يضرّه»[1].

٨٨٧ ـ وعن أنس بن مالكٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وقال: يا نبيّ الله أي الدعاء أفضل؟ فقال: «أن تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة». ثم أتاه في اليوم الثاني فقال: يا نبي الله أي الدعاء أفضل؟ فقال: «أن تسأل العفو والعافية في الدنيا والآخرة». ثم أتاه في اليوم الثالث فقال: مثل ذلك، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «إذا أعطيت العفو والعافية في الدنيا والآخرة فقد أفلحت»[2].

٨٨٨ ـ وروي عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه كان إذا أراد السفر ركب دابته ثم يقول: سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اطو لنا الأرض، وهوّن علينا السفر، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر، والحور بعد الكور، وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد[3].

٨٨٩ ـ وعن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إذا بنيت بأهلك فمرها فلتصلّ ركعتين، ثم خُذْ برأسها، وقل: اللهم بارك لي في أهلي، وبارك لأهلي فيّ وارزقها مني، وارزقني منها، واجمع بيننا ما جمعت بخير، وفرّق بيننا ما فرقت بخير[4].

وعن جعفر بن محمد ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: عجبتُ ممن يُبتلى بأربع، كيف يغفل عن أربع، عجبت لمن يبتلى بالهم كيف لا يقول: **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** لأن الله تعالى يقول: **﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ**

---

(١) رواه البخاري (٦٩٨٦) في التعبير، باب: الرؤيا الصالحة، ومسلم (٢٢٦١) في الرؤيا، من حديث أبي قتادة.

(٢) رواه الترمذي (٣٥١٢) في الدعوات، باب (٨٥)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٣٨٤٨) في الدعاء، باب: الدعاء بالعفو والعافية، وأحمد (١٢٧/٣).

(٣) رواه مسلم (١٣٤٢) في الحج، باب (٧٥)، وأبو داود (٢٥٩٩) في الجهاد، باب: ما يقول الرجل إذا سافر، والترمذي (٣٤٤٧) في الدعوات، باب (٤٧)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٥٤٨)، وابن خزيمة في صحيحه (١٤١/٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٥٢/٥). كلهم من حديث ابن عمر مرفوعاً. «مقرنين»: مطيقين. «وعثاء»: مشقة وشدّة. «المنقلب»: المرجع.

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٢/٤): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة المروزي، ولم أجد من ذكره، وعطاء بن السائب وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات.

الغَمّ وَكَذَلِكَ نُنجِي المُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨].

وعجبتُ لمن خافَ شيئاً من السوء كيف لا يقول: حسبي الله ونعم الوكيل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وعجبت لمن يخاف مكر الناس كيف لا يقول: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَابِ﴾ [غافر: ٤٤ ـ ٤٥].

وعجبت لمن يرغب في الجنة كيف لا يقول: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ﴾ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٣٩ ـ ٤٠].

٨٩٠ ـ وقال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً قال على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ اللهم ما كنت تعاقبني في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فمرض الرجل فأضنىٰ حتى صار كأنه هامة، فأخبر به رسول الله ـ ﷺ ـ فأتاه، فرفع رأسه وليس به حراك، فقيل: يا رسول الله، إنه كان يدعو بكذا وكذا فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يا بن آدم، إنك لا تستطيع أن تقوم لعقوبة الله، ولكن قل: (اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)» فدعا بها الرجل فبرىء[1].

وذكر أنه لما مات عتبة الغلام، رآه رجل في المنام، فسأله: ما فعل بك ربُّك؟ قال: غفر لي ربي بدعوات كنت أدعو بها، وهي مكتوبة على الحائط، فاستيقظ الرجل، فنظر في الحائط فإذا هو مكتوب بخط عتبة الغلام ـ رحمه الله تعالى ـ: اللهم يا هادي المضلّين، ويا راحمَ المذنبين، ويا مقيل عثرات العاثرين، ارحم عبدك من هذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا من الأخيار المرزوقين، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، برحمتك يا أرحم الراحمين.

ويقال: مَن دعا بهذه الخمس كلمات دُبُر كلّ صلاة كُتِب من الأبدال[2]، اللهم

---

(١) رواه مسلم (٢٦٨٨) في الذكر والدعاء، باب: كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، والترمذي (٣٤٨٧) في الدعوات، باب (٧٢) وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (١٠٥٣)، وأحمد (٣/١٠٧ و٢٨٨).

(٢) «الأبدال»: جمع بَدَل وبِدْل، وهم قوم من الصالحين؛ بهم يُقيم اللَّهُ الأرضَ، لا يموت منهم أحدٌ إلا=

أصلح أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد، اللهم اغفر لأمة محمد ولجميع من آمن بك.

٨٩١ ـ وروى أبان، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ، أنّ الحجّاج بن يوسف غضب عليه، وقال: لولا كتاب عبدالملك بن مروان لفعلت بك كذا وكذا. فقال أنس: لا تستطيع ذلك، قال: وما يمنعني من ذلك، قال: دعوات علمنيها رسول الله ـ ﷺ ـ أدعو بها كل صباح ومساء، فقال: علمنيها، فأبى، فألح عليه، فأبى. قال أبان: فسألته عن ذلك حين مرض، فقال:

«قل: ثلاث مرات بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على أهلي ومالي وولدي، بسم الله على كل ما أعطاني ربي، الله الله ربي لا أشرك به شيئاً، الله الله ربي، لا أشرك به شيئاً، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر وأعزّ وأجلّ مما أخاف وأحاذر، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل شيطان رجيم، ومن شر كل جبارعنيد،عزّ جارك، وجلّ ثناؤك، ولا إله غيرك، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]»(١).

* * *

= قام مكانه رخر، فلذلك سمّوا أبدالاً.

(١) فيه: أبان بن أبي عياش، ضعيف. (ميزان الاعتدال ١/١٠).

باب [ما جاء في][1] الرّفق

٨٩٢ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثني الخليل بن أحمد، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا عبدالله بن سعيد، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: استأذن نفر من اليهود على النبي ـ ﷺ ـ فقالوا: السّام عليك، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «وعليكم» فقالت عائشة رضي الله عنها: وعليكم السام واللعنة. فقال النبي ـ ﷺ ـ: «يا عائشة، إن الله تعالى يحب الرفق في الأمر كله». قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: «قد قلت وعليكم»[2].

٨٩٣ ـ قال: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، عن محمد بن إسماعيل، عن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «يا عائشة من أعطي حظّه من الرفق فقد أعطي خير الدنيا والآخرة، ومن حُرِم حظّه من الرفق فقد حُرِم حظّه من خير الدنيا والآخرة»[3].

٨٩٤ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضيل، عن زيد بن الحباب العكلي، عن أشعث البصري، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «رأسُ العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس، والتودّد إلى الناس. وما هلك رجل عن مشورة. وما سعد رجل باستغنائه برأيه. وإذا أراد اللَّهُ أن يهلكَ عبداً كان أول ما

---

(١) من (م).

(٢) رواه البخاري (٢٩٢٧) في استتابة المرتدين، باب (٤)، ومسلم (٢١٦٥) في السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

(٣) رواه أحمد (٦/١٥٩)، والبغوي في شرح السنة (١٣/٧٤)، والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٣١٠).

يفسد منه رأيه. وإنَّ أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة. وإن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة»[1].

٨٩٥ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ الله تعالى رفيقٌ يحبّ الرفيق، يُعطي على الرّفق ما لا يعطي على العنف»[2].

٨٩٦ ـ وعن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إذَا أراد الله تعالى بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق. وإن الرفق لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أحسن منه. وإن الخرقَ لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أقبح منه»[3].

٨٩٧ ـ وعن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: كنت على بعير فيه صعوبة، فجعلت أضربه، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «يا عائشة، عليك بالرفق، فإنه لم يكن في شيء إلا زانه، ولا انتزع من شيء إلا شانه»[4].

٨٩٨ ـ قال: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المعلم، حدثنا أبو عمران الفارابي، حدثنا عبدالرحمٰن بن حبيب، حدثنا داود بن المحبّر، حدثنا عباد بن كثير، عن عبد خير، عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ مرض رسول الله ـ ﷺ ـ فما لبث أن خرج إلى الناس يوم الخميس، وقد شدّ رأسه بعصابة، فرقي المنبر، وجلس عليه، مصفر الوجه تدمع عيناه، ثم دعا ببلال فأمره بأن ينادي في المدينة أن اجتمعوا لوصية رسول الله ـ ﷺ ـ فإنها آخر وصية لكم، فنادى بلال، فاجتمع صغيرهم وكبيرهم، وتركوا أبواب بيوتهم مفتحة، وأسواقهم على حالها، حتى خرجت العذارى من خدورهن ليسمعوا وصية رسول الله ـ ﷺ ـ حتى غص المسجد بأهله والنبي ـ ﷺ ـ يقول: «وسّعوا وسّعوا لمن وراءكم».

ثم قام النبي ـ ﷺ ـ يبكي، ويسترجع، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج رقم (١٧) مرسلاً عن ابن المسيب، وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٤٣٦٩) وعزاه للبيهقي. قال المناوي: إسناده عدم مع كونه مرسلاً. (فيض القدير ٤/٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٦٨٨) في الأدب، باب: الرفق، وابن حبان في صحيحه (١/٣٨١). «رفيق»: أي يعامل الناس بالرفق واللطف، ويكلّفهم بقدر الطاقة.

(٣) روى أوله أحمد (٦/٧١)، وبقيته الحاكم في الكنى. (الكنز ٥٤٢٤).

(٤) رواه الطيالسي في مسنده (١٥١٦)، والبيهقي في الآداب (١٧٢).

الأنبياء وعلى نفسه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ثم قال: «أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم العربي الحرمي المكي الذي لا نبي بعدي».

«أيها الناس، اعلموا أن نفسي قد نعيت، وحان فراقي من الدنيا، واشتقت إلى لقاء ربي، فواحزناه على فراق أمتي، ماذا يقولون من بعدي. اللهم سلّم سلّم».

«أيها الناس، اسمعوا وصيتي وعوها واحفظوها، وليبلغ الشاهد منكم الغائب فإنها آخر وصيتي لكم».

«أيها الناس قد بين الله لكم في محكم تنزيله ما أحل لكم، وما حرم عليكم، وما تأتون وما تتقون، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وآمنوا بمتشابهه، واعملوا بمحكمه واعتبروا بأمثاله»، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: «اللهم هل بلغت فاشهد».

«أيها الناس، إياكم وهذه الأهواء الضالة المضلة البعيدة من الله تعالى ومن الجنة، القريبة من النار، وعليكم بالجماعة والاستقامة فإنها قريبة من الله قريبة من الجنة، بعيدة من النار». ثم قال: «اللهم هل بلغت».

«أيها الناس، الله الله في دينكم وأمانتكم، الله الله فيما ملكت أيمانكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مماتلبسون، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإنهم لحم ودم وخلق أمثالكم، ألا من ظلمهم فأنا خصمه يوم القيامة، والله حاكمهم، الله الله في النساء أوفوا لهن مهورهن، ولا تظلموهن فيحرمكم حسناتكم يوم القيامة، ألا هل بلغت».

«أيها الناس، قوا أنفسكم وأهليكم ناراً، وعلِّموهم وأدبوهم، فإنهم عندكم عوان وأمانة، ألا هل بلغت».

«أيها الناس، أطيعوا ولاة أموركم، ولا تعصوهم، وإن كان عبداً حبشياً مجدعاً، فإنه من أطاعهم فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله، ألا لا تخرجوا عليهم، ولا تنقضوا عهودهم، ألا هل بلغت».

«أيها الناس، عليكم بحب أهل بيتي، عليكم بحب حملة القرآن، عليكم بحب علمائكم لا تبغضوهم ولا تحسدوهم ولا تطعنوا فيهم، ألا من أحبهم فقد

أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، ألا هل بلغت».

«أيها الناس، عليكم بالصلوات الخمس بإسباغ وضوئها وإتمام ركوعها وسجودها».

«أيها الناس، أدوا زكاة أموالكم، ألا من لم يؤد الزكاة فلا صلاة له، ألا من لا صلاة له فلا دين له ولا صوم له ولا حج له ولا جهاداً له، اللهم هل بلغت».

«أيها الناس، إن الله فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً، ومن لم يفعل فليمت على أي حال شاء يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً إلا أن يكون به مرض حابسه، أو منع من سلطان جائر، ألا لا نصيب له في شفاعتي، ولا يرد حوضي، ألا هل بلغت».

«أيها الناس، إن الله جامعكم يوم القيامة في صعيد واحد في مقام عظيم، وهو شديد في ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]، ألا هل بلغت».

«أيها الناس، احفظوا ألسنتكم، وأبكوا أعينكم، وأخضعوا قلوبكم، وأتعبوا أبدانكم، وجاهدوا أعدائكم، وعمروا مساجدكم، وأخلصوا إيمانكم، وانصحوا إخوانكم، وقدموا لأنفسكم، واحفظوا فروجكم، وتصدقوا من أموالكم، ولا تحاسدوا فتذهب حسناتكم، ولا يغتب بعضكم بعضاً فتهلكوا، ألا هل بلغت».

«أيها الناس، اسعوا في فكاك رقابكم، واعملوا الخير ليوم فقركم وفاقتكم».

«أيها الناس، لا تظلموا، فإن الله هو الطالب لمن جار، وعليه حسابكم، وإليه إيابكم، إنه لا يرضى منكم بالمعصية».

«أيها الناس، إنه ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾[فصلت: ٤٦] ﴿واتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

«أيها الناس، إني قادم على ربي، وقد نعيت إلى نفسي، فأستودع الله دينكم وأمانتكم، والسلام عليكم معشر أصحابي وجميع أمتي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ثم نزل، فدخل المنزل، فما خرج بعده صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأمته وسلم[1].

* * *

(١) في إسناده: داود بن المحبر: متروك. (تقريب التهذيب ١/ ٢٣٤)، وعباد بن كثير، فإن كان الثقفي فهو متروك، وإن كان الرملي الفلسطيني فهو ضعيف. (تقريب التهذيب ١/٣٩٣).

باب العمل بالسّنّة

٨٩٩ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو الحسين القاسم بن محمد بن روزبه، حدثنا عيسى بن خشنام، حدثنا سويد عن مالك، قال: بلغني أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما: كتاب الله، وسُنّتي»[(١)].

٩٠٠ ـ قال: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، عن المسيب، عن عوف، عن الحسن، عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «عمل قليل في سُنّة خيرٌ من عمل كثير في بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار»[(٢)].

٩٠١ ـ وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة[(٣)].

وعن الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: لا يصلح قول إلا بعمل، ولا يصلح قول وعمل إلا بالنية، ولا يصلح قول ولا عمل ولا نية إلا بالسنة.

٩٠٢ ـ وروى معقل بن يسار ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «رجلان لا تنالهما شفاعتي». وفي رواية: «صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم، وغال في الدّين مارق منه»[(٤)]. يعني الذي يغلو في دينه حتى يخرج من

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٨٩٩).

(٢) رواه القضاعي في الشهاب (٢/ ٢٣٩) من حديث الحسن. ورواه الرافعي في «تاريخ قزوين» عن أبي هريرة، والديلمي والدارمي من حديث ابن مسعود. وفيه: أبان بن يزيد العطار، ليّنه القطان. (فيض القدير ٤/ ٣٦٢)، و(فتح الوهاب ٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩).

(٣) رواه الحاكم (١/ ١٠٣)، وقال الذهبي: على شرطهما.

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٣٦): رواه الطبراني: بإسنادين، في أحدهما: منيع، قال ابن=

طريق السنة والجماعة.

وعن أبي بن كعب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على السبيل والسنة ذكر الرحمٰن ففاضت عيناه من خشية الله، فتمسه النار أبداً. وليس من عبد على السبيل والسنة ذكر الرحمٰن ففاضت عيناه، واقشعر جلده مخافة الله تعالى إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها، فأصابتها الريح، فتحات ورقها. وإن اقتصاداً في السبيل والسنة خير من اجتهاد في خلاف السبيل والسنة، فانظروا عملكم ما كان اقتصاداً واجتهاداً أن يكون على سبيل الأنبياء وسنتهم.

٩٠٣ ـ وعن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «افترقتْ بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترقُ على اثنتين وسبعين فرقة، إحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة». قالوا: يا رسول الله ما هذه الواحدة؟ قال: «أهل السنة والجماعة»[1].

٩٠٤ ـ وعن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «المتمسّك بسنّتي عند فساد أمتي له أجر مئة شهيد»[2].

قال: حدثنا أبو القاسم عمرو بن محمد، حدثنا أبو بكر الواسطي، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا خلف بن خليفة، عن أبان المكتب، عن ابن هشام الرماني، عمن أخبره عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كيف بكم إذا اشتملتكم فتنة يهرمُ فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، يجري عليها الناس؛ يتّخذونها سنة، إذا غيرت وعمل بغيرها قيل: هذا منكر.

قال قائل: فمتى هذا يا أبا عبدالرحمٰن؟ قال: إذا قلّت أمناؤكم، وكثرت

=ابن عدي: له أفراد، وأرجو أنه لا بأس به، وبقية رجال الأول ثقات. ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣٥). وقال الألباني: إسناده ضعيف جداً.

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٥٨): رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه، وفيه أبو غالب: وثّقه ابن معين وغيره، وبقية رجال الأوسط ثقات، وكذا أحد إسنادي الكبير. ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٦٨)، وقال الألباني: إسناده ضعيف.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/٢٠٠) وقال: غريب، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٧٢): رواه الطبراني في الأوسط، وفي محمد بن صالح العدوي، ولم أرَ من ترجمه، وبقية رجاله ثقات. وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٩١٧١) وحسّنه.

أمراؤكم، وقلّت فقهاؤكم، وكثرت قراؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقّهوا لغير الدين، فعند ذلك يكون عليكم أمراء إن أطعتموهم أضلّوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم. قال: فما تأمرنا يا أبا عبدالله؟ قال: كن حِلْساً من أحلاس بيتك، وإلا فالنار أولى. قال: فوضع الرجل يده على خاصرته، وقال: قتلتني يابن أم عبد.

٩٠٥ ـ قال الفقيه: حدثنا الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله ـ، حدثنا أبو علي أحمد بن محمد القرميسي، حدثنا أبو محمد عبدالله بن محمد الحافظ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عبدالملك، حدثنا أبي، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عمه موسى بن طلحة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال:

«أيها الناس، أكرموا أصحابي، وأحسنوا إليهم، وأحبّوهم، فإنّ خيرَ الناس أصحابي الذين بُعِثْتُ فيهم، فآمنوا بالله وصدقوني، وآمنوا بما جئت به من عند الله، واتبعوه، واعملوا به. ثم خير الناس من بعدهم القرن الذين يلونهم، آمنوا بي، واتبعوا أمر الله، ولم يروني، ثم القرن الذين يلونهم آمنوا بي. ثم يجيء من بعدهم قرن يضيعون الصلوات، ويتبعون الشهوات، ويدعون ما أمرتهم به ويأتون ما نهيتهم عنه، يقتبسون الدين بأهوائهم، ويراؤون الناس بأعمالهم، يحلفون ولا يستحلفون، ويشهدون ولا يستشهدون، ويؤتمنون فيخونون، ولا يؤدون الأمانة، ويتحدثون فيكذبون، ويقولون ما لا يفعلون، يرفع منهم العلم والحلم، ويظهر فيهم الجهل والفحش، ويرفع منهم الحياء والأمانة، ويفشو فيهم الكذب والخيانة، وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام، وطول الأمل والبخل، والحرص على الدنيا، والشّحّ والحسد، والبغي وسوء الخلق، وسوء الجوار، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، فإن سركم أن تسكنوا بحبوحة الجنة ونعيمها، فالزموا السنة والجماعة، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وإن الله لا يجمع أمة محمد على الضلالة أبداً، فمن خلع الطاعة، وفارق الجماعة، وضيع أمر الله تعالى، وخالف حكم الله، لقي الله تعالى، وهو عليه غضبان، وأدخله النار»[1].

---

(١) في إسناده: إسحاق بن يحيى بن طلحة: ضعيف. (تقريب التهذيب ١/٦٢)، وإسماعيل بن عبدالملك: صدوق كثير الوهم. (تقريب التهذيب ١/٧٢). والحديث رواه الترمذي (٢١٦٥) من=

٩٠٦ ـ قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن، حدثنا أبو بكر محمد بن يوسف، عن الحسن بن عرفة، عن إسماعيل بن عباس، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن خالد بن معدان، عن العرباض بن سارية السلمي ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: وعظنا رسول الله ـ ﷺ ـ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، إن هذه موعظة مودّع، فما تعهد إلينا؟ قال:

«أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي يَرَ اختلافاً كثيراً، فإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدركته منكم فعليه بسنّتي وسُنّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنَّواجذ»[1].

٩٠٧ ـ وروى أبو سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من أكل طيباً، وعمل بالسُّنّة، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة». قيل: يا رسول الله، هذا في الناس كثير. قال: «وسيكون في قرون بعدي، ثم يقلّ»[2].

٩٠٨ ـ وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: خطّ لي رسول الله ـ ﷺ ـ خطاً فقال: «هذا سبيل الله»، ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: «هذه سبل، وعلى كل سبيل منها شيطان، يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣][3].

= حديث ابن عمر بنحوه، وكذا أحمد (١/١٨)، وعبد بن حميد في المنتخب (٢٣)، والنسائي في عشرة النساء (٨٤)، والحاكم (١/١١٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧) في السنة، باب: في لزوم السنة، والترمذي (٢٦٧٦) في العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وابن ماجه (٤٢) في المقدمة، باب (٦)، وابن حبان في صحيحه (١/١٠٤). «بليغة»: أي بالغ فيها بالإنذار والتخويف. «ذرفت»: سالت. «وجلت»: خافت. «عضوا عليها بالنواجذ»: النواجذ: آخر الأضراس، واحدها ناجذ. وإنّما أراد بذلك الجدّ في لزوم السنة، فعل من أمسك الشيء بين أضراسه وعضّ عليها منعاً له أن ينتزع، وذلك أشدّ ما يكون من التمسك بالشيء. وقد يكون معناه: الأمر بالصبر على ما يصيبه من المضض في ذات الله، كما يفعله المتألم بالوجع يصيبه.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٢٠) في صفة القيامة، باب (٦٠)، وقال: حديث غريب، والحاكم (٤/١٠٤)، وابن أبي الدنيا في الصمت رقم (٢٦)، وذكره ابن الجوزي في العلل (٢/٧٤٩) وقال: قال أحمد: ما سمعت بأنكر من هذا الحديث، لا أعرف هلال بن مقلاص، ولا أبا بشر، وأنكر الحديث إنكاراً شديداً. وانظر: (فيض القدير ٦/٨٦).

(٣) رواه أحمد (١/٤٣٥ ـ ٤٦٥)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٢٦٣)، والحاكم (٢/٣١٨) وصححه، =

٩٠٩ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لكلّ شيء آفة، وإنّ آفة هذا الدين الأهواء»(١).

وعن الشعبي ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: إنما سميت الأهواء أهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار.

وقال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: ما أدري أيّ النعمتين أعظم عليّ من الله تعالى: أن هداني للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء.

٩١٠ ـ وروى أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من خالف الجماعة شبراً، فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام من عنقه»(٢).

وقال أويس القرني لهرم بن حيان في وصيته: إياك إن تفارق الجماعة تفارق دينك وأنت لا تشعر، فتدخل النار يوم القيامة. [والله أعلم](٣).

* * *

=: والبغوي في شرح السنة (١/١٩٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٦ و١٧)، والمروزي في «السنة» رقم (١١).

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٤) بنحوه.

(٢) رواه أبو داود (٤٧٥٨) في السنة، باب: في قتل الخوارج، وأحمد (٥/١٨٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٠٥٣ و١٠٥٤). «الربقة»: ما يُجعل في عنق الدابة، كالطوق، يمسكها لئلا تشرد. والمعنى: من خرج عن طاعة الجماعة، وفارقهم في الأمر المجمع عليه، فقد ضلّ وهلك.

(٣) من (م).

باب الحزن في أمر الآخرة

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا سفيان، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج، قال: قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وذلك يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

٩١١ ـ قال الفقيه: حدثنا أبي ـ رحمه الله ـ، حدثنا محمد بن موسى بن رجاء، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا هارون بن محمد الدمشقي، عن سعيد بن عبدالعزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذرّ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال:

«يا عبادي إني حرّمتُ الظّلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً، فلا تظالموا. يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم جائعٌ إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي كلّكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم. يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي، لو أنّ أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألني كل واحد مسألته، فأعطيته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط غمسة واحدة. يا عبادي، إنما هي أعمالكم، أحصيها لكم، وأوفيكم إياها يوم القيامة، فمن وَجَد خيراً فليحمد الله، ومن وَجَد غير ذلك فلا

يلومنّ إلا نفسه»[1].

٩١٢ ـ وروى أبـو سعيد الخـدري ـ رضي الله تعالى عنـه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «عودوا المرضى، واتّبعوا الجنائز، تذكّركم الآخرة»[2].

وذكر عن بعض الحكماء: أنه نظر إلى أناس يترحمـون على ميت خلف جنازة، فقال: لو ترحمون أنفسكم لكان خيراً لكم، أما إنه قد مات ونجا من ثلاثة أهوال:

أحدها: رؤية ملك الموت.

والثاني: مرارة الموت.

والثالث: خوف الخاتمة.

قال: وسمع أبو الدرداء ـ رضي الله تعـالى عنه ـ رجـلاً يقول خلف جنـازة: من هذا؟ فقال له أبو الدرداء: هذا أنت، فـإن كرهت فـأنا، قـال الله تعالى: ﴿**إِنَّـكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾ [الزمر: ٣٠].

وروي عن الحسن البصري أنه رأى رجلاً يأكلُ في المقابر، فقال: هـذا منافق، الموت بين عينيه، وهو يشتهي الطعام.

وروي عن الحسن البصري أيضاً أنه قال: يا عجباً كـل العجب، من قوم أُمروا بالزاد، ونودوا بالرحيل، وقد جلس أولهم لآخرهم وهم قعـود يلعبون، أو قال: جلس أوائلهم وهم يلعبون.

وروي أن الحسن البصري ما رأى ميتاً إلا كأنه رجع من دفن أمه.

وروي عن إبراهيم التيمي ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: مَن كان آمناً، ولا يكون محزوناً خائفاً يُخاف أن لا يكون من أهل الجنة، لأنّ أهلَ الجنة قـالوا: ﴿**إِنَّـا كُنَّا قَبْـلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ**﴾ [الطور: ٢٦].

وروي عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: ينبغي لحامل القرآن أن يُعـرف بليله إذا النـاس نـائمـون، وبنهـاره إذا النـاس مفـطرون، وبحـزنـه إذا النـاس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمتـه إذا الناس يتكلمـون، وبخشوعـه إذا

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧) في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم. «حرّمت الظلم على نفسي»: معناه تقدّست عنه وتعاليت.

(٢) رواه أحمد (٤٨/٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٦٨/٤)، والبيهقي في الشعب (٩١٨٠).

الناس يختالون. وينبغي لحامل القرآن أن يكون محزوناً حليماً سكيناً ليناً، ولا ينبغي أن يكون جافياً، ولا غافلاً، ولا صيّاحاً، ولا حديداً[1].

قال شقيق بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ: ليس للعبد صاحب خيراً له من الهمّ والخوف، هم فيما مضى من ذنوبه، وخوف فيما بقي لا يدري ما ينزل به.

وقال حكيم ـ رحمه الله تعالى ـ: من اهتم وحزن في غير ثلاثة، فإنه لم يعرف الحزن، ولا السرور:

أحدها: هم الإيمان أنه يختم عمره به أم لا؟.

والثاني: هم أمر الله تعالى أنه يتم أم لا؟.

والثالث: هم الخصماء أنه ينجو منهم أم لا؟.

٩١٣ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما اغرورقت عينٌ بمائها إلا حرّم الله على النار إحراقها، فإن فاضتْ على وجه صاحبها لم يرهقْ وجهه قتر ولا ذلّة، وما من عمل بر إلا وله ثواب إلا الدمعة، فإنها تطفىء بحوراً من نار، ولو أن عبداً بكى من خشية الله تعالى في أمة لرحم الله تلك الأمة لبكاء ذلك العبد»[2].

وروي عن كعب الأحبار ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: لأن أبكي من خشية الله تعالى حتى يسيلَ الدمعُ على وجنتي أحبّ إليّ من أن أتصدّق بوزن نفسي ذهباً. وما من باكٍ يبكي من خشية الله تعالى حتى تسيل قطرة من دموعه على الأرض، فتمسه النار حتى يرجع قطر السماء، وليس براجع. كما أن القطر إذا نزل من السماء لا يرجع إليه أبداً، فكذلك الذي يبكي في الدنيا من خشية الله تعالى لا تمسّه النار أبداً.

٩١٤ ـ وروي عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما من عبد يخرج من عينه من الدموع مثل الذباب أو رأس الذباب من خشية الله تعالى فيصيب حر وجهه فتمسّه النار أبداً»[3].

---

(١) «حديداً»: أي أخذته قوّة الغضب.

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٨١١) مرسلاً من حديث مسلم بن يسار، وفيه راوٍ لم يُسمّ، وبرقم (٨١٢) موقوفاً عن الحسن. وانظر: ترغيب المنذري (٤/ ٢٣١).

(٣) رواه ابن ماجه (٤١٩٧) في الزهد، باب: الحزن والبكاء، وفي الزوائد: إسناده ضعيف، وحماد بن أبي حميد، ضعيف. ورواه الأصبهاني في ترغيبه (٤٨٥). وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٣١): رواه ابن ماجه والبيهقي والأصبهاني، وإسناد ابن ماجه مقارب.

وروي عن عكرمة، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ما دمعت عين إلا بفضل الله، وما دمعت عين امرىء حتى يمسح الملك قلبه.

٩١٥ ـ وروي عن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «ما من قطرة أحبّ إلى الله تعالى من قطرتين: قطرة دمع في سواد الليل، وقطرة دم في سبيل الله»[1].

وروى زياد النّميري[2] ـ رحمه الله تعالى ـ قال: قال الله تعالى في بعض الكتب: لا يبكي عبد من خشيتي إلا أجرته من نقمتي، ولا يبكي عبد من خشيتي إلا أبدلته ضحكات نور قدسي؛ يعني في الجنة.

وروي عن عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه كان يصلي ذات ليلة، فقرأ ﴿**إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**﴾ [غافر: ٧١ ـ ٧٢] وجعل يردّدها ويبكي، حتى أصبح.

وروي عن تميم الداري ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قرأ هذه الآية: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [الجاثية: ٢١] وجعل يرددها إلى الصباح ويبكي.

٩١٦ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قرأ هذه الآية: ﴿**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [المائدة: ١١٨] وجعل يردّدها إلى الصباح ويبكي[3].

وروي في الخبر: أن داود ـ عليه السلام ـ ما شرب شراباً بعد الذنب إلا ونصفه ممزوج بدموع عينيه.

وروي عن بهز بن حكيم قال: صلّى بنا زرارة بن أبي أوفى فقرأ ﴿**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ**﴾ [المدثر: ٨] فحملناه ميتاً. [رزقنا الله ذلك][4].

* * *

(١) رواه الترمذي (١٦٣٩) بنحوه من حديث ابن عباس، وقال: حسن غريب.

(٢) هو زياد بن عبدالله النميري البصري: ضعيف. (تقريب التهذيب ١/٢٦٩).

(٣) رواه ابن ماجه (١٣٥٠) في إقامة الصلاة، باب: ما جاء في القراءة في صلاة الليل، وفي الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات. ثم قال: رواه النسائي في الكبرى، وأحمد في المسند (٥/١٥٦)، وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم (١/٢٤١) وقال: صحيح. قال السندي: قلت: وما تقدم نقله عن ابن خزيمة يقتضي أن لا يكون صحيحاً عنده، فليتأمل.

(٤) من (م).

باب ما قيل كيف يصبح الرّجل

٩١٧ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية عن ليث، عن مجاهد، قال: قال لي عبدالله بن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: يا مجاهد إذا أصبحتَ فلا تُحدِّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيتَ فلا تُحدِّث نفسك بالصباح، وخُذْ من حياتك قبل مماتك، ومن صحّتك قبل سقمك؛ فإنك لا تدري ما اسمك غداً[1].

وقال بعض الحكماء: إذا أصبح الرجل ينبغي أن ينوي أربعة أشياء:

أولها: أداء ما فرض الله عليه.

والثاني: اجتناب ما نهى الله عنه.

والثالث: إنصاف مَن كان بينهم وبينه معاملة.

والرابع: إصلاح ما بينه وبين خصمائه. فإذا أصبح على هذه النيات أرجو أن يكون من الصالحين المفلحين.

وقيل لبعض الحكماء: بأي نية يقوم الرجل عن فراشه؟ قال: لا يسأل عن القيام حتى ينظر كيف ينام، ثم يسأل عن القيام، فمن لم يعرف كيف ينام، لا يعرف كيف يقوم.

ثم قال: لا ينبغي للعبد أن ينام ما لم يصلح أربعة أشياء:

أولها: أن لا ينامَ وله على وجه الأرض خصم حتى يأتيه، فيتحلّل منه؛ لأنه ربما يأتيه ملك الموت، فيقدمه على ربه، ولا حجّة له عنده.

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦) في الرقاق، باب (٣)، مرفوعاً.

والثاني: لا ينبغي له أن ينام، وقد بقي عليه فرض من فرائض الله تعالى؛ لأنه لا حجّة له في نومه مع نقصان فرائض الله تعالى.

والثالث: لا ينبغي أن ينامَ ما لم يتبْ من ذنوبه التي سلفت منه؛ لأنه ربما يموت من ليلته، وهو مصرّ على الذنوب.

والرابع: لا ينبغي أن ينامَ حتى يكتب وصية صحيحة؛ لأنه ربما يموت من ليلته من غير وصية.

ويقال: الناس يصبحون على ثلاثة أصناف: صنف في طلب المال، وصنف في طلب الإثم، وصنف في طلب الطريق. فأما من أصبح في طلب المال فإنه لا يأكل فوق ما رزقه الله تعالى، وإن أكثر المال. ومن أصبح في طلب الإثم لحقه الهوان والإثم. ومن أصبح في طلب الطريق آتاه الله تعالى الرزق والطريق.

وقال بعض الحكماء: من أصبح لزمه أمران: الأمن، والخوف. فأما الأمن، فهو أن يكون آمناً بما يكفل الله له من أمر رزقه. وأما الخوف، فهو أن يكون خائفاً فيما أمر به حتى يتمه، فإذا فعل هذين أكرمه الله بشيئين:

أحدهما: القناعة بما يعطيه.

والثّاني: حلاوة طاعته.

وروى سفيان الثوري، عن أبيه، عن سعيد بن مسروق ـ رحمهم الله تعالى ـ قال: كان الربيع بن خُثَيْم إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا.

وعن مالك بن دينار قيل له: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح مَن كان منقلبه من دار إلى دار، ولا يدري إلى الجنة يصير أم إلى النّار.

وذكر أن عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ قيل له: كيف أصبحت يا روح الله؟ قال: أصبحت لا أملك ما أرجو، ولا أستطيع دفع ما أخاف، وأصبحت مرتهناً بعملي، والخير كله في يد غيري، ولا فقير أفقر مني.

وقيل لعامر بن قيس: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت، وقد أوقرت نفسي من ذنوبي، وأوقرني الله تعالى من نعمائه، فلا أدري أعبادتي تكون تمحيصاً لذنوبي، أو شكراً لنعمة الله.

وذكر عن محمد بن سيرين أنه قال لرجل: كيف حالك؟ فقال: كيف حال من عليه خمسمئة درهم ديناً، وهو معيل، فدخل ابن سيرين منزله، وأخرج ألف درهم، فدفعها إليه، وقال: خمسمئة اقض بها دينك، وخمسمئة درهم أنفقها على عيالك، وكان ابن سيرين لم يكن يسأل أحداً بعد ذلك كيف حالك، مخافة أن يخبرَ عن حاله، فيصير قيامه بأمره واجباً عليه.

وذُكِر عن إبراهيم بن أدهم قال: من أصبح لزمه شكر أربعة أشياء:

أولها: أن يشكر فيقول: الحمد لله الذي نوّر قلبي بنور الهدى، وجعلني من المؤمنين، ولم يجعلني ضالاً.

والثاني: أن يقول: الحمد لله الذي نور قلبي بنور الهدى، وجعلني من المؤمنين، ولم يجعلني ضالاً.

والثالث: أن يقول: الحمد لله الذي لم يجعلْ رزقي بيد غيره.

والرابع: أن يقول: الحمد لله الذي ستر علي عيوبي.

وعن شقيق بن إبراهيم قال: لو أن رجلاً عاش مئتي سنة، ولا يعرف هذه الأربعة أشياء، فليس شيء أحقّ به من النار:

أحدها: معرفة الله تعالى.

والثاني: معرفة عمل الله تعالى.

والثالث: معرفة نفسه.

والرابع: معرفة عدوّ الله وعدوّ نفسه.

فأما معرفة الله تعالى فأن يعرفه في السّرّ والعلانية؛ لأنه لا معطي ولا مانع غيره. وأما معرفة عمل الله تعالى فأن يعرف أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجه الله تعالى. وأما معرفة نفسه فأن يعرف ضعفه، وأن لا يستطيع أن يردّ شيئاً مما يقضي الله تعالى عليه؛ يعني يرضى بما قسم الله له. وأما معرفة عدو الله وعدو نفسه فأن يعرفه بالسّرّ فيجازيه بالمعرفة حتى يكسره.

ويقال: ما من يوم أصبح فيه ابن آدم إلا فرض الله عليه عشرة أشياء:

أولها: أن يذكر الله تعالى عند قيامه؛ لقوله تعالى: **﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾** [الطور: ٤٨]. وقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكْراً كَثِيراً ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾** [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

والثاني: ستر العورة لقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] الآية، وأدنى والزينة ما يواري العورة.

والثالث: إتمام الوضوء في أوقاته، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦] الآية.

والرابع: إتمام الصلاة في أوقاتها؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾ [النساء: ١٠٣] يعني فرضاً مفروضاً مؤقتاً معلوماً.

والخامس: الأمن بوعد الله في شأن الرزق؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

والسادس: القناعة بقسم الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢].

والسابع: التوكل على الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

والثامن: الصبر على أمر الله تعالى وقضائه، لقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [القلم: ٤٨] ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

والتاسع: الشكر على نعمة الله تعالى لقوله عز وجل: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]. وأول نعمة: هي صحة الجسم، وأعظم النّعمة هي دين الإسلام، ونعمه كثيرة، قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

والعاشر: الأكل من الحلال؛ لقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧] يعني حلالاً.

* * *

باب التّفكّر

٩١٨ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا العباس السراج، حدثنا أبو رجاء وأبو قتيبة بن سعد البغلاني، حدثنا أبو زرارة الحلبي، عن عطاء بن أبي رباح قال:

دخلتُ مع ابن عمر وعبيد بن عمير على عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ فسلمنا عليها، فقالت: من هؤلاء؟ فقلنا: عبدالله بن عمر، وعبيد بن عمير. فقالت: مرحباً بك يا عبيد بن عمير، ما لك لا تزورنا؟ فقال عبيد: زر غبّاً تزددْ حُبّاً، فقال ابن عمر: دعونا من هذا، حدثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت: كلّ أمره عجيب، غير أنه أتاني في ليلتي، فدخل معي في فراشي حتى ألصق جلده بجلدي، فقال: «يا عائشة، أتأذنين لي أن أتعبد لربي؟» قلت: والله إني لأحبّ قربك، ولأحبّ هواك، فقام إلى قربة فتوضأ منها، ثم قام فبكى وهو قائم، حتى بلغت الدموع حجره، ثم اتكأ على شقه الأيمن، ووضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، فبكى حتى رأيت الدموع بلغت الأرض، ثم أتاه بلال بعدما أذن الفجر، فلما رآه يبكي، قال: لم تبكي يا رسول الله؟ وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال: «يا بلال، أفلا أكون عبداً شكوراً؟ وما لي لا أبكي وقد نزلت عليّ الليلة: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .﴾** إلى قوله: **﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١] ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها»[1].

وروي في بعض الأخبار أنّ من نظر في النجوم، وتفكّر في عجائبها، وفي قدرة

---

(١) رواه ابن حيان في (أخلاق النبي وآدابه ص ١٦٠)، وابن حبان (٥٢٣/ موارد)، والأصبهاني في ترغيبه (٦٣٩)، وذكره السيوطي في (الدر المنثور ٢/٤٠٩) وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «التفكّر»، وابن المنذر، وابن عساكر.

الله تعالى، ويقرأ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ كتب له بعدد كلّ نجم في السماء حسنة.

وروي عن عامر بن قيس أنه قال: أكثر الناس فرحاً في الآخرة أطولهم حزناً في الدنيا، وأكثر الناس ضحكاً في الآخرة أكثرهم بكاء في الدنيا، وأخلص الناس إيماناً يوم القيمة أكثرهم تفكّراً في الدنيا.

٩١٩ ـ قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن، حدثنا إسحاق بن أحمد النسفي، عن الحسين المروزي، عن ابن المبارك، عن محمد بن شعيب، عن النعمان، عن مكحول، عن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: ـ وروي هذا الخبر أيضاً مرفوعاً عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر، ولهم بذلك أجر. وإنّ من الناس ناساً مفاتيح للشر، مغاليق للخير، وعليهم بذلك إصر»؛ يعني إثم كبير، «طوبى لمن جُعل مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، وتفكّر ساعة لي خير من قيام ليلة»[1].

٩٢٠ ـ وروى الأعمش عن عمرو بن مرة، أن النبي ـ ﷺ ـ مرّ بقوم يتفكرون فقال لهم: «تفكّروا في الخلق، ولا تفكّروا في الخالق»[2].

٩٢١ ـ وروى هشام بن عروة، عن أبيه، عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ الشّيطانَ يأتي أحدكم، فيقول: من خلق السموات؟ فيقول: الله تعالى. فيقول: من خلق الأرض؟ فيقول: الله تعالى. فيقول: من خلق الله؟ فإذا أحس أحدكم من ذلك شيئاً، فليقل آمنت بالله وبرسوله»[3].

٩٢٢ ـ وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: تفكُّر ساعة أفضلُ من عبادة سنة»[4].

قال الفقيه: إذا أراد الإنسان أن ينال فضل التفكر، فليتفكّر في خمسة أشياء:
أولها: في الآيات والعلامات.
والثاني: في الآلاء والنعماء.

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد ص (٣٤٤)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٦٥٠).
(٢) رواه الأصبهاني في ترغيبه (٦٤٥)، وابن أبي الدنيا في «التفكر»، كما في (الدر المنثور ٢/٤٠٨).
(٣) رواه أحمد (٥/٢١٤)، وعبد بن حميد في المنتخب (٢١٥).
(٤) سبق تخريجه برقم (١/م).

والثالث: في ثوابه.

والرابع: في عقابه.

والخامس: في إحسانه إليه، وجفائه له.

فأما التفكر في الآيات والعلامات فأن ينظر في قدرة الله تعالى، فيما خلق الله تعالى من السموات والأرض، وطلوع الشمس من مشرقها، وغروبها من مغربها، واختلاف الليل والنهار، وفي خلق نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وفي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢١]. فإذا تفكر العبد في الآيات والعلامات يزيد به يقيناً ومعرفة.

وأما التفكر في الآلاء والنعماء فأن ينظر إلى نعم الله تعالى.

وسُئِل بعض الحكماء عن الفرق بين الآلاء والنعماء، فقال: كلّ ما ظهر من النعم فهو الآلاء وما بطن فهو النعماء. ومثال ذلك أنّ اليدين آلاؤه، وقوة اليدين نعماؤه، والوجه آلاؤه وحسن الوجه والجمال نعماؤه، والفم آلاؤه، وطعم الطعام نعماؤه، والرجلان آلاؤه والمشي نعماؤه، فإذا كان للعبد رجلان، ولم يكن له قوة المشي، فقد أُعطي الآلاء ولم يعط النعماء. والعروق والعظام آلاؤه، وصحتها وسكونها نعماؤه.

وقال بعضهم: الآلاء: إيصال النعمة، والنعماء: دفع البلية.

وقال بعضهم على ضدّ هذا.

ويقال: الآلاء والنعماء واحد، قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾ [إبراهيم: ٣٤] فإذا تفكّر الإنسان في الآلاء والنعماء يزيد في المحبة.

وأما التفكّر في ثوابه، فهو أن يتفكّر في ثواب ما أعد الله لأوليائه في الجنة من الكرامات، فإن التفكير في ثوابه؛ يزيد رغبة فيها، واجتهاداً في طلبها، وقوة على طاعة ربه.

وأما التفكّر في عقابه: فهو أن يتفكر فيما أعد الله لأعدائه في النار من الهوان والعقوبة والنكال، فإن التفكر في ذلك يزيده رهبة عنه، ويكون له قوة على الامتناع من المعاصي.

وأما التفكّر في إحسانه إليه: فهو أن يتفكر في إحسان الله تعالى، وهو ما ستر عليه من ذنوبه، ولم يعاقبه بها، ودعاه إلى التوبة، وينظر في جفاء نفسه كيف ترك

أوامره وارتكب معاصيه؟ فإن التفكر في ذلك يزيد الحياء والخجل.

فإذا تفكر في هذه الخمسة أشياء، فهو من الذين:

٩٢٣ ـ قال فيهم النبي ـ ﷺ ـ: «تفكّر ساعة خير من عبادة سنة»[1].

ولا يتفكّر فيما سوى ذلك، فإنّ التفكّر فيما سوى ذلك وسوسة.

وقال بعض الحكماء: لا تتفكّر في ثلاثة أشياء: لا تتفكّر في الفقر فيكثر همّك وغمّك، ويزيد في حرصك، ولا تتفكّر في ظلم مَن ظلمك، فيغلظ قلبك، ويكثر حقدك ويدوم غيظك. ولا تتفكّر في طول البقاء في الدنيا، فتحب الجمع، وتضيع العمر، وتسوّف في العمل.

ويقال: أصل الورع: أن يتعاهدَ المرء قلبه لكيلا يتفكّر فيما لا يعنيه، فكلّما ذهب قلبه إلى ما لا يعنيه عالجه حتى يرده إلى ما يعنيه، وهو أشد الجهاد وأفضله، وأشغله لصاحبه، فمن لا يفعل ذلك في غير الصلاة يوشك أن لا يملك ذلك في الصلاة.

وقال بعض الحكماء: تمام العبادة في صِدْق النية، وتمام صلاح العمل في التواضع، وتمام هذين بالزّهد في الدنيا، وتمام هذه كلها بالهمّ والحزن في أمر الآخرة، وتمام الهم والحزن ملازمة ذكر الموت بقلبك، وكثرة التفكر في ذنوبك.

ويقال: أخلاق الأبدال عشرة أشياء: سلامة الصدر، وسخاوة في المال، وصدق اللسان، وتواضع النفس، والصّبر في الشدّة، والبكاء في الخلوة، والنصيحة للخلق، والرحمة للمؤمنين، والتفكر في الفناء[2]، والعبرة من الأشياء.

وقال مكحول الشامي ـ رحمه الله تعالى ـ: مَن أوى إلى فراشه ينبغي أن يتفكّر فيما صنع في يومه ذلك، فإن كان عمل فيه خيراً يحمد الله تعالى على ذلك، وإن عمل ذنباً استغفر الله، ورجع عن قريب، فإن لم يفعل كان كمثل التاجر الذي ينفق، ولا يحسب حتى يفلس ولا يشعر.

وقال بعض الحكماء: الحكمة تهيج من أربعة أشياء:

أولها: بدن فارغ من أشغال الدنيا.

والثاني: بطن خال من طعام الدنيا.

---

(١) سبق تخريجه برقم (٩٢٢).

(٢) في الأصل: الأشياء، والمثبت من (م) و(ط).

والثالث: يد خالية من عروض الدنيا.

والرابع: التفكّر في عاقبة الدنيا؛ يعني في عاقبة أمره، فإنه لا يدري كيف تكون عاقبته، ولا يدري أنّ أعماله تتقبّل منه أم لا، فإنّ الله تعالى لا يتقبّل من الأعمال إلا الطّيّب.

٩٢٤ ـ قال الفقيه: وسمعت جماعة من العلماء رفعوا الحديث إلى خالد بن معدان، قال: قلت لمعاذ بن جبل: حدّثني بحديث سمعته عن رسول الله ـ ﷺ ـ ثم حفظته وذكرته كل يوم من رقّة ما حدّثك به، فبكى معاذ ـ رضي الله تعالى عنه ـ حتى قلت إنه لا يسكت، ثم سكت، ثم قال: فداك أبي وأمي يا رسول الله، حَدَّثَني ـ وأنا رديفه ـ إذ رفع بصره إلى السماء، فقال: «الحمد لله الذي يقضي في خلقه بما أحبّ». ثم قال: «يا معاذ»، قلت: لبيك يا رسول الله، يا سيّد المرسلين. ثم قال: «يا معاذ» قلت: لبيك يا رسول الله إمام الخير، ونبي الرحمة. فقال: «أحدثك حديثاً ما حدث به نبي أمته، إن حفظته نفعك، وإن سمعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله».

ثم قال: «إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلقَ السموات، لكل سماء ملك، وجعل لكل باب منها بواباً فتكتب الحفظة عمل العبد من حين يصبح حتى يمسي، ثم يرفع وله نور كنور الشمس، حتى إذا بلغ سماء الدنيا فيزكيه، ويكثره، فيقول الملك: قف، اضرب بهذا العمل وجه صاحبه، وقل له: لا غفر الله لك، أنا صاحب الغيبة، وهو يغتاب المسلمين، لا أدع عمله أن يجاوزني إلى غيري».

قال: «وتصعد الحفظة بعمل العبد، وله نور وضوء يضيء حتى يُنتهى به إلى السماء الثانية، فيقول الملك: قف، واضرب بهذا العمل وجه صاحبه، وقل له: لا غفر الله لك، إنه أراد بهذا العمل عرض الدنيا، وأنا صاحب عمل الدنيا، لا أدع عمله أن يجاوزني إلى غيري.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً به بصدقة وصلاة كثيرة، فتعجب الحفظة، فيتجاوزون إلى السماء الثالثة، فيقول الملك: قف، اضرب بهذا العمل وجه صاحبه، وقل له: لا غفر الله لك، أنا ملك صاحب الكبر، إنه من عمل وتكبر على الناس في مجالسهم فقد أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري».

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد وهو يزهو كما تزهو النجوم بتسبيح وصوم،

فيمر به إلى السماء الرابعة، فيقول له الملك: قف، اضرب بهذا العمل وجه صاحبه، وقل له: لا غفر الله لك، أنا ملك صاحب العجب بنفسه، إنه من عمل عملاً، وأدخل فيه العجب، فقد أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، فيضرب بالعمل وجهه، فيلعنه ثلاثة أيام».

قال: «وتصعد الحفظة بعمل العبد مع الملائكة كالعروس المزفوفة إلى أهلها، فتمر به إلى ملك السماء الخامسة بالجهاد والصلاة بين الصلاتين، فيقول الملك: قف، اضرب بهذا العمل وجه صاحبه، واحمله على عاتقه، إنه كان يحسد من يتعلم ويعمل لله، فهو يحسدهم ويقع فيهم فيحمله على عاتقه، ويلعنه عمله ما دام هو في الحياة».

قال: «وتصعد الحفظة بعمل العبد بوضوء تام، وقيام ليل وصلاة كثيرة، فيمر به إلى السماء السادسة، فيقول الملك: قف، اضرب بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملك صاحب الرحمة، إن صاحبك لم يرحم شيئاً، فإذا أصاب عبد من عباد الله ذنباً أو ضراً شمت به، وقد أمرني ربي أن لا يجاوزني عمله إلى غيري».

قال: «وتصعد الحفظة بعمل العبد بصدق واجتهاد وورع له ضوء كضوء البرق، فتمرّ به إلى ملك السماء السابعة، فيقول الملك: قف، اضرب بهذا العمل وجه صاحبه، واقفل عليه قلبه، أنا ملك الحجاب، أحجب كل عمل ليس لله تعالى، وإنه أراد به الرفعة، وذكراً في المجالس، وصوتاً في المدائن، وقد أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري».

قال: «وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً به من خلق حسن وصمت وذكر كثير، وتشيعه ملائكة السماوات حتى ينتهوا إلى تحت العرش، فيشهدون له، فيقول الله تعالى: أنتم الحفظة [على عمل عبدي][1]، وأنا الرقيب على ما في نفسه، إنه لم يرد بهذا العمل وجهي. فعليه لعنتي، فتقول الملائكة كلهم: عليه لعنتك ولعنتنا، وتقول أهل السماء: عليه لعنة الله ولعنة سبع سماوات وأرضين ولعنتنا».

ثم بكى معاذ ـ رضي الله تعالى عنه ـ وقال: قلت ما أعمل يا رسول الله؟ قال: «اقتدِ بنبيك يا معاذ، وعليك باليقين، وإن كان في عملك تقصير، واقطع لسانك عن

---

(١) من (م).

إخـوانك، ولتكن ذنـوبك عليـك ولا تحملها على إخـوانك، ولا تزكِّ نفسك بتـذميم إخوانك، ولا ترفع نفسك بوضع إخوانك، ولا تراء بعملك الناس»[1].

* * *

(١) ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/٢٨٧) وقال: رواه الحاكم؛ وفيه إسحـاق بن نجيح، وابن حبان؛ وفيه القاسم بن عبدالله المكفوف، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/١٥٧)، وفيه عبدالواحد بن زيد، متروك، وجمـاعة لا يعـرفون. ورواه ابن عـدي من حديث علي نحـوه، وفيه القـاسم بن إبراهيم ومجهولون. وذكره الحـافظ المنذري في تـرغيبه مخـرّجاً من «الـزهد» لابن المبـارك، وأشار إلى بعض طرقه، ثم قال: وبالجملة فأثار الوضع ظاهرة عليـه في جميع طـرقه وبجميـع ألفاظـه. وانظر: الـلآلىء المصنوعة (٢/١٧٩).

باب علامات[1] السّاعة

٩٢٥ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا أبو القاسم عمر بن محمد، حدثنا أبو بكر الواسطي، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا محمد بن الفضيل الضبي، عن عبدالله بن الوليد، عن مكحول، عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال:

«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن لها أشراط: تقارب الأسواق؛ يعني كسادها، ومطر ولا نبات، وتفشو العينة؛ يعني أكل الربا، وتظهر أولاد البغية؛ يعني أولاد الزنا، ويعظم رب المال، وتعلو أصوات الفسقة في المساجد، ويظهر أهل المنكر على أهل الحق». قال: وكيف تأمرني يا رسول الله؟ قال ـ ﷺ ـ: «فرّ بدينك، أو كُنْ حِلْساً من أحلاس بيتك».

٩٢٦ ـ قال: حدثنا عمر بن محمد، حدثنا أبو بكر الواسطي، حدثنا إبراهيم، حدثنا عيسى بن أبي عيسى الأصفهاني رفعه قيل: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن أشراط الساعة عشرة: يقرب فيها الماحل، ويظهر فيها الفاجر، ويعجز فيها المنصف، وتكون الصلاة منّاً، والزكاة مغرماً، والأمانات مغنماً، واستطالة القراء، وعند ذلك تكون إمارة الصبيان، وسلطان النساء، ومشورة الإماء»[2].

٩٢٧ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا أبو بكر، حدثنا إبراهيم، حدثنا

---

(١) في الأصل و(ط): علامة، والمثبت من (م).

(٢) رواه الترمذي بنحوه (٢٢١٠) في الفتن، باب: ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، وقال: غريب.

جعفر بن عوف،عن أبي حيان التيمي، عن أبي زرعة، عن عمرو؛ قال: جلس إلى مروان ثلاثة نفر بالمدينة فسمعوه يحدث عن الآيات؛ أولها: خروج الدجال، فقام النفر من عند مروان، فجلسوا إلى عبدالله بن عمر، فحدثوه بما قال مروان، فقال عبدالله: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إنّ أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، أو الدابة إحداهما قريبة على أثر الأخرى».

ثم أنشأ يحدّث، قال: وذلك أن الشمس إذا غربت أتت تحت العرش، فسجدت فاستأذنت في الرجوع، فيؤذن لها حتى إذا أراد الله أن تطلع من مغربها أتت تحت العرش، فسجدت، فاستأذنت في الرجوع، فلا يرد عليها شيء.

ثم تعود وتستأذن فلا يرد لها بشيء، وعلمت أنه لو أذن لها لم تدرك المشرق، قالت: رب، ما أبعد المشرق، فمن لي بالناس! حتى إذا كان الليل كالطوق أتت، فاستأذنت، قيل لها: اطلعي من مكانك، ثم قرأ عبدالله: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِ يمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِروا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٨][(١)].

٩٢٨ ـ وعن عبيد بن عمير أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ليصحبن الدجالَ أقوامٌ يقولون إنا نعلم أنه كاذب، ولكنا نصحبه لنأكلَ من الطعام، ونرعى من الشجر، فإذا نزل غضب الله نزل فيهم كلّهم»[(٢)].

٩٢٩ ـ وعن الحسن، عن سمرة بن جندب أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إن الدجال خارج وهو أعور عين الشمال، وإنه يبرىء الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى، فيقول للناس: أنا ربكم، فمن قال: أنت ربي فقد فتن، ومن قال: ربي الله حتى يموت على ذلك ـ فقد عصم من فتنته فيلبث في الأرض ما شاء الله أن يلبث، ثم يجيء عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ من قبل المغرب مصدقاً بمحمد ـ ﷺ ـ فيقتل الدجال، ثم قال: إنما هي قيام الساعة»[(٣)].

وروى سعيد عن قتادة، عن العلاء بن زياد العدوي، عن عبدالله بن عمر قال:

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤١) في الفتن، باب: في خروج الدجال.

(٢) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» عن عبيدالله بن عمير مرسلاً. (كنز العمال ٣٨٨٠٧).

(٣) رواه أحمد (١٣/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣٦/٧): رواه الطبراني وأحمد، ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بإسناد ضعيف.

لا تقوم الساعة حتى يجتمع أهل البيت على الإناء الواحد، وهم يعلمون كافرهم ومؤمنهم. قيل: وكيف ذلك؟ قال: تخرج الدابة، وهي دابة الأرض، فتمسح كل إنسان على مسجده، فأما المؤمن فتكون نكتته بيضاء، فتفشو في وجهه حتى يبيض لها وجهه، وأما الكافر فتكون نكتته سوداء فتفشو في وجهه حتى اسودّ لها وجهه، حتى يتبايعوا في أسواقهم، فيقولون: كيف تبيع هذا يا مؤمن؟ وكيف تأخذ هذا يا كافر؟ فما يردّ بعضهم على بعض.

وعن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أنه قال: إن الدابة ذات زغب وريش، لها أربع قوائم، تخرج من بعض أودية تهامة. وعن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] قال: الذين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر.

٩٣٠ - وروى أبو هريرة - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: «لا تقوم السّاعةُ حتى تطلع الشّمسُ من مغربها، فإذا طلعت الشّمسُ من مغربها آمن الناس كلّهم أجمعون، ويومئذ ﴿لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾ [الأنعام: ١٥٨]»(١).

٩٣١ - وعن أبي أوفى - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: «ستأتي عليكم ليلةٌ مثل ثلاث ليال من لياليكم هذه، فإذا كانت تلك الليلة عرفها المتهجدون، فيقوم الرجل، فيقرأ ورده، ثم ينام، ثم يقوم فيقرأ ورده، ثم ينام، ثم يقوم فيقرأ ورده فبينما هم كذلك إذ ماج الناس بعضهم في بعض، فيقولون: ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد، فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها، فتجيء حتى إذا توسطت السماء رجعت فطلعت من مشرقها، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]»(٢) الآية.

٩٣٢ - وعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: «الأنبياء إخوة لعلّات أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وأنا أولاهم بعيسى ابن مريم، إنه

---

(١) رواه البخاري (٤٦٣٥) في التفسير، باب (٩)، وبرقم (٤٦٣٦) باب (١٠)، ومسلم (١٥٧)، في الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

(٢) رواه عبد بن حميد، وابن مردويه. (الدر المنثور ٣/٣٩٢).

لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه خليفتي في أمتي، وإنه نازل، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضعُ الجزية، وتضع الحربُ أوزارها، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلئت جوراً وظلماً، حتى يرعى الأسد مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئب مع الغنم، وحتى يلعب الصبيان بالحيّات»[1].

وعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال: ينزل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فإذا رآه الدجال اللعين ذاب كما يذوب الشحم، فيقتل الدجال، وتتفرق عنه اليهود فيقتلون، حتى إن الحجر ليقول: يا عبدالله المسلم، هذا يهودي؛ تعال فاقتله.

٩٣٣ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «إنّ يأجوج ومأجوج يحفرون الرّدم كل يوم، حتى إذا كادوا أن يروا شعاعَ الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً، فيعيده الله كما كان، حتى إذا بلغت مدتهم حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاعَ الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً إن شاء الله، فيعودون إليه وهو كهيئته التي تركوها بالأمس، فيحفرونه، فيخرجون على الناس فينشفون المياه، ويتحصّن الناس في حصونهم منهم، فيبعث الله عليهم نغفاً في أعناقهم، فيهلكهم الله بها»[2].

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: ليحجّن البيت، وليغرسنّ الشجر بعد خروج يأجوج ومأجوج.

وعن عبدالله بن سلام ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: ما مات الرجل من يأجوج ومأجوج إلا ترك له ألف ذرية فصاعداً من صلبه.

٩٣٤ ـ وعن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: بلغني أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إنّ بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يموتُ فيها قلبُ الرجل كما يموتُ بدنه، ويصبحُ الرّجلُ فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيعُ فيها أقوامٌ دينَهم بعرض من الدنيا قليل»[3].

٩٣٥ ـ وروى العلاء، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣١٩ و٤٨٢). (٢) رواه أحمد (٢/ ٥١٠).

(٣) رواه مسلم (١١٨) في الإيمان، باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، من حديث أبي هريرة. ورواه أحمد (٤/ ٢٧٢ و٢٧٧)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٧١) عن النعمان بن بشير.

أنـه قال: «بـادروا بالأعمـال قبل أن تـظهر أشـراط ست: طلوع الشمس من مغربهـا، والدجال، والدخان، والدابة، وخاصة أحـدكـم ـ يعني الموت ـ وأمـر العامـة ـ يعني يوم القيامة ـ»[1].

٩٣٦ ـ وعن عبـدالرحمٰن بن سـابط أن النبي ـ ﷺ ـ قـال: «إنـه سيكـون فيكم الخسف، والمسخ، والقذف». قالوا: يا رسول الله، وهم يشهـدون أن لا إله إلا الله، قال: «نعم، إذا ظهرت فيهم الأربع: القينات، والمعازف، والخمور، والحرير»[2].

وعن أبي بن كعب ـ رضي الله تعالى عنه ـ في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَـذَابـاً مِنْ فَـوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعـاً وَيُـذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال: هي خلال أربع، وهن واقعات لا محالة، فمضت ثنتان بعد وفاة رسول الله ـ ﷺ ـ بخمس وعشـرين سنة، فـألبسوا شيعـاً، يعني الأهـواء المختلفة، وذاق بعضهم بأس بعض، وثنتـان واقعتان لا محـالـة: الخسف، والرجف[3].

٩٣٧ ـ وروي أنـه لمـا نـزلت هـذه الآيـة، دعـا النبي ـ ﷺ ـ فعفـا عن اثنين: الخسف والمسخ، وبقي اثنان[4].

وروى الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسـروق قال: بينمـا رجل يحـدث في المسجد قال: إذا كـان يوم القيـامة نـزل دخان من السمـاء، فأخـذ بأسمـاع المنافقين وأبصارهم[5]، وأخذ المؤمنين كهيئـة الزكـام. قال مسـروق: فدخلت على عبـدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ فذكـرت ذلك لـه، وكان متكئـاً، فاستـوى قاعـداً، ثم قـال: أيها النـاس، من كـان منكم عنـده علم فسئـل عنـه فليقله، ومن لم يكن عنـده فليقل: الله أعلم. إن الله تعالى قال لنبيه ـ ﷺ ـ: «﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٧) في الفتن وأشراط الساعة، باب: في بقية من أحاديث الدجال، وأحمد (٢/٣٣٧ ـ ٣٧٢، ٤٠٧، ٥١١).

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٠): رواه الطبراني، وفيـه عبدالله بن أبي الزناد، وفيـه ضعف، وبقية رجال إحدى الطريقين رجال الصحيح. من حديث سهل بن سعد. وعبدالرحمٰن بن سابط: ثقـة، كثير الإرسال.

(٣) رواه ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، وأبو نعيم، كما في (الدر المنثور ٣/٢٨٤).

(٤) رواه أحمد (٦/٣٩٦) عن أبي بصرة الغفاري، بنحوه. وانظر: مجمع الزوائد (٧/٢٢١).

(٥) من (م).

٩٣٨ ـ وذلك أن قريشاً لما كذبوا رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، اللهم سنيناً كسني يوسف» فأخذتهم السنة، فأكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع، فذلك قوله تعالى: ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ**﴾ [الدخان: ١٠]»[١].

قال: حدثني أبي ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو عبدالرحمٰن، عن أبي الليث، حدثنا أبو بكر بن يحيى عن حفص، عن عبدالرحمٰن بن إبراهيم الراسبي، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: كتب عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ إلى سعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية: أَنْ وجه نضلة بن معاوية إلى حُلْوان، فوجّه سعد نضلة في ثلاثمئة فارس، فخرجوا حتى أتوا حلوان، فأغاروا على نواحيها، وأصابوا غنيمةً وسبياً، فرجعوا، فجعلوا يسوقون الغنيمة والسبي، حتى نزلوا سفح جبل، ثم قام نضلة، فأذّن للصلاة، وقال: الله أكبر، الله أكبر، فإذا مجيب من الجبل يجيبه: كبرت كبيراً يا نضلة، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: كلمة الإخلاص يا نضلة، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله. قال: هو الذي بشرنا به عيسى ـ عليه السلام ـ ثم قال: حي على الصلاة، قال: طوبى لمن مشى إليها، وواظب عليها، ثم قال: حي على الفلاح. قال: أفلح من أجاب محمداً ـ ﷺ ـ وهو البقاء لأمة محمد ـ ﷺ ـ ثم قال: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. قال: أخلصت إخلاصاً يا نضلة، فحرم الله بها جسدك على النار.

فلما فرغ من أذانه قال: من أنت رحمك الله؟ أملك أنت؟ أم ساكن من الجن، أم طائف من عباد الله؟ أسمعتنا صوتك، فأرنا صورتك، فإنا وفد الله عز وجل، ووفد رسول الله ـ ﷺ ـ ووفد عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ فإذا شيخ له هامة كالرحا، أبيض الرأس واللحية، عليه طمران من صوف، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقلنا: وعليك السلام والرحمة، من أنت رحمك الله؟ قال: أنا زرنب بن برثلا، وصيّ العبد الصالح عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أسكنني هذا الجبل، ودعا لي بطول البقاء إلى وقت نزوله من السماء، فأما إذا فاتني لقاء محمد ـ

---

(١) رواه البخاري (٤٨٢١) في التفسير، باب (٢)، والبيهقي في الدلائل (٤/١٧٧)، وأبو نعيم في الدلائل أيضاً رقم (٣٦٩).

ﷺ ـ فأقرؤوا عمر مني السلام، وقولوا له: يا عمر سدد وقارب، فقد دنا الأمر، وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها، إذا ظهرت في أمة محمد ـ ﷺ ـ فالهرب الهرب، إذا استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وانتسبوا إلى غير مناسبهم. ولم يرحم كبيرهم صغيرهم، ولم يوقر صغيرهم كبيرهم، وتركوا الأمر بالمعروف، فلم يأمروا به، وتركوا النهي عن المنكر، فلم ينهوا عنه، ويتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنانير والدراهم، وكان المطر قيظاً، يعني أيام الصيف، والولد غيظاً، يعني يغيظ والديه، ويفيض اللئام فيضاً، ويغيض الكرام غيضاً، يعني القليل، وشيدوا البناء، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، واستخفوا بالدماء، وقطعوا الأرحام، وباعوا الحكم، وطولوا المنارات، وفضضوا المصاحف، وزخرفوا المساجد، وأظهروا الرشا، وأكلوا الربا، وصار الغني عزيزاً، وركب النساء السروج. ثم غاب عنا.

وذكر أن سعداً خرج بعد ذلك في أربعة آلاف رجل، فنزل هناك أربعين يوماً يؤذن لكل صلاة، فلم يسمع جواباً ولا كلاماً[1].

* * *

(١) في إسناده: عبدالرحمٰن بن إبراهيم الراسبي، أتى بخبر باطل طويل، وهو المتهم به. وذكر الذهبي أول هذا الحديث، ثم قال: وهذا شيء ليس بصحيح. (ميزان الاعتدال ٢/٥٤٥ ـ ٥٤٦).

باب أحاديث
أبي ذرّ الغفاري ـ رضي الله تعالى عنه ـ

٩٣٩ ـ قال الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن سهل القاضي، حدثنا إبراهيم بن الحسن البصري، عن أبيه، عن شعبة، عن سعيد، عن الحجاج، عن أبي إسحاق الهمداني، عن الحرث الأعور: أن أبا ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ـ ﷺ ـ جالس وحده، فقلت: ما جلس رسول الله ـ ﷺ ـ إلا لوحي أو لحاجة، فقال: «ادن مني يا جندب»، فدنوت منه واستغنمت خلوتي من رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت: يا رسول الله أمرتنا بالوضوء، فما الوضوء؟ قال: «يا أبا ذر، لا صلاة إلا بالوضوء، وإن الوضوء ليكفر ما قبله من الذنوب». فقلت: يا نبي الله أمرتنا بالصلاة، فما الصلاة؟ قال: «الصلاة خير موضوع، فمن شاء فليقلل، ومن شاء فليكثر».

فقلت: يا نبي الله أمرتنا بالزكاة، فما الزكاة؟ فقال: «يا أبا ذر لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لمن لا زكاة له، وإن الله تعالى افترض على الأغنياء زكاة أموالهم بقدر ما يستغني فقراؤهم، وإن الله تعالى سائل الأغنياء عن الزكاة، ومعذبهم عليها. يا أبا ذر، ما انتقص مال من زكاة، ولا ضاع مال من بر أو بحر إلا بمنع الزكاة. يا أبا ذر، لا يعطي زكاة ماله طيبة بها نفسه إلا مؤمن، ولا يمنع الزكاة إلا مشرك».

فقلت: يا نبي الله أمرتنا بالصوم، فما الصوم؟ قال: «الصوم جنة وعند الله الجزاء، وللصائم فرحتان، فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه، وخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك، ويوضع للناس يوم القيامة مائدة، فأول من يأكل منها الصائمون».

فقلت: يا نبي الله أمرتنا بالصبر، فما الصبر؟ فقال: «إنّ مثل الصبر كمثل رجل معه صرة من مسك، وهو في عصبة من الناس كلهم يعجبه أن يوجد ريحها منه».

فقلت: يا نبي الله أمرتنا بالصدقة، فما الصدقة؟ قال: «بخٍ بخٍ يا أبا ذر، الصّدقة في السر تطفيء غضب الرب، والصدقة في العلانية تذهب من صاحبها سبعمئة شر، والصدقة تطفيء الخطيئة، وتطفيء غضب النار، وغضب الرب، والصدقة شيء عجيب، والصدقة شيء عجيب، والصدقة شيء عجيب».

فقلت: يا نبي الله، أمرتنا بالرقاب، فأي الرقاب أفضل أن يعتق؟ قال: «أغلاها ثمناً». فقلت: يا نبي الله فأي الهجرة أفضل؟ قال: «أن تهجر السوء». فقلت: يا نبي الله، فأي الناس أسلم؟ قال: «من سلم الناس من لسانه ويده».

فقلت: يا نبي الله، فأي الناس أعجز؟ قال: «من عجز عن الدعاء». فقلت: يا نبي الله، فأي الناس أبخل؟ قال: «من بخل بالسلام». فقلت: يا نبي الله، فأي المجاهدين أفضل؟ قال: «من عقر جواده، وأهريق دمه».

فقلت: يا نبي الله أخبرني عن صحف إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وعن الكتب، متى أنزلت؟ قال: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة مضت من شهر رمضان، وأنزل الإنجيل في اثني عشر من رمضان، وأنزل الزبور في ثماني عشرة مضين من رمضان، وأنزلت التوراة في ثمان مضين من رمضان، وأنزل الفرقان في أربع وعشرين مضين من رمضان».

فقلت: يا نبي الله كم كان الأنبياء، وكم كان المرسلون؟ قال: «كان الأنبياء مئة ألف نبي، وأربعة وعشرين ألف نبي، وكان المرسلون ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، وقد يكون نبياً ولا يكون مرسلاً، وقد يكون نبياً مرسلاً».

قال: وحدثنا عبدالوهاب بن محمد بإسناده، عن أبي ذر نحو هذا وزاد فيه فقلت: يا نبي الله، فأي وقت الليل أفضل؟ قال: «جوف الليل الغابر». قلت: فأي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت»، قلت: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «جهد من مقل معسر سيق إلى فقير»، فقلت: من كان أول الأنبياء؟ قال: «آدم».

فقلت: يا رسول الله، كان آدم مرسلاً؟ قال: «نعم، خلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه. قال: وأربعة من الأنبياء سريانيون آدم وشيث وإدريس ونوح. ويقال عيسى ـ عليه السلام ـ، وأربعة من العرب، هود، وصالح، وشعيب، ونبيك ـ عليه الصلاة والسلام يا أبا ذر».

فقلت: وكم كتاباً أنزل الله على أنبيائه؟ قال: [« مئة وأربعة كتب، أنزل على

شيث ابن آدم خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان».

فقلت: يا نبي الله أوصني، قال: «عليك بتقوى الله، فإنها رأس أمرك كله». فقلت: يا رسول الله زدني، قال: «عليك بذكر الله وتلاوة القرآن، فإنه نور لك في السماء، وشرف وذكر لك في الأرض، وعليك بالجهاد في سبيل الله تعالى، فإنه رهبانية أمتي، وعليك بالصمت إلا بخير، فإنه مطردة الشيطان عنك، وعون لك على أمر دينك، وإياك والضحك، فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه»[1].

٩٤٠ ـ قال: وحدثني أبي ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: دخلت المسجد، فإذا رسول الله ـ ﷺ ـ جالس وحده، فمرة قلت في نفسي آتيه لأستفيد منه في حال خلوته، ومرة قلت لا أشغله عما هو فيه، فأبيت إلا أن آتيه، فأتيته، وسلمت عليه، وجلست عنده طويلاً، لم يكلمني حتى قلت في نفسي إنه قد شق عليه جلوسي، ثم قال: «يا أبا ذر هل ركعت؟» قلت: لا. قال: «قم فاركع، لكلّ شيء تحية، وتحية المسجد ركعتان»، فقمت وركعت، ثم جلست إليه طويلاً.

ثم قال: «يا أبا ذر استعذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرّ شياطين الإنس والجن»، فقلت: يا رسول الله، أو من الإنس شياطين؟ قال: «أما تسمع قوله تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنّ﴾ [الأنعام: ١١٢] ثم سكت، فلما رأيت أنه لا يكلّمني ولا يحدّثني أفضتُ في الكلام. فقلت: يا نبي الله، أمرتني بالصلاة فما الصلاة؟ وذكر نحو السؤالات التي ذكرناها.

قال: ثم اجتمع الناس فقال النبي ـ ﷺ ـ: «ألا أنبئكم بأبخل الناس؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من ذُكِرْتُ عنده فلم يصل عليّ».

٩٤١ ـ قال: حدثني عبدالوهاب بن محمد الفضلاني بسمرقند بإسناده، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، عن أبيه قال: قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ لما خرج النبي ـ ﷺ ـ إلى غزوة تبوك

---

(١) رواه ابن حبان (٩٤/ موارد)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٦).

صحبه رجال من المنافقين، وكان يتخلف عنه الرجل والرجلان فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان. فيقول: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه». فقالوا: يا رسول الله تخلف أبو ذر! قال: «دعوه فإن يك فيه خيرٌ فسيلحقه الله بكم».

وكان أبو ذر تخلّف لأنه أبطأ به بعيره فتلوم بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم رجع يتبع أثر رسول الله - ﷺ - ماشياً حاملاً على ظهره في شدة الحر وحده، فقالوا: يا رسول الله أقبل إلينا رجل يمشي وحده، فقال رسول الله - ﷺ - «ليكن أبا ذر». فلما تأمله الناس، قالوا: يا رسول الله، هذا والله أبو ذر - رضي الله تعالى عنه -، فدمعت عينا رسول الله - ﷺ - وقال: «رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده»[1].

٩٤٢ - قال محمد بن إسحاق: ، حدثنا بريدة بن سفيان الأسلمي، عن محمد بن كعب - رضي الله تعالى عنهم - قال: لما سار أبو ذر - رضي الله تعالى عنه - إلى الربذة في عهد عثمان - رضي الله تعالى عنه - وأصابه بها قدره، ولم يكن معه إلا امرأته وغلامه فأوصى إليهما أن غسلاني وكفناني، ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمر عليكم، فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله - ﷺ - فأعينونا على دفنه فأقبل ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - وهو يبكي رافعاً صوته، ثم قال: صدق رسول الله - ﷺ -: «تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُبعث وحدك» ثم واروه ومضوا، وهو يحدثهم بما قال رسول الله - ﷺ - في مسيره إلى تبوك[2].

٩٤٣ - وعن إياس بن سلمة، عن أبيه، عن أبي ذر الغفاري - رضي الله تعالى عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «سيصيبك بعدي بلاء» قال: قلت: في الله؟ قال: في الله، قلت: فمرحباً بأمر الله. قال: «يا أبا ذر اسمع وأطع، ولو صليت خلف أسود».

فلما توفي رسولُ الله - ﷺ - واستخلف أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - دعاهُ، فحياه وبكى. فقال أبو بكر - رضي الله تعالى عنه -: قد سمعت قول رسول الله - ﷺ - فيك، فأعوذك بالله أن أكون صاحبك يعني أعوذ بالله أن يصيبك البلاء بسببي

---

(١) رواه ابن هشام في السيرة النبوية (٤/١٧٧)، والطبري في تاريخه (٣/١٠٧)، والذهبي في المغازي (٦٣٣).

(٢) في إسناده: بريدة بن سفيان الأسلمي؛ ليس بالقوي، وفيه رفض. (تقريب التهذيب ١/٩٦).

أو في زماني. فلما توفي أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ ووليَ عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ دعاه وأثنى عليه، قال: قد سمعت قول رسول الله ـ ﷺ ـ: فيك، فأعوذ بالله أن أكون صاحبك يعني أعوذ بالله أن يصيبك البلاء بسببي أو في زماني.

فلما توفي عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ ووليَ عثمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال عبدالله بن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ كنت قاعداً عند عثمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ فاستأذن أبو ذر ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقلت: يا أمير المؤمنين هذا أبو ذر يستأذن قال: ائذن له إن شئت. قال: فأذنت له فدخل حتى جلس، فقال له عثمان: أنت الذي تزعم أنك خير من أبي بكر وعمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: ما قلت هذا، قال: أنا أقيم عليك البينة، قال أبو ذر: نضر الله وجهك، لا أدري ما بينك، وقد عرفت كيف قلت، قال: فكيف قلت إذ قال؟

قلت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني الذي يأخذ بالعهد الذي تركته عليه حتى يلحقني، وكلكم قد أصاب من الدنيا غيري».

قال عثمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ: الحق بمعاوية. فأخرجه إلى الشام، فلما قدم إلى الشام أخذ يعلم الناس، فأبكى عيونهم وأحزن صدورهم وكان فيما يقول: لا يبيتن أحدكم وفي بيته دينار ولا درهم إلا شيء ينفقه في سبيل الله، أو يعده لغريم، فأبكى معاوية والناس، فبعث إليه بألف دينار، فأراد أن يخالف قوله فعله، وسريرته علانيته، فأخذ الألف وقسمه كله فلم يبق عنده شيء، فدعا معاوية الرسول في اليوم الثاني. فقال له: اذهب إلى أبي ذر وقل له إنما أرسلني بالألف دينار إلى غيرك فأخطأت به إليك، فجاءه الرسول وقال له: أنقذني من عذاب معاوية، فإنما أرسلني بالألف إلى غيرك فأخطأت به فدفعته إليك، فقال أبو ذر للرسول: أقرىء معاوية مني السلام، وقل له: ما أصبح عندنا من دنانيرك شيء، فإن أردتها، فانظرنا ثلاثة أيام نجمعها لك، فلما رأى معاوية أن فعله يصدق قوله كتب إلى عثمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ إن كان لك بالشام حاجة، فأرسل إلى أبي ذر، واستدعه قال: فكتب عثمان ـ رضي الله عنه ـ أن الحق بي، قال: فقدم أبو ذر ـ رضي الله تعالى عنه ـ وعثمان في المسجد فأقبل حتى سلم عليه، فرد عليه السلام، وقال: كيف أنت يا أبا ذر؟ قال: بخير، فكيف أنتم؟ ثم خرج عثمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقام أبو ذر إلى سارية فصلى ركعتين، ثم قعد وجلس إليه الناس، فقالوا له: يا أبا ذر حدثنا عن رسول الله ـ ﷺ ـ.

قال: نعم. حدثني حبيبي: «إن في الإبل صدقة، وفي الزرع صدقة، وفي الدرهم صدقة، وفي الشاة صدقة، ومن بات وفي بيته دينار أو درهم لا يعده لغريمه، أو ينفقه في سبيل الله فهو كنز يكوى به يوم القيامة».

قالوا: يا أبا ذر اتق الله وانظر ما تحدث فإن هذه الأموال قد فشت في الناس. فقال: أما تقرؤون القرآن ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [التوبة: ٣٤] فمكث ليلتين أو ثلاثاً، فأرسل إليه عثمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقال: الحق بالربذة، وهي قرية خربت، فخرج إلى الربذة، فوجدهم يؤمهم أسود، فقيل لأبي ذر تقدم، فأبى وصلى خلف الأسود. وقال صدق الله ورسوله قال لي: «اسمع وأطع وإن صليت خلف أسود». ومكث هناك حتى مات ـ رحمه الله تعالى ـ[1].

٩٤٤ ـ وروي عن امرأة أبي ذرّ ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قالت: لما حضر أبا ذر الوفاة بكيت، قال: ما يبكيك؟ قلت: تموت في فلاة من الأرض، وليس لي ثوب أكفنك فيه. قال: لا تبكي وأبشري فإني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول لنفر كنت أنا فيهم: «ليموتن رجلٌ منكم في فلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين»، وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك في قرية أو جماعة إلا أنا، والله ما كذبت ولا كذبت فأنا ذلك الرجل. فأبصري الطريق. قالت: فقلت: قد ذهب الحاج، وانقطع الطريق، فكنت أقوم على كثيب، فأنظر إليه، فأرجع فأمرضه.

فبينما أنا كذلك إذا بنفر على رحالهم فألحت إليهم بثوبي، فأسرعوا إليّ، فقالوا: يا أمة الله، ما لك؟ قلت: رجل من المسلمين يموت، فكفنوه، قالوا: ومن هذا؟ قلت: أبو ذر، قالوا: صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ؟ قلت: نعم. ففدوه بآبائهم وأمهاتهم، فأسرعوا حتى دخلوا عليه وسلموا، فرحب بهم، وقال: أبشروا فإني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول لنفر، أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم في فلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين». وليس من أولئك القوم أحد إلا وقد هلك في قرية أو جماعة إلا أنا، فأنا ذلك الرجل وأنتم أولئك العصابة، ولو كان لي ثوب يسعني كفناً أو لامرأتي لم أكفن إلا في ثوب لي أو لأهلي، وإني أنشدكم بالله، لا يكفنني رجل منكم كان أميراً أو بريداً أو عريفاً أو نقيباً، ولم يكن في القوم إلا وقد أصاب ذلك

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٢)، وروى الطبراني قسماً منه، كما في مجمع الزوائد (٩/ ٣٢٧).

أو بعض ذلك إلا رجل من الأنصار، فقال: يا عم أنا أكفنك، فإني لم أصب شيئاً مما ذكرت، أكفنك في ردائي هذا أو في ثوبين، أو في عباءتين من غزل أمي. قال: أنت تكفنني، فمات، فكفنه الأنصاري في النفر الذين شهدوه، وكلهم من أهل الدين، فرجعوا مسرورين بما سمعوا منه[1].

* * *

(١) رواه أحمد (٥/ ١٥٥ و١٦٦)، وابن حبان (٦٦٣٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٣٢): رواه أحمد من طريقين، أحدهما هذه والأخرى مختصرة عن إبراهيم بن الأشتر عن أم ذرّ، ورجال الطريق الأولى رجال الصحيح. ورواه البزار بنحوه باختصار.

باب الاجتهاد في الطاعة

٩٤٥ ـ قال الفقيه: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا علي بن أحمد، حدثنا عبدالله بن سلمة، حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا غندر، عن شعبة، عن الحكم، عن عروة بن الزبير، عن معاذ بن جبل ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «ألا أدّلكم على أبواب الخير؟» قلت: نعم، قال: «الصوم جُنّة، والصدقة برهان، وقيام العبد في جوف الليل يطفىء كل خطيئة»[1].

٩٤٦ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر علي بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد بن زيد، عن واصل بن يسار، عن الوليد بن عبدالرحمٰن، عن الحرث، عن أبي عبيدة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «الصوم جُنّة ما لم يخرقها»[2] يعني ما لم يخرقها بالغيبة.

قال الفقيه أبو جعفر: حدثنا علي بن أحمد، حدثنا عيسى بن أحمد رفعه إلى الحسن ـ رحمهم الله تعالى ـ قال: أربع من زاد الآخرة: الصوم صحة النفس، والصدقة ستر ما بينه وبين النار، والصلاة تقرب العبد إلى ربه، والدموع تمحو الخطيئة.

قال الفقيه ـ رضي الله تعالى عنه ـ: يقال: أصل الطاعة ثلاثة أشياء: الخوف، والرجاء، والحب، فعلامة الخوف ترك المحارم، وعلامة الرجاء الرغبة في الطاعة،

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) في الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٥/٢٣١، ٢٣٧)، والحاكم (٢/٤١٣)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه النسائي (٤/١٦٧)، والبيهقي في السنن (٤/٢٧٠)، وفي الشعب (٣٥٧٢ و٣٦٤٣)، والطيالسي في مسنده (٢٢٧).

وعلامة الحب الشوق والإنابة. وأصل المعصية ثلاثة أشياء: الكبر، والحرص، والحسد، فأما الكبر فقد ظهر من إبليس حيث أمره بالسجود فاستكبر حتى صار ملعوناً. وأما الحرص فقد ظهر على آدم ـ عليه السلام ـ حيث تناول من الشجرة لكي يخلد في الجنة، فأخرج منها. وأما الحسد فقد ظهر على ابن آدم قابيل فقتل أخاه حتى أدخل النار. فالواجب على كل أحد أن يجتنب عن المعاصي، ويجتهد في الطاعة، ويخلص في طاعته لوجه الله تعالى.

٩٤٧ ـ فقد روي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من أخلص العبادة لله تعالى أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[1].

ويقال: ثلاثة يزرعون لأنفسهم في القلوب المقت، ويوجبون السخط، ويهدمون ما يبنون:

أحدهم: المشتغل بعيوب الناس.

والثاني: المعجب بنفسه.

والثالث: المرائي بعمله.

وثلاثة أصناف يزرعون المحبة في القلوب، ويرثون العافية والمنزلة في أهل السماء:

أحدهم: صاحب الخلق الحسن.

والثاني: المخلص بعمله.

والثالث: المتواضع.

وروي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: حاسِبُوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنه أيسر وأهون لحسابكم، وزِنُوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهّزوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية.

وروي عن يحيىٰ بن معاذ ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: الناس ثلاثة أصناف:

---

(١) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/١٤٥ ـ ١٤٦)، وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ. فيه سوار بن مصعب، متروك الحديث، وقال يحيى: ليس بثقة، ولا يُكتب حديثه. وقال ابن الجوزي: وقد عمل جماعة من المتصوفة والمتزهّدين على هذا الحديث الذي لا يثبت، وانفردوا في بيت الخلوة أربعين يوماً، وامتنعوا عن أكل الخبز. وكان بعضهم يأكل الفواكه، ويتناول الأشياء التي تتضاعف قيمتها على قيمة الخبز، ثم يخرج بعد الأربعين فيهذي ويتخيّل إليه أنه يتكلّم بالحكمة، ولو كان الحديث صحيحاً، فإن الإخلاص يتعلق بقصد القلب لا بفعل البدن، فللّه درّ العلم.

رجل يشغله معاده عن معاشه، ورجل يشغله معاشه عن معاده، ورجل مشتغل بهما جميعاً، فالأول درجة الفائزين العائدين، والثاني درجة الهالكين، والثالث درجة المخاطرين.

وذُكِر عن حاتم الزاهد قال: أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة: قدر الشباب لا يعرف قدره إلا الشيوخ، ولا يعرف قدر العافية إلا أهل البلاء، ولا قدر الصحة إلا المرضى، ولا قدر الحياة إلا الموتى.

٩٤٨ ـ قال الفقيه: وهذا مستخرج من خبر رسول الله ـ ﷺ ـ: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»(١).

فينبغي للإنسان أن يعرف قدر حياته، ويغتنم كل ساعة تأتي عليه، ويقول: كيف يكون حالي في ساعة أخرى؟ ويتفكّر في ندامة الموتى، وإنهم يتمنّون الحياة مقدار ركعتين أو مقدار قول: لا إله إلا الله، وإنك قد نلتها فاجتهد في عبادة الله تعالى قبل أن يأتيك وقت الندامة والحسرة.

وقيل لحاتم ـ رضي الله تعالى عنه ـ: علام بنيتَ عملك؟ قال: على أربع:

أحدها: أن علمت أنّ لي رزقاً لا يجاوزني إلى غيري كما لا يجاوز رزق أحد إلي، فوثقت به.

والثاني: علمت أنّ عليَّ فرضاً لا يؤديه غيري، فأنا مشغول به.

والثالث: علمت أنّ ربي يراني كل وقت فأستحي منه.

والرابع: علمت أنّ لي أجلاً يبادرني فأنا أبادره.

قال الفقيه: المبادرة إلى الأجل الاستعداد بالأعمال الصالحة، والامتناع عما نهى الله، والتضرّع إلى الله تعالى لكي يثبته على ذلك، ويجعل عاقبته في خير.

وقال بعض الحكماء: لا يجدُ الرجل حلاوةَ العبادة حتى يدخل في العمل بالنية والمنّة، يعمله بالخشية، ويسلمه بالإخلاص؛ لأنه إذا دخل فيه بالنية فيعلم أنّ الله تعالى قد وفّقه لذلك العمل، ولله عليه المنة فيدخل فيه بالشكر، فكان له من الله الزيادة لأن الله تعالى قال: **﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾**

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد رقم (٢) مرسلاً عن عمرو بن ميمون، وكذا أبو نعيم في الحلية (٤/١٤٨). ورواه الحاكم من حديث ابن عباس (٤/٣٠٦)، والبيهقي في الشعب (١٠٢٤٨).

[إبراهيم: ٧] وإذا عمله بالخشية وجب ثوابه على الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠]. والثواب في الدنيا هو الحلاوة في الطاعة وفي الآخرة الجنة، وإذا سلمه بالإخلاص تقبّله الله منه.

وعلامة القبول أن يوفّقه لطاعة هي أرفع منها.

ويقال: علامة الاغترار في ثلاثة أشياء: أن يجمع ما لا يخلفه، والثاني: زيادة ذنوب تهلكه، والثالث: ترك عمل ينجيه.

وعلامة المنيب، يعني المقبل إلى الله تعالى ثلاث خصال:

أولها: أن يجعل قلبه للتفكر.

والثاني: أن يجعل لسانه للذكر.

والثالث: أن يجعل بدنه للخدمة.

ويقال: للمخادع نفسة ثلاث علامات:

أحدها: أن يبادر إلى الشهوات ويأمن الزلل.

والثاني: يسوف التوبة بطول الأمل.

والثالث: يرجو الآخرة بغير عمل.

قال بعض الحكماء: من ادّعى ثلاثاً بغير ثلاث فاعلمْ أنّ الشيطانَ يسخر منه:

أولها: من ادّعى حلاوةَ ذِكْر الله مع حبّ الدنيا.

والثاني: من ادّعى رضا خالقه من غير سخط نفسه.

والثالث: من ادّعى الإخلاص مع حبّ ثناء المخلوقين.

وعن أبي نضرة قال: أربع من كن فيه فلم يزدد بهن خيراً، فذاك الذي لم يتقبل الله منه عمله ذلك:

أولها: من غزا، ثم رجع فلم يزدد خيراً فذاك آية أنه لم يتقبل الله منه.

والثاني: ومن صام شهر رمضان ولم يزدد خيراً، فذاك آية أنه لم يتقبّل الله منه.

والثالث: ومن حجّ فرضاً فلم يزدد خيراً، فذاك آية أنه لم يتقبّل الله منه.

والرابع: ومن مرض فعوفي فلم يزددْ خيراً، فذاك آية أنه لم تكفّر عنه ذنوبه.

ويقال: ينبغي للعاقل أربعة أشياء حتى يصلح عمله، ولا يضيع اجتهاده:

أولها: العلم ليكون علمه حجّة.

والثاني: التوكّل حتى يكون له في العبادة فراغ ومن الخلق إياس.

والثالث: الصّبر ليتمّ به العمل.

والرابع: الإخلاص لينال به الأجر.

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: ما طلب رجلٌ هذا الخير، يعني الجنة إلا اجتهد ونحل وذبل، واستمر أي استقام حتى يلقى الله، ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال بعض الحكماء: علامة الذي استقام أن يكون مثله كمثل الجبل له أربع علامات:

أحدها: أنه لا يذيبه الحرّ.

والثاني: لا يجمده البرد.

والثالث: لا تحرّكه الريح.

والرابع: لا يذهبه السّيل.

فكذا المستقيم له أربع علامات:

أحدها: إذا أحسن إليه إنسانٌ لا يحمله إحسانه على أن يميلَ إليه بغير حق.

والثاني: إذا أساء إليه إنسان لا يحمله ذلك على أن يقولَ بغير حق.

والثالث: أن هوى نفسه لا يحوله عن أمر الله تعالى.

والرابع: أن حطام الدنيا لا يشغله عن طاعة الله عز وجل.

ويقال: سبعة أشياء من كنوز البر، وكل واحد من ذلك واجب بكتاب الله تعالى:

أولها: الإخلاص في العبادة لقول الله عز وجل: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء**﴾ [البينة: ٥].

والثاني: برّ الوالدين لقوله عز وجل: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لي وَلِوَالِدَيْكَ إِليّ المصِيرُ**﴾ [لقمان: ١٤].

والثالث: صلة الرحم لقوله عز وجل: ﴿**واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ**﴾ [النساء: ١].

والرابع: أداء الأمانة لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾ [النساء: ٥٨] الآية.

والخامس: أن لا يطيع أحداً في المعصية لقول الله عز وجل: ﴿**وَلَا يَتَّخِذ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران: ٦٤].

والسادس: أن لا يعملَ بهوى نفسه لقول الله عز وجل: ﴿**وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المأْوَى**﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

والسابع: أن يجتهدَ في الطاعة ويخاف الله تعالى، ويرجو ثوابه؛ لقوله تعالى: ﴿**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وطَمَعاً ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ [السجدة: ١٦].

فالواجبُ على كلّ إنسان أن يكونَ خائفاً باكياً فإن الأمر شديد.

ورُوي في الخبر أنَّ عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مر بقرية، وفي تلك القرية جبل، وفي الجبل بكاء وانتحاب كثير، فقال لأهل القرية: ما هذا البكاء؟ في هذا الجبل، قالوا: يا عيسى، منذ سكنا هذه القرية نسمع هذا البكاء وهذا الانتحاب بهذا الجبل، فقال عيسى ـ عليه السلام ـ: يا رب ائذن لهذا الجبل أن يكلمني، فأنطق الله الجبل. فقال يا عيسى: ما أردت مني؟ قال: أخبرني ببكائك وانتحابك ما هو؟ قال: يا عيسى أنا الجبل الذي كانت تنحت مني الأصنام التي يعبدونها من دون الله، فأخاف أن يلقيني الله في نار جهنم، فإني سمعت الله يقول: ﴿**فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ [البقرة: ٢٤] فأخاف أن أكون من تلك الحجارة التي تلقى غداً في النار، فأوحى الله إلى عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن قل للجبل حتى يسكن فإني قد أعذته من جهنم. فالحجارة مع صلابتها وشدتها تخاف الله، فكيف لا يكون المسكين الضعيف ابن آدم يخاف من النار، ولا يتعوذ بالله منها. يا بن آدم احذر منها، وإنما الحذر منها باجتناب الذنوب، فإنّ بالذنوب يستوجبُ سخط الله تعالى وعذابه، ولا طاقة لك بعذاب الله تعالى.

٩٤٩ ـ وروي عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾ [البقرة: ١٤٣] دمعت عينا رسول الله ـ ﷺ ـ ثم قال: «يا معشر الناس إن الله تعالى بعثني نبياً، وأرسلني رسولاً، واختاركم لنبيه، وأشهدني عليكم، وأشهدكم على الأمم السابقة والقرون الماضية».

فقام إليه رجل من الأنصار يقال له قيس بن عروة، فقال: يا رسول الله. وكيف نشهد على الأمم السالفة، ولم نكن منهم، ولم يكونوا في زماننا؟ فقال النبي ـ ﷺ ـ:

«يا بن عروة، إذا كان يوم القيامة وبدلت الأرض غير الأرض، وطويت السماوات كطي السجل للكتاب، وحشر الخلائق فمنهم سود الوجوه، ومنهم بيض الوجوه، فيقفون أربعين عاماً».

قيل: يا رسول الله ماذا ينتظرون؟ قال: «الصيحة التي قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨] يعني تحريك الشفتين من غير نطق، وهم يساقون إلى أرض لم تسفك عليها الدماء، ثم يؤتى بالبهائم فيقتص لبعضها من بعض، ثم يقال لها: كوني تراباً فتكون تراباً فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾ [النبأ: ٤٠] ثم يؤتى بكل نبي وأمته، ويحكم بينهم بالحق: ففريق في الجنة وفريق في السعير».

«ثم ينادي منادٍ: أين نوح ـ عليه السلام ـ؟ فيؤتى به فيقول الله: يا نوح هل بلغت الرسالة، وأديت الأمانة؟ فيقول: نعم يا رب، بلغت الرسالة وأديت الأمانة. فيؤتى بقومه، فيقال: يا أمة نوح، هذا نوح، بعثته إليكم يدعوكم إلى كلمة الإخلاص، فهل بلغ إليكم الرسالة؟ فيقولون: ربنا ما جاءنا من بشير ولا نذير، فيقول الله تعالى: يا نوح هؤلاء أمتك أنكروك فهل لك من يشهد لك بذلك؟ فيقول: نعم، أمة محمد ـ ﷺ ـ فينادي منادٍ: يا خير أمة أخرجت للناس، يا صوام شهر رمضان، فيقومون من الصفوف كما قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[الفتح: ٢٩] فيقولون: لبيك داعي الله، فيقول الله عز وجل: يا أمة محمد هل تشهدون لنوح؟ فيقولون: أي رب نشهد، أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، فتقول أمة نوح ـ عليه السلام ـ: إن نوحاً أول نبي ومحمد آخر نبي، فكيف يشهدون لمن لم يدركوا زمانه؟ فيقولون في كتاب الله عز وجل المنزل على نبيه محمد ـ ﷺ ـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾ [نوح: ١] الآية كنا قرأناه إلى آخره، فيقول الله تعالى: صدقتم يا أمة محمد، وإني آليت على نفسي أن لا أعذب أحداً إلا بحجّة فتواهبوا يا أمة محمد المظالم فيما بينكم، فإني قد وهبت الذي بيني وبينكم»[1].

* * *

(١) رواه البخاري (٤٤٨٧) بنحوه من حديث أبي سعيد، والترمذي (٢٩٦١) في تفسير القرآن، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣/٣٢، ٥٨).

باب عداوة الشّيطان ومعرفة مكايده

٩٥٠ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثني أبي ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو الحسين الفراء، حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني، حدثنا سلمة، عن عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن صفية بنت جحش أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[1].

قال: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو الحسين الفراء، حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق، حدثنا سلمة عمن حدثه، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ في قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ يعني سيد الناس ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ كلهم من الجن والإنس ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ يقول: خالق الناس ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ يعني الشيطان ﴿الْخَنَّاسِ﴾ وهو الشيطان ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ يقول: يدخل في صدور الجن كما يدخل في صدور الإنس، فيوسوس في صدورهم، فإذا ذكر الله خنس وخرج من صدورهم.

٩٥١ ـ وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «بُعِثْتُ داعياً ومبلّغاً وليس إليّ من الهداية شيء، وخلق إبليس مزيّناً وليس إليه من الضلالة شيء»[2]. يعني أنه يوسوس

---

(١) رواه البخاري (٣٢٨١) في بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، ومسلم (٢١٧٥) في السلام، باب (٩).

(٢) رواه العقيلي وابن عدي عن عمر. وفيه: خالد بن عبدالرحمٰن ليس بمعروف بالنقل، وحديثه غير محفوظ، ولا يُعرف له أصل. وقال ابن عدي: في قلبي من هذا الحديث شيء، ولا أدري سمع خالد من سماك أم لا؟ ولا أشك أنّ خالداً هذا هو الخراساني، فالحديث مرسل عن سماك. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٧٢)، وقال الذهبي: قال الدارقطني: لا أعلمه روى غير هذا الحديث الباطل، ثم ساق الحديث. (ميزان الاعتدال ١/ ٦٣٤)، و(فيض القدير ٣/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

ويزين المعصية وليس بيده أكثر من ذلك. فينبغي للعبد أن يجتهد في دفع الوسوسة عن نفسه، ويجتهد في مخالفة عدوه لأن الله تعالى قال: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً**﴾ [فاطر: ٦].

وينبغي للعاقل أن يعرفَ صديقه من عدوه، فيطيع صديقه ولا يتّبع عدوّه؛ فإنه يقال: علامة الجاهل أربعة أشياء:

أحدها: الغضب من غير شيء.

والثاني: اتباع النفس في الباطل.

والثالث: إنفاق المال في غير حق.

والرابع: قلّة معرفة صديقه من عدوه، يعني يختار طاعة الشيطان على طاعة الله تعالى.

فبئس البدل طاعة الشيطان على طاعة الله تعالى.

وقال الله تعالى: ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً**﴾ [الكهف: ٥٠].

وعلامة العاقل أربعة أشياء: الحلم عن الجاهل، وردّ النفس عن الباطل، وإنفاق المال في حقه، ومعرفة صديقه من عدوه.

وذُكِر عن وهب بن منبه ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: إنّ إبليس لقي يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ فقال له يحيى بن زكريا: أخبرني عن طبائع ابن آدم عندكم، فقال إبليس: أما صنف منهم فهم مثلك معصومون، لا نقدر منهم على شيء. وأما الصنف الثاني فهم في أيدينا كالكرة في أيدي صبيانكم، وقد كفونا أنفسهم. وأما الصنف الثالث فهم أشدّ الأصناف علينا، فنقبل على أحدهم حتى ندرك منه حاجتنا، ثم يفزع إلى الاستغفار، فيفسد به علينا ما أدركنا منه، فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك حاجتنا منه.

وقال بعض الحكماء: نظرتُ من أي باب يأتي الشيطان إلى الإنسان، فإذا هو يأتي من عشرة أبواب:

أولها: يأتي من قبل الحرص وسوء الظن، فقابلته بالثقة والقناعة، فقلت: بأي آية أتقوى عليه من كتاب الله تعالى؟ فوجدت قول الله عز وجل: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ [هود: ٦] الآية، فكسرته بذلك.

والثاني: نظرت فإذا هو يأتي من قبل الحياة وطول الأمل. فقابلته بخوف مفاجأة الموت، فقلت: بأي آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] فكسرته بها.

والثالث: نظرت فإذا هو يأتي من قبل طلب الراحة، وطلب النعمة، فقابلته بزوال النعمة وسوء الحساب، فقلت: بأي آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ [الحجر: ٣] الآية، وبقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥] الآية، فكسرته بذلك.

والرابع: نظرت فإذا هو يأتي من باب العجب، فقابلته بالمنة وخوف العاقبة، فقلت: بأي آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥] فلا أدري من أي الفريقين أكون، فكسرته بها.

والخامس: رأيته يأتي من باب الاستخفاف بالإخوان وقلة حرمتهم، فقابلته بمعرفة حقهم وحرمتهم. فقلت: بأي آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] فكسرته بها.

والسادس: نظرت فإذا هو يأتي من باب الحسد، فقابلته بالعدل وقسمة الله تعالى في خلقه. فقلت: بأي آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢] فكسرته بها.

والسابع: نظرت فإذا هو يأتي من قبل الرياء ومدح الناس، فقابلته بالإخلاص، فقلت: بأي آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠] يعني مخلصاً فكسرته بها.

والثامن: نظرت فإذا هو يأتي من باب البخل، فقابلته بفناء ما في أيدي الخلق، وبقاء ما عند الله تعالى، فقلت: بأي آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] فكسرته بها.

والتاسع: نظرت فإذا هو يأتي من باب الكبر، فقابلته بالتواضع، فقلت: بأي آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فكسرته بها.

والعاشر: نظرت فإذا هو يأتي من باب الطمع، فقابلته بالإياس من الناس، والثقة بما عند الله، فقلت: بأي آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾[الطلاق: ٢ ـ ٣].

وذُكِر في الخبر: أن إبليس لعنه الله جاء إلى موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو يناجي ربّه، فقال له ملك من الملائكة: ويحك ما ترجو منه على هذا الحالة؟ فقال: أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنة.

ويقال: إذا حضر وقت الصلاة أمر إبليس جنوده بأن يتفرقوا ويأتوا الناس، ويشغلوهم عن صلاتهم، فيجيء الشيطان إلى من أراد الصلاة فيشغله ليؤخّرها عن وقتها، فإن لم يقدر فإنه يأمره بأن لا يتم ركوعها وسجودها وقراءتها وتسبيحها ودعواتها، فإن لم يستطع فإنه يشغل قلبه بإشغال الدنيا، فإن لم يقدرْ على شيء من ذلك أمر إبليس بأن يوثق هذا الشيطان، ويقذف به في البحر، فإن كان يقدر على شيء من ذلك فإنه يكرمه ويبجله.

وقال الله عز وجل حكاية عن إبليس: ﴿**لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [يعني الإسلام ولأرصدنهم ﴿**ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ**﴾ يعني من أمر الآخرة، حتى أجعلهم في الشك ﴿**وَمِنْ خَلْفِهِمْ**﴾ لأزينن لهم الدنيا حتى يطمئنوا إليها ﴿**وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ**﴾ يعني آتيهم من جهة الدين والطاعة ﴿**وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ**﴾ يعني من جهة المعاصي ﴿**وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧] يعني على نعمك.

وقال في آية أخرى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ**﴾ [الأعراف: ٢٧]. وقال في آية أخرى: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ**﴾ [البقرة: ٢٦٨]. وقال في آية أخرى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً**﴾ [فاطر: ٦] فقد بين الله تعالى أن الشيطان عدو لبني آدم ويريد ضلالتهم ليجرهم مع نفسه إلى النار. فالواجب على العاقل أن يجتهد في مجاهدته؛ لكي يخلص نفسه منه، فإنه عدو ظاهر للمؤمنين، وللمؤمن أيضاً أعداء سوى الشيطان.

٩٥٢ ـ كما روي عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وعدو يقاتله، وشيطان يضله، ونفس تغويه»[1] يعني أن النفس مائلة إلى ما هو سبب ضلالته وإغوائه.

---

(١) رواه ابن لال عن أبان عن أنس. (كنز العمال ٨٠٩).

فينبغي للمسلم أن يستعينَ بالله تعالى؛ ليقوّيه على أعدائه، ويوفّقه لما يحب ويرضى، فإن هذا كلّه يسير على من يسره الله تعالى عليه.

وروى أبو صالح بإسناده عن عبدالرحمٰن بن زياد بن أنعم قال: بينما موسى جالس في بعض مجالسه إذ جاءه إبليس، وعليه برنس متلون، يعني قلنسوة ذات ألوان، فلما دنا منه خلع البرنس، فوضعه، ثم أقبل فسلم عليه، فقال: من أنت؟ قال: أنا إبليس. قال: فما جاء بك؟ قال: جئت لأسلم عليك؛ لمكانك من الله عز وجل. قال: فما البرنس الذي كان عليك؟ قال: به أختطف قلوب بني آدم.

قال: أخبرني ما الذنب الذي إذا أذنب ابن آدم استحوذت عليه؟ يعني غلبت عليه، قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، ونسي ذنبه، استحوذت عليه.

٩٥٢/م ـ وذُكِر عن وهب بن منبه ـ رحمه الله تعالى ـ قال: أمر الله تعالى إبليس أن يأتي محمداً ـ ﷺ ـ ويجيبه عن كل ما يسأله فجأة على صورة شيخ، وبيده عكازة. فقال له: «من أنت؟» قال: أنا إبليس. فقال: «لماذا جئت؟» قال: إن الله أمرني أن آتيك وأجيبك عن كل ما تسألني. فقال النبي ـ ﷺ ـ: «يا ملعون كم أعداؤك من أمتي؟» قال: خمسة عشر أولهم أنت، والثاني: إمام عادل، والثالث: غني متواضع، والرابع: تاجر صادق، والخامس: عالم متخشع، والسادس: مؤمن ناصح، والسابع: مؤمن رحيم القلب، والثامن: تائب ثابت على التوبة، والتاسع: متورع عن الحرام، والعاشر: مؤمن يديم على الطهارة، والحادي عشر: مؤمن كثير الصدقة، والثاني عشر: مؤمن حسن الخلق مع الناس، والثالث عشر: مؤمن ينفع الناس، والرابع عشر: حامل القرآن يديم على تلاوته، والخامس عشر: قائم بالليل والناس نيام.

ثم قال النبي ـ ﷺ ـ: «ومن رفقاؤك من أمتي؟» قال: عشرة: أولهم: سلطان جائر، والثاني: غني متكبر، والثالث: تاجر خائن، والرابع: شارب الخمر، والخامس: القتّال، والسادس: صاحب الزنا، والسابع: آكل مال اليتيم، والثامن: المتهاون بالصلاة، والتاسع: مانع الزكاة، والعاشر: الذي يطيل الأمل. فهؤلاء أصحابي وإخواني.

٩٥٣ ـ وذُكِر في الخبر أنه كان في بني إسرائيل رجل متعبّد في صومعة يقال له برصيصيا العابد؛ كان مستجاب الدعوة، وكان الناس يأتونه بمرضاهم فكان يدعو فيبرأ

المريض، فدعا إبليس الشياطين ـ لعنهم الله ـ وقال: من يفتن هذا، فإنه قد أعياكم؟ قال عفريت من الشياطين: أنا أفتنه فإن لم أفتنه فلست لك بولي، فقال له إبليس: أنت له. فانطلق الشيطان حتى أتى منزل ملك من ملوك بني إسرائيل وله ابنة من أحسن النساء، وهي جالسة مع أبيها وأمها وأخواتها فخبلها ففزعوا لذلك فزعاً شديداً، فصارت بمنزلة المجنونة، وكانت على ذلك أياماً، ثم أتاهم على صورة إنسان فقال لهم: إن أردتم أن تبرأ فلانة، فاذهبوا إلى فلان الراهب يعوذها، ويدعو لها. فذهبوا بها إليه، فدعا لها فبرأت من علّتها، فلما رجعوا عاودها ذلك، فأتاهم الشيطان فقال لهم: إن أردتم أن تبرأ فلانة فاجعلوها عنده أياماً فانطلقوا بها إليه ليضعوها عنده، فأبى الراهب أن يقبلها، فألحوا عليه، وتركوها عنده، فكان الراهب يظل صائماً، فلا يتعرّض الشيطان للجارية، فإذا جلس الراهب يطعم أظهر خبلها وكشفها فيعرض الراهب عنها بوجهه حتى إذا طال ذلك، فنظر يوماً إلى[1] وجهها وجسدها فرأى وجهاً وجسداً لم ير مثله، فلم يصبر على ذلك حتى قربها، فحبلت منه، ثم أتاه الشيطان، فقال له: إنك قد أحبلتها وليس ينجيك مما صنعت بها من عقوبة الملك إلا أن تقتلها وتدفنها عند صومعتك، فإذا سألوك عنها فقل أتى عليها أجلها، فماتت، فإنهم يصدقونك، فقام إليها فذبحها ودفنها، فجاؤوا وسألوا عنها، فأخبرهم بأنها قد ماتت فصدقوه فرجعوا[2].

وفي رواية قال: إنها برئت وذهبت إلى منزلها، فصدّقوه فرجعوا وجعلوا يطلبونها من بيوت أقاربها، فانطلق الشيطان فقال لهم: إن الراهب قد وقع عليها فأحبلها، فلما خشي أن يطلع على ذلك ذبحها ودفنها، فركب الملك في الناس مقبلاً نحو الراهب فحفروا فوجدوها مذبوحة فأخذوا الراهب فصلبوه، ثم جاء الشيطان وهو مصلوب فقال: أنا الذي فعلت بك ما فعلت، وأنا أنجيك من ذلك، وأخبرهم بأنه ذبحها غيرك، وهم يصدّقونني بذلك، إن أنت سجدت لي سجدة من دون الله. فقال: كيف أسجد على هذه الحالة؟ قال: أنا أرضى أن تؤمىء إليّ برأسك، فسجد له سجدة، فقال له الشيطان: أنا بريء منك، فذلك قوله تعالى: **﴿كَمَثَلِ الشَّيطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِين * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا**

---

(١) في الأصل: فرأى، والمثبت من (م) و(ط).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان»، وابن مردويه، والبيهقي. (كنز العمال ١٧١٠).

فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٦ ـ ١٧].

قال الفقيه: اعلم أن لك أربعة من الأعداء، فتحتاج أن تجاهد مع كل واحد منهم:

أحدها: الدنيا، وهي غرارة مكارة، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُم الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

والثاني: نفسك وهي شر الأعداء.

والثالث: الشيطان.

والرابع: شيطان الإنس، فاحذره فإنه أشد عليك من شيطان الجن؛ لأن شيطان الجن يكون أذاه بالوسوسة، وشيطان الإنس هو رفيق السوء يكون أذاه بالمواجهة والمعاينة لا يزال يطلب عليك وجهاً يزيلك عمّا أنت فيه.

٩٥٤ ـ وروى شداد بن أوس ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «الكيّس مَن دان نفسه، وعمل لما بعد الموت» يعني حاسب نفسه في الدنيا، وعمل الطاعة لكي تنفعه بعد الموت، والفاجر من أتبع نفسه هواها، وتمنّى على الله عز وجل المغفرة»[1].

وروي عن عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: ليس العجب ممن هلك كيف هلك، ولكن العجب ممن نجا كيف نجا. يعني أن الجنة قد حفت بالمكاره، والنار قد حفّت بالشهوات. وإن في كل نفس شيطاناً يوسوس إليه وملكاً يلهمه، ولا يزال الشيطان يزين ويخدع، ولا يزال الملك يمنعه، [ويلهمه الخير]، فأيهما كانت النفس معه كان هو الغالب.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩) في صفة القيامة، باب (٢٥)، وقال: حسن، وابن ماجه (٤٢٦٠) في الزهد، باب: ذكر الموت والاستعداد له، وأحمد (٤/ ١٢٤).

باب الرضا

قال الفقيه: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ، حـدثنا العباس بن الفضل، حـدثنا موسى بن نصر الحنفي، حـدثنا محمـد بن زياد الكـوفي، عن ميمون بن مهـران قال: أمرني عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله تعالى عنـه ـ أن آتيه في كـلّ شهر مـرتين، فجئته يوماً، فنظر إليّ من فوق حصن له، فأذن لي قبل أن أبلغَ الباب، فـدخلتُ كما أنـا فإذا هو قاعد على بساط له، وشاذكونة على قـدر البساط، وهـو يرقـع قميصاً لـه، فسلّمت عليـه، فرد عليّ السـلام، ولم يزل بي حتى أجلسني على شـاذكونتـه، ثم سألني عن أمرائنا وعن أمر شرطنا، وعن جلاوزتنا وعن سجوننـا، وعن أسعارنـا كلها، ثم سـألني عن خاصة نفسي، فلما نهضت لأخرج قلت: يا أمير المؤمنين، مـا في أهل بيتـك من يكفيك ما أرى؟ قال: يا ميمون، يكفيك من دنياك ما بلغـك المحل، نحن اليـوم ههنا وغداً في مكان آخر. ثم خرجت وتركته.

قـال: حدثنـا أبو منصـور بن عبدالله الفـرائضي بسمرقنـد بإسنـاده، عن قتـادة ـ رحمهم الله ـ في قول الله عز وجل: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْـوَداً وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ [النحل: ٥٨] قال قتادة: هذا صنيع مشركي العرب، أخبرنا الله تعـالى بخبث صنيعهم، فـأما المؤمن فهـو حقيق أن يرضى بمـا قسم الله لـه، وقضـاء الله عـز وجـل للمؤمن خيـر من قضاء المـرء لنفسه، ومـا قضى الله لك يـابن آدم فيما تكـره خيـر من قضائك فيما تحب، فاتق الله وارض بقضائه.

قـال الفقيه ـ رحمـه الله تعالى ـ: هـذا القول مـوافق لقولـه تعالى: ﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْـرَهُوا شَيْئـاً وَهُوَ خَيْـرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئـاً وَهُوَ شَـرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٦] يعني يعلم ما فيه صلاحكم وصلاح دينكم ودنياكم، وأنتم لا تعلمون ذلك، يعني ارضوا بما قضيت لكم، فإنكم لا تعلمون ما فيه صلاحكم.

وقال بعض الحكماء: المنازل أربعة: عمرنا في الدنيا، ومكثنا في القبر، ومقامنا في المحشر، ومصيرنا إلى الأبد الذي خلقنا له، فمثل عمرنا في الدنيا كمثل المتعشي من الحاج، لا يطمئنون ولا يحلّون الدواب والأثقال لسرعة الارتحال، ومثل مكثنا في القبر كمثل النزول في بعض المنازل، يضعون الأثقال، ويستريحون يوماً أو ليلة ثم يرتحلون، ومثل مقامنا في المحشر كنزولهم بمكة، وهو غاية الاجتماع لكل فريق من كل فج عميق، يقضون النسك، ثم يتفرّقون يميناً وشمالاً. كذلك يوم القيامة إذا فرغوا من المحاسبة افترقوا فرقاً إلى الجنة وفرقاً إلى السعير.

وقال شقيق بن إبراهيم: ـ رحمه الله تعالى ـ سألت سبعمئة عالم عن خمسة أشياء، فكلهم أجابوا بجواب واحد. قلت: من العاقل؟ قالوا: العاقل من لم يحب الدنيا. قلت: من الكيس؟ قالوا: من لم تغره الدنيا. قلت: من الغني؟ قالوا: الذي يرضى بما قسم الله له. قلت: من الفقير؟ قالوا: الذي قلبه مع طلب الزيادة. قلت: من البخيل؟ قالوا: الذي يمنع حق الله تعالى من ماله.

ويقال: سخط الله تعالى على العبد في ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يقصرَ فيما أمر الله تعالى.

والثاني: أن لا يرضى بما قسم الله تعالى له.

والثالث: أن يطلبَ شيئاً فلا يجده، فيسخط على ربه.

وقال بعض الحكماء في قول الله عز وجل: ﴿**والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيهُمَا**﴾ [المائدة:٣٨]: قال الفقهاء من سرق عشرة دراهم تقطع يده، وليست لهذه العشرة حرمة حتى تقطع يد الرجل المؤمن لأجلها، ولكن تقطع يده لمعنيين:

أحدهما: لهتك حرمة المسلمين.

والثاني: لأنه لم يرض بما قسم الله تعالى له، ومَالَ إلى مال غيره، فأمر الله تعالى أن تقطع يده نكالاً بما كسب؛ ليكون عبرة لغيره، لكي يرضى بما قسم الله تعالى له.

وينبغي للمؤمن أن يكون راضياً بما قسم الله تعالى له، فإن الرضا بما قسم الله له من أخلاق الأنبياء والصالحين.

وروي عن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: اثنتا عشرة خصلة من أخلاق الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ:

أولها: أنهم كانوا آمنين بوعد الله.

والثاني: كانوا آيسين من الخلق.

والثالث: كانت عداوتهم مع الشيطان.

والرابع: كانوا مقبلين على أمر أنفسهم.

والخامس: كانوا مشفقين على الخلق.

والسادس: كانوا محتملين لأذى جميع الخلق.

والسابع: كانوا موقنين بالجنة؛ يعني إذا عملوا عملاً أيقنوا أن الله لا يضيع ثوابهم ولا ثواب عملهم.

والثامن: كانوا متواضعين في مواضع الحق.

والتاسع: كانوا لا يضعون النصيحة في موضع العداوة.

والعاشر: كان رأس أموالهم الفقر، يعني كانوا لا يمسكون فضل المال، وينفقون على الفقراء.

والحادي عشر: كانوا يُديمون على الوضوء.

والثاني عشر: كانوا لا يفرحون بما وجدوا من الدنيا، ولا يغتمّون على ما فاتهم من الدنيا.

وقال بعض العلماء: حرفة الزاهدين عشرة أشياء:

أولها: عداوة الشيطان يرونها واجبة على أنفسهم لقوله عز وجل: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً**﴾ [فاطر: ٦].

والثاني: لا يعملون عملاً إلا بالحجة، يعني لا يعملون عملاً إلا بعدما ثبتت لهم الحجة لقول الله عز وجل: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: ١١١] يعني حجّتكم.

والثالث: أنهم مستعدون للموت لقول الله تعالى؛ ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥].

والرابع: يحبون في الله، ويبغضون في الله لقول الله عز وجل: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ**﴾ [المجادلة: ٢٢] يعني من كان

مؤمناً لا تكون له صداقة مع من يخالف أمر الله، ولو كان أباه أو ابنه أو أخاه أو عشيرته.

والخامس: أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لقول الله عز وجل: ﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ [لقمان: ١٧].

والسادس: أنهم يعتبرون ويتفكرون في أمر الله تعالى، لقول الله عز وجل: ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ**﴾ [آل عمران: ١٩١] وقال في آية أخرى: ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ**﴾ [الحشر: ٢].

والسابع: يحرسون قلوبهم لكيلا يتفكروا فيما لم يكن فيه رضا الله سبحانه وتعالى، لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء: ٣٦].

والثامن: أن لا يأمنوا مكر الله، لقول الله تعالى: ﴿**فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [الأعراف: ٩٩].

والتاسع: أن لا يقنطوا من رحمة الله، لقوله تعالى: ﴿**لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

والعاشر: لا يفرحون بما آتاهم الله من الدنيا، ولا يحزنون على ما فاتهم لقوله تعالى: ﴿**لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**﴾ [الحديد: ٢٣].

يعني أنّ العبدَ لا يعلم بأنّ الصّلاح فيما يفوته أو فيما يأتيه، فينبغي أن يكون في الحالين سواء، فإن المؤمن مثله مثل الآس، والمنافق مثله مثل الورد، فالآس يكون على حال واحد في حال البرد والحر، وأما الورد فيتغير حاله إذا أصابه أدنى آفة. فكذلك المؤمن يكون حاله عند الشدة وعند الرخاء واحداً، ويكون راضياً بما قسم الله له.

وأما المنافق فلا يكون راضياً بما قسم الله له، فيطغىٰ عند النعمة، ويجزع عند الشدة. فينبغي للمؤمن أن يقتدي بأفعال الأنبياء والزهاد، ولا ينبغي له أن يقتدي بأفعال الكفار والمنافقين. وبالله التوفيق.

* * *

باب المواعظ[1]

٩٥٥ ـ قال الفقيه: حدثنا أبو نصر الدبوسي منصور بن جعفر الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا أبو القاسم أحمد بن حم، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا محمد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي نَضْرة، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ بعد العصر إلى مغيربان الشمس، حفظها منا من حفظها، ونسيها من نسيها. فقال:

«أَلَا إنّ الدّنيا خضرة حلوة، وإنّ الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون. أَلَا فاتّقوا الدنيا واتقوا النساء. ألا إنّ بني آدم خُلِقُوا على طبقات شتى، فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً.

ألا وإنّ الغضبَ جمرة توقد في قلب ابن آدم، ألم تروا إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فالأرض الأرض. ألا إن خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الفيء، فإذا كان سريع الغضب سريع الرضا فإنها بها، ألا وإن شر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا، فإن كان بطيء الغضب بطيء الرضا فإنها بها. ألا وإن خير التجار من كان حسن الطلب حسن القضاء، فإذا كان حسن الطلب سيىء القضاء فإنها بها.

ألا إن شر التجار من كان سيىء الطلب سيىء القضاء، فإن كان سيىء الطلب حسن القضاء، فإنها بها.

---

(١) في (م): الموعظة.

ألا إن لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة. ألا ولا غدر أكبر من غدر إمام عامة. ألا وإن أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر، ألا لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يقول بالحق إذا شهده وعلمه، حتى إذا كان عند مغيربان الشمس، قال: ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما يبقى من هذه الشمس أن تغيب»[1].

٩٥٦ ـ قال: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا العباس بن الفضل الدوري، حدثنا عبدالله بن عبدالرحمٰن، حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا شعبة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: شهدنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ يوم حنين، فقال النبي ـ ﷺ ـ لرجل ممن يدعي الإسلام: «إنّ هذا مِن أهل النار».

فلما حضر الرجل القتال قاتل الرجل أشدّ القتال، فجاء رجل من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله، أرأيت الرجل الذي ذكرت أنه من أهل النار، فوالله ليقاتل في سبيل الله أشد القتال. فقال: «أما إنه من أهل النار». فكاد بعض الناس يرتاب، فبينما هو على ذلك إذ وجد ألم الجراح، فأهوى بيده إلى الكنانة، فاستخرج منها سهماً، وتكلم بكلمة منكرة، ونحر نفسه، فاشتد الرجال من المسلمين إلى النبي ـ ﷺ ـ فقالوا: يا رسول الله، قد صدّق الله حديثك، قد انتحر فلان فقتل نفسه، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «قم يا فلان فنادِ: لا يدخل الجنة إلا مؤمن». وقال النبي ـ ﷺ ـ: «إنّما الأعمالُ بالخواتيم»[2]. لا عبرة لكثرة الصلاة والصيام وإنما ينظر إلى خاتمة أمره.

٩٥٧ ـ قال: حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم العطار، حدثنا أبو عبدالله محمد بن صالح الترمذي، حدثنا سويد بن نصر، حدثنا ابن المبارك، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق:

«إنّ خَلْق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم تكون علقة أربعين يوماً، ثم يكون مضغة أربعين يوماً، ثم يبعث الله إليه الملك بأربع كلمات. فيقال له: اكتب أجله وأمله وعمله ورزقه، واكتب شقياً أو سعيداً. وإن الرجل ليعمل بعمل أهل

---

(١) رواه الترمذي (٢١٩١) في الفتن، باب (٢٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣/١٩، ٦١).

(٢) رواه البخاري (٦٦٠٦) في القدر، باب: العمل بالخواتيم.

الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل أهل النار، فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها»[1]. فهذا الحديث موافق للحديث الأول: «إنما الأعمال بالخواتيم».

فالواجب على كل مسلم أنّ يدعوَ الله عز وجل أن يجعل خاتمته بخير، فإن أكثر ما يخاف ذهاب الإيمان عند النزع.

وذكر عن يحيى بن معاذ الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ أنه كان يقول: اللهم إن أكثر سروري فيما أكرمتني بالإيمان، وأخاف أن تنزعه مني. فما دام هذا الخوف معي أرجو ألَّا تنزعه مني.

وسُئِل أبو القاسم الحكيم بسمرقند ـ رحمه الله تعالى ـ: هل من ذنب ينزع الإيمان من العبد؟ قال: نعم، ثلاثة من الذنوب تنزع الإيمان من العبد:

أولها: أن لا يشكر الله على ما أكرمه به من الإيمان.

والثاني: أن لا يخاف فوت الإيمان عنه.

والثالث: أن يظلم أهل الإسلام.

وروي عن الحسن البصري أنه قال: يعذب الرجل في النار ألف سنة، ثم يخرج منها إلى الجنة، ثم قال الحسن: يا ليتني كنت ذلك الرجل. وإنما قال الحسن ذلك؛ لأنه خاف عاقبة أمره. هكذا كان الصالحون يخافون خاتمة أمرهم.

* * *

(١) رواه البخاري (٣٢٠٨) في بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، ومسلم (٢٦٤٣) في القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي.

باب الحكايات

٩٥٨ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو الحسن الفراء، حدثنا محمد بن حاتم الهروي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا عمرو الكلاعي، عن قتادة، عن أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله أيمنعني سوادي ودمامة وجهي من دخول الجنة؟ قال: «لا، والذي نفسي بيده ما أيقنت بربك، وآمنت بما جاء به رسوله». قال: فوالذي أكرمك بالنبوة، لقد شهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله من قبل أن أجلس هذا المجلس بثمانية أشهر، ولقد خطبت إلى عامة من بحضرتك، ومن ليس معك فردوني لسوادي ودمامة وجهي، وإني لفي حسب من قومي من بني سليم، ولكن غلب علي سواد أخوالي.

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «هل شهد اليوم عمرو بن وهب؟» وكان رجلاً من ثقيف قريب العهد بالإسلام. قالوا: لا. قال له: «أتعرف منزله؟» قال: نعم. قال: «فاذهب واقرع الباب قرعاً رقيقاً ثم سلم، فإذا دخلت فقل: زوجني رسول الله ـ ﷺ ـ فتاتكم»، وكان له ابنة عاتق، وكان لها حظ من الجمال والعقل، فلما أتى الباب وقرع وسلم، فرحبوا به حيث سمعوا لغة عربية، ففتحوا الباب، فلما رأوا سواده ودمامة وجهه انقبضوا عنه. فقال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ قد زوجني فتاتكم، فردوا عليه رداً قبيحاً. فخرج الرجل ومضى حتى أتى رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت الفتاة لأبيها: يا أبتاه النجا النجا، قبل أن يفضحك الوحي فإن يك رسول الله ـ ﷺ ـ قد زوجني منه فقد رضيت بما رضي الله لي ورسوله.

فخرج الشيخ حتى أتى رسول الله ـ ﷺ ـ وجلس في أدنى المجلس، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «أنت الذي رددت على رسول الله ما رددت»؟ قال: قد فعلت،

وأستغفر الله، وظننت أنه كاذب، فقد زوجناه، فنعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، فزوجها منه بأربعمئة درهم.

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ للزوج وهو سعد السلمي: «اذهب إلى صاحبتك فادخل بها». فقال: والذي بعثك بالحق نبياً ما أجد شيئاً حتى أسأل إخواني.

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مهر امرأتك على ثلاثة نفر من المؤمنين اذهب إلى عثمان بن عفان ـ رضي الله تعالى عنه ـ فخذ منه مئتي درهم»، فأعطاه وزاده. «واذهب إلى عبدالرحمٰن بن عوف وخذ منه مئة درهم»، فأعطاه وزاده، «واذهب إلى علي وخذ منه مئة درهم»، فأعطاه وزاده.

فبينما هو في السوق ومعه ما يشتري لزوجته فرحاً قرير العين، إذ سمع صوت النفير ينادي: يا خيل الله اركبي؛ يعني أن منادي رسول الله ـ ﷺ ـ ينادي النفير، فنظر نظرة إلى السماء ثم قال: اللهم إلٰه السماوات والأرض وإلٰه محمد ـ ﷺ ـ لأجعلن هذه الدراهم اليوم فيما يحب الله ورسوله والمؤمنون. فاشترى فرساً وسيفاً ورمحاً، واشترى مجناً،وشد عمامته على بطنه واعتجر، فلم ير إلا حماليق عينيه حتى وقف على المهاجرين. فقالوا: من هذا الفارس الذي لا نعرفه؟ فقال لهم علي ـ رضي الله تعالى عنه ـ: كفوا عن الرجل، فلعله ممن طرأ عليكم من قبل البحرين أو من قبل الشام. فجاء يسألكم عن معالم دينكم فأحب أن يواسيكم اليوم بنفسه، فأقبل يطعن برمحه ويضرب بسيفه حتى نام به فرسه فنزل وحسر عن ذراعيه وتشمر للقتال. فلما رأى رسول الله ـ ﷺ ـ سواد ذراعيه عرفه فقال: «أسعد أنت؟» قال: نعم بأبي أنت وأمي. قال: «سعد جدك»، فما زال يطعن برمحه ويضرب بسيفه كل ذلك يقتل أعداء الله إذ قالوا: صُرع سعد، فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ مقبلاً نحوه فأتاه فرفع رأسه، ووضعه على حجره، ومسح عن وجهه التراب بثوبه، وقال: «ما أطيب ريحك [وأحبك إلى الله ورسوله».

قال: فبكى رسول الله ـ ﷺ ـ](1) ثم ضحك، ثم أعرض بوجهه، ثم قال: «ورد الحوض ورب الكعبة». قال أبو لبابة: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما الحوض؟ قال: «حوض أعطانيه ربي عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى حافتاه مُكلّلتان بالدر

(١) من (م) و(ط).

والياقوت، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً».

فقال: يا رسول الله رأيناك بكيت ثم ضحكت ثم أعرضت بوجهك؟ قال: «أما بكائي فبكيت شوقاً إلى سعد، وأما ضحكي ففرحت بمنزلته من الله تعالى وكرامته على الله. وأما إعراضي فإني رأيت أزواجه من الحور العين يتبادرنه كاشفات سوقهن باديات خلاخلهن، فأعرضت عنهن حياء منهن، فأمر بسلاحه وفرسه وما كان له من شيء فقال: اذهبوا به إلى مَن زَوَّجَهُ فقولوا: إن الله قد زوجه خيراً من فتاتكم»[1].

٩٥٩ ـ قال الفقيه: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر الكاربيسي، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: خرج ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يتبسطون في الأرض فأصابهم المطر فلجؤوا إلى غار فبينما هم فيه، إذ انقضّت عليهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم بابه، فقالوا: عفا الأثر وانقطع الخبر، وليس لكم إلا الله وصالح أعمالكم؛ يعني أنه قال بعضهم لبعض: ادعوا الله بصالح أعمالكم الذي عملتم، فلعل الله يفرج عنا.

فقال رجل منهم: اللهم إنك تعلم أنه كان لي بنت عم، وأنها كانت تعجبني فراودتها عن نفسها، فأبت فأصابتها حاجة شديدة، فأتتني، وسألتني، فقلت: لا حتى تمكنيني من نفسك. فأبت ثم ذهبت فرجعت، وقد أصابتها حاجة شديدة. وفي رواية أخرى أنَّ زوجها كان مريضاً وكان بينهما أولاد صغار. وقد أصابهم القحط. قال: فأتتني فسألتني المرة الثالثة والرابعة. فقلت: لا حتى تمكنيني من نفسك، فقالت: دونك فلما قعدت منها مقعد الرجل من امرأته، ارتعدت، فقالت: لا يحل لك أن تفك هذا الخاتم إلا بحله، فتركتها ووفرت عليها ما احتاجت إليه، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء لوجهك ففرّج عنا، فانفرجت من باب الغار فرجة.

وقال الآخر: اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وأني حلبت حلاباً فجئت أعشيهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وخشيت على غنمي لو تركتها، فتركت ماشيتي وأمسكت الإناء على يدي حتى طلع الفجر، وغنمي في

---

(١) رواه الحاكم مختصراً (٢/٩٢) وصححه، ووافقه الذهبي. وفي إسناده: سويد بن سعيد: ضعيف أو متروك. (ميزان الاعتدال ٢/٢٤٨).

البرية. اللهم إن كنت تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك، ففرج عنا، فانفرجت عنهم فرجة أخرى.

وقال الآخر: اللهم إنك تعلم أني استأجرت أجراء يعملون لي، كل رجل بِمُدَّيْنِ من الطعام، فعملوا لي، فوفيتهم أجورهم، فقال رجل منهم: كان عملي أفضل، فأعطني أفضل، فأبيت فغضب. وفي رواية أخرى قال: جاء رجل آخر في نصف النهار، فعمل في بقية نهاره مثل ما عمل غيره في يومه كله، فرأيت أن لا أنقص من أجرته شيئاً، فقال رجل منهم: إنه جاء في وسط النهار وأنا جئت في أول النهار فسويت بيننا في الأجرة، فقلت: هل نقصت من أجرتك شيئاً؟ فغضب وترك أجرته، وذهب، فأخذت المدين، فزرعتهما، فجاء منهما المال، البقر والغنم والإبل وشيئاً كثيراً، فجاءني بعد ذلك يطلبه مني بعدما اشتدت حاجته فقلت: انظر كل شيء ههنا فخذه. اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافْرُج عنا. فانفرج عنهم فخرجوا منها[1].

وروى هذا الخبر أيضاً النعمان بن بشير عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه كان يحدث حديث الرقيم، وذكر هذا الحديث، وروى غير النعمان أيضاً هذا الخبر عن رسول الله ـ ﷺ ـ إلا أنهم رووه بألفاظ مختلفة.

حكاية:

٩٦٠ ـ قال الفقيه . . .[2] بإسناده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنه كان في بني إسرائيل عابد، وكان قد أوتي جمالاً وحسناً، وكان يعمل القفاف بيده فيبيعها، فمر ذات يوم بباب الملك فنظرت إليه جارية لامرأة الملك، فدخلت إليها[3] وقالت لها: ههنا رجل ما رأيت أحسن منه يطوف بالقفاف يبيعها. قالت: أدخليه عليّ، فأدخلته فلما دخل نظرتْ إليه فأعجبها، فقالت له: اطرح هذه القفاف، وخذ هذه الملحفة، وقالت لجاريتها: هاتي الدهن يا جارية، وهاتي الطيب فنقضي منه حاجتنا، ويقضيها منا وقالت: تغنيك عن بيع هذا، فقال: ما أريد ذلك، مراراً، قالت: وإن لم ترد فإنك غير

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٥) في أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار، ومسلم (٢٧٤٣) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب (٢٧)، بلفظ مقارب من حديث ابن عمر.

(٢) في الأصل: بياض بقدر كلمة.

(٣) أي دخلت الجارية إلى امرأة الملك.

خارج حتى نقضي حاجتنا منك، وأمرت بالأبواب فأغلقت فلما رأى ذلك قال: هل فوق قصركم هذا متوضأ؟ قالت: نعم. ثم قالت: يا جارية أرقي بوضوئه، فلما رقي جاء إلى ناحية السطح، فرأى قصراً مرتفعاً ولا شيء يتعلق به ليرسل نفسه من السطح، فأخذ يعاتب نفسه، ويقول يا نفس أنت منذ سبعين سنة تطلبين رضا الرب الكريم حريصة عليه في الليل والنهار، جاءتك عشية واحدة تفسد عليك هذا كله، إنك والله لخائنة إن جاءتك هذه العشية، وأفسدت عليك عملك، أرسلي نفسك من هذا السطح فتلقي الله ببقية عملك، فجعل يعاتبها».

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «فلما تهيأ ليلقي نفسه قال الله عز وجل لجبريل: يا جبريل قال: لبيك وسعديك. قال: عبدي يريد أن يقتل نفسه فراراً من سخطي ومعصيتي، فتلقه بجناحك لا يصيبه مكروه، فبسط جبريل ـ عليه السلام ـ جناحه، فأخذه به ثم وضعه كما يضع الوالد الرحيم ولده، قال: فأتى امرأته وترك القفاف وقد غابت الشمس».

فقالت له امرأته: أين ثمن القفاف؟ فقال لها: ما أصبت لها اليوم ثمناً، فقالت: على أي شيء نفطر الليلة؟ قال: نصبر ليلتنا هذه. ثم قال: قومي فاسجري تنورك فإنا نكره أن جيراننا إذا لم يرونا نسجر التنور اشتغلت قلوبهم بنا، فقامت فسجرته، ثم جاءت فقعدت، فجاءت امرأة من جيرانها. فقالت: يا فلانة هل عندك وقود؟ قالت: نعم ادخلي، فخذي من التنور، فدخلت، ثم خرجت، فقال: يا فلانة، ما لي أراك جالسة تتحدثين مع فلان وقدنضج خبزك في التنور، ويكاد أن يحترق؟ فقامت فإذا التنور محشو خبزاً نقياً، فجعلته في حفنة، ثم جاءت به إلى الزوج، فقالت له: إن ربك لم يصنع بك هذا إلا وأنت عليه كريم، فادع الله أن يبسط علينا بقية عمرنا في معاشنا.

فقال لها: تصبّري على هذا، فلم تزل به حتى قال: نعم أفعل، فقام في جوف الليل يصلي، ودعا الله تعالى وقال: اللهم إن زوجتي سألتني فأعطها ما تتوسع به في بقية عمرها، فانفرج السقف فنزلت إليه كف عليها ياقوتة أضاء لها البيت كما يضيء الشمع، فغمز رجلها، وكانت نائمة قريبة منه، فقال لها: اجلسي وخذي ما سألت. فقالت: لا تعجل، ألهذا أيقظتني؟ قد كنت رأيت في المنام كأني أنظر إلى كراسي مصفوفة من ذهب، مكللة بالياقوت والزبرجد، فيها ثلمة، فقلت: لمن هذا؟ قالوا:

هذا مجلس زوجك، [فقلت: ما هذه الثلمة؟ قالوا: ما تعجل به زوجك. فقلت][1]: ما لي حاجة في شيء يثلم عليك مجلسك، ادع ربك، فدعا ربه فرجع الكف.

حكاية:

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده عن عبدالله بن الفرج العابد يقول: خرجت يوماً أطلب رجلاً يَرُمُّ لي شيئاً في الدار، فذهبت فأشير إلي برجل حسن الوجه بين يديه مروز وزنبيل، فقلت: أتعمل لي اليوم إلى الليل، قال: نعم، فقلت بكم؟ قال: بدرهم ودانق، فقلت له: قم فقام، فعمل ذلك اليوم عمل ثلاثة رجال، ثم أتيته في اليوم الثاني، فسألت عنه، فقيل لي ذلك الرجل لا يرى في الجمعة إلا يوماً واحداً يوم كذا، فتربصت حتى أتى اليوم الذي وصفوا، ثم جئت ذلك اليوم، فإذا هو جالس وبين يديه مروز وزنبيل، فقلت له: أتعمل لي؟ قال: نعم، قلت: بكم، قال: بدرهم ودانق، فقلت: قم فقام فعمل ذلك اليوم عمل ثلاثة رجال، فلما كان بالمساء، وزنت درهمين ودانقين وأحببت أن أستعلم ما عنده قال لي: ما هذا؟ قلت: درهمان ودانقان. قال: ألم أقل لك بدرهم ودانق؟ قد أفسدت عليّ أجرتي لست آخذ منك شيئاً. قال: فوزنت له درهماً ودانقاً فأبى أن يأخذ وألححت عليه. فقال لي: سبحان الله، أقول: لا آخذ وتلح عليّ، فأبى أن يأخذ ومضى فأقبلت عليَّ أهلي. وقالت: فعل الله بك ما أردت من الرجل قد عمل لك عمل ثلاثة، وأفسدت عليه أجرته. قال: فجئت يوماً أسأل عنه فقيل إنه مريض، فاستدللت على بيته، فأتيته فاستأذنت عليه، فدخلت، فإذا هو مبطون في خربة ليس في بيته شيء إلا ذلك المروز والزنبيل، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام. فقلت له: لي إليك حاجة، وتعرف فضل إدخال السرور على المؤمن، وأنا أحب أن تأتي إلى بيتي أمرضك. قال: أتحب ذلك؟ قلت: نعم. قال: آتيك بثلاث شرائط. قلت نعم. قال:

إحداها: أن لا تعرض عليّ طعاماً حتى أسألك، [قلت: نعم][2].

والثانية: إذا مت أن تدفنني في كسائي هذا، وجبتي هذه. فقلت: نعم. قال:

---

(١) ساقط من الأصل، ومستدرك من (م) و(ط).

(٢) ساقط من الأصل.

أما الثالثة: فهي أشد منهما وسأخبرك عنها، فحملته إلى منزلي عند الظهر. فلما أصبحت من الغد ناداني: يا عبدالله، فأتيته فقلت: ما شأنك؟ قال: الآن أخبرك عن حاجتي الثالثة، وإني قد احتضرت، يعني قد حضرت وفاتي، ثم قال: افتح صرة على كُم جبتي ففتحتها، فإذا فيها خاتم له فص أخضر، فقال لي: إذا أنا مت ودفنتني فخذ هذا الخاتم، وادفعه إلى هارون الرشيد أمير المؤمنين، وقل له: يقول لك صاحب هذا الخاتم: ويحك لا تموتن على سكرتك هذه، فإنك إن متّ على سكرتك ندمت[على ذلك][1].

فلما دفنته سألت عن يوم خروج هارون الرشيد وكتبت له القصة، وتعرضت له فدفعتها إليه، وتأذيت أذى شديداً، فلما دخل القصر وقرأ القصة. قال عليّ بصاحب هذه القصة، فأُدخلتُ عليه، فقال: ما شأنك؟ فأخرجت الخاتم. فلما نظر إلى الخاتم قال: من أين لك هذا؟فقلت:دفعه إليّ رجل طيان، فقال: رجل طيان، رجل طيان، ونظرت إلى دموعه تنحدر من عينيه على لحيته، ومن لحيته على ثيابه ويقول: طيان طيان، وقربني منه وأدناني.

فقلت: يا أمير المؤمنين إنه أوصاني أيضاً وقال لي: إذا أوصلت إليه الخاتم قل له: إنه يقرئك صاحب هذا الخاتم السلام ويقول لك: لا تموتن على سكرتك هذه، فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت، فقام على رجليه قائماً فضرب بنفسه على البساط وهو يتقلب برأسه ولحيته ويقول: يا بني نصحت أباك حياً وميتاً. فقلت في نفسي: كأنه ابنه ولم أشعر به، فبكى بكاء طويلاً ثم جلس وجاؤوا بالماء وغسل وجهه ثم قال: كيف عرفته؟ فقصصت عليه قصّته، فبكى بكاء شديداً طويلاً ثم قال:

كان هذا أول مولود وُلِد لي، فكان أبي المهدي ذكر لي أن يزوجني زبيدة فنظرت يوماً إلى امرأة فعلق قلبي بها فتزوّجتها سرّاً من أبي، وأولدتها هذا الولد فأنفذتهما إلى البصرة ودفعت إليهما هذا الخاتم وأشياء كثيرة، وقلت لها: اكتمي نفسك فإذا بلغك أني قد قعدت للخلافة فائتني، فلما قعدت للخلافة سألت عنهما، فذكر لي أنهما ماتا، ولم أعلم أنه باق. فأين دفنته؟ فقلت: دفنته في مقابر عبدالله بن المبارك.

---

(١) من (م) و(ط).

قال: إن لي إليك حاجة إذا كان بعد المغرب وقفت لي حتى أخرج إليك متنكراً إلى قبره فأزوره، فوقفت له فخرج والخدم حوله حتى وضع يده في يدي، فجئت به إلى قبره. فما زال ليلته يبكي إلى أن أصبح، ويقول: يا بني نصحت أباك حياً وميتاً، فجعلت أبكي لبكائه رحمة له مني حتى طلع الفجر. ثم رجع حتى إذا دنا إلى الباب فقال لي: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، وأمرت بأن تجري عليك، فإذا أنا مت أوصيت من يلي من بعدي أن يجري عليك ما بقي لك لكل عقب فإن لك عليّ حقاً بدفنك ولدي، فلما أراد أن يدخل الباب قال لي: انظر إلى ما أوصيتك إذا طلعت الشمس، فقلت: إن شاء الله، فرجعت من عنده فلم أعد إليه.

حكاية:

٩٦١ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا العباس بن الفضل، حدثنا يحيى بن أبي حاتم، عن همام بن سمرة، عن ليث بن خالد، عن يزيد بن هارون، عن يحيى بن موسى، عن شهر بن حوشب، عن أبي أمامة، عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: لما آخىٰ نبي الله ـ ﷺ ـ بين المسلمين آخى بين سعيد بن عبدالرحمٰن وبين ثعلبة الأنصاري، وغزا نبي الله ـ ﷺ ـ غزوة تبوك، فخرج سعيد بن عبدالرحمٰن غازياً، وخلف أخاه ثعلبة في أهله، فكان يحتطبُ لأهله الحطب، ويستقي لهم الماء على ظهره في كل ذلك يرجو الثواب من الله تعالى، فأقبل ثعلبة ذات يوم، فدخل المنزل، فجاءه إبليس لعنه الله، فقال له: انظر ما خلف الستر، فرفع ثعلبة الستر، فرأى امرأة أخيه، وكانت امرأة جميلة، فلم يصبر حتى دخل عليها ومسها. فقالت له: يا ثعلبة، ما حفظت فينا حرمة أخيك الغازي في سبيل الله، فنادى ثعلبة بالويل والثبور، وخرج هارباً إلى الجبل فنادى بأعلى صوته: إلهي أنت أنت وأنا أنا، أنت العواد بالمغفرة، وأنا العواد بالذنوب والخطايا.

فلما أقبل النبي ـ ﷺ ـ من غزوته أقبل جميع الإخوان يتلقون إخوانهم ولم يستقبل أخو سعيد، فأقبل سعيد إلى منزله فقال لامرأته يا هذه: ما فعل أخي المؤاخي في الله؟ قالت: إنه ألقى بنفسه في بحور الخطايا فخرج هارباً إلى الجبل، فخرج سعيد يطلب أخاه، فوجده منكباً على وجهه واضعاً يده على رأسه ينادي بأعلى صوته: واذلّ مقاماه، مقام من عصى ربه. فقال له سعيد: قم يا أخي فما الذي بلغك ما أرى؟ فقال ثعلبة: لست بقائم معك حتى تغل يدي إلى عنقي وتقودني كما يقاد العبد الذليل

إلى باب مولاه؛ ففعل.

وكانت له ابنة يقال لها خمصانة، فأقبلت تقود أباها حتى أتت به إلى باب عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ فدخل عليه فقال: لامست امرأة أخي الغازي في سبيل الله فهل لي من توبة؟ فقال عمر: اخرج من عندي، فقد هممت أن أقوم إليك وآخذ بشعرك، اخرج من عندي فلا توبة لك عندي.

فانطلق من عنده إلى باب أبي بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ فلما دخل قال: لامست امرأة أخي الغازي في سبيل الله فهل لي من توبة؟ فقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ: اخرج من عندي، لا تحرقني بنارك، فلا توبة لك عندي أبداً.

فخرج من عنده إلى باب علي ـ رضي الله تعالى عنه ـ وقال: لامست امرأة أخي الغازي في سبيل الله، فهل لي من توبة: فقال له: اخرج من عندي فلا توبة لك عندي أبداً، فخرج من عنده وهو يقول يا أخي ويا ابنتي قد آيسني هؤلاء النفر، وأرجو أن لا يؤيسني رسول الله ـ ﷺ ـ فأتت به ابنته إلى باب رسول الله ـ ﷺ ـ فلما دخل عليه نظر إليه رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «ذكرتني سلاسل جهنم وأغلالها». فقال له: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، لامست امرأة أخي الغازي في سبيل الله، فهل لي من توبة؟ فقال النبي ـ ﷺ ـ: «اخرج من عندي فلا توبة لك عندي أبداً». فخرج.

فقالت له ابنته: يا أبت، لست لي بوالد ولا أنا لك بابنه حتى يرضى عنك محمد وأصحابه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فأقبل ثعلبة هارباً إلى الجبل ينادي بأعلى صوته: يا رب أتيت عمر، فأراد ضربي، وأتيت أبا بكر فانتهرني، وأتيت علياً فطردني، وأتيت النبي ـ ﷺ ـ فآيسني، فما أنت يا مولاي صانع بي أن تقول لدعائي: نعم أو تقول: لا، فإن قلت: لا، فيا ويلتاه ويا شقوتاه ويا ندامتاه. وإن قلت: نعم، فطوبى لي.

قال: فأقبل ملك من السماء وهو يقول للنبي ـ ﷺ ـ يقول الله تعالى: أنت خلقت الخلق أم أنا؟ قال: بل أنت يا سيدي. قال: يقول لك الجبار تبارك وتعالى: بشر عبدي أني قد غفرت له. فقال النبي ـ ﷺ ـ: «من يأتيني بثعلبة»؟ قال: فقام أبو بكر وعمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ فقالا: يا رسول الله نحن نأتي به فقام علي وسلمان ـ رضي الله تعالى عنهما ـ فقالا: يا رسول الله نحن نأتي به، فأذن لعلي وسلمان فخرجا وأخذا في وجهته فانطلقا فإذا هما براع من رعاة المدينة، فقال له علي ـ كرم الله وجهه ـ

هـل رأيت أحداً من أصحـاب رسول الله ـ ﷺ ـ قـال: الـراعي عسى أنكمـا تـطلبـان الهارب من جهنم؟ قالا: نعم، فـدلنا على مـوضعه. قـال: إذا جن عليه الليـل حضر هذا الوادي حتى يجيء تحت هذه الشجرة، ثم ينادي بأعلى صـوته وا ذلّ مقـاماه مقـام من عصىٰ ربه.

فأقاما حتى جنّ عليهما الليل إذ أقبل ثعلبـة فأتى الشجـرة، فخرّ تحتهـا ساجـداً باكياً، فلما سمع بكاءه سلمان مشى إليه، فقال له: يا ثعلبة قم، فإن رب العـالمين قد غفر لك. قال: كيف تركتما حبيبي محمداً ـ ﷺ ـ؟ قال سلمان: كما يحب الله وتحب أنت، فلما أقام بلال لصلاة العشاء أدخلاه المسجد فأقاماه في آخر الصف فقرأ رسول الله ـ ﷺ ـ ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾ فشهق شهقة. فلمـا تلا ﴿**حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**﴾ شهق شهقة أخرى وفارق الدنيا. فلما انفتل النبي ـ ﷺ ـ جاء إلى ثعلبة، فقال: «يا سلمان، انضح عليه الماء»، فنادى سلمان: يا نبي الله قد فارق الدنيا.

فأقبلت ابنته فقـالت: يا نبي الله، مـا فعل والدي؟ فإني كنت بـالأشواق إليـه. قال: «ادخلي المسجد» فدخلت، فإذا هي بوالدها ميت مسجّى، فوضعت يـدها على رأسها، ثم أنشأت تنـادي: واغمّاه، فمن لي بعـدك يا أبتـاه. فقال النبي ـ ﷺ ـ: «يـا خمصانة، أما ترضين أن أكـون لك والـداً؟ وتكون فـاطمة لـك أختاً؟»فقـالت: بلى يا رسول الله.

فلمـا حُمِلَ ثعلبـة أقبل النبي ـ ﷺ ـ يتبـع جنازتـه حتى إذا بلغ شفير القبـر أقبل يمشي على أطـراف أصابعـه فلما رجـع، قال عمـر ـ رضي الله عنه ـ: يـا رسـول الله رأيتك تمشي على أطراف أصابعك، قال: «يا عمر ما قدرت أن أضعَ بـاطن قدمي من كثرة الملائكة»[1].

قال الفقيه: قد روي هذا الخبر بألفاظ مختلفة،ويقال:هذه الآية نزلت في شـأنه ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦].

---

(١) رواه أبو نعيم، وفيه المنكدر بن محمد بن المنكـدر، ليس بشيء، وسليم بن منصور بن عمـار: تكلّموا فيه. وأبو بكر المفيد ليس بحجة. ورواه أبو عبـدالرحمٰن السلمي بـإسناد لا تقـوم به حجّـة. وأورده ابن حجر في الإصابة وقال: رواه ابن منده مختصراً، وقال: تفرّد به منصور. وقال ابن عراق: الخبر ضعيف لا موضوع (تنزيه الشريعة ٢/ ٢٨٥) و(الفوائد المجموعة ص ٢٣٤).

حكاية:

قال الفقيه: حدثني أبي ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا محمد بن موسى بن رجاء رفعه إلى أحنف بن قيس، قال: قدمت المدينة وأنا أريد عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ فإذا أنا بحلقة عظيمة، فإذا بكعب الأحبار يحدّث الناس ويقول: لما حضر آدم الوفاة قال: يا رب سيشمت بي عدوي إذا رآني ميتاً، وهو مُنْظَرٌ إلى الوقت المعلوم، فقيل له: يا آدم إنك ترد الجنة، ويؤخّر الملعون إلى النظرة، ليذوقَ بعدد الأولين والآخرين ألم الموت.

ثم قال آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لملك الموت: صف لي كيف تذيقه الموت، فلما وصفه قال آدم: رب حسبي حسبي، فضج الناس، وقالوا: يا أبا إسحاق، يرحمك الله، حدثنا كيف يذوق الموت؟ فأبى أن يقول فألحوا عليه، فقال: إنه إذا كان آخر الدنيا وقربت النفخة، فإذا الناسُ قيامٌ في أسواقهم يتخاصمون ويتجرون ويتحدثون إذا هم بهدةٍ عظيمة يصعق فيها نصف الخلائق، فلا يفيقون منها مقدار ثلاثة أيام، والنصف الباقي من الناس تذهل عقولهم، فيبقون مدهوشين قياماً على أرجلهم كالغنم الفزعة حين ترى سبعاً.

فبينما الناس في هذا الهول إذا هُمْ بهدّة بين السماء والأرض غليظة كصوت الرعد القاصف، فلا يبقى على ظهرها أحد إلا مات، فتبقى الدنيا بلا آدمي ولا جنّي ولا شيطان ولا وحش ولا دابة، فهذه النظرة المعلومة التي كانت بين الله تعالى وبين إبليس.

ثم يقول الله عز وجل لملك الموت: إني خلقت لك بعدد الأولين والآخرين أعواناً، وجعلت فيك قوة أهل السماوات وأهل الأرض وإني ألبسك اليوم أثواب الغضب والسخط كلها، فانزل بغضبي وسخطي إلى ملعوني ورجيمي إبليس، فأذقه الموت، وأحمل عليه من الموت مرارة الأولين والآخرين من الجن والإنس أضعافاً مضاعفة، وليكن معك من الزبانية سبعون ألف ملك، قد امتلؤوا غيظاً وغضباً، وليكن مع كل زبانية سلسلة من سلاسل لظى، وانزع روحه المنتنة بسبعين ألف كلوب من كلاليب لظى، ونادِ مالكاً ليفتح أبواب النيران.

فينزل ملك الموت بصورة لو نظر إليه أهل السماوات السبع والأرضين السبع لذابوا كلّهم من هول رؤية ملك الموت، فإذا انتهى إلى إبليس، وزجره زجرة إذا هو

صعق منها ونخر نخرة لو سمعه أهل المشرق والمغرب لصعقوا من تلك النخرة. وملك الموت يقول: قفْ يا خبيثُ لأذيقنك اليوم الموت بعدد مَن أغويت. كم من عُمر أدركته! وكم من قرون أضللت! وكم من قرناء لك بسواء الجحيم يقارنونك! وهذا الوقت المعلوم الذي بينك وبين ربك، فإلى أين تهرب؟ فيهرب الشيطان إلى المشرق فإذا هو بملك الموت بين عينيه فيغوص في البحار فإذا هو بملك الموت فترميه البحار فلا تقبله، فلا يزال يهرب في الأرض ولا محيص ولا ملجأ له ولا منجى.

ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم ـ عليه السلام ـ ويقول: من أجلك يا آدم حُوِّلْتُ ملعوناً رجيماً فيا ليتك لم تخلق، فيقول لملك الموت: بأي كأس تسقيني؟ يعني بأي عذاب تقبض روحي؟ فيقول ملك الموت: بكأس أهل لظى. يعني مثل عذاب أهل النار وبكأس أهل سقر، وبكأس أهل الجحيم أضعافاً مضاعفة.

قال: وإبليس يتمرّغ في التراب مرة، ويصيح أخرى، ويهرب مرة من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق؛ حتى إذا كان في الموضع الذي أهبط فيه يوم لعن، وقد نصبت له الزبانية الكلاليب، وصارت الأرض كالجمرة، وتحتوشه الزبانية فيطعنونه بالكلاليب؛ فيكون في النزع والعذاب إلى ما شاء الله.

ويقال لآدم وحواء: اطلعا اليوم على عدوكما، وانظرا ما نزل به كيف يذوق الموت، فيطلعان، فإذا نظرا إلى ما هو فيه من شدة العذاب والموت قالا: ربنا قد أتممت علينا النعمة.

حكاية:

قال الفقيه: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده عن عبدالواحد بن يزيد ـ رحمهم الله تعالى ـ، قال: بينما أنا يوماً في مجلسنا هذا، وقد تهيأنا للخروج إلى الغزو، وقد أمرت أصحابي أن يتهيؤوا غداة الاثنين، وقد قرأ رجل في مجلسنا ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ [التوبة: ١١١] الآية فقام غلام ابن خمس عشرة سنة أو نحو ذلك وقد مات أبوه وأورثه مالاً كثيراً. فقال: يا عبدالواحد ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ فقلت: نعم حبيبي. فقال لي: إني أشهدك ياعبدالواحد أني قد بعت نفسي ومالي بأن لي الجنة، فقلت له: إن حد السيف أشد من ذلك، وأنت صبي وإني أخاف عليك أن لا تصبر وتعجز

عن ذا البيع. قال: فقال لي: يا عبدالواحد إني أبايع الله بالجنة ثم أعجز، إني أشهدك أني بايعت الله، فقال: فتقاصرت إلينا أنفسنا، فقلنا: صبي يفعل ونحن لا نفعل!

قال: فخرج من ماله كله، يعني تصدق به إلا فرسه وسلاحه ونفقته، فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا. فقال: السلام عليك يا عبدالواحد، فقلت له: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ربح البيع. ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار، ويقوم الليل، ويخدمنا، ويرعى دوابنا ويحرسنا إذا بتنا حتى دفعنا إلى بلاد الروم.

فبينما نحن كذلك يوماً إذ أقبل وهو ينادي: واشوقاه إلى العيناء المرضية حتى قال أصحابي: لعله وُسوس الغلام أو خلط عقله، حتى دنا، وجعل ينادي: يا عبدالواحد لا صبرَ لي، واشوقاه إلى العيناء المرضية، فقلت: حبيبي وما هذه العيناء المرضية؟ قال:

إني غفوت غفوة يعني نمت نومة فرأيت كأنه آتاني آت فقال: أذهب بك إلى العيناء المرضية، فهجم بي على روضة فيها نهر ماء غير آسن، فإذا على شط النهر جوار عليهن من الحلي والحلل ما لا أصف، فلما رأينني استبشرن وقلن: هذا زوج العيناء المرضية قد قدم فقلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟ فقلن: لا، نحن خدمٌ لها وإماؤها، فتقدم أمامك فتقدمت، فإذا بنهر فيه لبن لم يتغير طعمه، في روضة فيها من كلّ زينة، فيها جوار؛ فلما رأيتهن افتتنت من حسنهن وجمالهن، فلما رأينني استبشرن، وقلن: هذا ـ والله ـ زوجُ العيناء المرضية قد قدم علينا. فقلت: السلام عليكن، أفيكن العيناء المرضية؟ فقلن: وعليك السلام يا ولي الله، نحن خدم لها، وإماء لها، فتقدم أمامك، فتقدمت، فإذا بنهر آخر من خمر على شط الوادي، فيه جوار أنسينني من خلفت. فقلت: السلام عليكن، أفيكن العيناء المرضية؟ فقلن: لا، نحن إماء لها، وخدم لها، امض أمامك، فتقدمت، فإذا أنا بنهر آخر من عسل مصفى، وروضة فيها جوار لهنّ من النور والجمال ما أنساني من خلفت. فقلت: السلام عليكن، أفيكن العيناء المرضية؟ قلن: لا يا ولي الرحمٰن، نحن إماء لها، امضِ أمامك.

فتقدمت، فرفعت لي خيمة من درّة جوفاء، على باب الخيمة جارية عليها من الحلي والحلل ما لا أصفه، فلما رأتني استبشرت، ونادت من الخيمة: أيتها العيناء

المرضية، هذا بعلك قد قدم، قال: فدنوت من الخيمة، فدخلت فيها، فإذا هي على سريرها قاعدة، وسريرها من ذهب مُكلّل بالدر، والياقوت، فلما رأيتها افتتنت بها، وهيٍ تقول: مرحباً بولي الرحمٰن قد دنا لك القدوم علينا فذهبت لأعتنقها، فقالت: مهلاً، فإنه لم يأن لك أن تعانقني، فإن فيك روح الحياة، وأنت تفطر الليلة عندنا إن شاء الله تعالى، فانتبهتُ يا عبدالواحد، ولا صبرَ لي عنها.

قال عبدالواحد: فما انقطع كلامنا حتى ارتفعتْ لنا سرية من العدو، فحملنا عليهم وحمل الغلام، قال: فعددت تسعة من العدو الذين قتلهم الغلام، وكان هو العاشر فمررت به وهو يتشحّط في دمه، يضحك ملء فيه حتى فارق الحياة.

حكاية:

٩٦٢ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ قال: حدثنا علي بن أحمد، حدثنا عبدالله بن بشر بإسناده، عن يزيد بن حوشب الفهري، عن أبيه ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لو كان جريج الراهب فقيهاً لعلم أن إجابته أمه أفضل من عبادة ربه».

قال: سمعت غيره يذكر قصة جريج: أنه كان راهباً في بني إسرائيل يعبد الله تعالى في صومعته، فجاءته أمه يوماً وهو قائم في الصلاة، فنادته: يا جريج، فلم يجبها؛ لاشتغاله بصلاته، فقالت: ابتلاك الله بالمومسات، تعني الزواني.

وكانت امرأة في تلك البلدة خرجت لحاجة لها، فأخذها راع، فواقعها عند صومعة جريج، فحملت، وكان أهل تلك البلدة يعظمون أمر الزنا، فظهر أمر تلك المرأة في البلد، فلما وضعت حملها أُخبر الملك أن امرأة قد ولدت من الزنا، فدعاها، فقال: من أين لك هذا الولد؟ قالت: من جريج الراهب، قد واقعني، فبعث الملك أعوانه إليه وهو في الصلاة، فنادوه، فلم يجبهم، حتى جاؤوا بالمرازب، وهدموا الصومعة، وجعلوا في عنقه حبلاً، وجاؤوا به إلى الملك. فقال له الملك: إنك قد جعلت نفسك عابداً، ثم تهتك حرم الناس، وتتعاطى ما لا يحل لك. قال: أي شيء فعلت؟ قال: إنك قد زنيت بامرأة كذا، فقال: لم أفعل، فلم يصدقوه، وحلف على ذلك فلم يصدقوه، فقال: ردوني إلى أمي.

فردّوه إلى أمه، فقال لها: يا أماه، إنك دعوتِ اللَّهَ عليّ، فاستجابَ اللَّهُ

دعاءك، فادعي الله يكشف عني بدعائك. فقالت أمه: اللهم إن كان جريج إنما آخذته بدعوتي فاكشف عنه، فرجع جريج إلى الملك، فقال: أين هذه المرأة؟ وأين الصبي؟ فجاؤوا بالمرأة والصبي، فسألوها، فقالت المرأة: بلى، هذا الذي فعل بي، فوضع جريج يده على رأس الصبي، وقال: بحقّ الذي خلقك أن تخبرني من أبوك؟ فتكلّم الصبي بإذن الله، وقال: إن أبي فلان الراعي، فلما سمعت المرأة ذلك اعترفت، وقالت: كنتُ كاذبة، وإنما فعل بي فلان الراعي[1].

وفي رواية: أن المرأة كانت حاملاً لم تضع حملها بعد. فقال لها: أين أصبتك؟ قالت: تحت شجرتك، وكانت الشجرة بجنب صومعته. قال جريج: اخرجوا إلى تلك الشجرة. ثم قال: يا شجرة، أسألك بالذي خلقك أن تخبريني من زنى بهذه المرأة؟ فقال كلّ غصن منها: راعي الضأن. ثم طعن بأصبعه في بطنها، وقال: يا غلام، من أبوك؟ فنادى من بطنها: أبي راعي الضأن، فاعتذر الملك إلى جريج الراهب، وقال: ائذن لي أن أبني صومعتك بالذهب، قال: لا. قال: فبالفضة قال: لا. ولكن بالطين كما كانت، فبنوها بالطّين كما كانت.

وروى إبراهيم، عن مهاجر بن مجاهد، قال: ما تكلّم صبيٌ في حال صغره وهو طفل إلا أربعة عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ وصاحب الأخدود، وصاحب جريج الراهب، وصاحب يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: ٢٦][2].

تمّ بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ومنّه وكرمه وإحسانه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وعترته الطيبين الطاهرين.

اللهم رزقتنا كتابته فارزقنا العمل به بفضلك وكرمك، يا حنّان يا منّان يا ذا الجلال والإكرام.

وقع الفراغ من نسخه يوم الجمعة في شهر المبارك المحرم في سنة إحدى وستين وسبعمئة، على يد العبد الضعيف الراجي رحمة ربّه اللطيف: أحمد بن

---

(١) قصة جريج مع أمه والمرأة الزانية، رواها البخاري (٣٤٣٦) في أحاديث الأنبياء، باب (٤٨)، وفي الأدب المفرد برقم (٣٣)، ومسلم (٢٥٥٠) في البر والصلة والآداب، باب (٢).

(٢) رواه أحمد (١/ ٣١٠)، وابن جرير والبيهقي في الدلائل، كما في الدر المنثور (٤/ ٥٢٦) عن ابن عباس.

يعقـوب بن علي، عفـا الله عنهم، وعن جميـع المؤمنين والمؤمنـات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات.

اللهم اغفر لصاحبه وكاتبه ولوالديهما.

رحم الله امرأً نظر فيه، ودعا لكاتبه ولوالديه ولأستاذيه[1].

غفر الله للناظرين فيه، والمتلقّين منه، والداعين له بالمغفرة والرحمة، والخاتمة بالخير، آمين يا رب العالمين.

وصلى الله على محمـد خاتم النبيين وعلى جميـع الأنبيـاء والمـرسلين، وعلى أهل جماعتك أجمعين، من أهل السماوات وأهل الأرضين، وسلّم تسليماً دائماً كثيراً كثيراً.

اللهم اغفر لنا جميعاً، وارحمنا جميعاً، ولا تعذّبنـا بعد المـوت جميعاً، ونجّنـا من النار جميعاً، وأدخلنا الجنة جميعاً، واحفظنا من الآفات والعاهات جميعاً.

توفّنا مسلمين، وألحقنا بالصّالحين[2].

* * *

* *

*

---

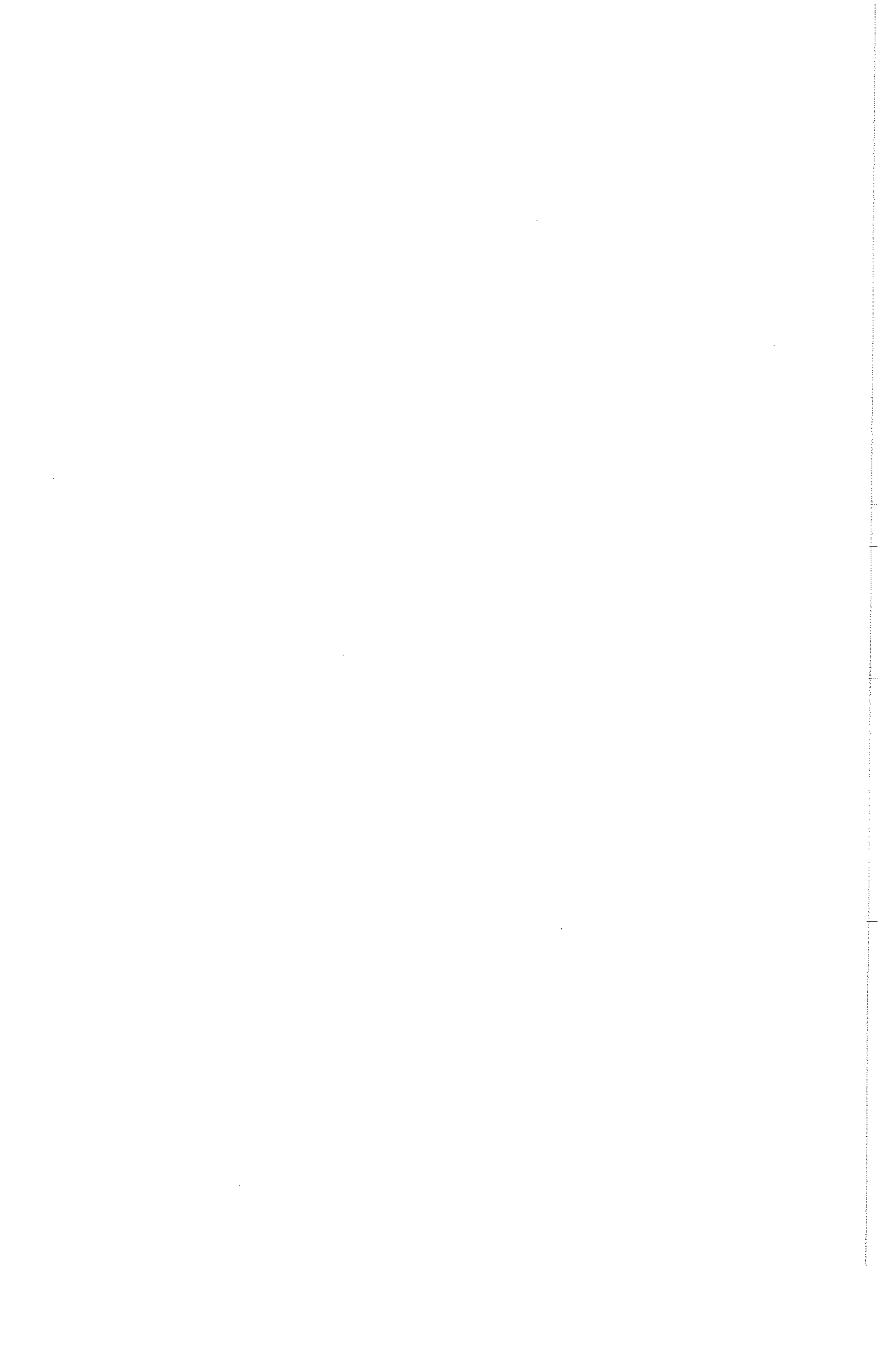
(١) كذا في الأصل، ولعلها: ولأساتذته.

(٢) في (م): والحمـد لله رب العالمين، وحسبنـا الله ونعم الوكيـل، نعم المـولى ونعم النصيـر، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه الأكرمين، والحمد لله رب العالمين.

بلغ مقابلة على قدر الإمكان، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، سيّد ولد عدنان، وعلى آلـه وصحبه وأزواجـه المطهـرين من الدنس وعبـادة الأوثان، وأنـا الفقير إلى الله الـودود: محمود. في جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وألف.

وفي (ط): والحمـد لله رب العالمين، وصـلاته وسـلامه على أشـرف المرسلين؛ سيـدنا محمـد خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، آمين.

الفهارس



فهرس الأحاديث النبوية

بداية الحديث	رقم الحديث

بداية الحديث	رقم الحديث
«إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة»	٧٤٠
«إن من أحبكم إليّ وأدناكم مني مجلساً»	٧٢٣
«إن من أكبر الذنب أن يسب الرجل والديه»	١٤٧
«إن من كان قبلكم كان يؤتى بالرجل»	٣٢٨
«إن من الناس ناساً مفاتيح للخير»	٩١ ـ ٩١٩
«إن منكم من يصلي صلاته»	٣٧٩
«أن موسى قال يا رب إني أجد في الألواح»	٨٠٤
«إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة»	٣٣
«إن المؤمن إذا وضع في القبر يوسع عليه»	٣٤
«إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»	٥٤ ـ ٥٣٣
«إن ناساً من المنافقين قد اغتابوا»	٢٠٨
«إن نساء أهل الدنيا من جعل منهن في الجنة»	٧٢
«أن النبي كان إذا أراد قضاء الحاجة»	٧٤٥
«أن النبي كان إذا قال المؤذن الله أكبر»	٤٠٧
«أن النبي لعن آكل الربا وموكله»	٥٤١
«أن النبي وقّت في كل أربعين يوماً حلق العانة»	٤١٥
«إن هذا الدين هو الذي ارتضيته لنفسي»	٧٢٦
«إن هذا القرآن مأدبة الله»	٦٥٠
«إن هذا من أهل النار»	٩٥٦
«أن وحشياً قاتل حمزة عم النبي»	١٠٥
«أن لا تمنع نفسها ولو كانت على ظهر قتب»	٨١١
«أن يأجوج ومأجوج يحفرون الردم كل يوم»	٩٣٣
«إن اليتيم إذا ضرب اهتز عرش الرحمٰن»	٥٢٢
«الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى»	٩٣٢
«الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل»	٣٣٥
«أنت في الجنة»	٧٨١
«أنتم اليوم على بينة من ربكم»	١٠٠
«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»	٥٦٤
«إنك تحرك شفتيك»	٦٢٠
«إنك تقدم أرضاً السجود بها قليل»	٧٣٢
«إنكم لا تسعون الناس بأموالكم»	٧٢٠
«إنما الأعمال بالنيات»	٣٨٣
«إنما الصدقة عن ظهر غنى»	٤٩٠

بداية الحديث	رقم الحديث

بداية الحديث	رقم الحديث
«بلغني أن الدعاء موقوف بين السماء والأرض»	٦٢٢
«بلغني أن ربك يباهي الملائكة بثلاثة»	٨٦٩
«بلوا أرحامكم ولو بالسلام»	١٦٣
«بلى ، أي رجل خرج من منزله حاجاً»	٧٦٠
«بني الإسلام على خمس»	٧٧٠
«بينما رجل يمشي في الطريق اشتد عليه العطش»	٥٧٣
«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»	١١٣ ـ ١٢٩
«التاجر الصدوق تحت ظل العرش»	٧١٥
«تحريمها التكبير وتحليلها التسليم»	٣٨٤
«ترك ذرة مما نهى الله عنه خير»	٥٦٠
«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم»	٨٩٩
«تطوع الرجل في بيته يزيد على تطوعه»	٨٦٣
«تعلموا الزهراوين»	٦٥٨
«تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية»	٦٧١
«تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين»	٨٢٥
«تفكر ساعة أفضل من عبادة سنة»	١/م ـ ٩٢٢ ـ ٩٢٣
«تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق»	٩٢٠
«تقبلوا لي ستاً أتقبل لكم الجنة»	٧٣٣
«تقوى الله وحسن الخلق»	٧١٨
«تكلم»	٥٢٨
«تمشي وحدك وتموت وحدك»	٩٤٢
«تنزهوا عن البول»	٣٥
«التوبة معلقة في الهواء»	١٢٣
«ثكلتك أمك»	٢٧٧
«ثلاث من رزقهن فقد رزق خير الدنيا والآخرة»	٣٣٢
«ثلاث منجيات وثلاث مهلكات»	٥٩٠
«ثلاثة كلهم لهم أجران»	٥١٢/م
«ثلاثة لا يستخف بحقهن إلا منافق»	٦٥٧
«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة»	٢٢٩
«ثلاثة لا ينجو منهن أحد»	٢١٩
«ثلاثة من كنوز البر»	٨٥٢
«ثلاثة هم الغرباء في الدنيا»	٦٥٤
«ثلاثة يقومون يوم القيامة على كثبان المسك»	٤٠٠

بداية الحديث	رقم الحديث
«سبعة يظلهم الله تعالى يوم القيامة»	٨٨
«ست خصال من الخير»	٤٨١
«ستأتي عليكم ليلة مثل ثلاث ليال»	٩٣١
«ستة بستة يدخلون النار يوم القيامة»	٢٢٣
«ستفتح لكم الأرض وتكفون المؤونة»	٧٩٨
«السخاوة شجرة أصلها في الجنة»	٤٣٧
«سيصيبك بعدي بلاء»	٩٤٣
«الشتاء غنيمة المؤمن»	٢٣
«شرب نفر من أهل الشام الخمر»	١٩٤
«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»	٧٨ ـ ٧٩
«الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»	٩٥٠
«صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال»	١١٢
«الصبر ثلاثة: صبر على الطاعة»	٣٥٢
«صدق أبي»	٤٢٢
«صف لي النار»	٥٣٤
«صلاة الرجل في بيته تطوعاً نور»	٨٦٤
«صلاة في مسجدي هذا أفضل من عشرة آلاف»	٧٦٩
«صلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة»	٧٦٨
«الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين»	١٤٥
«الصلاة لوقتها وبر الوالدين»	٧٨٠
«الصلاة مرضاة للرب تبارك وتعالى»	٣٧٧
«الصلاة وما ملكت أيمانكم»	٥٠٦
«صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين»	٢٨٨
«صلوا علي فإن الصلاة علي زكاة لكم»	٦٢٨
«صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً»	٨٦٢
«الصلوات في الجماعة والجمعة إلى الجمعة»	٤٢٦
«الصوم جنة ما لم يخرقها»	٩٤٦
«صوموا شهر الصبر»	٤٨٤
«ضحوا وطيبوا بها نفساً»	٤٧٤
«الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر»	٣٤٨
«طلب العلم فريضة على كل مسلم»	٥٤٦
«طوبى لمن ملك لسانه»	٢٧٤
«طيب الكلام وإطعام الطعام»	٧٧٦

بداية الحديث	رقم الحديث

بداية الحديث	رقم الحديث
«ما جلس قوم يذكرون الله تعالى إلا ناداهم»	٦٨٤
«ما حبسك يا جبريل»	٤١٢
«ما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله»	١٦٨
«ما رؤي الشيطان يوماً قط»	٧٦٤
«ما صنعت في رأس العلم»	٢٠
«ما طلعت شمس إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان»	٤٣٥
«ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين»	٦٧٤
«ما فتح الرجل على نفسه باب مسألة»	٦٩٦
«ما قدم رجل شيئاً بين يديه أحب إليه»	٣٥٠
«مالك لم تغدُ مع أصحابك»	٧٧٤
«ما لي أراك متغير اللون»	٥٩
«ما لي لم أرك»	٨٧٨
«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»	٩٢٥ ـ ٩٢٦
«ما من أيام أحب إلى الله وأفضل»	٤٦٧
«ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه»	٤٧١
«ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله»	٤٦٦
«ما من بقعة يصلي فيها صلاة»	٨٦٨
«ما من حسنة أعجل ثواباً من صلة الرحم»	١٥٩
«ما من مدينة يكثر المؤذنون فيها»	٣٩٦
«ما من رجل يتصدق في يوم وليلة إلا حفظ»	٤٤١
«ما من عبد إلا ويعرض على الله يوم القيامة»	٧٠٨
«ما من عبد يخرج من عينه من الدموع مثل الذباب»	٩١٤
«ما من عبد يذنب ذنباً»	١١٠
«ما من عبد يموت وله عند الله خير»	٧٨٢
«ما من مسلم يدعو بدعاء إلا استجيب له»	٦٠٧
«ما من مسلم يشيب في الإسلام»	٨٦
«ما من مسلم يصاب بمصيبة وإن قدم عهدها»	٣٤٣
«ما من مسلم يكون له ثلاث بنات»	٥٢٤
«ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرتين»	٩١٥
«ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي»	١٠٤
«ما من قوم يكون فيهم رجل يعمل بالمعاصي»	٩٣
«ما من مؤمن له أبوان فيصبح»	١٤٠
«ما من ميت يموت إلا وله خوار»	٤٠

بداية الحديث	رقم الحديث
«من استوى يوماه فهو مغبون»	٥٩٢
«من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات»	٣٥٤
«من اكتسب مالاً من مأثم فتصدق به»	٧١١
«من التمس رضا الله بسخط الناس»	٧٥٤
«من أتم الوضوء كما أمر الله»	٣٦٣
«من أحب أن ينظر إلى عتقاء من النار»	٦٦٧
«من أحب رجلاً في الله لعدل ظهر منه»	٧٥٢
«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»	١٧
«من أخلص العبادة لله تعالى أربعين يوماً»	٩٤٧
«من أدى زكاة ماله وقرى الضيف»	٧٢٧
«من أدى الزكاة وقرى الضيفَ»	٤٤٦
«من أذن سبع سنين أعتقه الله»	٤٩١
«من أسرج في المسجد سراجاً»	٤٢٩
«من أشرب قلبه حب الدنيا التاط قلبه»	٣١٧
«من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي»	٣٥٣
«من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً»	٣٤١
«من أصبح والدنيا أكبر همه»	٣٢٠
«من أصبح وقال بسم الله الذي لا يضر»	٨٨٠
«من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة»	٨٣٢
«من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى»	٣٤٧
«من أطعم شارب الخمر لقمة»	١٨٧
«من أكل طيباً وعمل بالسنة»	٩٠٧
«من أنت»	٨٤٨
«من بات طاهراً في شعار طاهر»	٣٥٧
«من تاب قبل موته بنصف يوم»	١٠٦
«من ترك الرمي بعدما علمه فقد»	٨٠٠
«من تزوج امرأة بصداق مثلها»	٨١٨
«من تعلم الرمي أعطاه الله ثلاثة أشياء»	٨٠٢
«من تعلم العلم لأربع دخل النار»	٦٧٩
«من تعلم القرآن ثم نسيه»	٦٦٢ ـ ٦٦٣
«من توضأ فأسبغ الوضوء»	٣٧١
«من توضأ نحو وضوئي هذا»	٣٥٨
«من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلى»	٣٦٧

بداية الحديث	رقم الحديث
«نعم، لا إله إلا الله»	٦٣٤
«نعم، نعم، لا»	١٩٩
«نعم، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطي قوة مئة»	٦٦/م
«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس»	٦٨٩
«النوم في أول النهار حمق»	٢٤٨
«نية المؤمن خير من عمله»	٧٤٨ ـ ٧٥١
«هذا سبيل الله»	٩٠٨
«هل تدرون من شراركم»	٢١٤
«هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا»	٢٠٢
«هلك المسوفون»	١٢٦
«هن صيام الدهر»	٤٨٦
«هؤلاء في الجنة ولا أبالي»	٢٨
«هي تسع: الشرك بالله»	٥٢٠
«وسعوا وسعوا لمن وراءكم»	٨٩٨
«الوضوء شطر الإيمان»	٤٠٩
«وعليك السلام»	٣٠٥
«وعليك السلام ورحمة الله»	٣١١
«وعليكم»	٨٩٢
«والله إني لأتوب إلى الله تعالى في اليوم مئة مرة»	١٠٩
«والله لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة»	٥٦٩
«والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه»	٥٨١
«والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف»	٩٦
«والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم الناس»	١٧٠
«ومالك»	٧٨٩
«ويح ابن آدم يذنب الذنب»	١٠٧
«ويل لكم ما تصنعون»	٥٥٠
«الويل لمن حرم خير أيام العشر»	٤٧٠
«ويل لمن يكذب ليضحك به الناس»	٢٥٤
«يا أبا ثعلبة ائتمروا بالمعروف»	١٠٣
«يا أبا ذر إن بين يديك عقبة كؤوداً»	٣٢٢
«يا أبا ذر هل ركعت»	٩٤٠
«يا أبا هريرة الحق بي»	٣٣٧
«يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبد الناس»	١٧٦ ـ ٢٥٥

فهرس هجائي لمضامين الكتاب

فهرس الموضوعات